AMERICA'S KINGDOM

MYTHMAKING ON THE SAUDI OIL FRONTIER

ROBERT VITALIS

مملكة أمريكا

صناعة الأساطير على تخوم النفط السعودي

روبرت فيتالس



شركة الزيت العربية الأمريكية

ARABIAN AMERICAN OIL COMPANY

ترجمة

سلطان العلي

جسور للترجمة والنشر

مملكة أمريكا

صناعة الأساطير على تخوم النفط السعودي

روبرت فيتالس

ترجمة: سلطان العلي



جسور للترجمة والنشر

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد جسور للترجمة والنشر

مملكة أمريكا: صناعة الأساطير على تخوم النفط السعودي/ روبرت فيتالس؛
ترجمة سلطان العلي.
٥٢٧ص.
ببليوغرافية: ص٥١٥ ـ ٥٢٧.
ISBN 978-614-431-792-1
١. أرامكو ـ تاريخ. ٢. النفط. ٣. العربية السعودية ـ علاقات خارجية ـ
الولايات المتحدة الأمريكية.
320

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر جسور للترجمة والنشر»

America's Kingdom
Mythamking on the Saudi oil Frontier

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٦

جسور للترجمة والنشر

لبنان ـ بيروت
josour.pub@gmail.com

المحتويات

مقدمة الطبعة العربيّة

لقد كتبتُ **مملكة أمريكا** كنوع من الممارسة النقديّة في العلوم الاجتماعية، وكذلك من أجل إبراز أكثر ما يحسن التخصص الذي أنتمي إليه صنعه، كما أشار إلى ذلك عالم السياسة تشارلز ليندبلوم (Charles Lindblom)، وهو «فهم ما جرى بالفعل». وحتى أستطيع فهم ما جرى في الحالة التي أدرسها، كان عليّ أن أقوم بنوع من الهندسة العكسية[1] للأساطير التي اخترعتها شركات النفط الكبرى التي عملت في المملكة العربية السعودية خلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات، وهي الأساطير نفسها التي أعاد إنتاجها صحافيون وأساتذة جامعات فيما كتبوه فيما أعقب ذلك من عقود. وكما سيرى القرّاء قريباً، فإن محتوى هذه الأساطير يمكن تلخيصه بأن تحالف الشركات التي كانت تملك شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) كان يتميز عن الشركات التي كانت تملكها بريطانيا في العراق وإيران وغيرها من الأماكن، في كون أرامكو قد سخّرت نفسها من أجل تنمية المملكة والارتقاء بالعمال وتأهيل السعوديين حتى يتمكّنوا من إدارة هذا المرفق بأنفسهم. وكما سيثبت هذا الكتاب، فإنه لا شيء أبعد عن حقيقة ما جرى من مثل هذا الكلام. كما أنه يذكرنا أيضاً بأن ذلك النوع الخاص من الهيمنة التي مارستها شركة أمريكية على قرارت الإنتاج في حقول النفط في المنطقة الشرقية في السعودية من جهة، وعلى العمال في المخيمات العمالية من جهة أخرى، قد اختفى من الوجود. فعلى الرغم من حرص المستثمرين الأمريكيين على تفادي مثل هذه النتيجة، إلا أن

(١) الهندسة تقوم بتطبيق المبادئ العلمية من أجل تصميم الآلة وإنتاجها، فإن الهندسة العكسية تعني تفكيك الآلات والمنتجات من أجل استخلاص المبادئ وطرق التصميم التي بنيت عليها.

أرامكو اليوم نفسها قد أصبحت شركة مملوكة كلياً للحكومة السعودية.

إلا أننا ما زلنا بحاجة إلى مزيد من العمل في هذا المجال، وذلك بسبب أن ما يتم تداوله اليوم من اعتقادات حول «الجغرافيا السياسية للنفط» يشابه في بعده عن الواقع تلك القصص التي كتبتها الشركات أو من استأجرتهم من كتّاب. تعود بعض هذه الاعتقادات بجذورها إلى العقد الثاني من القرن العشرين عندما بدأت شركات النفط الأمريكية في سعيها للحصول على امتيازات نفطية في الخليج، أي في وقت سابق حتى على تأسيس المملكة العربية السعودية. تصاعدت في تلك السنوات النبرة الحادّة للحكومات الغربية حول «الحاجة» إلى العثور على منفذ للمواد الأولية وحماية الأسواق المحلية (بما في ذلك الاستعمارية) من المستثمرين الذين يحملون جنسيات غير مرغوب فيها. وتقدّم الدراسات الطويلة والجادّة لوليام سميث كولبيرتسن (William Smith Culbertson) ـ والذي عمل لفترة أستاذاً في جامعة جورجتاون ثم نائباً لرئيس مصلحة الضرائب الأمريكية ـ مصلاً مناسباً للكتابات المنفعلة التي تناولت موضوع النفط وغيره من المواد المتنافس عليها[٢].

نحت كولبيرتسن مصطلح «المركنتيلية الجديدة» لوصف سياسات القوى العظمى في ذلك العصر والتي كانت من بينها الولايات المتحدة الأمريكية. لقد كانت الفرضية الأساسية والمشكوك في صحتها هي أن قوّة الدولة تكمن في قدرتها على التحكم بالأسواق والمواد الأولية، وحماية الموارد المحلية، والوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي على المستوى الوطني. وبحسب كولبيرتسن، فإن الإمبريالية الجديدة التي ميزت ذلك العصر تشكّلت نتيجة مثل هذه الفرضية. وهذا صحيح، ذلك أن الأعراق المتقدّمة في الغرب ـ كما كانوا يقولون في ذلك الوقت ـ قد انتفعت من جعل أكبر قدر ممكن من موارد العالم الطبيعية متوفرة لمن يحتاج إليها؛ كما أن هذه السياسات قد

(٢) William S. Culbertson, "Raw Materials and Foodstuffs in the Commercial Policies of Nations," *Annals of the American Academy of Political and Social Science*, vol. 112 (1924), pp. 1-145.
انظر أيضاً:
Edward Mead Earle, "The New Mercantilism," *Political Science Quarterly*, vol. 40, no. 4 (1935), pp. 594-600.

أنتجت معها سماتها النفسية الخاصة بها من الهوس بالأمن، والهلع، والوسوسة.

هذا وقد شدّد ناقد آخر، وهو أستاذ جامعة كولومبيا باركر مون (Parker Moon)، بشكل مشابه لكولبيرتسن وإن كان بشكل أكثر عمقاً وحدّة، على الأبعاد النفسية للمركنتيلية الجديدة. فالناس لم يكن لديهم مفرّ من تصوير آبار النفط في الخارج التي كان يديرها مواطنون من بلادهم إلا بوصفها امتداداً لثروتهم الوطنية: «من كان يشك... بأن الحصول على تفويض لامتلاك النفط هو غنيمة تستحق الفوز بها... تستحق القتال لأجلها؟»[٣].

لم يفقد نقد مون المستند إلى معطيات تجريبية هذه الأفكار العميقة شيئاً من قوته، والسؤال الحقيقي هنا هو لماذا لا نزال متشبثين بما أطلق عليه زواجاً من العهد الفكتوري؟ فحجته الأولى والأكثر نقدية هي أن المواد الأولية لا تميّز الأعلام الوطنية، بل تتبع قوانين العرض والطلب وتكاليف المسافة والنقل (وهي هامشية اليوم في حالة النفط). ومع ذلك، فإن المواطنين يتخيلون بأن المواد الأولية القادمة من هذه المستعمرة أو منطقة السيطرة تلك، العراق على سبيل المثال، يتم استهلاكها داخل الوطن، ويتخيلون بأن أي مشروع لضخّ النفط أو إنتاج الفوسفات إنما سيكون لمصلحة سكان البلد الذي قدّم الدعم السياسي لمثل هذا المشروع. والأمر في حقيقته ليس كذلك، ذلك أن الشركات تبيع منتجاتها عالمياً لمن يدفع أكثر وليس لمن يشبهون مالكيها من ناحية الشكل أو يتحدثون بلغتهم نفسها.

مضى مون في محاججته ليهدم الوهم القائل: إنه بإمكان أي دولة في القرن العشرين أن تصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من المواد الأولية بواسطة الإمبريالية. وقد قام بذلك عبر قياس النتائج المخيبة للآمال لسياسات فرنسا ومنافسيها في الخمسين سنة الماضية. ونحن نستطيع توسيع حجته لتضم نتيجة جهود إنكلترا المزعومة من أجل التخلّص من الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية الذي أسفرت عنه الحرب العالمية الأولى ـ التي كانت المصدر الرئيس للتوترات الدولية التي كان كل من كولبيرتسن ومون وغيرهم

(٣) Parker Moon, "Raw Materials and Imperialism," *Proceedings of the Academy of Political Science in the City of New York*, vol. 12, no. 1 (1926), pp. 180-187.

مشغولين باستكشافها في منتصف عشرينيات القرن العشرين. وعلى الرغم من الادعاءات الإنكليزية، فما زال المنتجون الأمريكيون يورّدون ستة مليارات برميل من بين السبعة مليارات التي استهلكها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. ولم تمنع هذه الحقائق المسؤولين الأمريكيين من تعريف احتياجاتهم القومية في المستقبل باعتبارها «السيطرة الكاملة، اقتصادياً وعسكرياً»، على مصادر الإنتاج الأجنبية، وهذا على الرغم من أن مستشاراً في وزارة الخارجية قد أقرّ بأنه «لم يتم حتى الآن الإجابة عن سؤال كيفية وما إذا كان بإمكان الولايات المتحدة أن تكون متأكدة من قدرتها على الاستمرار بالسيطرة على مصادر الإنتاج في الشرق الأوسط والنفاذ إليها تحت ظروف حالة طوارئ مستقبلية[!]»[٤].

والنقطة التي أريد تأكيدها هنا هي - كما صاغها مؤرخ اقتصادي آخر من العصر التقدمي اسمه ليلاند جينكس (Leland Jenks) - أن الفكرة الجديدة التي تقول إن «النفط سلطة» ليست إلا وهماً باهظ التكلفة[٥]؛ إذ لا توجد هناك أي فائدة استراتيجية تُذكر من كون مواطنين من بلدي، أو حتى شركة مثل الشركة البريطانية للنفط التي تسيطر عليها حكومة أكثرية، هم المتحكمين بقرارات الإنتاج بواسطة امتياز منحتهم إياه دولة ما، بل إنّ عدم عقلانية هذه الفكرة قادت جينكس إلى ادّعاء أن هذه الاستراتيجية في حقيقة الأمر لم تكن إلا شكلاً خفيّاً من دعم شركات النفط نفسها في تنافساتها التجارية. فالتملك في نهاية الأمر هو ما يحقّق «التحكّم» بالنفط الذي كان كل المحللين يرون فيه العلامة الفارقة للعصر الإمبريالي؛ فالملكية وحدها هي التي منحت شركة

(٤) Herbert Feis, "The Anglo-American Oil Agreement," *Yale Law Journal*, vol. 55, no. 5 (August 1946), pp. 1174-1190, esp. p.1176.

عندما همّت إدارة الرئيس ترومان (Truman) بالتعامل مع هذه الأمور بشكل جاد، أفسحت مفاهيم السيطرة المجال أمام خطط لتدمير منشآت النفط السعودي، وهي خطط تم إخفاؤها عن السعوديين، وذلك عند تقدير أن السيطرة على النفط سيكون مستحيلاً في حالة الحرب مع الاتحاد السوفياتي. وبعد أربعين سنة، لا تزال تقييمات التموضع الدفاعي الأمريكي في الخليج تتعامل مع احتمالات التوجيه الضئيلة في حال سيطرت القوات السوفياتية على حقول النفط. انظر:

Richard Halloran, "US Altering Strategy of Defense of Arabian Oilfields," *New York Times*, 4/12/1988, p. 32.

(٥) Leland Jenks, "Review of the Oil Trusts and Anglo-American Relations by E. H. Davenport and Sidney Russell Cooke," *Social Forces*, vol. 2, no. 5 (1924), pp. 761-763.

ستاندرد أويل أو غيرها من المستثمرين القدرة على اتخاذ قرارات الإنتاج فيما يتعلق باحتياطيات النفط الخام (أي كم يجب أن نضخ منها)، وتوجيه المنتج الخام أو المكرر إلى المستهلكين النهائيين. ومع ذلك فإنه ليس لدى المسؤولين الحكوميين أي آلية للتحكم بالشركات، انظر ماذا يقول المؤرّخ ستيفن راندال (Stephan Randall):

> افترض المسؤولون الأمريكيون أن التأثير الاستراتيجي لأمريكا في المنطقة يعتمد على قوّة القطاع الخاص، إلا أن السياسة الأمريكية فشلت في توفير الوسائل التي تضمن من خلالها سيطرتها على الشركات؛ ومع ذلك، فقد كانت الفرضية أن الشركات تعمل كَمَركَب لتحقيق الأهداف الاستراتيجية والدبلوماسية الكبرى(٦).

وليس هناك شك في أن هناك أشياء كثيرة قد تغيّرت في عالم صناعة النفط منذ عشرينيات القرن العشرين. أحد هذه الأشياء هو أن نظام النفط الذي كان معتمِداً على الشركات الإنكليزية والأمريكية قد تحوّل إلى شيء مقارب إلى السوق العالمية. فقد استحوذ منتجو منظمة أوبيك على التحكم بالاحتياطيات النفطية والإنتاج، وتحوّلت الشركات النفطية الغربية ـ التي حاولت أولاً مقاومة هذا التحوّل ثم لم تلبث أن خضعت له بل وشجعته حتى ـ إلى مشترية بعد أن كانت مالكة هذه الموارد. وإذا قلنا إن التحكم المباشر يعني اتخاذ قرارت الإنتاج حول الاحتياطيات النفطية وامتلاك الأرباح الناتجة منها، فإنّ هذه الشركات لم تعد تتحكم بشكل مباشر إلا بجزء يسير من هذه الاحتياطيات النفطية العالمية، وهي الاحتياطيات التي تستطيع أن تدّعي امتلاكها في سجلاتها. وعوضاً عن ذلك، سواء أكان النفط ملكاً لمواطنين أمريكيين أم للحكومة الصينية، فإن هذه الشركات تشتريه لمصافيها عبر مجموعة مركّبة من العقود. هذه العقود ليست شائعة اليوم كما كانت في فترة ما قبل عقد السبعينيات، ويتمثل **النوع الأول** منها بسوق البضاعة الحاضرة، أما **الثاني** فهو السوق المستقبلي حيث يشتري المستثمرون أوراقاً نفطية لا يقابلها منتج حقيقي.

---

(٦) Stephen J. Randall, *United States Foreign Oil Policy Since World War I: For Profits and Security*, 2nd ed. (Montreal: McGill-Queen's University Press, 2005), p. 251.

وعلى الرغم من وجود هذه التغيرات، إلا أن المركنتيلية الجديدة ما زالت حيّة وبأتم صحة وعافية على الرغم من مرور مئة عام على نشأتها كما يتجلّى ذلك فيما تنشره الصحافة وما يقال في الكونغرس وفي النقاشات الرئاسية الأخيرة حيث يتردّد صدى وعود بفكرة غامضة اسمها «الاستقلال في مجال الطاقة». إن الاستقلال في مجال الطاقة ليس إلا ترقية عقد السبعينيات لعبارة الاكتفاء الذاتي التي كانت منتشرة في عقد العشرينيات مع فارق أنها أصبحت أكثر خواء في المعنى مع مرور الزمن. فمن غير الممكن عزل تقلّبات العرض والأسعار في الولايات المتحدة الأمريكية عن حقيقة أننا نعيش في سوق عالمية واحدة[٧]؛ إذ سيستمر أصحاب المصافي بالشراء من الخارج، ولن يتوقف المنتجون المحليون من تصدير نفطهم إذا ما استثنينا الأماكن، كما في الولايات المتحدة، التي تمنع قوانينها ذلك. وضع في بالك أيضاً أن البنتاغون كفّ عن التخطيط ضد حروب محتملة طويلة الأمد عبر أوروبا وآسيا، وهو الهاجس الذي غالباً ما كان باعثاً على تلك الأحلام القديمة باكتفاء ذاتي. فالجيش الأمريكي، الذي أنفق على عملياته في الخليج العربي في العقود الثلاثة الماضية مقداراً مساوياً لإنفاقه على الحرب الباردة والذي ما زال عالقاً في حربه الأطول في تاريخه بالقرب من الخليج، يمتلك اليوم كل ما يحتاج إليه من النفط، ومن هذه السوق العالمية نفسها[٨].

---

(٧) يوضح أستاذ الاقتصاد في جامعة ييل ويليام نوردهاوس (William D. Nordhaus) هذه المسألة قائلاً: «بشكل عام، لا توجد هناك مسألة نفطية مهمة مرتبطة باعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على النفط الأجنبي، سواء كنا نفكر بالتلوث، أو بتأثيرات الاقتصاد الكلي، أو تقلبات الأسعار، أو انقطاعات العرض، أو ما يحدث في الشرق الأوسط. إن ضعفنا يعتمد على السوق العالمي، ولا يعتمد على أن جزءاً مما نستهلكه قادم من الخارج». انظر:

William D. Nordhaus, "Energy: Friend or Enemy?," *New York Review of Books* (27 October 2011), p. 31.

(٨) قدّر روجر ستيرن تكلفة عمليات الجيش الأمريكي في الخليج العربي منذ منتصف السبعينيات الميلادية بما يقارب السبعة تريليون دولار، وهذا المبلغ لا يتضمن تكلفة غزو العراق عام ٢٠٠٣م. انظر:

Roger J. Stern, "United States Cost of Military Force Projection in the Persian Gulf, 1976-2007," *Energy Policy*, vol. 38 (2010), pp. 2816-25.

انظر أيضاً المناقشة، في: Toby Jones, "America, Oil, and War in the Middle East," *Journal of American History*, vol. 99, no. 1 (2012), pp. 208-218.

وللأسف لم يضع الأكاديميون وكثيرون من نقاد السياسة الخارجية الأمريكية مسافة بينهم وبين هذه الأفكار التي تزعم أن ممارسة القوّة ضرورية من أجل تحسين فرص «الوصول إلى النفط» أو لأجل «تأمين» مصادر النفط، ولم يعاملوها بأنها ليست أكثر من «تبريرات استراتيجية» مناسبة لاعتقادات صنّاع السياسة في «المصداقية» و«فراغ السلطة» و«أسلحة الدمار الشامل» و«نظرية الدومينو». بدلاً من أن يفعلوا ذلك، اختار هؤلاء الإيمان بأهداف قوّة الدولة وتأثيرها بخصوص «مصلحة استراتيجية» وحيدة. فبالنسبة إلى الأكاديميين من المركنتيليين الجدد، فإن الوجود العسكري الممتد من كولومبيا إلى أنغولا، ومن الخليج إلى بحر قزوين، يمثّل أكثر الأدلة وضوحاً على حاجة الولايات المتحدة الأمريكية ونيّتها واستطاعتها ضمان احتياجاتها «الخاصة بها»، وتنويع المصادر من أجل تخفيض اعتمادها على مناطق الإنتاج البعيدة أو المضطربة أو غير الموثوقة، وعلى منع وقوع هذه الموارد في أيدي أعدائها الحاليين أو المستقبليين أو في أيدي القوى الإقليمية وما شابهها، وذلك بسبب أن هؤلاء سيمثّلون خطراً قد ينهي القدرة على الوصول إلى النفط، ويهدّد الاقتصاد. . .إلخ. وستكون شركات النفط الأمريكية الخاصة (ليست الفرنسية ولا البريطانية ولا الإيطالية ولا الروسية) الأداة الأخرى، لكن الأكثر صعوبة على التطويع، إلى جانب حاملات الطائرات العسكرية ومروحيات الـ يو إتش بلاك هوك المقاتلة المتموضعة من أجل جعل تكلفة الاعتماد على النفط الخارجي معقولة، فالخطر هنا هو الحرب على مصادر العالم التي يُدّعى بأنها تتضاءل.

أما الآخرون فيتخيلون الوجود العسكري الأمريكي المتوسّع بوصفه منفعة عامّة تقدّمه الولايات المتحدة الأمريكية لكل الدول المستهلكة للنفط، وذلك لأنها تجعل من السوق العالمية أكثر موثوقية وأكثر قابلية للتنبؤ(!). تختصر عبارة «الوصول إلى النفط» الوصاية على الخطوط البحرية وممرات الأنابيب، ويقدم هذا الوصول طريقة لم تنل أبداً أي تقدير للاستقرار الذي يسمح لنفط الشرق الأوسط بالوصول إلى مصافي نيوجرسي وكاليفورنيا والكاريبي وفرنسا والصين واليابان. وغالباً ما نجد أن من يتبنّى هذا الرأي يقدّمه باعتباره أمراً فريداً في طبيعة الولايات المتحدة ومؤسساتها الليبرالية، أي إنه بمعنى آخر يضعها في مكان بعيد عن وصفها بأنها نمط من أنماط

الهيمنة بمسافة لا يمكن لأحد تخيلها(٩).

وبالنسبة إلى اليسار، فإننا سنجد «الحقائق» نفسها تكوّن الآلية الرئيسة التي فرضت من خلالها الولايات المتحدة الأمريكية تفوّقها العالمي في العقود الماضية. «إن الاستمرار في موضعة القوة العسكرية لضمان انفتاح الأسواق الدولية ليستفيد منها بشكل مشترك كل من الدول الرأسمالية الكبرى... يمثّل جوهر الهيمنة الأمريكية»(١٠) إلا أن هناك قلة منهم يشاركون سيمون بروملي (Simon Bromley) الرأي الذي يبقي الفكرة القديمة حول «تحكّم» الدولة الأمريكية بالنفط في القرن الواحد العشرين على قيد الحياة، والتي خفت نجمها بشدة، وذلك بسبب أن «التحكم» بات يعني اليوم فرض «درجة من التأثير يكون أفضل الموجود» (ولكن ليس واضحاً التحكّم بماذا: الأسعار؟ الأهداف الإنتاجية؟ المبيعات؟)(١١).

وتمضي هذه الحقائق غير الواقعية نفسها حول سوق النفط العالمية بعيداً إلى حدّ تجاوز الروايات الكثيرة التي توردها الكتب الهزلية عن الأحداث العالمية، وذلك كله باسم الجغرافيا السياسية، حيث تُخْضِعُ البلدان العدائية، كشعبَويي فنزويلا والإسلاميين الراديكاليين، مواردَ النفط العالمية تحت رحمتها أو تهدّد بفصل المغذّي الذي تعاظم اعتماد الاقتصاد الأمريكي عليه (أو الحديث عن اقتصاد أمريكي يزداد قدرة على «تأمين» نفسه في مجال الطاقة؛ حيث استطاع أن يعزل نفسه عن أولئك الذين قد «يقطعون الإمداد

---

(٩) انظر على سبيل المثال:

G. John Ikenberry, "Liberal Hegemony and the Future of American Postwar Order," in: T. V. Paul and John Hall, eds., *International Order and the Future of World Politics* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1999), pp. 123-144.

(١٠) Simon Bromley, "The United States and the Control of World Oil," *Government and Opposition*, vol. 40, no. 2 (Spring 2005), pp. 254-255.

(١١) المصدر نفسه، ص٢٢٨. والاقتباس كاملاً هو كالآتي: «إن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى فعلاً للتحكم بالنفس العالمي، أو على الأقل أن تمارس درجة من الهيمنة تكون ثانية للا أحد، إلا أن شكل هذا التحكم في حقيقة الأمر غامض للغاية، والأهم من ذلك أنه مختلف عن أنواع التحكم الحصري بالمواد الأولية الذي عادة ما يتم ربطه بالقوى الأمبريالية». «إن ملاحظتي البسيطة على هذا الكلام هو أنه ليس لدى القوى الإمبريالية ورجال الدولة أي سلطة على المواد الأولية التي تقوم شركات بلدانهم بضخها وتكريرها ونقلها».

عنه»[١٢]، إلا أنّ الحقيقة هي أن سياسة حظر النفط لا تنجح ولا يمكن أن تنجح، وهذا هو السبب في أننا لا نرى أي تكرار للحادثة سيئة السمعة التي تمّ فيها إشهار سلاح النفط العربي في عام ١٩٧٣م، والسر في ذلك يكمن في أن المنتجين لا يستطيعون استهداف دولة معينة من دون أن يقطعوا الإنتاج عن كل الدول. كما أنه لم يسبق أن وجد في التاريخ أن دولة نفطية آثرت الإبقاء على نفطها تحت الأرض بدلاً من أن تقوم ببيعه لتستطيع توفير المنافع والخدمات والسجون والقصور والأسلحة وغيرها من الأشياء التي تريد شراءها. وحتى لو حاولت دولة ما منع بيع النفط لواحدة أو أكثر أو حتى كل الدول، فإن الأثر قصير المدى لهذا التصرف سيكون مشابهاً لأي تعطّل في الإمداد (حريق في مصفاة، أو إغلاق خط أنابيب، أو احتلال الكويت، أو إغلاق مضيق هرمز). وسيقوم ناقلو النفط حينها بتوجيه الإمدادات إلى المشترين المحتاجين والمستعدين لدفع أسعار أعلى. وكما علّمنا الاقتصادي العظيم في جامعة أم آي تي (MIT) موري أدلمان (Maury Adelman): «في سوق عالمية مملوءة بالمشترين والباعة، فإن الجميع بإمكانهم الوصول إلى المنتَج»[١٣].

ونجد في نظريات الهيمنة البنيوية أن الفضل يعود إلى الفرض العالمي للقوة الذي تمارسه أمريكا في تأمين سوق النفط بعد عام ١٩٧٣م، إلا أن مثل هذا القول أقرب لترديد العقائد أكثر منه نتيجة يمكن اختبارها والتحقق منها في هذا العالم الذي نعيش فيه. ولتوضيح ذلك، تخيّل عالماً لا توجد فيه قواعد عسكريّة أمريكية ولا موضعة متزايدة للقوات، وما شابه ذلك من أمور، وكان هناك في الوقت نفسه انقطاعات متزايدة في إمدادات النفط، ولنقل إنه في وقت استطاع فيه صدّام حسين الاستيلاء على الكويت وضمّ ثرواتها إلى مخزونه من الاحتياطي (المعروض للبيع في السوق العالمية)، فهل التكاليف الذي ستتكبّدها الولايات المتحدة الأمريكية وبقية المشترين من

(١٢) Tom Gjelten, "Energy Independence for US?: Try Energy Security," National Public Radio, *Morning Edition*, 25 October 2012, quoting UC Davis's director for "energy and sustainability" and specialist in "oil geopolitics" Amy Jaffe, transcript accessible at: < http://www.npr.org/2012/10/25/163573768/energy-independence-for-u-s-try-energy-security >.

(١٣) Morris A. Adelman, "The Real Oil Problem," *Regulation*, vol. 27, no. 1 (Spring 2004), p. 21.

هذا العمل ستتجاوز تكاليف الحماية العسكرية التي يُزعم أنها موضوعة لضمان تدفق النفط؟ فمع كل سنة منذ الثمانينيات والبنتاغون ينفق من المليارات في الخليج أكثر من تلك التي تنفقها المصافي الأمريكية لشراء النفط من المنطقة. إن القوّة العسكرية من أسوأ الوسائل التي يمكن استخدامها في هندسة تطابق في المصالح مع دولة أو كل الدول المنتجة، دع عنك استخدامها من أجل تغيير الأنظمة السياسية كما هو حاصل اليوم في العراق. إن المراهنة على أن الوجود العسكري يسهّل نقل النفط إلى أي مكان في العالم وبأسعار مقبولة، تبقى مفتوحة على كيفية تصوّر هذه القوّات المساعدة للأسواق: هل ستنقذ الكويت أم لا؟ هل سيُحتفظ بقوات في السعودية أم يكون التوجه إلى تموضع قريب من المنطقة؟ وغيرها من الأسئلة. وليست «الهيمنة» إلا تفسيراً للسياسات الأمريكية الأخيرة يماثل في سوئه سوء اعتبار القوة العسكرية وسيلة لتخفيض تكلفة الصفقات في سوق النفط العالمية.

والحقيقة هي أن كثيراً من الاعتقادات المألوفة عن النفط وعن الاستراتيجية الكبرى ليست إلا مغالطات مثلما أن العنصرية التي كانت الأساس وراء معاملة الأمريكيين للسعوديين وغيرهم من العرب وغير العرب، في الظهران لم تكن إلا مغالطة. وأنا أصف هذه الاعتقادات حول النفط بـ«صنعة النفط» بالطريقة نفسها التي يتحدّث بها الآخرون عن «صنعة العِرْق» وكذلك، وهو الأشهر، «صنعة السحر»[١٤]. إن ما ستقرؤونه فيما يأتي ليس إلا توثيقاً لتبعات وآثار هذه الأفكار الخطيرة والبيّنة البطلان.

(١٤) Karen E. Fields and Barbara J. Fields, Racecraft: *The Soul of Inequality in American Life* (London: Verso, 2012).

تقديم للطبعة ذات الغلاف الورقي

يعرّف الأنثروبولوجي كلِفّورد غيرتز (Clifford Geertz) الدين بأنه: «نظام من الرموز يعمل على تأسيس أمزجة ودوافع بشرية تتصف بكونها قوية وطاغية وتدوم طويلاً، وذلك عن طريق صياغة تصوّرات عن نظام عام للوجود وتغليف هذه التصوّرات بهالة من الواقعية بحيث تبدو هذه الحوافز والدوافع وكأنها حقيقية بشكل فريد»[1]. وخلال فترة عملي على هذا البحث وبعد نشري هذا الكتاب، كنت قد لاحظت أن بعضاً من متزلفي المملكة العربية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية لديهم إيمان شبه ـ ديني في العلاقة السعودية ـ الأمريكية «الخاصة»؛ إذ يعتقدون أن هذه العلاقة مبنية على نوع من الرباط السحري بين البلدين تشكَّلَ إبّان تأسيس شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) (ARAMCO)، وكذلك على نوع من التكليف الإلهي لرجال (وقليل جداً من نسوة) تلك الشركة.

في عام ١٩٣٣، حصلت شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا (Standard Oil Company of California) على امتياز التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية المتكونة حديثاً، وبعد سنوات قليلة ستتحالف مع شركة تكساس أو، (تكساكو) (Texaco) لإنتاج وتسويق النفط من أول الحقول النفطية السعودية وتسويقه. حينها قامت هاتان الشركتان بالاندماج لتشكّلا سادس أكبر شركة نفط في العالم: شيفرون (Chevron) التي قامت في الأربعينيات ببيع جزء من استثمارها العربي لشركتين من منافساتها السابقات، إكسون (Exxon) وموبيل (Mobil) اللتين اندمجتا معاً في التسعينيات. واليوم

(١) Clifford Geertz, "Religion as a Cultural System," in: Michael Banton ed., *Anthropological Approaches to the Study of Religion* (New York: Praeger, 1966), p. 4.

تعتبر إكسون ـ موبيل (Exxon Mobil) هي ثاني أكبر شركة في العالم، وهذا النمو كله يرجع في جزء ليس باليسير منه إلى المليارات التي تحصّلت عليها بين الأربعينيات والسبعينيات من شركتها التابعة في السعودية (أرامكو) التي تعتبر واحدة من أكثر الاستثمارات ربحاً في تاريخ صناعة النفط.

بدأتُ البحث في هذا الكتاب عبر دراسة سجلات طرق العيش والعمل في أحياء أرامكو منذ الثلاثينيات. وكشف الكتاب عن أن واقع النظام الموجود داخل أسوار ما سمّاه المستعمرون «الحي الأمريكي» لم يكن إلا نظام جيم كرو (Jim Crow)(*). قمت بعد ذلك بتوسيع مدى البحث في محاولة مني لإيجاد بعض المعنى لما اكتشفته في هذه الوثائق ـ إذ لم يتحدث أحد قبلي في الدراسات العلمية السابقة عن هذه الجوانب في البحث العلمي ـ قمت بتوسيع نطاق البحث. وما ظهر لي بعد ذلك أن كل شركات صناعة التعدين الأمريكية قامت بتنظيم عمالتها بهذه الطريقة، أولاً، داخل الإمبراطورية الأمريكية نفسها ـ المناطق الهندية، أريزونا (Arizona)، المكسيك «الجديدة» أو نيومكسيكو (New Mexico) ـ وبعد ذلك عندما بدأت الشركات تتجاوز حوض الكاريبي، أو ما كان يسمّى «بلاد الرافدين الأمريكية»، ثم بعد ذلك بدأت الاستكشاف في بلاد الرافدين الحقيقية.

يبدو أنه من المفيد على ضوء ما سبق استحضار تلك التصورات عن أرامكو التي يردّدها الهائمون بها باستمرار، بوصفها شركة قامت بتحقيق المعجزات، أو استحضار كيف تصوّر الجيل الأول من المديرين والإداريين فيها أنفسهم باعتبارهم نوعاً من المبشرين بالتحديث، وهي الصورة التي ما زالت مستمرة إلى اليوم. ثيمة المبشر هذه تملأ ذلك الكتاب الغريب المعنون بـ **اكتشاف!** (*Discovery*)، وهو كتاب تاريخ تم شراؤه والدفع لأجله من قبل الشركة، وقامت ـ بعد كتابته في الخمسينيات من القرن العشرين بواسطة واحد من أفضل الكتّاب الأمريكيين، والاس ستيغنر (Wallace Stegner) ـ بدفنه لعقد من الزمان لتقوم بعد ذلك ـ بعد أن قامت بحذف الأجزاء التي لم

(*) بعد تحرير العبيد في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بعد الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) قامت هذه الولايات منذ ١٨٧٦م بإصدار قوانين تمييز عنصري ضد السود ووضعهم في خانة دنيا مقابل البيض. عرفت هذه القوانين باسم قوانين جيم كرو، وتم إلغاؤها بفضل جهود حركة الحقوق المدنية عام ١٩٦٥م (المترجم).

تُرِدْ للآخرين أن يروها ـ بنشره في بيروت وتوزيعه مجاناً لفترة في السبعينيات من ذلك القرن[٢]. وعندما يريد ويليام إيدي (William Eddy) ـ الذي خدم كعميل مُتخَفٍّ لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA)[*] في أرامكو، وكان سليلاً لمبشرين حقيقيين في لبنان ـ الحديث بشكل علني عن الشركة ودورها في تطوير المملكة فإنه ينهل من هذه الثيمة نفسها، ففي آخر مرة تحدّث عنها في مذكراته غير المكتملة **مغامرات في العالم العربي ١٨٩٦ ـ ١٩٦١** يقول: «كمستشار في قسم (الشؤون العربية) لشركة الزيت العربية الأمريكية العظيمة، كنت قد انخرطتُ مثل والدي وجدي في برامج للتعليم، والصحة، وتوفير المهارات للموظفين، وإعطاء الصورة الحسنة للولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تراثاً خلّفه لنا روادنا من المبشرين»[٣].

بعد خمس وثلاثين سنة من كتابة إيدي هذا الاحتفاء بالمبشرين الحديثين، قام أكثر رؤساء أرامكو إثارة للجدل: فرانك جونغرز (Frank Jungers) ـ الذي أدار الشركة خلال فترة السبعينيات من القرن العشرين الشديدة الاضطراب وبداية السيطرة السعودية على أصول الشركة ـ (وبينما كان منغمساً في عدد هائل من الأعمال الخاصة مع سعوديين من الداخل) قام بكتابة مقدمة **لرؤى أمريكية حول أرامكو**، وهو عبارة عن تاريخ شفهي قام هو بتمويله وتمّ جمعه في جامعة كاليفورنيا في بيركلي (University of California at Berkeley). تبدأ مقالة جونغرز بترديد لعقيدة أرامكو؛ حيث إنها وبشكل فريد لم تكن إلا سياسات الشركة «بعيدة النظر... المبنية على مبدأ أن الشركة تتصرف كمواطن صالح في الدولة»، التي نتج منها «سجلاً من

---

(٢) Wallace Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil, as abridged for ARAMCO World Magazine* (Beirut: Middle East Export Press, 1971), and Robert Vitalis, "Wallace Stegner's Arabian Discovery: Imperial Blind Spots in a Continental Vision," *Pacific Historical Review*, vol. 76, no. 3 (August 2007), pp. 405-438.

(*) وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) تم إنشاؤها عام ١٩٤٧ كخلفٍ لمكتب الخدمات الاستراتيجية (Office of Strategic Services) الذي شُكّلَ خلال الحرب العالمية الثانية لإدارة عمليات التجسس ضد قوى المحور. تعتبر وكالة الاستخبارات المركزية هيئة مدنية لجمع المعلومات الاستخباراتية وتوفيرها لكبار صنّاع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى جانب ذلك تقوم بطلب من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعمليات مباشرة، كتدبير الانقلاب على رئيس الوزراء الإيراني المنتخب مصدّق عام ١٩٥٣، ومحاولات اغتيال فاشلة لرئيس كوبا فيدل كاسترو، وغيرها (المحرر).

(٣) Box 1, Folder 1, typewritten [more extensive outline] of "Adventure in the Arab World: 1896-1961".

خمس وخمسين سنة من التعاون والاحترام المتبادل» وذلك على خلاف «العلاقات التنافسية، أو الاستغلالية، أو حتى الاستعمارية» التي صبغت العلاقات بين الشركات والبلدان «في أماكن أخرى من العالم»[٤]. يمكن اعتبار هذا الإفصاح عن العقيدة لدى جونغرز متحفظاً إذا ما قارناه بالفقرة الآتية المقتبسة من مقال لموظف العلاقات العامة في الشركة باتريك فلين (Patrick Flynn) المعنون بـ«ماذا يعني أن تعمل لدى أرامكو؟» والمكتوبة عام ١٩٨٤؛ حيث كان السعوديون مشغولين بالسيطرة على الشركة بالكامل:

> لقد كان رجال النفط الأمريكيون الذين قدموا أولاً إلى المملكة العربية السعودية رواداً استثنائيين، فقد استطاعوا الجمع بين عبقرية: «أستطيع عمل ذلك» التي تميّز الإصرار الأمريكي مع تعلّق عاطفي بالناس وعاداتهم... ولأنهم عاشوا مع البدو، وشاركوا الناس شظف العيش في الصحراء وفي البلدة، فقد نالوا احترام العرب وتقديرهم. تعلم الأمريكيون اللغة العربية وتكيّفوا مع بعض العادات السعودية وارتدوا ثيابهم... وبغضّ النظر عما نصّ عليه عقد الامتياز، فإن أرامكو قد ذهبت أبعد منه بكثير من أجل بذل جهد كريم وليبرالي لتوفير أكثر ما يمكن مما تتوفر عليه من نفع لصالح المملكة العربية السعودية. إن الأمريكيين الأوائل ـ وهذا يجب أن يكون مفهوماً بشكل واضح ـ أحبّوا الشعب السعودي، لقد أحبّوا البلد وأنفقوا فيها أعمارهم بجد واجتهاد. لا يوجد أي مرتّب يمكن أن يبعث على بذل وتضحية كهذين إلا الحب والمودة[٥].

❊ ❊ ❊

---

(٤) Frank Jungers, "Introduction," in: *American Perspectives of ARAMCO, the Saudi-Arabian Oil-Producing Company, 1930s to 1980s: An Oral History Conducted 1992-1993* (Berkeley, CA: Regional Oral History Office, Bancroft Library, University of California, 1995), p. i, <http://www.archive.org/details/aramcooilproducoohickrich> (accessed 3 January 2008).

(٥) Patrick Flynn, "What it Means to Work for ARAMCO," (Manuscript from 1984 and found in Box 11, Folder 32, William E. Mulligan Papers, Special Collections Division, Lauinger Library, Georgetown University, Washington, DC).

[من الآن فصاعداً سأقوم بالإشارة لأوراق موليغان بـ(Mulligan Papers) بالإضافة إلى معلومات الملف المستند إليه].

إلا أن الوثائق تخبرنا أيضاً عن قلّة من أولئك الذين كانوا مؤمنين بشدة بهذه العقيدة في السابق ثم ما لبثوا أن فقدوا إيمانهم بشكل تدريجي. تعاقد ويليام بل موليغان (William Bill Mulligan) مع منظمة العلاقات الحكومية الحديثة التأسيس في أرامكو عام ١٩٤٦م، ذلك بعد أن أدّى خدمته في سلاح الطيران الأمريكي في عدن خلال الحرب العالمية الثانية. وأفضل طريقة لفهم عمل هذه المنظمة هو تصوّرها بأنها ـ بالطريقة نفسها التي تصوّرها بها مؤسسوها أنفسهم ـ «نوع من الخدمة الدبلوماسية»، تتضمن تقديم دراسات عن البيئة المحلية، والترجمة، والعلاقات عامة. عمل موليغان كمدير مكتب لقسم الدراسات في وحدة الشؤون العربية تحت إمرة جورج رنتز (George Rentz)، طالب درجة الدكتوراه من بيركلي في الدراسات الإسلامية الذي عمل مع المخابرات الأمريكية في القاهرة خلال الحرب، وهو الأمريكي الوحيد خلال العقدين الأولين للشركة الذي يمكن أن نصفه بأنه يتحدّث العربية بطلاقة (على الرغم من كلّ الادّعاءات الزائفة حول تعلّم الروّاد(*) للعربية). قام رنتز بتصميم وحدة الشؤون العربية هذه على غرار مكتب الخدمات الاستراتيجية في أثناء الحرب الذي كان سلف وكالة الاستخبارات المركزية (السي آي إيه).

كانت كتابة التاريخ هي المهمة التي كان موليغان يقوم بها حتى نهاية الثلاثين سنة التي قضاها في المملكة أي في اللحظة التي بدأ السعوديون بالسيطرة على الشركة، وأصبح القسم المستقل للشؤون العربية فائضاً عن الحاجة. بدأ عمله بكتابة مقالات قصيرة عن الأيام الخوالي للشركة في جريدة الشركة المحلية، **ذا آرابيان سن آند فلير** (*The Arabian Sun and Flare*)، ثم بعد ذلك قام بكتابة مقالات متفرقة في المجلة الشهرية اللامعة **عالم أرامكو** (*ARAMCO World*). عندما استقال هو وزوجته، شيرلي (Shirley)، وانتقل إلى ولاية نيوهامشير (New Hampshire) في عام ١٩٧٨م، أخذ معه مجموعة من وثائق الشركة الرسمية من قسم الشؤون العربية، ويبدو صعباً التصديق أنه كان مصرّحاً له بأن يقوم بذلك. وفي الحقيقة، تعتبر هذه سجلات الشركة الوحيدة المتوفرة لمن هم خارج الشركة، فقد قامت شيرلي موليغان بالتبرع بها لجامعة

(*) الروّاد (Pioneers) هو مصطلح يشير إلى الجيل الأول من عمال أرامكو الأوائل وهو المصطلح نفسه الذي يستخدم في وصف أوائل المستوطنين في التخوم الغربية للولايات المتحدة قبل لحاق الدولة بهم وتحويل مستوطناتهم إلى ولايات (المترجم).

جورج تاون (Georgetown University) بعد وفاة بِل. ويعتبر السماح بجعلها متاحة للتفحص العام مخالفاً لما اعتبره موليغان والموظفون الآخرون في منظمة العلاقات الحكومية لدى أرامكو توجيهاً رئيساً: لا تدع أي معلومة يمكن أن تسبب حرجاً إما للشركة أو للعائلة السعودية المالكة تتسرب أو تمر من دون جواب، إذ إن هناك كثيراً مما لا يبعث على السرور في الثمانية عشر صندوقاً من الملفات في جورج تاون.

تعكس مسوّدات مقالات موليغان، وقصصه غير المنشورة، ومراسلاته مع مسؤولي أرامكو ورسائله لأصدقائه وزملائه صورة متقاعد تتزايد شكوكه حول أسطورة الروّاد في البوادي السعودية الذين أحبوا الشعب (على الرغم من أنهم لا يشيرون إليهم إلا بلفظ «الكوليين»)[*]. لقد أراد أن يتجاوز الروايات الممجوجة التي تصور كيف ـ كما يقول منافق آخر ـ «أنه لو لم نكن موجودين فلربما ما زال هؤلاء العرب الجهلة والمساكين يعيشون في العصر الحجري»[٦]. بمعنى آخر، وبشكل متزايد، أصبحت تصورات موليغان مختلفة بشدة عن الأساطير التي قام هو وأمريكيون آخرون في منظمة العلاقات الحكومية باختراعها قبل عقدين من الزمان، ابتداء من فكرة أن أرامكو، على خلاف منافساتها البريطانية في الشرق الأوسط، لم تنخرط في السياسة. ولنقض هذا قام موليغان بتوضيح كيف أن جيمس تري ديوس (James Terry Duce) ـ الذي كان مرة نائب رئيس الشركة وأحد كبار رجالها في واشنطن ـ قام بتنظيم علاقة أرامكو مع السي آي إيه[٧]. ولم تكن الصور التي رسمها موليغان عن المسؤولين الآخرين أقل حدة هي الأخرى؛ إذ إن

(*) كولي هي تعريب للفظ (Coolie) وهي ذات جذور آسيوية وتعني العامل الحرفي، أو العبد الحرفي في تلك المناطق (المترجم).

(٦) المشكك هنا هو مالكولم كوينت (Malcolm Quint) وذلك في رسالة إلى مجلة عالم أرامكو:
Letter to *ARAMCO World* editor Paul Hoye (4 October 1970), Box 5, Folder 1, "Cartography," Mulligan Papers.

(٧) وهو واحد من موضوعات عديدة لا يمكن التطرق إليها في مجلة عالم أرامكو. ففي رسالة إلى زميل له متقاعد من منظمة العلاقات الحكومية اسمه هاري ماكدونالد (Harry McDonald) تحدّث فيها عن ما كتبه في عدد الذكرى الخمسين قائلاً «مراعاة لمخاوف إسماعيل نوّاب [وهو المسؤول السعودي آنذاك عن العلاقات العامة في أرامكو] أنه من الجواسيس، قمت بتجاهل افتتان ديوس بآلن دالاس ومصدر العديد من الأشخاص الذين قام بتوظيفهم في قسمنا». انظر:
Mulligan to Harry McDonald, 10 June 1984, Box 11, Folder 32, Correspondence 1984, Mulligan Papers.

إحداها تتعلق بصديقه توم بارغر (Tom Barger)، الجيولوجي القادم من ولاية مينوسوتا الذي وصل إلى السعودية في الثلاثينيات من القرن العشرين، ثم إلى الشؤون الحكومية في الأربعينيات ليدير الشركة بعد ذلك في الستينيات، والشخص الذي لم تنفك أسطورته عن التضخم كل عقد. لكن بحسب الصورة التي يقدمها موليغان، لم يكن بارغر إلا أحد مريدي ديوس، وشخصاً آخر من أولئك «الأعزاء على السي آي إيه»، وليس بذاك الرئيس التنفيذي الفاعل[٨].

كان موليغان يعلم أن تصوراته النزيهة عن ماضي الشركة لن تنشر أبداً في دورية **عالم أرامكو**، إلا أنه كما ذكر نفسه:

لن يكون هناك تاريخ حقيقي لأرامكو لا يعترف بوجود أنشطة دينية وأخرى تتعلق بالكحول في مجتمعات أرامكو، ولا يوثق الاضطرابات العمالية تاريخ يتجاهل التوترات الاجتماعية التي حدثت ذات مرة، ويتظاهر بأن الملك سعود لم يكن موجوداً وأن أرامكو لم ترضخ لبعض مطالبه. لن يكون هناك سجل تاريخي لأرامكو يستطيع ادّعاء بأن الشركة لم تساعد الحكومة في الخلافات الحدودية مع البريطانيين وبجهد استثنائي في أوقات الأزمات السياسية والعسكرية. بالإضافة إلى ذلك، فإنه لن تتم خدمة التاريخ عبر ادعاء أن موظفي أرامكو ومسؤولي الحكومة السعودية كانوا دوماً كاملين وبلا أخطاء[٩].

* * *

(٨) حول بدايات أسطورة بارغر بعيداً عن كتاب **اكتشاف!** لستيغنر، انظر:

Paul Hoye, "Tom Barger: Myth or Man," *ARAMCO World*, vol. 20, no. 5 (September-October 1969), pp. 4-13,

< http://www.saudiaramcoworld.com/issue/196905/tom.barger-myth.or.man..htm > (accessed 4 January 2008).

أما بالنسبة إلى تقييم موليغان النقدي، فانظر الورقة المخططة بالأصفر والمكتوبة بخط اليد مع باقي ملاحظاته عن توم بارغر في:

Box 8, Folder 2, History Project.

وكذلك انظر لمقارنته بالشخصية الأكثر إثارة للجدل، ولكنها أيضاً الأكثر جرأة، أعني فرانك جونغرز، والذي كما شدد على ذلك موليغان، بذل جهوداً أكثر من أجل ترقية السعوديين لمناصب ذات مسؤولية قبل أن يفعل أي أحد غيره ذلك وبوقت طويل (وموليغان) محق في هذا. وهذا موجود، في:

Mulligan to Paul Hoye, 8 April 1984, Box 7, Folder 24, "Fifteenth Anniversary," Mulligan Paper.

(٩) "Some Considerations in Respect to Establishing a Collection of ARAMCO Historical Material," Box 8, Folder 2, "History Project," Mulligan Papers.

ما يثير السخرية في اعتراف موليغان ـ بأن هناك عقبات كأداء تقف في طريق كتابة تاريخ نزيه للشركة ـ هو أن والاس ستيغنر (Wallace Stegner) كان قد تحدث عن الموضوع نفسه مع موظفي العلاقات العامة في الشركة قبل ثلاثين عاماً. في ذلك الوقت، رأى موليغان ورفاقه في منظمة العلاقات الحكومية دفن مخطوطة تسلط الضوء على جوانب من أنشطة الشركة والجانب غير النبيل من تعاملات الأمريكيين مع «السكان الأصليين»(١٠). لكن موليغان يبدو الآن أنه قد نسي هذه النقطة الرئيسة في مشروع ستيغنر. إلا أن ما يبعث على الحزن هو أنه على الرغم من مساعدته بتحدي حقائق ونقض حجج «الصحافي المرتزق» آنثوني كايف براون (Anthony Cave Brown) في كتابه الرديء **النفط، الله، الذهب: قصة آرامكو وملوك آل سعود**، إلا أن موليغان كان قد توفي قبل أن يكتب كتاباً تاريخياً خاصاً به(١١).

لم يكن موليغان الوحيد من بين القدماء الذين كانت لديهم تساؤلات حول نسخة أرامكو الرسمية عن ماضيها. ففي الفترة من العام ١٩٣٧ إلى العام ١٩٤٥ ـ العام الذي قام فيه العمال السعوديون بإضراب ضخم أدّى إلى استبدال فلويد دبليو أوهليجر (Floyd W. Ohliger) ـ مهندس البترول المعروف بعدائه للنقابات، والذي كان قد عمل سابقاً في شيفرون في فنزويلا وكولومبيا ـ الذي كان يدير كامل عمليات أرامكو في الظهران. كان موليغان يصوره بوصفه شخصية أخرى من الروّاد: «الذي كان يعتبر نفسه نوعاً من المبشرين، واعظاً بإنجيل السوق الحرة وطقوس الأمريكيين في التجارة»(١٢). إلا أن أوهليجر بعد عقود حدد المشكلة الرئيسة مع رف الكتب والمذكرات الذي لا يكف عن الاتساع وترديد الأساطير عن كرم الأمريكيين والتأقلم الثقافي الاستثنائي في الضفة السعودية، بأن أي من هذه الكتب لم «يكتب

---

(١٠) Vitalis, "Wallace Stegner's Arabian Discovery: Imperial Blind Spots in a Continental Vision," pp. 421-427.

وكما سأبين لاحقاً، فإن رواية موليغان عن دفن الكتاب لا يمكن الاعتماد عليها.

(١١) Dan ver der Vat, "Obituary, Anthony Cave Brown: Journalist and Writer of Books on Espionage," *Guardian*, 17/10/2006, < http://www.theguardian.com/media/2006/oct/17/pressandpublishing.booksobituaries >, (accessed 6 January 2008).

(١٢) Biographical Sketch, Box 1, Folder 39, Mulligan Papers.

من قبل سعودي أو على الأقل من وجهة نظر سعودية»(١٣).

* * *

انتقل نائب رئيس أرامكو تري ديوس إلى واشنطن بوصفه أحد كبار تنفيذيي الشركة السياسيين بعد عقود من الخبرة الأجنبية، تتضمن إدارة عمليات شركة تكساكو في كولومبيا، وقد وصفه بل موليغان بأنه العقل المدبر لمشاريع العلاقات العامة الكبرى ومنها: كتاب ستيغنر والأفلام القصيرة التعليمية للمدارس التي تبدأ بفيلم مغامرة الصحراء (Desert Venture) المنتَج عام ١٩٤٧ ـ تم إنتاجه ليرافق ولي العهد سعود في جولته في الولايات المتحدة الأمريكية ـ والفيلم الروائي الطويل الذي فشل فشلاً ذريعاً: جزيرة الله (The Island of Allah) المنتج عام ١٩٥٥. هذا بالإضافة إلى مجموعة من الكتيبات الخاصة بأرامكو، وقام ديوس أيضاً بإنفاق أموال إضافية ليساعد في إنشاء معهد الشرق الأوسط (Middle East Institute) في واشنطن المخصص لتقديم تثقيف عام حول الأهمية الجديدة للمنطقة بالنسبة إلى مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد، إضافة إلى مؤسسات أخرى(١٤). وسيصبح ديوس في آخر المطاف رئيساً لواحد من هذه المراكز وأحد أعضاء المجلس الاستشاري للآخر، كما أنه أدى الدور نفسه لفترة في برنامج دراسات الشرق الأدنى في جامعة برينستن والجامعة الأميركية في بيروت(١٥).

نتج من هاتين الركيزتين التي اعتمدت عليهما استراتيجية ديوس ـ نشر

---

(١٣) McConnell to Mulligan, 13 August 1984, Box 11, Folder 33, Mulligan Papers.

(١٤) لم يكن جورج كامب كيزر (George Camp Keiser) أول رئيس لمعهد الشرق الأوسط بليغاً، إلا أنه كان واضحاً بما فيه الكفاية حول الهدف من المعهد وأهميته في مؤتمر في جامعة هارفرد عام ١٩٥٠م، حيث قال: «هذا مجال جديد للأمريكيين، حيث إن الغالبية منهم لم يخطر لهم أن يفكروا فيه بطريقة تبتعد عن أساطير علي بابا وعلاء الدين؛ وسواء شئنا ذلك أم أبينا، فإن المصباح قد تم فركه ووجد مملتئاً بالنفط... يجب أن يكون الشرق الأوسط محط اهتمامنا، يجب علينا أن نجد طرقاً نكون من خلالها معتادين عليه أكثر». انظر:

George Camp Keiser, "The Middle East Institute: Its Inception and Its Place in American International Studies," in: Richard N. Frye, ed., *The Near East and the Great Powers*, with an introd. by Ralph Bunche (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1951), p. 82.

(١٥) انظر قصاصات السيرة الذاتية الخاصة بموليغان، في: Duce, Box 1, Folder 17, Duce, James Terry, Mulligan Papers.

بروباغندا مباشرة، ودعم أعمال المؤسسات الشقيقة ـ نوع من التآزر الملحوظ، مثلما عندما قامت مؤسسة: «الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط» (American Friends of the Middle East) ـ المدعومة من قبل أرامكو ونعرفها الآن بوصفها واجهة لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ـ بنشر كتيب ويليام إيدي: **روزفلت يلتقي بابن سعود** في عام ١٩٥٤م. وكذلك، بعد عدة سنوات، قامت أرامكو بتوفير أموال إضافية لدعم معهد الشرق الأوسط في نشره لكتاب ثانٍ للمستكشف البريطاني، والمستشار النفطي، والمتحول إلى الإسلام: هاري عبد الله فيلبي (Harry Abdallah Philpy) الذي ظهر كتابه **مغامرات النفط العربي** (*Arabian Oil Ventures*) بعد وفاته، عام ١٩٦٤[١٦]. إلا أن موليغان أغفل جانباً ثالثاً حساساً من توجيهات ديوس الهجومية: لا تثِق بكل من يحاول نشر شيء ضدّ الشركة، افترِض أن النقاد عملاء لجهة معادية، وردَّ عليهم بكل طريقة ممكنة.

طرح الجيل الجديد من الأساتذة المتخصصين في مجال دراسات المناطق[*] مشكلة خاصة على كل من ديوس وبارغر والباقين، وهذه المشكلة عبارة عن نتيجة متناقضة مع الدعم الذي قدمته أرامكو لمراكز دراسات الشرق الأوسط في عصر الحرب الباردة[**]. فمن ناحية، لا

---

(١٦) انظر:

Macdonald to Secretary and General Manager, USA Offices, NY, dated Dhahran, 26 April 1964, Box 1, Folder 44, Philby, H. St. John B. Correspondence re. 1954-1964, Mulligan Papers.

وكان أول كتاب هو كتاب فيلبي **مرتفعات الجزيرة العربية** (١٩٥٢) والذي طبعته مطبعة جامعة كورنيل لمصلحة معهد الشرق الأوسط (أو بمعنى آخر، لمصلحة أرامكو). انظر:

H. St. John B. Philby, *Arabian Highlands* (Ithaca, CA: Published for the Middle East Institute; Washington, DC: [by] Cornell University Press, [1952]).

(*) مجال دراسات المناطق (Area Studies) هو مجال دراسات متداخل التخصصات نشأ في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية كنتيجة للاهتمام المتزايد بالعالم غير الغربي، بحيث تتم دراسة منطقة جغرافية بعينها ـ الشرق الأوسط، آسيا الوسطى، شرق أوروبا، أمريكا اللاتينية... إلخ ـ من كافة المجالات: اقتصادية، سياسية، أنثروبولوجية، اجتماعية... إلخ (المترجم).

(**) الحرب الباردة (١٩٤٧ ـ ١٩٩١) بين الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية متشكلة ضمن حلف الناتو والكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفياتي ومتشكّلة ضمن حلف وارسو. سميت بالباردة لأن الحرب لم تكن مباشرة بين الكتلتين بل عبر مجموعة من التوترات السياسية وحروب بالوكالة بين الكتلتين، انتهت الحرب بتفكك الكتلة الشرقية والاتحاد السوفياتي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية مهيمنة ووحيدة (المترجم).

تستطيع الشركة التحكم بما كتبه الأساتذة، ومن ناحية أخرى بدا مستعربو أرامكو غير محصنين بسبب افتقارهم إلى الكفاءات. ولهذا كانت الطريقة التي اعتمدوها هي السخرية من سخافة وانعدام التجربة المباشرة للأساتذة مقابل معرفتهم ودراستهم المتميزة في مجتمع الجزيرة العربية[١٧]. ويبدو أن محللي أرامكو كانوا أكثر ارتياحاً في التعامل مع الصحافيين وكاتبي السير الذاتية مثل إليزابيث مونرو (Elizabeth Monroe)، التي تركت مجلة الإيكونومست (*Economist*) في الستينيات لتعمل لدى مركز دراسات الشرق الأوسط في كلية سانت آنتوني (St. Anthony) في أوكسفورد؛ حيث كتبت سيرة فيلبي الذاتية بمساعدة أرامكو، أو ديفيد هووارث (David Howarth) كاتب سيرة الملك عبد العزيز والمدعوم أيضاً من أرامكو، وأنتوني كايف براون.

يمكننا أن نتعلم أكثر عن نظرة أرامكو للأساتذة الأكاديميين والبحث العلمي عبر النظر في تاريخ أوراق فيلبي. فجورج رنتز، الوصي المخول بحماية حقوق فيلبي التأليفية، رتب عملية شراء هذه الأوراق من عائلة فيلبي بعد وفاته عام ١٩٦٠م. دفعت أرامكو مبلغ ١٠ آلاف دولار لمجموعة الكتب ـ وقد ذهب أغلبها لجامعة الملك سعود الحديثة النشأة حينها ـ وأوراق ـ وهي عبارة عن رسائل، وقصاصات ورقية، وملاحظات ميدانية، وصور، ومسودات مخطوطة، وغيرها ـ تم حفظها لمدة عقد ونيف في مكتبة الشؤون العربية في أرامكو في الظهران. تعاملت الشركة مع هذه المواد باعتبارها «تهديداً أمنياً» («المواد المتعلقة بصناعة النفط وعائلة فيلبي نفسها لا بد من معاينتها بدقة من قبل الشركة قبل السماح بنقلها إلى مؤسسة أخرى») بدلاً من

---

(١٧) أما بخصوص حامل درجة الدكتوراه الذي نعرفه جيّداً من بين المستعربين في قسم الشؤون العربيّة في أرامكو، وأعني به رينتز، والذي أصبح فيما بعد أمين متحف في مؤسسة هوفر، فإنه بالكاد استطاع كتابة بضع مواد موسوعية طيلة فترة عمله، في حين أن رسالة الدكتوراه التي أنجزها في عام ١٩٤٧م لم ينشرها إلا في عام ٢٠٠٤م في الرياض. أما الآخر، واسمه فيديريكو فيدال، وهو أنثروبولوجي تخرج من جامعة هارفرد، فقد كان إنتاجه شحيحاً حتى بعد مغادرته القسم إلى منصب في جامعة تكساس في مدينة أرلينغتون. والثالث، واسمه بيتر سبيرس، والذي كان أحد محرري كتيبات وأدلة أرامكو، فقد حصل على شهادته حول موضوع تطور اللغة العربيّة المعاصرة من قسم الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن، وذلك خلال إجازة دراسية منحته إياها أرامكو، إلا أنه لم يقم أبداً بنشر رسالته أو أي بحث كان قد كتبه.

اعتبارها مصدراً مفتوحاً للباحثين بأسرع ما يمكن[١٨]، احتاجت الشركة إلى عشر سنوات لتتفحص الوثائق. وخلال تلك الفترة قامت برفض جميع الطلبات التي قدمها من هم في الخارج للاطلاع عليها، باستثناء إليزابيث مونرو، التي كانت تعمل على كتابة سيرة فيلبي الذاتية. كانت مونرو قد قطعت عهداً بألا تكتب أي شيء قد يتسبب للشركة، أو عائلة فيلبي، أو الحكومة السعودية بالحرج، كما أنها قد عرضت أن تقوم الشركة بتدقيق وتفحص مخطوطتها قبل نشرها[١٩].

خلال السنوات العشر هذه، مرّت نظرة الشركة إلى التنظيم النهائي لهذه الأوراق بتغير؛ فقد بدأ كل من موليغان ورفاقه بوصف مكتبة قسم الشؤون العربية في أرامكو باعتباره «وقفاً ثقافياً» الذي لا بد من أن ينتقل يوماً إلى الشعب السعودي، بحيث تخصص الأوراق لمؤسسة محلية، كدارة الملك عبد العزيز حديثة الإنشاء في الرياض. وكرد على طلبات من مؤسسات أمريكية، ردت الشركة بأنها «ليست مخولة للتبرع بها إلى أي كان خارج المملكة»[٢٠]. ومهما يكن، فقد أدّى استمرار طلب الباحثين السعوديين الاطلاع على الأوراق، وكذلك المخاوف المتعلقة بحماية سمعة الأسرة المالكة، إلى مفاوضات مع كلية سانت آنتوني، ثم نقل هذا الجزء الخاص من التراث الثقافي السعودي إلى الخارج، مع تأكيد التحفظ بألا تستخدم المجموعة في «أهداف مغرضة».

قبل تسليم مجموعة الأوراق دمّر موليغان ورفاقه - حيث لم يتم تدريب أي منهم ليكونوا مؤرّخين أو متخصصين في الأرشفة - موادّ اعتبروها «غير ذات أهمية تاريخية»، مثل بعض المسودات والفواتير الخاصة بفيلبي، وأعادوا رسائله إلى عائلته. وقامت الشركة بالاحتفاظ بجميع السجلات التي

(١٨) Memo, Harry McDonald, Dhahran, 8 February 1964, to the Vice President of Government Relations, Washington, DC, Subject: The Philby Papers, Box 1, Folder 44, Philby, H. St. John B. Correspondence Re. 1954-1964, Mulligan Papers.

(١٩) Mulligan to Monroe, 30 November 1968, Box 3, Folder 31, Arabian Affairs Division, Chronological Files, July-December 1968, Mulligan Papers.

(٢٠) Harry McDonald to the Vice President, Secretary and General Manager, US. Office, New York, 27 February 1971, Box 3, Folder 37, Chronological Files, January-May 1971, Mulligan Papers.

اعتبرتها قد تسبب إحراجاً للعائلة المالكة أو لبعض المسؤولين السعوديين(٢١).

وهؤلاء الرجال أنفسهم سخروا من طموحات الأساتذة الأكاديميين الصاعدين كآر بايلي وايندر (R. Bayly Winder) المستعرب في جامعة برنستون والغزير الإنتاج الذي دُرب ليكون خبيراً في المملكة العربية السعودية وسيقوم بأي شيء ليبني مركز هاغوب كافوركيان لدراسات الشرق الأدنى (Hagop Kavorkian Center of Near Eastern Studies) في جامعة نيويورك، إلا أن أرامكو لم تثق به، ولهذا كانت تحرمه من المخصصات التي كانت تمنحها غيره مراراً وتكراراً وبشكل مركز، كالنقل المجاني من بيروت إلى الظهران، والدعم المادي لكتابه السعودية في القرن التاسع عشر المنشور عام ١٩٦٥م، والاطلاع على أوراق فيلبي(٢٢). وهذه المعاملة المنفرة نفسها تم التعاطي بها مع مايكل هيودسون (Michael Hudson)، عالم السياسة الحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة يال وكان حينها يدرس في كلية الدراسات الدولية العليا (SAIS) في جامعة جونز هوبكنز. كان قسم العلاقات الحكومية لأرامكو في واشنطن يشير إليه بوصفه «عميلاً محلياً» عام ١٩٧١، لكنه من أولئك الذين لم يكونوا يكنون لهم أي احترام. وبحسب تقرير من آر. جي. فان بيورسيم (R.G. Van Peursem)، ابن المبشر الذي انضم إلى أرامكو، فإن «سمعة هيودسون ليست حسنة بين طلاب كلية الدراسات الدولية العليا. وأنا شخصياً أعتقد بأن أداءه الأخير على المنصة مع هيرمان إيلتس (Hermann Eilts) [الذي كان على وشك أن يعين سفيراً في السعودية] كان رديئاً». وبعد عام، أيّد موليغان هذا الحكم عندما وصل هيودسون إلى الظهران: «وجدت الرجل عادياً، ليس مطّلعاً كفاية، وعنده نوع من الغموض، وليس لدينا أدنى فكرة عما يأمل تعلمه في زيارته هذه»(٢٣).

---

(٢١) Mulligan to the General Manager, Government Relations, Dhahran, February 6, 1972. Disposition of the Philby Papers, Box 1, Folder 45, Philby, H. St. John B. Correspondence Re. 1971-1990.

(٢٢) Memo, Harry McDonald, Dhahran, 8 February 1964, The Philby Papers, Box 1, Folder 44, Philby, H. St. John B. Correspondence Re. 1954-1964, Mulligan Papers.

(٢٣) R. G. Van Peursem to Mulligan, 15 March 1971, and Mulligan to Van Peursem, 21 March 1972, Box 11, Folder 24, Mulligan Papers.

عدم ثقة أرامكو بالباحثين هو في النهاية مؤشر على التناقض بين تاريخ صالح للاستخدام تريده الشركة، وعملية تاريخية لم ترقَ إلى مواصفات الشركة التي استطاعت بطرق ما ردم هذه الهوّة، لكن في النهاية حتى كاتب متعَاقَد معه مثل والاس ستيغنر كان عليه أن يكتب ما صادفه في الوثائق التي مرّ عليها أو في أي من السجلات التي سمحت له الشركة بالاطّلاع عليها. وعوضاً عن أن تقوم بنشره، قررت أرامكو دفع أتعاب ستيغنر على الكتاب وحفظه في مكان مأمون في خزائنها. ومثل هذا العمل يكشف أن إنجيل أرامكو ليس قائماً على وهم واحد بل وهمين: تراث من المحبة والكدح باسم السعوديين أفسح المجال لبلورة «شراكة في التقدم» مع شعب وثقت فيه الشركة بشكل أقل مما فعلت مع أساتذة الجامعات. وكما سيوثق هذا الكتاب، كان مسؤولو الشركة يعتقدون أن الجانب السعودي ـ عمال النفط، مسؤولو الحكومة، وأعضاء في الأسرة المالكة ـ سيستخدمون كل معلومة لم تتدخل الشركة في إخراجها ضدها. الآن، يمكن اعتبار هذه أغرب وأكثر شراكة مثيرة للفضول.

وإذا كانت الشركة قد خشيت من ردة الفعل التي قد يشعلها تاريخها المعتمد والمدقق فيه بعناية إذا قرأته «الفئة الخطأ» من السعوديين، فتخيّل الذعر من بحث تعاقدت الشركة لأجل إنجازه ثم تعاملت معه باعتباره «سرياً للغاية». ولقد استطعت كشف دراستين اجتماعيتين لعمليات أرامكو كُتبتا في أواخر خمسينيات القرن العشرين وأوائل الستينيات. لم يكن كل من الأنثروبولوجي وعالم الاجتماع اللذين كتبا هاتين الدراستين يخفي شكوكه حول إنجيل أرامكو. وما كشف عنه هذان الكتابان: أنه بقليل من الحثّ فإن عدداً من كبار موظفي الشركة وعوائلهم أبدوا شكوكاً مماثلة.

وقد يعترض القراء على هذه النقطة قائلين: لماذا نخضع الشركة والتابعين لها لمعايير أكاديمية ـ نوع من الشك، وتحدٍّ للسلطة، وجاهزية لتحدي كل ادعاء بامتلاك الحقيقة ـ عندما يتعلق الأمر بكتابتها لتاريخها الخاص؟ أنا أتفق مع هذا الاعتراض. هذه الرؤية البراغماتية (قد يسميها بعضٌ «متهكّمة»)(*). للأمور هي بالتأكيد من مخلّفات اعتقادات عدد من

(*) تعني الكلبية (Cynicism) افتراض الشر في الآخرين، والارتياب منهم وعدم الثقة بهم أبداً (المترجم).

موظفي أرامكو في الخمسينيات والستينيات، التي يجب أن تبدأ بعرض الإيمان بالمساهمة في التنمية السعودية وبـ«حس الرسالة»، لكن، كما سنرى، إذا ما دفعت قليلاً ستنقلب ١٨٠ درجة: «لنواجه الأمر، نحن لم نأت إلى هنا لنقوم بأعمال خيرية، نحن هنا لنستخرج النفط من الأرض». إلا أن السؤال الحقيقي هو: لماذا يستمر الباحثون الأكاديميون وأولئك الذين يحاول كل من مجلس العلاقات الخارجية ومعهد الشرق الأوسط إلباسهم لبوس الباحثين، بإعادة إنتاج دعاية العلاقات العامة نفسها وتكرار الدعاوى نفسها التي كانت ذات جدوى سابقاً إلى اليوم؟ بكل تأكيد، يستطيعون الآن أن يخضعوا هذه التأكيدات إلى الفحص.

وهنالك أيضاً لغز آخر: نحن نعلم لماذا قد يقوم ديوس وغيره من موظفي أرامكو بالكذب من أجل شركتهم إذا أخذنا بالاعتبار الأرباح الهائلة، فهم لم يكونوا في وضعية من نوع معضلة السجين(*)، بل إن ديوس نفسه قد أجبر من قبل خصومه على الاستقالة من منصب في إدارة بترولية في واشنطن زمن الحرب، وهو ما ندعوه اليوم مخالفة أخلاقية. كل الكذب، والرقابة، وشراء ذمم الصحافيين، ودفن التواريخ، وغيرها من الأمور كان مدفوعاً برغبة إلجام نقاد الشركة والمحافظة على تدفق الأرباح الهائلة. وتحت ظروف مماثلة، من المحتمل أن أكذب أنا أيضاً، أو على الأقل أن أقوم بدعم رؤية الشركة للعالم، لكن هذه الأيام انتهت منذ زمن. الدولة السعودية قامت بتأميم أرامكو منذ عقود، ولا يوجد أي مبرر عقلي بالاستمرار في المحافظة على الأسطورة الآن إلا أن الإيمان ليس عقلانياً دائماً، وما زال بالإمكان شراء الصحافيين. في الأشهر القليلة الماضية نشر تيم بارغر، ابن رئيس أرامكو المشهور، كتاب ستينغر، مستخدماً ماله الخاص ودار نشره

(*) معضلة السجين تشير إلى الحالة التي يمتنع فيها طرفان عن التعاون بينهما على الرغم من أن تعاونهما معاً سيعود بالنفع عليهما سوياً. فالقصة تجري كالآتي: تم القبض على مجرميْن وعزلهما عن بعضهما بعضاً؛ حيث لا توجد أي وسيلة تواصل بينهما، لكن الشرطة لا تملك الأدلة الكافية لإدانتهما بالتهمة الرئيسة، فقررت أن تعرض على كل واحد منهما العرض الآتي: إذا اعترفت تخرج الآن ويتم الحكم على صاحبك بثلاث سنوات، إذا اعترف صاحبك عليك أولاً سيخرج وستسجن ثلاث سنوات.
يعرف كل سجين أن امتناعهما معاً عن الاعتراف سيبقيهما في السجن مدة شهر واحد. وعلى الرغم من معرفتهما بأن مصلحتهما تكمن في عدم الاعتراف لمدة شهر، فإن حالة السجين هذه ستدفع الإثنين إلى عدم التعاون، والاعتراف ضد بعضهما بعضاً (المترجم).

الخاصة، دار سلوا، بعد ٣٥ سنة من الحجب. ولو تساءلنا من الذي أفاد تيم بارغر في كتابة مقدمة جديدة؟ سنجد أنه الصحافي السابق في **الواشنطن بوست** والبوق الكبير لإنجيل أرامكو: توم لبمان (Tom Lippman).

* * *

بارغر وَلبمان اجتمعا في مكتبة الكونغرس الأمريكية في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ٢٠٠٧م للاحتفال بأول طبعة أمريكية لكتاب **اكتشاف!**، الأول من حيث المبيع. أما مضيفتهما فكانت ماري جاين ديب (Mary Jane Deeb) رئيسة القسم الأفريقي والشرق الأوسطي للمكتبة، والمحررة السابقة في مجلة **الشرق الأوسط** (*Middle East Journal*). جمع لبمان كثيراً من الأساطير في تقديم قصير، والمفضلة لدي من بينها هي كيفية اعتراف أرامكو بأن هدفها في المملكة هو الرقي بـ«السكان الأصليين»، وأشار لبمان في إحدى المرات إلى السعوديين ـ على ما يبدو إن تحذير تيم بارغر بألا يستخدم هذه الكلمة لم يعد مَرعِياً ـ قائلاً: «بل حتى منذ البداية كان الأمريكيون هناك بشكل جوهري وضمن رؤية طويلة المدى بأنهم سيقومون بنقل خبراتهم ثم يمضون خارجاً». أما بارغر الذي بدا واضحاً أنه لم يكن مرتاحاً أمام كاميرا قناة السي ـ سبان (C-Span)[*]، فلم يفعل أكثر من عرض بعض الشرائح[٢٤].

تم الاتصال بي في أيلول/ سبتمبر من عام ٢٠٠٦م من قبل صحافي محلي في مدينة سان دييغو (San Diego)، اسمه كوين إيستمان (Quinn Eastman)، حول الإصدار الوشيك للكتاب الذي اعتبره بارغر تحفة كلاسيكية مفقودة، في حين فضلت أسرة ستيغنر بأن يبقى غير منشور، فقد ظهر، وذلك بحسب أولئك الذين كانوا يعرفونه جيداً، بأن الكتاب كان مشروعاً لم يكن يفخر به كاتبه. إيستمان قام بقراءة مقالتي التي نشرت حديثاً في إحدى المجلات العلمية عن القصة الملحمية لكتاب **اكتشاف!**، بالإضافة إلى القصة المنشورة في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧ في **مجلة ستانفورد**

(*) شبكة تلفاز غير ربحية مخصصة لعرض كافة أعمال الحكومة الفدرالية الأمريكية، مثل تغطية مداولات الكونغرس (المترجم).

(٢٤) تم عرض الجلسة على قناة السي-سبان المخصصة للكتب ويمكن مشاهدتها على هذا الموقع الإلكتروني:

<http://www.c-span.org/video/?202659-1/book-discussion-discovery-search-arabian-oil>.

(*Stanford Magazine*) عنه، كما أنه حذرني بأنه قد يتوجّب عليه تخفيف حدّة النقد في قصة حول مغامرات بارغر في النشر في جريدة وطنه، فكما بيّنت المقالة، فإن بارغر كان عنيداً. ومن بين التغيرات التي لا تحصر التي أرادت الشركة من ستيغنر أن يجريها على مسودته كان توصيفه الأولي لمفاوضات شركة النفط على اتفاقية الامتياز. فكما كنت قد كتبت في عام ٢٠٠٣م: «ستيغنر صوّر المفاوضات بأنها كانت «لعبة بوكر، الربح والخسارة فيها عالية»، إلا أن النقاد في الظهران اعتبروا أنَّ العبارة توحي وكأن شركات النفط كانت تحاول حصد أكبر قدر ممكن من الأرباح، ولهذا طُلب من ستيغنر أن يعدلها»[٢٥]. هذه الحقيقة موثّقة، إلا أن بارغر لم يأبه. وها هو تفسيره الخاص بعد خمسين عاماً حول سبب استئصال الشركة لهذه العبارة: «توصيف ستيغنر لمفاوضات عام ١٩٣٢ بأنها كانت «لعبة بوكر، الربح والخسارة فيها عالية»، قد تسيء إلى المسلمين المحافظين الذين يمقتون القمار». وعلى الرغم من كونها أطول مقالة كتبت عن الكتاب حتى الآن، وكون مقالة إيستمان أشارت إلى الانتقادات حول معاملة ستيغنر من قبل شركات النفط، فهي ما زالت الوحيدة التي لم يقم بارغر بوضع رابطها في موقعه على الإنترنت إلى جانب بعض الإشارات في صحف: **هيوستن كرونيكل** (*Huston Chronicle*) ولوس **أنجلوس تايمز** (*Los Angeles Times*) **وسياتل تايمز** (*Seattle Times*)[٢٦].

حينها، في أمسية مناسبة مكتبة الكونغرس، اتصل بي كاتب سيرة ستيغنر الأحدث فيليب فرادكن (Philip Fradkin). فعلى ما يبدو، وعلى الرغم من أن بارغر يحافظ في الطبعة على تقديره العميق لستيغنر، إلا أنه لم يخطر بباله أن

(٢٥) وهذا النص الذي نشر في مجلة باسيفيك هيستوريكال ريفيو موجود على الإنترنت كورقة عمل للمركز الدولي للدراسات العليا التابع لجامعة نيويورك. انظر:
Pacific Historical Review (September 2007),
< http://www.nyu.edu/gsas/dept/icas/Vitalis.pdf >.

(٢٦) Quinn Eastman, "Rich History Unearthed: Vista Publisher Releasing Book on the Arabian American Oil Company," *North Coast County Times* (22 September 2007),
< http://www.utsandiego.com/news/2007/sep/23/rich-history-unearthed-vista-publisher-releasing > (accessed 11 January 2008).

وحول السبب الحقيقي لفرض الرقابة على ستيغنر، انظر:
Vitalis, "Wallace Stegner's Arabian Discovery: Imperial Blind Spots in a Continental Vision," p. 424.

أرملة الكاتب وابنه ووكيل أعماله الأدبية طوال حياته قد يعارضون المشروع، إلا أنهم قد قاموا بذلك وبشكل علني على أساسين مختلفين، فقد قال وكيل أعمال ستيغنر الأدبية كارل براندت (Carl Brandt): إن العقد المعدّل الذي تفاوضت عليه أرامكو مع ستيغنر كان عن عمل يتم نشره داخل الشركة وليس لأجل النشر التجاري، و«لو أن والاس كان يريد نشر هذه الطبعة، لكان قد اتصل بي هاتفياً قائلاً: «النقم بذلك، واطلب من ڤايكينغ أن ينفذ الأمر»(٢٧). وكان هناك دليلان يدعمان هذه الدعوى: **الأول**، النسخة الرخيصة ذات الغلاف الورقي المنشورة عام ١٩٧١ التي كانت تحمل تصريحاً غير معتاد يقول: «كمختصر لعالم أرامكو». أما **الثاني**، والذي أشير إليه سابقاً، فإن الشركة لم تقم ببيع **اكتشاف!** بل كانت تهديه.

أما الاعتراض الآخر الذي رفع فهو كما سأوضح بشكل مطوّل خلال هذا الكتاب، أن **اكتشاف!** كان عبارة عن عمل علاقات عامة للشركة قام باستئصال تلك الأجزاء التي أراد الكاتب تضمينها كوسيلة لحفظ موثوقيته. إلا أن تيم بارغر رد على هذا النقد بحسب طريقة أرامكو العتيقة والمتوقعة، أي بتجاهل الحجة، وتفنيد دوافع نقاده، ثم ترديد الإنجيل وكأنه نشيد مقدس. إلا أن ابن ستيغنر، واسمه بيج (Page)، يشعر على الأقل بالسخرية و- أضيف أنا بالحزن - من ابنين «مختلفين حول ميراث والدهما المحترم»(٢٨).

إلا أن بارغر، بحماسة المؤمن الصادق التقليدية، لم يستطع أن يجعل حجته متسقة، فقد هاجم كاتب سيرة حياة ستيغنر على مقالة نشرها في مجلة **سان فرانسيسكو كرونيكل** (*San Fransico Chronicle*) بعنوان «عمل ستيغنر المفقود كان يجب أن يظل مخفياً». فقد دعا فرادكين بالمخادع، وادّعى - بشكل غريب؛ إذ إن كاتب السيرة لم يكتب مثل هذا الأمر - أن فرادكين تباهى في المقالة بأنه قام بسحق عرض للكتاب في **الكرونيكل**، إلا أن

---

(٢٧) Lisa Leff, "Stegner's Heirs Object to Republication," *Deseret Morning News* (Salt Lake City, Utah), 3/12/2007, <http://www.deseretnews.com/article/695232661/Stegners-heirs-object-to-republication.html?pg=all> (accessed 13 January 2008).

(٢٨) المصدر نفسه.

السخرية تتضمن قوله «وبالمناسبة، آخر فقرة في مقالة فرادكين ـ المقتطعة من كتاب **اكتشاف!** ـ تم الإحالة إليها أولاً من قبل السيد ماثيوس (يقصد تشارلز ماثيوس (Charles Matthews) الذي عرض **اكتشاف!** في **سان جوزي ميركوري نيوز** (San Jose Mercury News) والباحث المجد كان سيشير إلى مديونيته هذه»[٢٩] فما يقوله بارغر هنا هو أن على فرادكين أن يشير إلى ماثيوس وذلك لأن الإثنين ببساطة صادف أن اقتبسا الاقتباس نفسه من كتاب **اكتشاف!**.

في حين أن مساعد بارغر، توم لبمان ـ الذي فشل بشكل فادح أن يحكي قصة **اكتشاف!** بشكل صحيح في كتابه قبل عدة سنوات ـ كَتَب مقدمة للـ«نسخة المنقحة» (وهذه عبارة كارل براندت بالمناسبة) مستخدماً عملي، والوثائق التي قرأتها ونشرتها، وتعديلات طفيفة على كلامي بالنص في بعض الأحيان، وهذا كله طبعاً من دون أن يشير إلي[٣٠].

* * *

احتشد المؤمنون لمواجهة تحدّ مهول لإيمانهم، ففي ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر من عام ٢٠٠٦م، وقبل نشر الطبعة الأولى من **مملكة أمريكا**، تمت دعوتي للمشاركة في مؤتمر للذكرى السنوية الستين لتأسيس معهد الشرق الأوسط من قبل نائب رئيسه ديفيد ماك (David Mack). وقد كان من المقرر أن أساهم في جلسة حوارية حول مستقبل العلاقات السعودية الأمريكية، مع راشيل برونسون (Rashel Bronson)، مؤلفة النسخة المفضلة لهذا التاريخ بالنسبة إلى مجلس نيويورك للعلاقات الدولية (New York Council on Foreign Relations): أكثر سماكة من النفط (Thicker Than Oil). وبعد أقل من أربع

---

(٢٩) Philip L. Fradkin, ""Lost" Stegner work "Discovery" Should've Stayed Hidden," *San Francisco Chronicle* (23 December 2007),
< http://www.sfgate.com/books/article/Essay-Lost-Stegner-work-Discovery-should-ve-3234437.php >.

أما رد بارغر فهو موجود على الموقع التالي:
< http://selwapress.com/blog/?p=27#more-27 > (accessed 13 January 2008).

(٣٠) يمكن قراءة نسخة كتاب **اكتشاف!** الخاصة بليبمان على هذا الموقع الإلكتروني من دون الحاجة إلى التبرع إلى مطبعة تشيرش (Church):
< http://www.saudi-us-relations.org/articles/2007/ioi/070918-discovery-foreword.html > (accessed 13 January 2008).

وعشرين ساعة ألغى المعهد دعوته مع اعتذار هزيل: «هناك خطأ قد وقع». وإلى الآن، لم يؤدّ الموظف المسؤول عن تقديم الاعتذارات، كلايتون سويشر (Clayton Swisher) واجبه بأن يعرض علي ترتيب مناسبة غداء لكتابي في المعهد كجائزة ترضية. ولكن عندما حاولنا أنا وناشري أن نحدد تاريخاً، عدة مرات خلال الأشهر اللاحقة، عجز سويشر عن الإجابة على أي من رسائلنا عبر البريد الإلكتروني واتصالاتنا الهاتفية. على أية حال فالمؤسسة لم تتفق معي لقد أسندوا مملكة أمريكا إلى موظف الخدمات الخارجية الأمريكي المتقاعد، وأحد أذرع السعودية المأجورة ديفيد لونغ (David Long) لمراجعته.

وقدم عرض لونغ دليلاً إضافياً ـ كما لو أن هناك حاجة إلى المزيد ـ على أن إنجيل أرامكو ليس مسألة عقلانية بقدر ما هو مسألة إيمان. ففي تمهيد هذا الكتاب سأشير للقراء إلى صفحات الكتاب الذي سيجدون فيه الحجة. وثمّ سأحدد ما يحتاج إليه المرء بشكل منطقي من أجل إبطاله، أو باستخدام المصطلح الذي نفضل نحن الأساتذة استخدامه، «دحضه». إلا أن لونغ تجاهل النصيحة، وسأعتبر هذا تأكيداً أن الحجة قوية، وأنه لا يوجد أساس واقعي لأسطورة الحب والكدح الأمريكي في مستعمرة النفط (بشكل مشابه للأسطورة التي تندرج تحت النوع نفسه والمتعلقة بالحب والكدح الذي كنّه ملّاك مزارع الجنوب الأمريكي لعبيدهم). وأمام الكمية الكبيرة من المادة التي أقر أني قمت بالكشف عنها، فقد كان عاجزاً أو غير راغب أن يبطل ولو حتى دعوى واحدة قمت بها في هذا الكتاب، وهذا كله مهم. وذلك باعتبار أنه قد كتب عن العلاقات الأمريكية ـ السعودية، فسيتبادر إلى الذهن أنه سيكون أقدر من غيره على توضيح أين أخطأت. عوضاً عن ذلك، فقد أنفق لونغ مساحة كبيرة من العرض واصفاً إياي بشكل متكرر كشخص هدفه السري وغير المصرح به (مع العلم أني كنت واضحاً حول أسباب كتابتي الكتاب) أن يصور أرامكو والولايات المتحدة كقوى شر. لقد استخدم هذه الكلمة التي تبدأ بحرف «الشين» ثلاث مرات[٣١] لقد وجد لونغ عملاً علمياً نقدياً، وكانت ردة فعله مشابهة لتلك التي نتوقعها من أي محقق في محكمة

(٣١) David Long, "Review of America's *Kingdom by Robert Vitalis,*" *Middle East Journal* (March 2007), p. 361.

تفتيش. إن المرء لا يملك إلا أن يشعر بالأسى تجاه المؤمنين الصادقين؛ فما يؤمنون به من «تصورات عن تراتبية عامة للوجود» ـ إذا ما أردنا العودة إلى غيرتز ـ بات تصبح مدمرة بعد أن بدأت «هالة الواقعية» بالتشظي أمام أعينهم.

* * *

في أثناء كتابة الكتاب، كنت أسلي نفسي بمقارنة المملكة بأماكن أخرى تكون فيها قصة من النوع التي أحكيها هنا ـ أو تلك التي حكاها الروائي السعودي المنفي عبد الرحمن منيف قبل عدة سنوات ـ قريبة من التاريخ الرسمي، أو على الأقل لتاريخ يمكن أن يكون متاحاً بشكل واسع لمواطنيها. وكنت أتخيل دولة سعودية أخرى حيث ـ كما ذكرت في الخاتمة ـ يكون هناك لوحات مثبتة تفتخر بالأحداث المهمة لحركة العمال. وبالطريقة نفسها، كما كتبت في مقالة تأبينية مضمنة في السيرة الجديدة لعبد الله الطريقي التي أنجزها محمد السيف، كنت أتخيل مكاناً حيث يوجد نصب تذكاري للشيخ عبد الله وبعثات علمية باسمه، إلا أن القصص المحكية في مملكة أمريكا قد تم إبقاؤها سراً لفترة طويلة جداً.

لا يوجد جواب واحد عن السبب الذي يجعل السعوديين مستمرين بدعم أسطورة أمريكا الخيّرة. قديماً جداً، توقّع الأمريكيون في أرامكو السبب الآتي: أن النقل الدقيق ـ على سبيل المثال ـ لقمع الإضرابات العمالية ومأسسة هرمية عنصرية في المخيمات قد يلفت الانتباه إلى حقيقة أن القيادة السعودية كانت عاجزة، أو لم يكن لديها النيّة لأن تفعل شيئاً إزاء سياسات الشركة العمالية، بل إنها قامت بارتكاب الممارسات نفسها بعد استحواذها على أرامكو في الثمانينيات. كما أن المحافظة على إنجيل معجزة أرامكو هو طريقة سهلة لضمان دعم أمريكا العائلة السعودية المالكة ضمن ديمغرافيا ومؤسسات محددة، وهناك أيضاً سبب محتمل آخر، فكما يكشف الأرشيف أن بعضاً من آل سعود لم يكن متضايقاً عملياً من حقيقة أن الأمريكيين كانوا يعاملون السعوديين كالكلاب طالما أن النفط والريع مستمران بالتدفق.

إن أيام إنجيل أرامكو معدودة، والعبادة نفسها لن تبقى إلى ما بعد وفاة أبناء الروّاد، أولئك الذين يعملون لدى الشركة المملوكة سعودياً، بالكاد

يهتمون بالتاريخ. والكوخ الصغير المسمى «مركز التراث الأمريكي» الرسمي والواقع في مستوطنة الشركة الأصلية أو «الحيّ» - في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين كان يدعى الحي الأمريكي - يعتبر مكاناً مهجوراً لم يزره إلا القليل (في حين أن قراءة **اكتشاف!** تعتبر إلزامية لكل من يريد التطوع هناك)، بل حتى حقيقة أن الشركة الوطنية قد وعدت بمركز أكبر للتراث[*] بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لتأسيسها بالكاد تعتبر مهمة.

هذا الإنجيل تدمّر لأن الباحثين أنفسهم لم يعودوا يؤمنون به، والبحث العلمي الآن في طريقه إلى تأسيس قصة بديلة وأكثر سلطة. لقد كان هناك متمردون على الهامش دوماً في عقدي الستينيات والسبعينيات، يتمثّلهم في الغرب فريد هاليداي (Fred Halliday)، وهيلين لكنر (Helen Lakner)، وآلان غريش (Alain Gresh)، إلا أن أعمالهم لم يطلع عليها إلا غيرهم من الراديكاليين وطلاب الدراسات العليا. ولكن الآن، أصبح هؤلاء الطلاب يدرسون في كل المؤسسات الأمريكية الرئيسة وطلاب الدراسات العليا الخاصين بهم يكتبون رسائل تخرجهم. إن الأعمال التي يكتبها البرونسونيون، واللبمانيون، واللونغيون ليس لها مكان في الأكاديميا اليوم، إن العملية التي تحدث الآن مشابهة لمصير التاريخ الأسطوري للغرب الأمريكي القديم على يد باحثين قاموا بهدمه منذ عقود.

أنا لست الوحيد المسهم في هذا التحوّل في كيفية فهمنا للماضي. فيمثل كل من مضاوي الرشيد، وستيفن هيرتوغ (Steffen Hertog)، وبول آرتس (Paul Aarts) ثلة من مجموعة أكبر من الباحثين المهمين، أحدهم نيت سيتينو (Nate Citino). وكذلك هناك رسائل التخرج التي ستكتمل قريباً والكتب التي ستنشر من قبل كل من بيتر فالنتي (Peter Valenti)، ومايكل دوب (Michael Dobe)، وتوبي جونز (Toby Jones)، وبراندون وولف - هانيكوت (Brandon Wolfe-Hunnicutt). وإزاء كل هذا العمل البحثي المبدع والذكي والعميق والحديث يغدو محزناً رؤية آخر مريدي إنجيل أرامكو يكافحون من أجل الإبقاء على إيمان يحتضر حيّاً.

تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٨

(*) هو مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي (المترجم).

تمهيد

لدى الأمريكيين ممارسة يتسلون بها تسمى «المحاكاة»، فكما كتب الصحافي توني هورويتز (Tony Horwitz) عن مُحاكِي الحرب الأهلية في كتابه: **كونفدراليون في العليّة** (*Confederates in the Attic*)؛ حيث يجتمع الأهالي في جميع أرجاء البلاد في كل سنة ليعيدوا تمثيل المعارك الشهيرة للحرب بين الولايات. ويحاكي الأمريكيون حروباً أخرى أيضاً، من حرب الاستقلال إلى حروب الإمبراطورية: الحروب الهندية ـ الأمريكية والحرب مع المكسيك، والحرب الإسبانية ـ الأمريكية. وعلى الرغم من أن محاكاة المعارك هي الأكثر عدداً، إلا أن كثيرين يجتمعون بشكل مستمر لمحاكاة الغرب القديم(*)؛ حيث يلعبون دور منقِّبين ومستوطنين وصيادين وقطّاع طرق ورعاة بقر وهنود حمر، حتى غير الأمريكيين يقومون بمثل هذه الممارسات؛ فهناك مُحاكون للغرب القديم في جمهورية التشيك، ومحاكون للحرب الفييتنامية في روسيا، كما أن مُحاكي الحربيْن العالميتيْن الأولى والثانية في كل مكان، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا، وإنكلترا، وأماكن أخرى من أوروبا.

في الرابع عشر من شباط/فبراير من عام ٢٠٠٥م، لعب الأمير السعودي عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز دور جده في إعادة تمثيل للقاء حدث قبل ستين عاماً بين عبد العزيز ـ أول ملك للمملكة العربية السعودية والمعروف في أمريكا باسم ابن سعود ـ وفرانكلين ديلانو روزفلت

(*) الغرب القديم (Old West) ويشير عادة إلى الموجات المهاجرة غرباً من المستوطنات الأمريكية وما رافقها من قصص شعبية ومغامرات وحكايات؛ حيث يعتبر رمزها التقليدي هو راعي البقر (الكاوبوي) (المترجم).

(Franklin Delano Roosvelt) والمعروف باسم أف. دي. آر (FDR). لعب حفيد الرئيس، هال ديلانو روزفلت (Hall Delano Roosvelt)، عضو مجلس تشريعي سابق في مدينة لونغ بيتش، دور أف. دي. آر. وكان مكان القمّة قبل ستين عاماً على متن مدمّرة بحرية، تسمى كوينسي (Quincy)، وسط قناة السويس، خلال الحرب العالمية الثانية. أما الخَلَفان فقد التقيا على مسرح في فندق الريتز في مدينة كوكونت غروف في ولاية فلوريدا، ويبدو من العدل إضافة أن هذا تم خلال الحرب الأمريكية العالمية على الإرهاب.

أمريكي آخر، يدعى كونديت إيدي (Condit Eddy)، شارك المُحاكين الآخرين على المسرح. كان إيدي يلعب دور عمه الكولونيل ويليام ألفريد إيدي المترجِم على متن كوينسي. كان الكولونيل إيدي قد حارب في الحرب العالمية الأولى، ثم أدار قسم اللغة الإنكليزية في الجامعة الأمريكية في القاهرة؛ حيث كتب أول كتاب عن قوانين لعبة كرة السلة، ثم عمل كرئيس لكلية هوبارت في ولاية نيويورك قبل أن يترك العمل الإداري الجامعي منتقلاً إلى التجسس. فعندما بلغ الخامسة والأربعين من عمره، تنازل عن رتبته العسكرية وانضم إلى المنظمة الاستخباراتية الأمريكية الجديدة: مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS)، وباعتباره ملحقاً بحرياً في طنجة قام بإدارة مجموعات مقاومة ضمن حملة الشمال الأفريقي(*). في عام ١٩٤٤، عيّن روزفلت إيدي كأول وزير مفوّض في السعودية. أمضى إيدي بقية حياته منهمكاً بالشؤون السعودية الأمريكية لدى خليفة (مكتب الخدمات الاستراتيجية)، أي وكالة الاستخبارات المركزية (CIA). كان غطاؤه الاستخباراتي هو العمل كمستشار لدى شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو). وعلى الرغم من أن إيدي قام فعلاً بالترجمة لقيادات الدولتين ـ فهو قد تعلم العربية بوصفه ابناً لمبعوثين يعملان في لبنان ـ إلا أن كلمة «مترجم» تعتبر وصفاً متواضعاً للشخصية التاريخية التي قام كونديت بتمثيلها ذلك اليوم.

(*) حملة الشمال الأفريقي: هي سلسلة من المعارك والحملات العسكرية حدثت في كل من غرب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، ضمن الحرب العالمية الثانية بين قوى الحلفاء (بريطانيا وفرنسا بشكل رئيس وفيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية) وقوى المحور (ألمانيا وإيطاليا)، امتدت الحملة من حزيران/ يونيو ١٩٤٠م إلى أيار/ مايو ١٩٤٣م (المترجم).

المحاكون الصارمون يجعلون من مطابقة الحقيقة قيمة تفوق سواها، فهم يرتدون أزياء تلك الفترة، ويأكلون الطعام نفسه الذي كان يحمله الجنود في معاركهم... وهكذا، إلا أن الراعي لهذه المحاكاة - وهي مؤسسة تم تأسيسها حديثاً باسم «أصدقاء المملكة العربية السعودية» - كان له أهداف أخرى وبالتالي قد تمّ التضحية بمطابقة الحقيقة ذلك اليوم. فـ«نايل بوش» (Neil Bush) - أخو الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش (George W. Bush) - وآنتوني كينيدي شريفر - ابن اخت الرئيس الأمريكي جون كينيدي - قد صعدا على المسرح مع الآخرين. وقد تتساءل: لماذا؟ ففي العادة يحتفل الأمريكيون بمناسبة مرور خمسين عاماً على حدث ما وليس ستين عاماً. وما يجب أن يكون الذكرى الذهبية للقاء كوينسي كان قد مرّ من دون كثير انتباه، اللّهمَّ إلا إعلاناً أو اثنين نشرتهما السفارة السعودية في صحيفتي الـ **نيويورك تايمز** والـ **واشنطن بوست**. وبكل تأكيد لم يفكر أحد أن ينظم محاكاة، فلا بد إذاً من أن هناك أمراً استثنائياً قد حدث خلال الفترة الفاصلة جعل من هذا العشاء المسرحي الفاخر رداً عليه.

في ١١ أيلول/سبتمبر من عام ٢٠٠١م، وفي الساعة الثامنة وست وأربعين دقيقة صباحاً ارتطمت الطائرة التي تقل الرحلة الرقم (١١) على خطوط «أمريكان إيرلاينز» بالطوابق العليا للبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي في منهاتن. وبعد سبع عشرة دقيقة، اصطدمت رحلة خطوط «يونايتد» ذات الرقم (١٧٥) بالبرج الجنوبي. ثم بعد ساعة، طائرة ثالثة - الرحلة الرقم (٧٧) على خطوط «أمريكان إيرلاينز» - انقضت على البنتاغون. انهار البرجان في الوقت نفسه تقريباً الذي تحطمت فيه رحلة خطوط «يونايتد» ذات الرقم (٩٣) في ريف ولاية بنسلفانيا. أدق التوقعات تقول: إن هذه الرحلة كانت متجهة إلى هدف ما في العاصمة واشنطن، لكن مجموعة من الركاب استطاعوا إيقاف مختطفي الطائرة. أكثر من ثلاثة آلاف شخص توفوا ذلك الصباح. تسعة عشر عضواً في منظمة تدعى القاعدة حوّلوا الطائرات إلى أسلحة دمار شامل. خمسة عشر من هؤلاء المختطفين كانوا سعوديين، مقاتلين في معركة من المستبعد أن تتمّ محاكاتها في الأمد القريب. وكانوا يقاتلون تحت إمرة سعودي آخر متخفٍّ في مكان ما في أفغانستان: وهو أسامة بن لادن قائد تنظيم القاعدة.

صبّ الأمريكيون جام غضبهم على عدة جبهات، بعضهم تطوّع للمشاركة في حروب الرئيس جورج دبليو بوش. فالولايات المتحدة الأمريكية هاجمت واحتلت أفغانستان عام ٢٠٠٢ ثم العراق عام ٢٠٠٣. وأنتج المخرج مايكل مور (Michael Moore) ما اعتُبر أكثر فيلم وثائقي حصداً للإيرادات: **فهرنهايت ٩/ ١١** (Fehrenheit 9/11)، واستعجلت دور النشر في نشر كتب جديدة: سير لحياة بن لادن، ودراسات عن شبكات الإرهاب، وأخرى عن السعودية، بعضها من دون هوامش ومراجع، وبعضها فيها هوامش ومراجع، بعضها رصينة، وبعضها دون ذلك، كتب من نوع **مملكة الكراهية** (*Hatred's Kingdom*) و**مضاجعة الشيطان** (*Sleeping with the Devil*). والرجال والنساء الذين كتبوا بهذه الروح صوروا أنفسهم باعتبارهم ضمير الأمة، وبأنهم حريصون على الكشف عن الطرق التي من خلالها تقوم المصالح والمؤسسات المرتبطة بآل سعود ـ أو «بيت آل سعود» كما تعرف الأسرة الحاكمة ـ بتدمير أمن أمريكا، إلا أن الجميع لم يكن موافقاً.

بالنسبة إلى جل المدافعين عن العلاقة الاستثنائية في واشنطن ونيويورك ـ كالمتطلعين إلى العمل في السعودية، سفراء سابقين، مصرفيين، مقاولين، مستشارين في صناعة النفط، ومحللين جيوستراتيجيين ـ فإن الأيام والأشهر التي أعقبت الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر كانت مظلمة ومنذرة بالشؤم. هي مختلفة، كما يحبون أن يتخيلوا، عن الأيام التي التقى فيها الملك عبد العزيز مع روزفلت على متن الكوينسي. لقد خشوا أن مأساة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر كانت معرضة لخطر الاختطاف من قبل حشود من المتنبئين المضللين، والمحافظين الجدد، والسياسيين المنحازين لإسرائيل، والأصوليين المسيحيين، وغيرهم من «مهاجمي السعودية» الذين يحاولون استغلال الغضب الشعبي من أجل توجيه السياسة الأمريكية في طرق تؤدي إلى أضرار قوية إن لم تكن مميتة للمصلحة القومية. يمكن إدراج رؤساء مجلس إدارة منظمة «أصدقاء المملكة العربية السعودية» غير المعلن عنهم ضمن هذا التصنيف، وبكل تأكيد أيضاً يندرج تحته المجلس القومي للعلاقات الأمريكية ـ العربية (Council on US-Arab Relations)، بل حتى المنظمات الأقدم والأكثر هيبة ـ كمعهد الشرق الأوسط في واشنطن ومجلس العلاقات الخارجية (Council of Foreign Relations) في نيويورك ـ كان لها

حضور - وإن كان أقل سوءاً، نظراً للصورة التي وضعتها لنفسها - عبر المساعدة في نشر كتب مؤلفة لتعليمنا من جديد عن تاريخ العلاقات السعودية - الأمريكية: مثل **داخل السحاب** (*Inside the Mirage*) و**أكثر متانة من النفط** (*Thicker Than Oil*).

كتاب **مملكة أمريكا** ليس مثل أي من هذه الكتب، كما أنه بالتأكيد ليس كتاباً تم الاستعجال بنشره رداً على أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. أساتذة الجامعات عادة يعملون ضمن مسار زمني مختلف عن ذاك الذي يعمل من خلاله الناشرون التجاريون، والصحافيون، أو مراكز الدراسات. لقد بدأت التفكير في مشروع الكتابة عن أرامكو عام ١٩٨٩م عندما كنت ما أزال أنهي كتابي الأول عن مجال الأعمال في مصر. كتبت طلبات المنح الأولية للمشروع بدايات العقد العاشر من القرن العشرين، ولم أبدأ به بشكل جدي إلا عام ١٩٩٥م، ومنذئذ وأنا أعمل عليه بشكل شبه متواصل.

بوصفها مملوكة لاثنتين ثم أربع من كبرى شركات النفط العالمية، مثلت أرامكو ما يمكن اعتباره مستعمرة سوق التنقيب العالمي في عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. **مملكة أمريكا** يحكي قصة عمالها الذين تم تجميعهم من قبل الشركة من أكثر من عشر دول من أجل تنصيب وتشغيل الحفارات وبناء المصفاة، ومحلات ومساكن المدراء الأمريكيين البيض وعوائلهم. إنه استثمار أرامكو الضخم في تقنية استخراج النفط: في البنية التحتية لجلب النفط إلى السوق، وفي عمالها، ابتداء من آلاف الكوليين - كما وصف أشهر جيولوجيي الشركة وأحد مسؤوليها المستقبليين تيم بارغر السعوديين في أولى رسائله إلى أهله - هو ما دفع الدولة الأمريكية لأن تتبع رأس المال الأمريكي إلى المملكة مرسلة الكولونيل إيدي إلى هناك عام ١٩٤٤م.

لقد كان صيف عام ١٩٤٤م هو بداية ما دعاه «الأصدقاء»(*) بالعلاقة الخاصة وما دعاه آخرون بشكل أقل تبجيلاً «الصفقة»، أي النفط مقابل الحماية. في ذلك الوقت، كانت صحيفة الـ **نيويورك تايمز** قد وصفتها بأنها

(*) يقصد منظمة «أصدقاء المملكة العربية السعودية» المذكورة سابقاً (المترجم).

عودة إلى «الإمبريالية القديمة» وعصر «دبلوماسية الدولار» عندما قام إيدي بالتفاوض مع الملك عبد العزيز على بناء مدرج طيران لشركة النفط على حساب دافعي الضرائب الأمريكيين. إلا أن الصحيفة غيّرت من لغتها عندما أكدت إدارة الرئيس هاري ترومان (Harry Truman) على التزامها في الحفاظ على آل سعود في السلطة. وعندما أبقى خلفاء ترومان على العهد ـ فـ دوايت آيزنهاور (Dwight Eisenhower) وافق على تدريب جيش الملك عبد العزيز، وجون كينيدي أرسل طائرات للدفاع عن المملكة، وليندون جونسون (Lyndon Johnson) باع صواريخ للسعوديين ـ كانت المراسلات بين الإدارات المختلفة تذكّر الجنرالات في هيئة الأركان المشتركة(*) باستمرار بأن لا ينسوا أن النفط وأرامكو هما «استثمارنا الخاص الكبير والأوحد خارج البلاد».

لست أنا الوحيد الذي كتب عن علاقة الولايات المتحدة الأمريكية مع أكثر دولة عائلية شهرة في العالم، إلا أن تاريخ مستوطنة النفط كما سنرى ليست معروفة بالمقدار الكافي وأنه ـ كما سيبين **مملكة أمريكا** ـ وبشكل غريب ـ بل بشكل مأساوي ـ أسيء فهمه. فهناك أسطورتان تشكلان لب الرواية الرسمية للتجربة الأمريكية في المملكة العربية السعودية:

الأولى مشهورة وقيلت في أماكن متعددة مفادها أن أرامكو أدّت عملها بشكل أكثر كرماً وأقل استغلالاً من الشركات التابعة لأمم أخرى كشركات الزراعة والتعدين البريطانية في أفريقيا على سبيل المثال. إنها نفسها الدعوى التي ستكون أي شركة مستعدة للدفع من أجلها عندما تريد الكتابة عن تاريخها. هذا الكتاب يقوم بتفكيك هذه الفكرة قطعة قطعة عبر استخدام متأنٍّ لوثائق أرامكو وملاحظات محلليها عن منافساتها في الخليج الفارسي وغيره من الأماكن.

وباستخدام المنهج نفسه، سيكون أكثر سهولة أن نكشف للنور الأسطورة

(*) هيئة الأركان المشتركة (Joint Chiefs of Staff) هي جهاز ضمن وزارة الدفاع الأمريكية مكون من قادة عسكريين يقدمون استشارات عسكرية لمؤسسات مختلفة كالرئاسة ومجلس الأمن القومي. تأسست بذرتها في أثناء الحرب العالمية الباردة لتتمكن من التنسيق مع مثيلتها في الإمبراطورية البريطانية. تحولت إلى هيئة رسمية عام ١٩٤٧ لها سلطة على التحكم بالقرارات العسكرية، في عام ١٩٨٦ تم نزع هذه الصلاحية منها وجعلها محصورة في رئيس البلاد (المترجم).

الثانية عن المملكة، وهي الفكرة القائلة: إن المملكة العربية السعودية تمثل حالة غير عادية أو استثنائية عند مقارنتها بكثير من غيرها من الدول النامية الحديثة. فهذه الأسطورة تنطلق من كون تكوين الدولة والسوق هناك تمّ داخل حالة انعزال نسبية عن العالم. وفي الحقيقة فإن مسؤولي شركة النفط وغيرهم من الأمريكيين قد شاركوا في الممارسات الأساسية كلها ـ سواء كانت ماديّة أم رمزية ـ لعملية تكوين الدولة الحديثة هناك، وذلك من رسم مخططات المؤسسات وتصميم مخططات لبناء مدن بالكامل وأجهزة بيروقراطية وتقاليد.

سيكون على صنّاع الأساطير أن يعملوا بجد للحفاظ على حكاياتهم حول كون أرامكو سحرية، وشريفة، ومتفانية، ومتنورة، وما إلى ذلك. فوثائق الأرشيف تذكر قصة تختلف بشكل جوهري عن دراما الروّاد الجيولوجيين والمدراء المتعددي الجنسيات في البوادي التي ـ بسبب غياب دراسات أكاديمية جادة ونقدية ـ تم بشكل تدريجي تعميدها على سبيل المثال في كتاب الروائي والاس ستيغنر **اكتشاف**! ووثائقي البي بي إس (PBS) المستوحى من كتاب دانييل ييرغن **الجائزة** (*The Prize*) وأخيراً كتاب توماس لبمان **داخل السراب** (*Inside the Mirage*).

ارتكزت عمليات أرامكو في مدينة النفط الظهران على مجموعة من الممارسات والقيم الإقصائية التي كانت في نفسها عبارة عن موروثات من فقاعات[*] التعدين وتكوين الأسواق في الغرب وجنوب الغرب الأمريكي؛ حيث كان هذا نظاماً من الامتيازات وانعدام المساواة، الذي نعرفه نحن في الولايات المتحدة الأمريكية باسم جيم كرو، أو باسم الأبارتهايد[**] في جنوب أفريقيا، أو بالعنصرية بشكل عام. «القوانين» التي فرضها مسؤولو

(*) مفهوم فقاعة (Boom) هو مفهوم اقتصادي ويشير إلى فترة مؤقتة تزدهر فيها الأعمال التجارية في مجال من المجالات ليتبعها اضمحلال سريع، أشهر الأمثلة الحالية هو الحديث عن «فقاعة الإنترنت» (المترجم).

(**) الأبارتهايد (Apartheid) أو ما يعرف بنظام الفصل العنصري، هو نظام قام المستوطنون البيض بتأسيسه في جنوب أفريقيا لتنظيم العلاقات بينهم وبين السود على أساس الفصل بين الطرفين بما يكفل للبيض الحصول على الامتيازات والانفراد بالسلطة. وهو النظام الذي استطاع نيلسون مانديلا في مطلع تسعينيات القرن العشرين من القضاء عليه (المترجم).

أرامكو على عمالهم من أجل منعهم من تجاوز حدود العرق في أحيائهم السكنية المبنية على نظام جيم كرو، وحرمان السعوديين من العيش مع أسرهم، وترحيل الأمريكيين الذين سعوا للتواصل مع العوائل العربية المحيطة بهم، ونموذج العدالة في الحي السكني، ومشاكلها العمالية بشكل عام، كل هذا لم يتم توثيقه وتحليله في أي مكان على حد علمي. ولم يحاول أحد حتى أن يوثق الحركة التي تشكلت لتحدي الهرمية في الأحياء النفطية، ابتداء من أول إضراب للعمال السعوديين عام ١٩٤٥م. والقيام بذلك يعني الحفر في الطبقات المتنوعة لحملات العلاقات العامة التابعة للشركة وجيلين أو ثلاثة من البحث العلمي المعتمدة على هذه الأسس.

قام أغلب الباحثين ببناء قصصهم عن العلاقات السعودية ـ الأمريكية من دون الالتفات أبداً إلى اللقاء بين الأمريكيين والسعوديين على الأرض. لقد كتبوا قصصهم كما لو أن تاريخ شركات التعدين في الأماكن الأخرى من العالم لا يعلمنا أي شيء، كما لو أنه لم يكن هناك أي شيء قابل للمقارنة. أما بعض من الذين يعرفون أكثر فقد استمروا بالنفاق. وهناك أولئك الذين قرروا أن يتجاهلوا عوضاً عن أن يجهدوا أنفسهم بتقديم الحجج التي لا تتلاءم مع القصة التي أرادوا تصديقها. وعلى كل، فإن هناك مشاكل تتجاوز مجرد الترديد السخيف لدعاية الشركة ضد إضرابات العمال السعوديين وصعود طبقة من رجال الدولة الذين أرادوا تحجيم قوة أرامكو واستخراج حصة أكبر من الريع من احتكارها، وهي الكلمة التي أصرت الشركة على عدم تطبيقها بشكل حسن على احتكارها. فهناك مشاكل منهجية أكبر زوايا رؤية مظلمة تؤثر في فهمنا لدور أرامكو أو أي شركة أخرى في التاريخ الطويل للإمبراطورية التي تشكل هذه اللحظة جزءاً منها.

إحدى هذه المشاكل هي مشكلة ادّعاء الخصوصية (Exceptionalism)، أي طريقة محددة في تصوير أو حكاية أو حتى التفكير في التجربة الأمريكية بشكل عام. فادّعاء الخصوصية الأمريكية يفترض نوعاً من الاستقلال البنيوي العميق لهذه التجربة، أي إن التاريخ الأمريكي لا يشابه وغير مرتبط بغيره من التواريخ. ادّعاء الخصوصية هذا يؤسس ويشكل ويؤطر كل الآراء المتعددة التي تسعى لإثبات أن المشروع الأمريكي يمكن أن يكون أي شيء إلا كونه أداة للإمبراطورية، أو تلك التي تريد إثبات أنه مشروع لأمريكا بوصفها نقيضاً

للإمبراطورية، أو غيرها التي تعتبر أمريكا لم تتحول إلى إمبراطورية إلا مؤخراً، أو تصور الشعب الأمريكي على أنه تعلم «المواطنة الصالحة» قبل غيره، وما إلى ذلك من الآراء.

زاوية الرؤيا العمياء الأخرى هي، إذا أردنا أن نكون فطنين، التراث الغني من العنصرية في الحياة الأمريكية. فعلى الرغم من أن كلاً من الجنس، والإثنية، والقومية، بل حتى الدين تم توظيفه في الولايات المتحدة باعتباره أساساً للإقصاء في التصويت، وفي أماكن العمل، وفي المدارس، وفي الأحياء السكنية، إلا أنه لم تكن هناك هوية كانت مهمة بقدر العرق في تحديد وتبرير الهرمية. نظمت أرامكو، مثلها مثل شركات التعدين الأمريكية الكبرى، الحياة داخل مخيماتها على أساس الأفكار التي كانت سائدة وقتها حول تفوّق البيض وانحطاط كل من سواهم. ونقاد هذه الهرميات الدقيقة المبنية على أساس لون البشرة أو ملامح الوجه وعلى قدرات متفوقة ومنحطة مدعاة لهذه الخصائص الجسدية قاموا بصك مصطلح في الثلاثينيات من القرن العشرين لتحديد هذه الممارسات، لقد سموها عنصرية.

إن العنصرية هي كعب آخيل (أي نقطة ضعف) ادعاء الخصوصية، التناقض الذي يقع في قلب **كتاب الحقيقة عن أمريكا**، كما وصف مرة لويس هارتز (Louis Hartz) البلاد التي سمّاها «المختلفة للأبد عن كل ما سواها»[1]. والمشكلة هي نفسها بالنسبة إلى قصة تاريخ أرامكو، فالمؤسسات غير الليبرالية داخل أمريكا كانت «لغزاً» بالنسبة إلى هارتز و«معضلة» بالنسبة إلى الاقتصادي السويدي الأكثر شهرة غونَر ميردال (Gunnar Myrdal)، الذي كانت دراسته عن علاقات العرق ملهمة لصنّاع الأفكار في أمريكا ما بعد الحرب العالمية الثانية. فميردال قد قال: إن العنصرية لم تكن إلا نوعاً من التحيّز غير العقلاني يوجد غالباً في تقاليد البيض الأقل تعليماً في المناطق المتخلّفة من الجنوب، وبهذا فإنه من المقدّر لها أن تختفي مع مرور الزمان.

(١) مقولة هارتز مقتبسة، في:
Daniel Rodgers, "Exceptionalism," in: Anthony Molho and Gordon S. Wood, eds., *Imagined Histories: American Historians Interpret the Past* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998), p. 29.

وعلى الرغم من أن هذه الحجة قد ذكرت مرات عديدة مسبقاً، فإن ميردال لم يكن أكثر نجاحاً من غيره في التوفيق بينها وبين إما تاريخ واجتماعيات «علم الأعراق»(*) ـ الذي لم يكن من إنتاج الطبقة العاملة البيضاء بالطبع بقدر ما كان من نتاج كبار باحثي ومثقّفي البلاد ـ أو بينها وبين حقيقة الهرميات التي قامت الدول و ـ كما أحاول اكتشافه هنا ـ الشركات ببنائها. في العقد السادس من القرن العشرين، حاول مدراء أرامكو إعادة كتابة ماضيهم مستخدمين أفكار ميردال نفسها، أي قاموا بتخيّل جماعة متلاشية من تكساس كانت تحيّزاتها تمثّل مشكلة «في الماضي»، وكانوا موفقين في ذلك لأنها القصة التي ما زال الكتّاب يستخدمونها حتى اليوم كما لو أنّ الشركة قد سخّرت الطاقة نفسها من أجل تفكيك مؤسسات الهرمية.

* * *

كانت رحلتي الأولى والوحيدة إلى المملكة في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٩٦م. وحتى أستطيع الذهاب إلى هناك، نَافقتُ، مما مكنني من الحصول على التأشيرة وعلى جولة مدفوعة الثمن لمدة أسبوعين. كانت الجهة المنعمة عليّ هي المجلس القومي للعلاقات الأمريكية ـ العربية (National Council on US-Arab Relations)، واحدة من تلك المؤسسات المقتنعة بأن خدمة المصلحة القومية تتمثّل في الإبقاء على علاقة وثيقة مع آل سعود والتي يتم الدفع لها بشكل واضح من قبلهم، ففي النهاية قام أشخاص أو مؤسسات في السعودية باعتماد رحلة البحث، فمجموعة الرفاق المدعومة من قبل المجلس القومي، بمن فيهم أنا، سافروا على الخطوط السعودية ضمن درجة رجال الأعمال بكرم من الغرفة التجارية في الرياض كما قيل لي.

كان أغلبنا متخصصاً بالتعليم، بمن في ذلك أستاذا جامعة آخران كنت قد عرفتهما منذ فترة طويلة، وإداريون من كليات صغيرة من جهات مختلفة من البلاد، إلا أن اثنين من الرفاق كانوا ضباط استخبارات عسكرية

(*) علم الأعراق يقصد به النظريات التي كانت منتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تتعامل مع العرق باعتباره وحدة تحليل تفسر من خلالها الاختلافات بين البشر سواء من ناحية القدرات الجسدية والعقلية والسلوكيات الأخلاقية وغيرها من الجوانب (المترجم).

متخفّين، أحدهما من الجيش والآخر من القوات الجوية. أخبرنا المجلس القومي أن السعوديين يحبون أن يستقبلوا هدايا صغيرة من الولايات المتحدة الأمريكية، ككوب قهوة عليه شعار الكلية على سبيل المثال، فقد كان هذا العرف، إلا أني لم أحضر شيئاً. فقد ظننت أني قد رددت جميل مضيفيَّ في الغرفة التجارية بإخبار صديق لي هناك بأن المجلس القومي كان يوفر هذه الخدمة الإضافية للحكومة. وبينما كنت هناك حاولت أن أبحث عن كفيل - حيث كانت الطريقة الوحيدة للحصول على تأشيرة في المملكة - ليسمح لي بأن أكمل دراستي عن العمال الذين نظموا الإضرابات التي أدّت في النهاية إلى تفكيك جزء على الأقل من مؤسسات جيم كرو التي أحضرها الأمريكيون إلى المملكة، وكان الأصدقاء في الرياض والظهران يضحكون كلما سمعوا بذلك كما لو كانت نكتة. وألغت المسؤولة عن الأرشيف في أرامكو السعودية - وكما يدل الاسم فقد أصبحت شركة مملوكة بالكامل للدولة - موعدي بعد أن سمعت عما كنت أبحث. كنا قد التقينا بصحافيين سعوديين، وأكاديميين، ورجال أعمال، ومسؤولي حكومة، بمن فيهم وزير الخارجية، الذي كان حفيداً آخر للملك عبد العزيز وابناً للرجل الذي قام بأمور كثيرة من أجل سحق حركة الإصلاح في الستينيات من القرن العشرين. كما أنه تم أخذ المعلومات من الرفاق من المجلس القومي في السفارة الأمريكية في الرياض أو القنصلية في جدة، وكان الأفضل من بينهم هم الموظفين الاقتصاديين في السفارة[٢].

بعد قرابة العشر سنوات، كنت قد شاركت في لعبة أزمة انتقال الحكم في السعودية المدارة من قبل شركة تسمى سنترا للتقنيات (Centra Technologies) المؤسّسة من قبل عملاء سابقين لوكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه). أكثر عقود عمل سنترا تكون مع وكالة الاستخبارات أو هذا على الأقل ما أخبرني به المطّلعون على مجال العمل هذا. كنا خليطاً من الأكاديميين، ورجال أعمال، ومستشارين متخصصين في مجال النفط، ودبلوماسيين متقاعدين، ورجال ونساء من وكالة الاستخبارات نفسها؛ حيث

---

(٢) انظر:

Robert Vitalis, «The Closing of the Arabian Oil Frontier and the Future of Saudi-American Relations,» *Middle East Report*, no. 204 (1997), pp. 15-21.

كان يتم التعريف بهؤلاء الأخيرين عبر بطاقات تحتوي على اسمهم الأول فقط. اللعب من أجل التنبُّؤ بالمستقبل ليس مثل محاكاة الماضي على الرغم من أن بعضنا كان يؤدي دور رجال كانوا أطفالاً صغاراً زمن لقاء روزفلت بالملك عبد العزيز. كان رجلاً اسمه بوب هو من يترأس فريقي الممثل للأبناء الكبار من آل سعود. أدى هو دور عبد الله الذي كان وقتها ولياً للعهد والآن هو الملك. أنا أديت دور سلمان، أمير منطقة الرياض. بوب بدا مألوفاً لدي، فقد كان هو الموظف الاقتصادي في الرياض؛ حيث كان هذا هو الغطاء الذي تخفّى فيه خلال رحلة قصيرة، وقد أقرّ لي بذلك، كم هو عالم صغير!

* * *

استغرقت كتابة **مملكة أمريكا** عشر سنوات، استهلكت تقلّبات الحياة جزءاً من هذا الوقت، التدريس، الحب وفقدانه، والمرض، فقد أجريت عملية جراحية في القلب، ومررت بتجربة طلاق. حاولت أن أتذكر دوماً بأن كل الرجال والنساء في الكتاب هم بشر أيضاً، بمن فيهم بعض المنتمين إلى أسرة آل سعود الذين كانوا متعجرفين جداً تجاه الناس الذين قتلوهم أو تجاه حياة الآخرين التي دمروها خلال سعيهم إلى تثبيت السلطة. إلا أن الجزء الأكبر من الوقت كان مخصصاً للقيام بما هو ضروري للخروج بالقصة بشكل صحيح، والذي هو أفضل ما يمكن أن نتوقعه من العلوم الاجتماعية ـ ولدى أساتذة الجامعات كلمة منتقاة لما نفعله حتى نخرج بقصة صحيحة: المنهج.

فقد قمت بأمرين مختلفين عن أولئك الذين عملوا قبلي على موضوع أرامكو: **الأول**، أني وجدت واستخدمت مصادر أكثر من الآخرين. ففي بداية التسعينيات من القرن العشرين استحوذت جامعة جورج تاون على أوراق ويليام موليغان، أحد موظفي أرامكو، الذي قام بأخذ عدد من نسخ المستندات التابعة لمكتب العلاقات الحكومية (مستعربو الشركة ودبلوماسيوها) معه إلى ولاية نيوهامشير بعد تقاعده، وقد كانت مجموعة مذهلة. إن الشركات مهما كانت ليست كالدول من ناحية كونها لا تقوم عادة بالاحتفاظ بمستنداتها، أو في حال كانت تقوم بذلك لا تسمح عادة لأي باحث بالوصول إلى الأرشيف (وإن لم تصدقني، فجرّب). لم تكن أوراق موليغان متاحة عندما بدأت هذا المشروع (إلا إذا كنت على معرفة شخصية

به)، ولكن بعد إتاحتهم قمت تقريباً بقراءة كل وثيقة فيها. الصحافيون عادة يصرون على وجود مصدريْن مستقلّين من أجل تأكيد أي دعوى مختلف عليها قبل أن يتمّ تقريرها باعتبارها واقعة، إلا أنك لو قمت بالتدقيق فإنك ستجد أن هذه العادة بشكل عام قد ذهبت أدراج الرياح، وأن كثيرين يتعاملون مع أوراق موليغان باعتبارها ذات مصداقية عالية. مصادر أخرى ـ مذكرات المتقاعدين البالغة من العمر خمسين سنة أو الرسائل المنشورة أو كما تبين لاحقاً المعدلة للتنفيذي الأسطوري تيم بارغر ـ يتم معاملتها للأسف الشديد بالطريقة نفسها.

أعتقد أني أول باحث يعمل في موضوع أرامكو قام بقراءة، بالإضافة إلى ما سبق، كل صفحة من سجلّات وزارة الخارجية المفصح عنها للفترة نفسها التي كانت مؤلفة من حوالى ٣٠٠٠ صفحة، عمل مثل هذا يستغرق وقتاً ومالاً. هكذا، وعلى عكس لبمان الذي كتب عن أخطاء مسوّدة الكتاب «المفقود» لكاتب روايات الغرب الأمريكي الكبير ـ وكاتب السير الذاتية، والمؤرخ تحت الخدمة ـ والاس ستيغنر معتمداً على قصة أحد موظفي أرامكو، قرأت النسخة الأصلية للكتاب بالإضافة إلى مراسلات الكاتب مع الشركة التي تحكي قصة مختلفة بشكل جذري عن القصة التي اخترعتها الشركة ونقلها الصحافي بسهولة باعتبارها صحيحة، وهنالك أمثلة عديدة مشابهة في الصفحات القادمة.

لقد استغرق وقتاً حل كثير من المعضلات في كل ادعاء للحقيقة والذهاب إلى أبعد من مجرد الإشارة إلى أخطاء في المنطق أو في الطاقات الاستقصائية لهذا الكاتب أو ذاك. إنه لمن الضروري ـ ومرة أخرى، عرف العلوم الاجتماعية مهم هنا ـ أن نعرض قصة أفضل وأكثر إقناعاً من تلك التي تصرّ على أن الأمريكيين بنوا محمية قائمة على الفصل العنصري لأن السعوديين أمروهم بذلك، أو لأن رجال النفط الأمريكيين اقتبسوا عاداتهم السيئة من المسؤولين البريطانيين في البحرين، أو أن ولي العهد فيصل كان مجدداً، وهو من حافظت إصلاحاته غير الموجودة بطريقة ما على المملكة.

أما الفرق الثاني بين هذا العمل والأعمال الأخرى عن موضوع أرامكو هو التزامه بتناول مشكلة ادّعاء الخصوصية بشكل جدي. إن الأمر يحتاج إلى

وقت لتطوير المهارة اللازمة لكتابة تاريخ أفضل، تاريخ يستطيع تجاوز كل تلك الحدود التي أدّت إلى جعل البلاد غير متّصلة بغيرها من البلدان وبماضٍ اعتبر غير مهم. ولئن كان من الخطأ اعتبار أن مؤسسة التعليم في الأكاديمية الأمريكية وطغيان التخصص الأكاديمي من تبعات ادّعاء الخصوصية، فإنه من السهل رؤية كيف أن مجالات الدراسة المتنوعة والتخصص قد يعيد إنتاجها.

لقد قرأت لمؤرخي الغرب الأمريكي، كما أني قمت بجمع الأموال من أجل التعلّم في الدراسات الأفريقية ـ الأمريكية في سبيل كتابة هذا الكتاب. بدأت بالتدريس عن دبليو. إي. بي. دو بويز، ودرست كذلك مواد عن مستعمرات أمريكا العالمية. وكنتيجة لهذا جمع **مملكة أمريكا** تاريخ أمريكا والشرق الأوسط معاً، ولكن ليس باعتبارها قصة بدأت في شباط/فبراير من عام ١٩٤٥م، من لقاء روزفلت والملك عبد العزيز، كما يحدث عادة في عدة محاولات، يبيّن **مملكة أمريكا** لماذا كان ضرورياً أن نحطم الحائط بين أربعينيات القرن العشرين وكل ما حدث قبلها، وأن ندمر الحائط الآخر، والأكثر قوة، والذي كان يفهم سابقاً باعتباره فاصلاً بين أعراق ويفهم اليوم باعتباره فاصلاً بين ثقافات أو أمم، الذي يحمي أسطورة التاريخ المعزول والمستقل للولايات المتحدة الأمريكية.

لم أبدأ بكتابة الكتاب ضدّ ادعاء الخصوصية، لم يكن لدي حجة أبدأ بها بل فقط المعرفة بأن أسلافي لم يتعاملوا مع تاريخ أرامكو بشكل جدي بما فيه الكفاية وبعض مهارات التعامل مع الوثائق كنت قد طوّرتها عندما كنت أكتب كتابي الأول. عندما بدأت هذا المشروع كنت أصف نفسي بأني اقتصادي سياسي، وكنت أفكر بالاقتصاد السياسي باعتباره نوعاً من التنقيب عن الطبقة المادية الممتدة تحت الأيديولوجيا والثقافة. أما الآن، وبعد انتهاء عقد طويل من المجهود، بدأت أميل إلى استخدام استعارة أخرى والتفكير في عملي باعتباره نوعاً من الهندسة العكسية لعمليات محددة من صناعة الأساطير.

* * *

لقد ألفت كتاباً من ثمانية فصول، وكتبته بأسلوب سهل التلقي لكنه من النوع الذي يتبنى التركيب التاريخي و«أحكام شخصية قوية إن لم تكن

مهرطقة» كالتي قال برنارد ديفوتو (Bernard DeVoto) ـ الذي كان صديق العمر لستيغنر ـ «أن أساتذة الجامعات قد تخلوا عنها»[٣]. حاولت كتابة قصة معقدة بحيث لا مفر من هذه الحقيقة. لقد أضفت ثبتاً بأسماء الشخصيات حتى لا يخلط القراء بينهم، كما أني حاولت أن أبتعد عن الإحالات ضمن الأقواس أو داخل النص تلك الطريقة التي تسللت إلى كتابات أساتذة الجامعات منذ أن انضممت إلى هذه المهنة؛ إذ نقوم باستخدامها لنقنع أنفسنا بأن ما نفعله هو علم وليس فناً.

أولئك المتلهفون للحجة، كما أدرّس في صفوفي، وأولئك الذين يعتقدون أن أهم قيمة يمكن السؤال عنها في عمل ما هي مدى واقعيته بالنسبة إلى الشيء الذي ندعوه النظرية. هذا هو السؤال الذي نسأله باستمرار في محاضرات الدراسات العليا، وأحاديث العمل الأكاديمية، وأيضاً، بشكل محزن، بعد خروجنا من قاعة المحاضرة وتجمعنا مرة أخرى في مقهى الوايت دوغ أو مطعم الستاندارد تاب مستعدين لوقت أصعب. لقد تمّت كتابة الفصل الأول، «سرديات مأسورة»، وفي ذهني طلاب الدراسات العليا من المدمنين على بيرة اليونغلينغ وأساتذة الجامعات من المدمنين على نبيذ البينو نوار، أما بقية الكتاب فإنها ستجعل الدوار الذي يصيبك أشد سوءاً من الذي يصيبك بعد شربك لكثير من الكحول. فالقصة تنكشف بنغم هادئ، فأنا آمل أن يأخذ القراء هذا الكتاب معهم لقراءته على الساحل.

بعد تبيين ذلك، فإن بنية الكتاب سهلة جداً. فقد قمت بتقسيم الكتاب إلى قسمين: **الأول** يوثق تأسيس نظام الجيم كرو في الظهران في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. إلا أن هذا التاريخ لا يبدأ من يوم وصول محامي شركة شيفرون إلى الرياض لإتمام الصفقة مع الملك أو عندما حط أول جيولوجي رحاله قرب شواطئ الجبيل كما تبدأ التواريخ عن أرامكو عادة. فبشكل مخالف لهذه الأعمال، فالهدف هنا ليس دفن الأجزاء التي تفضّل الشركات والأفراد ألا تراها، ولهذا فإن الفصل الثاني يسرق جهازاً

(٣) Sean Wilentz, "America Made Easy," *New Republic* (2 July 2001), p. 3, <http://www.newrepublic.com/article/books-and-arts/90636/david-mccullough-john-adams-book-review>.

من فيلم أرامكو الروائي الطويل جزيرة الله (١٩٥٥) أو من أي فيلم قبله أو بعده. تصوّر الفصل وكأنه مشهد استرجاعي (Flashback). تخيّل نفسك جالساً حول نار في مخيم في الصحراء تستمع إلى قصة عن صعود مشاريع التنقيب كبيرة الحجم وعن طبيعة الحياة والعمل داخل المخيمات المختلفة للبيض، وللمكسيكيين، وللصينيين، وغيرهم. تبدأ القصة بصورة للظهران وما كان يعرف حينها بالحي الأمريكي في يوم من أيام عام ١٩٤٧م، ثم بعد ذلك تبدأ بالعودة إلى الوراء للمقاطعات الغربية لشمال أمريكا وشمال المكسيك في أواخر القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى، ثم من هناك إلى فنزويلا وكولومبيا في عشرينيات القرن العشرين، ثم إلى البحرين في العقد الثالث وذلك قبل العودة مجدداً إلى الساحل الشرقي للسعودية. وستعرف السبب قريباً جداً. ولن يمضي الزمان باتجاه واحد إلا في بقية الكتاب حيث سينتهي القسم الأول عندما بدأت الشركة بتشكيل ردة فعل على أولى الإضرابات العمالية في الظهران.

يحكي القسم **الثاني** قصة تحدي العمال للهرمية في المخيمات في أرامكو في العقد الخامس من القرن العشرين والتحدي الموازي الذي قامت به مجموعة صغيرة من التقدميين السعوديين في الحكومة أواخر العقد الخامس وبداية العقد السادس للهرمية في سوق النفط العالمي. لقد كانت لحظة استثنائية، وأغلب تفاصيلها مجهول أو غير منشور على الأقل، لكنها أيضاً كانت لحظة قصيرة. الفصول الأخيرة تتبع هزيمة هذه القوى في ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م وتركّز مملكة أمريكا تحت حكم ثالث الملوك فيصل وإخوته المعروفين بالسديريين السبعة، وهو الفرع من الأسرة الحاكمة الذي ما زال يحكم حتى الآن.

إذا كنت لا تطيق الصبر، وتريد معرفة معنى هذا كله، فلا تقرأ بالترتيب، بل ابدأ من آخر فقرة فرعية(*) من الفصل الأول، حيث ستجد الحجة ملخصة، ثم بعد ذلك اقرأ الفقرة الفرعية الموجودة في آخر الفصل الرابع والمعنونة بـ«تكرار: الغسق عند الفجر» والفقرة الثالثة من الفصل الثامن حتى الفقرة الفرعية المسماة «أيام جميلة». في هذه الأجزاء ستجد

(*) في كل فصل مجموعة فقرات، وتحت كل فقرة مجموعة فقرات فرعية (المترجم).

تلخيصاً لكل من القسم الأول والثاني. ربما أنت، كطلاب الدراسات العليا، لا تملك من الوقت أكثر مما يكفيك لقراءة هذه الصفحات. لكن إذا كان لديك الوقت ومستعد لتحمل القليل من التجريد مقابل بعض المعلومات الخلفية فاقرأ الكتاب من الغلاف إلى الغلاف، أما إذا كنت تريد القصة فقط فتجاوز الفصل الأول: وابدأ من القسم الأول، «أقرب الأماكن بعداً»، وهو العنوان المأخوذ من السيرة المنشورة للتو لأبناء الشاطئ(*).

لا حاجة إلى القول: إني تركت نفسي عرضة لبعض الانتقادات. أنا أتطلع إلى ذلك كأي شخص اعتنى بشكل شغوف بعمل ما أو حول ما سعى العمل أن يؤديه. دعوني أوفر بعض الجهد والوقت لأجيب مسبقاً عن انتقادين واضحين وفي الوقت نفسه ـ مع اعتذاري ـ ليسا مثيرين للاهتمام، لعلّنا نبدأ من مكان أعلى بعض الشيء.

لمن يريد تاريخاً شاملاً عن أرامكو يشمل قضايا التقنية والمالية والإدارة وفوق ذلك كله التفوق الأمريكي على منافسيه، فإن **مملكة أمريكا** ليس هو الكتاب الذي تبحث عنه، وهذا ببساطة لأنه لم يرد له أن يكون كتاباً عن تاريخ الشركة. دعني أكون واضحاً معك أكثر هنا، فهذا الكتاب هو بشكل أساس قصة بناء محمية جيم كرو على الساحل الشرقي من السعودية عند نهاية الحرب العالمية الثانية، إنه تفسير، إن لم يكن الكلمة الأخيرة، لعلة تنظيم العمل بهذه الطريقة، وتفسير بداية تدهورها. التحدي للباحثين المستقبليين لن يكون في اختبار أو ـ إن كان ضرورياً ـ مراجعة دعواي حول كون أرامكو متخلفة عن منافساتها في إيران والعراق وعن مشروع ملاكها في فنزويلا في مجالات مثل التعليم والتدريب والترقية في المهام الإدارية؛ فالمهمة في المستقبل تتمثل في دحض نظريتي حول تفسير هذا التخلف.

ثم هناك الذين سيكونون بدرجة ما غير متكدرين حول ما سأقوله عن أرامكو لكن سيقلقون حول فشلي في تصوير التجربة السعودية بعمق أكثر، أو في فهم ما يسمى الطابع الأصيل للسعوديين، أو في إضافة أصوات سعودية كافية ومتنوعة. هذا النوع من النقد يخطئ الهدف، فأنا أتطلع إلى احتمالية

(*) أبناء الشاطئ (Beach Boys) هي فرقة لموسيقى الروك تشكلت في كاليفورنيا عام ١٩٦١ وحتى الوقت الحالي (المترجم).

قدوم عالم أفضل ومختلف حيث يتمكن بعض الذين يعيشون في السعودية من البدء أخيراً بالقيام بذلك النوع من البحث ونشر ما انتظر كثيرون طويلاً حتى يروه؛ إلا أن كتابي هذا ليس عن المملكة العربية السعودية، إنه عن أمريكا، إنه فقط يوجد في مكان ويخبرك أكثر مما فعل الآخرون عن مكان آخر.

ثبت الشخصيات

الأعضاء البارزون من أسرة آل سعود

عبد العزيز آل سعود (١٨٨٠ ـ ١٩٥٣م)

مؤسس المملكة العربية السعودية. ولد في الرياض وعاش في المنفى في الكويت من ١٨٩١م حتى ١٩٠٢م وهو العام الذي قاد فيه حملة للاستيلاء على الرياض. قام بحملات توسعية خلال العقد الأول والثاني من القرن العشرين ليضم الأراضي التي تتكون منها المملكة اليوم.

سعود بن عبد العزيز (١٩٠٢ ـ ١٩٦٩م)

خلف والده عبد العزيز كحاكم للمملكة إلا أنه خسر بعد صراع طويل مع أخيه فيصل على حكم الدولة، أسقط من الحكم عام ١٩٦٤م، ومات في المنفى في اليونان.

فيصل بن عبد العزيز (١٩٠٤ ـ ١٩٧٥م)

حاكم الحجاز ووزير الخارجية خلال السنوات الأولى للمملكة، أصبح ولياً للعهد بعد تولي أخيه سعود الحكم عام ١٩٥٣م الذي انقلب عليه عام ١٩٦٤م وتم اغتياله عام ١٩٧٥م.

فهد بن عبد العزيز (١٩٢١ ـ ٢٠٠٥م)

أكبر الأخوة الذين يمثلون «السديريين السبعة»، وهم أبناء الملك عبد العزيز الذين دعموا فيصلاً في صراعه مع سعود. وصل إلى العرش في عام ١٩٨٢م بعد وفاة أخيه خالد، وكان قبلها وزيراً للداخلية والنائب الثاني لمجلس الوزراء في عهد الملك فيصل. في عام ١٩٩٥م أصبح عاجزاً عن أداء مهامه بسبب سكتة دماغية إلا أنه بقي الحاكم الشكلي حتى وفاته.

طلال بن عبد العزيز (ولد ١٩٣١م)

أهم «الأمراء الأحرار»، تم نفيه من المملكة عام ١٩٦٢م بسبب انتقاداته

لفيصل ودعمه لعبد الناصر في مصر ومطالبته بدستور. سمح له بالعودة عام ١٩٦٤م إلا أنه لم يمنح أي منصب رسمي إلا في عام ٢٠٠٥م عندما عين مستشاراً للملك عبد الله.

مسؤولون وشخصيات رئيسة سعودية

كمال أدهم (توفي ١٩٩٩م)

أخ غير شقيق لزوجة الملك فيصل(*) ورئيس الاستخبارات السعودية من ١٩٦٣م إلى ١٩٧٩م. أحد المتعاونين الرئيسين مع السي آي إيه في الفترة نفسها، تمت محاكمته عام ١٩٩٢م في قضية احتيال مصرفي انتهت بأن يعترف بالذنب مقابل أن يقوم الادعاء بتخفيض العقوبة عليه.

أنور علي

اقتصادي في صندوق النقد الدولي ورئيس قسمه في الشرق الأوسط، عيّن محافظاً لصندوق النقد السعودي عام ١٩٥٨م حيث بقي في منصبه حتى عام ١٩٧٤م.

محمد علي رضا

من عائلة تجارية ذات نفوذ في جدة، أسس غرفة جدة التجارية، وهو حليف لفيصل. كان قد انضم مؤقتاً إلى قوات الملك سعود أخي فيصل عام ١٩٦٠م، وبعد المصالحة عام ١٩٦٣ عيّن مبعوثاً سعودياً في مصر.

محمد بن لادن (توفي ١٩٦٨م)

هاجر من اليمن إلى السعودية عام ١٩٣١م ليتحول إلى مقاول ثري وحليف للملك عبد العزيز وابنه الملك سعود، وهو والد أسامة بن لادن.

عبد العزيز بن معمر (١٩١٩ ـ ١٩٨٤م)

تكنوقراط، عُيّن مستشاراً للملك سعود عام ١٩٥٨م، وكان أحد أهم مهندسي عملية الانفتاح السياسي في عام ١٩٦٠م. سجنه فيصل ١٢ سنة بعد أن استحوذ الأخير على الحكم من سعود.

(*) يقصد زوجته عفت (المترجم).

عبد الرحمن منيف (١٩٣٣ ـ ٢٠٠٤م)

كاتب، ولد في الأردن لعائلة ذات أصول سعودية، لم يقم لفترة طويلة في السعودية. حصل على درجة الدكتوراه من بلغراد عام ١٩٦١م وعمل في صناعة النفط في العراق. جرّد من جنسيته السعودية عام ١٩٦٣م بسبب انتقاداته للأسرة الحاكمة. كاتب **مدن الملح**، الخماسية الروائية التي تتناول تأسيس النفط والدولة في صحراء متخيلة لمملكة تدعى موران.

هشام ناظر (ولد عام ١٩٣٢م)

تلميذ عبد الله الطريقي. خلف زكي يماني وزيراً للنفط في الفترة ما بين ١٩٨٦ ـ ١٩٩٥م. عيّن أول رئيس سعودي لأرامكو السعودية بعد تأميمها في عام ١٩٨٩م، في الوقت نفسه الذي كان يمارس فيه وظيفته الحكومية.

رشاد فرعون (توفي ١٩٧٩م)

انتقل من سوريا إلى السعودية عام ١٩٣٦ باعتباره كبير أطباء الملك عبد العزيز، وعمل كمستشار سياسي مخلص لكل من الملك فيصل والملك خالد.

ناصر السعيد (توفي ١٩٧٩م)

ناشط عمالي. هرب من البلاد عام ١٩٥٦ في وقت آخر إضراب عمالي كبير لعمال أرامكو واستقر في القاهرة حيث استمر في حملته ضد النظام السعودي. بعد إخراجه من مصر، عاش في اليمن وبيروت، وقد تم اغتياله من قبل أشخاص غير معروفين.

عمر السقاف

أحد أكثر الموالين لفيصل إخلاصاً، عيّن أولاً وكيلاً لوزير الخارجية في أثناء حكم سعود، ثم تمت ترقيته في عهد فيصل إلى وزير.

أحمد الشقيري (١٩٠٨ ـ ١٩٨٠م)

محام ودبلوماسي فلسطيني. كان ممثل السعودية في الأمم المتحدة من ١٩٥٧م إلى ١٩٦٢م حيث كان أحياناً ينتقد سياسات أمريكا. وفي عام ١٩٦٤م، أصبح أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية المكونة حديثاً.

عبد الله الطريقي (١٩١٧ ـ ١٩٩٧م)

أول سعودي يحصل على درجة دراسات عليا من الولايات المتحدة في جيولوجيا النفط. عيّن مديراً عاماً لمكتب شؤون النفط والثروة المعدنية عام ١٩٥٤م وأول وزير للنفط عام ١٩٦٠م. نفي تحت حكم فيصل واستقر في لبنان.

مصطفى وهبة

اقتصادي وصديق مقرب لعبد الله الطريقي، عيّن وكيل وزارة المالية في عام ١٩٦٠م. هو ابن الشيخ حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز المصري وسفيره في إنكلترا.

أحمد زكي يماني (ولد عام ١٩٣٠م)

عيّن من قبل فيصل مكان الطريقي كوزير للنفط عام ١٩٦٢م. عمل سكرتيراً عاماً لمنظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك). اشتهر بكونه من طبّق حظر النفط عام ١٩٧٣م. تمت إقالته من قبل الملك فهد في عام ١٩٨٦م.

يوسف ياسين (توفي عام ١٩٦٢م)

سوري عمل بوصفه كبير مفاوضي السعودية ووزير الخارجية الفعلي للملك عبد العزيز في بدايات الدبلوماسية السعودية الأمريكية. بقي أحد المستشارين المقربين للملك سعود حتى وفاته.

زعماء من الشرق الأوسط

الملك حسين (١٩٣٥ ـ ١٩٩٩م)

ملك الأردن الذي حكم طويلاً منذ كان في السادسة عشر من عمره. سليل الأسرة التي حكمت مملكة الحجاز التي استقلت لفترة قصيرة وتعتبر الآن المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية.

محمد مصدق (١٨٨٢ ـ ١٩٦٧م)

رئيس وزراء إيران المنتخب عام ١٩٥١م. قام بتأميم النفط الإيراني وأجبر الشاه على التنازل عن التحكم بالجيش للبرلمان. تم إسقاطه من الحكم عام ١٩٥٣م بواسطة انقلاب عسكري تم تدبيره من قبل السي آي إيه بالتعاون مع الاستخبارات البريطانية.

جمال عبد الناصر (١٩١٨ ـ ١٩٧٠م)

قائد «الضباط الأحرار» الذين قاموا بانقلاب ضد الملكية في مصر عام ١٩٥٢م. عمل كرئيس وزراء ثم كرئيس من ١٩٥٤م إلى ١٩٧٠م. صعد نجمه بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م كأكثر الزعماء العرب نفوذاً وتأثيراً ودعماً للقومية العربية بشكلها الذي عادة ما يشار إليه بالناصرية.

عبد الكريم قاسم (١٩١٤ ـ ١٩٦٣م)

ضابط عراقي وزعيم انقلاب حدث عام ١٩٥٨م. حكم بوصفه أول رئيس وزراء للثورة. كان وطنياً عراقياً وفياً. أنهى اتحاداً قصير الأمد بين العراق والأردن، رافضاً ضم العراق إلى الوحدة بين سوريا ومصر، وقاوم التدخل الأمريكي في المنطقة، وتم إعدامه من قبل أعضاء في حزب البعث عام ١٩٦٣م.

عبد الله السلال (١٩١٧ ـ ١٩٩٤م)

قاد الانقلاب ضد إمام اليمن عام ١٩٦٢م. أصبح رئيساً للجمهورية الجديدة للسنوات الخمس التالية. وفي الوقت الذي كانت مصر تدعم فيه انقلاب السلال ووفرت دعماً اقتصادياً وعسكرياً في الحرب الأهلية الطويلة، كانت السعودية تدعم الملكيين، وتم إسقاطه بانقلاب عام ١٩٦٧م.

موظفو أرامكو

توم بارغر (١٩٠٩ ـ ١٩٨٦م)

جيولوجي. انضم إلى شيفرون في السعودية عام ١٩٣٧م. رأس مؤسسة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو في خمسينيات القرن العشرين، وأصبح رئيساً للشركة عام ١٩٥٩م، وتقاعد من منصبه كرئيس تنفيذي عام ١٩٦٩م.

جيمس تيري ديوس (١٨٩٣ ـ ١٩٦٥م)

جيولوجي ورئيس الشركة التابعة لتكساكو في كولومبيا. انضم إلى أرامكو بوصفه نائباً للرئيس عام ١٩٣٩م. أصبح أكبر موظفي الشركة في واشنطن. ساهم في تأسيس معهد الشرق الأوسط في واشنطن ومركز هارفرد لدراسات الشرق الأوسط. تقاعد عام ١٩٥٩م.

ويليام إيدي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٢م)

مستعرب مولود في سوريا وكان يعمل في البحرية الأمريكية، كان عميلاً

لمكتب الخدمات الاستراتيجية ثم عين أول وزير مفوضاً لأمريكا في السعودية خلال الحرب العالمية الثانية. انضم إلى أرامكو بوصفه مستشاراً عام ١٩٤٧م في حين أنه كان يعمل في الوقت نفسه عميلاً للسي آي إيه الحديثة التأسيس.

ويليام موليغان (١٩١٨ ـ ١٩٩٢م)

انضم إلى مؤسسة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو عام ١٩٤٦م بعد أن كان يعمل في القوات الجوية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية. كان مؤرخاً غير رسمي لشركة أرامكو، كان يساهم بكثافة في مجلة الشركة **عالم أرامكو** (*Aramco World*) وجريدتها **ذا آرابيان صِن** (*The Arabian Sun*).

جورج رنتز (توفي عام ١٩٨٨م)

مستعرب متخرج من بيركلي. أدار قسم الشؤون العربية والترجمة (١٩٤٦ ـ ١٩٦٣م)، انتقل إلى كاليفورنيا ليعمل أميناً في قسم الشرق الأوسط في مؤسسة هوفر.

هاري سنايدر (١٩٠٦ ـ ١٩٨٨م)

ضابط القوات الجوية الأمريكية الذي ترأس أول برنامج لتدريب السعوديين في قاعدة الظهران الجوية. تم تعيينه من قبل أرامكو عام ١٩٤٩م كمنسق للخدمات التعليمية.

ماكس ستينكي (توفي ١٩٥٢م)

أحد جيولوجيي أرامكو وخريج ستانفورد. اشتهر لاكتشافه أول الآبار المنتجة في المملكة العربية السعودية وتنقيبه عنها في ثلاثينيات القرن العشرين.

سلالة فيلبس دودج

بايارد دودج (١٨٨٨ ـ ١٩٧٢م)

تربوي بارز، وهو ابن كلفلاند هودلي دودج، انضم إلى هيئة تدريس الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩١٣م وأصبح رئيساً لها من ١٩٢٢م إلى ١٩٤٨م.

كلفلاند هودلي دودج (١٨٥٩ ـ ١٩٢٦م)

مسؤول في شركة فيلبس دودج الذي موّل حملة وودرو ولسون الانتخابية للرئاسة، ابن ويليام إيرل دودج جونيور.

ديفيد دودج (ولد عام ١٩٢٨م)

ابن بايارد دودج، انضم إلى أرامكو في ١٩٤٩م، انتقل إلى التابلاين في ١٩٥٤م ليصبح في ما بعد نائب رئيسها. وعمل بعد تقاعده رئيساً للجامعة الأميركية في بيروت.

ويليام إيرل دودج (١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)

تاجر وصاحب أعمال خيرية، أحد الشركاء المؤسسين لشركة فيلبس ودودج وشركائهم، مؤسس جمعية الفتية المسيحيين. أحد الممولين الأصليين لما ستصبح في ما بعد الجامعة الأميركية في بيروت.

ويليام إيرل دودج جونيور (١٨٣٢ ـ ١٩٠٣م)

قاد توسع شركة فيلبس دودج نحو التنقيب عن النحاس غرباً. ابن ويليام إيرل دودج وأخ ديڤيد ستيوارت دودج مؤسس الكلية البروتستانتية السورية (التي ستصبح لاحقاً الجامعة الأميركية في بيروت).

جيمس دوغلاس (١٨٣٧ ـ ١٩١٨م)

مهندس تنقيب كندي تم توظيفه في شركة فيلبس دودج عام ١٨٨١م لمعاينة الأملاك في أريزونا مما قاد إلى السيطرة على المناجم في بيسبي ومورنسي. رئيس مجلس الإدارة من ١٩١٦م حتى وفاته.

والتر دوغلاس (١٨٧١ ـ ١٩٤٦م)

ابن جيمس دوغلاس وهو رئيس مؤسسة فيلبس دودج من ١٩١٨م إلى ١٩٣٠م. قاد حملة الشركة ضد الاتحاد الغربي للمناجم خلال إضراب العمال عام ١٩١٥م في كلفتون مورنسي في ولاية أريزونا.

أنسون فيلبس (١٧٨١ ـ ١٨٥٣م)

أسس شركة فيلبس دودج في عام ١٨٣٤ مع زوج ابنته ويليام دودج.

تجار نفط ومستثمرون

إدوارد دوني (١٨٥٦ ـ ١٩٣٥م)

أحد روّاد نفط كاليفورنيا استثمر في صناعة النفط المكسيكية، حوكم ولكنه تمت تبرئته من تهم الرشوة في فضيحة تيبوت دوم (Teapot Dome).

خوان بيريز ألفونسو (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م)

وزير نفط فنزويلا تحت رئاسة روميلو بيتانكورت (Rómulo Betancourt). أسس مبدأ اتفاقية مناصفة الأرباح مع الشركات الأجنبية العاملة في فنزويلا ليصبح معياراً عالمياً في خمسينيات القرن العشرين. وهو مهندس منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) في عام ١٩٦٠ مع عبد الله الطريقي.

نلسون روكفلر (١٩٠٨ ـ ١٩٧٩م)

مستثمر ورجل دولة، السكرتير المساعد لوزير الخارجية لشؤون أمريكا اللاتينية في الحرب العالمية الثانية، ومدير شركة كريول للبترول، التابعة لإكسون. انتخب نائباً لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٤م.

وينثروب روكفلر (١٩١٢ ـ ١٩٧٣م)

سياسي وصاحب أعمال خيرية. أخو نلسون روكفلر. أدار شركة أسرته النفطية: سوكوني ـ فاكيوم (Socony-Vacuum Oil Company) التي اندمجت في ما بعد مع شركة موبيل. تقاعد عام ١٩٥١م.

رجال أعمال أمريكيون ومسؤولون حكوميون

شارلز كرين (١٨٥٨ ـ ١٩٣١م)

صناعيّ من شيكاغو وصاحب أعمال خيرية. وهو من أوائل الأمريكيين الذين تواصلوا مع الملك عبد العزيز، عرض مساعدات لفحص الموارد المائية والمعدنية.

ألن دولس (١٨٩٣ ـ ١٩٦٩م)

دبلوماسي ومحام، وفي عام ١٩٥٣م كان أول مدني يترأس جهاز السي آي إيه. تميّز بإزالة الزّعماء الأجانب الذين كانوا يشكلون تهديداً للمصالح

الأمريكية من بينهم مصدق إيران وآربنز غواتيمالا (Arbenz of Guatemala). انتقد بشدة مأساة خليج الخنازير في كوبا وتمت إقالته عام ١٩٦١م.

باركر هارت (١٩١٠ ـ ١٩٧٧م)

موظف عام من أوائل المستعربين في الخدمات الخارجية الأمريكية، افتتح أول قنصلية في الظهران عام ١٩٤٤م، وأصبح سفيراً في السعودية في الفترة ١٩٦١ ـ ١٩٦٥م.

هارولد هوسكنس (١٨٩٥ ـ ١٩٧٧م)

ولد في بيروت، تاجر أقمشة، انضم إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية. مستشار لشركة إكسون في أربعينيات القرن العشرين. موظف بالتعاقد مع السي آي إيه في أوائل خمسينيات القرن العشرين، مدير معهد الخدمات الأجنبية (١٩٥٥ ـ ١٩٦١) وأحد أعضاء مجلس أمناء الجامعة الأميركية في بيروت.

هارولد آيكي (١٨٧٤ ـ ١٩٥٢م)

عيّنه فرانكلين روزفلت وزيراً للداخلية عام ١٩٣٣م. ترأس إدارة الأعمال العامة. أدار مصادر الطاقة في الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية.

عيسى صباغ

فلسطيني درس في بريطانيا حيث عمل في البي بي سي. تم توظيفه من قبل وزارة الخارجية الأمريكية لبدء الخدمة العربية لإذاعة صوت أمريكا عام ١٩٥٠م. عمل في أرامكو في الخمسينيات من القرن العشرين إلا أنه عاد إلى العمل في الحكومة وذلك في وكالة المعلومات الأمريكية.

والت روستو (١٩١٦ ـ ٢٠٠٣م)

مؤرخ اقتصادي في جامعة أم آي تي. أحد أهم منظري مدرسة «التحديث». وكيل مستشار الشؤون الأمنية في إدارة كينيدي. عيّنه لندون جونسون مستشاراً للأمن القومي في عام ١٩٦٦م وأدى دوراً مهماً في صياغة سياسة الولايات المتحدة خلال الحرب الفييتنامية.

آخرون

دبليو إي بي دو بوا (١٨٦٨ ـ ١٩٦٣م)

تربوي وناشط وكاتب كثير الإنتاج، أسس الجمعية الوطنية لدعم الشعوب الملونة (NAACP) في عام ١٩٠٩م. كان أحد كبار المناضلين في قضية السود في أمريكا قبل أن يخيب أمله من الولايات المتحدة ويقرر الهجرة إلى غانا.

هاري جون بريدجر فيلبي (١٨٨٥ ـ ١٩٦٠م)

كاتب ومستكشف وموظف سابق في الشؤون الخارجية البريطانية. تم إرساله إلى السعودية في عام ١٩١٧م. وفي عام ١٩٣٠م استقال من منصبه البريطاني واعتنق الإسلام وغير اسمه إلى الحاج عبد الله. بقي في الرياض كمستشار للملك عبد العزيز لحوالى ثلاثين عاماً.

والاس ستيغنر (١٩٠٩ ـ ١٩٩٣م)

كاتب أمريكي حائز على جوائز (جائزة البوليتزر، وجائزة الكتاب القومي). أسس برنامج الكتابة الإبداعية في جامعة ستانفورد. تم استكتابه من قبل أرامكو في عام ١٩٥٥م لكتابة تاريخ السنوات الأولى للشركة الذي رفضت الشركة نشره في ما بعد.

كارل تويتشيل (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨م)

مهندس تنقيب أرسله تشارلز كراين إلى السعودية عام ١٩٣١م للقيام بمسح جيولوجي للمنطقة. أدت نتائج مسحه إلى أن تقوم شركة شيفرون بالاستثمار في البلد.

بوكر واشنطن (١٨٥٦ ـ ١٩١٥م)

ولد عبداً، ثم تحوّل إلى أحد أكثر الزعماء السود نفوذاً في زمنه. أسس في عام ١٨٨١م ما يعرف اليوم باسم جامعة توسكيجي، انتقد من قبل معاصريه من أمثال دو بوا لرفضه مكافحة الفصل العنصري.

مينورو ياماساكي (١٩١٢ ـ ١٩٨٦م)

معماري أمريكي. قام بتصميم مطار الظهران والمقر الرئيس لصندوق النقد السعودي في الرياض ومركز التجارة العالمي في مانهاتن من بين غيرها من المشاريع.

الفصل الأول

سرديات مأسورة
مقدمة موجزة وغير استثنائية لتاريخ الشركات والدول

لم يهمل دوني (Doheny) الفنون البصرية، فقد تعاقد مع رسام أوروبي، دتلف سامان (Detleff Sammann)، ليبدع له جدارية على حيطان مكتبه في المنزل الرقم (٨) في تشستر بلايس(*). طلب دوني بأن يصوّر العمل تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بأكمله ـ من وصول الحجاج(**) إلى اكتشاف النفط، حيث يظهر المشهد الأخير دوني وشريكه الأخير، تشارلز كانفيلد، مكتشفين النفط في لوس أنجلوس القديمة عام ١٩٨٢م.

مارغريت ليسلي دافيس (Margaret Leslie Davis)
الجانب المظلم من الثروة

مقدمة

يخبرنا **التيه** ـ أول أجزاء خماسية عبد الرحمن منيف **مدن الملح** ـ قصة اكتشاف النفط وبروز حركة العمال السعودية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. كان منيف يتكلم عن مملكة موران، لكننا نعلم أنه يكتب عن المملكة العربية السعودية، البلد الذي تبرأ منه عام ١٩٦٣م؛ إذ ضم الشاب الصغير منيف صوته إلى أصوات أولئك العمّال والمثقفين ومعارضين

(*) تشستر بلايس (Chester Place) يعتبر أول مجمع سكني مغلق في مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا. اشتهر بقربه من جامعة ساوثيرن كاليفورنيا وبسكانه من الطبقة المخملية من أمثال إدوارد دوني. في عام ١٩٦٢م، تبرعت به زوجة إدوارد، إيستيل، ليتحول إلى حرم تابع لكلية ماونت سانت ماري (المترجم).

(**) الحجاج (Pilgrims) اسم يطلق على أوائل المستوطنين في الولايات المتحدة الأمريكية، وهم فرع من جماعة دينية منشقة عن الكنيسة الأنغليكانية تدعى البراونية، نسبة إلى روبرت براون، وشكلوا أغلبية ركّاب سفينة مايفلاور (Mayflower) التي تعتبر ـ بحسب السردية السائدة ـ رحلتها إلى العالم الجديد والميثاق الذي تم عقده فيه بين ركابها بداية الديمقراطية والحكم الذاتي في العالم الجديد (المترجم).

آخرين في مطالبة الأسرة الحاكمة، آل سعود، بقبول حدود دستورية لسلطتهم العشوائية والمطلقة، إلا أن تلك اللحظة انتهت بهزيمته ورفاقه. بعد ذلك عاش منيف ما تبقى من حياته في المنفى، بينما كان الآخرون أقل حظاً منه. وعندما تُوفي في دمشق عام ٢٠٠٤م، كان جيل جديد من السعوديين المعارضين قد بدأ بالمطالبة بإصلاح سياسي للمرة الثانية فيسجن أيضاً لأنه تحدى استبداد الطغمة النفطية(*) السعودية التي ما زالت متماسكة.

في استحضاره للماضي، لعالم ما قبل النفط، استعار منيف واحدة من أشهر المجازات في الأدب الغربي: الجنة التي وجدت كما لو كانت خارج الزمان.

«إنه وادي العيون...

فجأة، وسط الصحراء القاسية العنيدة، تنبثق هذه البقعة الخضراء، وكأنها انفجرت من باطن الأرض أو سقطت من السماء. فهي تختلف عن كل ما حولها، أو بالأحرى ليس بينها وبين ما حولها أية صلة، حتى ليحار الإنسان وينبهر، فيندفع إلى التساؤل ثم العجب «كيف انفجرت المياه والخضرة في مكان مثل هذا؟».

لكن هذا العجب يزول تدريجياً ليحل مكانه نوع من الإكبار الغامض ثم التأمل. إنها حالة من الحالات القليلة التي تعبر فيها الطبيعة عن عبقريتها وجموحها، وتبقى هكذا عصيّة على أي تفسير.

وتبدأ حركة التاريخ في **مدن الملح** مع قدوم الأمريكيين إلى موران وواحتها وادي العيون؛ حيث يبدأ هذا التاريخ بتطهير البلدة من رجالها وعوائلهم، فمنقِّبو النفط يدمرون الواحة الخصبة، والأهالي يُجبَرون على ترك منازلهم، على الرغم من أن بعضهم سوف ـ كما لو كان ذلك مقدراً عليه ـ يبني شكلاً جديداً من التضامن الاجتماعي بوصفهم عمالاً في مخيمات النفط على ساحل الخليج.

وقد خدمت ثيمة تدمير جنة عدن عدداً لا يكاد يحصى من الكتّاب ـ في زماننا هذا ـ ومنتجي الأفلام الذين لم يكفوا عن إخبارنا بقصص عن تدمير طبيعة، أو أشكال طبيعية من التضامن، أو مجتمعات كاملة وأنماط حياة

(*) استخدم الكاتب مصطلح (oilgarchy) وهو تعريف لمصطلح (oligarchy) الذي يعني حكم الطغمة أو القلة. استبدل الكاتب الحرفين الأولين لتصبح أول الكلمة تعني (النفط)، ولهذا ترجمتهما بـ(حكم الطغمة النفطية) (المترجم).

محدّدة من قِبل قوى قادمة من الخارج، سواء أكانت الرجل الأبيض، أو التقنية الغربية، أو الرأسمالية، أو سكة الحديد، أو صناعة النفط. انظر مثلاً، في مجال الغرب الأمريكي، إحدى الروايات الأولى للحائز على جائزة البوليتزر(*) والاس ستيغنر، أو تصفح واحدة من مقالات عام ١٩٦٠م المصوّرة للمجموعات المحافظة على البيئة من أمثال أصدقاء الأرض أو نادي سييرا، أو شاهد فيلم «رقصات مع الذئاب» المنتَج عام ١٩٩٠م.

كثيرون منا متعلقون بشدة باعتقاد وجود شيء يشبه طبيعة عذرية لم تتدنس، أو بوجود أقوام لم يتم إفسادهم يعيشون بتناغم مع الطبيعة، وهذا الاعتقاد قوي لدرجة عدم تأثره على الرغم من محاولة العلماء تفكيك مثل هذه الأساطير، إلا أن هناك أسطورة أخرى أكثر تماسكاً وعملية اليوم في التواريخ المتخيلة للأقوام من تلك التي تحكي قصة ضياع الفردوس. فهناك نسخ متعددة من أسطورة عن شعب متميز أو مختار استطاع بكيفية ما أن يفلت من تاريخ استطاع أن يوقع بمن قبله من أمم وقبائل وأعراق أقل حظاً منه. إحدى هذه النسخ التي بُدِئ التحدث عنها منذ ثلاثينيات القرن العشرين من قِبَل أشخاص تمّ الدفع لهم من الرياض أو من شركة نفط في سان فرانسيسكو ـ كأمين الريحاني، حافظ وهبة، خير الدين الزركلي، كارل تويتشل (Karl Twitchell)، سانت جون (الذي غير اسمه إلى عبد الله فيما بعد) فيلبي (John Philppy)، وجورج رنتز (George Rentz). جميع هؤلاء قالوا: إنه كان قدراً أن يقوم آل سعود بتوحيد أراضي وقبائل الجزيرة العربية وتأسيس دولة ـ أمة حديثة لا تشبه غيرها: المملكة العربية السعودية.

الخصوصية السعودية

في شباط/فبراير من عام ٢٠٠٤م شاركت في مؤتمر عن مستقبل العلاقات السعودية ـ الأمريكية حيث جادل أمير كان من بين الحضور بأنه «في بعض الأحيان أشعر أننا نحن السعوديين نزلنا من السماء واستقرّينا في الأرض، كما لو أننا مخلوقات فضائية، ذلك أنه لا يوجد نماذج أو نظريات

(*) جائزة البوليتزر (Pulitzer Prize) هي جائزة تشرف عليها جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك يتم من خلالها تكريم الأعمال الصحافية والأدبية والموسيقية. تم تدشينها عام ١٩١٧ كجزء من وصيّة الناشر الأمريكي جوزيف بوليتزر (المترجم).

تناسب ظروفنا الخاصة، بل إننا دائماً نناقضها»[1]. كان أول ما فكرت فيه هو أطياف من منيف وبلدة وادي العيون الهابطة من السماء. أما الأمر الثاني فهو أننا هنا أمام تعبير صريح لما يدعوه أساتذة الجامعات بادعاء الخصوصية (Exceptionalism)، أي ذلك الاعتقاد بأن هناك سُنَّة عامة أو قانون أو عادة مستقرة تحكم ما يكشف عنه التاريخ ـ «النماذج» و«النظريات» بحسب توصيف الأمير ـ في كل الحالات ما عدا واحدة، هي الاستثناء المزعوم. وأكثر الأشكال التي تتخذها هذه الحجة شهرة عن المملكة هي بأن آل سعود استطاعوا وحدهم على الرغم من الصعاب أن يمنعوا الاستعمار من أن يصلهم[2]. أما البلدان العربية الأخرى، وأيضاً غير العربية، لم يحالفهم التوفيق، وحكامهم لم يكونوا موهوبين لهذه الدرجة.

إنه من الصعب المبالغة في هيمنة هذه الفكرة على الأصول الاستثنائية للسعودية في شرق أوسط تم تصميمه من قبل الاستعمار. خذ على سبيل المثال الدعاية التي كست صفحة كاملة من جريدة الواشنطن بوست في الرابع

---

(١) I pledged fealty that day to "Chatham House rules" meaning statements or views could be reported but identities could not.

(٢) Two smart social science versions of the conventional story are Nadav Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985), and Iliya Harik, "The Origins of the Arab State System," in: Giacomo Luciani, ed., *The Arab State* (Berkeley, CA: University of California Press, 1990), pp. 1-28. I am not alone in challenging the ideas that a causal logic links the "first" "second" and "third" Saudi states, and that empire did not matter to the outcome of twentieth-century wars of conquest and to the institutions that Ibn Saud inherited. I would cite the Tel Aviv school (my term) as exemplary. That a host of scholars, starting with Chaudhry and ending with Bronson, don't see fit to reference the works is noteworthy but a bit depressing as well. See Joseph Kostiner, *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State,* Studies in Middle Eastern History (New York: Oxford University Press, 1993), and Joshua Teitelbaum, "The Rise and Fall of the Hashimite Kingdom of the Hijaz, 1916-1925: A Failure of State Formation in the Arabian Peninsula," (Ph.D. Dissertation, Tel Aviv University, 1996),

تم مراجعتها ونشرها في كتاب بعنوان:

Joshua Teitelbaum, *The Rise and Fall of the Hashimite Kingdom of Arabia* (New York: New York University Press, 2001), and Sarah Yizraeli, *The Remaking of Saudi Arabia: The Struggle between King Sa'ud and Crown Prince Faysal, 1953-1962* (Tel Aviv: Moshe Dayan Center, 1997). Two other new and valuable, needless to say non-Tel Aviv-based sources are by Madawi Al-Rasheed, *History of Saudi Arabia* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002), and Alexei Vassiliev, *History of Saudi Arabia* (New York: New York University Press, 2000).

من تموز/يوليو(*) من عام ١٩٩٤م، والمنشورة من قبل بندر بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الأمير الذي عُيّن سفيراً لأمريكا عام ١٩٨٣م واستمر في منصبه لاثنين وعشرين سنة. يقول الإعلان: «كانت السعودية موجودة بهذا الشكل أو ذاك منذ حوالى عام ١٧٧٤م، أي قبل الثورة الأمريكية بربع قرن». هذا بحد ذاته تصوّر يقف على النقيض من القصة الأكثر من عادية لدولة تظهر إلى الوجود وراء أخرى في الشرق الأوسط عبر مكائد الأسياد البريطانيين والفرنسيين بعد الحرب العالمية الأولى ولو أن المقارنة بيوم الاستقلال الأمريكي تطرح مشاكل أخرى حقيقية.

الفكرة التي تزعم بأن هناك شيئاً يدعى دولة سعودية كانت موجودة بشكل ما قبل الجمهورية الأمريكية هي في الحقيقة غريبة نظراً إلى أن التاريخ الرسمي لاستقلال المملكة هو ١٩٣٢م، أي بعد حوالى مئتي سنة من التاريخ المذكور في الإعلان، إلا أن معاليه ترك لنا تفصيلاً واحداً أو اثنين ليرشدنا؛ إذ إنه في لحظة من الزمان، ولكن ليس خلال كل اللحظات في القرنين الماضيين، كان أسلاف بندر يحكمون إحدى الإمارات الصغيرة ـ عبارة عن بلدة أو بلدتين وبعض القبائل التي لديها حقوق رعي وغزو في الضاحية المحاذية ـ التي نشأت في وسط نجد. وقد قام المستكشف البريطاني والمستعرب جون فليبي ـ وهو متحوّل إلى الإسلام، ومستشار للملك عبد العزيز، وأب لأكثر الجواسيس البريطانيين شهرة كيم فيلبي (Kim Philby) ـ بتشبيه نظام الإمارات بالعصور الأوروبية الوسطى؛ حيث كانت مئات الإمارات الصغيرة توجد في المكان نفسه الذي يوجد فيه اليوم عدد من الدول الحديثة لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. وفي عام ١٧٤٤م، حاول آل سعود مد نفوذهم باسم حركة إصلاح دينية جديدة وتطهيرية يسميها الغربيون «الوهابية». وهذه المرحلة التوسعية هي التي كان بندر يفكر فيها عندما تحدث عن دولة سعودية «بهذا الشكل أو ذاك»، ما لم يخبرنا به هو أن أحد هذه الأشكال هو محض خيال أو سراب أو حلم مستقبلي.

كان على بندر أن يلاحظ بأن إمارة عائلته، مثلها مثل الإمارات

(*) الرابع من تموز/يوليو هو عيد الاستقلال الأمريكي (المترجم).

الأوروبية الصغيرة قد أبيدت. وهذه الواقعة الرئيسة تجعل المقارنة مع الاستقلال الأمريكي عام ١٧٧٦ مضللة بدرجة امتياز. فهذا التاريخ ـ أي عام ١٧٧٦ ـ يشير إلى نجاح المستعمرات الأمريكية في الدفاع عن سيادتها وذلك بانتصارها في حرب ضد قوة أوروبية عظمى، فالمعايير التي كانت تنظم العلاقات داخل نظام الدول الأوروبية يقضي بالاعتراف بوجود دولة جديدة حال تأكيدها سيادتها بشكل عملي. والأمر سيكون مماثلاً بالنسبة إلى الإمارة الممتدة في الجزيرة العربية ـ أو الدولة السعودية بمعنى آخر ـ لو أن أسلاف بندر كانوا قد انتصروا فعلاً واستطاعوا تأسيس دولة، إلا أنه عندما عبر الجيش الوهابي ـ تحت قيادة آل سعود ـ نجداً لضم المدينتين المقدستين على البحر الأحمر، أرسلت السلطة الإمبراطورية المهيمنة، العثمانيون، حملة من مصر قامت بسحق الحركة ودمرت بلداتها.

بقيت أراضي وبلدات وشتات أهالي نجد تابعة اسمياً للعثمانيين حتى عام ١٩١٥م، إلا أنهم لم يكونوا يعنون شيئاً للسلطان مقارنة بالواحات الغنية والموانئ الصغيرة في الأحساء شرقاً على سواحل الخليج العربي(*)، ولا حتى بالبلدات الغربية في الحجاز على امتداد البحر الأحمر؛ حيث توجد المدن المقدسة مكة والمدينة. واستمرت الإمارات بالقتال فيما بينها من أجل السيطرة الإقليمية وبسط النفوذ على نجد، وقد تم تركها وشأنها من قبل المركز الإمبراطوري.

حاولت الأجيال الجديدة من آل سعود مرتين إعادة نفوذ العائلة وبسط هيمنتها: مرة في الأربعينيات من القرن التاسع عشر، حيث فشلت الأسرة مرة أخرى وتم نفيها، أما الأخرى فقد كانت في العقد الأول من القرن العشرين، إلا أن نتيجة سلسلة حروب الغزو الطويلة في العقود الأولى من القرن العشرين صعبة التحديد ـ حيث كانت بلدات نجد وأغلبية قبائلها محكومة من قبل آل رشيد في القصيم(**)، وكان الحجاز محكوماً من قبل مملكة مستقلة. ولئن كان السعوديون والموظفون لديهم يحبون توصيف ما جرى بأنه نوع من القدر، يفضّل أغلبية الأساتذة الجامعيين رواية قصة أكثر

(*) المؤلف سمّى الخليج، جرياً على عادة المؤلفين غير العرب، بالخليج الفارسي، وقمت بترجمته إلى الخليج العربي نظراً إلى أنه الاسم الرائج للمتحدثين باللغة العربية (المترجم).

(**) كان مركز حكم آل رشيد هو حائل ولم يكن في منطقة القصيم كما أشار الكاتب (المترجم).

تعقيداً وتقلباً حول كيف انتقل آل سعود من الاستيلاء على الرياض عام ١٩٠٢م إلى حكم شبه الجزيرة في العشرينيات من القرن العشرين، حيث سنشدد على تأكيد حقيقة الدور الحاسم الذي أداه تدخّل بريطانيا العظمى، القوة العظمى آنذاك، عندما تركت حليفها المُقلِق في الحجاز يسقط مهزوماً على يد حليفها الجديد والأكثر موثوقية: عبد العزيز آل سعود.

والعقدة في هذه القصة التي يبدو أن الجميع تناساها هي عندما قام عبد العزيز بتوقيع اتفاقية مع بريطانيا العظمى تقوم بمقايضة حقوق السيادة مقابل الحماية. نحن اليوم نفضل استخدام مصطلح «الأمن» عوضاً عن الحماية. ومع ذلك، مثلت الإمارة السعودية التي كانت تحت التشكل في نجد واحدة من آخر أجزاء العقار في الشرق الأوسط الذي تم ضمه بشكل رسمي إلى الإمبراطورية. أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر قبل ذلك بسنة، مضفية صبغة رسمية إلى احتلالها لها الذي دام عقدين من الزمان. في عام ١٩١٩م خصصت رابطة الأمم(*) انتداب كل من العراق والأردن وفلسطين لبريطانيا. وهذه البلدان الأخيرة كانت في الحقيقة محميات في كل شيء ما عدا الاسم. كانت المحميات تمثل الاستعمار القديم، في حين أن الانتداب كان يراد منه أن يمثل شيئاً جديداً نسبياً. الفرق الرئيس بين نجد وكل من مصر والعراق ـ حيث أجبر البريطانيون على قمع المقاومة وتعجيل تاريخ إعلان الاستقلال ـ هو أن الأمير النجدي، عبد العزيز آل سعود، اختار بشكل رسمي أن يتعهد بموالاة الإمبراطورية البريطانية في وقت كان المصريون وغيرهم من الشعوب الواقعة تحت الاحتلال يحاولون نيل حقهم في تقرير المصير القومي، إلا أنه لا يستطيع أحد أن يلوم عبد العزيز إذا أخذنا بالاعتبار أنه لولا الحماية البريطانية فإن الأراضي التي سيطر عليها ستختفي لصالح قوى مجاورة أكبر وأكثر قوة. إلا أن الاعتراف الدولي للمملكة المستقلة المنافسة له في الحجاز في السنة التالية على توقيعه المعاهدة، أي في عام ١٩١٦، تحت شعار الحركة القومية العربية، وضعت حاكم المحمية النجدية الجديدة في أزمة حقيقية تفاقمت عندما نالت مصر استقلالها عام ١٩٢٢؛ إذ بدا وكأن آل سعود يسبحون عكس التيّار.

(*) رابطة الأمم: هي منظمة دولية تأسست بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حيث تعادل في دورها ما تمثله منظمة الأمم المتحدة هذه الأيام (المترجم).

أخيراً، هناك مسألتان يجب تأكيدهما حول الاعتراف الذي تضمنته معاهدة أخرى مع بريطانيا ـ بعد عقد من الزمان (١٩٢٧) ـ لعبد العزيز بالحكم المستقل «الكامل والمطلق» لمملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها، التي تمت إعادة تسميتها ـ بوصفها كتلة واحدة أو موحدة ـ بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م.

الأولى: هي أن الوضعية القانونية الممنوحة للبلدان الحديثة الاستقلال التي بحوزته لم تغير كثيراً من واقع اعتماد الملك على البريطانيين، أو حتى من حقيقة أن تأثير الدولة البريطانية على حليفها عبد العزيز كان أكثر من التأثير الذي يتوفر عليه عبد العزيز على البلدان التابعة له مثل الأحساء أو عسير. والأهم من ذلك أن عبد العزيز لم يحاول أبداً شن حرب على حلفاء بريطانيا المنافسين له في الأردن والعراق لاستعادة الأراضي التي كان يزعم أنها تابعة له. عوضاً عن ذلك، قرر التسليم، كما سيفعل بعد ذلك أبناؤه، بالحدود والتخوم المفروضة من قبل الآخرين.

الثانية: والأكثر أهمية هو أن استقلال المملكة العربية السعودية يوضح حجم التغير في المعايير التي تحكم العلاقات بين الدول كما حددتها كل من الحرب العالمية الأولى واتفاقية فرساي. فعالم القرن العشرين يختلف في نقطة جوهرية عن العالم قبله بقرنين من الزمان عندما ـ كما رأينا ذلك في حالة الولايات المتحدة الأمريكية، كانت السيادة تعتمد على قدرة الدولة على حماية نفسها[٣]. ولنكرر، بعض الأحيان يحاول المؤرخون التابعون للحكومة السعودية وشركة الزيت العربية الأمريكية أن يتركوا انطباعاً بأن الحنكة السياسية للملك عبد العزيز استطاعت بكيفية ما المحافظة على المملكة العربية السعودية أكثر حرية من مصر والعراق. إن تصديق مثل هذا الأمر يحتاج من المرء إلى ألا يدقق النظر ويجهد نفسه بالتفكير. وسيكون الأمير بندر في وضعية أقوى لو أنه جادل بأن الدولة السعودية وجدت بهذا الشكل أو ذاك فقط منذ عام ١٩٢٧م، لأنه يعلم أكثر من غيره أن هذا الوجود كان يستند إلى اتفاق عام أو نظام حماية دولية تم تثبيته أولاً من قبل البريطانيين ثم بعد عام ١٩٤٥م بواسطة القوة الأمريكية. وسيعيد الفصل الثالث النظر في

(٣) Robert H. Jackson, *Quasi-States: Sovereignty, International Relations and the Third World* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1990).

هذه اللحظة عندما حلت إدارة ترومان (Truman)[*] مكان البريطانيين كحام رئيس لآل سعود، آخذة الدور نفسه الذي يعود إلى أيام الإمبراطورية العثمانيةً ورعايتها للأمراء في الحجاز ونجد. وكما قلت سابقاً، فلم يكن لدى الملك عبد العزيز خيارات أخرى إذا أخذنا بالاعتبار موقع مملكته في النظام الإقليمي والدولي. كانت استقلاليته بالكاد تكفيه ليستطيع التفاوض على شروط القاعدة الجوية الأمريكية الجديدة في الظهران، أو على البلدة التي أنشأتها أرامكو هناك، أو على بضع سلفات ما بعد الحرب العالمية الثانية، أو بعض القروض البنكية على الصادرات والواردات. فالأمريكيون، على سبيل المثال، لم يكن لديهم أدنى مشكلة أن يرفضوا التماسات الملك من أجل معاهدة تربط المملكة بشكل أكبر بكثير بالولايات المتحدة وتجعل الدفاع الأمريكي عن آل سعود أكثر موثوقية.

وسنرى ـ عندما ننتقل بالتركيز في بقية الكتاب من دعاوى السيادة السعودية إلى مجالات أكثر من عادية مثل العمل والتعليم والتقنية والمالية والصحة والصناعة وما إلى ذلك ـ أن فكرة أن نفوذ آل سعود استطاع الفرار من الهيمنة الاستعمارية أو «التأثير الخارجي» لا يمكن الدفاع عنها. ففي عشية الحرب العالمية الثانية، لم تكن الأراضي الشاسعة للمملكة أكثر من اتحادية قبائل وبلدات. منح الاستيلاء على الحجاز آل سعود مؤسسات إدارية بدائية كان القائمون عليها متمكنين منها. تمت التحولات التي جعلت المملكة العربية السعودية على ما هي عليه بشكل كبير على يد الأجانب الذين وصلوا بأعداد كبيرة في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، وموّلت من قبل استثمار أجنبي، ومساعدات أجنبية حكومية وخاصة، وقروض كبيرة مرهونة بالأعطيات النفطية. لم يكن لدى الملك ومعاونيه الذين لم يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة القدرة على الإدارة ولا حتى الإشراف على هذه التغيرات، في حين كانت مهمة «إدارة» الاقتصاديات ـ من المستحيل التفكير فيها باعتبارها شبكة متكاملة من الأسواق والقوانين الإدارية بأي طريقة ذات معنى ـ تتلخص في المحافظة على قدرة الملك عبد العزيز على التسديد. وإذا أخذنا بالاعتبار كرم الملك، كما يحب معجبوه الأمريكيون وصفه، فإن

(*) هو الرئيس الأمريكي الثالث والثلاثون، استمرت ولايته من الفترة ١٩٤٥ إلى ١٩٥٣ (المترجم).

المرء لا يمكنه إلا أن يعجب بعبد الله السليمان، أحد أهم المسؤولين الاقتصاديين في الدولة لعقود والمنتفع الريعي الاستثنائي. وكان من بين تبعات عدم قدرة المملكة على الوفاء بديونها المستمرة وصول أولى «البعثات» عام ١٩٥١م لتساهم في إنشاء مؤسسات وتقاليد إدارية على مستوى البلاد.

بهذا المعنى لم تكن السعودية مختلفة عن بنما أو السلفادور في العصر نفسه، وكانت مثل هاتين الدولتين التابعتين لأمريكا تفتقر إلى القدرة أو الرغبة الموجودة لدى الدول المجاورة لها على تحدي النظام القائم. بعد وفاة حليف أمريكا المخلص الملك عبد العزيز، حاول خلفاؤه سلوك هذا الدرب المحفوف بالمخاطر قبل أن يستسلموا ويقبلوا أخيراً بوضعية أقل نبلاً لكنها أكثر أماناً، أي وضعية حليف لقوة عالمية مهيمنة صاعدة و«ليبرالية»، قوة يصفها البعض بأنها لا مثيل لها[٤].

أكثر دعاوى الخصوصية خصوصيةً

قد لا تكون مفارقة كبيرة معرفة حقيقة أن مصطلح ادعاء الخصوصية[*] - أي ذاك الذي يستخدمه المؤرخون المتخصصون وعلماء الاجتماع لوصف أكثر الطرق شيوعاً في كتابة تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - يعود الفضل في سكّه إلى جوزيف ستالين أو هكذا على الأقل جادل الأستاذ في جامعة برنستون دانييل رودجرز (Daniel Rodgers) في أفضل بحث صغير كتب عن تاريخ ادعاء الخصوصية الأمريكية حسب معرفتي[٥]. إلا أن المفارقة في

(٤) انظر:

G. John Ikenberry, *After Victory: Institutions, Strategic Restraint, and the Rebuilding of Order after Major Wars* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001).

(*) مصطلح (Exceptionalism) هو أحد المفاهيم الجوهرية في هذا الكتاب، ويترجم عادة بـ«الاستثنائية» أو «الخصوصية». هذه الترجمة صحيحة كقولنا مثلاً إن هناك «خصوصية أمريكية». لكن الكاتب يتعامل مع المصطلح في بعض الأحيان باعتباره وصفاً لمدرسة أو توجه أو أيديولوجيا تنزع لصناعة خصوصيات، في هذه السياق سأقوم بترجمة المصطلح بـ«ادعاء الخصوصية» (المترجم).

(٥) Daniel Rodgers, "Exceptionalism," in: Anthony Molho and Gordon S. Wood, eds., *Imagined Histories: American Historians Interpret the Past* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998), The subsequent cites to Rodgers in the text are all from this essay. Google "exceptionalism" and you will find a story about Alexis de Tocqueville first using the term in the =

شكلها الكامل تأتي من اكتشاف أن الخصوصية الأمريكية ما هي إلا إحدى نتائج الحرب الباردة؛ فتلك المرحلة استدعت إن لم تكن استلزمت وجود نظريات تبيّن الطريق الذي أوصل إلى القرن الأمريكي الذي تم من خلاله حل اللغز الوهمي في تفادي مصير أوروبا، ويشرح ما بدا أنه التقدم الفائق السرعة لليبرالية والانتصار الوشيك على كافة الانقسامات العرقية والطبقية والإثنية التي لطخت آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. لقد كان زمناً أصر فيه بعض أكثر المفكرين تألقاً على ما يسمى بالواقعية الجديدة في العلاقات الدولية بحيث يتم تعريفها على الضد من التصورات المثالية والطوباوية عديمة الجدوى حول إنهاء الحرب أو تجاوز الرأسمالية، هذا بالإضافة ـ من دون إبداء أي نوع من السخرية ـ إلى إصرارهم على أن مجتمعاً لا يميز عرقياً ضد أفراده أصبح في متناول اليد. وأخيراً، فقد كانت اللحظة التي تمت فيها مسامحة وتناسي المسار الطويل للإمبراطورية الأمريكية[٦].

تقدّم مقالة رودجرز ثلاث مساهمات جوهرية حول فهمنا لفكرة ادعاء الخصوصية الأمريكية:

الأولى تتمثل في توضيحها للخلل الذي يقع فيه المتشكك عادة عندما يسمع دعوى أن ماضي بعض الناس يمثل حالة خاصة؛ فالحجة التي يردّ بها المتشكك على هذه الدعوى هي أن كل الأمم والدول فريدة ومتميزة بطريقتها الخاصة، إلا أن هذه الحجّة تخلط بين دعوى وجود خصوصية في تاريخ ما وبين دعوى وجود اختلاف، أو كما صاغها رودجرز بعبارة جامعة

---

early nineteenth century, which is true, but that fact tells us more about the fondest hopes of the = believers than about the emergence of this particular paradigm after World War II and its embrace by professional history writing and those social science frameworks that look like history writing. The latter "theoretical schools" have different names in different disciplines and in different sections of the professional associations, including American political development, historical comparative and historical-structural analysis, dependency theory, historical sociology, and so on. These schools and approaches are the ones that wrestled with the problem of absences, why America had no socialism, why the Third World had no bourgeois revolutions, why Germany was not democratic (then), or why the Middle East is not democratic (now).

(٦) انظر:

Robert Vitalis, "Birth of a Discipline," in: David Long and Brian C. Schmidt, eds., *Imperialism and Internationalism in the Discipline of International Relations* (Albany, NY: State University of New York Press, 2005), pp. 159-182.

ومختصرة: «الخصوصية تختلف عن الاختلاف»، ففي حين أن الأخير «يتغذى على الاستقطابات والتنوع» فإن الخصوصية تعاكسه فهي: «تمييز أمة المرء عما يشابه الناس الآخرين ـ بالقوانين والشروط العامة التي تحكم كل شيء عدا هذه الحالة الخاصة التي في أيدينا». والاقتباس الآتي هو المفضل لدي في هذه المحاججة: «باختصار، عندما يُصاغ الاختلاف بحسب مصطلحات الخصوصية فإن مرجع الإحالة سيصبح مطلقاً؛ أي إن سؤالاً: مختلف عن ماذا؟ ستكون إجابته: مختلف عن كل التوجهات العامة للتاريخ، عن القدر «المعتاد» للأمم، عن القوانين التي تحكم ميكانيكية التاريخ نفسها»[٧].

المسألة المهمة الثانية التي يطرحها رودجرز هي أن مجال كتابة التاريخ الأمريكي لم تقم دوماً بكتابة التاريخ نفسه عن الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كان هناك وقت قبل انتصار مدرسة ادعاء الخصوصية. انظر مثلاً إلى أي بحث مشهور في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين عن جذور المؤسسات الأمريكية، ستجد أنّ رجالاً مثل المؤرخ هربرت باكستر آدامز (Herbert Baxter Adams) وتلميذه ـ عالم السياسة ومن سيصبح في ما بعد رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ـ وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) كانوا يدافعون عن فكرة أن الديمقراطية الأمريكية كانت نتيجة تطور طبيعي لـ«بذور» توتونية[*] أنتجت العرق الأنغلوساكسوني.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث كان في زمان كان فيه مفهوم الأمة غير متميّز بشكل واضح عن مفهوم العرق، بل على الأغلب كان يتم اعتبار أحد هذه المفاهيم كجزء لا فكاك منه عن الآخر. فأمريكا لم تكن بتلك الاستثنائية وذلك الاختلاف عن باقي الأمم بقدر ما كانت أعلى المراحل التي توصّل إليها المنتمون إلى عرق أبيض مشترك. إلا أن فريدريك جاكسون ترنر (Frederick Jackson Turner) ـ الذي يمكن اعتباره أحد أكثر المؤرخين شهرة في القرن العشرين ـ سيقوم بإضافة لمسة خصوصية إلى هذه الحجة من خلال ما سيعتبره التفرد الأمريكي بغض النظر عن البذور التوتونية المشتركة التي

---

(٧) Rodgers, "Exceptionalism," pp. 22-23.

(*) التوتونيون (Teutons) هم أسلاف سكان أوروبا الشماليين من ألمان ودنماركيين وإسكاندنافيين وبريطانيين. وعادة ما يقصد بهم أسلاف الألمان (المترجم).

حملها المستوطنون معهم. ففكرة ترنر هي أن الروّاد المتعاقبين استطاعوا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تحويل الأنغلوساكسونيين إلى أمريكيين وذلك عبر التدخل في القوانين التقليدية لمسار التطور الاجتماعي وإرباكها.

وكردّ على اعتراض متوقّع أقول: بالطبع، يوجد هذا التيّار أو ذاك من تيارات ادّعاء الخصوصية في ما بعد الحرب العالمية الثانية من يقدم طريقة أفضل وأكثر جاذبية في التفكير حول العملية التاريخية من هذه البدائل العنصرية التي كانت ذات يوم تُكتب وتُدرس، وليست هي الخيارات الوحيدة أمامنا. ففي حين أن ادعاء الخصوصية أغرى كثيرين في حرفة التأريخ بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كان هناك آخرون من المؤرخين التقدميين الماديين - كما كنا يوماً نحب أن ندعوهم بذلك - من الذين كانوا يؤلفون في فترة الحرب العالمية الأولى ويصرون على رؤية أمريكا ضمن إطار من القوى والعمليات الاقتصادية العالمية. يبرز رودجرز من بين هؤلاء اثنين. «أما بالنسبة إلى عملاقَي كتابة التاريخ الأمريكي في مطلع القرن العشرين - تشارلز بيرد (Charels Beard) ودبليو. إي. بي. دو بوا (W.E.B. Du Bois) - فإنهما قد تشربا كثيراً من التحليلات الاقتصادية والطبقية، وكانا يفكران بشكل فطري برؤى كبرى على مستوى العالم بشكل لا يؤدي إلى اعتبارهما من بين المنادين بالخصوصية»[(٨)]. ونستطيع أن نتتبع تأثير هذين العملاقين وطلابهما في التيارات الهامشية والتواريخ المتمردة والقراءات الساخرة التي أنتجت على أطراف وحواشي الإجماع حول الخصوصية. هذه البدائل ستظهر كتحديات تامة النضج في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين[(٩)].

---

(٨) We might add to this list a young historical-oriented political scientist, Ralph Bunche, and a young historical-oriented sociologist, Oliver Cromwell Cox, who wrestled with the dialectic of race and class in ways that prefigured the world systems analysis of the 1970s and 1980s, using terms that we have not yet escaped. We ought to add as well, though, that Bunche, Cox, and, most remarkable of all, Du Bois would be dropped from the professors' reading lists for at least a generation. Barrington Moore could publish his Barrington Moore, *Social Origins of Dictatorship and Democracy: Lord and Peasant in the Making of the Modern World* (Boston, MA: Beacon Press, 1993) in 1966 on America's distinctive road to modernity, rooted in an: argun lent about the Civil Wafand its consequences, and yet not cite Du Bois's masterful, W. E. Burghardt Du Bois, *Black Reconstruction in America, 1860-1880*, introduction by David Levering Lewis (New York: Free Press, 1998) written thirty years earlier.

(٩) Dorothy Ross, "The New and Newer Histories: Social Theory and Historiography in an American Key," in: Molho and Wood, eds., *Imagined Histories: American Historians Interpret the Past*, pp. 85-206, in particular pp. 89-90.

فكما أشار رودجرز: «ليس هناك شيء أكثر دلالة على الحضور الطاغي لمسلّمات ادعاء الخصوصية أكثر من الصعوبة التي واجهها المؤرخون النقديون في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين في محاولتهم للتغلب عليها». ومثاله الرئيس على ذلك هو الجهد في إعادة الاعتبار للإمبراطورية الأمريكية في («إمبراطورية وجدت في كل مكان إلا أنها مكبوتة في الذاكرة السياسية») للعظيم ويليام أبلمان ويليامز (William Appleman Williams) وطلابه في مدرسة ويسكونسن. فكما قد جادلوا وجادل كثيرون من المتأثرين بهم ـ وما زالوا يجادلون ـ فإن أمريكا كانت إمبراطورية، إلا أنها كانت إمبراطورية من نوع مختلف ومنبثقة من التجربة والقيم الفريدة للبلاد[١٠].

المسألة الثالثة المهمة التي يطرحها رودجرز هي عبارة وإطراء مقتضب للنقلة التي تميّز الكتابة البديلة للتاريخ في العقدين الماضيين أو ما سماه تاريخ ما بعد ادعاء الخصوصية: «منذ البدء، كانت مسألة الاختلاف خاطئة ومكررة، فالتناقض الذي كان في قلب ادعاء الخصوصية في كتابة التاريخ لم يكن أبداً تناقضاً بين الاختلاف والتشابه بل بين الاتصال والانفصال». فكّر للحظة بكل تلك التواريخ التي لم تضمّن أمريكا في دائرتها الكبيرة للأناس والأفكار والموارد، والتي تتوقف «عند حدود الماء». في الحقيقة إن الأماكن والأقوام الموجودين خلال ما نسميه اليوم الولايات المتحدة كانوا على الدوام مرتبطين بطريقة معقّدة بأماكن وأناس خارج الحدود المتقلّبة للجمهورية، وهذا الأمر لا يصحّ فقط في القرن التاسع عشر أو فقط بعد عام ١٩٤٥م، وهو أمر لا يمكن اختزاله بفكرة أن العلاقة بالخارج محصورة بالصدمات «الخارجية» أو «القوى العابرة للدول» التي تستحث نخبة قومية (أو شيخ قبيلة) للتحرك، ليقوم في ما بعد بقيادة البلاد نحو غاية مميزة أو يقوم بطرق مسار فريد إلى الغاية نفسها، أي الحداثة، بل كانت عبارة عن رؤوس أموال وقبائل متنقلة وفحم ونفط وعمال وأفكار ومثقفين ومبشرين وإرهابيين وجنود وعبيد وجواسيس تنقلوا باستمرار عبر ما اعتُبر تخوماً وحدوداً وبحاراً؛ هؤلاء كلهم كانوا جزءاً من قصة لم تنته بعد، وهي قصة من الصعوبة بمكان أن تحكى.

---

(١٠) Rodgers, "Exceptionalism," p. 29.

العلاقة الاستثنائية

يجب أن يكون المنطق واضحاً الآن، بله السخرية، في التوأمة بين قصتي الحرب الباردة لكل من السعودية والولايات المتحدة الأمريكية أو «العلاقة الخاصة». فمن جهة هناك المهيمن العالمي ومن جهة أخرى إنها عميلتها، أو ما يمكن اعتبارها واحدة من أهم الدول العميلة لأمريكا. فكما أخبر ماكجورج بندي (McGeorge Bundy) ـ مستشار الرئيس كينيدي للأمن القومي ـ هيئة الأركان المشتركة في عام ١٩٦٣م أن السعودية كانت موقع أكبر استثمار أمريكي في الخارج، أي شركة الزيت العربية الأمريكية أو أرامكو. فهذه الشركة التي تعمل بموجب اتفاقية امتياز من السعودية تأسست بواسطة اثنتين من عمالقة شركات النفط في العالم، شيفرون (Chevron) وتكساكو (Texaco)، قبل أن تقوم شركتان أكبر منهما، أي إكسون (Exxon) وموبيل (Mobil)، بشراء أربعين بالمئة من أسهم الشركة بعد الحرب العالمية الثانية[١١]. وبهذا أصبحت أرامكو الآلية التي أصبحت أمريكا بواسطتها تستطيع تأمين ما يحب صانعو القرار السياسي تخيله بأنه السيطرة على أكبر منبع لمورد حيوي غير مستغل، أي النفط[١٢].

نستطيع أن نخمّن بدقة ما سنجده في الأدبيات الأكاديمية عن تاريخ

---

(١١) The oil firms' changed their corporate identities many times during the twentieth century, and I am using the names they are best known by rather than the ones that were in use when the concession with Ibn Saud was first signed. Chevron was then Standard Oil of California (Socal). It sold a share of the concession to the Texas Company (Texaco) after it discovered commercial quantities of oil, because Texaco needed crude and Chevron needed Texaco's outlets around the world. Their operating subsidiary in Saudi Arabia was originally known as the California Arabian Standard Oil Company (Casoc), which was renamed the Arabian American Oil Company (ARAMCO) in 1944. Three years later, Exxon, then known as Standard Oil of New Jersey, and Mobil, then known as Standard Oil Company of New York, provided the capital needed for expansion in return for ownership shares in ARAMCO. ARAMCO is now wholly owned by the Saudi government. Chevron and Texaco merged their operations in 1999 under the name Chevron. The other two partners merged their operations too and now operate under the name Exxon Mobil.

(١٢) Control of oil at a reasonable price is frequently described as a key component of U.S. foreign policy long since the firms themselves were nationalized. See for example F. Gregory Gause III, *Oil Monarchies: Domestic and Security Challenges in the Arab Gulf States* (New York: Council on Foreign Relations, 1994).

أرامكو، ومن باب أولى كذلك ما سنجده في أقوال مختلف مسؤولي الدول وموظفيها (وكذلك، كما سيأتي، في أقوال الشركة وموظفيها). فقد جرت العادة على تصوير أرامكو بأنها شركة تعمل انطلاقاً من مبدأ تحصيل المصالح بشكل متنوّر وهو الأمر الذي ميّزها بوضوح عن ـ على الرغم من أن مؤرخي شركة النفط البريطانية قد يعارضون ذلك ـ بقيّة منافساتها في الخليج. وبدأ ادعاء الخصوصية الأمريكية بتسيّد الكتابات حول الولايات المتحدة عندما كانت أرامكو تعمل بطاقة هائلة في السعودية، وعندما استأجرت والاس ستيغنر، وهو نفسه من أكثر مدّعي الخصوصية التزاماً، لتكتب أول تاريخ لها، وكذلك عندما قامت بإنتاج الأفلام، واستضافة الصحافيين في جولات، ودعم الباحثين ومراكز الشرق الأوسط، وأيضاً عندما بدأ أول جيل من النقّاد الراديكاليين لسياسة أمريكا في الخليج بالكتابة.

لقد أدى ادّعاء الخصوصية الأمريكية وكيفية تناوله للقاء الأمريكي ـ السعودي إلى جعل ادعاء الخصوصية السعودية نفسه ممكناً، وذلك لأن استخدام الإمبريالية كخطاب وكمضمون تم رفضه في حكاية قصة العلاقات السعودية ـ الأمريكية أو تشكّل الدولة السعودية. ولهذا نجد أن قصة هذه الأخيرة تبدأ دائماً بتناول أساسات الدولة البعيدة و«الطبيعية» و«التقليدية» و«الداخلية» و«العريقة» وما إلى ذلك من الصفات. والقصة المتأخرة كما يبدو لفجر عصر أمريكي جديد تم تشكيلها على مقارنات متكررة مع نماذج وعصور دول إمبريالية أخرى سابقة عليها. فإمكانيات العملاء والسلالات في السعودية وغيرها من الأماكن تم النظر إليها بتعاطف يؤكد قدراتهم على استغلال القوى العظمى لتحقيق أهدافهم غير آبهين بعدم توازن القوى الدولي.

التأريخ السعودي ينزع إلى المباعدة أكبر مسافة ممكنة بين المملكة وأمريكا، فالسردية التي تسخر نفسها لإبراز استقلال (إذا ما أردنا استخدام مصطلح دانييل رودجرز) مسار المملكة عبر الزمان لها أكبر الأثر في إضفاء نوع من الأصالة والعمق في دعوى السيادة للدولة الجديدة. تم اختراع هذه السردية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين كرد على أولئك الموجودين في مصر عبد الناصر وعراق البعث من الذين نالوا من حق آل

سعود في الحكم وطالبوا بالانقلاب عليهم، كانت حجج خصوم المملكة معروفة؛ فالسعودية بالنسبة إليهم كانت ـ وبعضهم ما زال يصر على أنها إلى الآن كذلك ـ دولة مصطنعة، أو دولة قام الاستعمار باختراعها (وستقوم البروباغندا السعودية بوصف العراق ومصر بالمثل)، أو مجموعة من القبائل تحت علم واحد، أي إنها بشكل واضح ليست مثل غيرها من الأمم المتخيّلة الحقيقية والأصيلة.

ولهذا، فإن ادعاء الخصوصية يبدو أنه لا مفر منه من جهة، ومن جهة أخرى يبدو مفيداً إلى حدّ ما، باعتبار هذه التحيزات والأفكار المؤثرة. إلا أننا سنجد أنفسنا في مواجهة غطاء سميك من الأساطير، كما لو أن الهويات التي تحاول الدول تأكيدها هي عرضة للتفكك عند أول إطلالة ضوء. وكذلك، كما سنرى، فهناك كثير من الأموال تم إنفاقها في صناعة الأساطير هذه، وأن كثيراً ما زال ينفق حتى الآن، إلا أننا نحن لدينا مصدرنا الثمين الخاص بنا: الأرشيف.

لماذا أخطأ الكتّاب في كتابة قصة أرامكو؟

حتى اليوم، ظلّ النقاش حول ما إذا كان ادعاء الخصوصية طريقة مناسبة لكتابة التاريخ يدور في إطار كتابة تاريخ وهوية **الدول الحديثة** (أو **الشعوب** كما هو مشهور)، كما ظل هذا النقاش واحداً من تلك النقاشات المحصورة في عالم الأساتذة الجامعيين على الرغم من أن العراك قد يتسرب في بعض الأحيان إلى الفضاء العام كما حدث ذلك عندما نظم المتحف القومي للفن التابع لمؤسسة سميثسونيان معرض «الغرب بوصفه أمريكا»[*] عام ١٩٩١م. فالعرض كان عبارة عن ترديد مهذب للمراجعة التاريخية[**] («إعادة تفسير») الجارية على المستوى الأكاديمي. فقد دافعت باتريشيا ليميريك (Patricia Limerick) ـ المؤرخة صاحبة أكثر الكتب مبيعاً في تاريخ

(*) المتحف القومي للفن التابع لمؤسسة سميثسونيان واحد من أكبر المتاحف في العالم الذي يحتوي أعمالاً فنية أمريكية، ومقره العاصمة الأمريكية واشنطن (المترجم).

(**) المراجعة التاريخية (Historical Revisionism) هي عملية إعادة تفسير ومراجعة التصورات السائدة والأصيلة عن أحداث الماضي عبر إخضاعها للأدلة والحقائق والقرارات المحيطة بالحدث نفسه (المترجم).

الغرب الأمريكي التي تدرّس في جامعة كولورادو ـ عن المعرض المتعدد الجوانب بشكل مقنع بالنسبة إلي عندما قالت: «غزو الغرب هو عبارة عن قصة نجاح وفشل، وبطولة وخيانة، وانتصار رأسمالي واستغلال للعمال. فالعمال في مناجم كولورادو وعمال السخرة المكسيكيين هم أجزاء من القصة بالمقدار نفسه الذي كان روّاد خط سكة حديد أوريغون جزءاً منها»، إلا أن الجميع لم يكونوا موافقين، فالكاتب في صحيفة **نيو ريببلك** (*The New Republic*) تشارلز كروثامر (Charles Krauthammer) كتب أن للمعرض «معنى ماركسياً فظاً لم يكتمل طهيه» والذي كان من الممكن أن يكون موجوداً في موسكو «قبل ثلاثين عاماً». فهو قد أظهر «ازدراء لكل إنجاز تحقّق في التوسع الغربي»(١٣). إن كلمة توسع هي الكلمة التي يستخدمها الأمريكيون عوضاً عن كلمة أخرى أكثر شهرة منها، أي الاستعمار، والتي بطريقة ما لا تلائم قصة أمريكا.

تاريخ التجارة بوصفه تاريخاً غير عادي

هناك تشابه كبير بين الشركات والدول من ناحية طريقة سردهم لقصصهم، وسيتضح تورط هذه الشركات في القصص التي سترويها باتريشيا ليميريك بالمقابل. فتواريخ الشركات تتم قراءتها بشكل مشابه لخرافات الخصوصية الأمريكية، انظر مجدداً إلى الاقتباس الذي استفتحت به هذا الفصل. فالمستثمر الأسطوري إدوارد دوني ـ الذي أهّلته ممتلكاته الضخمة في كاليفورنيا والمكسيك لأن يستحق لقب إمبراطور النفط ـ سيعتبر تنقيبه لأول آبار النفط في لوس أنجلوس النهاية السعيدة لرحلة بدأت عندما أبحر الحُجّاج على متن سفينة المايفلاور عام ١٦٢٠.

فشركة ما ـ لِنَقُل شركة فيلبس دودج، أو شركة دوني للنفط العابرة

---

(١٣) As Patty Limerick, who is probably the best known of the historians in the now old controversy, said, the "show is about as revolutionary as if you had a Southern history exhibit, hung romantic paintings of plantations, and then said slavery was a rough business-not a very wild proposition, and the same kind of proposition this show offers about the West". This account is found in: Eric Foner and Jon Wiener, "Fighting for the West," *The Nation* (29 July 1991), pp. 163-166. Readers are welcome to judge for themselves. See the catalog by William H. Truettner, ed., *The West as America: Reinterpreting Images of the Frontier, 1820-1920* (Washington, DC: Smithsonian Institution Press, 1991).

لأمريكا، أو شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ـ تتجاوز بثقة عقبات هائلة لتصبح عملاقاً يقوم بترشيد موارده الضخمة نيابة عن أهالي هذه الموارد، وكذلك نيابة عن آخرين منتفعين من سخائها لا يمكن إحصاؤهم. إن «سمة التقدمية الفريدة والتوسعية اجتماعياً» التي عزاها جيلان أو أكثر من المؤرخين الأمريكيين إلى تطور أمريكا السياسي في الداخل وممارستها للسلطة في الخارج لهو ـ كما تبيّن لاحقاً ـ أساس تطابق هذه الشركات نفسها مع دعاواها بأنها قد ساهمت بانفتاح الغرب الأمريكي أو الشرق الأوسط أو آسيا أو أفريقيا، وأنها قامت بصوغ شراكة من التقدم والتطور مع المكسيكيين، والفنزويليين، والإندونيسيين، والإيرانيين، والسعوديين، والليبيين، والنيجيريين، إلى ما لا نهاية[١٤].

فأرامكو، بحسب معجبيها، كانت أفضل من منافساتها، وذلك أنها كانت تدفع أجوراً أكثر، وخدمت المجتمعات المحيطة بها بشكل مسؤول، واحترمت نوعاً من الميثاق مع المجتمع المضيف من أجل ـ كما قيل ذات مرة ـ الرقي بالعرق. واستمرت كل من الخدمات، والمزايا، والبرامج السكنية وما إلى ذلك في التوسع. وفي المرات التي يحدث فيها تمرد عمالي، وهو الأمر الذي كان نادر الحدوث، فإنه كان بالطبع انعكاساً إما لظروف سياسية خارج بيئة العمل، أو لأسباب قومية، أو لنوع من كراهية الأجنبي. وحتى الزيادات المعتادة في المرتبات والمزايا والترقيات، كانت مرتبطة بشكل ضعيف ـ هذا إن كان ثمة ارتباط أصلاً ـ بهذه النقابات والإضرابات والأحزاب الشعبوية. فسهم الأسباب يمضي باتجاه آخر تماماً. ونظراً إلى كون هذه القصة تُحكى بشكل متشابه لكل من منافسات أرامكو، فإنه حري بكل محلل شركة ألا يقرأ ما يكتبه الآخر عن منافساتها.

ولا يمكن إيضاح الفكرة من وراء اتخاذ تاريخ شركة ما لشكل معين إلا عندما نعرف لماذا تقوم الشركة ابتداء بكتابة تاريخها. فأرامكو قامت بذلك كرد فعل على ما اعتبره مدراؤها تحيّزات عميقة معادية للشركة أولاً وبشكل

(١٤) See the review essay by Michael Adas, "From Settler Colony to Global Hegemon: Integrating the Exceptionalist Narrative of the American Experience into World History," *American Historical Review*, vol. 106, no. 5 (December 2001), pp. 1692-1720, which examines the progressive exceptionalism tradition among others.

رئيس في الولايات المتحدة وثانياً في العالم العربي. وبتعبير آخر، فقد اعتبرت الشركة تاريخها سلاحاً ضمن ترسانة العلاقات العامة التي تتوفر عليها من مجلات وأفلام وحكايات في الصحف... وما إلى ذلك. إلا أننا لا يمكننا القول: إن كل الشركات التي تقوم بالتعاقد مع مؤرخين تقوم بذلك لهذا السبب نفسه، فنحن لا يمكن أن نكون متأكدين لأنه ليس هناك تاريخ لكتابة تاريخ الشركات، إلا أن ما لدينا هو تواريخ لبرامج العلاقات العامة للشركات التي تكشف عن المنطق نفسه وراء اختراع مجلات الشركات مثل مجلة **عالم أرامكو**.

فالعقبة التي تقف في طريق قدرتنا على التعميم حول الدوافع تقع في حقيقة أن الشركات تختلف عن الدول في نواحٍ رئيسة. فكما لاحظ غريغوري نويل (Gregory Nowell) «تعتبر الشركات الوثائق التاريخية في بعض الأحيان كلفة يجب الحفاظ عليها وفي أحيان أخرى تعتبرها تهديداً للمؤسسة، فهي لا تقوم بالحفاظ على وثائقها السياسية بشكل منهجي بالطريقة التي تقوم بها الدول»[١٥]. وحتى الشركات التي تقوم بالحفاظ على وثائقها لا تقوم بذلك بالطريقة نفسها التي تقوم بها الدول أو على الأقل لا تقوم بها كما تفعل الدول ذات الأنظمة الديمقراطية الليبرالية. فالشركات تشبه الدول السلطوية؛ أي إنها تحافظ على وثائقها في الخفاء، وتدفع بإسراف من أجل كتابة تواريخ تصورها بصورة ملائكية؛ كما أنهم لا يقومون بإطلاع أحد على وثائقهم إلا أولئك الذين يختارون التعاقد معهم. وحتى في هذه الحالات، يصرون على التمسك بحقهم في الموافقة على ما يكتب؛ كما أنهم ينفقون على كتابة تواريخ ليقوموا لاحقاً بحفظها مأمونة في الأدراج. ولا توجد قوانين تلزم بالشفافية ولا قوانين من أجل حرية المعلومات ضد امتيازات الشركات.

اضمحلال هيمنة؟

هناك عوامل أخرى غير الهوس بالسريّة ساهمت في الإبقاء على هيمنة تصور الشركة للعالم في حالة أرامكو ـ على الرغم من أن أولئك الذين سبق أن عملوا لدى الشركة سيرفضون وصف الهيمنة هذا باعتباره ظالماً، وذلك

---

(١٥) Gregory P. Nowell, *Mercantile States and the World Oil Cartel, 1900-1939*, Cornell Studies in Political Economy (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1994), p. 6.

انطلاقاً من كون الجميع، بحسب وجهة نظر مسؤولي أرامكو، بشكل عام كانوا يعادون شركات النفط العملاقة، بمن في ذلك الباحثون والكتّاب الذين تعاقدوا معهم، لم يكن بالإمكان الوثوق بكونهم سيؤدون مهمتهم بشكل صحيح، أحد هذه العوامل هو التوقيت. فعلى الرغم من أن عقدَي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين كانا العصر الذهبي للنقاشات حول الشركات المتعددة الجنسيات وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، إلا أنهما أيضاً كانا عقدي أكبر رفع للأسعار قامت بها منظمة أوبك(*) وتأميم شركات النفط الأجنبية عبر الشرق الأوسط. لقد كان من الصعب القول: إن السعودية عام ١٩٨٠ كانت مشابهة على سبيل المثال للمكسيك عام ١٩١٠م أو لإيران عام ١٩٢٠م (ولكن حتى نكون واضحين، فحتى المكسيك وإيران في عقدي السبعينيات والثمانينيات كانتا مختلفتين أيضاً) حيث يمكن شراء الجنرالات والشيوخ واستئجار الجيوش أو أن يظل رجالات النفط طامحين بأن تقوم حكوماتهم بإرسال سفن حربية من أجل تغيير أنظمة تلك البلدان في الأوقات الصعبة. لقد كانت هذه أياماً قديمة عندما كانت الشركات تعمل بوصفها دولاً داخل دول. وعلى النقيض من أولئك الذين يعتقدون أن شيئاً لم يتغير في الوقت الحالي، فإن محللين مثل هيلين لاكنر (Helen Lackner) وفريد هاليدي (Fred Halliday) عملا بكد من أجل تعليم جيل من الراديكاليين كيف أن العالم تغير، وكيف أن تصورات بسيطة من قبيل أن آل سعود ليسوا سوى أدوات لأمريكا هي تصورات خاطئة(١٦).

والشكل الأكثر عمومية للحجة ظهر تقريباً في هذا الوقت نفسه(١٧)

(*) منظمة أوبك هي منظمة دولية تجمع الدول المصدرة للنفط تم تأسيسها عام ١٩٦٠ ومهمتها تتمثل بتنسيق سياسات النفط بين الدول الأعضاء (المترجم).

(١٦) Fred Halliday, "A Curious and Close Liaison: Saudi Arabia's Relations with the United States," in: Tim Niblock, ed., *State, Society and Economy in Saudi Arabia* (London: Croom Helm, 1992), pp. 125-147, and Helen Lackner, *A House Built on Sand: A Political Economy of Saudi Arabia* (London: Ithaca Press, 1978), pp. 131-134.

(١٧) One that I Learned in graduate school in the early 1980s and credit to the UCLA sociologist Richard Sklar, the then UCLA political scientist Jeffry Frieden, now-at Harvard and the Harvard economist Raymond Vernon, but others no doubt have canonical citations of their own. See Raymond Vernon, *Storm over the Multinationals: The Real Issues* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1977); Jeffry A. Frieden, "Oil and the Evolution of U.S. Policy towards the Developing Areas, 1900-1950: An Essay in Interpretation," in: R. W. Ferrier and A. Fursenko, eds., =

والنقطة الجوهرية فيها هي أنه كلما زادت الشركات من استثماراتها الثابتة في المعدات النفطية ومعامل التكرير وما إلى ذلك في الأماكن التي تحكمها حكومات سيادية ذات شعبوية متزايدة عوضاً عن مجالس استعمارية أو سلطات احتلال ـ وهو التغير الجوهري في النظام العالمي في القرن العشرين ـ فإن هذه الاستثمارات ستجعل منهم معرضين بشكل أكبر لخطر التأميم. فمجرد وجود شركة نفطية عملاقة تعمل في مكان ما لا يعني بشكل تلقائي نقصاً في سيادة البلد المضيف أو صفقات تكلف البلد المضيف دوماً أكثر من الشركات أو تنفعهم بشكل أقل. فالنتائج تتغير بحسب المكان والزمان، وذلك نتيجة لمجموعة من العوامل، إلا أن التوجه من كون الشركة تعمل بامتيازات خارج الدولة إلى العمل داخلها كان واضحاً.

إلا أنه في هذا الوقت نفسه، كان هذا الانتقال من عصر إلى آخر انتقالاً فوضوياً، والوثائق لم تكن (وفي بعض الحالات ما زالت) متوفرة لكل شخص يود الكتابة عن عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية. قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالتدخل في المكسيك عام ١٩١٠م، لكن حكومة روزفلت (Roosevelt) رفضت تكرار ذلك عام ١٩٣٨م كردة فعل على مصادرة حكومة كارديناز (Cardenas)(*) لأصول الشركات الأمريكية. وأوضح هاري ترومان أن هذا التغير في الرؤية، بصراحة، أكثر خموداً عكس وزارة خارجيته وكبرى شركات النفط التي كانت الوزارة تدعمها. فهو لن يعاود دعم «مصالح الهَرِم دوني والأشخاص الذين قاموا بسرقة المكسيكيين سابقاً»[18] وفي عام ١٩٥١ قام رئيس وزراء شعبي في طهران، محمد مصدق، بتأميم المنشآت النفطية التابعة للشركة البريطانية للنفط عندما رفضت بأن تعيد كتابة اتفاقية امتيازها بحيث تعكس صفقة مماثلة لتلك التي حظيت بها فنزويلا من الشركات

Oil in the World Economy (London: Routledge, 1989), and Richard Sklar, "Postimperialism, = a Class Analysis of Multinational Corporate Expansion," in: David G. Becker [et al.], *Postimperialism: International Capitalism and Development in the Late Twentieth Century (Boulder, CO: Lynne Reinner, 1987)*.

(*) لازارو كارديناز ديل ريو (Lazaro Cardenas del Rio) كان رئيس المكسيك في الفترة ما بين (١٩٣٤ ـ ١٩٤٠) (المترجم).

(١٨) David S. Painter, *Oil and the American Century: The Political Economy of U.S. Foreign Oil Policy, 1941-1954* (Baltimore, MA: Johns Hopkins University Press, 1986), p. 148.

المالكة هناك، على الرغم من معارضة وزارة الخارجية الأمريكية. وعلى الرغم من أن ترومان لم يكن رئيساً حينها، إلا أن إدارة الرئيس آيزنهاور (Eisenhower) وافقت على عملية تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية (السي آي إيه) بتدبير انقلاب على مصدق انطلاقاً من أنه من دون القيام بذلك فإنه سيقوم بتسليم إيران إلى موسكو. وآخر التدخلات السرية للوكالات التابعة للولايات المتحدة في البلدان المصدرة للنفط خلال العصر حيث ظلت حفنة من شركات النفط تتحكم بأسعار النفط العالمي واستقرار حجم الاحتياطي منه وعصر شارف على نهايته كانا في فترة إدارة كينيدي (Kennedy) في العراق عام ١٩٦٣م وفي فترة إدارة جونسون (Johnson) في إندونيسيا عام ١٩٦٥م. تاريخ هذه التدخلات ما زال غير معروف على الأغلب.

إلا أن النقطة الرئيسة هنا هي أن الآية انقلبت منذ عام ١٩٧٢ تقريباً[(١٩)]. ففي الشرق الأوسط، سارعت كل من ليبيا والجزائر والعراق نحو التأميم الكامل لآبار الشركات وخطوط أنابيبها ومصافيها. فقد دفع هبوط أسعار النفط والرغبة في مقاطعة السوق الأمريكية ـ وهو الوضع الذي حفّز نحو تأسيس منظمة أوبك سابقاً ـ الدول المنتجة للنفط للإطاحة بالنظام الدولي للنفط المُدار من قبل الغرب. وهذا الهدف هو ما نادى به بأعلى صوته أول وزير للنفط في السعودية عبد الله الطريقي عام ١٩٦٣م بعد أن تم طرده من منصبه وإجباره على العيش في المنفى. وبعد عقد من الزمان أصبح مبدؤه الراديكالي هو العرف الجديد في عالم صناعة النفط داخل وخارج الشرق الأوسط وما سيميز ما تم تسميتهم بالمتطرفين عن المعتدلين هو الطريقة ـ عبر قرار سيادي أو مفاوضات ـ والمدة الزمنية التي ستقوم خلالها الدولة المنتجة للنفط بالسيطرة على أصول الشركات.

ولهذا فإن الانفجار في الدراسات حول أرامكو في عقد السبعينيات وأوائل عقد الثمانينيات من القرن العشرين ـ بما في ذلك أوائل التواريخ التي ستعتمد على سجلات تابعة للبيت الأبيض ووزارة الخارجية تم الفسح عنها حديثاً ـ عكست تيارين متناقضين نابعين عن أزمة الطاقة هذه، وهما تياران

---

(١٩) Douglas Little, *American Orientalism: The United States and the Middle East since 1945* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2002), pp. 67-69.

يمثلان عهد ما بعد فييتنام(*)، وما بعد ووترغيت(**)، أي سنوات طوابير الانتظار الطويلة أمام محطات الوقود ومطالبات مجلة كومناتري (*Commentary*) باحتلال حقول النفط السعودية. في هذه الفترة، واجهت الشركات في واشنطن أكثر التحدّيات خطورة منذ تحقيقات إدارة ترومان حول كارتل(***) النفط الدولي، وانضم جيل جديد إلى نقاش القرن العشرين الكبير حول العلاقة بين قوة القطاع الخاص وقوة القطاع العام. في عام ١٩٧٣م، قامت لجنة فرعية من لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ - يترأسها السيناتور فرانك تشيرتش (Frank Church) ممثل ولاية إيداهو - بإطلاق تحقيقات على مدى سنوات حول علاقة الشركات المتعددة الجنسيات بالسياسة الخارجية الأمريكية. قامت اللجنة بمهاجمة شركات النفط إلى جانب شركات خطوط الطيران، والشركات الزراعية، وشركة آي تي تي (ITT) في تشيلي، وأخيراً وليس آخراً، وكالة الاستخبارات المركزية (السي آي إيه) والدور الذي أدته في اغتيال الزعيم التشيلي سلفادور أليندي. بالنسبة إلى البعض، كانت هذه الفترة هي أوج قوّة الكونغرس بعد أزمة الووترغيت، وبالنسبة إلى آخرين، كانت انهياراً للسياسة النفطية الداعمة للشركات التي كانت قد ساهمت في استقرار الأسعار والإنتاج الدوليين لعشرين عاماً أو أكثر.

في هذه الفترة نفسها - وبشكل صعب التصديق كما هو الآن - قدم كثيرون حججاً للبرهنة على كون كل من قدرة الولايات المتحدة الصناعية وقوتها في قيادة الاقتصاد العالمي في اضمحلال شديد وغير قابل للتدارك.

(*) حرب فييتنام هي حرب امتدت لعقدين من الزمان بين فييتنام الشمالية وفييتنام الجنوبية المدعومة من قبل الولايات المتحدة التي انتقلت من الدعم إلى المشاركة المباشرة في الحرب في محاولة منها لمنع تمدد الشيوعية في جنوب آسيا ضمن سياق الحرب الباردة. في عام ١٩٧٣، انسحبت القوات الأمريكية، وفي عام ١٩٧٥ سقطت سايغون عاصمة جنوب فييتنام في يد الجيش الفييتنامي الشمالي معلنة نهاية الحرب وتوحيد فيتنام (المترجم).

(**) فضيحة ووترغيت، هي فضيحة سياسية حدثت مطلع العقد السابع من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية كشفت محاولة إدارة الرئيس نيكسون المنتمي إلى الحزب الجمهوري التجسس على الحزب الديمقراطي، الأمر الذي أدى بنيكسون للاستقالة من منصبه الرئاسي (المترجم).

(***) كارتل هو تعريب لمصطلح (Cartel) وتعني تحالفاً اقتصادياً بين مجموعة من شركات سوق محدد - النفط مثلاً - بهدف تنسيق السياسات في ما بينها مما ينتج نوعاً من الممارسات الاحتكارية يتيح لها التحكم في حجم الإنتاج والتسعير وما إلى ذلك (المترجم).

وعلى الرغم من أن هذه الحجج ثبت خطؤها، إلا أن هؤلاء المؤكدين على الاضمحلال ـ كما كنت قد أشرت سابقاً ـ قد أصابوا في حجة ثانوية واحدة. فشركات النفط لم تواجه تحدياً فقط من قبل الكونغرس بل أيضاً من قبل المملكة العربية السعودية وبقية الدول المنتجة للنفط. والمشكل في الأمر هو أن المحللين في ذلك الوقت كانوا يكتبون كما لو أن هذه التغيرات الدرامية سبق تصورها في المفاوضات الأصلية بين أرامكو والملك عبد العزيز. فالمخلدون للحاضر (أي أولئك الذين يرون الحاضر في الماضي) كانوا أكثر المنبهرين بتلك اللحظات عندما تخفق أرامكو أو أي شركة أخرى في أي مكان في مفاوضاتها مع حاكم ما أو أحد ممثليه، بل إن البعض تخيل أرامكو رائدة في مسار جديد ينبغي على غيرها من الشركات اتباعها فيه، وأن منافساتها التي لم تكن على قدر كافٍ من الحكمة للقيام بذلك ـ مثل، كما يدّعون، شركة النفط البريطانية في إيران أو شركائها الأمريكيين في العراق ـ ستدفع الثمن الذي لن يكون سوى السيطرة العدائية[٢٠].

لقد ضاعت تفاصيل بناء مؤسسات الدولة السعودية في الجدال الذي دار بين أولئك الذين يصورون الشركات باعتبارها أدوات لما يسمى الإمبريالية الجديدة (وهم مشابهون لمن يجادلون اليوم عن الشيء نفسه في ما يخص الشركات والعولمة) وبين أولئك الذين يصرون على كون دول العالم الثالث قامت بقلب الطاولة على الشركات المتعددة الجنسية. لقد كان هناك عدم اهتمام واضح ـ في حالة الشرق الأوسط على الأقل ـ وعدم قدرة على الكتابة عن سياسات شركات النفط على الأرض. فدراسة إيرفاين أندرسون (Irvine Anderson) المنشورة عام ١٩٨١ عن أرامكو كانت حقيقةً الأولى والوحيدة التي تناولت «الموظفين الميدانين» كما وصفهم، حيث كان يعني

---

(٢٠) So, Douglas Little has Iranian nationalist Mossadegh agitating for "legislation forcing AIOC [British Petroleum] to split its profits with Iran fifty-fifty, as ARAMCO had recently done across the Persian Gulf in Saudi Arabia", but "the British firm refused to budge".

انظر: المصدر نفسه، ص٥٦.

The problem is his chronology. The Iranians pushed the fifty-fifty deal first. British Petroleum refused. ARAMCO officials then moved forward in Saudi Arabia, aided by the promise of a tax break inside the United States and fearing what Mossadegh actually started to agitate for, not profit sharing but nationalization.

المدراء، وما رآه بأنه توتر بينهم وبين المسؤولين في سان فرانسيسكو[٢١] ولم يكن هناك من السعوديين أحد مهم إلا اثنين: الملك، الذي كان دائماً ينتصر على الأمريكيين في لعبتهم، ووزير المالية ذي النفوذ غير المتناهي عبد الله السليمان. حتى اليساريون الجدد الذين تحولوا إلى طلاب دراسات عليا تجاهلوا مسألة العمّال (على الرغم من صعوبة تصديق ذلك) في تاريخ النفط. وكما صوّر الأمر بيتر نور (Peter Nore)، في كتاب سيظل شاهداً على تلك الفترة: **النفط والصراع الطبقي**»: «إن تاريخ نضال عمال النفط لم يكتب بعد»، وهو الأمر الذي سيظل صحيحاً لخمس وعشرين سنة تالية. وكان توقع نور أن «التركيبة شديدة التناسق بين رأس المال والعائد الريعي المرتفع» في هذه الصناعة قد سهل «للشركات أن «تشتري» عمال النفط عبر الأجور العالية مُشَكِّلَةً بذلك نوعاً من الأرستقراطية الكادحة»[٢٢].

عرف عدم الملاحظة

في مقالتها الرائعة «الأسود مهم»، تناقش الكاتبة والأستاذة في جامعة برنستون توني موريسون (Toni Morrison) النقلة التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة نحو تجاهل العرق[٢٣] لقد وصفتها بأنها «لفتة ليبرالية رؤوفة بل كريمة». فأجيال ما بعد الحرب كما لاحظت كانت تتم تنشئتهم بحيث لا يأبهون بالعرق. كانت موريسون تكتب حول نقاد الأدب في فترة ما بعد الحرب وعن صمتهم إزاء العنصرية في تاريخ الأعمال الأدبية، وفي عملية تدشين عيون الأدب، والنقود التي يمكن طرحها على النصوص الرئيسة، إلا أننا نستطيع بسهولة أن نتوسع في هذه الحجة خارج أقسام الأدب الإنكليزي في الجامعات بحيث يستوعب مجالاً أوسع هو مجال الدولة والمجتمع[٢٤].

---

(٢١) Irvine Anderson, *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981).

(٢٢) Petter Nore and Terisa Turner, eds., *Oil and Class Struggle* (London: Zed Press, 1981), p. 72.

(٢٣) Toni Morrison, *Playing in the Dark: Whiteness and the Literary Imagination* (New York: Random House, 1993), pp. 9-10.

(٢٤) Here we follow the lead of the historians and sociologists in the 1990s who rediscovered what black radical thinkers in the 1960s were arguing about the relationship of the Cold War to =

لقد رأى عبد العزيز أبو سنيد ـ أحد العمال السعوديين السبعة الذين قادوا إضراب عام ١٩٥٣م ضد نظام جيم كرو الخاص بأرامكو، وهو واحد من سلسلة إضرابات بدأت عام ١٩٤٥م وانتهت عام ١٩٥٦م بعد أن جعلت الدولة من الإضراب عملاً غير قانوني ـ أن عليه في البدء أن يتوجه بشكاواه إلى الإدارة مباشرة. لقد فكر الناشطون السعوديون العقلانيون مرتين قبل أن يتخذوا خطوة متهورة كالإضراب. ولم يكن هذا بسبب كونهم أرستقراطيين، بل لأن غيرهم من الذين قاموا بذلك تم ضربهم وسجنهم وقتلهم. قام أبو سنيد بتوجيه رسالة إلى رئيس أرامكو متسائلاً عن سبب معاملته في بلاده المعاملة نفسها التي تلقاها في العاصمة واشنطن، عندما تم منعه هو وبعض رفاقه ـ الذين تم إرسالهم إلى الولايات المتحدة من أجل تعليم الأمريكيين اللغة العربية قبل إرسالهم إلى الظهران ـ من دخول السينما بسبب حاجز اللون(*). لقد كان حاجز اللون هذا نفسه كما قال يتم فرضه من قبل الشركة في الظهران.

لقد كان عرف عدم الملاحظة هذا عنصراً إضافياً ساهم في الحفاظ على رؤية الشركة للأشياء. لقد كان من المستحيل أن تجد كتاباً يتناول إضراب ١٩٥٣ أو أي إضراب آخر ما عدا صفحة واحدة في كتاب ألف عام ١٩٦٠م (ولم يتم الاقتباس منه أبداً بعدها). وعلى الرغم من وجود رسالة أبو سنيد، إلا أن الكتاب ـ للأستاذ في جامعة بيركلي جورج لينزوفسكي

---

the course of American civil rights policies. See: C. Eric Lincoln, "The Race Problem and International = Relations," in: George Shepherd, Jr., ed., *Racial Influences on American Foreign Policy* (New York: Basic Books, 1970), and Charles W. Cheng, "The Cold War: Its Impact on the Black Liberation Struggle within the United States," in: Ernest Kaiser, ed., *A Freedomways Reader: Afro-America in the Seventies, foreword by James Baldwin* (New York: International Publishers, 1977).

Sadly, they both go uncredited by the new wave, which includes Mary Louise Dudziak: "Desegregation as a Cold War Imperative," *Stanford Law Review*, vol. 41, no. 1 (November 1988), pp. 61-120, and *Cold War Civil Rights: Race and the Image of American Democracy* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000); Brenda G. Plummer, *Rising Wind: Black Americans and U.S. Foreign Affairs, 1935-1960* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1996); Frank Füredi, *The Silent War: Imperialism and the Changing Perception of Race* (London: Pluto Press, 1998), and *Azza Salama Layton, International Politics and Civil Rights Policies in the United States, 1941-1960* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000).

(*) حاجز اللون (Color Line) تعني القوانين التي تقوم بالفصل بين الناس بحسب أعراقهم أو ألوان بشرتهم (المترجم).

(George Lenczwoski) ـ لم يذكر أي شيء عن نظام جيم كرو الذي قامت الشركة باستيراده إلى الظهران على الرغم من المؤشرات التي ذكرتها قيادة الإضراب. ولو فرضنا أن رسالة أبو سنيد لم يتم نشرها، فإن قادة كل إضراب ـ كما سنرى في ما بعد ـ كانوا يدينون عنصرية أرامكو وتمييزها لعقد كامل. ولم يؤدّ الهجوم على العنصرية دوراً في إضرابات العمال السعوديين فقط بل أيضاً في تلك الخاصة بالإيطاليين والباكستانيين وغيرهم[(٢٥)] قد يكون إهمال لينزوفسكي لهذه الحقيقة من أجل إرضاء شريك أرامكو الذي كان يدعم بحثه والذي لم يتم الإشارة إليه في القائمة الطويلة للمانحين الذين شكرهم في **النفط والدولة في الشرق الأوسط**، إلا أن تفسير موريسون أفضل، وهو قابل للتطبيق على المحافظ الاستشراقي المتحول إلى مستشار في شركة نفطية بنفس المقدار الذي يمكن تطبيقه على اليساريين الذين اعتقدوا أن الشركات اشترت الطبقة العاملة جاعلة منهم أرستقراطية كادحة. لقد كانت الاستراتيجية قديمة ومختلفة نوعاً ما: تقسيم العمال على أساس العرق من أجل السيطرة عليهم. بل يمكن فهم فكرة الأرستقراطية الكادحة باعتبارها هرمية يتربع في قمتها العمال البيض في حين أن ـ في حالة السعودية ـ السعوديين الذين تخيلهم الأمريكيون كسود وكوليين يقعون في القاع.

نقل مسؤولو الجيش الأمريكي الذين كانوا يدربون السعوديين أواخر الخمسينيات وبدايات الستينيات أن مسألتين كانتا تثير حيرتهما في نقاشاتهم وأنهما تستلزمان انتباهاً خاصاً ودعاية أفضل: سياسة أمريكا تجاه فلسطين، وانتشار التمييز العرقي في الولايات المتحدة الأمريكية. إن العودة إلى لحظات مثل هذه ـ ولا حاجة للقول إن هناك كثيراً منها ـ تجبرنا على التفكير بحجة رئيسة أخرى من حجج موريسون حول كيف أن «أموراً مغيّبة قد تلفت الانتباه لنفسها من فرط التأكيد والتشديد عليها والتخطيط لها»[(٢٦)] فشركة تقوم

---

(٢٥) The first article on labor struggles in the kingdom by ARAMCO's Italian workers (but only the Italians!) was published in 1986. See Ian Seccombe, ""A Disgrace to American Enterprise": Italian Labor and the Arabian American Oil Company in Saudi Arabia, 1944-56," *Immigrants and Minorities*, vol. 5, no. 3 (1986), pp. 233-257.

(٢٦) Toni Morrison, "Unspeakable Things Unspoken: The Afro-American Presences in American Literature," in: Henry B. Wonham, ed., *Criticism and the Color Line: Desegregating American Literary Studies* (New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1996), p. 24, =

بإحراق سجلاتها في واحدة من محاولاتها للحفاظ على حاجز اللون قائماً. وفي واشنطن، يحاول نائب رئيس أرامكو إقناع موظف في وزارة الخارجية بأن الاحتجاجات الموجهة ضد التمييز العنصري في الظهران ليست سوى حالة أخرى من اتباع خطى الشيوعية، وهو ما كان الساسة في الجنوب في الفترة نفسها يقولونه عن المحتجين السود في مونتغمري (Montgemry)[*].

وبعد عقود قام ابن باستئصال الشتائم العنصرية من رسائل أبيه قبل نشرها كدليل على ديمومة التعاون والصداقة السعودية ـ الأمريكية. وفي عام ٢٠٠٤م سيقوم، وببساطة، الصحفي السابق في صحيفة **الواشنطن بوست** توماس ليبمان (Thomas Lippman) بتجاهل الوقائع المقلقة لاحتجاجات السعوديين ضد التمييز الأمريكي عوضاً عن محاولة مقارعتها الحجة بكل أمانة[٢٧].

وتبنّى المفكرون على مدى النصف الثاني الطويل من القرن العشرين واحداً من بين أربعة مواقف في محاولتهم للتوفيق بين تصوراتهم بما يتعلق بخصوصية الشركات والدول والتراث العنصري الثري في أمريكا: الموقف **الأول** والأكثر شهرة، كما تبيّن ذلك توني موريسون، هو عدم الملاحظة أو التظاهر بأنه غير مرئي كما في، على سبيل المثال، مخططات الأحياء السكنية النفطية.

= طبع من:

Michigan Quarterly Review, vol. 28 (Winter 1989).

(*) في ١ كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٥٥م رفضت امرأة تدعى روزا باركس الانصياع لقوانين الفصل العنصري في حافلات النقل العام في مدينة مونتغمري في ولاية ألاباما في الجنوب الأمريكي مما أدى إلى سجنها. أدت الحادثة إلى أن يقوم السود بتنظيم حملة لمقاطعة ركوب الحافلات شكلت لحظة فارقة في تاريخ حركة الحقوق المدنية في أمريكا (المترجم).

(٢٧) Compare the details provided in Thomas W. Lippman, *Inside the Mirage: America's Fragile Partnership with Saudi Arabia* (Boulder, CO: Westview, 2004), pp. 88-89, with my original account in "Aramco World". Lippman requested the article and later wrote to thank me for it ("Hello again from Washington. I have finished my book: about Americans in Saudi Arabia; it is due to come out around Christmas time. I'm indebted to you for alerting me to the memoir of Nora Johnson, which I would not otherwise have found. I'll see to it that you get an early copy of the book if you'll send me a mailing address"). My study meanwhile is never referenced. The norm against noticing apparently trumps the one about a journalist's responsibility. Robert Vitalis, "Aramco World: Business and Culture on the Arabian Oil Frontier," in: Karen K. Merrill, ed., *The Modern Worlds of Business and Industry: Cultures, Technology, Labor* (Turnhout, Belgium: Brepols, 1999), pp. 3-28.

أعيدت طباعته، في:

Madawi Al-Rasheed and Robert Vitalis, *Counternarratives: History, Society and Politics in Saudi Arabia and Yemen* (New York: Palgrave; St. Martins Press, 2003).

أما الثاني فهو موقف ميردالوي(*)، وهو موقف معروف تقوم فكرته على أن العنصرية نوع من الارتجاعية الثقافية(**)، أي إنها إحدى مخلفات زمن قديم أو سمة دخيلة من مكان آخر ذات حياة قصيرة عوضاً عن أن تكون طويلة. وبالتوازي مع هذا الموقف كان ممثلو أرامكو يدافعون عن الشركة في الستينيات من القرن العشرين.

الثالث، والذي يبدو أكثر صراحة، سلم بحقيقة العنصرية في فترة محددة باعتبارها عرفاً اجتماعياً. ولهذا فإنه إذا قامت شركة باستخدام العنصرية ضمن ترسانة أدوات التحكم بالعمال التي تتوفر عليها، فإنه بالكاد أن يكون خطأ مديريها وملاكها الذين لن يكونوا في التحليل الأخير إلا نتاج عصرهم. إلا أن مشكلة هذا الموقف تكمن في التوفيق بين فكرة الأعراف الاجتماعية السائدة هذه وادعاء الخصوصية، خصوصاً عندما يتم تعريف هذه الأخيرة باعتبارها ذلك الالتزام المدّعى للشركة بالرقي، والإصلاح، والتطوير، والرفاه وغيرها اتجاه موظفيها.

أما الرابع، وهو الموقف الذي أتبناه، فهو التفكير بمؤسسة العنصرية بشكل جاد. وهذا يعني أولاً وقبل كل شيء التسليم بالتراث الطويل غير المنفصل للهرمية العنصرية في تخوم(***) التعدين عبر العالم. وهي كذلك تعني تطوير رؤية حول الدور الفعلي للشركات في بناء هذه الهرميات وحمايتها كواحدة من المآثر العظيمة وغير المعلنة للهندسة الاجتماعية التي قامت بها شركات النفط الأمريكية المتعددة الجنسيات، أو كما نسميها اليوم: العابرة للدول. وهي أخيراً تعني التفكير بعمق ـ والنظر بشكل متجاوز للشركة ـ من أجل تفسير يطرح أسباباً مناسبة للتغيرات في النظام الذي بني على العرق(٢٨).

(*) نسبة إلى غونَر ميردال المذكور في المقدمة (المترجم).

(**) الارتجاعية الثقافية (Cultural Atavism) هي نوع من العودة إلى ممارسات ثقافية بالية وتقليدية بدائية عفّى عليها الدهر (المترجم).

(***) مصطلح تخم هو ترجمة لكلمة (Frontier) وهذا المصطلح في السياق الأمريكي يشير إلى المناطق غير المأهولة بالبشر (عادة تكن مأهولة بالهنود الحمر الذين يتم تهجيرهم) في أطراف الدولة الأمريكية التي يذهب إليها مجموعة من البيض [يسمون عادة بالرواد] ويقومون باستيطانها، ثم تتبعهم الدولة فيما بعد لتقوم بضم هذه الأراضي إليها.

(٢٨) Robin D. G. Kelly, ""But a Local Phase of a World Problem": Black History's Global Vision, 1883-1950," *Journal of American History*, vol. 86, no. 3 (December 1999), pp. 1045-1077; Howard Winant, *The World Is a Ghetto: Race and Democracy Since World War II* (New York: Basic Books, 2002), and Thomas Borstelmann, *The Cold War and the Color Line: American Race Relations in the Global Arena* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003).

حجة الكتاب

في العقد أو العقدين الأولين بعد الحرب الأهلية ـ في الفترة المعروفة في الجنوب الأمريكي بإعادة الإعمار ـ قام البيض الجنوبيون بتأسيس نظام يقوم على الفصل قانونياً بين ما يسمى الأعراق، أدى هذا القانون دوراً رئيساً في تأكيد تفوق البيض، إلا أن نظام جيم كرو ـ وهو الاسم الذي باتت تعرف به النسخة الأمريكية من نظام الفصل العنصري ـ احتوى على جملة متنوعة من الوسائل التي تضمنت القسر الاقتصادي ومنظمات العنف خارج إطار القانون. قامت هذه الوسائل بتعريف وتقسيم وتحديد فرص العيش للطبقات المهيمنة والمهيمَن عليها لغالب فترة القرن اللاحق. لم يكن ممكناً للسود «الأحرار» في الجنوب أن يدخلوا المجالات العامة المقصورة على البيض من حدائق وصالونات وأحواض سباحة، كما أنه تم حرمانهم من التعليم والرعاية الصحية، أو أنهم كان يتم تعليمهم في مدارس متدنية المستوى. كان السود يجنون أقل من البيض للعمل نفسه، كما أنهم كانوا يعيشون في بيوت وأحياء ذات مرافق عامة سيئة إن لم تكن معدومة.

جانب كبير من عمل الباحثين ذهب من أجل تطبيع هذه الهرمية؛ فالأعراق حقيقية كما بيّن ذلك أساتذة الجامعات، وواقع وجود أجساد مختلفة من حيث اللون والإمكانية يفسر لِمَ كان كل من الفصل والتمييز ضرورياً، إلا أن الحقيقة هي أن تلك المؤسسات القانونية والأخرى التي كانت فوق القانون هي التي قامت بخلق هذه الثنائية العرقية العشوائية والإبقاء عليها. وهذا ما عناه دبليو.إي.بي. دو بوا عندما قال: إن الرجل الأسود في نهاية المطاف ليس سوى شخص أرغم على ركوب سيارة جيم كرو. ونحن الآن نقول الأمر نفسه ولكن بشكل أقل إيلاماً: العرق هو بنية اجتماعية.

صناعة التعدين لم تكن مزدهرة في الاقتصاد المبني على تصدير المنتجات الزراعية في الجنوب، ومناجم الفحم الموجودة في ولايتي وست فرجينيا وآلاباما هما الاستثناءان لهذه القاعدة. إلا أنه كلما برزت استثمارات تعدينية كبيرة النطاق في أماكن أخرى من الولايات المتحدة في سبعينيات القرن التاسع عشر ـ كمناجم الفحم في ولايات بنسلفانيا، أوهايو، كنتاكي، وايومينغ، ومناجم النحاس في الأقاليم الجنوبية الغربية، والنفط في بنسلفانيا، وأوهايو، والغرب ـ نجد أن شركات التعدين تنظم إنتاجها بطريقة

مشابهة لتنظيم الجنوب للمجتمع فيما بعد فترة إعادة الإعمار. وبشكل أساس، كانت أعراف الفصل والتفرقة في الحقوق والامتيازات هي التي حكمت الحياة في مناجمها ومخيماتها ومدنها المقسمة بشكل صارم. كان مزيج الأعراق مختلفاً ـ مكسيكيون، صينيون، صرب، يونانيون، إيرلنديون ـ عبر تخوم التعدين، ولكن ـ وكما في الجنوب ـ فإنه من الممكن لبعضهم أن يكون أبيض ويهرب بالتالي من وضعية الاضطهاد التي أودع فيها بقية الأعراق الأدنى درجة.

كان تقسيم العمال على أساس العرق وسيلة لمنع تنظيم نقابات في المناجم حيث إن النقابات كانت مهمة لأولئك الذين أرادوا القضاء على نظام توزيع الأجور على أساس العرق. كل الشركات كانت تدفع لعمال المنجم والحفارين وغيرهم من العمال المهرة وغير المهرة أجوراً مختلفة بحسب العرق. وكان إنهاء هذا النظام القضية التي لم تحرض الأعراق المضطهَدَة لأجلها ضد الملاك والمدراء البيض فقط بل أيضاً ضد الطبقة المنعمة من العمال في إضراب تلو الآخر خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. لقد عملت هذه التشكيلة الكاملة من مؤسسات جيم كرو ـ من مساكن مفصولة على أساس عنصري مروراً بتفريق في الخدمات المقدمة إلى الاحتقار والإهانة في فكر التفوّق الأبيض ـ على تدعيم نظام التحكم بالعمال.

كما اتبعت كبرى الشركات استراتيجية أخرى ـ هي الأبوية(*)، أو ما يعرف رسمياً في العلاقات الصناعية الأمريكية بالعمل الخيري ـ ضمن جهودها لسحق أي محاولة لتشكيل نقابات في المناجم وحقول النفط[٢٩] فسيقوم الملاك بعرض تسهيلات وبناء مساكن وكنائس ومرافق ترفيهية لبعض العمال ـ عادة لجزء صغير منهم ـ كوسيلة لكسب ولائهم وبالتالي تحقيق

(*) الأبوية (Paternalism) وصف للسياسة التي يقوم من خلالها من يمتلك السلطة بالحد من حريات المحكومين لسبب يراه هو أنه في مصلحتهم، كمنع مطاعم الوجبات السريعة في ولاية نيويورك من بيع الحجم الكبير من المشروبات الغازية حماية للمواطنين من السمنة (المترجم).

(٢٩) Sanford M. Jacoby, *Modern Manors: Welfare Capitalism since the New Deal* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1997), pp. 3-5 and 11-34 for the nature of the emerging system of welfare work capitalism designed to thwart both government intervention and union building.

الاستقرار. وهكذا، وعلى الرغم من أن الأخلاقيات العنصرية هي التي تحكم التوزيع الهرمي لهذه التسهيلات، فإن إحسان الشركات هذا قد كشف بشكل جلي كيف أن ما يسمى بالأطراف الثلاثة أو الخارجية ـ بما في ذلك الولايات المحلية كولاية أريزونا على سبيل المثال ـ كانوا يمثلون ثاني أفضل خيار (أو ثاني أكثر اختيار سوءاً) من أجل تأمين حياة كريمة. ومن دون الحاجة إلى الإشارة لذلك، فكل الشركات الكبيرة قامت بنقل هذا النموذج معها عندما بدؤوا بالإنتاج من خارج الحدود الأمريكية.

بعضهم يحتفي بـ«الصفقة الجديدة»(*) التابعة لفرانكلين روزفلت باعتبارها تجاوزاً لأبوية العمل الخيري التي تقوم بها الشركات، في حين أن آخرين ينتقدونها باعتبار أنها ليست شيئاً سوى العمل الخيري نفسه لكن بشكل أكبر بقليل وبأدوات مختلفة. وحالة المملكة العربية السعودية لا توفر أي مجال للرؤية من أجل حسم هذا النقاش، فعلى الرغم من أنه من الصحيح القول: إن زيادة القوانين كان أحد العوامل التي قادت الصناعات ذات العمالة الكثيفة ـ وصناعة التعدين واحدة منها ـ إلى الاستثمار في أماكن خارج نطاق قوانين نظام دولة الرفاه الفدرالية، إلا أن صناعة النفط تتميز في كونها صناعة ذات عمالة غير كثيفة مقارنة بالتنقيب عن الفحم أو النحاس. فالعوامل التي تقود الشركات إلى زيادة الاستثمار في اكتشاف النفط في الخارج تختلف في جزء منها عن تلك التي تقود آليات الاستثمارات الخارجية لدى شركات تعدين النحاس. وما كان عاملاً مشتركاً بين هذه الصناعات المختلفة والتخوم التعدينية هو اعتمادها على خليط من العنصرية وأبوية العمل الخيري.

تقلل العنصرية تكلفة العمالة وتجعل العمال منقسمين على أنفسهم، فمحاولة التنظيم تحت ظروف كهذه سيجعل من تعميق الفجوة العنصرية بين العمال أكثر احتمالاً من تضامنهم الطبقي، فإذا افترضنا أن كل العوامل الأخرى لم تتغير، فإنه يمكن القول: إنه كلما زاد تقسيم العمال كلما قلت

(*) الصفقة الجديدة (New Deal) هي حزمة من القرارت والقوانين والإصلاحات التي تمت من خلالها مواجهة أزمة الكساد الكبير في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة ما بين ١٩٣٣ إلى ١٩٣٦، وهي الفترة الأولى من رئاسة روزفلت (المترجم).

الخشية من تنظيم نقابات أو إضرابات. أما اعتماد معايير عنصرية في توزيع منافع العمل الخيري فإنه سيقلل التكاليف على الشركات في الوقت نفسه الذي سيثبت فيه الهرمية التي تدفع منظمي العمل إما إلى الإيمان بها أو أن يجدوها صعبة التجاوز. وبيّن العلم العنصري، الذي يشمل الأدبيات التي باتت تعرف بـ«تنمية العرق»، كيف أن السود والمكسيكيين وغيرهم من الأقوام الأدنى درجة ثقافياً وبيولوجياً بحاجة إلى إرشاد وارتقاء تدريجي عوضاً عن أجور أعلى ومدارس ومساكن أفضل وما إلى ذلك من الأمور التي كانت مقصورة على البيض[٣٠].

ولا يفوتنك أن تعرف أن حتى فكرة «الرقي» هذه تمت معارضتها في أمريكا بل اعتبرت خطيرة، فبعض الخبراء، إن لم يكن أغلبهم، أصروا على أن إنفاق الموارد لصالح أعراق غير قابلة للتقويم ليس سوى هدر. وسيكون على الحالمين في مطلع القرن العشرين في أمريكا، من أمثال دو بوا، ومنظمات مثل الجمعية القومية للنهوض الملونين (NAACP) ومؤتمر كل الأفارقة (Pan-African Congress) أن يفكروا ويحرضوا بغير المفكر به: المطالبة بحرية ومساواة مباشرة، وزيادة التمكين في دخول الجامعات، والحق في إدارة المفاصل الحيوية من الاقتصاد عوضاً عن الكدح في حقول القطن ومناجم الفحم. فالقوميون في كل من المكسيك وفنزويلا وإيران والعراق والسعودية بالإضافة إلى أماكن متعددة أخرى سيطالبون بهذه المطالبات نفسها. وأخيراً، وغالباً عند نهاية اللعبة، عندما ارتأت الشركات استبدال عمالها البيض، بدأ الملاك باستخدام الأبوية من أجل شراء ولاء الأعراق الأقل؛ إذ سيقومون بتقديم أنفسهم كمدافعين عن السود ضد نقابات البيض، وضد الانتهاكات اليومية من قبل المدراء الأقل درجة، وضد عداء المجتمع المحيط.

قامت الشركات باستخدام ودعم مؤسسة ثالثة في حربها ضد النقابات: العنف. فتاريخ التنظيمات العمالية والإضرابات ضد العنصرية في صرف المرتبات وغيرها من الجوانب في عالم تخوم التعدين القائم على الفصل

---

(٣٠) On race development, see Vitalis, "Birth of a Discipline," and Jessica Blatt, ""To Bring Out the Best That Is in Their Blood": Race, Reform, and Civilization in the "Journal of Race Development" (1910-1919)," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 27, no. 5 (September 2004), pp. 691-709.

وعدم المساواة متخم بالأمثلة عن شركات توظف شرطة خاصة أو، كما يفضلون، يكسبون دعم السلطة المحلية أو ما يقابلها لتوظيفها ضد ما يهدد النظام. سَحْقُ موجة الإضرابات في جنوب أريزونا في العقد الأول من القرن العشرين هو أحد هذه الأمثلة، وتحالف دوني مع القائد العسكري مانويل بيلاييز (Manuel Peláez) خلال الثورة المكسيكية الطويلة هو أشبه ما يكون بالأساطير. ولئن كان من المعتاد ملاحظة دور الإدارات الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية في تسليح وتدريب مقاتلي الملك السعودي الذين تحولوا إلى جيش، فإن ما لم تتم مناقشته هو دور أرامكو والسفارة الأمريكية في تسليح أمير المنطقة النفطية ابن جلوي.

إن محاولة تعميم نتائج الحرب ذات العقود الطويلة والمتعددة الجبهات بين الشركات والعمال أمر صعب خصوصاً مع عدم وجود دراسات مقارنة؛ إلا أنه من المؤكد أن محاولات تشكيل النقابات تم إحباطها بقوة، وأن شركة ما قد تفتخر ـ في حال كان مؤرخوها المستقبلون وقحين بدرجة كافية ـ بقدرتها على حماية نظامها العنصري في مخيماتها متماسكاً طيلة حياتها ـ كما حدث في إحدى الحالات ـ قبل أن تتهاوى أسعار النحاس فيقرر الملاك إغلاق المناجم ونقل الإنتاج إلى شمال روديسيا (زامبيا الآن). في حالات أخرى، نجد سياسيين شعبويين يتحالفون مع النقابات مجبرين الشركات على العمل بصعوبة من أجل حماية منطقة امتيازها المعزولة ومقاومة مطالبات إنهاء الفصل العنصري في الوقت نفسه الذي تقدم فيه «تنازلات هامشية». وهذا المصطلح مأخوذ من دراسة مايكل كونيف (Michael L. Conniff) المتميزة عن منطقة قناة پنما وهي المستعمرة الأمريكية التي قال عنها ريموند ليزلي بيول (Raymond Leslie Buell) ـ المتخصص الرائد في أمريكا في مشاكل الاستعمار ـ بأنها كانت نموذجاً لتطور العلاقات بين بريطانيا ومصر في عشرينيات القرن العشرين[٣١] فقد تم تنظيم العمل في منطقة القناة على نظام مكون من مستويين من الأجور والتسهيلات قام بفصل الأمريكان البيض عن

(٣١) Raymond Leslie Buell, "Panama and the United States," *Foreign Policy Reports*, no. 7 (20 January 1932), p. 409,

ورد في:

Walter LaFeber, *The Panama Canal: The Crisis in Historical Perspective*, expanded ed. (New York: Oxford University Press, 1979), p. 66. LaFeber argues for seeing the Zone as acolony.

العدد الهائل من المهاجرين من هنود الغرب المستقدمين من باربادوس (Barbados)، وجامايكا (Jamayca)، ومارتينيك (Martinique)، وغيرها من الأماكن لبناء القناة وغيرها من الأعمال الثانوية[٣٢] وأجور العمّال كانت مقسمة على سلم رواتب تصرف بالذهب (العملة الأمريكية) وأخرى بالفضة (البيزو البنمي). وأصبح سلم الرواتب هذا هو وسيلة ـ كما وصفها بذلك أحد موظفي لجنة القناة ـ «الحكومة لرسم الخط الفاصل بين الأعراق وهي الممارسة التي لا يمكنها أن تقوم بها بهذا الشكل المفضوح تحت دستور الولايات المتحدة الأمريكية»[٣٣] فالحكومة التي كان يقصدها عضو اللجنة هي الحكومة الأمريكية بالطبع التي بنت وأدارت هذه المنطقة المعزولة عبر الفصل العنصري بطريقة مشابهة لما ستؤسسه أرامكو في الظهران بعد ثلاثة عقود.

على الرغم من أن صناعة النفط في الولايات المتحدة الأمريكية بقيت أكثر القطاعات الاقتصادية معاناة من الفصل العنصري خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أن استراتيجية التحكم بالعمالة عبر العنصرية والتمييز بدأت بالتفكك مع مرور الوقت، وللأسف، لم أجد تفسيراً مركباً وجيداً لعملية التفكك هذه، إلا أن التفسير العام الذي طرحه غاري غيرستل (Gary Gerstle) والذي يداخل بين العمل والحقوق المدنية في كتابه **البوتقة الأمريكية** (*American Crucible*) سيفي بالغرض.

فمن ناحية **أولى**، يجادل غيرستل بأن الصفقة الجديدة مثلت بشكل فعلي تراجعاً للبديل الذي كأنه العمل الخيري المعادي للنقابات في العلاقات الصناعية الأمريكية، فالنقابات نمت على نحو أكثر قوة وشرعية عندما دعمت الحكومة الفدرالية حق العمال بالتنظيم.

ثانياً: قامت قطاعات من اليسار بالتحرك أكثر مما فعلت إدارة روزفلت ساعية لكسر حواجز الإقصاء وبناء تحالفات عابرة للعرق؛ إذ نجد أن مؤتمر المنظمات الصناعية (Congress of Industrial Organizations) يشن حملاته ضد

---

(٣٢) Michael L. Conniff, *Black Labor on a White-Canal: Panama, 1904-1981*, Pitt Latin American Series (Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1985), p. 6.

(٣٣) William R. Scott, *The Americans in Panama* (New York: Statler Publishing Company, 1912), p. 189. Woodrow Wilson's program to enforce Jim Crow in the District of Columbia was still to come.

التمييز. وعلى الرغم من ذلك استمرت التيارات التي ترى تفوق العرق الأبيض بالهيمنة على السياسة في الجنوب وفي الغرب؛ حيث قامت الصفقة الجديدة بالقليل ضد حرمان الأعراق الأخرى من حق التصويت.

أما ثالث وأهم قوة في إضعاف هذه الممارسات هو الحركة الاجتماعية المنبثقة من الأسفل التي أدت إلى ثورة الحقوق المدنية في الستينيات من القرن العشرين.

وجادل غيرستل ـ بشكل غير معتاد بالنسبة إلى مؤرخ اجتماعي أمريكي ولكن من مصدر ـ بأن من بين أهم العوامل التي ساهمت بدفع حركة الحقوق المدنية كان «انهيار الإمبراطوريات الأوروبية في أفريقيا وآسيا» وتعبئة حركات المستعمَرين من أجل الاستقلال[٣٤] ومن الأمور المنسية التي توضح ذلك هو تواجد القس الجنوبي ذي الثمانية والعشرين عاماً ومنظم حملة مقاطعة الباصات في مونتغمري، مارتن لوثر كينغ جونيور، في أكرا في إحدى ليالي عام ١٩٥٧م عندما نالت غانا ـ أول دولة جديدة في أفريقيا جنوب الصحراء(*) ـ استقلالها.

وأهمية هذه النقطة تكمن في احتمالية كون التحديات الناجحة ضد تنظيم العمل على أساس العرق في الشركات النفطية قد يكون حَدَثَ أولاً وتطوّر بشكل أسرع خارج الولايات المتحدة الأمريكية وليس في داخلها، في المكسيك وفنزويلا على سبيل المثال إلا أنه بالتأكيد لم تكن المسألة بحيث كانت أمريكا تنير الطريق للآخرين، إلا أني أيضاً واثق من أمرين. راكمت كل من تكساكو وشيفرون وإكسون وموبيل ـ وهي الشركات المالكة لأرامكو ـ عقوداً من الخبرة في عشرات المدن المحلية: بيومونت وبيكرسفيلد، وكوالينغا، وماراكيبو، وأويلفيل، وتامبيكو(**). لقد قاموا بتشكيل كل حقل وكل مخيم في كل مكان بالطريقة نفسها، عقداً تلو الآخر، وذلك بتقسيم

---

(٣٤) Gary Gerstle, *American Crucible: Race and Nation in the Twentieth Century* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001), p. 271. The other quotes in the preceding paragraphs are general enough not to require specific page references. I have extracted the account from a richer, more complex narrative developed in the first seven chapters.

(*) أفريقيا جنوب الصحراء (Sub-Saharan Africa) هو المصطلح المستخدم لوصف المنطقة الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى التي تفصلها عن الشمال الأفريقي (المترجم).

(**) تقع هذه البلدات في الولايات والدول الآتية بحسب الترتيب: تكساس، كاليفورنيا، فنزويلا، المكسيك (المترجم).

القوة العاملة والفصل بينها ودفع أجور مختلفة لها بحسب العرق. وفي كل مرة تثبت النقابات قوتها، أو عندما تلتقي مصالح الساسة المحليين بمصالح الشركات لمواجهة تشكيل النقابات، فإن الشركات تبدأ بتقديم تنازلات بما يتعلّق بتحسين الظروف المعيشية للغالبية، والموافقة أخيراً على بناء المدارس التي كانت قد وعدت بها منذ عشر سنوات على سبيل المثال أو الموافقة على زيادة الأجور وما إلى ذلك. وهذه التنازلات تم انتزاعها، قطعة قطعة، من قبل العمال في ولايتي كاليفورنيا وأوكلاهوما وفي كولومبيا وفنزويلا وإندونيسيا والسعودية. ولم تكن المسألة مسألة تعلّم من الشركات، فالحقيقة التي لا جدال فيها هي أن هذه كانت استراتيجية مقصودة تم توظيفها بشكل مستمر وثابت طيلة قرن من الزمان. وبمعنى آخر، فإن ما تعلّمته الشركات هو أنه من المنطق الاستمرار في توظيف الاستراتيجيات المجربة والصحيحة أطول فترة ممكنة. وحتى في أواخر خمسينيات القرن العشرين، وعلى الرغم من أن ملّاك أرامكو أجبروا على تقديم تنازلات لعمالهم العرب، فإننا نجد شركة جديدة ـ تدعى غتي (Getty) ـ تبدأ الإنتاج في المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية مستخدمة الاستراتيجية نفسها القائمة على التحكم عبر التفريق على أساس العرق.

ونستطيع أن نضيف أيضاً أن المساواة بين العمال البيض وغيرهم ما زال طموحاً لم يتحقق بعد. وهذا في جزء منه يعود إلى كون عمليات التأميم أنهت مسؤوليات الشركات الأمريكية في تنظيم العلاقات الصناعية وإصلاحها. وفي جزء آخر أيضاً منه يعود إلى بدء الشركات بإخفاء جذور وأصداء مؤسسات العمل التي بنوها على فكرة تفوّق العرق الأبيض خلال الحرب الباردة بشكل متسق مع الرأي العام المتعلّق بالضغوط التي واجهتها كل من دولة ومجتمع ما بعد الحرب الأمريكية. وهكذا، ستقرر أرامكو تعديل بعض أسماء المخيمات والأحياء، وتبدأ بإلغاء الانتهاكات الثانوية التي كان الموظفون البيض يوقعونها على السعوديين، وتمهيد الأسس لتأكيد التزامها المستمر بتطبيق سياسات الفصل وعدم المساواة في بيئات السكن والعمل. وستصر الشركة في حملاتها الإعلامية المكثفة على أن مبرر هذه السياسات ليس العنصرية بقدر ما هو مستويات الكفاءة والمهارة، وأن الأسواق لا الهرمية العنصرية هي التي تحدّد استلام بعض العمال لأجورهم بالدولار وغيرهم بالريال. ومن دون حاجة إلى التذكير، فإن العمال

السعوديين (الذين بدأت تدعوهم الشركة «بالعمالة العامة») وغيرهم من الأقل حظاً (ويسمون بـ «المتوسطة») لم يتم خداعهم بهذا الكلام.

ومن أسباب عدم تحقيق طموح المساواة هذا هو أن الحكومات القومية أو الشعبية ـ سواء لوحدها أو بالتعاضد مع نشاط طبقة عمالية متنامية ـ قاموا بإجبار الشركات على أن توفر للأغلبية خدمات مكافئة لتلك التي توفرها لعمالها البيض. وبسبب التكاليف العالية للقيام بهذا الأمر فإنّ الشركات لجأت في بعض الأحيان إلى توفير بدائل أقل كلفة. سنرى هذا الأمر في حالة توفير خدمات تعليمية لأبناء العمال السعوديين كمقابل لتلك التي توفر لأبناء المدراء والعمال البيض. وسنراه أيضاً في حالة الإسكان حيث كانت الشركات توفر للبيض سكناً مجانياً. وبعد نضالات عمالية في ماراكيبو وجاكارتا والظهران استطاع العمال نيل اعتراف الشركة بحقوقهم بتسهيلات سكنية مساوية، إلا أن الشركات توقفت عن بناء المساكن ـ عدا تلك التي بنتها للبيض ـ وبدأت بتقديم قروض لهم من أجل أن يبنوا منازلهم بأنفسهم موفرة بذلك عشرات الملايين من الدولارات في كل موقع. في مثل هذه اللحظات سنجد دوماً حكماً جاهزاً من قبل بعض المقيمين الجادين والمنصفين يصف مثل هذه الخطوة بأنها «حل ذكي وكريم» من قبل الشركة(٣٥). إلا أن وصف الكرم هنا تعبير لطيف لآخر جارح. فالحل يكون كريماً فقط بالمقارنة مع القرار الأول، الذي لم تتم مناقشته، بتوفير مساكن وخدمات لائقة لطبقة صغيرة منعمة في حين أن الآخرين كانت تقدم لهم مساكن حقيرة وقذرة ولا شيء أكثر. وعلى الرغم من أن السعوديين استمروا في الاحتجاج على هذا الظلم، إلا أن حماية الشركة لقلب المعادلة ـ أي الأبوية العنيدة لمسؤولي الشركة، والفصل بين الأحياء السكنية نفسها ـ غلبت مطلب المساواة كما يبدو.

وأخيراً، فإن سجلات الشركة تظهر أن منافساتها في العراق وإيران (وهي شركات مملوكة من قبل شركات بريطانية وأمريكية) مضت بشكل أسرع وأبعد في كافة المجالات التي كان العمال السعوديون قد بدؤوا فيها بالحشد من أجل تغييرها، والطبقة الصغيرة من موظفي الدولة السعودية قد ضغطت

---

(٣٥) Lippman, *Inside the Mirage: America's Fragile Partnership with Saudi Arabia*, p. 84.

على أرامكو من أجل احترامها. هذا يصح على كل من الأجور، وتوفير السكن، وتدريب الموظفين، وتعليم أبنائهم، وتشجيع تسلّم العرب والفرس مناصب إدارية، وتفسير هذا بسيط، بل كان معروفاً في وقته إلا أنه تم نسيانه مباشرة. فبينما كانت الدول الثلاث دولاً ملكية، فإنه فقط في العراق وإيران يوجد برلمانات وأحزاب ونقابات، فالسياسة الشعبية التي أصرت على الاندماج وإعادة توزيع الثروة تجذّرت أكثر في كلا البلدين بعد الحرب العالمية الثانية لتصل إلى قمتها في قرار التأميم المشهور للشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط في عام ١٩٥١م (والذي تم تعديله جزئياً فقط بعد الانقلاب الناجح الذي قامت به السي آي إيه بعد عامين) والثورة في العراق عام ١٩٥٨م. في حين أن الظروف للحركة العمالية السعودية الوليدة وثلة موظفي الدولة الذين ارتأوا دفع السعودية باتجاه أكثر اندماجاً وأعدل في توزيع الثروات كانت ـ وذلك حتى نفهم عقبة الحكم المطلق ـ مشؤومة. فالشركة هنا كانت أكثر حرية في تجنب وتجاهل ومواجهة المطالبات بالعدل وتطوير الرأس المال البشري.

وفي حين أن هناك عدداً من المصادر تدعم هذا التحليل، إلا أن أكثر نقد قاسٍ تمّ توجيهه لنظام العمل الذي بنته الشركة جاء من المستشارين والمعاونين التابعين لروكفلر (Rockefeller) ـ أحد كبار ملاك الأسهم في إكسون ـ والذين كانوا يفاوضون من أجل شراء ٣٠ في المئة من أسهم عمليات شيڤرون وتكساكو في الظهران وجاؤوا لأخذ جولة في منشآت متعددة على عدة فترات أواخر العقد الرابع من القرن العشرين. ونحن لدينا تقارير جولات هؤلاء المستشارين في المخيمات والأحياء السكنية وبعض الأدلة على جهودهم لإسقاط العنصريين العنيدين الذين انتقلوا إلى إدارة أرامكو مباشرة بعد عملهم في كل من كولومبيا وفنزويلا.

هذا التدخل من قبل مجموعة روكفلر ـ غير الموثق في أي مكان آخر ـ قد يمثل استثناء لنظريتي العامة حول تفضيل شركات النفط واستمرارهم في بناء هرميات عنصرية. فالأعمال الأخيرة عن المجهود الشخصي لنلسون روكفلر (Nelson Rockfeller) لإصلاح السياسات الخاصة بالعمال للشركة التابعة لموبيل في فنزويلا، كريول للنفط (Creole Petroleum)، بعد الحرب العالمية الثانية هي حجة لمن يقول: إن الشركات تتعلم من أخطائها. إلا أن

تكساكو وشيفرون أدارت عملياتها بشكل أكثر اتساقاً مع الأعراف العنصرية مما أهلهم إلى أن يخلع عليهم لقب «وصمة العار على مشاريع الأعمال الأمريكية» في إحدى تقارير وزارة الخارجية الرسمية عن مشاكل العمال في مخيمات النفط كما سنرى. تم إحضار رجال موبيل للظهران وزار مخططو أرامكو كريول من أجل دراسة القضايا المتعلقة بالعمال. فمخطط تمليك المساكن الذي تفخر فيه أرامكو كان أحد الابتكارات المستعارة من كريول. وكما ذكرت، فإن هذا الإصلاح كان متسقاً مع الحفاظ على الهرمية وبشكل رئيس الرغبة في الحفاظ على الحي الأمريكي في أرامكو أبيض على الرغم من أن هذه العادة ستقضي في ما بعد على المدى البعيد مع التأميم. هناك عوامل متعددة جعلت أرامكو مستثناة من تقديم التنازلات التي قدمت للساسة الشعبيين في أماكن أخرى من العالم. هذه العوامل تشمل الصراع بين ملاك الشركة، والاستقلال النسبي للمديرين في الظهران، وفوق كل هذا هناك ضعف الحركة العمالية وحلفائها التقدميين في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين.

كان بإمكان أرامكو سلوك طريق مختلف في أي لحظة من خمسينيات القرن العشرين كما هو واضح من إحدى جلساتها التخطيطية التي ستتم مناقشتها في الفصل الثامن. أحد الخيارات الذي كان بحوزتها هو الاصطفاف إلى جانب القوى القومية والتنموية السعودية وإنهاء الفصل العنصري وتوفير موارد جدية لبناء المستشفيات والمدارس والطرق وتأهيل السعوديين للمناصب الإدارية كما حدث لأهالي العراق وإيران بالإضافة إلى ـ كما جادل المخططون بذلك ـ «الوقوف إلى جانب الشعب» والاستعداد لتغيير النظام «بشكل جذري أو خلاف ذلك»، إلا أنها لم تفعل ذلك، بل اختارت المقامرة ـ وكان اختياراً موفقاً ـ على دعم آل سعود وهو ما كفل لهم الحفاظ على بقائهم مستمراً بشكل ما لعشر سنوات إضافية.

إن نهاية هذه القصة حزينة، وهي ليست كذلك فقط لأنها تكشف عن حجم الفراغ في هذا الرأي أو ذاك الذي يتحدث عن إصرار أرامكو على تهيئة «السعوديين بأسرع وأكثر جدوى ممكنة لإدارة صناعة النفط السعودية» كما يحاول أحد متقاعدي الشركة بكل يأس تصديق هذا الكلام. وهي ليست حزينة لأن لبمان كان قادراً على تفسير لماذا «في عام ١٩٤٥، وعلى الرغم

من كل برامج التدريب» لم يكن هناك سعوديون متاحون للترقية في المناصب الإدارية[٣٦]. فالجواب عن هذا السؤال هو لأنه لم يكن هناك برامج تدريب في ذلك الوقت المخصص لتطوير السعوديين. لقد كان وقتاً كانت فيه الشركة ترفض توظيف السعوديين وغيرهم من العرب الأكْفاء ـ كما سنرى ـ بسبب العنصرية التي كانت تنظم العمل هناك. وقد يصاب بعضهم بالحزن لأنه سيكون عليهم التخلص من أسطورة الملك فيصل الطيب الذي حمى المملكة العربية السعودية وذلك بتقويم المؤسسات الحديثة التكوين ووضع البلاد على طريق التقدم والإصلاح.

إلا أن أشد ما يحزن في القصة هو حقيقة أن كثيرين من أبناء الجزيرة العربية مثل عبد الله الطريقي ـ مؤسس منظمة أوبك ـ تم نفيهم، أما الآخرون فقد عذبوا وتم سجنهم لسنوات تحت الأرض في الرياض مثل الحالم الآخر عبد العزيز بن معمر الذي قاد لفترة محدودة ثورة إدارية في المملكة. وكذلك هناك آخرون قد ضحوا بحياتهم في سبيل تغيير شروط عمل أرامكو في السعودية ومحاولة الحد من سلطة الأسرة التي كانت وما زالت مدينة للولايات المتحدة ببقائها. أما بالنسبة إلى سؤال أهمية القصة للبناء النظري كما نتساءل نحن بعد خمسين عاماً فهو سؤال سنتأمله في سياقه المتداعي بشكل مناسب.

ليس من الممكن بعد الآن السماح بإبقاء العمال خارج القصص المعتادة (والتي ليست معتادة بشكل كافٍ) عن كيفية تحويل الشركات والدول لاقتصاد النفط العالمي في القرن العشرين. إن كتابي هذا يزيد من تعقيد قصة كنت قد تعلمتها أول مرة عندما بدأت بدراسة العلوم السياسية في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين واستمرت باعتبارها الحكاية الرسمية لثلاثة عقود بعد ذلك. فبالكاد يمكن القول: إن الشركات كانت هي أدوات التغيير الذي يشار إليه بأفكار من قبيل ما بعد الاستعمار، أو مذهب أولوية

---

(٣٦) المصدر نفسه، ص٧٩، و

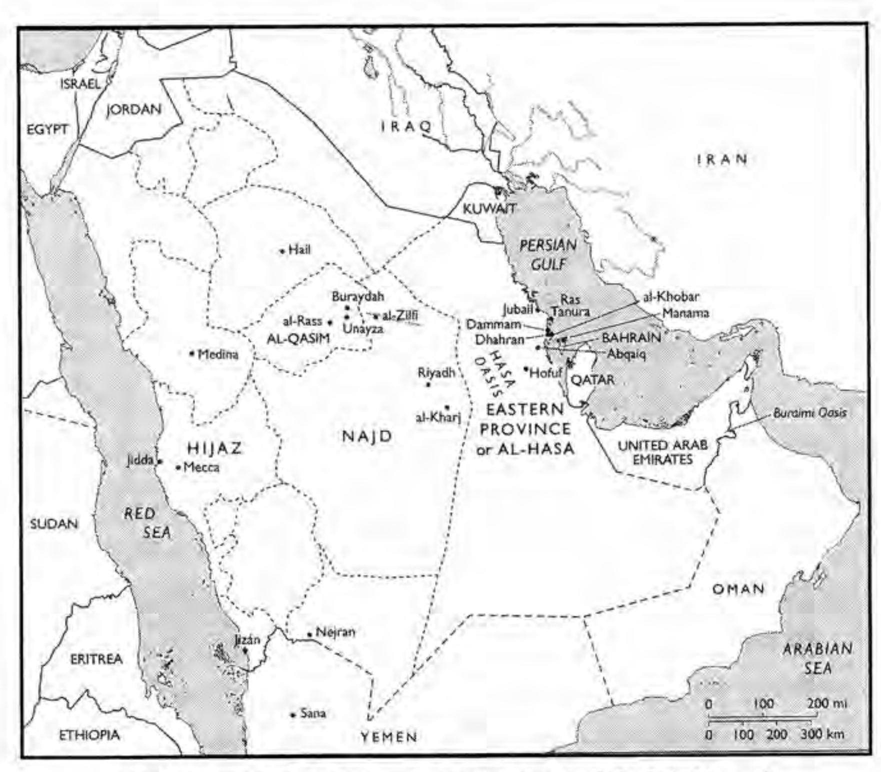
Robert Norberg, "Saudi Arabs, Americans, and Oil," *Saudi-American Forum*, Essay Series, no. 10 (20 March 2003),

<http://susris.com/2003/03/20/saudi-arabs-americans-and-oil/> (accessed on 16 April 2003).

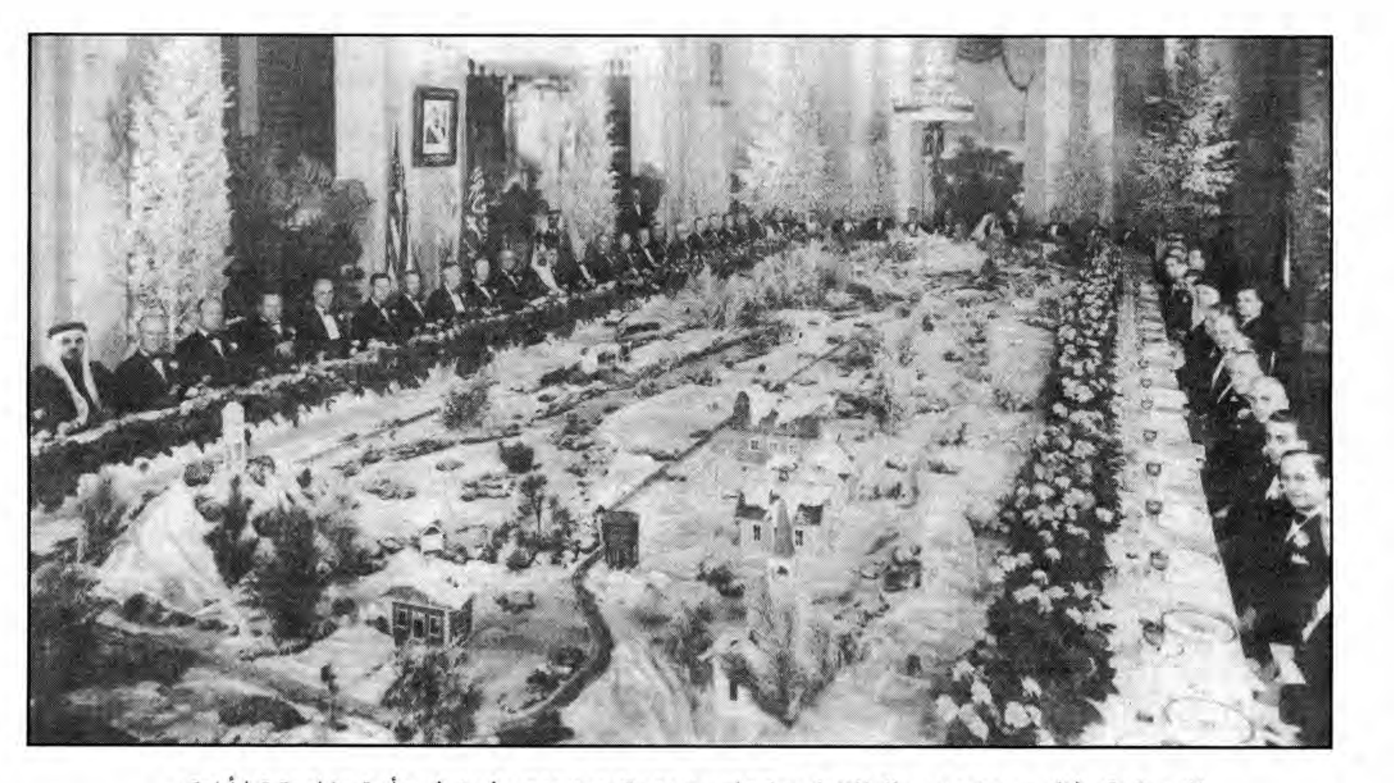
الموقع(*)، أو نهاية دبلوماسية البوارج(**)، وما إلى ذلك. صحيح أن شركات النفط كانت بلا شك أكثر كثافة رأسمالية من غيرها من شركات التعدين، وهو الأمر الذي كان يعتقده توماس فيرغوسون (Thomas Ferguson) - معلمي في الاقتصاد السياسي - جوهرياً لفهم التحالف الذي ظهر في الولايات المتحدة مؤيداً للصفقة الجديدة. إلا أن ما يقترحه كتابي هو كيف أن هذا العامل البنيوي لا يؤدي دوراً مهماً في نواحٍ محددة؛ إذ إن أرامكو، الشركة التابعة لأكبر وأثرى أربع شركات دولية، سيتم جرها إلى القرن العشرين من قبل عمالها السعوديين.

(*) مذهب أولوية الموقع (The Doctrine of Domicile) هي نظرية تقول: إن على الشركات المتعددة الجنسيات أن تخضع فروعها في كل بلد إلى قوانين هذا البلد (المترجم).

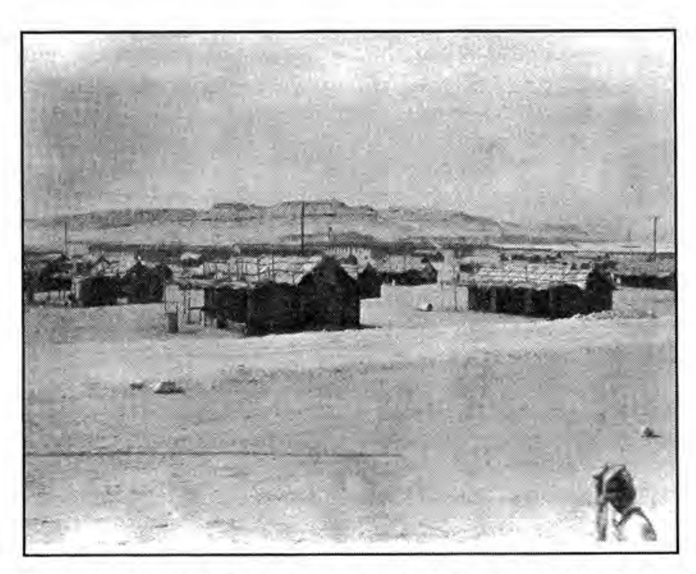
(**) دبلوماسية البوارج هي الدبلوماسية التي كانت تتبعها الدول القوية في إخضاع الدول الأضعف لأهدافها عبر التلويح بالقوة من دون استخدامها (المترجم).



الخريطة الرقم (١): المملكة العربية السعودية والمنطقة المحيطة بها



الصورة رقم (١): سبعون من رجال النفط ودبلوماسيين ومستعربين ومصرفيين في مأدبة عشاء رتبتها أرامكو
على شرف ولي العهد السعودي في فندق والدورف آستوريا في منهاتن عام ١٩٤٧م. مأخوذة من قسم المجموعات الخاصة من جامعة برينستون



الصورة الرقم (٢): خيام مصنوعة من سعف النخيل التي تم تقديمها للعمال السعوديين
في الظهران والتي تمثّل النقيض من البيوت الأمريكية المصممة على الطراز الكاليفورني
التي يقطنها الحفارون والمديرون البيض. مأخوذة من الأرشيف والمجموعات الخاصة في جامعة جورجتاون



الصورة رقم (٣): (إيدي جزيرة العرب)، «مستشار» أرامكو وعميل السي آي إيه المتخفي
بيل إيدي وهو يرتدي ملابس محليّة في لقائه مع الملك عبد العزيز في الرياض.
مأخوذة من قسم المجموعات الخاصة من جامعة برينستون



الصورة رقم (٤): الأمير فيصل يلتقي مرة أخرى بإيدي المعجب به جداً.
مأخوذة من قسم المجموعات الخاصة من جامعة برينستون



الصورة رقم (٥): عبد الله الطريقي، أول وزراء النفط السعوديين، والأب المؤسس لأوبك،
والشخص الذي تكرهه أرامكو. مأخوذة من الأرشيف والمجموعات الخاصة في جامعة جورجتاون



الصورة رقم (٦): الملهم عبد العزيز بن معمر، والذي قاد ثورة إدارية مجهضة في السعودية وعانى أشد المعاناة حنق الأمير فيصل. مأخوذة من هيفاء المعمر



الصورة رقم (٧): مجموعة من أمريكيي أرامكو يستجمون في بيوتهم، حيث يبدو علم السعودية معلقاً خلف البار. مأخوذة من الأرشيف والمجموعات الخاصة في جامعة جورجتاون

القسم الأول

أقرب الأماكن بعداً

مقدمة

بدأ ديفيد دودج (David Dodge) العمل لدى شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) في عام ١٩٤٩م. لقد كان إضافة نوعية إلى مؤسسة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو، سواء في شق عملياتها الدبلوماسية أو الاستخباراتية. فابن الطبقة المخملية هذا كان أحد خريجي جامعة برنستون ووريث لثروة أمريكية هائلة، كما أنه ولد في بيروت ونشأ يتحدث العربية. أما أمه فهي ماري بلِس (Mary Bliss)، حفيدة لمبشِّرَيْن أمريكيين ساهما في بناء عدد من المدارس والكليات في سوريا في القرن التاسع عشر. إحدى أكبر هذه الكليات كانت «الكلية السورية البروتستانتية» التي تغيّر اسمها في عام ١٩٢٠م ليصبح «الجامعة الأميركية في بيروت». وأما أسرته من جهة أبيه، آل دودج، فقد كانت من بين أمناء الجامعة التي أصبح أبوه بايارد (Bayard) رئيساً لها عام ١٩٢٣م، أي بعد سنة من مولد ابنه[1]. أمضى ديفيد أربعة عشر عاماً في لبنان قبل أن يغادر إلى الولايات المتحدة لإكمال تعليمه، وخلال الحرب العالمية الثانية، انضم إلى مكتب الخدمات الاستراتيجية ضمن عملياته في مصر والشام. عاد بعد ذلك إلى جامعة برنستون لإكمال درجة البكالوريوس ودراسة الماجستير في قسم الدراسات الشرقية. وعند تعبئته لطلب التقديم على العمل لدى أرامكو أجاب عن السؤال المخصص عن الهوايات والرياضات المفضلة لديه بالتالي: «التنس، والسباحة، وركوب الخيل، والاستخبارات العسكرية»[2].

---

(١) Phyllis B. Dodge, *Tales of the Phelps-Dodge Family: A Chronicle of Five Generations,* with a foreward by Arthur S. Link (New York: New York Historical Society, 1987), pp. 142-146 and 328-329.

(٢) Photostat of application found in Box 1, Folder 16, William E. Mulligan Papers, Archives and Special Collections, Georgetown University, Washington, D.C. [hereafter cited as Mulligan Papers with the filing information].

وعلى الرغم من أنه ـ على ما يبدو ـ قد عُرض عليه العمل لدى وكالة الاستخبارات المركزية (السي آي إيه) ـ خليفة مكتب الخدمات الاستراتيجية ـ إلا أن دودج ينفي ذلك. فقد أمر جيمس تيري ديوس ـ نائب رئيس أرامكو في واشنطن ومتعاون الشركة الرئيس مع السي آي إيه ـ عميل السي آي إيه المتخفي كموظف في أرامكو ويليام إيدي ـ والذي كان قبل ذلك ضابطاً في مكتب الخدمات الاستراتيجية ـ بأن يطلب من دودج التفكير في خيار أن «يتدرب كموظف خاص تحت التدريب قبل أن يذهب للعمل في الميدان»[٣] وعلى الرغم من أنهم كانوا محتاطين في رسائلهم إلا أن إيدي كان واضحاً بما يكفي لتأكيد أن دودج قد رفض العرض. فقد توجه مباشرة إلى الجزيرة العربية عاملاً لمدة خمس سنوات لدى أرامكو لينتقل بعدها إلى شركتها الحليفة، خطوط الأنابيب العابرة للجزيرة العربية (التابلاين)[*].

أمضى دودج العشرين سنة التالية من عمره في التابلاين في بيروت مترقياً إلى منصب نائب رئيس الشركة ومدير قسم العلاقات الحكومية. تقاعد من عمله عام ١٩٧٥م، السنة التي اندلعت فيها الحرب الأهلية اللبنانية، لينتقل بعده إلى رعاية مختلف مؤسسات أسرته الخيرية في الشرق الأوسط التي تمتد من مؤسسة الشرق الأدنى[**] إلى الجامعة الأميركية في بيروت. في تموز/يوليو من عام ١٩٨١م، أصبح رئيساً مكلفاً للجامعة، وبعد عام ـ وبينما كان الإسرائيليون وحلفاؤهم من حزب الكتائب[***] يحاصرون بيروت بدؤوا بعمليات خطف الإيرانيين ـ تم اختطافه من قبل ميليشيا شيعية وتهريبه

---

(٣) William Eddy to James Terry Duce, 5 April 1949, Employment of David Dodge, Box 1, Folder 16, Mulligan Papers; my interview with David Dodge, 1995.

(*) التابلاين (TAPLINE) هي شركة تتكفل بإدارة خطوط لنقل النفط، تبدأ من آبار النفط من بقيق في المنطقة الشرقية في السعودية إلى ميناء الزهراني جنوب صيدا في لبنان. بدأ ضخ النفط في هذه الأنابيب عام ١٩٥٠م، وتوقف الضخ فيها عام ١٩٧٦م في أعقاب اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية (المترجم).

(**) مؤسسة الشرق الأدنى (Near East Foundation) منظمة خيرية دولية تساهم في أعمال التنمية الاقتصادية والاجتماعية. تأسست عام ١٩١٥ تحت مسمى «الجمعية الأمريكية لإعانة الآشوريين والأرمن» كاستجابة لطلب السفير الأمريكي لدى الإمبراطورية العثمانية من الأمريكيين إنقاذ الأرمن من المجزرة التي تقوم بها السلطات العثمانية (المترجم).

(***) حزب الكتائب تم تأسيسه عام ١٩٣٦ من قبل بيار الجميّل وهو يعتبر حزباً يمينياً مدعوماً غالباً من الطائفة المارونية وكان أحد أهم الأطراف المساهمة في الحرب الأهلية اللبنانية (المترجم).

إلى طهران حيث تم احتجازه هناك لمدة عام، هكذا أصبح ديفيد دودج أول رهينة أمريكية في لبنان.

سيرى البعض في هذه القصة «مجازاً لحكاية الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط»، أو نسخة مكثفة من التجربة الأمريكية هناك كما يتخيلها العديدون[٤]. فحسب هذه الحكاية، يأتي المبشرون والمؤسسات الخيرية الخاصة لتعبّد الطريق لشركات النفط التي كانت - كما قال الكولونيل إيدي الذي كان هو نفسه ابناً لمبشر آخر في سوريا - هي الأخرى كالإرساليات التبشيرية الكبرى؛ «إذ انخرطت. . . في برامج للتعليم، والصحة، وتوفير المهارات للموظفين، وتوسيع الصورة الحسنة للولايات المتحدة الأمريكية»[٥] كما أن رجال الأعمال والدبلوماسيين الأمريكيين لم يكونوا كالمستعمرين البريطانيين والفرنسيين، وعلى الرغم من هذا كله سنجد أن الولايات المتحدة الأمريكية ستتم مواجهتها من قبل «القوميين العاطفيين»، و«المحرضين العدائيين»، و«الاضطرابات المفاجئة» في كل عقد منذ الحرب العالمية الثانية[٦]. وسيسجل اختطاف دودج البداية لمرحلة غير مسبوقة من الاعتداءات ضد الأمريكيين في المنطقة. اختطافات، واغتيالات وهجوم على القوات الأمريكية في بيروت عام ١٩٨٣م، ثم تفجيرات الرياض عام ١٩٩٥م والظهران عام ١٩٩٦م، يتلوها الهجوم على المدمرة الأمريكية كول في عدن عام ٢٠٠٠م، ثم موجة تفجيرات أخرى في الرياض عام ٢٠٠٣م. كما لو أن كرم دودج - وأمريكا - يتم التنكر له بشكل متكرر ومن دون أي عرفان أو امتنان.

---

(٤) انظر على سبيل المثال:

Andrew I. Killgore, "David Stuart Dodge," *Report on Middle East Affairs* (9 September 1985), p. 10.

(٥) From the conclusion of Eddy's unfinished memoir, "Adventures in the Arab World," ms., Box 1, Folder 1, William Alfred Eddy Papers, 1859-1978, Seeley Mudd Library, Princeton University, Princeton, New Jersey [hereafter cited as the Eddy Papers with filing information].

انظر أيضاً:

"Point 5 without the Taxpayers," editorial, *Los Angeles Times*, 20/3/1951, and Eddy, "Impact of an American Industry," 13 August 1952, Folder 19, Box 15, Eddy Papers.

(٦) Wallace Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil*, as abridged for ARAMCO World Magazine (Beirut: Middle East Export Press, 1971), pp. v-vi. Both Eddy and his father were born in Sidon, a part of what was called Syria (now south Lebanon).

إلا أن هذه القصة عن دودج أو الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط بسيطة ومختزلة جداً، فهي تقصي كثيراً من التفاصيل، كما أنها تُقرأ وتعمل بطريقة تشبه عمل الطقوس الدينية أكثر منها بالتاريخ: أي تقوم باختزال «حوادث معقدة إلى (مشاهد مألوفة) بناء على طرق بناء الأساطير في الأدب الشعبي»[٧]. أما أولئك المقتنعون بها والذين يريدون منا أن نصدقها سيواجهون صعوبة في حل تناقضاتها العديدة، فحتى هذا اليوم ينكر دودج أن التابلاين وفرت غطاء لموظفي السي آي إيه في لبنان، كما أنه ادّعى أنه يجهل تورط أستاذه إيدي مع هذه المؤسسة[٨] ويصاب هؤلاء المستشرقون المتحولون إلى مستعربين من الذين أسسوا ومولوا مراكزنا ومعاهدنا التي تهتم بدراسة الشرق الأوسط بالحيرة عندما يريدون تفسير سر استمرار المقاومة للهيمنة الأمريكية، فدودج لام الإسرائيليين على محنته[٩] وكذلك بالنسبة إلى إيدي وغيره من الذين لاموا إسرائيل على المشاكل الأمريكية. فكما أخبرت يوماً زوجة الكولونيل إيدي المتحمسة وطيبة القلب ماري غارفن إيدي (Mary Garvin Eddy) السفير السعودي بأن من يمرر سياسات مخالفة لمصالح أمريكا الحقيقية ويجعلون من شعوب المنطقة معادية لنا هم اليهود المسيطرون على الكونغرس.

سنبدأ الآن قصة مختلفة وأكثر تعقيداً، قصة تشمل أماكن كان ينظر إليها عادة بأنها تحمل تواريخ منفصلة وبأنها محميات خاصة لتخصصات وخبرات مختلفة، وسيكون لعائلة دودج دور في هذه القصة الجديدة أيضاً.

---

(٧) Richard Slotkin, "Buffalo Bill's "Wild West"," in: Amy Kaplan and Donald E. Pease, eds., *Cultures of United States Imperialism, New Americanists* (Durham, NC: Duke University Press, 1993), p. 166.

(٨) For Dodge's doubts about the CIA's involvement in TAPLINE, see William R. Chandler to David Dodge, 19 July 1991, Box 9, Folder 7, Mulligan Papers. As Chandler reports, "Yes we had contacts with [the] intelligence community, but as for having anyone who was on CIA payroll" it was most unlikely. The correspondence was the result of Dodge sending Chandler Doug Little's see: Douglas Little, "Pipeline Politics: America, TAP LINE, and the Arabs," *Business History Review*, vol. 64, no. 2 (Summer 1990), pp. 255-285. "TAPLINE spent freely during the 1950s to win the friendship of pro-Western leaders from Riyadh to Beirut, and rumors persisted down through the 1960s that some of its personnel were actually on the CIA's payroll". Dodge expressed surprise when I asked about Eddy and then told him what I had found in the archives.

(٩) انظر المقابلة مع دودج، في:
Robert D. Kaplan, *Arabists: The Romance of an American Elite* (New York: Free Press, 1993).

الفصل الثاني

التخوم العربية

لقد كانت هذه هي الجزيرة العربية كما شكلتها المخيلة الرومانسية؛ إذ الليالي هادئة بحيث كانوا يتمددون تحت ضوء النجوم المتناثرة، وينصتون للصمت المنبعث من خلف نارهم كما لو أن كل الصحراء تأهبت للاستماع. فمن حيث الشكل كان يمكن هذه الصحراء بتعرجات نفودها المسطحة وهوائها الجاف النقي وهدوئها أن تكون أريزونا أو نيومكسيكو. إلا أنها بدت أكثر غموضاً من ذلك، فوجوه الجنود والدليل والمترجم السمراء والملتحية ذات الأسنان والنظرات التي تشع كلما تحدثوا وضحكوا أكدت حدس هاميلتون (Hamilton) بأن هذه صحراء عربية أصيلة لم تُمس قبل ذلك من الغرب.

والاس ستيغنر، «اكتشاف!»

في أحد الأيام العاصفة والدافئة أواخر شهر كانون الثاني/يناير من عام ١٩٤٧م، اجتمع ثلاثة آلاف زائر في قاعدة القوات الجوية الأمريكية الحديثة في الظهران منتظرين قدوم الملك عبد العزيز. وقد قَدِم السفير الأمريكي رايفز شيلدز (J. Rives Childs) من جدة ليرأس الوفد المستقبل للملك في «مستعمرة النفط الأمريكية على ساحل بلاده الشرقي»[1]. ولقد كانت هذه الزيارة الثانية للملك منذ مقدم جيولوجييْن أمريكييْن قبل ذلك بأربعة عشر عاماً من أجل البدء باستكشاف النفط. ففي الرحلة الأولى، التي كانت عام ١٩٣٩م، عشية الحرب العالمية الثانية، سافر عبد العزيز ضمن موكب سيارات من قصره في الرياض، في رحلة استغرقت ثلاثة أيام، من أجل حضور تحميل أول صهريج من النفط الخام السعودي، أما في هذه المرة، فإن الملك قد سافر عبر طائرة قدمها الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت هدية له.

(١) The description "American oil colony" is from the: *New York Times*, 26/1/1947.

وفي الظهران أيضاً اجتمعت لجنة خاصة من أجل البت في موضوع النص الذي سيتم نقشه على المفتاح الذهبي الذي سيقدم داخل صندوق ذهبي إلى الملك كتذكار للزيارة[٢] كانت الاقتراحات تتراوح بين نص يقول: «هذا المفتاح هو المفتاح إلى قلوبنا»، وآخر يقول: «نحن، كشركة، زودناه بمفتاح ليفتح آفاقاً جديدة من التقدم لمملكته». إلا أن خريج جامعة بركلي المستشرق جورج رنتز - رئيس قسم الشؤون العربية المستحدث في أرامكو الذي كان أشبه بدائرة استخبارات وأبحاث محلية - قد استحق مرتّبه ذلك اليوم بسبب السطر الذي اقترحه وكان مقتبساً من الآية الثانية من سورة فاطر: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[٣].

وفي الأسبوع نفسه، ولكن على بعد ستة آلاف ميل غرب الظهران، ترجل ابن الملك وولي عهده سعود بن عبد العزيز من قطار في محطة بنسلفانيا في مدينة نيويورك. لقد كان قادماً من العاصمة واشنطن بعد لقاء مع الرئيس ترومان في أول محطة له ضمن رحلة ستستمر لمدة شهر في الولايات المتحدة الأمريكية. تكفلت أرامكو بالترتيبات التي تضمنت أخذ ولي العهد ورفاقه في جولة عبر البلاد لاستعراض قواعد القوات الجوية، والسدود، والمزارع، ومصنع شركة دوغلاس في سانتا مونيكا - حيث كانت تصنع طائرات القوات الجوية السعودية - وقسم الدراسات الشرقية في برنستون المدعوم من قبل شركة النفط. وكانت مهمة فلويد أوهليجر - أحد مسؤولي أرامكو في الظهران والمرافق لسعود - أن يبقي مغامرات الحاشية الجنسية بعيدة عن متناول الصحافة[٤].

وفي مساء يوم الإثنين الموافق ٢٠ كانون الثاني/يناير أقامت أرامكو

---

(٢) Preparations had begun over a year earlier in San Francisco, where the ARAMCO board authorized $100,000 for the visit, although the local planning committee eventually spent over three times this amount, the equivalent of about $2.4 million today. See "Report on the Visit of King Abdul Aziz ibn Saud to the Arabian American Oil Company, January 1947," Box 6, Folder 6, Mulligan Papers.

(٣) Duce to Sanger, 14 November 1946, enclosing memorandum, Cypher to MacPherson. Dhahran, 20 October 1946, Gifts for the King and Crown Prince, General Records of the Department of State, Record Group 59, 1945-49, 890F.6363/11-1946, National Archives, Washington, DC [hereafter cited as RG 59, with filing information, series years omitted].

(٤) Notes by Mulligan, Folder 39, Ohliger, Floyd W., Box 1, Mulligan Papers.

حفل عشاء لخمسة وسبعين شخصاً في الوولدورف آستوريا (Waldorf Astoria)(*) على شرف الأمير سعود. كان المدعوون يمثلون نخبة شخصيات عالم النفط وملاك الشركة ومصرفيي الملك في نيويورك ومختصين بشؤون العالم العربي في وزارة الخارجية بالإضافة إلى المستشار في شركة بكتل الذي كان عميلاً استخباراتياً سي. ستربلنغ سنودغراس (C. Stribling Snodgrass). جلس على يمين سعود أتش. دي. كوليير (H. D. Collier) رئيس شيفرون (أو سوكال كما كانت تُعرف حينها)، أما على يساره فقد جلس دبليو. أس. أس. ستار رودجرز (W. S. S. Star Rodgers) رئيس تكساكو، وإلى جانب رودجرز جلس الكولونيل ويليام إيدي. ولقد دُعي هذا الأخير حتى يكون مترجماً وليستمر بأداء الدور نفسه الذي سبق أن أدّاه بين الملك عبد العزيز وروزفلت على متن المدمرة كوينسي عام ١٩٤٥م. وقد وصف إيدي وليمة العشاء هذه بأنها كانت «حادثة رائعة، لم أحضر مثلها من قبل، فحفلات الحكومة الخاصة بالملوك كانت بسيطة ومتواضعة، إلا أني أتوقع أن شركات النفط تستطيع من خلال الملايين التي تجنيها من نفط الجزيرة العربية أن تكون مضيفة في هوليود»(٥).

تحلق الضيوف حول طاولة منفردة فسيحة بيضاوية الشكل مساحتها نصف فدّان وقد وصفها ريتشارد سانغر (Richard Sanger) موظف مكتب وزارة الخارجية المختص بالسعودية والمنتدب ضمن المرافقين خلال مدة الرحلة بالآتي:

المركز كان مشكّلاً ليعكس قرية في إنكلترا الجديدة (New England) في فصل الشتاء، وكان هناك نهر يتدفق نحو المركز بين تلتين يكسوهما الجليد جارياً من خلال طاحونة قديمة وتحت جسر، وعلى جانبي التلين تناثرت منازل وكنيسة ومدرسة، وعلى جانب الطريق الرئيس كانت هناك محطة وقود تابعة لتكساكو، وكانت هناك سكة حديد كهربائية صغيرة تحيط بالمشهد على شكل العدد ثمانية باللاتينية بكامل تفاصيلها. وكان التحكم بالقطار موضوعاً

(*) هو أحد الفنادق التاريخية والفخمة في مدينة نيويورك (المترجم).

(٥) Round robin letter from Eddy, Washington, 25 January 1947, Folder 2, William A. Eddy, 1947, Box 6, Eddy Papers.

عند صحن الأمير الذي كان مستمتعاً بتحريك القطار واللعب بصفّارته مصدراً منه سحابات دخانية بينما كان يجر عربات محملة بالفحم(٦).

مثّل احتفال وولدورف ـ الذي تمّ تخليده بقائمة طعام ذات غلاف مصنوع من جلد عجل أبيض خلاب وتذكار عبارة عن كتاب من عشرين صفحة نقش عليه باللغة العربية والإنكليزية ـ أول ظهور للمملكة العربية السعودية على مسرح العالم الغربي. لقد كان ظهوراً أنيقاً رتبت له أرامكو عملاق النفط الأمريكي. وإن أردت، تستطيع أن ترجع تاريخ هذا الظهور إلى الوراء قليلاً، أي إلى يوم وصول أخي سعود ووزير الخارجية فيصل رئيساً لوفد المملكة إلى الأمم المتحدة حديثة التكوين، وهي الرحلة التي قامت أرامكو أيضاً بتغطية تكاليفها، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يمكن إنكار أهمية اللحظة إذا أخذنا بالاعتبار أن المملكة كانت ـ كما وصفها إيدي عام ١٩٤٥ ـ «بلداً يتمتع في الوقت الحاضر بعلاقات دولية بدائية وبخبرة معدومة في القانون أو التجارة الدوليّيْن، ولا يوجد فيه قانون للشركات ولا حتى نظام مصرفي» وكذلك «لا يوجد فيه سوى عشرة موظفين يمكن القول إن لديهم بعض المعرفة حول أصول العلاقات الدولية والتجارية بين الأمم الحديثة»(٧).

إن الأحداث التي قادت إلى أن يلعب ولي العهد بلعبة على شكل قطار في قاعة فندق في وسط مدينة مانهاتن لهي معروفة الآن، ففي عام ١٩٣٣م قامت شركة نفط من كاليفورنيا بإقراض أمير تحول إلى سلطان ثم إلى ملك ٥٠ ألف جنيه إسترليني، ووعدته بريع سنوي مقداره خمسة آلاف جنيه إسترليني (أي ما يعادل ٢,٣ مليون دولار في أسعار ٢٠٠٥م) نقداً وبالذهب مقابل حق استكشاف النفط. كان الملك الجديد للمملكة العربية السعودية

---

(٦) Memorandum titled: "Crown Prince Saud's Official Visit to America, Notes on the Period Monday, January 13, through Wednesday, January 22, 1947," RG 59, 890F.0011/2-747.

(٧) Eddy to Merriam, 24 October 1945, "Comment on the Draft of a Proposed Treaty of Friendship, Commerce, and Navigation between the USA and the Kingdom of Saudi Arabia," RG 59, 711.90F2/10-2445. For ARAMCO's role in paying the costs of the Saudi delegation between 1945 to 1947, see ms. marked "confidential," "Arabian American Oil Co., Donations, Contributions, and Assistance to Saudi Arabia 1933-1970," Folder 10, Donations, Contributions and Assistance to Saudi Arabia, Box 5, Mulligan Papers.

تحت ضغط دَيْن ثقيل نتيجة للمرحلة الأخيرة من الكساد العالمي، وأتاحت هذه الأموال لعبد العزيز أن يبدأ بتأمين سلطانه الجديد والموحّد اسمياً. كانت تبعات قراره بالسماح للأمريكيين بالتنقيب عن النفط مروّعة نظراً إلى أن اكتشاف النفط في عام ١٩٣٨م سيزيد من احتمالية أن يطمع الحكام المحيطون به والأكثر قوة بهذه الثروة لأنفسهم. وكان أحد الأهداف الرئيسة لرحلة سعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٧م هو في الحقيقة الحصول على مساعدة وأسلحة يمكن المملكة من خلالها حماية ما هو مسلّم به حينها بأنه خزان ضخم لسلعة استراتيجية وحيوية في عالم الحرب الباردة الذي يزداد استقطاباً.

وليس هذا فقط، بل كانت الصفقة التي عقدها عبد العزيز مصيرية بشكل أكبر من هذا، فهي قد شرّعت الباب أمام نوع من الغزو لمملكته سيتطلب منه ومن أفراد عائلته مواجهته بأفضل طرق ممكنة. فالصراع الذي وجد عبد العزيز أن عليه خوضه كان ضد آخرين يتمتعون بمعرفة أعمق عن «أسس العلاقات التجارية والسياسية بين الأمم الحديثة» ـ كما وصفها إيدي ـ وبموارد أكثر بكثير من تلك التي يتوفر عليها فاتح الحجاز والأحساء. وليس من الإهانة القول إنه في صراع مثل هذا لن تكون الحظوظ لصالح آل سعود، بل إن القليل فقط توقعوا أن هؤلاء الحكام سيقومون بما قاموا به. ولعل عبد العزيز ظن أنه في حال اشتد الحصار عليه، بإمكانه التخفي خلف الأسوار الطينية للقصر المربع الحديث الإنشاء. ففي الأيام الأولى، كان تجار النفط لا يدخلون إلى الرياض إلا بإذن مسبق وبشرط أن يتزيوا بزي العرب، وعلى الرغم من ذلك فالمحتلون ظلوا يتضاعفون: من أفكار ورجال ونساء وكتب وثروة وبضائع وأسلحة وتقنيات وبث إذاعي ومسكرات، وهذا يشبه واحدة من ألعاب أواخر القرن العشرين الإلكترونية عندما يواجه اللاعب عدداً هائلاً من المهاجمين يضربونه من كافة الجهات. تخيل أن هذه اللعبة اسمها الاندراج في السوق العالمي أو رأسمالية استيطانية أو اسمها النفط أو بشكل أبسط: أرامكو.

لم يراقب شخص من الخارج عمليات أرامكو الأولى بكثافة أو بحماسة شديدة كما فعل رايفز شيلدز أول سفير أمريكي في السعودية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠). فعند وصوله إلى السعودية كان تدفق العمال والجنود إلى الظهران كبيراً

للدرجة التي ستسمح للشركة أن تدّعي أنها أكبر تجمع أمريكي خارج الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت هذه اللحظة بالنسبة إلى رواية أرامكو الرسمية هي لحظة انتهاء فترة الرواد الأولى من تاريخها و«تجاوز المستعمرة». فقد أدت الفقاعة الاقتصادية بعد الحرب إلى افتتاح قنصلية أمريكية في مقاطعات النفط الجديدة. وبهذا أصبح بإمكان موظفي شيلدز مراقبة تطورات أرامكو عن كثب وبشكل أفضل من موقعه في جدة القابعة على الساحل المقابل، إلا أن موظفي القنصلية قليلي العدد والمكلفين بأعمال كثيرة اعتمدوا على تنظيم وخبرة أرامكو المتقدمة ليقوموا برفع التقارير عن الظهران وما حولها، بل كان اعتماد القنصلية على أرامكو كبيراً لدرجة أن الأخيرة هي من وفرت لها السكن.

وفي رسالة مهمة إلى واشنطن في آذار/مارس من عام ١٩٤٧م، أي بعد أسابيع من مد البساط الأحمر ترحيباً بكل من الملك عبد العزيز في الظهران وولي العهد سعود في مانهاتن، استخدم شيلدز وصفاً كان قد ساهم في ترويجه فرانك نوريس (Frank Norris) الذي كان أحد روائيي مطلع القرن العشرين المختصين بروايات الغرب الأمريكي. والوصف الذي روّج له كان قد استخدمه عند حديثه عن «تجمع الغرب الضخم» لسكك الحديد، ورأس المال المتنامي، وشركات التعدين؛ إذ حذّر شيلدز أن أرامكو كانت **كالأخطبوط**، فأذرعها تمتد من الحي الأمريكي في الظهران ـ كما كانت تسمى مستعمرتها آنئذٍ ـ «إلى شتى مجالات وجوانب الحياة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية»، ويقول:

> نحن نستطيع بالطبع أن نجعل من نظام السوق الحرة صنماً ونمتنع باسمه عن ممارسة أي تحكم بالأخطبوط الذي تمثّله أرامكو، إلا أننا كلّما أجّلنا ذلك، كلما ازداد تعمّق امتداد أذرعها مما يؤدي في النهاية إلى أن تتحكم هذه الشركة التجارية الخاصة بسياسة حكومة الولايات المتحدة في السعودية وفي الشرق الأوسط بشكل عام[٨].

---

(٨) Jidda to State, Dispatch 186, March 11, 1947, ARAMCO's Relations with Saudi Arabian and United States Governments, RG 59, 711.90F/3-1147. On Norris, whose most famous novel, *The Octopus*, appeared in 1902, see: Don Graham, "Frank Norris," in: *A Literary History of the American West*, sponsored by the Western Literature Association (Fort Worth: Texas Christian University Press, 1987), pp. 370-380.

وفي وزارة الخارجية قال ريتشارد سانغر شيئاً مشابهاً في كتابه **تخوم عربية** ـ (*Arabian Frontiers*) الذي كتبه في أثناء إجازته الدراسية، فأرامكو بالنسبة إليه عبارة عن إمبراطورية تتوسع للخارج انطلاقاً من قاعدتها في الظهران. إلا أن أحد مسؤولي الشركة أشار عليه أن يبحث عن مصطلح آخر قائلاً: «فعلى الرغم من أن هذا مصطلح ملائم بشكل عام، إلا أنه يحمل دلالة قد تغذي أولئك النقّاد الذين يتهموننا بأننا «إمبرياليون» وهو انتقاد ينطبق على الحكومة الأمريكية بالمقدار نفسه الذي ينطبق علينا، لا أعلم حقيقة ماذا أقترح ككلمة بديلة مناسبة، ربما مدى أو مساحة»[٩]. استجاب سانغر وقام بالتعديل. ففي النهاية هو مثله مثل الآخرين في وزارة الخارجية وواشنطن ونيويورك وكاليفورنيا وهارفرد وستانفورد وبرنستون يعتمدون على الشركة من أجل الحصول على البيانات والصور وغيرها. وبالإضافة إلى هذا التعديل قام سانغر أيضاً بحذف وصف جميل عن كيفية بدء العلاقة الأمريكية ـ السعودية الخاصة، حيث قال: إنها بدأت «بين ملك يفكر كشركة نفط وبين شركة نفط تفكر كملك»[١٠].

ومنذ ذلك الحين ستبدأ أرامكو بإنفاق الملايين من الدولارات من أجل توجيه الرأي العام لتبني نسختها الخاصة للتاريخ. فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ستعتبر كل من استثمارها البالغ من العمر خمسة عشر عاماً في إنتاج النفط السعودي وسعيها في ضمان استقرار وأمن آل سعود ـ وإن كان هذا الأخير يمثل اهتماماً ثانوياً ـ نوعاً غير مسبوق من «الشراكة في النفط والتقدم». وفي عام ١٩٤٦م، نشرت مجلة شركة شيفرون الشهرية نشرة **ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا** أول مقال لها عن أرض تدعى «السعودية العربية» (Sah-oo-dee Ah-ray-bee-ah) حيث «تم تثبيت جزء من أمريكا بين الصخور والرمال» وحيث إن المساكن المبنية حديثاً «للموظفين العرب ستكون من بين الأفضل في الشرق الأوسط». إلا أنه في وقت كتابة هذه الكلمات

---

(٩) Lebkicher to Sanger, 25 October 1949, Folderlabeled "Africa," Box 8, William H. Sanger Papers, American Heritage Center, Laramie, Wyoming [hereafter Sanger Papers].

(١٠) Memorandum from Robert Thompson, Chairman, Committee on Unofficial Publications to Awalt, 17 Novemebr 1950, "Clearance of manuscript entitled "Arabian Frontiers: An Introduction to the Arabian Peninsula"," Folder "Africa," Box 8, Sanger Papers. The book was published under the revised title *Arabian Peninsula* in 1954 and reprinted in the 1970s.

نفسها كان العمال هناك مضربين احتجاجاً على افتقارهم إلى ما تدعي هذه المقالة أنها توفره لهم. وفي عام ١٩٤٧م، وخلال زيارة الأمير سعود إلى أمريكا، عرضت أرامكو أول فيلم وثائقي لها للأمريكيين، إلا أن ولي العهد رأى في تصوير الشركة لنفسها بأنها خلاص السعودية أمراً مهيناً، وهو الأمر الذي دعا رعاة الفيلم إلى التوقف عن عرضه خلال فترة الزيارة. وفي عام ١٩٤٨م، كان مسؤولو الشركة يصفون مشروعهم الاستثماري في السعودية بأنه «مشروع مارشال(*) صغير». أما في عام ١٩٤٩م - عندما أطلقت إدارة ترومان مشروع مساعدة اليونان وتركيا - تحول هذا المشروع إلى «برنامج نقطة رابعة(**) خاص» إلا أنه في الوقت نفسه «ليس مكلفاً على الشعب الأمريكي». وفي السنة نفسها، بدأت الشركة بنشر مجلة خاصة بها تدعى **عالم أرامكو** (*ARAMCO World*) من مقرها الرئيس الجديد الرقم (٥٠٥) على شارع بارك في مدينة مانهاتن (505 Park Avenue, Manhattan) لنشر الأخبار الحسنة(١١).

لم يكن أي من السفير شيلدز أو ريتشارد سانغر من أولئك الأشخاص الذين يسعون لفضح سلوك الشركات والتشهير بها، إلا أنهما قد واجها صعوبة في ملاءمة الحقائق التي على الأرض مع الصورة التي رسمتها أرامكو بتأنٍ عن نفسها. وعلى الرغم من وجود كثير من الإشارات إلا أن أياً منهما لم يقدم نظرية عن جذور المؤسسة، كما يسميها علماء السياسة في القرن الواحد والعشرين. ولئن كانت المقارنة بالأباطرة والملوك كدّرت مسؤولي الشركة، فإن أيَّ أحد في الشركة لن يأبه بفكرة أن الجزيرة العربية كانت

(*) مشروع مارشال، أو مشروع إعادة إعمار أوروبا، هو مبادرة أمريكية لإنعاش الاقتصاد الأوروبي بعد الدمار الذي خلّفته الحرب العالمية الثانية. وسمي «مارشال» نسبة إلى وزير الخارجية الأمريكي آنذاك: جورج مارشال (المترجم).

(**) برنامج النقطة الرابعة، هو برنامج أعلن عنه الرئيس هنري ترومان في خطاب تكليفه لتقديم المساعدة التقنية والعلمية في مجالات الزراعة والتصنيع وغيرها من دول «العالم الثالث». سمي بالنقطة الرابعة لأنها كانت رابع نقطة من أهداف السياسة الخارجية في خطاب الرئيس (المترجم).

(١١) "Crown Prince Saud's Official Visit to America, Notes on the Period Monday, January 13, through Wednesday, January 22, 1947," RG 59, 890F.0011/2-747; "A Partnership in Oil and Progress," *Standard Oil of California Bulletin* (Autumn 1946), pp. 3 and 8; "Middle East Junior "Marshall Plan" Costs Taxpayers Nothing," *Oil and Gas Journal*, vol. 47, no. 18 (November 1948), p. 54, and "Point $ without the Taxpayers," editorial, *Los Angeles Times*, 20/3/1951.

مستعمرة أو أمام مقارنة مشروع أرامكو بفتح غرب ما وراء الميسيسيبي في القرن التاسع عشر.

لقد كان زماناً حيث من الممكن أن نرى جيولوجيي الشركة متحلّقين حول نار مخيم ليقصّوا على مرشديهم من العرب حكايات الحرب على كنتاكي(*). وقد يتحسرون على التكاليف التي تكبّدتها القبائل سواء في أمريكا الشمالية أو في الجزيرة العربية من أجل عملية بناء الدولة. ومن بين كل الكتّاب، سيختار مسؤولو الشركة ويليام ستغنر الكاتب المختص بروايات الغرب الأمريكي ليحكي قصة بدايات أرامكو. لقد كان ستيغنر قد فرغ للتو من كتابة سيرة ذلك العالم المغامر المقدام ذي اليد الواحدة: الرائد جون ويسلي باول (John Wesley Powell). ففي أواخر القرن التاسع عشر قام باول هذا بقطع المساحات الشاسعة المرعبة لأراضي الأخدود العظيم(**)، وصحراء الحوض العظمى(***)، وهضبة كولورادو(****). لقد كان باول لأمريكا ما كانه ثايسيغر(*****) أو فيلبي للجزيرة العربية. وكان جيولوجيو أرامكو والمستعربون غير المحترفين يتخيلون أنفسهم أتباعاً يسيرون على درب هؤلاء.

إلا أننا لن نجد أحداً سيجهد نفسه بالنظر إلى الوراء كثيراً أو بالحديث عن لحظتين مهمتين من لحظات إدراج مناطق من العالم في السوق العالمي. وكذلك، فمن باب أولى أننا لن نجد أيضاً من سيفكر بشكل معمق حول جذور المؤسسات التي جلبتها أرامكو إلى الظهران، فعشرون عاماً من الحرب الباردة وانتشار عرف قوي يدفع ضد المعرفة سينتجان فهماً جديداً

(*) كانت ولاية كنتاكي ولاية حدودية مهمة في الحرب الأهلية الأمريكية؛ حيث كان أطراف الحرب يتنافسون على السيطرة عليها، خيضت على أرضها معارك كثيرة من هذه الحرب (المترجم).

(**) الأخدود العظيم (Grand Canyon) أخدود عميق جداً شمال ولاية أريزونا (المترجم).

(***) صحراء الحوض العظمى (Great Basin Desert): أكبر صحارى أمريكا وتقع في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية (المترجم).

(****) هضبة كولورادو (Colorado Plateau) وهي هضبة صحراوية في أغلبها تشكل جزءاً من ولاية كولورادو ويوتاه ونيومكسيكو وأريزونا، في جنوبها الغربي يقع الأخدود العظيم (المترجم).

(*****) ويلفريد ثايسيغر (Wilfred Theiseger) ولد عام ١٩١٠م وتوفي عام ٢٠٠٣م، مستكشف بريطاني وكاتب رحلات. يعرف أيضاً باسم «مبارك بن لندن». له كتاب معروف بعنوان رمال الجزيرة الذي يروي فيه قصة رحلاته في الربع الخالي (المترجم).

للمكان والزمان التاريخيّيْن. هذا الفهم سينتج من جهات متعدّدة ليس أقلّها شأناً المؤرخون الأكاديميون الذين بدا لهم اللقاء بين المملكة وشركة النفط **«كشيء لا مثيل له في التجربة التاريخية الأمريكية»**(١٢).

والسبب بسيط وراء رجوعنا إلى الوراء عوضاً عن المضي قدماً في رواية هذه القصة؛ إذ إنه بحسب معرفتي تعتبر هذه الطريقة أفضل الطرق من أجل تحييد قوّة ادعاء الخصوصية. جزء من المشكلة هو ببساطة أن تاريخ شركات التعدين ليس معروفاً بشكل جيّد، وهذا ينطبق على موظفي أرامكو نفسها وعلى أولئك الذين أشرفوا على عملياتها في ذلك الوقت، أي في عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين؛ وهو كذلك ينطبق على كل أولئك الذين سيحاولون الكتابة عن أرامكو في السعودية بعد ثلاثين أو أربعين سنة من بدء إنتاج النفط من هناك، وإن كنت تشك بأن انعدام المعرفة كان أو ما زال هو المشكلة، توقف وفكّر للحظة حول مقدار ما تعرفه بالتفصيل عن أغلب جوانب التاريخ الأمريكي لعام ١٩٢٥م. فالحقيقة هي أن كثيراً من الأشخاص الذي يتمتعون بمعرفة واسعة عن السعودية أو شركات النفط في الشرق الأوسط أو تاريخ الشرق الأوسط لن يستطيعوا الحديث عن الجنوب أو الغرب الأمريكي في القرن التاسع عشر إلا بطريقة شديدة العمومية أو عبر ترديد كليشيهات أو صور هوليوودية. وهذا بالمناسبة ليس نقداً، كما أن مجرد زيادة المعرفة بالماضي لن تحل المشكلة.

إن علينا أيضاً أن نتجاوز هذا الشعور بوجود فجوة أو فاصل بين الأربعينيات وما بعدها من القرن العشرين وبين القرن التاسع عشر، وأن نتجاوز شعور الناس بأن هذا الماضي هو عالم آخر تمّ طمسه وتغييره وتجاوزه، ففي بقية هذا الفصل على الأقل فكّر في احتمالية أنه في وقت الحرب العالمية الثانية أو الحرب الباردة لم يتم إسدال الستار بعد على مرحلة درب الدموع(*) مثلاً أو

(١٢) Irvine Anderson, *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981), pp. 3-4 (emphasis added).

(*) درب الدموع (Trail of Tears) هو الاسم الذي يطلق على عملية إجبار السكان الأصليين من قبائل الهنود الحمر على الانتقال من أماكنهم في جنوب شرق الولايات المتحدة بموجب قانون إزالة الهنود عام ١٨٣٠م. تم نقل هؤلاء إلى المناطق الشرقية مما يعرف اليوم بولاية أوكلاهوما. كان الإجبار على النقل يتم مشياً على الأقدام، وأصيب عدد من المنقولين بالأذى والمرض وتوفي عدد منهم في الطريق (المترجم).

إعادة الإعمار(*) أو مذبحة لودلو(**) أو الحرب الإسبانية ـ الأمريكية.

هناك كثير يمكن تعلمه عن المؤسسات الموجودة في المكان الذي دعاه سانغر عام ١٩٤٩م «التخوم العربية». فمن خلال النظر في العوالم المقسّمة على أساس العرق التي أنتجتها عقدة التفوّق والوصاية البيضاء في المناجم أولاً ثم في حقول النفط في المقاطعات التي تمّ احتلالها حديثاً في جنوب الغرب الأمريكي؛ إذ قادت الحرب على شمال المكسيك ومعاهدة هيدالغو (١٨٤٨م) وصفقة غادسدن (١٨٥٣م)(***) غيّرت الحدود السياسية لقارة أمريكا الشمالية متيحةً أراضيَ جديدة لمشروع ممتد عبر القارة بأكملها، فرأس المال القادم من الشرق والعمّال المكسيكيون المهيمن عليهم وموجات الاستيطان الأنغلوساكسونية وحركات مقاومة الهنود الحمر في الأراضي التي كانت تحوي ذهباً أو نحاساً أو نفطاً تمثل بمجموعها مفاصل قصة معقدة عن الهيمنة والاعتماد(١٣).

(*) إعادة الإعمار (Reconstruction) هو الاسم الذي أطلق على المرحلة التي تصف ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية والسياسات التي اتبعتها واشنطن من أجل «إعادة إعمار» الولايات الجنوبية المهزومة في الحرب (المترجم).

(**) في ٢٠ نيسان/أبريل ١٩١٤م هجم الحرس الوطني لولاية كولورادو بالتعاون مع حراس شركة كولورادو للوقود والحديد التي تملكها أسرة روكفلر على خيمة لعمال فحم مضربين عن العمل. كان عدد العمال يفوق الألف عامل، وأدى الهجوم إلى مقتل العشرات بينهم نساء وأطفال (المترجم).

(***) في الفترة ما بين عامي ١٨٤٦ ـ ١٨٤٨م قامت الولايات المتحدة بغزو شمال المكسيك، مستولية على الأراضي التي تشمل ولايات أريزونا وكاليفورنيا ونيومكسيكو وغيرها. انتهت الحرب بتوقيع معاهدة هيدالغو التي تقر بنتائج الحرب وأحقية الولايات المتحدة بالأراضي المحتلة بالإضافة إلى ولاية تكساس. في عام ١٨٥٣م قامت الولايات المتحدة بشراء مقاطعات تشكل حالياً الأجزاء الجنوبية من ولايتي أريزونا ونيومكسيكو. هذه الصفقة اسمها صفقة غادسدن نسبة إلى اسم السفير الأمريكي في المكسيك، أدت هذه الأحداث إلى فقدان المكسيك قرابة النصف من أراضيها (المترجم).

(١٣) For debates since the West-as-colony case was first argued in the 1930s, see William G. Robbins, "The "Plundered Province" Thesis and the Recent Historiography of the American West," *Pacific Historical Review*, vol. 55, no. 4 (November 1986), pp. 577-597. For the turn to dependency theory, see Richard White, *Roots of Dependency: Subsistence, Environment and Social Change among the Choctaws, Pawnees and Navajos* (Lincoln: University of Nebraska Press, 1983). The most influential of the new western histories of empire is Patricia Limerick, *The Legacy of Conquest: The Unbroken Past of the American West* (New Haven, CT: Yale University Press, 1987).

سنبدأ بمشاريع النحاس لشركة فيلبس ودودج وشركاهم في الأراضي المستولى عليها حديثاً باعتبارها الأكثر أهمية في منتصف القرن التاسع عشر قبل المضي نحو النفط. ففي الوقت الذي مضى فيه ويليام إيرل دودج (William Earl Dodge) بالشركة إلى هذه الأراضي الجديدة كان أيضاً قد خصص جزءاً يسيراً من ثروة عائلته الطائلة لتأسيس مدرسة تبشيرية في عام ١٨٦٦م تسمى الكلية السورية البروتستانتية التي تعرف اليوم بالجامعة الأميركية في بيروت. ودائماً ما كان بعضهم يستشهد بهذا الاستثمار الأخير كدليل رئيس على أن ما قام به الأمريكيون في الشرق الأوسط، أو على الأقل في القرن التاسع عشر، لا علاقة له بالاستعمار إلا أنهم مخطئون.

رحلة إلى بغداد وأماكن أخرى ليست في العراق

كانت الثروة الطبيعية في الغرب الأمريكي في القرن التاسع عشر تشمل الخشب والماشية. إلا أن الموجات المتعاقبة من طفرات الثروات المعدنية وانفجارها هي التي تركت آثاراً لا تمحى في ماضي هذا الغرب. وذلك ابتداءً من الذهب، فالنحاس بعده، ثم النفط انطلاقاً من عشرينيات القرن العشرين[١٤]. وعلى الرغم من أنها صعبة التصديق الآن، فإن إنتاج النفط كان في تلك الأثناء مربحاً ومجدياً بمستويات استثمار صغيرة نسبياً[١٥]. في المقابل، كان إنتاج النحاس وغيره من المعادن يتطلب كميات من رأس المال لم تكن متوفرة لدى مستثمري سان فرانسيسكو. هذا الأمر دفع المبادرين من رجال الأعمال إلى اللجوء إلى الساحل الشرقي أو المستثمرين الأوروبيين من أجل تطوير مقاطعات المكسيك «الجديدة» التي تضمنت

---

(١٤) "Mining set the pace and direction of western development". See: Limerick, Ibid., pp. 99, 108 and 124.

انظر أيضاً:

Philip J. Mellinger, *Race and Labor in Western Copper: The Fight for Equality, 1896-1918* (Tucson: University of Arizona Press, 1995), p. 1.

(١٥) Oil may have helped free the region from its utter dependence on "foreign" that is, private Eastern, finance by creating the first local zones of capital accumulation in places like Texas. World War II hastened the pace of industrial diversification and, in a sense "autonomy" vis-à-vis the East Atlantic core. See: William G. Robbins, *Colony and Empire: The Capitalist Transformation of the American West* (Lawrence: University of Kansas Press, 1994), p. 14.

«إحدى أغنى مخزونات النحاس في الولايات المتحدة»، وكذلك دفعهم إلى بناء سكك الحديد الضرورية لجلب هذا المعدن إلى السوق[١٦] كانت شركة فيلبس ودودج وشركاؤهم واحدة من بين أكبر الشركات المعروفة في هذه المشاريع[١٧].

كان مؤسس الشركة آنسُن جي. فيلبس (Anson G. Phelps) يانكياً[*] من ولاية كونكتيكوت يعيش في نيويورك. ولقد نمت ثروته مطلع القرن التاسع عشر عن طريق تمويل المزارعين في الجنوب ومقايضة القطن في لندن بصفائح القصدير بالإضافة إلى تسيير سفن من أعلى الساحل الشرقي إلى أسفله والعكس. بدأ اهتمامه بصناعات التعدين في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، فشكّل شركة مع صهرَيْه اللذين كان أحدهما مستقراً في ليفربول والآخر في نيويورك. أشرف فيلبس على مشاريع تصنيع النحاس والنحاس الأصفر[**] في كونكتيكوت، في حين قاد زميله في نيويورك ويليام دودج (William E. Dodge) ـ من عائلة مهاجرة أخرى من إنكلترا الجديدة ـ الشركة إلى أراضي الخشب، إلى ولاية بنسلفانيا أولاً، وبعد استهلاك ثرواتها انتقل إلى كندا فولايات البحيرات الكبرى[***] فجورجيا وأخيراً تكساس. كما أنه قام بنقل الشركة من بناء السفن إلى بناء سكك الحديد عن طريق تمويل بناء عدد من الخطوط من بينها خط نيويورك وإيري، وخطوط نيوجرسي المركزية، وخطوط هيوستن وتكساس المركزية، واتحاد خطوط المحيط الهادئ. وكما تمددت سكك الحديد بشكل ملتوٍ كالأفاعي غرباً خارج الحدود، فكذلك كانت ملكيات الشركة في المناجم ممتدة في ما وراء

---

(١٦) المصدر نفسه، ص٢٣.

(١٧) This summary is based on Robert Glass Cleland, *A History of Phelps Dodge, 1834-1950* (New York: Alfred Knopf, 1954), and Phyllis B. Dodge, *Tales of the Phelps-Dodge Family: A Chronicle of Five Generations*, with a foreward by Arthur S. Link (New York: New York Historical Society, 1987).

(*) اليانكي (Yankee) هو مصطلح يطلق على القاطن في الولايات الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية، وتحديداً الولايات الشمالية التي حاربت في الحرب الأهلية، أو قد تشير إلى قاطني إنكلترا الجديدة بشكل محدد (المترجم).

(**) النحاس الأصفر هو سبيكة مكوّنة من عنصري النحاس والزنك (المترجم).

(***) وهي ولايات: إلينوي، إنديانا، متشيغان، نيويورك، أوهايو، مينيسوتا، ويسكونسن، بنسلفانيا، بالإضافة إلى محافظة أونتاريو الكندية (المترجم).

بنسلفانيا إلى متشيغان، وأخيراً عبر نهر الريو غراند(*) إلى منطقة الأباتشي(**) أو ما نعرفها اليوم بولايتي أريزونا ونيومكسيكو(١٨).

تنمية العرق

وقفت عقبتان كبيرتان في طريق تأمين الاستثمارات والاستغلال ذي الكفاءة العالية للثروة المعدنية للمناطق الغربية: **الأولى** كانت وجود مستوطنات الهنود الحمر والجماعات المتنقلة سواء من السكان الأصليين أو تلك القبائل الشرقية المتنقلة، وتتضمن الشيروكي والتشوكتاو والكريك والسمينول (Cherokee, Choctaw, Creek, and Seminole) وآخرين أجبروا عبر «درب الدموع» على الانتقال عندما استولى الرجل الأبيض على أراضيهم. أما المشكلة **الثانية** فقد كانت محاولة بسط نظام العبودية الجنوبي على المناطق المستولى عليها حديثاً، وهي القضية التي ستؤدي في نهاية الأمر إلى حرب بين الشمال والجنوب. وقد أدّى ملّاك شركة فيلبس ودودج دوراً رئيساً في الحملات التي تعتبر اليوم مشينة لحل هذه القضايا، فكل من ديفيد فيلبس ووليام دودج عملا لفترات بوصفهما رئيسيْن لجمعية الاستعمار الأمريكية. هذه الجمعية كانت واحدة من القوى الرئيسة وراء الجهود التي سعت في أوائل القرن العشرين لتخليص الشمال من سكانه السود الأحرار وحل مسألة العبودية في الجنوب عبر التطوع بإرجاع كافة العرق الأسود إلى أفريقيا، إلا أنّ أولى مشاريعهم في ليبيريا كانت فاشلة. فعلى ما يبدو لم يكن هناك إلا القليل من الرجال والنساء السود على استعداد للتضحية بمكانتهم التي لم تكن مواطنة كاملة. ومهما يكن، فإن اهتمام البيض بجمعية الاستعمار نما في العقد السابق على الحرب الأهلية بالتوازي مع تزايد الخطر الذي كان يمثّله قرب احتمالية تحرير السود بشكل جماعي. عارضت جمعية الاستعمار

(*) نهر الريو غراند (Rio Grande river) هو نهر كبير، يعتبر رابع أو خامس أطول نهر في العالم، يمتد من جنوب غرب ولاية كولورادو ويصب في خليج المكسيك (المترجم).

(**) الأباتشي (Apache) كلمة تشير إلى مجموعة من القبائل تقطن هذه المنطقة من جنوب غرب الولايات المتحدة، خاضت حروباً كثيرة ضد المكسيك والأمريكيين، من بين أشهر مقاتليهم شخص يدعى جيرونيمو قاتل المكسيكيين والأمريكيين واعتبر استسلامه نهاية حروب الأباتشي (المترجم).

(١٨) Leah Dilworth, *Imagining Indians in the Southwest: Persistent Visions of a Primitive Past* (Washington, DC: Smithsonian Institution Press, 1996) for the location of various souiliwestern peoples.

تحريرهم وأعادت إحياء فكرتها التي سبق أن فشلت ـ التي لم تتخلّ عنها نهائياً إلا في العقد السابع من القرن التاسع عشر ـ في طرد كافة السكان السود إلى ليبيريا[١٩].

أدى دودج دوراً آخر ولكنه أكثر نجاحاً هذه المرة بوصفه عضواً في (إدارة المسؤولين عن الهنود الحمر). وهذه الإدارة هي الجهاز الفدرالي المشرف على طرد الهنود الحمر من أراضيهم وعزلهم في محميات. كان الدور الذي أدّاه يهدف إلى «فصل البيض عن الهنود، وتمهيد الطريق من أجل التوسع غرباً، وإجبار الهنود على نمط حياة مستقر يؤدي في النهاية إلى «تحضرهم»»[٢٠]. وسيقع على عاتق المبعوثين إدارة الجزء المتعلق بالتحضّر من هذه السياسة عند تطورها وذلك بتعريف هذا العرق المتخلّف إلى المهارات الصناعية ومبادئ القراءة والكتابة، وتعليمهم كيف أنه من الأفضل «ترك حياة التنقّل، والاستقرار. . . وزراعة الأرض وتعلم كيف تعتمدون على أنفسكم وأن تصبحوا جزءاً من الشعب الأمريكي وأبناء الأب الكبير»[*]. كما خاطب دودج بنفسه مجلساً للقبائل في مخيم يدار من قبل الكويكريين[**] اسمه ويشيتا (Wichita) في مقاطعة هندية في صيف ١٨٦٩م[٢١].

وبعد أن فشلت خطة الإرجاع إلى ليبيريا، تم تمديد نطاق استيعاب نموذج المدارس التبشيرية المخصصة للارتقاء لتشمل السكان السود المحررين للتو والذين تحولوا بشكل سريع إلى جماعة مهمشة. ومرة أخرى،

---

(١٩) As Phyllis Dodge says about her ancestors, it "was a way for merchants like Phelps to salve their uneasy consciences without antagonizing their cotton-growing suppliers". See: Dodge, Ibid., p. 70.

(٢٠) Donal F. Lindsey, *Indians at Hampton Institute, 1877-1923*, Blacks in the New World (Urbana: University of Illinois Press, 1995), p. 11.

(*) الأب الكبير هو الاسم الذي أطلقه الهنود الحمر على رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (المترجم).

(**) الكويكريون هي فرقة مسيحية تشكلت في إنكلترا في القرن السابع عشر بعد الحرب الأهلية الإنكليزية، وبسبب الاضطهاد هناك انتقلوا إلى المستعمرات الإنكليزية في أمريكا، وهناك قام أحد أثرياء الفرقة بتأسيس ولاية بنسلفانيا. اشتهروا بامتناعهم المشاركة في الحروب، والامتناع عن الخمور، ومعارضة العبودية (المترجم).

(٢١) Dodge, Ibid., pp. 197-198.

سيقوم كل من دودج وفيلبس ـ وكذلك أبناؤهم في ما بعد ـ بالعمل وتقديم العون لعقود لكل من (الإدارة الأمريكية لمسؤولي المؤسسات التبشيرية الأجنبية) و(جمعية المؤسسات التبشيرية الأمريكية الداخلية). وهاتان المؤسستان تعتبران من أكثر المؤسسات أهمية للدمج والارتقاء في كل من الغرب والجنوب الأمريكي خلال فترة إعادة الإعمار.

كان بروكر تي. واشنطن (Brooker T. Washington) المعروف بـ «داهية توسكيجي» أحد التربويين السود البارزين والمدافعين عن نموذج التعليم الصناعي والارتقاء. في عام ١٨٩٥م، وفي خطاب شهير في ولاية أطلنطا، تقدّم بالشكر للدعم والأعمال الخيرية القادمة من الشمال. كان من بين المشكورين ابن ويليام دودج واسمه وِل جونيور (Will Junior). وكما هو مشهور الآن ـ على الأقل بين طلبة تاريخ السود في أمريكا ـ فإن دبليو. إي. بي. دو بوا ـ أحد عمالقة الفكر في القرن العشرين ـ صعد نجمه عبر هجومه الذكي في كتابه **أرواح الشعب الأسود** (*Souls of Black Folk*) (١٩٠٣) على آلة توسكيجي المدعومة من الشمال، ورضوخ بروكر واشنطن لتهميش السود وتفتيتهم وحرمانهم من حقوقهم المدنية، وقبوله بتأسيس نظام جيم كرو[٢٢].

وهنا مسألتان مهمتان بالنسبة إلى قصتنا: **الأولى** أن دو بوا سيسعى لبناء حركة اجتماعية تستهدف الضغط من أجل تأمين حقوق المواطنة وتوسيع نطاق شمول السود في مؤسسات السلطة والثقافة والاقتصاد المسيطَر عليها كلياً من قبل البيض[٢٣]. وأحد جوانب برنامجه الذي أصر عليه والأكثر حساسية هو رؤيته المختلفة جذرياً لمسألة تعليم المواطنين السود: أي بناء جامعات للسود والتهيئة لنخبة وطنية أو «العُشر الموهوب» من معلمين وموظّفين عموميين وكتّاب وأساتذة جامعات ومحامين وما إلى ذلك. أما

---

(٢٢) Lindsay, Ibid., and David Levering Lewis, *W. E. B. Du Bois: Biography of a Race, 1868-1919*, Owl Books (New York: Henry Holt, 1993). Washington's famous speech in September 1895 at the Cotton States International Exposition in Atlanta is now referred to as "the Atlanta Compromise". Lewis paraphrases Washington's biographer, Justice Louis Harlan, about Washington's purpose in the Atlanta Compromise. "In exchange for black acceptance of restrictions on the franchise and no further demands for 'social equality; the South's white rulers were to allow gradual progress in agriculture and business and to rein in the rednecks" (pp. 174-175).

(٢٣) Adolph L. Reed, Jr., *W. E. B. Du Bois and American Political Thought: Fabianism and the Color Line* (New York: Oxford University Press, 1996).

الثانية فتتمثّل في أن الصراع حول طبيعة وأهداف تعليم الأعراق التابعة كما تم تخيّلها ستتكرر عبر العالم الخاضع للاستعمار في العقود القادمة، بل إن دو بوا نفسه سيبدأ بربط النضال في الداخل بالحركات والأيديولوجيات حديثة الولادة المناهضة للاستعمار في الخارج. وعندما نشر توماس جَسي جونز (Thomas Jesse Jones) ـ أحد أمناء مؤسسة هامبتون(*) ـ التقرير الضخم ومخطط الإصلاح في المستعمرات البريطانية «التعليم في أفريقيا: توصيات لجنة التعليم الأفريقية» (١٩٢٦م) انطلاقاً من نجاح (!) نموذج التعليم المهني الأمريكي، قام دو بوا بتمزيقه نقداً في المجلة التي كان يحررها باسم **كرايسس** (*Crisis*). فقد حمّل تقرير جونز التعليم العالي مسؤولية التمرد في الهند، وقلّل من أهمية المدارس التي تهيّئ لدخول الكليات في نيجيريا وجنوب أفريقيا، مطالباً بإعادة توزيع الموارد لتبني نموذج هامبتون ـ توسكيجي، إلا أن دو بوا وصفه بأنه برنامج مصمم لجعل أفريقيا «أكثر أماناً للبيض». الأكثر أهمية من ذلك هو شجبه لجهة تمويله. وهذه الجهة لم تكن سوى مؤسسة فيلبس ـ ستوكس الخيرية التي كانت الداعمة الدائمة لآلة توسكيجي ممثلة تراكم الثروة لدى الشريك الثالث في شركة فيلبس ـ دودج(٢٤).

هناك أيضاً مسألة **ثالثة**، ففي كافة تخوم النفط خلال القرن العشرين وفي كل مرة تواجه الشركات بمطلب بناء المدارس وتدريب وتعليم النخبة الصاعدة لإدارة الدول والشركات التي أسسها النفط ـ في المكسيك، إيران، فنزويلا، كولومبيا، نيجيريا، والمملكة العربية السعودية ـ كانت هذه الشركات تردّ بطريقتين: **الأولى** هي التهرب من هذه المطالب، **والثانية** عبر بثّ الحياة

(*) مؤسسة هامبتون (Hampton Institute) تم تأسيسها عام ١٨٦٨م من قبل زعماء سود وبيض لجمعية التبشير الأمريكية لتوفير التعليم للسود المحررين حديثاً (المترجم).

(٢٤) W. E. B. Du Bois, "Education in Africa," *Crisis* (June 1926), pp. 86-89; John H. Stanfield, *Philanthropy and Jim Crow in American Social Science*, Contributions in Afro-American and African Studies; Book 82 (Westport, CT: Greenwood, 1985), pp. 25-42; Kenneth James King, *Pan-Africanism and Education: A Study of Race Philanthropy and Education in the Southern States of America and East Africa*, Oxford Studies in African Affairs (Oxford: Clarendon Press, 1971); David Levering Lewis, *W. E. B. DuBois: The Fight for Equality and the American Century, 1919-1963* (New York: Henry Holt, 2000), pp. 70 and 190-191, and Dodge, *Tales of the Phelps-Dodge Family: A Chronicle of Five Generations*, pp. 205 and 211.

في هذه الفكرة العائدة إلى القرن التاسع عشر القائلة: إن السكان الأصليين سيكونون في حال أفضل عبر تعليم بطيء طويل الأمد على طرق العمل، لقد حاولوا الإبقاء عليها حيّة لفترة طويلة من الزمن.

مملكة النحاس

بعد وفاة المؤسسين سيقع على عاتق الجيل الجديد أن يجعل من شركة فيلبس دودج واحدة من أكبر شركات النحاس العالمية، وسيتكفل وِل جونيور ـ أحد أبناء ويليام إيرل دودج ـ بالإشراف على شركات ممتلكات النحاس في الغرب الأمريكي، كما أنه سيكون أحد أهم رعاة الكلية السورية البروتستانتية في بيروت التي رحل للتدريس فيها أخوه ديفيد ستيوارت (David Stuart). أما ابن خالته دانيال ويليس جيمس (Daniel Willis James)(*) فقد كان شريكاً في إدارة مساعي التوسع. وسيقوم جيلان آخران من آل دودج بمتابعة التوسع غرباً نحو أريزونا ونيومكسيكو وسيكون من بين هؤلاء كليفلاند هودلي دودج (Cleveland Hoadley Dodge) الذي ستمول ثروته حملة وودرو ويلسون للرئاسة. أحد التوأمين اللذين أنجبهما كليفلاند، واسمه كليفلاند إيرل (Cleveland Earl)، توجه إلى بيسبي في أريزونا في حين أن الآخر، ويدعى بايارد، مضى إلى بيروت.

في الفترة ما بين ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م، وتحت إدارة وِل جونيور، استثمرت الشركة في منجم شركة دِترويت للنحاس في كلِفتون ومعمل صهر النحاس في مورنسي. وتقع هاتان البلدتان على نهر غيلا وتبعدان عن بعضهما قرابة الخمسة أميال بالقرب من خط الحدود الذي يفصل نيومكسيكو عن أريزونا. بعد ذلك، غامرت الشركة بالاستثمار في بيسبي على جبال ميول التي تبعد ستة أميال عن المكسيك، لتقوم بعد ذلك بالاستيلاء على منجم ملكة النحاس هناك الذي سيكشف عن نفسه باعتباره أغنى عروق النحاس في قارة أمريكا الشمالية، ومنذ عام ١٩٠٩م ستقود أريزونا العالم في إنتاج النحاس.

إلا أن كافة أملاك شركة فيلبس دودج هذه كانت في أراضٍ تعتبرها

(*) ابن الشريك الثالث الذي يعتبر زوج ابنة فيلبس (المترجم).

قبائل الأباتشي تابعة لها، ولم يكن هؤلاء قد استسلموا بعد في حربهم ضد المستعمرين عندما بدأت الشركة بشراء المناجم. فهذه المنطقة كانت أرضاً قاحلة، تغطي الصحراء جزءاً منها وواحدة من أقل أراضي أمريكا الشمالية من حيث الكثافة السكانية. أولى دعاوى الملكية تم تسجيلها في عام ١٨٧٧م من قبل ثلاثة من جنود إحدى وحدات الجيش الأمريكي الذين انصرفوا مؤقتاً عن حربهم مع فرق التشيريكاهوا التابعة للأباتشي التي حصلت آخر حملاتها المسجلة ضد الأملاك وقاطرات نقل الخام في عام ١٨٨٢م. فجيرونيمو، الزعيم الذي ولد في المكان الذي تقع فيه بلدة كلفتون الآن، كان قد استسلم في عام ١٨٨٤م إلا أنه هرب من الحبس بعدها بعامين. وحتى تنجح عمليات التحضّر والانتقال من حياة التنقل إلى الاستقرار، فإنه يجب أولاً القضاء على المقاومة مرة واحدة وإلى الأبد. فأرسل الجيش الأمريكي حوالى خمسة آلاف جندي لمطاردة جيرونيمو ورفاقه الخمسة والثلاثين وأسرهم حتى القبض عليهم، فاستطاعوا القبض عليه مجدداً عام ١٨٨٦م، وتم الحكم على المتمردين بالأعمال الشاقة وترحيلهم وسجنهم على بعد ألفي ميل في فلوريدا[٢٥].

وما أن بدأت شركة فيلبس دودج التنقيب عن النحاس حتى شملت استثماراتها جوانب أكثر من تقنيات الإنتاج لاستخراج المعدن الخام وتصفيته، فقد قامت ببناء سكة حديد تمتد لألف ميل تضم جميع أملاكها الاستثمارية بما في ذلك منجم إضافي داخل الحدود المكسيكية في ناكوزاري بالقرب من مدينة دوغلاس في ولاية أريزونا؛ حيث بنت معمل صهر جديد هناك، كما ربطت سكة الحديد بلدات التعدين بمراكز شبكة سكة الحديد التابعة لشركة ساوذرن باسيفيك[*]؛ حيث تم الربط شرقاً بأل باسو وغرباً

(٢٥) David Roberts, *Once They Moved Like the Wind: Cochise, Geronimo, and the Apache Wars* (New York: Simon and Schuster, 1993), p. 13. For the locations of the Phelps Dodge properties and the siege by "the most cowardly of the Indian tribes," see: Cleland, *A History of Phelps Dodge, 1834-1950*, pp. 77-80, 82 and 84-85. Phelps Dodge employees named an early ore train's engine *Geronimo.*

(*) شركة الساوذرن باسيفيك (Southern Pacific) تأسست عام ١٨٦٥م وتدير شبكة كبيرة من سكك الحديد في غرب الولايات المتحدة وشرقها (المترجم).

بتوكسون[٢٦]، كما كان على الملّاك أن يستثمروا من أجل استيطان البلدات لصالح مدرائها وعمالها وتطويرها، فالنحاس لم يوجد إلا في أماكن نائية، ولم يكن لدى الشركة أيَّ خيارٍ غير تحمّل تكاليف بناء المنازل والمدارس والمحلات وما إلى ذلك[٢٧] ودائماً ما يتمّ الاحتفاء بفيلبس دودج على إشرافها الكريم والخيّر لنطاقات نفوذها في أريزونا ونيومكسيكو[٢٨].

لا يوجد خلاف جدي بين المؤرخين المعاصرين حول غايات حملات بناء المستشفيات والمدارس التي قامت بها الشركة وتوقيتها، ولا في ما يخص توفير التأمين الصحي والتأمين ضدّ الحوادث، ولا بالنسبة إلى المساهمات في الأندية الاجتماعية وجمعية الشبان المسيحيين[*] وما إلى ذلك. فالهدف كان إحباط تنظيم نقابات أو انتفاضات عمالية قد تجبر الملّاك على دفع رواتب أعلى، والسماح بساعات عمل أقل في اليوم والأسبوع، وإلغاء نظام دفع رواتب مختلفة بحسب العرق وهو نظام تنظيم العمل الذي كانت تعمل به فيلبس دودج والشركات الأخرى كلها[٢٩] هذا كله ليس محل نزاع بين الباحثين، بل إن ما يميزهم عن بعضهم هو مقدار معارضتهم للإطار التفسيري الذي يرى أنه كان على الشركة أن تواجه وتهزم «قوى الظلام» - من

(٢٦) Ramon Ruiz, *The People of Sonora and Yankee Capitalists*, Profmex Monograph Series (Tucson: University of Arizona Press, 1988), pp. 10-14. By 1916, the railroad company was capitalizing in the new market for ethno-tourism in Indian country. See Carlos A. Schwantes, *Vision and Enterprise: Exploring the History of Phelps Dodge Corporation* (Tucson: University of Arizona Press, 2000), pp. 99 and 101, and Dilworth, *Imagining Indians in the Southwest: Persistent Visions of a Primitive Past*, pp. 16-17 and 78-91.

(٢٧) Margaret Crawford, *Building the Workingman's Paradise: The Design of American Company Towns*, Haymarket Series (London: Verso, 1995), pp. 29-30.

(٢٨) The only careful work I have found on wage rates and working conditions in the Phelps Dodge mines suggests, in light of the racism, inequality, and labor activism, that such claims may not withstand close scrutiny. See: Mellinger, *Race and Labor in Western Copper: The Fight for Equality, 1896-1918*, pp. 33-43 and 154-173, and below.

(*) جمعية الشبان المسيحيين (YMCA) هي جمعية دولية تأسست عام ١٨٤٤م في لندن، ثم تمددت إلى كثير من دول العالم وكانت من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، كان من بين أهدافها التأسيسية توفير بيئة مسيحية روحية للشباب وجعلهم مواطنين صالحين (المترجم).

(٢٩) Mellinger, quotes company executives and engineers in the 1910s who describe the mixing of nationalities as the weapon against unions. "As long as little dissensions and rivalries keep the men busy, they are fairly amenable".

انظر: المصدر نفسه، ص٦ - ٨.

قبائل الأباتشي وعصابات وإيطاليين وثوريين وهجناء(*) وحكام فاسدين ومكسيكيين - كما وصفهم مرة مؤرخ تاريخي تابع للشركة في عام ١٩٤٠م(٣٠).

وعلى الرغم من جهودها المتنوعة، فشلت فيلبس دودج في منع كل من (اتحادية عمال مناجم الغرب)(**) و(عمال الصناعة في العالم)(***) - والمعروفين بالووبليين - من أن تفرض وجودها في جنوب غرب أمريكا. فقد زلزلت موجات من الإضرابات الكبرى مملكة النحاس التابعة للشركة في ١٩٠٣ - ١٩٠٤م و١٩٠٧م و١٩١٤م، و١٩١٥ - ١٩١٦م والأكثرها سوءاً حدثت عام ١٩١٧م حيث أدّت إلى ترحيل جماعي لحوالى ألف من عمال المناجم. كما أن الديمقراطية أثبتت أنه لا يمكن الاعتماد عليها. فالتوجهات الشعبوية في المجالس التشريعية في مقاطعة أريزونا بدت قوية للدرجة التي قام فيها السياسيون هناك بإصدار قانون يحدّ عدد ساعات العمل بثماني ساعات فقط عام ١٩٠٣م وكان موجهاً بشكل صريح ضد فيلبس دودج. وهذه القوى نفسها استطاعت تحويل المقاطعة إلى الولاية الثامنة والأربعين التي أصبحت أكثر الولايات الداعمة للعمال في الاتحاد الفدرالي عام ١٩١٢م مفاقمة بذلك مخاوف نخبة شركات التعدين.

وبسبب قلقه من كون التطورات في مقاطعات بيسبي وكلفتون مورنسي باتت تنحرف باتجاه مضاد للشركة، بدأ المدير والمعادي الشرس للنقابات

(*) هو الشخص الذي يكون سليلاً لأعراق مختلطة (المترجم).

(٣٠) F. Remington Barr, "Integrated Results of Sixty Years' Operation, Phelps Dodge Company, Morenci -Branch," (Manuscript, September 1940, chapter on the Detroit Copper Mining Co. of Arizona, 1875-1919), pp. 22,72-74 and 79-81, enclosed in: Cleveland E. Dodge to Mrs. Frank Ayer, Pelham, NY, 7 November 1940, Box 22, Frank Ayer Papers, American Heritage Center, University of Wyoming, Laramie.

(**) اتحادية عمال مناجم الغرب (Western Federation of Miners) هي مظلة نقابية نضالية تنضوي تحتها مجموعة نقابات نشأت في مواقع التعدين التابعة لشركات مختلفة في الغرب الأمريكي، تم تأسيسها عام ١٨٩٣م (المترجم).

(***) عمال الصناعة في العالم (Industrial Workers of the World) منظمة عمالية دولية نشأت عام ١٩٠٥م كانت تهدف إلى إنشاء نقابة واحدة كبرى، كانت ناشطة وعضويتها كبيرة، لكنها انحسرت عندما شنت الحكومة الأمريكية حملة ضد الحركات الاشتراكية والآناركية في ما يعرف بـ«الرعب الأحمر» بعد الثورة البلشفية في روسيا (المترجم).

جيمس دوغلاس (James Douglas) التحضير لنموذج جديد للتطوير وراء الحدود في المنطقة الأشد انعزالاً في غرب ولاية نيومكسيكو. فالمستوطنة الجديدة في تيرون ستمنح الشركة قدرة تحكم أكثر بالفضاء العام والسكان. «فعلى العكس من بيسبي وغيرها من البلدات التي كانت تعمل فيها فيلبس دودج، قامت الشركة منذ البداية بالسيطرة بشكل كلي على تخطيط وتطوير تيرون بالإضافة إلى كون هذه المستعمرة مملوكة من قبل الشركة»[٣١] قامت الشركة ببناء بلدة مكسيكية مثالية من ناحية استعمارية. فهي مختبئة في جبال بورو يتوسطها مجمع تجاري كبير وفيها ملهى ألعاب وسينما ونادي للشركة ومدرسة ثانوية. وخططت لبناء كنيسة كاثوليكية كبيرة لعمالها المكسيكيين إلا أنها لم تنفذ ذلك قط. وقد قامت الشركة كذلك بإدارة الشرطة والمطافي والسجن و«فرق التطبيب» وغيرها. وللوصول إلى تيرون، كان على المرء أن يستخدم سكة الحديد الجديدة التابعة للشركة.

ولأجل أهداف هذا الكتاب، فإنه سيتم التعامل مع مستوطنة تيرون باعتبارها تجربة طبيعية أو أقرب ما يكون إلى ذلك من أجل فهم الخيارات المتخذة من قبل مسؤولي الشركة الذين كانوا مشهورين حينها بأنهم مصلحون تحركهم معتقداتهم الدينية والتزامهم نحو تطوير حياة موظفيهم وتنظيم ظروف العمل والحياة بالطريقة التي رأوها مناسبة؛ فلم يكن لدى أي شركة أخرى أو أي جهة أخرى أي سلطة أو مسؤولية في عملية تشكيل تيرون. وبالتأكيد، لم يكن لدى عمال الشركة أي صوت أيضاً. وهذا الأمر نستطيع رصده ليس فقط من خلال ما تم ادّعاؤه بشكل عام حول شركات مثل فيلبس دودج ولكن أيضاً من خلال السهولة التي تنكّر من خلالها ملّاك الشركة المنتمين إلى الكنيسة المشيخية[*] لعدة جوانب من «الاتجاهات السائدة في المجتمع الأمريكي». فالملّاك بنوا بلدة ليس للمقيمين فيها أي صوت في طريقة حكمها؛ إذ لا وجود لمجلس بلدة أو ما يشابهه، كما أنهم منعوا تأسيس نقابات عمالية في دولة تعترف بحق التجمع. وقد قرروا كذلك عدم السماح

(٣١) Crawford, *Building the Workingman's Paradise: The Design of American Company Towns*, p. 136.

(*) الكنيسة المشيخية (Presbytarian Church) هي إحدى الكنائس البروتستانتية المسيحية التي تتميز بتنظيمها لنفسها عن طريق الانتخابات (المترجم).

للمقيمين ببناء وتملك بيوت خاصة بهم، ومنعوا الدعارة داخل تيرون على الرغم من أن ذلك سيكون عكس رغبة المقيمين الذكور قياساً على البلدات المحيطة بهم. ولئن كان اختيار العمال للدعارة متوقعاً فإنه من المؤكد أن رغبة العمال ستكون ضد منع الحانات وشرب الكحول.

وبهذه الطريقة نفسها اختار الملّاك أن يجعلوا من نظام جيم كرو النظام الحاكم هناك. ففي تيرون، بعكس بيسبي، حيث استطاع النشطاء العماليون أن يحتفظوا بها كمحمية لعمال المناجم البيض فقط، اعتمد الملّاك على استخدام العمالة المكسيكية (وهذا التصنيف يشمل بحسب آلية صرف الرواتب الخاصة بالشركة المواطنين الأمريكيين الذين يتحدثون الإسبانية، والهنود الحمر من قبيلة الياكوي، وغيرهم) تحت الأرض في المناجم. ولهذا السبب، كان من المهم جداً الحفاظ على التمييز في دفع الأجور بحسب العرق الذي قاد في البداية إلى إزاحة العمال الأمريكيين البيض. وفي الوقت نفسه، أصرت الشركة على أن تكون الخدمات السكنية وغيرها من الخدمات التي تقدم لكافة العمال غير البيض مفصولة عن تلك التي تقدم للبيض وغير مساوية لها جرياً على عادتها في كافة مواقعها الأخرى[٣٢].

استطاعت هذه التجربة الاجتماعية الكبيرة التي أقامتها الشركة في تيرون البقاء لبضع سنوات فقط. فقد أدى سحق الحركة العمالية في الحزام النحاسي لأريزونا من جهة وتهاوي سعر السوق العالمي لهذا المعدن نهاية الحرب العالمية الأولى من جهة أخرى إلى أن تنهي فيلبس دودج عملياتها في نيومكسيكو عام ١٩٢١م. أما بالنسبة إلى العمالة المكسيكية الكبيرة فقد تشتت، وبالنسبة إلى تيرون فقد تحولت إلى بلدة أشباح[٣٣].

---

(٣٢) Chinese, who were considered worse than Mexicans, were entirely barred from Bisbee. See Carlos Schwantes, ed., Bisbee: *Urban Outpost on the Frontier* (Tucson: University of Arizona Press, 1992), pp. 16 and 61.

(٣٣) Phelps Dodge eventually tore down the decrepit remnants of the once-remarkable Beaux Arts camp in the 1960s when it developed an open-pit mine in Tyrone. See: Crawford, *Building the Workingman's Paradise: The Design of American Company Towns*, pp. 150-151, and Schwantes, Vision and Enterprise: *Exploring the History of Phelps Dodge Corporation*, pp. 119 and 122-124.

القانون لا يسمح إلا للعمالة البيضاء

على ما يبدو، كان وراء تشكّل أول نقابة عمالية في أريزونا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر سعي عمال المناجم البيض لمنع توظيف العمال المكسيكيين. فقد أجبرتِ النقابة ـ التي تشكلت عفوياً في منجم أولد دومينيون في بلدة غلوب ـ الإدارة على إلغاء قرار تخفيض الرواتب، وفصل العمالة البديلة الجديدة. تمت دعوة هذه النقابة إلى اتحادية عمال مناجم الغرب حديثة التكوين والمصممة على إبقاء غلوب كغيرها «مخيماً للبيض» في مكان كانت تعني فيه كلمة أبيض ما تعنيه كلمة أمريكي[٣٤]. ومن جهة أخرى، قامت هذه النقابة في غلوب بدعم تنظيم النقابات في المناجم القريبة.

اختلفت استراتيجيات النقابات باختلاف المكان والزمان، ففي بعض الأحيان، رأى منظمو النقابات دعوة العمال المكسيكيين إلى الحركة، وعادة ما ينقسم العمال البيض في ما بينهم إلى مجموعتين: مجموعة اندماجية وأخرى إقصائية. فالاندماج كان يوفر وسيلة لزيادة قوّة النقابة ويسلب الشركات أهم وسيلة لديها في مقاومة الإضرابات وهو التهديد باستيراد عمالة «أجنبية»، إلا أن مساوئ الاندماج كانت أيضاً جليّة؛ إذ إن عمال المناجم البيض ونقاباتهم لم يسجلوا حالة واحدة قاموا فيها بتبنّي قضية المساواة بين الأعراق[٣٥]. ولهذا، فإنه من الممكن أن نجد ما يسمى العمالة المكسيكية (والإيطالية، واليونانية، والصربية. . .إلخ) تتحالف مع عمال المناجم البيض في قضايا مشتركة مثل الدفاع عن مستويات الأجور عندما تحاول الشركات تخفيضها، إلا أن معارك إنهاء التمييز العنصري في دفع الأجور لم يخضها في أريزونا وعلى مدى عقود إلا العمال المكسيكيون والأمريكيون من أصول مكسيكية.

ونتيجة لكونهم محاصرين من الجهتين، قام العمال الأجانب ـ بمن في ذلك اللاتينيون المولودون في أمريكا ـ بأول إضراب كبير في حزيران/يونيو

---

(٣٤) Mellinger, *Race and Labor in Western Copper: The Fight for Equality, 1896-1918*, pp. 18-19 and 21-22.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٣٠.

١٩٠٣م. لقد كان هذا أول عمل جماعي في أمريكا يقوده عمال مكسيكيون أو أمريكيون من أصول مكسيكية. طالب هؤلاء العمال بتخفيض الأسعار المرتفعة في المحلات التي تملكها الشركة، وإنهاء سياسة فصل العمّال من دون سبب، ومنح خصومات إلزامية لمنافع برامج الشركة الخدمية. إلا أن المطلب الرئيس كان المساواة في الرواتب مع العمّال البيض. رفضت فيلبس دودج التفاوض على أي من هذه القضايا. نجح الإضراب في إيقاف العمل في المناجم لاثني عشر يوماً قبل أن تقوم مجموعة من القوّات مكونة من الشرطة المحلية وحرّاس أريزونا(*) والحرس الوطني وفرقة مدرعة من الجيش الأمريكي أرسلها الرئيس ثيودور روزفلت (Theodore Roosevelt) بسحق العمال المنتفضين. تم سجن زعماء الحركة لسنوات بتهمة الشغب، وحافظت الشركة على نظام دفع الرواتب المزدوج في الوقت نفسه الذي قامت فيه بفرض تقليص رواتب عمال المناجم الذين يعملون تحت الأرض، وهو الأمر الذي أشعل الصراع أول الأمر.

وحتى نهاية العقد، استمر العمال على جانبي الحدود الأمريكية المكسيكية في مقاومة نظام الأجور العنصري من دون تحقيق أي نجاح. ففقاعة النحاس في بدايات العقد الأول من القرن العشرين حوّلت قرى ولاية سونورا المكسيكية: كانانيا وبيلاريس دي ناكوزاري إلى واحات غنية، ومقاطعات أريزبي وموكتِزُوما إلى أكثر المقاطعات نمواً في الولاية وشديدة الارتباط بالولايات المتحدة. فأريزبي كانت مقر الشركة الأكبر: شركة كانانيا للنحاس المخلوط، في حين أن موكتِزُوما كانت مقر مناجم شركة فيلبس دودج ومربوطة بواسطة سكة الحديد بمعمل الصهر الخاص بها خلف الحدود الأمريكية في دوغلاس في ولاية أريزونا. كان عمّال ولاية سونورا في مخيمات التنقيب «يقطنون في فضاء مفصول عنصرياً قام بتصميمه اليانكيون»(٣٦) فالعوائل الأمريكية كانت تعيش في منازل فاخرة ولديها أندية

(*) حرّاس أريزونا (Arizona Rangers) هي وحدة شرطة تم إنشاؤها عام ١٩٠١ لضبط الحدود مع المكسيك والقبض على الخارجين على القانون ومكافحة أعمال الشغب، تم إلغاؤها عام ١٩٠٩م (المترجم).

(٣٦) Ruiz, *The People of Sonora and Yankee Capitalists*, pp. 7-40 and 84, and Miguel Tinker Salas, *In the Shadow of the Eagle: Sonora and the Transformation of the Border during the Porfiriato* (Berkeley, CA: University of California Press, 1997), pp. 92-98 and 194-197. For a contemporary =

وصالات طعام باذخة في الفنادق، بالإضافة إلى ساحات للتنس والغولف لرفاهيتهم الخاصة. أما أبناؤهم فكان يتم إرسالهم إلى مدارس بنتها الشركة على أساس عنصري، في حين أن العمال المكسيكيين عاشوا معزولين في أكشاك يملكونها أو يستأجرونها من الشركات.

وضمن سعي أريزونا للتحول إلى ولاية، وخلال فترة هيمنة القوى التقدمية على المستوى الفدرالي، تحولت القوى العاملة هناك إلى قوة سياسية فاعلة، في حين وجد أصحاب مصالح النحاس والماشية أن الولاية بدأت تفلت من قبضتهم. وهكذا، وفي عام ١٩٠٨م، قام الديمقراطيون الذين سيطروا على الكونغرس بعد تعهدهم بالاستجابة لمطالب العمال بتسريح حراس أريزونا، كما أن التقدميين كانوا هم المهيمنين على المؤتمر الدستوري(*) عام ١٩١٠م، وفي السنوات الأولى بعد التحول إلى ولاية نالت المرأة حقها في التصويت، ومنح العمال الحق في الإضراب والعمل في بيئة عمل أفضل وآمن. اكتسبت هذه السلطة قوتها من تحالف مكوّن من الشعبويين الزراعيين وأصحاب المشاريع الصغيرة والعمال، ووصلت أوج قوتها في الفترة ما بين ١٩١٥ ـ ١٩١٦م[٣٧].

نادراً ما كانت الحركة الشعبوية ليبرالية ولم تكن تقدمية إلا بشكل جزئي، ويتجلّى هذا في مشروع تقدمت به، ابتداء من مؤتمر أريزونا الدستوري، لتخليص الولاية التي كانت في طور التكوين من سكانها المكسيكيين. وطالب المبعوثون الأنغلوساكسونيون بتقليص حجم العمالة التي لا تتحدث الإنكليزية في أي منجم إلى ٢٠ في المئة من القوة العاملة. وعلى الرغم من أنه فشل في عام ١٩١٠م، إلا أن مشروع «الأمركة» هذا تم تمريره من قبل المشرعين وإقراره عبر استفتاء شعبي عام ١٩١٤م. لاقى قانون

=account of the racial hierarchy as viewed from "the American Colony" by a Phelps Dodge engineer at Nacozari, See: Ralph Ingersoll, *In and Under Mexico* (New York: Century Co., 1924), "The attitude of the larger companies is necessarily paternal; the people dealt with are children and must be looked after and guarded, to insure any production whatever" (p. 116).

(*) قبل تحول أي مقاطعة إلى ولاية، يطلب الكونغرس منها أن تجتمع في مؤتمر دستوري لكتابة مسودة لدستور الولاية ويتم رفعه للكونغرس لإقراره (المترجم).

(٣٧) James Byrkit, *Forging the Copper Collar: Arizona's Labor-Management War of 1901-1921* (Tucson: University of Arizona Press, 1982), pp. 38-62.

العمال الأجانب الجديد استنكاراً عالمياً وتم تحديه بشكل متوالٍ في المحاكم. وفي عام ١٩١٥، أعلنت المحكمة العليا في أمريكا أنّ هذا القانون ينتهك التعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي(٣٨) وفي الوقت نفسه، أمر حاكم أريزونا الليبرالي الديمقراطي جورج هَنت (George Hunt)، ولأول مرة في تاريخ شركات التعدين، الحرس الوطني بحماية عمال شركة فيلبس دودج خلال ثاني أكبر إضراب لهم في كلفتون مورنسي. فقد خشي هَنت أن تحذو شركة النحاس حذو شركة روكفلر في مواجهتها الدموية مع عمال الفحم في لودلو قبلها بسنة، فقرر منع حدوث مذبحة أخرى(٣٩) كما أنه سافر إلى كلفتون لمخاطبة العمال؛ حيث طالب الشركة بأن تقوم بـ«تعديلات» وأمام هتاف الجماهير هدد بإلقاء مدراء المنجم «في الحبس» لو كان هذا ما يتطلبه إحضارهم لطاولة المفاوضات(٤٠).

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص٤٤ ـ ٥٥، و

Mellinger, *Race and Labor in Western Copper: The Fight for Equality, 1896-1918*, pp. 85-86, and New Republic (6 November 1915), p. 4, mounted a defense in part of Arizona: "We should not overlook the fact that states like Arizona have a very serious problem in the mining or industrial camps financed by absentee capital, manned by alien labor, and governed despotically by a little group of higher employees. In such camps nothing like an American form of local government is possible. The anti-alien law attempted to substitute, for an exploited body of aliens, citizen laborers, by education and temperament fitted to check the arbitrary tendencies of mining camp capitalism".

مقتبس في: Byrkit, Ibid., p. 54.

نص الفقرة الأولى من التعديل كالآتي: «جميع الأشخاص المولودين في الولايات المتحدة أو المتجنسين بجنسيتها والخاضعين لسلطانها يعتبرون من مواطني الولايات المتحدة ومواطني الولاية التي يقيمون فيها ولا يجوز لأية ولاية أن تضع أو تطبق أي قانون ينتقص من امتيازات أو حصانات مواطني الولايات المتحدة، كما لا يجوز لأية ولاية أن تحرم أي شخص من الحياة أو الحرية أو الممتلكات من دون مراعاة الإجراءات القانونية الأصولية، ولا أن تحرم أي شخص خاضع لسلطانها من المساواة في حماية القوانين» (المترجم).

(٣٩) The informed U.S. reading public had only recently read about the Ludlow Massacre in the great Colorado Fuel and Iron Company strike of 1913-1914. A detachment of Colorado state militia had wantonly attacked a strikers' tent settlement along the railroad tracks near CFI company property, deliberately setting the tents afire and killing over a dozen women and children. Vengeance was swift, and western Las Animas County became a battlefield. Miners, militia detachments, and company guards fought a small war in southern Colorado, until U.S. Army troops managed to separate them... Retrospective accounts of the Arizona strikes of 1915 credit Governor Hunt with having avoided "Ludlow Massacres"". See: Mellinger, Ibid., p. 157.

(٤٠) Byrkit, Ibid., p. 58, and James R. Kluger, *The Clifton-Morenci Strike: Labor Difficulty in Arizona, 1915-1916* (Tucson: University of Arizona-Press, 1970), pp. 36-38.

إلا أن كبير مدراء فيلبس دودج والتر دوغلاس وصحف أريزونا المملوكة من قبل الشركة هاجموا هَنت وصوروا الإضراب بأنه مؤامرة تم التدبير لها من وراء الحدود في المكسيك الثورية(٤١) أما دوغلاس فاستهدف هَنت على صفحات صحيفة نيويورك التقدمية نيو ريبَبلِك (*New Republic*). إلا أن أعمال الشركة توقفت، وفي نهاية المطاف نال العمال ما طالبوا به من زيادة الرواتب مقابل التبرُّؤ من ارتباطهم باتحاد عمال مناجم الغرب؛ إذ إن القضاء على هذا الاتحاد كان هدفاً لم تتخلَّ عنه فيلبس دودج يوماً. أما دوغلاس ـ الذي تعهد أيضاً ألا يفاوض نقابة مرة أخرى ـ فقد قاد حملة شركات التعدين التي نجحت عام ١٩١٦م في إسقاط نظام هَنت في أريزونا(٤٢).

ولم يأت انتصار الشركة الحقيقي إلا بعد ذلك بعام، أي في عام ١٩١٧م عندما وجهت الضربة القاضية ضد القدرة على تنظيم النقابات في جنوب شرقي أريزونا مستعينة بالحملة الشرسة التي قامت بها منظمة عمال الصناعة في العالم ضد غريمتها المتهالكة اتحادية عمال المناجم في الغرب. فقد أدّى دخول أمريكا الحرب في أوروبا في نيسان/أبريل من عام ١٩١٧ إلى تحويل إنتاج النحاس إلى نوع من الواجب الوطني، أو هكذا أصرت الشركات على توصيف الأمر، وإلى اعتبار خضوع العمال هو المعيار الحقيقي لولائهم للجمهورية. وهذا كان في وقت كانت فيه أسعار النحاس (وبالتالي أرباحه) وتكاليف العمال ترتفع بسرعة جنونية، فالشركات استعدت للحرب عبر تنظيم وتسليح مجموعات من المرتزقة بالقرب من مخيمات التعدين.

---

(٤١) Byrkit provides evidence for Phelps Dodge's control of the *Arizona Gazette*, the *Arizona Daily Star*, the *El Paso Herald*, the *Douglas International*, the *Copper Era*, and the *Bisbee Daily Review*. See: Byrkit, Ibid., p. 110. These Investments are another subject left untouched by Schwantes, the company's newest historian.

(٤٢) Byrkit, Ibid., pp. 63-93, and *New Republic* (22 January 1916) saw labor as in confrontation with "a process by which a handful of owners in New York, Boston or Edinburgh can impose upon ten or fifteen thousand men and women the choice between surrendering their liberties or starving". The governor referred to Douglas, who became a vice president of Phelps Dodge in 1916, as "the consort of the queen of Arizona copper mines," (p. 64). Hunt lost the election in 1916 by thirty votes (of 56,000 cast). Byrkit describes how the elections were rigged.

أضرب العمال لأول مرة في مخيم فيلبس دودج في بيسبي يوم السابع والعشرين من حزيران/يونيو ١٩١٧م. ونقلت **النيويورك تايمز** (*New York Times*) الخبر تحت عنوان «إدانة الألمان في حادثة إضراب كبيرة في منجم نحاس». في بيسبي كان الووبليون قد ضاعفوا عمليات تنظيمهم الأخيرة بين عمال المناجم البيض. وفي الأول من تموز/يوليو قام عمال كلفتون مورنسي بالإضراب عن العمل، وكان هذا أول عمل لاتحادية عمال المناجم في الغرب حيث كان أغلب العمال مكسيكيين. في بيسبي، كانت صحف الشركة تحذر من العواقب الوخيمة «لأي علامة على عدم الطاعة»، على الرغم من أنه لم يكن هناك أي عنف حتى هذه اللحظة. وفي الرابع من تموز/يوليو كانت صحيفة **لوس أنجلوس تايمز** (*Los Angeles Times*) تذكر أن قرابة نصف عمال المنجم عادوا إلى العمل وأن الإضراب قد فضّ. في الحادي عشر من تموز/يوليو، اجتمع المدراء العامون للشركات الثلاث الكبرى في البلدة في مستوصف تابع لفيلبس دودج من أجل إنهاء خطط القضاء على الحركة النقابية. بعد ذلك، تم جمع حوالى ١١٠٠ رجل في ٢٣ من عربات نقل المواشي، ونقلوا عبر سكة الحديد خلال الصحراء إلى نيومكسيكو، حيث تركوا هناك من دون أي مؤونات. لم تكن أغلبية المرحلين من الووبليين، بل كانوا إما رجالاً ينتمون إلى اتحادية عمال المناجم في الغرب أو مضربين غير منتمين إلى أية نقابة، كما أن كثيراً منهم كانوا سكاناً لفترة طويلة في بيسبي[٤٣]، حيث كانت لهم هناك أسر ومنازل.

وعبر المبالغة بادّعاء الوطنية، وعد ملاك المنجم في بلدة غلوب القريبة في ولاية أريزونا ـ التي يعتبر نفوذ اتحادية عمال المناجم في الغرب فيها محكماً ـ بتحويل عملياتهم إلى ««مخيم أمريكي» حيث لا مكان لمزيد من الأجانب ولا لعنفهم وإضراباتهم وممارساتهم وغاياتهم غير الأمريكية»[٤٤]. بدأ المرتزقة بطرد المكسيكيين «المقيمين بطريقة غير قانونية» إلى خارج بلدات التعدين الرئيسة في أريزونا، كما أن إضراب كلفتون مورنسي الذي

---

(٤٣) Byrkit, Ibid., pp. 187-235. This book provides the only detailed account of the 1917 deportation.

(٤٤) Mellinger, *Race and Labor in Western Copper: The Fight for Equality, 1896-1918*, pp. 185-187.

قاده عمال مكسيكيون واعتبر أكثر الأعمال راديكالية في عام ١٩١٧م تم سحقه، «فخلال الإضراب، تم اعتقال مجموعة كبيرة من المكسيكيين بتهم أعمال الشغب والتخطيط بالزحف إلى كلفتون من أجل الهجوم عليها وتطهيرها من البيض»(٤٥). وفي ما بعد، سيلوم قرابة السبعمئة «مواطن أمريكي» من بين عمال المعادن «العنصر الأجنبي» على إثارة البلبلة في مخيم فيلبس دودج. وهكذا انتصرت الشركات، وسيتم حرمان عمال المناجم من حق التفاوض بشكل جماعي حتى قدوم مرحلة الصفقة الجديدة(٤٦).

إمبراطورية النفط

يحظى أساطين عهد النفط الأول في الغرب الأمريكي بأهمية أكبر من بارونات النحاس في تاريخ أمريكا السياسي والاجتماعي والثقافي. ولا أحد من هؤلاء يحظى بأهمية تضاهي تلك التي يتمتع بها إدوارد دوني، مؤسس إمبراطورية النفط التي اتخذت من لوس أنجلوس عاصمة لها. حفر دوني أول بئر نفط في كاليفورنيا، وشكّل أول شركة كبيرة لإنتاج النفط في المكسيك. وفي عشرينيات القرن العشرين، أصبح شخصاً سيّئ السمعة بسبب فضيحة تيبوت دوم التي كشفت رشوته لوزير الداخلية الذي كان أحد أصدقائه القدماء ألبرت فول (Albert Fall) ـ الذي كان يعمل سابقاً في مجال التعدين ثم أصبح سيناتور في مجلس الشيوخ عن ولاية نيومكسيكو ـ مقابل الحصول على نفط رخيص من الاحتياطي الخاص في البحرية الأمريكية. سجن فول لقبوله بالرشوة في حين أن دوني، أحد أغنى الرجال في أمريكا، لم تتم إدانته.

إن تاريخ النفط في الغرب الأمريكي ليس عالماً مستقلاً، بل هو تاريخ

---

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٩٠، quoting the *Copper Era and Morenci Leader* (19 October 1917).

(٤٦) The commission "settled the strikes but could not alleviate the basic issues. Short-term gains were made in both organization and wages, then were lost to widespread blacklisting and postwar depression. In Arizona, too, copper unionism was dead until the Wagner Act and the Second World War".See: George H. Hildebrand and Garth L. Mangum, *Capital and Labor in American Copper, 1845-1990: Linkages between Product and Labor Markets* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992), p. 141.

متشابك مع تاريخ النحاس وغيره من الصناعات التعدينية. فدوني بدأ حياته كمنقب عن الذهب والفضة. وقد باءت محاولاته الاستكشافية في أقاليم أريزونا ونيومكسيكو التي استغرقت عشرين عاماً بالفشل، فقرر بعدها المضي إلى كاليفورنيا حيث ابتسم الحظ له هناك(٤٧). وللأسف الشديد، فما نعلمه عن التاريخ الاجتماعي لدكتاتورية النفط - كما وصفها عمال كاليفورنيون - قليل جداً مقابل ما نعرف عن مملكة النحاس(٤٨). فحتى الآن، لا نملك إلا القليل لنوازن به الفكرة المبهرة عن الشركات بوصفها رائدة وأن علاقات التاجر فاحش الثراء بعماله يقتدى بها، وأنه كان يدفع أجوراً أعلى من منافسيه، ويبني مساكن أفضل، كما أنه على الرغم من كونه رفض الاعتراف بحق عماله بالتنظيم، «**لم تكن ردّات فعله هستيرية تجاه تشكيل النقابات**»(٤٩).

---

(٤٧) Doheny was and remains notorious in Mexico from the time of the revolution, where he epitomizes a brand of brazen interventionist politics engaged in by investors during the revolution. He made good copy in the American press in the 1920s and appeared in one guise or another in a host of novels, including Upton Sinclair's Oil (1926), B. Traven's The White Rose (1929, original German edition), and Carleton Beals's Black River (1934), but in the intervening years was all but forgotten. New full-length studies on Doheny have appeared in the past decade, alongside an account of the oil industry and politics in Mexico, in which Doheny is a featured player. See: Dan LeBotz, *Edward L. Doheny: Petroleum, Power, and Politics in the United States and Mexico* (New York: Praeger, 1991); Jonathan C. Brown, *Oil and Revolution in Mexico* (Berkeley, CA: University of California Press, 1993); Martin R. Ansell, *Oil Baron of the Southwest: Edward L. Doheny and the Development of the Petroleum Industry in California and Mexico* (Columbus: Ohio State University Press, 1998), and Margaret Leslie Davis, *Dark Side of Fortune: Triumph and Scandal in the Life of Oil Tycoon Edward L. Doheny* (Berkeley, CA: University of California Press, 2001).

(٤٨) Nancy Quam-Wickham, author of one of the very first accounts of oil workers and politics in California in a generation, opens with a pointed reflection on Daniel Yergin's massive history of world oil. See: Daniel Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power* (New York: Simon and Schuster, 1991). This 800-page, self-styled epic is all but silent on the role of labor both in development of the oil industry and in the grand political conflicts spawned throughout the world by expansion of private oil investment. Leading voices in the new Western history movement have been calling for work on the oil industry for almost two decades. See: Nancy Lynn Quam-Wickham, "Petroleocrats and Proletarians: Work, Class, and Politics in the California Oil Industry, 1917-1925," (Ph.D. Dissertation, University of California Press 1994), pp. 1-2.

(٤٩) Gerald T. White, *Formative Years in the Far West: A History of Standard Oil Company of California and Predecessors through 1919* (New York: Appleton-Century-Crofts, 1962), chap. 20, p. 520, Even more expansively, White concludes that Socalled "most oil companies *everywhere" in wages, hours, and working conditions* (p. 527) (emphasis mine).

بزغ فجر إنتاج النفط في العقود الأولى من الطفرة الاقتصادية الكبيرة في كاليفورنيا في حوض لوس أنجلوس ووادي سان جاكوين. والمشتركات بين المشهد العام لإنتاج النفط في هذه المناطق وبين مخيمات التعدين الأخرى أكثر بكثير من الصورة الرومانسية التي ستحاول هوليوود اختراعها في ما بعد. فأغلب المخيمات كانت مجتمعات معزولة حيث نادراً ما يوجد تمييز داخلها بين حياة العمل وحياة المنزل؛ «إذ بشكل حرفي وبشكل مجازي، قام النفط باجتياح كافة مجالات حياة العامل»، فرائحة النفط الخام عمّت الأجواء، والحفر ظل مستمراً في النهار والليل، وكثيرون من عمال حقول النفط وعوائلهم سواء داخل المخيمات أو خارجها عاشوا داخل ما كان يعرف بـ«صفوف الخِرَق» من خيام وأكشاك ستظل موجودة في مناطق من لوس أنجلوس حتى العشرينيات من القرن العشرين(٥٠).

كانت سنوات الحرب العالمية الأولى في حقول أوكلاهوما وكاليفورنيا كما كان الحال في مناجم النحاس لحظات زادت فيها حدة الصدام بين الشركات وحركة عمالية حديثة التكوين بقيادة منظمة عمال الصناعة في العالم في حقول المنطقة الوسطى من القارة. وستمضي مجريات القصة ضمن نسق متوقع. فالويبليون كانوا قد جعلوا من تولسا مركزاً للنقابات الراديكالية في الغرب ما بين عامي ١٩١٥ ـ ١٩١٦م، إلا أنهم هزموا بطريقة حملة القمع نفسها التي قادتها شركات التنقيب عن النحاس في عام ١٩١٧م، وهي السنة التي دخلت فيها الولايات المتحدة الحرب(٥١) ولم تقرر منظمة عمال الصناعة في العالم أن تضع لها موطئ قدم في كاليفورنيا إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها، حارمة بذلك الشركات من أهم أسلحتهم ضد حركة عمال النفط التي تزداد فاعلية وتسيساً. استجابت كبرى الشركات ـ شركة الاتحاد للنفط (Unocal) التي كانت أكبرها، وستاندارد أويل أوف كاليفورنيا (سوكال، التي أصبحت شيفرون في ما بعد) ـ وأجرت تحسينات في

(٥٠) Quam-Wickham, "Petroleocrats and Proletarians: Work, Class, and Politics in the California Oil Industry, 1917-1925," pp. 63-64,78-79 and 81.

(٥١) The most detailed account available is Nigel Anthony Sellars, *Oil, Wheat and Wobblies: The Industrial Workers of the World in Oklahoma, 1905-1930* (Norman, OK: University of Oklahoma Press, 1998).

الإسكان وبيئة العمل في المخيمات مطلع العشرينيات(٥٢) كما شهدت هذه اللحظة أيضاً بروز أول منشورات الشركات، مثل نشرة **ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا**، حيث بدأ مالكو الشركة بصناعة الهوية التي تصور الشركات كوكلاء خيريين للأرض وعمالها ومستهلكيها، مرّ علينا هذا المشهد قبل ذلك وسنراه أيضاً في ما يأتي:

إلا أن أهم الفروق بين النفط والنحاس في الغرب الأمريكي هو أنه في كاليفورنيا وغيرها كان النفط محمية خاصة للرجل الأبيض، وظلت شركات النفط من أكثر الشركات مفصولة فصلاً عنصرياً في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية(٥٣) ولعل أحد الأسباب هو قلة الطلب فيها على العمالة غير الماهرة. فالنفط، مقارنة بالنحاس، يحتاج إلى عدد أقل من العمّال حتى يتم إنتاجه، فالحاجة إلى العمال تكون في أعلى مستوياتها في بداية الإنتاج وذلك نظراً إلى أن هناك حاجة لتركيب أجهزة الحفر وبناء المخيمات ومد الأنابيب وما إلى ذلك. وفي الحقيقة، لقد كان أغلب عمال حقول النفط عمالة متنقلة، يتنقلون من موقع إلى آخر بشكل دوري. أما الأعمال الدائمة، كالحفر مثلاً، فقد كانت تعتمد على فرق صغيرة ومستقلة تتمتع بمهارات متخصصة. فعلى الرغم من أنه كان هناك هرمية بين العمال في مخيمات النفط، فإنها لم تكن مماثلة للفروقات الشاسعة التي كانت في شركات النحاس حيث رجال يكدحون تحت الأرض(٥٤).

ما من شك في أن هناك استثناءات لهيمنة البيض على شركات النفط، خصوصاً في الوظائف غير المرغوبة. وقد يكون ملف القوى العاملة في ولايتي أوكلاهوما وتكساس مختلفاً عن مثيله في كاليفورنيا. فأرباب العمل في المخيمات الموجودة في المنطقة الوسطى من القارة لعبوا أحياناً «بورقة

---

(٥٢) Quam-Wickham, Ibid., pp. 12-14 and 159-160, and White, *Formative Years in the Far West: A History of Standard Oil Company of California and Predecessors through 1919*, pp. 526-527.

(٥٣) Carl B. King and Howard W. Risher, Jr., *The Negro in the Petroleum Industry*, Racial Policies of American Industry, Report; no. 5 (Philadelphia: University of Pennsylvania, Wharton School of Finance and Commerce, Industrial Research Unit, 1969), and Quam-Wickham, Ibid., p. 69.

(٥٤) Quam-Wickham, Ibid., pp. 65-66.

تواجد قلة من العمال المكسيكيين والسود كمقابل للعمال البيض»[٥٥] فقد قاد رجال الأعمال والشرطة ـ المتخفون ضمن منظمة شبيهة بالـ«كو كلوكس كلان» (KKK)[*] تسمى بفرسان الحرية ـ الحرب ضد الحركة العمالية هناك في عام ١٩١٧م. أما منظمة الـ«كو كلوكس كلان» في أوكلاهوما فقد تأسست بعد ذلك بعامين، في عام ١٩١٩م، وقد كانت خلال العشرينيات قوة رئيسة من المرتزقة موجهة ضد ثلاث مجموعات غير مرغوب بها من السكان: المهاجرون، والسود، والنقابات الراديكالية في تولسا وأوكلاهوما سيتي ومخيمات النفط المحيطة[٥٦] وبما أنه لم يكن هناك برامج تدريب أو مدارس في الولايات النفطية لتعليم مهارات التنقيب والحفر حتى منتصف الثلاثينيات الميلادية، فإن الحفارين البيض، الذين كان يتوقع منهم أن ينقلوا الخبرة والمعرفة إلى غيرهم في العمل، لم يقوموا بذلك حفاظاً على حاجز اللون في مخيمات النفط في الغرب. مع أخذ هذه الفروقات بعين الاعتبار، فإن الطبقية في مخيمات النفط والنحاس بدت متشابهة إلى حد بعيد.

احكم أيها النفط!

على الرغم من أن الشركات الأمريكية المنتجة للنفط في العقد السابع من القرن التاسع عشر كانت هي من قادت النقلة إلى ما عرف في ما بعد باسم الشركات «المتعددة الجنسيات» أو «العابرة للدولة»، إلا أنه من الضروري التنبه إلى أنه في العقود الأولى كانت هذه الاستثمارات محصورة في الأغلب في معامل التكرير وعمليات التسويق. فالشركات الأمريكية وأشهرها ستاندارد أويل التابعة لجون روكفلر (John D. Rockefeller) ـ التي كانت في وقتها أكبر شركة نفط في العالم ـ قامت بإنشاء بنية تحتية ضخمة لبيع النفط والمنتجات النفطية المستخرجة من ولايات بنسلفانيا وأوهايو في

---

(٥٥) Sellars, Oil, Wheat and Wobblies: *The Industrial Workers of the World in Oklahoma, 1905-1930* (emphasis mine).

(*) الكو كلوكس كلان (Ku Klux Klan) اسم يطلق على عدد من الجماعات العنصرية التي تشترك في ما بينها باعتقادها بتفوّق العرق الأبيض ومعاداتها للسود والشيوعيين. يتميز أصحابها بأرديتهم البيضاء، كما أنها كانت تمارس الإرهاب عبر استهداف أشخاص من الأقليات السود بشكل خاص وقتلهم (المترجم).

(٥٦) المصدر نفسه، ص١٠٨ ـ ١٠٩ و١٦٣ ـ ١٦٧.

الأسواق الممتدة من المكسيك إلى أوروبا وروسيا والهند الشرقية والصين، في حين أن التسابق بين أساطين النفط الأمريكية ومنافساتها في البحث عن مصادر جديدة للنفط عبر السيطرة على امتيازات أجنبية لم يبدأ بشكل حقيقي إلا في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين(٥٧).

في عام ١٩١١م، أعلنت المحكمة الدستورية العليا الأمريكية أن شركة ستاندارد أويل هي شركة احتكارية وأنه يجب أن تقسم إلى أقسام صغيرة. تقسمت الشركة إلى: ستاندارد أويل أوف نيوجرسي (ستصبح في ما بعد إكسون)، وستاندارد أويل أوف نيويورك (ستصبح موبيل)، وهاتان الشركتان اندمجتا هذه الأيام مكونتان شركة إكسون/موبيل، بالإضافة أيضاً إلى ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا (ستصبح شيفرون)، وهكذا. الشركتان الأولى والثانية كانتا شركتي تكرير وتسويق أكثر من كونهما شركتي تصدير نفط خام، أي إنهما بشكل سريع أصبحتا بحاجة إلى مصادر للنفط خاصة بهما ـ وفي الوقت نفسه، كانت أكبر منافسات ستاندارد أويل الأجنبية ـ أي شركة شَل (Shell) ـ وغيرها يفتشون ويستكشفون موارد جديدة. كما أن تحوّل القوات البحرية إلى النفط كمصدر للطاقة قبيل الحرب العالمية الأولى لم يكن يعني إلا تزايداً هائلاً في الطلب على ما تحول فجأة إلى سلعة استراتيجية وحيوية.

وما عناه أيضاً هذا الدخول «المتأخر» للشركات الأمريكية أن غيرهم كان يسيطر على حقول النفط في المكسيك في لحظة حساسة. ففي العقد الذي كان يمتد من ١٩١٠ ـ ١٩٢٠م، كان حجم النفط الذي يتم ضخه من حقول المكسيك أكثر من أي مكان آخر بما في ذلك كاليفورنيا؛ إذ إن شركتين قامتا بجمع الأموال من أجل استكشاف الأدغال حول تامبيكو بشكل فيه كثير من المخاطرة، إلا أنها درت عليهما ثروات هائلة. الشركة الأولى تدعى بان أمريكان للبترول التي يملكها إدوارد دوني، أما الأخرى فتتبع لمنافسه المقاول البريطاني ويتمان بيرسون (Wheetman Pearson) والمعروف أيضاً بلورد كاودراي (Lord Cowdray) باني معبر نهر هيودسون في مدينة نيويورك، واسمها: مكسيكان إيغل أو إل آغيلا. شنّ الرجلان حملات

(٥٧) Mira Wilkins, *The Emergence of Multinational Enterprise: American BusinessAbroad from the Colonial Era to 1914* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1970), pp. 62-64 and 82-87.

ملحمية من أجل حماية مصالحهما. كانت هذه الحملات موجهة أولاً ضد الاضطرابات التي تسببت بها ثورة بدأت عام ١٩١٠ واستمرت لعشر سنوات في المكسيك. وكانت كذلك موجهة ضد الشركات الأكبر والأكثر نفوذاً التي كانت تسعى لأن تنال حصة من طفرة النفط المكسيكية. نجح دوني وبيرسون في الحملة الأولى؛ إذ استمر تدفق النفط المكسيكي من دون توقف طيلة ذلك العقد. إلا أنهما فشلا في الحملة الثانية. فكاودراي استطاع صدّ الشركة الأمريكية العملاقة إكسون لبعض الوقت قبل أن يبيع مكسيكان إيغل لمنافستها الأنغلو - هولندية شَل في عام ١٩١٩م. أما دوني فقد باع شركته لإكسون بعد ذلك بست سنين، وإن كان هناك من يرى أن اتصاله مع عملاق النفط العالمي بدأ قبل ذلك. أياً يكن، فهذه النتيجة هي ما كان القوميون المكسيكيون يخشونها دوماً[٥٨].

هذه الحملات أكثر تعقيداً وإثارة من الكيفية التي أعرضها بها هنا. وليس غريباً أن تكون ذلك، فهي تتضمّن الآتي: جيوشاً ثورية متنافسة، وجواسيس ألمان، ودبلوماسية أمريكية - إنكليزية عالية المستوى في وقت الحرب، وجولتين من التدخلات العسكرية الأمريكية عبر الحدود وفي حقول النفط، وصعود القائد الأسطوري بانشو فيلا (Pancho Villa)، وملايين من الدولارات صرفت من شركات النفط على مرتزقة مكسيكيين لتوفير الحماية لهم، وكذلك على مدبّري انقلابات، وعلى ميليشيات خاصة وما إلى ذلك. وقد تفسر لنا روعة خلفية أحداث بهذا الحجم والتعقيد السبب وراء افتقار عقدين من الدراسات المتميزة عنها - ابتداء من دراسة فريدريك كاتز (Fredrich Katz) **الحرب السريّة في المكسيك** - إلى أي دراسة عن الظروف داخل مخيمات النفط نفسها، فالفرق هائل بين كمية ما كتب عن مناطق التعدين عن النحاس في المكسيك النائية وبين ما تمت كتابته عن حقول النفط[٥٩].

---

(٥٨) See the speculative and unsourced discussion in Gene Z. Hanrahan, *The Bad Yankee/El Peligro Yankee* (Chapel Hill, NC: Documentary Publications, 1985), vol. 1, p. 6.

(٥٩) Friedrich Katz, *The Secret War in Mexico: Europe, the United States, and the Mexican Revolution* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 1981), although the case could be made for going back a decade earlier to Lorenzo Meyer, *México y los Estados Unidos en el conflicto petrolero (1917-1942) (México: El Colegio de México, 1972)*, 2nd ed., translated by Muriel Vasconcellos, =

نحن نعلم أن الهرمية العنصرية، كما كان الوضع في أريزونا وسونورا كانت حاضرة وتعيد إنتاج نفسها باستمرار في مخططات المخيمات حيث كان الأنغلوساكسونيون هم الأقلية المميزة. كانت المخيمات مفصولة على أساس عنصري، وكان يُدفع لأبناء كل عرق بعملة مختلفة، فالأمريكيون يدفع لهم بعملة مدعومة بالذهب، أما المكسيكيون كان يدفع لهم بالعملة الورقية. والخدمات التي وفرتها الشركات للمكسيكيين من مساكن ومستشفيات ومدارس ودور سينما وما إلى ذلك كانت تختلف جوهرياً عن تلك التي وفرتها للأمريكيين. لقد اعتمد حصول العمال على سكن ورعاية صحية بدرجة رئيسة على مطالبتهم بها كحقوق لهم، ثم كفاحهم من أجل تحسين الظروف التي كانت تقدّم بها هذه الخدمات، أو أن الشركات كانت تتبرع بالقيام بتطوير ظروف الحياة والعمل عندما تشعر بأنّ المنطقة النفطية باتت مهدّدة بسبب التطورات السياسية للثورة. فهكذا قام دوني ببناء أول مدرسة ابتدائية لأبناء العمال المكسيكيين عام ١٩١٨ ـ أي بعد عقدين من بدء مشروعه النفطي ـ بتعليمات محدودة مصممة لتدريب الأطفال كي يكونوا بستانيين. فأبوية شركات النفط كانت بشكل عام استراتيجية لتشتيت مطالبات المكسيكيين بتصحيح أكثر مظاهر انعدام المساواة وضوحاً: مستويات الرواتب المختلفة بين العمال الأجانب والمحليين[٦٠].

وهنا تأتي الخزعبلات المعتادة لتؤدي دورها؛ إذ كان هناك حتماً سوق ضخم من المعرفة بالأعراق يمكنه من تفسير عدم حاجة المكسيكيين إلى مستوى من التعليم مكافئ للأنغلوساكسونيين، أو تفسير عدم قدرتهم على الانتفاع من المدارس، أو حتى كونهم غير جادّين فعلاً عندما يطالبون بها، فلم يكن هناك أي معنى من تدريب المكسيكيين على المهارات التي تتطلّبها بعض الوظائف، إلا أنه على الرغم من هذه الحجج، وبعد أن ترك عمال النفط الأمريكيون وظائفهم خوفاً من الثورة قام العمال المكسيكيون بأخذ مناصبهم.

Mexico and the United States in the Oil Controversy, 1917-1942 (Austin, TX: University of Texas = Press, 1977).

(٦٠) My discussion is based on Brown, *Oil and Revolution in Mexico*, chap. 5, pp. 307-365. This is the only discussion I have been able to find of conditions inside the Mexican oil camps.

وهذه القدرات التحليلية الفذة لملّاك الشركات تستطيع أن تلتقط أيضاً الأيادي الأجنبية المتنوعة التي تتحكم بهؤلاء العاطفيين جداً من سبكيين وغريزريين(*) ووضيعين كما كانت تتم تسمية المكسيكيين. من بين هؤلاء العملاء الأجانب نجد منظمة عمال الصناعة في العالم تارة، والألمان تارة أخرى، ومنذ عام ١٩١٩م سينضم إليهم البلاشفة[٦١] فمن دون التفتيش عن أياد خفية كيف يمكن تفسير تمرد العمال الذين كانوا يتقاضون أجوراً أفضل بكثير من أولئك الذين يعيشون خارج المخيم النفطي؟ بعد ذلك، وافق مؤرخون من أمثال ألان نايت (Alan Knight) وجوناثان براون (Jonathan Brown) على أن عمال حقول النفط كانوا مرفهين مقارنة بغيرهم من الذين كانوا يعملون في مشاغل النسيج وفي المزارع، إلا أن ما يضيفه هؤلاء هو أن عمال النفط المكسيكيين كانوا أيضاً مرتبطين بعلاقة خضوع مع الأنغلوساكسونيين، ولم يكن عمال معامل التكرير وحقول النفط طليعة الثورة، وكانت مطالباتهم تتركز على مرتبات وظروف معيشية أفضل في المنطقة التي تسيطر عليها الشركات الأجنبية، ولم تكن تتطرق إلى إنهاء الرأسمالية أو الاستيلاء على الشركات.

إلا أنه كان هناك آخرون يدفعون بالثورة إلى أن تأخذ هذا المجرى، وهو الأمر الذي وجد فيه رجال النفط من أمثال دوني أنفسهم مضطرين إلى طرح حجة جديدة عن دور الشركات في رفاهية المكسيكيين بشكل عام. وليس بعيداً عن الدقة القول: إن الشركات أضافت فصلاً جديداً إلى تيارات الفكر القديمة والموقرة التي كانت ترى أن نقل الحضارة يكون عبر المسيحية أو من خلال الارتقاء بالأعراق المنحطة. إننا نحن أبناء القرن الواحد والعشرين نعرف أن السمات المميزة للقرن العشرين ككل هي الحركات القومية الشعبوية، وتشكل الدول في المستعمرات وأشباه المستعمرات في

(*) سبيك (spic) وغريزر (Greaser) هي نعوت مهينة تقال للمكسيكيين (المترجم).

(٦١) المصدر نفسه، ص٣١٥ ـ ٣١٧. البلاشفة (Bolshevism) والمعنى الحرفي لهم «الأكثرية»، وهم فريق من الشيوعيين المتفرع من حزب العمل الروسي الماركسي الديمقراطي؛ إذ انقسم هذا الحزب إلى بلاشفة ومناشفة (ويعني الأقلية). قام البلاشفة بالسيطرة على السلطة في ما سيعرف بعد ذلك بثورة تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩١٧م (المترجم).

الاقتصاد العالمي. وكنتيجة لمواجهة تجار النفط الأميركيين بهذا الواقع الجديد في المكسيك قرروا تصوير أنفسهم كأكثر الفاعلين إخلاصاً في بناء الأمة والمتميزين عن غيرهم من لصوص ومستغلّي الماضي.

إن جهود دوني الريادية في المساهمة في الإدارة القومية لصناعة النفط تستحق الإشادة فعلاً. فشركته بدأت بنشر مجلة شهرية جديدة منذ ١٩١٦م تسمى **سجل بان أمريكان** (Pan American Record) لترويج الأهمية الاستراتيجية للنفط المكسيكي في الحرب العالمية الأولى، بالإضافة إلى بث النشيد الوطني الجديد للنظام العالمي في ما بعد الحرب:

لم تزل الميوزات(*) مرتبطة بالحرية،

وستمضي لإصلاح يخوتك السعيدة؛

مبارك أيها النفط! أيها المتوّج بقوة لا مثيل لها،

فلتحكم البحار ولتحرس الهواء.

احكم أيها النفط! احكم هذه الموجات!

فوقود النفط ليس للعبيد(٦٢).

كما أنه أسس في عام ١٩١٧م أحد أوائل مراكز الدراسات الخاصة في البلاد: مؤسسة دوني للأبحاث، وكان مشروعها الأول والوحيد عبارة عن دراسة ضخمة حول التنمية الاجتماعية والاقتصادية المكسيكية، وذلك من أجل توفير أرضية لسياسة خارجية أمريكية أفضل. وبالتالي، لم تكن مؤسسة دوني إلا نسخة غير رسمية من «إنكوايري»، كما كانت تسمى مجموعة الأكاديميين الذين جمعتهم إدارة الرئيس ويلسون للتخطيط من أجل السلام في أوروبا. وعندما وسعت إنكوايري تركيزها ليشمل أمريكا اللاتينية بمشاركة

(*) إلهة الأدب والعلوم والفنون في الأساطير الإغريقية (المترجم).

(٦٢) Ansell, *Oil Baron of the Southwest: Edward L. Doheny and the Development of the Petroleum Industry in California and Mexico*, pp. 149-150. To be more precise, the company magazine was originally called the *MexPet Record*, first issued in March 1916, around when other oil companies began to publish magazines, and it was replaced by the *Pan American Record* in March 1917.

المعلومات والموظفين مع مؤسسة دوني[٦٣] كما وظفت المؤسسة روبرت كليلاند (Robert Cleland)، وهو مؤرخ صغير من الغرب الأمريكي من كلية أوكسيدانتال (Occidental College)؛ حيث قام بكتابة التقرير الضخم عن الصناعات النفطية والتعدينية، وهو الشخص نفسه الذي سيكتب بعد أربعين عاماً كتاب **تاريخ فيلبس دودج** (History of Phelps Dodge)، وهي أول دراسة عن الشركة التي تحمل اسم من اعتبره الكاتب «الصديق وزميل الدراسة عام ١٩٠٩م في جامعة برنستون» كلفلاند إيرل دودج وهو شقيق مدير الجامعة الأميركية في بيروت بايارد دودج ونائب رئيس ومدير أعمال شركة فيلبس دودج منذ ١٩٢٦م.

لم تكن مجلات دوني وحشود الباحثين الخاصين به إلا أجزاء من حملة لحث الحكومة الأمريكية من أجل التدخل في الحرب لحماية المستثمرين الأمريكيين بعد أن أعلن الدستور المكسيكي الجديد اعتبار جميع الأراضي الغنية بالنفط ملكاً للدولة. وعلى الرغم من أنه قد مضى وقت طويل منذ أن قبلت الشركات بشرعية مثل هذه القرارات من قبل الدول، إلا أنه في عام ١٩١٧م، قامت الشركات بالضغط على الحكومة لتنفيذ ما أراده بعض أن يكون خطة من أجل احتلال مناجم المكسيك وحقول نفطها. وخلافاً لهذا المخطط، كان دوني يضغط باتجاه نوع من الحماية عوضاً عن الاحتلال. وفي نهاية عام ١٩١٨، قام هو ومجموعة من المستثمرين بتأسيس جمعية رسمية قامت في ما بعد برعاية جلسة استماع مشهورة جداً في مجلس الشيوخ عن «الانتهاكات» التي تتعرض لها الاستثمارات الأمريكية من قبل «حكومة كارانزا (Carranza)[*] البلشفية»، كما وصفتها إحدى منشورات جماعة الضغط. وهذا النوع من ممارسة العلاقات العامة كان هو الجانب البيّن فقط من برنامج سري أكبر تضمن جمع وتخزين أسلحة ومحاولة استثارة حركات

---

(٦٣) المصدر نفسه، ص١٧١ ـ ١٧٣.

(*) فينوستيانو كارانزا دو لا غارزا (Venustianu Carranza de la Garza) أحد قادة الثورة المكسيكية وأول رئيس للمكسيك. بدأ رئاسته في عام ١٩١٤م، وتمت كتابة دستور البلاد في أثناء رئاسته، اغتيل عام ١٩٢٠م بسبب رفض جنرالات الجيش لإصراره على أن يكون الرئيس الذي ينتخب بعده مدنياً (المترجم).

تمرد من أجل الحصول على التدخل العسكري[٦٤].

شركات النفط تتمتع بحجم ومدى كبيرين، بالإضافة إلى سمعة سيئة تعود بجذورها إلى عام ١٩٠٤م عندما قامت إيدا تاربل (Ida Tarbell) بفضح «احتكار» روكفلر. وقد تكون هذه السمات التي تتمتع بها شركات النفط هي السبب وراء عدم إنفاق دارسي صناعة النحاس وقتاً أكثر بحثاً عن «الخطة العظمى» لشركاته وتوثيق آثاره في العلاقات الدبلوماسية والتدخلات العسكرية في تلك الفترة، فنحن إذا ما أردنا معرفة الحقيقة وراء دور الشركات المدّعى في تمويل الثورة، أو الجدال حول حدود قدرات المستثمرين أو حتى استعدادهم لتشكيل الفضاء السياسي، فإننا نستطيع معرفة كثير عن ذلك من خلال حياة إدوارد دوني. فبارون النفط القادم من لوس أنجلوس هذا قد اشترى لنفسه جيشاً مكسيكياً خاصاً وعدداً من كبار مسؤولي إدارة الرئيس ويلسون للحفاظ على استثماراته، إلا أن استعراضه المتباهي بثروته وأسلوبه السياسي العنجهي - كتفاخره العلني مثلاً بتأثيره على وودرو ويلسون - جعلا منه هدفاً شديد الإغراء.

إن الفرق يكاد يكون صارخاً بين دوني حديث العهد بثروة والكاثوليكي القادم من الغرب الأمريكي وبين مشيخي أرستقراطي مثل كلفلاند هودلي دودج، فرئيس شركة فيلبس دودج كان أحد رعاة الفنون والمؤسسات الدينية والتربوية في ثلاث قارات. وفي حديقة بريانت في مدينة نيويورك يقف تمثالاً مخلداً ذكرى جده ويليام إيرل دودج. كما أن كلفلاند هودلي دودج كان قريباً من الرئيس وودرو ويلسون لدرجة لم يكن يحلم بها دوني نفسه، على الرغم من أن تبرعات الأخير في الحملات الانتخابية قد أدت بلا شكّ إلى تقليص الفارق قليلاً. لقد كان دودج صديق العمر بالنسبة إلى ويلسون، وداعمة في

---

(٦٤) Some scholars have since taken virtually all the most fantastic charges of foreign machinations against the revolution at face value. Suffice it to say, as a recent, generally skeptical account notes, "all that can be said for sure is that there was enough intrigue among business interests in Mexico to support any number of conspiracy theories".

المصدر نفسه، ص١٥٣.

The best study of the intrigues of firms and states during the war years in Mexico is Katz's *Secret War*.

السنوات التي أمضاها ويلسون في نيوجيرسي(*)، وأكثر متبرع كفرد في حملاته الانتخابية عامي ١٩١٢م و١٩١٦م. وعندما توفي ويلسون، دعي كلفلاند دودج لحمل نعش الرئيس إلى مثواه الأخير، وهو الشرف الذي اضطر الداعم والصديق الذي أنهكه المرض أن يرفضه.

لم يكن تورط شركة فيلبس دودج في الضغط على إدارة ويلسون أقل من شركة بان أمريكان للنفط التابعة لدوني، فمصالح دودج تتجاوز المكسيك إلى الشرق الأدنى. فالعائلة تعتقد أن كلفلاند هو من أمن اتفاقاً مع ويلسون في عام ١٩١٧م لتفادي الحرب ضد تركيا، التي كانت حليفة ألمانيا في الحرب وحيث كان أبناؤه وبناته يعيشون ضمن مجتمع التبشير والتدريس الأمريكي هناك. كما أن دودج أيضاً ـ بالتشارك مع داعم آخر لولسون، رجل الصناعة تشارلز كراين (Charles Crane) من شيكاغو ـ كان من قاد الجهود في عام ١٩١٥ لمساعدة الناجين من المذبحة الأرمنية، إلا أنه ما زال مطلوباً من المؤرخين أن يخبرونا أيضاً عن نشاطات هذا المستثمر الحربية في الشرق الأدنى، ويشكل رئيس ردة فعل شركته على الثورة في المكسيك، البلد الذي كان يدعى في ذلك الوقت بلاد الرافدين الأمريكية(٦٥).

ابتداء من عام ١٩٢١م، بدأت الكميات المنتجة من نفط المكسيك بالانخفاض، وحتى نهاية هذا العقد كانت حقول النفط الموجودة في الولايات الوسطى تكساس وأوكلاهوما تنتج من النفط أكثر من أي مكان آخر في العالم. ولم يبنِ دوني أبداً شبكة قوية لتسويق نفطه خارج المكسيك، بالإضافة إلى الخطأ الذي ارتكبه في التعويل كلياً على مبيعات زيت الوقود عوضاً عن البنزين. قادته رحلة البحث عن مصادر جديدة للنفط إلى احتياطي القوات البحرية الأمريكية في ولاية وايومينغ، التي تلتها فضيحة تُهَم الرشوة، فسقوطه النهائي. وهذا الوضع المسدود في المكسيك قاد أيضاً شركات نفط

(*) كان ولسون مديراً لجامعة برنستون في ولاية نيوجيرسي، ثم أصبح حاكماً للولاية قبل أن يترشح للرئاسة (المترجم).

(٦٥) Dodge, *Tales of the Phelps-Dodge Family: A Chronicle of Five Generations*, pp. 318-34; Byrkit, *Forging the Copper Collar: Arizona's Labor-Management War of 1901-1921*, pp. 276-280, and LeBotz, *Edward L. Doheny: Petroleum, Power, and Politics in the United States and Mexico*, pp. 47-48.

أمريكية أخرى للبحث عن النفط جنوباً، أي في كولومبيا وفنزويلا وإلى شرق العراق - حيث بلاد الرافدين الحقيقية - وإلى سواحل الخليج العربي. إحدى هذه الشركات كانت شيفرون.

فقد قام تشارلز كراين - شريك دودج في جهود الإغاثة في الشرق الأدنى - بالدفع لخريج جامعة برنستون المهندس كارل تويتشل (Karl Twitchell) لمساعدة باني دولة جديدة ومتعثر في الخليج اسمه عبد العزيز ببعض وسائل التحديث الاقتصادي البدائية. وصل تويتشل إلى السعودية بحثاً عن الماء والمعادن. وقد كان يعوّل على مناجم الذهب القديمة في مهد الذهب في الحجاز؛ حيث قام بتأسيس شركة تعدين كانت مربحة لعدة سنوات، إلا أنه رأى أن جيولوجيا الساحل الشرقي في المكان الذي يعرف في المملكة بالأحساء مشابهة لتلك التي في البحرين القريبة منها، وهي الجزيرة التي كانت شيفرون تقوم بالتفتيش عن النفط فيها. وكما تقول حكاية مشهورة، فإن الملك ووزير ماليته اللذين كانا في حاجة ماسة إلى المال كانا مسرورين لأخذهما مالاً من شركة مستعدة للدفع مقابل شيء قد لا يكون له وجود[٦٦].

وجرت العادة على أن يتم تصوير كل ما سيأتي بعد ذلك باعتباره عهداً جديداً لكل من سوق النفط العالمي، والعلاقات الدولية الأمريكية، وبالطبع لتاريخ المملكة العربية السعودية. وكمثال على أكثر هذه الروايات تشويقاً، فإن واحداً من أوائل الكتب التاريخية التي تناولت أرامكو - الذي كان بتمويل منها كما سبق أن ذكرت - سيتحدث عن شيء «سحري» وغير مسبوق آخذ بالتشكل هناك[٦٧]. فقد قيل - وأنا أكرر الكلام هنا لأنه يستحق التكرار - عن الرجال الذين رست سفنهم على ساحل الأحساء بالقرب من مدينة الجبيل في أيلول/سبتمبر من عام ١٩٣٣م بأنهم خرجوا من حدود أمريكا إلى مملكة صحراوية «لا تشبه أي شيء قبلها في التجربة الأمريكية». في الحقيقة، إن ما

(٦٦) Anderson, *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950*, pp. 22-25, drawing on Harry St. John Philby, *Arabian Oil Ventures* (Washington, DC: Middle East Institute, 1964), a book ARAMCO paid for.

(٦٧) Wallace Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil*, as abridged for *ARAMCO World Magazine* (Beirut: Middle East Export Press, 1971), p. v.

تم إحضاره مع الجيولوجيين لم يكن إلا جزءاً مألوفاً جداً من التجربة الأمريكية. وهذا الجزء قاموا بزراعته في رمال جبل الظهران ـ وهو الاسم المحلي لأعلى قمة في المكان ـ حيث تجمع البيض سوية عازلين طباخَيْهم الصينيَّين في خيمة وحدهما[٦٨].

البدايات

الأسطورة المؤسسة للحي الأمريكي[*] في الظهران هي أن أرامكو قامت ببناء مجتمعها المنعزل على الساحل وبعيداً عن البلدات القريبة من الواحات بأمر من الملك، وأن الأخير أمر بذلك لأنه كان يريد حماية رعاياه من التغريب، أو أنه كان يريد ـ في حال كنا نعتقد بأن الساسة لا يفكرون بأبعد من مصالحهم ـ تفادي إشعال معارضة دينية لوجود غربيين في الجزيرة الوهابية كما سماها مرة جون فيلبي. ويقدم آنثوني كايف براون ـ أحد كتّاب سيرة فيلبي ـ نسخة أخرى من هذه الأسطورة في كتابه **النفط والله والذهب**؛ حيث يقول إنه «من أجل حماية المجتمع الأمريكي من لفت انتباه الشرطة الدينية (وغيرها من المخاطر الكثيرة)، تأسست الشركة في مكان منعزل»[٦٩] وما يقتضيه هذا هو أنه لو لم يتمّ إجبار أرامكو على أن تستجيب للملك أو للمطاوعة («الشرطة الدينية») فإن الحي الأمريكي وتَوائِمَه سيتم تشكيلهم بطريقة مختلفة.

المشكلة في هذه القصة ـ كما سبق أن بيّنا ـ هو أن الأغلبية العظمى من بلدات ومخيمات التعدين والنفط التي بنتها الشركات المالكة لأرامكو وغيرها ولمدة خمسين عاماً قبل تأسيس المستعمرة الأمريكية في الظهران كانت تأخذ الشكل نفسه، وهي تأخذ الشكل نفسه على الرغم من أنها كانت في أماكن بعيدة جداً عن متناول المطاوعة، وأماكن كان الجنرالات وحكام الولايات هم من يحكمون لا الأمراء والملوك. إن ما حدث في الحقيقة هو العكس

---

(٦٨) المصدر نفسه، ص٦٨.

(*) قمت بترجمة (American Camp) بالحي الأمريكي نظراً إلى أن هذه هي التسمية الرائجة له في ذلك الوقت (المترجم).

(٦٩) Anthony Cave Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings* (Boston, MA: Houghton Mifflin, 1999), p. 59.

من ذلك؛ إذ إن ممثل الحكومة السعودية الوحيد ومدير الجمارك لم يعدّ موقعاً منعزلاً للأمريكيين بل اختار مكاناً يقع داخل واحدة من أكبر البلدات القريبة من الواحات والمأهولة بالسكان الحضر تدعى الهفوف(*) حيث من السهل إدارة ومراقبة الأجانب، إلا أن الأمريكان اختاروا طريقتهم المجرّبة والمضمونة؛ إذ قاموا بنقل مركز عملياتهم إلى الساحل مبتدئين ببيت صغير في الجبيل، وأعقبوه بنصب خيمة بقرب الدمّام. وحتى ذلك الحين لم يكن هناك مكان يدعى الظهران، «بضع بيوت طينية وسكان محليون قذرون كانوا العلامات البارزة لمدينة الخبر. خاضت إحدى سيارات الفورد الخاصة بنا ذات الإطارات الكبيرة مسافة ستة كيلومترات بعيداً عن البحر إلى مخيّم مؤقت مكوّن من مجموعة من الخيام للرجال البيض وبيوت من القش للسكان المحليين»[٧٠] بدأ هؤلاء الرجال ببناء مساكن لنوم العمال وما إلى ذلك في مخيم الدمام قرب الموقع الذي ستبدأ فيه عمليات الحفر في عام ١٩٣٥م وذلك بمجرد وصول أول فرق الحفر وطباخيها الصينيين[٧١].

تعلّم معظم الجيولوجيين الأوائل وفرق الحفر ومدراء المخيمات الذين عملوا في السعودية ـ الذين يتم الاحتفاء بهم باعتبارهم روّاد أرامكو ـ صنعتهم عندما كانوا منقّبين عن النفط وعمالاً متعاقدين في أماكن أخرى. أشهر هذه الأماكن هي حقول كولومبيا في أمريكا الجنوبية؛ حيث عمل نائب رئيس أرامكو جيمس تيري ديوس رئيساً للشركة التابعة لتكساكو هناك قبل أن ينضم إلى أرامكو، وكذلك حقول فنزويلا التي كانت أول مشروع خارج أمريكا لشركة شيفرون في العشرينيات من القرن العشرين، والطفرة التي جذبت حوالى عشرين ألف فنزويلي للعمل في حقول النفط ابتداء من عام ١٩٢٩ كانت قد جعلت البلاد ثاني أكبر مصدّر للنفط في العالم بعد أمريكا.

(*) الهفوف تعتبر أكبر مدن منطقة الأحساء شرقي المملكة العربية السعودية (المحرر).

(٧٠) Lloyd Hamilton to Airy Hamilton, Hufuf, Sunday 30 December 1934, Folder 11, Lloyd Hamilton Letters, 1934-1935, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Wallace Earle Stegner Papers, MS 676, Special Collections, Marriott Library, University of Utah, Salt Lake City [hereafter cited as Stegner Papers with filing information].

(٧١) Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil, as abridged for ARAMCO World Magazine*, pp. 23-63. In writing the history of the pioneer era in the mid-1950s Stegner worked with a company researcher and a three-volume in-house history she had compiled from archival sources that have not been available to scholars.

وتشمل قائمة مخضرمي أرامكو الذين سبق لهم العمل في فنزويلا كلاً من فلويد أوهليجر الذي كان أول من أدار مؤسسة العلاقات الحكومية في الظهران جالباً معه كرهه للنقابات، وبل لينيهان (Bill Lenehan) الذي كان أحد كبار الجيولوجيين وممثلَ الشركة في جدة، وماكس ستينيكي (Max Steineke) المكتشف الأسطوري لأول الآبار النفطية الكبيرة. كما أن فِرَقَ الحفر وصلت إلى الظهران من ماراكيبو في ولاية زوليا التي تقع غرب فنزويلا عن طريق البحرين.

كان في فنزويلا عدد من الشركات الأجنبية المنتجة للنفط، فهناك كانت شل وغَلف بالإضافة إلى إكسون عبر شركتها التابعة، كريول للنفط، التي كانت أكبر استثمار أمريكي في الخارج قبل أن يتجاوزها الامتياز السعودي. وكان تنظيم المعيشة والعمل في هذه الشركات يأخذ النمط المعتاد؛ إذ أبقت الشركات القوى العاملة المكونة من الأنغلوساكسونيين والسكان المحليين لجزر الهند الغربية والفنزويليين مفصولين عن بعضهم بعضاً، والمخيمات كانت مقسمة على أساس عنصري بطريقة متباينة بشكل فاضح في أماكن السكن وسلاسل الرواتب وتوفر الخدمات[٧٢] وكانت أسوار الأسلاك الشائكة تبقي الجميع، ما عدا الخدم المنزليين، خارج محميات الأنغلوساكسونيين. وتعطينا الرسالة التي كتبها جيولوجيٌ وأحد خريجي جامعة جون هوبكنز - وكان يعمل في مخيم شركة غَلف في فنزويلا في عقد لمدة سنة واحدة عام ١٩٢٤م - صورة عن المكان والزمان هناك:

لقد كان من المثير الإنصات لـ«سيد ملوّن» من ترينيداد كان يعمل على

(٧٢) For this discussion of Venezuela, I have relied on Edwin Lieuwen, *Petroleum in Venezuela: A History*, University of California Publications in History; vol. 47 (Berkeley, CA: University of California Press, 1954); Wayne Taylor and John Lindemann, *The Creole Petroleum Corporation in Venezuela*, with the collaboration of Victor Lopez, United States Business Performance Abroad (Washington, DC: National Planning Association, 1955); Stephen G. Rabe, *The Road to Opec: United States Relations with Venezuela, 1919-1976* (Austin, TX: University of Texas Press, 1982), and Laura Randall, *The Political Economy of Venezuelan Oil* (New York: Praeger, 1987); and, most helpful of all, Miguel Tinker Salas, "Venezuelans, West Indians, and Asians: The Politics of Race in Venezuelan Oil Fields, 1920-1940," in: Vincent C. Peloso, ed., *Work, Protest and Identity in Twentieth Century Latin America* (Wilmington, DE: Scholarly Resources, 2003).

حفّارة. لقد كان يتحدث الإنكليزية بطلاقة شديدة لا تشبه الطريقة التي يتحدث بها «السود» عندنا. فنطقه كان سليماً جداً وسمعت أن كل الترينيداديين يتحدثون بهذا الشكل، فعلى سبيل المثال فهو يتحدث بهذه الطريقة: «مساء الخير سيد دوغلاس، إنه مساء دافئ أليس كذلك؟»[٧٣].

لقد قام عمال الحقول النفطية بإضرابين رئيسين ضد هذه الأوضاع التي فرضت عليهم في المخيمات. **الأول** قاد إلى توقف العمل لمدة أسبوعين في حزيران/يونيو من عام ١٩٢٥م ويعتبر أول إضراب في تاريخ فنزويلا، أما **الثاني** فقد كان أكبر واستغرق مدة شهر ابتداء من كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦م. ولقد اعتمدت الشركات على دكتاتور البلاد خوان فايسنت غوميز (Juan Vicente Gomez) من أجل منع ظهور أي حركات عمالية. وبمجرد أن توفي غوميز، نشأت ثورة شعبية في ولاية زوليا النفطية وكان مركزها هذه الأحياء والبلدات التي تم حرقها وتخريبها. استعاد الجيش السيطرة وقام بسحق الثوار، إلا أن الحاكم الجديد إليعازر لوبيز كونتريراس (Eleazar Lopez Contreras) قبل بعودة هامش تنافس سياسي محدود، ثم قام الكونغرس الفنزويلي بتشريع قانون جديد للعمل، وكذلك أصبحت شركات النفط هدفاً لهجمات الصحف اليسارية والشعبوية وأصبحت أشكال جديدة من التشريع هي العرف السائد، إلا أن الشركات رفضت الاعتراف بنقابات عمال النفط، وهو الأمر الذي قاد إلى إضراب كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦م.

وبينما فض الجيش بمساعدة الشركات هذا الإضراب أيضاً ورحّل حوالى ثلاثين من القادة العماليين خارج ولاية زوليا. كانت المفارقة أن أحداً لم يستجب لعدالة المطالب إلا نلسون روكفلر من بين الجميع، وهو الذي أصبح في عام ١٩٣٧م، ولم يكن يتجاوز التاسعة والعشرين من عمره حينها، مديراً لكريول في فنزويلا كونه أحد كبار المستثمرين فيها. وقد أدان الأوضاع الموجودة في مخيمات كريول وحث الشركات الكبرى في فنزويلا على إنشاء مؤسسات خيرية تعمل في المناطق النفطية، فبعد الحرب العالمية الثانية كان يحكم ڤنزويلا حاكم شعبوي يساري اسمه رومولو بيتانكورت

(٧٣) John Douglas, 6 October 1924, File of John Douglas's Letters from a Wildcat Well Venezuela, 1924-1925 [accompanying a photo album], Box 1, John G. Douglas Collection, American Heritage Center, Laramie, Wyoming.

(Romulo Betancourt) وكان متربعاً على رأس حكومة عسكرية راديكالية. وهذه الحكومة كانت أول من ألزم الشركات باتفاقية مناصفة الأرباح الشهيرة، وهي الاتفاقية التي ستجبر السعودية أرامكو على تبنيها في عام ١٩٥٠م. وفي هذا السياق بدأت الشركات والمؤسسات الخيرية باستثمار الملايين من الدولارات في الأعمال العامة، والمستشفيات، والمدارس وما إلى ذلك[٧٤].

بعد نتائج مخيبة في أمريكا الجنوبية، اكتشفت شيفرون النفط في البحرين عام ١٩٣٢م مما حفّزها على السعي للحصول على حق الامتياز في السعودية. وتمت ترقية إد سكينر (Ed Skinner)، الذي كان يعمل مساعد مدير في ماراكيبو، إلى مدير في البحرين عام ١٩٣١م. وقبل أن يذهب إلى هناك اصطحب معه فريقه المفضل وكان منه جاك شلوسلين (Jack Schloesslin) وسلِم ويليامز (Slim Williams) بالإضافة إلى الرائد الأسطوري بِل إيلتيست (Bill Eltist). بل إن الطباخين الصينيين ـ فرانك دانغ (Frank Dang) وشو لي (Chow Lee) ـ سبق لهم العمل في مخيمات شيفرون في فنزويلا. وفي الفترة ما بين ١٩٣٢م و١٩٣٣م، قام سكينر ومن معه ببناء مخيمات الشركة في البحرين وكذلك بلدة عوالي في مخيم الجبل الرئيس. وهذه كلها تم تنظيمها بالطريقة المعتادة التي برهنت نفسها عبر الزمان. فالمخيمات والبلدة تم تقسيمها على أساس عرقي إلى محميات متفرقة لكل من الأنغلوساكسونيين والبحرينيين والعراقيين والهنود، كل على حدة. فمهما يكن مستوى التقشف أو الرفاهية الذي عاش في ظله الأمريكيون، كالعيش في أكواخ من المعدن المتعرج ومن الإسمنت، فإن غير الأنغلوساكسونيين لن يمنحوا إلا أقل من ذلك، ولن يتوقع منهم إلا أن يقنعوا به. فالعرب والهنود كانوا يعيشون في المخيمات داخل أكواخ بلا أسقف، مصنوعة من القش وسعف النخيل، تسمى الباراستيس، وظلوا فيها حتى بعد أن انتقل الأمريكيون إلى بيوت دائمة مزودة بأجهزة تكييف وغيرها من الخدمات. وستستخدم أرامكو هذه الأكواخ كسكن للعمال في الظهران، ولم يعدلوا عن ذلك إلا بعد بدء الإضرابات. وكان العمال البحرينيون يعيشون وحدهم في

---

(٧٤) Darlene Rivas, "Like Boxing with Joe Louis: Nelson Rockefeller in Venezuela, 1945-1948," in: Peter L. Hahn and Mary Ann Heiss, eds., *Empire and Revolution: The United States and the Third World since 1945* (Columbus: Ohio State University Press, 2001), p. 217- 241; Randall, *The Political Economy of Venezuelan Oil*, pp. 6-17, and Lieuwen, *Petroleum in Venezuela: A History*, pp. 103-115.

المخيمات، ولا يسمح لهم بالسفر لزيارة أهاليهم إلا مرة كل عدة أشهر، ثم تقلصت الفترة في ما بعد إلى مرة كل عدة أسابيع. وهذا العرف تم فرضه أيضاً على العمال المستقرين في الظهران وفي المخيمات المتنقلة؛ إذ كان يسمح للأمريكيين وحدهم بأن يجلبوا أسرهم للعيش معهم.

وفي ما أعلم لم يقل أحد: إن نظام الفصل العنصري وعدم المساواة في الرواتب والحقوق والامتيازات والخدمات والسكن وغيرها من الأمور تم فرضه على الأمريكيين من قبل حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، أو أن منطقة الأمريكيين المنعزلة تكونت من أجل حمايتهم من الشرطة الدينية؛ إذ لا وجود لمؤسسة كهذه في البحرين، بل على العكس من ذلك، فالبحرين كانت، وما زالت، شيئاً قريباً من الجنة لأولئك الذين يبحثون عن بيئة أكثر استرخاء وصخباً من تلك الموجودة في المنطقة الشرقية. وكان بعض الرجال قد انجذبوا إلى العاهرات «الفارسيات» والصوماليات اللاتي كن يعملن في ضواحي المنامة كما أخبر بذلك أحد مهندسي أرامكو في مذكرات خاصة مطبوعة، عن الحياة في الأربعينيات التي تضمنت كلمات أغنية قام بكتابتها (على نسق أغنية «مانغوا، نيكاراغوا»)[*]:

إن جزيرة المنامة في البحرين لمدينة رائعة

فيها ستلتقي بمن يرغبه قلبك مقابل بضعة روبيّات

في الليل ستظن أنك حظيت بوردة جميلة،

لكن عندما يأتي الصباح ستجد حلقةً في أنفها[٧٥].

وهناك رأي طرحه شخص يرغب في أن يكون مؤرخاً يقول: إن الأمريكيين في أرامكو تعلّموا العنصرية من البريطانيين الذين عملوا في الخدمة المدنية في المستعمرة الهندية وكانوا مهيمنين على حياة العمالة الأجنبية في البحرين. فوليام موليغان كان قد عزم على أن يكتب تاريخ الشركة وكان قد بدأ عمله في مؤسسة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو في عام ١٩٤٦م، بعد أن أنهى خدمته لدى وحدة الاتصالات في القوات الجوية الأمريكية في

(*) أغنية جاز أمريكية مشهورة في الأربعينيات (المترجم).

(٧٥) Larry Barnes, *Looking Back over My Shoulders* (Peterborough, NH: Private Edition, 1979), pp. 54-57. I have scare quotes around the word Persian both because Barnes makes a point of noting that it was an identity "claimed" by all the "nubile young ladies" and because the identification is a flexible one in that time and place. One cannot conclude much from it.

عدن خلال الحرب العالمية الثانية، فقد عاش في الحي الأمريكي لأكثر من ثلاثين عاماً وكتب عدداً من المقالات عن أيام الشركة الأولى لصحيفة الحيّ العريقة: صن أند فلير (*Sun and Flare*) ومجلة عالم أرامكو *ARAMCO World*). فقد كان مقتنعاً بأن الأمريكيين «بدؤوا باستيراد معظم هذه التوجهات والألفاظ، والتي كانت مشكلة». والمثالان اللذان قدمهما هما نعتا: «كولي» و«صاحب». «فكل العمال كانوا كوليين. . . . في حين أن الأمريكيين الذين يذهبون إلى هناك يعودون طالبين من المحليين أن ينادونهم بالصاحب: «عليك أن تناديني بصاحب يا غلام!». **وهذه العادة لم تكن أبداً عادة أمريكية ولا عربية**»[٧٦]. وهذه الحجة نفسها ستوجد بعض الأحيان في أماكن أخرى من كتب تاريخ هذه أو تلك من شركات النفط في الخارج[٧٧].

فكلمة كولي تعود بجذورها إلى اللغة الأردية والبنغالية (وهي تعني حرفياً أن شخصاً ما ينتسب إلى قبيلة في غوجيرات)[*] إلا أنها أيضا كلمة منتشرة في اللغة الإنكليزية في بداية القرن السابع عشر للإشارة إلى العمالة الآسيوية. وقد استخدمت بشكل مستمر في الولايات المتحدة خلال فترة ظهور الذهب في الغرب الأمريكي. فعلى سبيل المثال، كان حاكم كاليفورنيا يدعى ليلاند ستانفورد (Leland Stanford) وهو مؤسس جامعة ستانفورد وأحد بارونات سكك الحديد. وفي عام ١٨٦٢م طلب ستانفورد من المشرعين إصدار قانون يمنع دخول العمالة الصينية نظراً إلى أنهم يهددون بالحط من قدر العرق الأنغلوساكسوني المتفوّق. ويبدو أن الغاية الحقيقية لطلبه هو تمرير مصلحة شخصية إذا أخذنا بالاعتبار أنماط التوظيف في عمليات بناء سكك الحديد الخاصة به. استجاب المشرعون لطلبه وقاموا بإصدار قانون سموه قانون

---

(٧٦) Michael Field, *Merchants: The Big Business Families of Saudi Arabia and the Gulf States* (Woodstock, NY: Overlook Press, 1985), p. 209 (emphasis mine), and manuscript by Mulligan, untitled, on Bahrain, written Febuary 1985, Folder 2, History Project, Box 8, Mulligan Papers.

(٧٧) Henrietta M. Larson, Evelyn H. Knowlton, and Charles S. Popple, *New Horizons, 1927-1950: History of Standard Oil Company* (New York: Harper and Row, 1971), p. 836, questioning (I think) the argument in the case of Standard Oil (NJ) in Colombia: "It would be easy to conclude that the British colonial tradition was at work in Colombia, but the situation apparently was far too complex to allow of any single explanation".

(*) ولاية تقع شمال غرب الهند.

حماية العمالة البيضاء من منافسة العمالة الكولية الصينية والتقليص من حجم هجرة الصينيين إلى ولاية كاليفورنيا (نيسان/ أبريل ١٨٦٢م). واستمرت الحملة لعقود في مجالات البناء، كما في غيرها من حاميات «بلد الرجل الأبيض» في كاليفورنيا ـ كنادي إقصاء اليابانيين ونادي إقصاء الكوريين ـ التي كانت مذعورة من «الغزو الآسيوي الكولي الداهم» حتى صدور قوانين جديدة تحدد حصص الهجرة المسموح بها من كل بلد في عشرينيات القرن العشرين[٧٨].

كان توم بارغر من بين أكثر روّاد أرامكو القدماء توقيراً، فهذا الجيولوجي القادم من ولاية مينيسوتا لم يسبق له العمل خارج الولايات المتحدة قبل التحاقه بالشركة، فقد كان يعمل في أماكن مثل بوتي وغرايت بير لايك (Butte and Great Bear Lake) عوضاً عن ماراكيبو أو المنامة. وصل إلى الأحساء في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٣٧م وترقى في ما بعد ليصبح رئيساً لأرامكو. ولقد كانت رسائله الجيّاشة خلال فترة عقده الأول ـ حيث كانت مدة العقود سنتين ـ من بين أكثر المصادر أهمية لمؤرخي أيام استكشاف النفط الأولى للروّاد في الجزيرة العربية. وكانت هذه الرسائل موجّهة إلى والديه وزوجته الجديدة كاثلين التي كانت ابنة لمزارع من ولاية نورث داكوتا. في عام ١٩٣٨م، قاد بارغر بعثة لأرامكو إلى الأراضي التي تقع جنوب غرب الجزيرة والواقعة تحت سلطان الملك عبد العزيز والمعروفة بالربع الخالي. وقد دعا والاس ستيغنر ـ الذي كان تاريخه عن أيام التخم معتمداً في جزء منه على هذه الرسائل ـ بارغر بـ«الديمقراطي غير المتكلف المبهور بالعرب وحياتهم القاسية» وعانى لهجة مرشديه من البدو خلال البعثة التي دامت أربعة أشهر. يقول بارغر:

> إني لأستمتع بالقصائد حتى لو لم أكن أفهم منها كلمة واحدة، والمستمعون من حولي يرددون آخر كلمة أو كلمتين من كل بيت. وعادة ما يقوم خميس (ابن رميثان) بتلخيص القصة قبل إنشاد القصيدة. وأخبرهم جيري (أحد أعضاء البعثة اسمه جيري هاريس (Jerry Harriss)) عن قصة هروب دانيال بون (Daniel Boone) من الهنود الحمر، «البدو الأمريكيين»، عن طريق نثر التبغ على أعينهم ثم التنقل

---

(٧٨) *Organized Labor*, official organ of tile State and Local Building Trades Councils of California, San Francisco, 21 and 28 April and 5 May 1906, online excerpt at < http://www.sfmuseum.org/1906.2/invasion.html >.

عبر معبر نهري ضيق بواسطة التأرجح بعناقيد العنب. وقد تمتمت بحكاية معركة نهر ليتل بيغهورن(*). وكان عبد الهادي (بن جذنة)... يريد معرفة أنساب القبائل في أمريكا. فقال خميس إنه (أي هادي) لن يعرف أياً منها، إلا أن عبد الهادي قال: إنه قد كان مرة في الحدود الشمالية، ولعل بدو أمريكا كانوا أقرباء لإحدى قبائل العراق! وعندما أخبرتهم عن أن بدو أميركا قاموا باقتلاع قلب كوستر وأكلوه حتى يزيد من شجاعتهم، قال خميس: إن البدو فعلوا الأمر نفسه مع عين الذئب، فقد حملوه معهم عندما لم يكونوا يريدون أن يُرَوا في الليل. خميس ينتمي إلى واحدة من القبائل التي كانت قوية في الشمال، العجمان، والتي تمردت على الملك عبد العزيز ليتم هزيمتها في إحدى المعارك... كثير منهم هرب إلى العراق بعد أن أخذ منهم كثيراً من مضاربهم، وبلدتهم الرئيسة مستسلمة الآن للخراب.

وعندما طلب منه أن ينهي قصة البدو الأمريكيين، قام توم بارغر برسم دائرتين غير متساويتين على الرمل. «قبل الحرب كانت أرضهم بهذا الحجم، ولكن بعدها أصبحت بهذا الحجم». هذه كانت النسخة الخاصة ببارغر عن القصة التي رويناها في الصفحات الماضية عن توسع رأس المال في قطاع التعدين إلى أباتشي وغيرها من أراضي السكان الأصليين الأمريكيين. كان تعليق خميس كالتالي: «نعم، هذا ما حصل للبدو في الجزيرة العربية عندما أرادوا خوض حرب ضد الحكومة»[٧٩].

إلا أن تقديره العميق لرفاقه لا يلغي حقيقة الزمان والمكان وإنما يجعلها أكثر تعقيداً فقط. فبارغر يعتبر نفسه أول رجل أبيض تطأ قدمه الربع الخالي. يقول:

(*) معركة نهر ليتل بيغهورن (Battle of the Little Bighorn). وقعت عام ١٨٧٦م بين قوات من الجيش الأمريكي وبعض القبائل الهندية في ولاية مونتانا، حيث انتصرت القبائل الهندية وتم قتل كثير من الجنود الأمريكيين (المترجم).

(٧٩) Barger to Mom and Dad, CampTarfa, Sunday 26 Feburary 1938, Folder 2, Barger Letters, January-March 1938, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers. The long excerpt is close to being, but is not precisely, a word-for-word reproduction. In transcribing the letters I sometimes left out words, prepositions and the like.

كل مرشدينا جنود. فجيشنا هذا المكون من عشرة رجال تم تزويدنا به من الحكومة ويتم الدفع له من قبل الشركة. ولأجل أن نصوّر الأمر كما لو أننا نستفيد منهم، كنا نأخذ أربعة منهم معنا إلى الحقل في كل الأوقات. ففرقة قياس الزلازل والذين كان يعمل لديهم الكثير من الكوليين سيمشطون بلاداً مرسومة خرائطها بشكل كامل، وبالتالي فهم لا يأبهون في ما لو صاحبهم الجنود أم لا.

في عام ٢٠٠٠م، قام ابن بارغر بنشر مجموعة من رسائل توم إلى كاثلين، وكان من بينها رسالة طويلة مؤرخة بالآتي: مخيم طرفة، الربع الخالي ١٨ شباط/فبراير ١٩٣٨م. وهذا اليوم هو تاريخ الرسالة التي أرسلها توم إلى والديه والمقتبسة أعلاه، والموجودة في أوراق والاس ستيغنر في جامعة يوتاه[(٨٠)]. لقد قام الابن بإزالة كل الإشارات إلى الرجال البيض الكوليين، وما إلى ذلك من الأصول. إنه ابن أبيه فعلاً. فطوم بارغر قام بأمر مقارب لهذا الأمر قبل ذلك بخمسين عاماً عندما جعل ستيغنر يحذف مقطعاً من كتابه اكتشاف! يصف فيه عملية توسع «مخيمات الكوليين في الخبر والدمام» في الفترة ما بين ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨م وهي فترة الانتقال من عمليات الاستكشاف إلى الحي الأمريكي المحتفى به[(٨١)]. وتظهر الوثائق أن الأمريكيين، سواء كانوا مسؤولين أو عمالاً ميدانيين، استمروا في استخدام كلمة كوليين خلال العقد الرابع وبدايات الخامس. وكما يذكر موليغان ـ وإن كان لا يوثق بدقة كلامه ـ فإن التوقف عن استخدام هذه الكلمة لم يأت إلا عندما لاحظ بارغر وغيره أيضاً «أن مسألة إطلاق نعوت من قبيل الأفندي والكولي وواضعي الخرق[(*)] خاطئة وبدؤوا بعمل شيء لأجل إيقافها»[(٨٢)].

---

(٨٠) Thomas C. Barger, *Out in the Blue: Letters from Arabia, 1937 to 1940* (Vista, CA: Selwa Press, 2000), pp. 47-49. The copy I quote from is found in Folder 2, Barger Letters, January-March 1938, Box 28, Stegner Papers.

(٨١) انظر:

Folder 2, Master Copy II The Explorers, Box 26 Discovery, First Draft, Reader's Copy, Stegner Papers, and compare with Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil*, as abridged for *ARAMCO World Magazine*, pp. 74-75. Barger's notes and suggestions are found tilroughout the various drafts as well as in correspondence.

(*) واضع الخرق (Raghead) هو نعت ازدرائي للعربي وغيره ممن يرتدي عمامة (المترجم).

(٨٢) For use of the term coolie, see, for example, the letter, Mary to Mother, 17 February 1953, =

إن تطوّر مخيمات الكوليين جاء في فترة إنتاج النفط الأولى والقصيرة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. كان مركز إدارة العمليات الدائم يقع قرب أوائل الآبار المنتجة على بعد أربعة أميال من الساحل وعلى أعلى نقطة في المنطقة وتسمى جبل الظهران. ضم هذا المركز في داخله سكناً جديداً (مكيّف، ومكون من سريرين متنقلين) للأمريكيين، بالإضافة إلى بعض المكاتب ومستشفى صغير وقاعة طعام ومرافق للتخزين. وقام العمال ببناء مرسى متواضع على بعد ستة أميال شمال قرية صيادين صغيرة تسمى الخبر. وكان أول موزع للرواتب في الحيّ يدعى جو كاربنتر (Joe Carpenter) وكان يلقب بـ«جو الخبر». وعلى الأرجح، فهو في هذه الفترة كان قد كف عن وضع مسدساته الست على الطاولة بينما كان يحصي النقود الفضية ويسلمها للكوليين. إلا أن الحيّ بدأت تتفشى فيه سرقة مواد البناء وغيرها من البضائع كنوع من المقاومة لفرض هذه السلطة الجديدة والتي لا تتمتع بأي شرعية تذكر. وكان الأميركيون أيضاً يقاومون الشرطة المحلية التي كانت في بدايات تكوينها وتحاول اكتشاف واختبار سلطتها. كان العنف لا مفر منه «لأنه لا يمكن لأي شرطي عربي أن يقبض على أمريكي من دون شجار، كما أن الشرطة السعودية لم تدرب على حسن التعامل». وهذه الديناميكية في استخدام العنف والسرقة كمقابل لإحساس الأمريكان الداخلي والعنيف بالفوقية ستتكرر كثيراً في العقود المقبلة. إلا أنه في الوقت الحالي نشأ سور ليحيط بالحيّ الأمريكي واستطاع مسؤولو الشركة أن يأمنوا لأنفسهم حق أن تكون لهم شرطتهم الخاصة ضمن محيطهم(٨٣).

بدأت أولى العوائل والزوجات والأطفال بالقدوم في ربيع عام ١٩٣٧م. فقد كان يعيش في بلدة كازوك ـ كما دعاها بارغر في كانون الأول/ ديسمبر ـ ست عوائل مكونة من زوج وزوجة عندما قام ولي العهد الأمير سعود بأولى

"This is coolie payday Thursday, and I am going to Bahrain Thursday PM and staying over = Friday". In: Folder 9, Hartzell, Mary Elizabeth-1953, Box 11, Mulligan Papers. Hartzell was the librarian in the Arabian Affairs Division. For Mulligan's description of Barger as later leading the campaign against racism in the camps, see his note on Barger (handwritten yellow sheet), Folder 2, "History Project," Box 8, Mulligan Papers.

(٨٣) انظر:

Notes of Stegner Interview with Phil McConnell, 1956, Folder 19, Interview, Phil McConnell, 1956, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers, and Stegner, Ibid., p. 84.

رحلاته الطويلة من الرياض إلى الخبر لزيارة مستعمرة النفط الجديدة، وسيتبعه الملك نفسه بعد ذلك بعام. وقد دعا سعود النساء الست وأربع فتيات صغار إلى مجلسه الخارجي. وكان ذلك اليوم هو يوم وصول بارغر إلى السعودية عن طريق البحرين. وقد كانت الرحلة في ذلك الوقت تستغرق ثلاث ساعات «بواسطة قارب محلي مع فرقة مكونة من أربع سكان أصليين من ألوان مختلفة». وكلمة «سكان أصليين» ستكون هي الأخرى من بين الكلمات التي سيطلب بارغر من ستيغنر في ما بعد أن يزيلها من قصة السنوات الأولى. ومع مقدم الأسر، قدمت أيضاً عروض الأفلام في الحيّ والتي قد تكون الأولى في المملكة العربية السعودية. «كان العرب ممنوعين من مشاهدة الأفلام، إلا أن خمسة منهم كانوا في الخارج يتلصصون من وراء النوافذ. لقد كان فيلم من بطولة آن هاردينغ (Ann Harding) واسمه «السيدة الأنيقة»[٨٤]. وفي ما بعد، ولأول مرة أيضاً، بدأت تحضّر حفلات عشاء بمناسبة الكريسمس، كما تم البدء بتوظيف خدم في المنازل حيث كان أوائل الخدم من الهنود أو من العرب البحرينيين. في ذلك الوقت، وبشكل معتاد أملت التعصبات أن السكان المحليين ليسوا قادرين وبالتالي ليسوا مناسبين للعمل كخدم. فهم لا يمكن الوثوق بهم في هذه الأماكن الخاصة والحميمية، وضاعف من تأكيد هذه الأحكام حاجز اللغة[٨٥]. أجبرت أرامكو ستيغنر على حذف كل نقاش عن خدم تجار النفط، واليوم تتم إعادة ترتيب الحقائق بحيث يظهر الأمريكيون في الظهران كرجال ونساء متنورين كانوا يعاملون السعوديين كمساوين لهم أكثر من كونهم منحطين. فكما يخبرنا نيكولاس ليمان: السعوديون «لم يكونوا خدماً»[٨٦].

(٨٤) Letter by Florence Steineke, recipient unclear, 16 December 1937, Folder 16, Max Steineke, Excerpts from Letters, 1937-38, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers.

(٨٥) See the discussion in Salas, "Venezuelans, West Indians, and Asians: The Politics of Race in Venezuelan Oil Fields, 1920-1940".

(٨٦) Barger to his parents, 15 December 1937, Folder 1, Tom Barger Letters 1937, Box 28 Letters, Journals, Interviews, and Folder 4, IV Growing Pains, Box 27, Discovery, Stegner Papers; Barger to Kathleen, 15 December 1937; Barger, *Out in the Blue: Letters from Arabia, 1937 to 1940*, pp. 4-7; Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil*, as abridged for *ARAMCO World Magazine*, pp. 81-82, and Nicholas Lemann, "The Way They Were," New Yorker (15 April 2002), pp. 72-73.

أدى الضغط من أجل البدء بالإنتاج التجاري في ما بين ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ إلى أن يعمل «الموظفون» الأمريكان الذين كان عددهم قرابة الستين و«جيش من الشباب العرب» دواماً كاملاً. أدار هؤلاء الرجال الطاقة، والهاتف، والوقود، والمجاري. وبنوا داخل الحيّ مساكن ومستشفى جديدة للموظفين ومركز ترفيه. ولم تأت ساحة لعب الغولف المكونة من أربع حفر إلا فيما بعد. وزودت الشركة الشرطة بأرض بعيدة عن الأمريكان لبناء سجن جديد. كما تم إنشاء طرق معبدة جديدة تقطع المخيم من النصف وتمتد في جهة إلى قبة الدمام وفي جهة أخرى إلى الخبر، وحيّ آخر بدأ التخطيط له في رأس تنورة وتم تزويده بالماء والكهرباء من أجل الإعداد لبناء مرسى بحري جديد ليخدم ناقلات النفط[٨٧]. إنه شكل جديد من السلطة قد بدأ بالتشكل على الساحل، إنها بلدة نفطية بدأ تجار النفط في فنزويلا وكولومبيا بتسميتها الظهران.

عاد بارغر إلى الحيّ في حزيران/يونيو من عام ١٩٣٩م بعد رحلة استغرقت ستة أشهر في الصحراء. وعند عودته وجد «أن هناك مباني جديدة، وأني بالكاد أستطيع معرفة الجزء الجديد». فالغزو قد بدأ. وفكرة النمو الخاطف تحولت سريعاً إلى كليشيه في رسائل العائدين الذين كانوا أول من رأى السعودية في الثلاثينيات أو خلال الحرب أو في سنوات ما بعد الحرب الأولى. قبل ذلك بشهر، في أيار/مايو من عام ١٩٣٩، تم تكريم الملك عبد العزيز ووفد رفيع المقام على متن البارجة **سكوفيلد**. لقد كانت هذه زيارة الملك الأولى إلى المستعمرة الأمريكية. وفي مرفأ رأس تنورة قام جلالته بفتح صمام أنبوب النفط مرسلاً أول ناقلة ممتلئة بالنفط السعودي مقابل الدفع لكل الطرق والخطوط الحديدية والوزارات والسجون وخطوط الأنابيب والقصور التي ستبنيها للملك عبد العزيز في ما بعد شركة المقاولات الكاليفورنية الجديدة: بكتل (Bechtel Brothers).

---

(٨٧) Mimeograph, Summary of Operations of California Arabian Standard Oil Company for years 1938 and 1939, and Folder 42, ARAMCO Annual Reports, 1938-1943, Box 3, Mulligan Papers. The "army of young Arabs" quote is from Barger's letter home, 15 December 1937, Folder 1, Tom Barger Letters 1937, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers.

الفصل الثالث

الحيّ الأمريكي

مشاريع ضخمة ومؤسسات عملاقة قامت بتوسيع الجهود المتواضعة للمبشرين الفقراء وذوي الإنجازات المحدودة، إلا أن هذا التوسع حافظ على قدر كبير من أهدافها كما هي، فأنا في أثناء عملي كمستشار في قسم (الشؤون العربية) لشركة الزيت العربية الأمريكية العظيمة، كنت قد انخرطت مثل والدي وجدي في برامج للتعليم والصحة وتطوير المهارات للوظائف ونشر الصورة الحسنة لأمريكا التي كانت تراثاً خلفه لنا الروّاد من مبشرينا.

ويليام ألفريد إيدي، «الغزو الأمريكي للشرق الأدنى».

صفقة النفط الجديدة

بدأت الحرب العالمية الثانية في الأول من أيلول/ سبتمبر من عام ١٩٣٩م، بالغزو الألماني «الخاطف»[*] لبولندة. وفي الربيع السابق على هذه الحادثة، كانت جيوش هتلر قد استولت على تشيكوسلوفاكيا في الوقت نفسه الذي كان حليفه موسوليني يغزو ألبانيا. حاولت منافِسَتا ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بريطانيا وفرنسا يائستين أن تمنعا نشوب حرب أخرى وذلك بالتغاضي عن هذه المعارك المبكرة في أثناء التحالف مع بولندة ـ جنباً إلى جنب مع تركيا واليونان ورومانيا ـ على أمل أن يتم ردع هتلر، إلا أنه لم يفعل، وفي نهاية العام كانت قوى المحور تسيطر على أغلبية أوروبا ناقلة الحرب إلى شمال أفريقيا. بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم دعم

(*) الحرب الخاطفة (Lightning War) هي استراتيجية عسكرية تقوم على عنصر المفاجئة والهجوم المباغت المركّز والمدعوم بالغطاء الجوي على العدو، تم تطوير التقنيات والأفكار اللازمة لهذه الاستراتيجية في العقود الأولى من القرن العشرين، لكن الجيش الألماني كان أول من طبّقها في الحرب العالمية الثانية (المترجم).

طارئ لبريطانيا في عام ١٩٤١م - عُرف باسم قانون الإعارة والتأجير - تضمن مجموعة من المساعدات أهمها النفط. بعد ذلك، انضمت أمريكا إلى الحرب رسمياً بعد أن قامت ثالثة أهم قوى المحور(*) - اليابان - بمهاجمة القاعدة الأمريكية في بيرل هاربور في هاواي.

كان النفط عنصراً حاسماً في الحرب، فالجيش الألماني بتجهيزاته الميكانيكية العالية وقواته الهجومية الجوية المعتمدة على النفط، لم يكن له مثيل من قبل. وقد تضمنت خطة هتلر التي أطلقها في ثلاثينيات القرن العشرين لبناء دولة قوية قادرة على خوض الحروب التحوّل من اقتصاد قائم على الفحم كمصدر للطاقة إلى آخر قائم على النفط، وقامت ألمانيا كذلك ببناء مصانع لإنتاج الوقود الصناعي. وجزء من انقلاب هتلر على حلفائه المؤقتين الروس في عام ١٩٤١م يعود إلى حاجته إلى تأمين موارد النفط في رومانيا وأوكرانيا والقوقاز. وكان أحد أهم دوافع اليابانيين للدخول في الحرب هو رغبتهم في التحرر من الاعتماد على موارد النفط الغربية، الأمر الذي كان يعتبره العسكر هناك أداة لمنع اليابان من الوصول إلى مكانة قوة عظمى. ولهذا كان أول أهداف الجنرالات من غزو المحيط الهادئ هو الاستيلاء على موارد النفط في إندونيسيا، إلا أن عجز اليابان عن إمداد قواتها البحرية بكل ما تحتاج إليه من النفط خلال الحرب كان بالنسبة إليها دوماً بمثابة كعب أخيل(١).

كانت أولى دلالات أهمية النفط في الحرب بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية هي تعيين الرئيس روزفلت وزير الداخلية هارولد آيكي (Harold Ickes) لمنصب جديد باسم منسق شؤون البترول في مجلس الدفاع. وبعد دخول الولايات المتحدة في الحرب تحوّل مسمى المنصب إلى مدير شؤون البترول للحرب. كان آيكي مصارعاً شرساً وماهراً داخل الجهاز البيروقراطي، وقد سبق له ترؤس مؤسسة (إدارة الأعمال العامة) الضخمة خلال فترة الصفقة الجديدة. وكنتيجة لتأسيس وكالة الطاقة هذه في زمن

(*) كانت الحرب العالمية الثانية تخاض بين قوى التحالف (بريطانيا، فرنسا، أمريكا، الاتحاد السوفياتي) وبين قوى المحور (ألمانيا، إيطاليا، اليابان) (المترجم).

(١) Daniel Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power* (New York: Simon and Schuster, 1991), pp. 305-356.

الحرب سيُعرف آيكي بلقب أبسط: قيصر النفط. وقد سبق له أن تولّى وزارة الداخلية بعد مرور عقد من فضيحة تيبوت دوم (Teapot Dome) حيث لم تتعاف الوزارة بعد من آثار نفوذ دوني (Doheny) وإدانة ألبرت فول (Albert Fall) بالرشوة. لم يكن آيكي يثق بشركات النفط، واستعدى عدداً من تجار النفط خلال العقد الذي سبق توليه الوكالة الجديدة، إلا أن مهمة تنسيق إنتاج النفط وتوفيره خلال فترة الحرب كانت تحتاج إلى خبرة شركات النفط وتعاونها. وهذا ما دعا آيكي إلى الطلب من فريد ديفيس (Fred Davies) الذي كان يعمل حينها نائباً لرئيس شيفرون (أو سوكال آنذاك)، وهي الشركة التي فازت بالامتياز السعودي للانضمام والعمل لديه كنائب ومدير للأعمال اليومية للوكالة الفدرالية الجديدة (مكتب منسق شؤون البترول)(٢). وفي ما بعد سيحذو كثير من تجار النفط حذو ديفيس للعمل في واشنطن.

كان على الحلفاء كي ينتصروا في الحرب أن ينسقوا مواردهم النفطية، وخصوصاً تلك الموجودة في نصف الكرة الأرضية الغربية، حيث كانت هناك كمية فائضة وكان الإنتاج مؤمّناً، إلا أن المشكلة تمثّلت في كيفية نقل النفط من حقول الإنتاج الموجودة في جنوب غرب الولايات المتحدة والكاريبي إلى القوات البريطانية والروسية فالأمريكية في ما بعد، وفي جبهات مبعثرة بشكل واسع. وتطلبت الاستجابة لضرورات الحرب تحويل الاستهلاك من الاستخدامات المدنية للنفط إلى العسكرية، وتغيير وجهة ناقلات النفط من الساحل الشرقي للولايات المتحدة إلى إنكلترا، وكذلك مواجهة هجمات الغواصات الألمانية في المحيط الأطلسي. أحد أهم الإنجازات الهندسية المسلَّم بها والتي حفزتها الحرب هو بناء خطَّي أنابيب النفط الكبيريْن: خط الأربع والعشرين بوصة (البوصة الكبيرة) وخط العشرين بوصة (البوصة الصغيرة)؛ إذ تمتد هذه الأنابيب التي ينقل أحدها النفط الخام في حين ينقل الآخر البنزين، من تكساس إلى نيويورك وفيلادلفيا بحيث يفوق طول الواحد منها الألف ميل. أما الإنجاز السياسي المماثل، والذي سيكون له عواقب أكثر أهمية، فهو حملة الحكومة الأمريكية على الشرق الأوسط التي كانت مدفوعة أولاً بالرغبة في مواصلة الانتصارات في الحرب، ثم بخطط توطيد

---

(٢) David S. Painter, *Oil and the American Century: The Political Economy of U.S. Foreign Oil Policy, 1941-1954* (Baltimore, MA: Johns Hopkins University Press, 1986), pp. 11-12.

سلطتها في فترة ما بعد الحرب، وخصوصاً منذ عامي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤، عندما أضحى الانتصار في الحرب مؤكّداً بشكل أكبر. كانت نقطة انطلاق روزفلت الأولى والأبرز هي المملكة العربية السعودية حيث أصبحت الولايات المتحدة الراعي الجديد لآل سعود والضامن لأمن بلادهم.

من مفارقات الحرب الكبرى أنه على الرغم من أن الحقول السعودية مثلت مستودعاً هائلاً لسلعة رئيسة ـ «أعظم جائزة في التاريخ كله» كما سمّاها أحد محللي وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٤٣م ـ إلا أن أرامكو لم تستطع عرض هذا النفط في السوق. فقد أجبرت الاضطرابات المستمرة للنقل وتحويل استهلاك المواد الأساسية كالحديد إلى جهود الحرب أجبرت الشركة على أن تقوم بإغلاق الآبار وإخلاء الأسر التي كانت تعيش في بلدة كاسوك (Casoc)، أو كما كان يسمي الأمريكيون الظهران أول الأمر. وقد كان التوظيف قد وصل قمته في بداية الأربعينيات؛ حيث كان هناك ٣٧٠ رجلاً أمريكياً مع ٣٨ زوجة و١٦ طفلاً في مختلف المخيمات، وكان هؤلاء الرجال يديرون حوالى ٣٣٠٠ هندي وبحريني وعراقي وسعودي وغيرهم من غير الأمريكيين[٣]، إلا أنه بعد سنة تم الإبقاء على فرقة مصغرة جداً تكونت من ١٠٠ أمريكي و٣٠٠٠ آخرين. هذه الفترة في رواية أرامكو الرسمية تدعى «فترة المئة رجل» (فعلى ما يبدو لم يكن يُعوّل على الآخرين)، أما بالنسبة إلى توم بارغر، فقد ذهب إلى الولايات المتحدة للقاء زوجته لأول مرة منذ عامين.

شكّل عدم القدرة على متابعة الإنتاج مشكلة حقيقية لملاك أرامكو، ففي نيسان/أبريل من عام ١٩٤١م، لجؤوا إلى إدارة الرئيس روزفلت من أجل إقراض الملك السعودي سلفة تقدر بستة ملايين دولار كإجراء ضروري في سبيل الحرب. ما الذي دعاهم إلى فعل ذلك؟ الجواب: عندما بدأت المبيعات التجارية للنفط عام ١٩٣٩م، قامت الشركة بدفع مستحقات السعوديين مقدّماً وقبل استلام الأموال المطلوبة من المشترين، وذلك عبر

(٣) الأشكال موجودة، في:

Irvine Anderson, *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981), p. 110.

الالتزام بنمط من المحاسبة يحصر الدفعات بما قد يربحه السعوديون فعلاً من مبيعات ربع السنة، إلا أن الحرب قد حرمت الملك المتعطش للمال من مصدريْه الرئيسيْن للدخل: عائدات النفط، والضرائب المحصلة من الحج في مكة؛ إذ إن السفر في ذلك الوقت كان صعباً على المسلمين أو أيّ شخص، نظراً إلى كون الأغلبية العظمى من السفن التجارية والطائرات تم استدعاؤها لأغراض الحرب. ولهذا قام عبد العزيز وأتباعه بالضغط على الشركة من أجل تعويض النقص عبر منحه سلفة يتم استقطاعها من المبيعات المستقبلية، ولم يبدُ المستقبل في عام ١٩٤١م مشرقاً، وقد دفع هذا الأمر ملّاك الشركة إلى أن يحتالوا على إدارة روزفلت لتحمل حصة، ـ والتي غالباً ما ستكون الحصة الأكبر ـ من هذه المخاطرة. وبالفعل، فقد نجحت الحيلة.

كان جيمس موفيت (James Moffett) يعمل كرئيس تنفيذي للشركة التي تملكها كل من شيفرون وتكساكو في البحرين: شركة نفط البحرين. وقد كان أحد أصدقائه المقربين يعمل مستشاراً لروزفلت في شؤون النفط نظيراً لجهوده في جمع ملايين الدولارات في الحملة الانتخابية للرئيس. قام هذان الإثنان بتقديم الطلب لروزفلت مباشرة نيابة عن أرامكو[٤]، وافق روزفلت على دفع الكفالة، إلا أن مستشاريه في البيت الأبيض خشوا مما قد يولده هذا الأمر من ناحية سياسية، فوقع اختيارهم أخيراً على جعل الحكومة البريطانية تدفع للملك مبلغاً وقدره ١٠ ملايين دولار في الفترة ما بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٢م من السلفة الكبيرة المقدمة لها لأغراض الحرب والتي تقدر بـ٤٢٥ مليون دولار[٥] وعلى الرغم من أن هذا قد حل واحدة من مشاكل أرامكو، إلا أنه قد فاقم مشكلة أخرى. ذلك أن تجار النفط، ومعهم حلفاؤهم في وزارة الخارجية، خشوا أن تتخذ الحكومة البريطانية من الحرب مبرراً من أجل السيطرة على الامتياز السعودي، ودفع هذا الأمر ملّاك الشركة إلى أن يطلبوا مرة أخرى من الإدارة أن تتولى نفقات السعوديين، فقام روزفلت بإصدار موافقته في شباط/ فبراير من عام ١٩٣٤م على توفير مساعدة مباشرة للمملكة

(٤) U.S. Congress, Senate, Special Committee Investigating tile National Defense Program, *Petroleum Arrangements with Saudi Arabia, Part 41, Hearings before a Special Committee Investigating the National Defense Program*, 80th Congress, First Session, 1948, 24707-24710.

(٥) Aaron David Miller, *Search for Security: Saudi Arabian Oil and American Foreign Policy, 1939-1949* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1980), pp. 36-45.

ضمن قانون الإعارة والتأجير باعتباره إجراءً ضرورياً لمجريات الحرب! وتم نقل أول شحنة تصل سعتها إلى ستين شاحنة من مستودعات الحلفاء بواسطة طائرات أمريكية جواً وبكثير من الجلبة إلى جدة، وذلك من أجل تأكيد أنه ليس للحلفاء البريطانيين أي فضل في إيصال هذه الحمولة. والهدف من هذه الإعانة، كما شككت يومها صحيفة الـ **نيويورك تايمز** بكثير من الريبة، لم يكن بالطبع «من أجل منحنا موطئ قدم في كل حقول النفط في العالم»[٦] وقد قامت الحكومة الأمريكية بإيصال ما قيمته ١٨ مليون دولار من البضائع والخدمات خلال السنتين التاليتين وذلك من حصتها في البرنامج الإنكليزي - الأمريكي المشترك للمساعدة الاقتصادية والعسكرية.

لنضع جانباً مسألة أن ملاك الشركة تمكنوا باللجوء إلى الحكومة من توفير الملايين من الدولارات، وكانوا سيخاطرون بإقراضها للملك من دون أي ضمانة لاسترجاعها خلال شهر أو اثنين، فما يلفت الانتباه هنا هو أنها كانت هدية، وأنهم - أي ملاك الشركات - كانوا يعولون على أكثر من ذلك كما سأبين في ما يأتي؛ إذ سيتم بناء مطار الظهران للشركة من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين، وسيتم كذلك توفير مواد أولية ومرفأ للشحن لأجل المصفاة التي كانت الشركة تعتزم بناءها في رأس تنورة. وهذه الاتفاقية الأخيرة سيتم تلطيفها بتوقيع عقود نفط طويلة الأجل مع وزير البحرية فوريستال (Forrestal) - الذي كان يوماً محامياً في تكساس - وبأسعار أعلى بعشرين في المئة من أسعار السوق التي كانت مرتفعة حينها[٧] ولم يكن هذا كله ليشبع نهم الشركة من الحكومة خلال فترة الحرب؛ إذ ماذا سيشبع شركة اعتادت هذا الحجم الكبير من الدعم الحكومي؟

وتجاهلاً للحظة حشو الكلام الذي يغلف كل سعي لمصالح خاصة في أي ديمقراطية، ويبيح لصناع السياسة تبرير دعمهم لهذه المصالح أو تلك، باعتبارها تدخل ضمن ما يسمى المصلحة العامة، ويبيح لهم كذلك الدفاع عن أنفسهم من خلالها أمام اعتراضات نظرائهم من المدعين. وتجاهلاً أيضاً للواقعة التي بقدر ما هي محزنة بقدر ما هي حقيقية ومفادها أنه على الرغم من الحرب الباهظة التكاليف والممتدة لست سنوات حيث فقد كثيرون

---

(٦) "Oil and the Near East," *New York Times*, 15/2/1944, p. 16.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٨ و٤٤.

خلالها أرواحهم من البلدين، إلا أننا نجد أن كلاً من البريطانيين والأمريكيين كانوا يرتابون بأن أحدهم كان يسعى لتحصيل منافع مستقبلية على حساب الآخر. فلا يكاد يوجد أي دليل على أن المسؤولين البريطانيين خططوا لإزاحة الأمريكيين من المنطقة، أو أن الأمريكيين أرادوا إضعاف الوجود البريطاني هناك. كل ما هنالك أن إساءة الفهم المتبادلة والممنهجة لدوافع الطرفين أنتجت نوعاً من التنافس الإنكليزي ـ الأمريكي خلال الحرب مما أدى إلى هلع كثيرين من أن هذه الغنيمة الكبيرة يمكن أن تفقد في ما لو خففت الولايات المتحدة من تأهبها.

إلى جانب هذه الادعاءات المبالَغ فيها والريبة المتبادلة ودافع الشركة الموجه بدقة نحو التكسّب من الحكومة، نجد أن عروض أرامكو للتقارب مع الحكومة أو حتى للشراكة التي باءت بالفشل مع آيكي، قد أبرزت مخاوف إضافية ومبررة ضمن سياقها باحتمالية خسارتها لاستثمارها البالغ قيمته ثلاثين مليون دولار. إحدى هذه المخاوف أن نتيجة الحرب نفسها غير معلومة، بل إنه في الفترة ما بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٢م كان احتمال تقدم قوى المحور وهزيمة الحلفاء في الشرق الأوسط وارداً بشكل كبير. ومن بين الروايات المتعددة حول سنوات الحرب في الظهران نجد أن أكثرها حنيناً للماضي تلك التي تحكي قصة إحدى الليالي الدامسة من شهر تشرين الأول/أكتوبر في عام ١٩٤٠م؛ إذ قامت طائرة إيطالية بقصف الساحل الشرقي للسعودية عن طريق الخطأ بينما كانت تقصف التجهيزات النفطية في البحرين، وهو الأمر الذي أدّى إلى إخراج الزوجات والموظفين غير الأساسيين الباقين، إلا أن القصة في الحقيقة أكثر تعقيداً من هذه.

ففي آذار/مارس من عام ١٩٤١م، قامت مجموعة من العسكر المنحازة لقوى المحور بالسيطرة على السلطة في العراق، البلد الذي كان يعتبر أحد مراكز القوة الرئيسة لبريطانيا في الخليج، ويمثل في الوقت نفسه تهديداً رئيساً لسيطرة السعودية على الأحساء(٨). في نيسان/أبريل، قامت فرق عسكرية

(٨) For evidence of tile role played by events in Iraq in shaping ARAMCO's decision making in Dhahran, see James Terry Duce, "The Near East Today," paper presented at: The Production Group Session during tile 31st Annual Meeting of tile American Petroleum Institute, Stevens Hotel, Chicago, 7 November 1951, Box 1, Philip C. McConnell Papers, 1937-1963, Hoover =

بريطانية وأردنية (وهذه الأخيرة يقودها ضباط بريطانيون) بإعادة احتلال جنوب العراق، ولم ينته شهر أيار/مايو إلا وقد تمكّنت القوى الغازية من استعادة الملكية العراقية. وخلال فترة عدم الاستقرار هذه في دول الجوار تمّ توجيه الأمر إلى مرافقي الموظفين الأمريكان بمغادرة الظهران؛ حيث لم يبقَ من النساء إلا ممرضتان. وفي هذه الفترة نفسها، ستقوم القوّات البريطانية بتأمين الحكومات التي تعتمد عليها في إيران في آب/أغسطس من عام ١٩٤١م، وكذلك في مصر في شباط/فبراير من عام ١٩٤٢م. وكانت القاهرة آنذاك مركز عمليات قوى التحالف في الشرق الأوسط التي كانت تتضمّن جمع المعلومات الاستخباراتية، وهي الخبرة التي ستقوم أرامكو في ما بعد باستيرادها لصالح عملياتها المتنامية في السعودية. وفي أيام الصيف البائسة من عام ١٩٤٢م، احتشد الألمان على بعد مسيرة يوم من الإسكندرية وتراجع الأسطول البريطاني إلى الخليج، وقرر الغربيون النزوح قبيل انتصار البريطانيين الذي لم يكن متوقعاً على رومل(*).

لم تزل تأثيرات الحرب على المنطقة تعتبر مشكلة للمستثمرين الأجانب وسلطات احتلال الحلفاء «الصديقة» ـ لا بد من أن نذكر هنا أن كثيرين من شعوب الشرق الأوسط كانوا ينظرون إلى «تهديد» قوى المحور باعتباره أملاً للتحرر من الاستعمار ـ حتى بعد أن تم ردع القوى الغازية بزمن طويل. وقد أدّى كل من التضخم المصاحب لفترة الحرب، والهجرة من الأرياف إلى المدن كبغداد وطهران والقاهرة، وتضخم القوى العاملة الحضرية إلى تحفيز عددٍ من الحركات النقابية العربية والإيرانية[٩]. وكذلك تحوّلت الحركات

Institution Archives, Palo Alto, California [hereafter cited as tile McConnell Papers with filing= information]. see as well Stegner's notes of interview with McDonnell, Folder 19, Interview, Phil McConnell, 1956, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers.

(*) إيروين رومل (Erwin Rommel) (١٨٩١ ـ ١٩٤٤) أحد كبار قادة الجيش الألماني. لُقّب بثعلب الصحراء بسبب مهاراته العسكرية الفائقة التي أبداها في معاركه ضد الحلفاء في الشمال الأفريقي، وعلى الرغم من أنه كان قائداً في جيش ألمانيا النازية، إلا أنه لم يمتثل لأوامر هتلر بقتل اليهود أو الأسرى ذوي الرتب العالية. ساهم في محاولة اغتيال هتلر فأجبر على تجرع السمّ مقابل عدم المسّ بذويه عام ١٩٤٤م (المترجم).

(٩) Again, see Duce's paper for a discussion of the grave questions posed for the firms by war-driven inflation, cost of living questions, and political turmoil, particularly in the Iraqi market. "The Near East Today," 1951, Box 1, McConnell Papers.

السياسية القومية إلى اتجاه أكثر شعبوية، وبدأت كل شركات النفط العاملة في المنطقة بما في ذلك أرامكو صراعها مع النقابات في حقول النفط والمصافي. وتحت هذه الظروف، أرادت الشركة ضمانات إضافية على شكل دعم أمريكي لحكم آل سعود ضد مختلف الجهات ـ من طلاب ومحامين وبشكل رئيس العمال ـ التي بدأت تهدد الملكيات التي حكمت الدول القوية المحيطة.

وفوق كل هذه التحديات التي واجهت ملّاك أرامكو ـ أي شركتا شيفرون وتكساكو ـ في لحظة حساسة، كان هناك عامل إضافي يقود مفاوضات الشركة مع الإداري البارز في فترة الصفقة الجديدة: آيكي. وكان هذا العامل متعلقاً ببنية سوق النفط العالمي والمواقع التنافسية لملاك الشركة أمام منافسيهم. فالجائزة التي أبهرت المخططين الاستراتيجيين كانت هي نفسها من وضعت ملاك الشركة أمام مشكلة عويصة، فحتى تستطيع الشركة نقل كميات كبيرة من النفط السعودي إلى أوروبا، أكبر الأسواق المستهدفة، كان يتوجب عليها إنفاق ملايين الدولارات. وذلك بسبب أنها لا تتوفر على قدرة النقل والتكرير الكافية أو حتى شبكة تسويقية في تلك القارة، فأوروبا وغيرها من الأسواق تم تقاسمها والتحكم بها من قبل تحالف يضم كبرى شركات النفط في العالم: إكسون، وموبيل، وشل، والشركة البريطانية للنفط، وتوتال، وغَلف، بحسب أسمائهم الحالية. هذا التحالف نفسه كان يسيطر على تسعير النفط وتصديره من الحقول الموجودة في الشرق الأوسط إلى أن بدأت أرامكو بالإنتاج عشية الحرب. وفي الوقت نفسه، ومع اندلاع الحرب، انحلت اتفاقيات هذا التحالف من الشركات.

خلال فترة الحرب وما بعدها، تصارعت أجنحة من ملاك الشركة ومسؤوليها في ما بينها على الاختيار بين مسارين مقترحين للشركة، فالمسار الجريء والخطر في الوقت الذي كان يدافع عنه بعض داخل شيفرون ـ التي كانت تعتبر حينها شركة من الدرجة الثانية ـ مفاده أن تشق أرامكو طريقها وحدها. هذا يعني أن على الشركة أن تواجه التحالف إذا ما أعاد تشكيل نفسه بعد الحرب، وذلك عبر الاستفادة من التكلفة الرخيصة التي يتطلبها إنتاج النفط السعودي بالاستثمار في البنية التحتية الضرورية والفوز بالأسواق من خلال حرب الأسعار. أما المسار الثاني فقد كان يتلخص بالسماح لعضو

أو أكثر من أعضاء التحالف بشراء أسهم في أرامكو مقابل السماح لها بالنفاذ إلى الأسواق العالمية التي يسيطرون عليها. وقد عززت الحرب من رغبة أولئك الذين كانوا يريدون استخدام أرامكو لبناء شركة جديدة عملاقة أو ما أسماه لاحقاً رئيس تحقيقات لجنة التجارة الفدرالية بـ«أكبر مصدّر للنفط في العالم»[١٠]. وجاء هذا التعزيز عندما قام قيصر النفط الجسور آيكي بمباشرة المفاوضات مع الملاك عام ١٩٤٣م من أجل أن تقوم الحكومة الأمريكية بشراء حصة من أسهم أرامكو مقابل توفير رأس مال لبناء شبكة أنابيب ومصفاة، إلا أن المعارضين من داخل الشركة ومن خارجها بدؤوا بحشد طاقاتهم لإحباط الخطة، مما أدى بملاك أرامكو إلى التوجه عوضاً عن ذلك لاستئناف المفاوضات التي قطعتها الحرب مع شركتين عضوين في التحالف هما إكسون وموبيل، وهو الأمر الذي أدّى إلى بيع ٤٠ في المئة من أسهم أرامكو لهما في نهاية عام ١٩٤٦م.

بهذا المعنى أو ذاك نستطيع القول الآن: إننا نتوفر على سياق لفهم ظهور المؤسسات في الظهران خلال سنوات الحرب. هذه المؤسسات التي يعتقد المؤمنون الصادقون بأرامكو أنها هي التي جعلتها استثنائية مقارنة بمنافساتها البريطانية في التزامها المتنور برفاهية الشعب السعودي، وكذلك في سياساتها العمالية والتعليمية والسكنية العادلة والكريمة. وهذه الأساطير تعتمد بشكل رئيس على ثلاث مؤسسات سأقوم بتناولها بشكل مفصل في ما يأتي: **الأولى** هي منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو التي يمكن القول إنها فريدة. أما **الثانية** فهو ما يخطئ كثيرون في تعريفه بأنه الدور أو الجهد التنموي المبكر لأرامكو الذي قامت به نيابة عن الشعب السعودي، وذلك عبر بناء مزارع نموذجية وسكك حديد، إلا أنها في الحقيقة لم تكن إلا برنامج مقاولات ربحي (أو إنشاءات وخدمات) لصالح الملك أو أبنائه ومجموعة لا تتجاوز أصابع اليد من المحيطين به كوزير المالية عبد الله السليمان. أما **الثالثة** فهي الحملة التي قامت بها الشركة لكسب عقول

(١٠) John Malcolm Blair, *The Control of Oil* (New York: Pantheon, 1976), p. 39. This discussion also relies on Painter, *Oil and the American Century: The Political Economy of U.S. Foreign Oil Policy, 1941-1954*, pp. 3-9 and 35-47, and Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power*, pp. 396-399.

وقلوب الإعلاميين والأكاديميين وغيرهم من النخب الثقافية في أمريكا الذين سيقومون بشكل مثالي بالتبشير بإنجيل «العلاقة الخاصة والفريدة جداً» التي جمعت أرامكو «مع عبد العزيز الذي يمكن اعتباره جورج واشنطن المملكة العربية السعودية»[11].

بداية منظمة العلاقات الحكومية

عاد توم بارغر إلى الظهران في شهر أيار/مايو من عام ١٩٤١م ليتسلم منصباً جديداً في قسم جديد يحمل اسم منظمة العلاقات الحكومية. وقد عرض عليه هذا المنصب نفسه قبل ذلك بعام لكنه رفضه، فبالنسبة إلى شخص مثله يطمح إلى صعود أعلى السلم الوظيفي لشركة شيفرون والرحيل عن السعودية، كانت خطوة التخلي عن الجيولوجيا لمنصب آخر تعتبر خطوة خاطئة وخصوصاً إذا كان مبرر الانتقال هو كونه يستطيع التحدّث بما كان يعرف آنئذٍ بلهجة الصاحب العربية، إلا أنه أعاد التفكير في العرض مرة أخرى عندما كان في سان فرانسيسكو عام ١٩٤١م؛ حيث مقر المكتب الرئيس الأول لأرامكو قبل أن تنتقل إلى نيويورك بعد الحرب. وعلى الرغم من أن بارغر كان واثقاً بأنه: «لم أكن أريد أن أمضي الجزء الأكبر من حياتي في جزيرة العرب»، إلا أن ما سيحدث له فعلياً هو أنه سيمضي بقية حياته الوظيفية هناك، وذلك بعد قبوله بالمنصب خضوعاً لإغواء كل من نائب رئيس الشركة تيري ديوس، الذي كان في طريقه ليكون أحد موظفي آيكي في واشنطن، وروي ليبكيشر (Roy Lebkicher) الذي أصبح بديلَ ديوس كرئيس لشؤون أرامكو السياسية. وقد ظهرت فكرة إنشاء هيئة للعلاقات الحكومية من أجل التعاطي مع ما كان يتلقّاه الموظفون سواء في الظهران أو جدة من طلبات للتنسيق مع الملك وأعوانه. فقد كان مقصد ليبكيشر منها هو أن تتحول إلى «نوع من الخدمة الدبلوماسية حيث تتوفر على رجال منتقين بعناية، ومرتبات عالية، وظروف عمل جاذبة لهم»[12] أبحر بارغر مجدداً إلى

---

(١١) This last quotation is culled from Robert Norberg's talk at Duke University in March 1989, "ARAMCO and the Saudi Arabian Government: The Special Relationship," Folder 7, ARAMCO, 02/11/39-09/23/91, Box 7, Mulligan Papers.

(١٢) انظر:

Barger's letters home, 18 February 1940, Folder 6, Barger Letters, 1940, and 19 July 1941, Folder 7, Barger Letters, 1941, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers.

الجزيرة العربية مخلفاً وراءه زوجته كاثلين في هاواي وطفلة في طريقها لإبصار النور، ووصل إليها في الوقت الذي كان آخر مرافقي ومرافقات الموظفين قد غادروا الظهران.

أصبحت منظمة العلاقات الحكومية بالنسبة إلى أرامكو جهازاً مكافئاً لوزارة الخارجية الأمريكية؛ حيث كانت المهام التي تناط بها عبارة عن مهام تقوم بها السفارات عادة. ومن دون المبالغة في توظيف هذا التشبيه، إلا أن التشابه وصل إلى الحد الذي كانت فيه المنظمة تدار من العاصمة واشنطن؛ حيث قضى تيري ديوس فترة طويلة من الزمن امتدت من سنوات الحرب وحتى تقاعده عام ١٩٥٩م. ولئن كانت منظمة العلاقات الحكومية شبيهة بوزارة الخارجية، فإن قسم الشؤون العربية الخاص بها هو المكافئ الحرفي لمكتب الخدمات الاستراتيجية؛ إذ تم تصميمه ليكون مطابقاً لفرع الخدمات الاستخباراتية في القاهرة في فترة الحرب. واستمر هذا الترابط نظراً إلى كون ديوس وبارغر قاما باستحداث مناصب في القسم لجواسيس جدد من واشنطن. فقد وصف بيل موليغان ـ الذي قضى حياته الوظيفية في قسم الشؤون العربية ـ كلاً من ديوس وبارغر بأنهما «عزيزان» على وكالة الاستخبارات المركزية (السي.آي.إيه) المستحدثة بعد الحرب. وهذه المؤسسات لم تغلق إلا عندما بدأت مرحلة تأميم الشركة في سبعينيات القرن العشرين، وعندما بدأ السعوديون يحلّون محل الأمريكيين. وكان السبب وراء ذلك هو أنه، كما لاحظت مذكرة داخلية للشركة، «لم يعد هناك حاجة إلى أن يكون لدينا أشخاص يقومون بشرح وتفسير العادات والأعراف المحلية»[١٣].

وهذه المقارنة مهمة جداً من أجل الإجابة عن مسألة السبب الذي دفع الشركة إلى أن تسلك طريق تأسيس منظمة رسمية للعلاقات الدبلوماسية ومجهزة بوحدة للتحليل والبحث. فالشركات الأخرى كانت تتفاوض مع الدول وتجمع معلومات استخباراتية سياسية، إلا أن أغلبيتها إن لم يكن كلها لا تقوم بإنشاء وزارات خارجية خاصة بها. وإن شئنا الدقة، فهي لم تعد

(١٣) "Government Relations: How It Is Organized and What It Does," [n. d.], Folder 1, Box 7, Mulligan Papers.

تقوم بذلك منذ أيام شركة الهند الشرقية(*). فأغلبية شركات النفط التي عملت في أماكن متفرقة من العالم كانت تتبع سلطان دولها، حيث كانت تعمل في الأماكن التي كان لدولها فيها سفارات ومقرات نشيطة وفاعلة، إلا أنه في حالة أرامكو، كانت القصة على العكس من ذلك.

وعلى الرغم من أن مذهب ادّعاء الخصوصية الخاص بأرامكو بدأ بالتشكل في آخر أيام الحرب وأوائل فترة ما بعد الحرب، إلا أن مؤسسي هذا المذهب ومبشريه قاموا بالتقليل من شأن ما كان فريداً حقاً بما يتعلّق بعمليات الشركة في السعودية ـ أي «منظمة العلاقات الحكومية المصممة بدقة نسبية» ـ واعتبروا الجهود التي نجدها في كل تخوم النفط الأخرى هي «التنمية» الفريدة[١٤]. وكما رأينا في الفصل الثاني، أنّ أغلبية شركات التعدين الكبرى والشركات التي تتحصل على امتيازات نفطية تقوم بعمليات إضافية لا تتعلق بالمهمة الرئيسة، وذلك لكونها كلفة ضرورية للإنتاج، وهي كلفة إضافية خلقتها مفارقة الجغرافيا. ففي كل مكان في العالم، تقع المستوطنات النفطية عادة في أماكن نائية عن المراكز السكانية، ولهذا نجد أرامكو، مثلها في ذلك مثل ملاكها ومنافساتها من الشركات التي عملت في ولاية أوكلاهوما أو في فنزويلا أو في جنوب غرب إيران، كان عليها أن تنشئ خطوط نقل الطاقة الكهربائية وتُعَبِّدَ طرقاً وتبني مساكن من أجل أن تنتج النفط[١٥].

والسبب وراء تقليل الشركة من شأن الدور الذي أدته منظمة العلاقات الحكومية في التواريخ التي كتبتها لحملاتها التسويقية يمكن إدراكه ببساطة.

(*) شركة الهند الشرقية هي شركة إنكليزية بدأت بالتشكل في شبه القارة الهندية عام ١٦١٢م، لتتوسع في ما بعد في أرجاء شبه القارة الهندية كافة ولتشمل تجارتها قطاعاً عريضاً من السلع شملت كلاً من الشاي والملح والحرير والقطن والأفيون وغيرها. كانت الشركة تعمل وكأنها دولة حيث كانت لها أجهزة إدارية وجيش وشرطة وقوانين وأراضٍ... إلخ. تم حلها بعد الانتفاضة الهندية عام ١٨٥٧م (المترجم).

(١٤) Quotation from Mulligan to Greg [Dowling], 21 February 1989, enclosing "Notes on Development of Government Relations," Box 8, Mulligan Papers.

(١٥) Writing about Iran in tile 1920s, before ARAMCO was created, British Petroleum's official historian says that the borders dividing municipal and corporate responsibilities at Abadan were nonexistent. Ronald W. Ferrier, *The History of the British Petroleum Company*, 2 vols. (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1994), vol. 2: *The Anglo-Iranian Years, 1928-1954*, written by J. H. Bamberg, pp. 63-76.

فمن الممكن في بعض الأحيان أن نجد توصيفاً لعلاقة شخصية راسخة وعزيزة بين أحد مسؤولي أرامكو وبين هذا أو ذاك من كبار الشخصيات السعودية، وذلك مثل علاقة فلويد أوهليجر مع الملك وولي العهد، أو علاقة أمير المنطقة النفطية ابن جلوي مع وليام بورلي (William Burleigh) ثم مع هاري ماكدونالد (Harry McDonald) بعد ذلك، أو علاقة بارغر مع صالح إسلام ممثل الحكومة السعودية في الأحساء، إلا أن التبعات السياسية التي قد تتولد من أغلب العمل الروتيني لمنظمة العلاقات الحكومية جعل من الصعب على الشركة أن تعترف به فضلاً عن أن تقوم بتحليله بطريقة صريحة كما فعل شيلدز في مذكرته عام ١٩٤٧م عندما وصف أرامكو بالأخطبوط.

بوصفي السيدة الأولى لجنة عدن

لا يخطر على البال عند الحديث عن التنمية خدمات من ذلك النوع الذي كان يؤديه موظفو أرامكو للأسرة الحاكمة خلال فترة الحرب، التي كانت تشمل تركيب أجهزة تكييف في القصور المتكاثرة في الرياض والدمام وتثبيت وطايات(*) واسعة بسيارات الكاديلاك الملكية لأغراض القنص والصيد، ولهذا فلا عجب لمن يريد تأكيد تفاني أرامكو في عملية بناء الدولة أن يصرف نظره إلى المزارع التجريبية في الخرج الواقعة على مقربة خمسين ميلاً جنوب شرق الرياض، على الرغم من أن هذه المشاريع المكلفة وغير المنتجة لم تكن لها أي أهمية تذكر سوى كونها تمثل سابقة في تبذير أموال طائلة على مشاريع خاسرة. بدأ العمل في هذه المزارع من قبل وزير المالية عبد الله السليمان الذي استقدم مجموعة من العراقيين والمصريين في ثلاثينيات القرن العشرين كي يديروها لأجل الملك. وفي كل مرة تروى هذه القصة، نجد أن الدور الهامشي الذي أدته أرامكو يزداد اتساعاً. فابتداء من خمسينيات القرن العشرين أصبح يصور المشروع بأنه «برنامج النقطة الرابعة المدار من القطاع الخاص في الجزيرة العربية» والتابع لأرامكو وذلك «قبل حتى أن يكون هناك برنامج النقطة الرابعة في واشنطن». وبعد خمسين عاماً، أي في عام ٢٠٠٢م، وصفت النيويوركر (*New Yorker*)، وهي المجلة

(*) الوطايات وهي العتبات المعدنية التي يتم تثبيتها أسفل أبواب السيارة من الجانبين بحيث يتسنى الوقوف عليها وممارسة الصيد والسيارة تتحرك (المترجم).

المشهورة بنظام تدقيق الحقائق الخاص بها جهود أرامكو الفاشلة بأنها كانت محاولة «لإدخال الزراعة إلى المملكة»(١٦) إلا أنه لم يكن هناك شيء أبعد عن الصحة من هذا كله.

فحتى ظهور النفط كان أغلبية السعوديين يعتمدون في معيشتهم إما على تربية الجمال أو على الفلاحة (أو على مزيج بين الإثنين)، بينما كان عدد صغير من سكان الحاضرة يتعاطون التجارة، وكانت التمور هي المحصول الذائع الصيت الذي يتم تصديره من الأحساء وتم بواسطته تمويل حروب الاستيلاء على نجد والحجاز من قبل الملك عبد العزيز وجماعته. وعلى الرغم من أهمية الأحساء هذه، إلا أن أغنى الأراضي الزراعية كانت موجودة في جنوب غرب منطقة عسير التي تم الاستيلاء عليها عام ١٩٣٠م. ومن بين أكثر الأحداث شهرة في حكاية تأسيس الدولة السعودية هي حكاية توطين حركة الإخوان ـ القوة العسكرية التي استخدمت في تأسيس المملكة ـ في عشرات المستوطنات الزراعية الجديدة، والمعروفة بالهجر، في العقدين الثاني والثالث في القرن العشرين. وكان أغلبية الفلاحين يحرثون مساحات صغيرة وينتجون محاصيل بسيطة، إلا أن ما يمكن اعتباره حديثاً في ثلاثينيات القرن العشرين هو تجميع أفراد من الأسرة الحاكمة وبعض أعوانهم المخلصين لمساحات شاسعة من الأراضي في أماكن مثل الخرج وخفس دغرة قرب الرياض، وفي واحة الأحساء وفي القطيف في المنطقة الشرقية النفطية. وفي مقالة مميزة منشورة في عام ١٩٤٩م على صفحات الصحيفة الحجازية شبه الأسبوعية **البلاد السعودية**، هاجم عبد الله الملحوق مشكلة ما سمّاه «الإقطاعية الزراعية». فالملحوق كان يعمل سكرتيراً خاصاً لمحسن بن جلوي أمير الدمام وأحد أكبر ملاك الأراضي الجدد. وقد بدأ الأمريكيون

(١٦) Wallace Stegner, *Discovery! The Search for Arabian Oil, as abridged for ARAMCO World Magazine* (Beirut: Middle East Export Press, 1971), pp. 168-171 (Point Four quote); Lorania K. Francis, "Arab Farms Boom under Americans," *Los Angeles Times*, 20/3/1951; "Point $ without the Taxpayers," editorial, *Los Angeles Times*, 20/3/1951, and Nicholas Lemann, "The Way They Were," New Yorker (15 April 2002). Barger himself had disparaged these kinds of gross exaggerations. He told Stegner in 1956, "Al Karj was primarily the creation of that man of great energy and imagination, Abdulla Suleiman-we were simply his tools". Barger's notes to Stegner's draft manuscript, Folder 8, Master Copy, VIII [penciled in, IX], The Time of the Hundred Men, Box 26, Discovery, First Draft, Reader's Copy, Stegner Papers.

بمساعدة هذه الطبقة الصغيرة في نجد؛ حيث كان كل من الملك وعبد الله السليمان وشقيق الملك يملك «الحصة الأكبر من الأراضي الصالحة للزراعة في واحة الخرج»[١٧] ولهذا تم جلب الفنيين العرب الأجانب لهذا المكان من أجل تركيب وصيانة المضخات لتحسين عملية الريّ.

ازدادت أهمية المزارع الملكية بالنسبة إلى البلاط الملكي بعد أن قامت الحرب بزيادة تكاليف الأغذية وكل الواردات الرئيسة، وذلك في الوقت نفسه الذي قامت فيه أيضاً بتعطيل خطوط الشحن. وكما سبقت الإشارة إليه، فقد قامت الحرب كذلك بحرمان المملكة من الموارد الجاهزة التي كانت في متناول يدها. كان يمكن هذه المزارع أن تنتج بدائل عن الغذاء الذي يتم استيراده من الخارج للبلاط لولا أن أغلبية الفنيين المصريين تخلوا عن العمل في المشروع، فقامت الحكومة بالضغط على أرامكو للحلول مكانهم وتغطية تكاليف العمليات. قام بارغر ورفيق له بتمشيط أملاك منطقة الخرج وقدما تقريراً عنها. وسيصبح هذا التقرير في ما بعد المستند الذي ستعتمد عليه أرامكو لتقديم نفسها، وإن كان بشيء من التضليل، بأنها كانت على اتصال بالمشروع «منذ البدايات الأولى». فما يتم تغييبه هو الحقيقة الأكثر أهمية وهي أن الشركة رفضت طلب وزير المالية بالحلول مكان الفنيين المصريين. «فقد أوضح أوهليجر (صاحب المنصب الرفيع في أرامكو خلال فترة الحرب) أن مهمة الشركة في البلاد تتمثل في إدارة الأعمال النفطية التي تتطلب مقداراً كبيراً من العمل. وليس لدى الشركة أي رجال متوفرين للقيام بأعمالها هي، خصوصاً تلك التي من طبيعة هندسية»[١٨].

---

(١٧) انظر:

Jidda to State, A-487, 19 December 1949, RG 59, 890F.9111 RR/12-1949, and Jidda to State, A-506, 29 December 1949, RG 59, 890F.9111 RR/12-2949.

(١٨) From Stegner's files of excerpts from McConnell's diary of the war years, Folder 13, Phil McConnell Notes, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers. "From the very beginning" quote found in ARAMCO's retrospective account of all agricultural assistance to the kingdom in ms. marked confidential, ARAMCO, "Donations, Contributions, and Assistance to Saudi Arabia 1933-1970," Folder 10, Donations, Contributions and Assistance to Saudi Arabia, Box 5, Mulligan Papers. The most referenced accounts on these matters against which I am writing are Stegner, Ibid., p. 170, and Anderson, *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950*, pp. 111-112. See as well George A. Lipsky, *Saudi Arabia: Its People, Its Society, Its Culture* (New Haven, CT: Human Relations Area Files Press, 1959), pp. 214-215; =

وقد قدم ريتشارد سانغر، المكلف بشؤون السعودية في وزارة الخارجية الأمريكية توصيفاً جيداً حول الأعمال في الخرج حتى عام ١٩٤٩م. فقد أوضح بشكل جليّ أنه في أفضل التقديرات لم تؤدِّ أرامكو إلا دوراً متواضعاً، وأنها كانت تأخذ مقابلاً عن كل معونة تقدمها للرياض، وهذا المقابل كان يدفع من أموال الضرائب الأمريكية حتى عام ١٩٤٦م ثم من عائدات النفط بعد ذلك، كما أنه قد وثّق الدور الرئيس الذي قامت به بعثتان زراعيتان تابعتان للحكومة الأمريكية (اللتان لا يوجد لهما أي ذكر في الروايات المتمركزة حول أرامكو) في تخطيط وتنفيذ مشاريع المزارع النموذجية. أما الأولى فقد كانت تحت قيادة الزعيم الجسور للبعثات المتجهة إلى السعودية في ثلاثينيات القرن العشرين كارل تويتشل. وقد قامت هذه البعثة بترؤس مشروع للبيت الأبيض جمع في عام ١٩٤٢م متخصصين في الريّ واستصلاح الأراضي من وزارة الزراعة الأمريكية وهيئة شؤون الهنود الحمر لدراسة البلاد لمدة استغرقت سبعة أشهر. وقد قامت الجهتان بتطوير الخطط العملية لأعمال ريّ واسعة النطاق واستصلاح أراضٍ في الخرج وأماكن أخرى من البلاد.

قام أوهليجر ومنظمة العلاقات الحكومية استجابة لطلبات وزير المالية المتكررة بتركيب مضختين في موقع يدعى البجادية والإشراف على حفر قناة مائية، وقامت الشركة باستقطاع مبالغ من أموال دافعي الضرائب الأمريكية أو من عائد النفط السعودي كمقابل لخدمات من هذا النوع، والتي قد تشمل على سبيل المثال إيصال الكهرباء للقصور أو إعارة أحد عمال الطبخ الخاصين بها ليكون طباخ الملك. وعلى الرغم من أن إعداد الطعام ليس عملاً نبيلاً مثل زراعته، إلا أن خوزيه آرنولد (José Arnold)، الطبّاخ المرسل إلى الملك عبد العزيز، لا يتم ذكره عادة ضمن المبعوثين الجدد في المدنية. وبعد سنة، أي «منذ البداية»، وبسبب النقص الحاد في الغذاء، لم تعد هذه المساهمة المتواضعة التي قدمتها أرامكو كافية، فقد تم تجاوزها عبر إرسال فريق

Carleton Coon, "Operation Bultiste: Promoting Industrial Development in Saudi Arabia," in: = Howard M. Teaf and Peter G. Franck, eds., *Hands Across Frontiers: Case Studies in Technical Co-operation* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1955), pp. 349-350, and Nathan Godfried, *Bridging the Gap between Rich and Poor: American Economic Development Policy toward the Arab East, 1942-1949* (New York: Greenwood, 1987), 160-162.

الطوارئ للبعثة الأمريكية الثانية للخرج عام ١٩٤٤م، والتي أرسلت هذه المرة من وزارة الخارجية وليس من البيت الأبيض. وتسلم الأمريكيون الموجودون في وحدة القاهرة التابعة لبرنامج الإعارة والتأجير مهمة بناء المزارع الملكية الاستعراضية، التي حوت حقول قمح واسعة، وعَلَفاً لخيول الملك الخمسمئة، وفاكهة وخضاراً «لأهالي» الرياض، وحمولة طائرة من البطيخ والشمّام يتم إرسالها من الملك عبد العزيز كهدايا لحكام مصر والكويت. واحتاج بناء هذه المزارع لقوة عاملة تقدر بحوالى ألف وثلاثمئة سعودي(١٩).

أكّد تقييم لوزارة الخارجية الأمريكية كتبه نيلز ليند (Nils Lind) في عام ١٩٤٧ ـ المبعوث الزراعي إلى جدة الذي شارف على سن التقاعد ـ القيمة السياسية الكبيرة التي جنتها الولايات المتحدة من خلال الدعم الذي قدمته في موضوع مزارع الخرج، إلا أن التنافس السياسي الذي كان يتحدث عنه لم يكن من النوع التقليدي كالمنافسة الأمريكية ـ الإنكليزية أو المنافسة المتصاعدة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي، فهو يقول:

> لم تتخلّ شركة النفط عن موقعها المتنفّذ بسهولة؛ إذ كافحت من أجل إبقاء نفوذها على الملك بشتى الوسائل، إلا أنها لم تستطع مدّه بالغذاء. فعلاً، لقد كانت الشركة تتصرف كما لو أن الحكومة تتدخل من دون إذن بمجال خاص بها وحدها، إلا أن الغذاء حسم الخلاف، وقبلت الشركة بما لا مفر لها منه أي ضرورة الاعتراف بالدور القيادي لحكومتها في المفاوضات المستقبلية مع الملك(٢٠).

وفي هذه الأثناء كان الأمريكي الذي يترأس منظمة التخطيط الحربي المسماة بإدارة الاقتصاد الأجنبي في القاهرة قد أدان المشروع بأكمله معتبراً

---

(١٩) Richard H. Sanger, *Arabian Peninsula* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1954), p.60. An Arizona farmer, David Rogers, and his successor, Kenneth J. Edwards, a Texas county agent who had been recruited by the U.S. Extension Service, were the primary architects. With the dissolution of the Middle East Supply Center in 1945, the project apparently fell for a short while to the Foreign Economic Administration, the government's first postwar development agency, the forerunner of A.I.D.

(٢٠) Nils Lind, "A Summary of Views on United States Relations with Saudi Arabia," RG 59, 711.90F/5-147.

إياه تبذيراً لموارد مهمة. وعندما رفضت إدارة الرئيس ترومان الاستمرار في الدفع من أجل «حديقة مطبخ» الملك، اضطر عبد العزيز أخيراً إلى أن يدفع بنفسه لجنّة عدن الخاصة به[٢١].

كان هناك مجمع أمريكي صغير، وكان يتكون في أوج رفاهيته أول الخمسينيات من مبنى طيني يتكون من شقة من أربع غرف للمدير وعائلته، وغرف فردية للمعاونين الذين كان عددهم قرابة الستة عشر. وأدت التوترات داخل هذا المجمع إلى خروج الأمريكيين منه عام ١٩٤٨م، فاضطرت منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو أن توظف مجموعة بديلة من الموظفين من الخارج. وبعد سنتين، قبلت شركة النفط بشكل رسمي تحمل مسؤولية إدارة المزارع التي ستصبح الواجهة التي سيستعرض بها قسمها الجديد المسمى بقسم التنمية الصناعية العربية تحت إدارة بِل إلتِست (Bill Eltist).

وبهذا تصبح دعوى أرامكو بأنه كان لها إسهام في تطوير مزارع الخرج وفروعها ـ كمزارع الألبان لابن ولي العهد في الرياض، أو تلك التابعة لوزير المالية عبد الله السليمان في القطيف، أو لأرض أخرى للسليمان في جدة ـ لا يمكن الدفاع عنه إلا إذا كان محصوراً بسنوات قليلة أوائل خمسينيات القرن العشرين، بل إنه حتى في ذلك الوقت نجد أنّ سِجِلّ التدقيق المحاسبي الداخلي لأرامكو يوضح أن الشركة كانت تدير الشركة بخسارة؛ إذ لو تم استخدام «الأسعار الحقيقية» (أو ما سيدعوه الاقتصاديون لاحقاً بأسعار الظل) عوضاً عن التسعير العشوائي للسلع، الذي يماثل ما يحدث في الاقتصاد الاشتراكي أو المركزي التخطيط، فإن المَزَارع «لن تتمكن من إظهار أي ربح». ويكشف سجل التدقيق أيضاً أن أرقام الإنتاج مثل الأسعار لا يمكن الاعتماد عليها[٢٢]. ومن هذا الجانب يصبح التشابه مع مشاريع تنموية أخرى في ذلك العصر مثيراً للاهتمام. وفي عام ١٩٥٤م، أي بعد سنة من وفاة الملك عبد العزيز، قامت الشركة بإرجاع المزارع للملك الجديد كي

(٢١) Godfried, *Bridging the Gap between Rich and Poor: American Economic Development Policy toward the Arab East, 1942-1949*, p. 160.

(٢٢) انظر:

ARAMCO, Dhahran, 28 August 1954, Condensed Executive Audit Report Al Kharj Farms 1954, Folder 10, Al-Kharj, Box 8, Mulligan Papers.

يديرها مع استمرارها بإمداده بالمساعدة التقنية مقابل رسوم محددة.

ويمكن أن تروى القصة بشكل أفضل ـ ومن باب أولى أكثر مناسبة ـ بوصفها أدباً لكن ليس من وجهة نظر شخصيات ثانوية كبارغر أو إلتست، بل من وجهة نظر الموظف القادم من بلدة سونورا من ولاية تكساس سام لوغان (Sam Logan) وزوجته ميلدرد مونتغمري لوغان (Mildred Montgomery Logan) «أول امرأة بيضاء عاشت في قلب الجزيرة العربية». فقد باشر سام لوغان عمله في عام ١٩٤٦م كمساعد لسنتين قبل أن يعود إلى بلدته لتربية الماشية. وفي عام ١٩٥٠م، أعاده بارغر مديراً فأحضر سام معه زوجته ميلدرد. وكان من بين سلسلة المقالات التي كتبتها «السيدة سام» في مجلة **كاتلمان** عن مغامراتها قولها:

> أشعر بالشفقة عندما أرى الطين والقذارة والجهل الظاهر بين البدو، فالأطفال يرتدون ثياباً طويلة بشكل رديء، وشعورهم يجب أن تحلق لأنها معقدة بشكل لا يمكن معه تمشيطه أبداً. في حين أن النساء، اللاتي يشبهن أولئك المتنكرات في عيد الهالووين[*]، وبالكاد يتلمسن طريقهن إذ لا يرون إلا من خلال ثقبين في تلك الأقنعة السوداء المزعجة، أو ما يمكن تسميته بالحجاب إن كنت تريد أن تكون عاطفياً[٢٣].

غادر آل لوغان مرة أخرى في عام ١٩٥٢ في الوقت نفسه الذي كان ولي العهد سعود وابنه عبد الله يسيطرون على المشروع. ولكن عندما أصبح سعود ملكاً، قام بإحضار آل لوغان في عام ١٩٥٧م ليحاول مرة أخرى إحياء المزارع. كتبت ميلدرد لقرائها في مجلة **الكاتلمان** قائلة: «إني أحب كوني السيدة الأولى لِجَنَّةِ عدن»، إلا أن هذه الجنة كانت تعاني مشاكل متعاظمة، فهؤلاء القادمون من تكساس ومشروع الخرج سيء الحظ وقعا ضحية الصراع على السلطة بين الإخوة فيصل وسعود؛ إذ قام المنتصر فيصل بمنح المزارع

(*) عيد الهالووين، هو عيد شعبي في أمريكا وغيرها من الدول، وهو ذو جذور مسيحية ووثنية، يشتهر في أزيائه التنكرية واستخدام اليقطين وتحويله إلى أشكال مخيفة (المترجم).

(٢٣) Mildred Montgomery Logan, "The Arabs Call Me Madam Sam," Cattleman (January 1952), p. 22.

لمقاول سعودي صاعد اسمه محمد بن لادن كي يديرها ولم يكن أكثر حرصاً من أرامكو على إدارة مشروع لا يدر إلا الخسارة، الأمر الذي دفع آل لوغان إلى الاحتجاج، وأدّت في عام ١٩٥٩م إلى طرد كل الموظفين الأمريكيين من عدن[٢٤].

الجميع على سطح السفينة

يمكن أن نجد هذا النمط نفسه في واجهة استعراضية أخرى للتحديث، كان يتم إحضار المراسلين الصحافيين إليها في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين. هذه الواجهة هي السكة الحديدية التي بنيت للملك بين الدمام والرياض. فالملك كان يميل إلى تسميتها «المجد المتوّج لعهده» عندما كان يريد إقناع الأمريكيين بالإنفاق عليها. وعندما بنيت أشارت إليها شركة النفط باعتبارها دليلاً إضافياً على عظمة الملك وتفاني أرامكو لتحقيق التنمية في السعودية، وقد تم إحياء ذكراها في الذاكرة الجمعية المشتركة بين السعوديين والأمريكيين في ما بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بوصفها سكة حديد أرامكو، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فسكة الحديد كانت مملوكة للحكومة، والشركة رفضت بناءها، وقد كان رفضها حكيماً لسببين: **الأول**، لأن «فكرة نحن هنا من أجل تحديث المملكة» قد جعلت من الشركة عرضة لمطالبات بأن تستدين تكلفة المشروع والتي تقدر قيمتها بـ٥٠ مليون دولار. أما السبب **الثاني**، فهو أن دراسات الجدوى قد أوضحت أن المشروع سيكون خاسراً، ولهذا السبب قامت إدارة ترومان برفض المشروع مرتين. ورحلة الأمير سعود عام ١٩٤٧، وهي نفسها التي قام فيها باللعب بلعبة على شكل قطار على العشاء، كانت محاولة فاشلة لتأمين سلفة من بنك التصدير والاستيراد الأمريكي لتحقيق المشروع، فالحكومة الأمريكية قد توصلت إلى النتيجة نفسها التي توصّلت إليها الشركة وشركاتها الاستشارية: شركة سكة حديد الويستيرن باسيفيك وشركة بكتل. والنتيجة مفادها أن القطارات فكرة خاطئة، وأن البلاد ستكون أفضل عن طريق شبكة من الطرق السريعة، وهو الاستنتاج

---

(٢٤) Mildred Montgomery Logan, "I Like Being the Garden of Eden's First Lady," Cattleman (October 1957), p. 30; typed sheet with handwritten title, "Summary on al Kharj Farms by Sam T. Logan," February 1986, enclosed in Mildred Logan to William Mulligan, 17 February 1986, Folder 10, Al-Kharj, Box 8, Mulligan Papers.

الذي أثبت الزمن صحته؛ إذ سيتم تبني فكرة شبكة الطرق السريعة على المدى البعيد ولكن ليس قبل أن تقوم شركة بكتل بإدخال الرياض إلى عصر سكة الحديد.

فالملك بكل تأكيد كان صاحب سيادة، وكانت طريقته في حساب الربح والخسارة مختلفة عن الشركات، فهو قد وجد نفسه كما أخبر الأمريكيين ينحاز بشدة لصالح سكة الحديد، وذلك لسببين:

أما **الأول** فإنه مع انتهاء الحرب وفي مواجهة تزايد المطالبة المفاجئة برأس مال ضخم، فإن الدولة لم تجد طريقها بعد للتمكن من إتقان إجراءات شاحنات النقل كافة، ولهذا السبب فإن إنشاء شبكة طرق سريعة موسعة سيكون أمراً خاطئاً، فقافلة الملك المكونة من ١٥٠ شاحنة التي كان من المفترض أن تعمل ما بين جدة والرياض انتهى أمرها إلى الفشل، كما حاولت بعثة بريطانية مختصة بالنقل أن تعيد ترتيب الحطام الذي خلّفه الاستغلالي الفلسطيني عز الدين شاوي في هيئة المناجم والأعمال العامة وذلك من أجل البدء بتأمين توصيلات دائمة للبنزين وغيرها من البضائع للرياض، إلا أنّ أعضاءها قد استقالوا بعد ستة أشهر. وفي ما يمكن اعتباره حالة الخصخصة الأولى في تاريخ السعودية تم تحويل المستودع والقافلة إلى ملكية بعض التابعين لوزير المالية الذين يملكون الشركة الوطنية العربية للسيارات، وهي الشركة التي احتكرت آنذاك نقل الحجاج[٢٥]، فلا عجب إذاً أن يعتبر الملك عبد العزيز ـ كما نقل ذلك جون فيلبي وآخرون ـ الشاحنات «أعداء، تماماً مثل الألمان والروس».

أما السبب **الثاني** الذي قدّمه الملك لاختياره سكة الحديد هو أن الطرق السريعة وفّرت ميزات للأعداء المقربين وذلك بجعل عاصمته عرضة للاحتلال، «سكة الحديد يمكن التحكم بها، ومن السهل تفجيرها لو استدعت الحاجة إلى ذلك». وفي لقاء مع هارولد هوسكينز (Harold Hoskins) قام بتقديم هذه الحجة نفسها لكن بعد قلبها رأساً على عقب. فهوسكينز هذا كان عميلاً للاستخبارات في الحرب العالمية الثانية ورئيساً لمجلس إدارة الجامعة الأميركية في بيروت، وعندما التقى الملك كان قادماً من أجل تقدير

(٢٥) The original principals were Hussein Aoueini and Ibrahim Shakir, who were joined by Muhammad Alireza, a rival of theirs and of their patron, the finance minister.

المخاطر لشركة إكسون عام ١٩٤٦م عندما كانت المفاوضات لشراء حصة من أرامكو لم تزل سارية (وكانت مخفية عن الملك). أخبر عبد العزيز هوسكينز بأن سكة الحديد وسيلة ضرورية لربط أطراف البلاد معاً و«منع حالة النزاع القبلي السابقة» من أن تقوم مجدّداً بتدمير الدولة السعودية. أما التفسير الذي اقترحه بعض فهو أن الرمزية كانت تؤدي دوراً هنا أيضاً نظراً إلى كون الملك العربي الكبير الآخر فاروق يملك سكة حديد كان قطارها أول قطار استقله عبد العزيز عندما زار مصر[٢٦].

> واستطاع الملك عبر إصراره على تحقيق مراده مع شركة بكتل، الشركة التي كانت في طريقها لجني الملايين من عقود إنشاء موانئ، ومحطات طاقة كهربائية، ومطارات، وكثير من القصور. بعد اجتماع مع عبد العزيز في الرياض اقتنع نائب رئيس شركة بَكتل بول إنغلِش (Paul English)، على الرغم من كونه ـ بحسب السفارة الأمريكية ـ واحداً من أكثر الأشخاص صعوبة في الاقتناع.
>
> يبدو أن إنغلش يعتقد أن «الجدوى الاقتصادية» مسألة مبالغ فيها بشدة؛ إذ يعتبر أن كل سكة حديد تم بناؤها كان ينظر إليها باعتبارها غير اقتصادية في البداية. وقد تساءل «بماذا يؤثر إنفاق عشرة ملايين دولار طالما أنها تمنح أفضل أصدقاء الولايات المتحدة من العرب ما يعتقد أنه الأفضل لبلاده؟ ففي النهاية، أنا أعتقد أن الملك يفهم شعبه أكثر من أي شخص آخر».

تهاوت تقديرات بَكتل للتكاليف فجأة إلى ٢٠ مليون دولار، إلا أن إدارة ترومان لم تزل غير مقتنعة وقامت برفض طلبات قروض متتالية من بَكتل وأرامكو والسعودية. ومع نهاية عام ١٩٤٧م وافقت أرامكو على أن تدفع لمشروع سكة الحديد الذي كان يريده الملك على أن تستعيد أموالها من العائد المستقبلي للنفط[٢٧] وأجبرت الشركة بعد أن خططت لبناء خط سكة الحديد القصير الخاص بها على أن تخدم المنطقة التي تشمل المساحة

---

(٢٦) Dhahran to State, 50, 2 August 1946, RG 59, 890F.77/8-246; Jidda to State, 38, 14 August 1946, RG 59, 890F.70/8-1446; Outgoing Telegram, State to Jidda, 29 November 1946, RG 59, 890F.77/11-2946, and Sanger, Arabian Peninsula, p. 118.

(٢٧) Dhahran to State, 18 December 1946, A-73, RG 59, 890F.77/12-1846.

الممتدة من الدمام مروراً بالظهران إلى بقيق. وعندما لاحظ الملك أن تصورات أرامكو عن الجدوى الاقتصادية لسكة الحديد تغيرت أصرّ على ملكية الدولة لأي سكة جديدة تبنى.

ومع قرب انتهاء الحرب كان ملاك الشركة يحاولون إخراج الشركة من المسار الذي وضعتها فيه مقتضيات الظروف والانسحاب قدر الإمكان من أي عمل ليس له علاقة مباشرة بإنتاج النفط أو يقع خارج حدود منطقة النفط، ففي الظروف التي كان فيها لدى المئة موظف فائض من الوقت لم يكن هناك أي مشكلة لتأدية خدمات للقصر حينما يدعي الملوك أنهم لا يجدون ما يأكلونه، إلا أن عودة الإنتاج عام ١٩٤٤ وضعت الشركة في معضلة، فكما وصف الأمر أحد موظفي القنصلية الأمريكية: «لقد قبل كل من أوهليجر وماكفيرسون (مديرا عمليات أرامكو في الظهران) أن يكونا «شركة هند شرقية»، وأن ينشئا وحدة جديدة بموظفين جدد في أرامكو شبيهة بـ«قسم الإدارة الحكومية» (على الرغم من أنه تم تحاشي الاسم بحذر)» إلا أن سان فرانسيسكو أوقفتهم ولجأت إلى ستيف بَكتل (Steve Bechtel) الذي كان يبني أنابيب النفط لشيفرون منذ عشرينيات القرن العشرين. وقام ابتداء من الثلاثينيات بتأسيس أول شركة عالمية لتقديم خدمات شاملة للشركات النفطية اسمها بَكتل ـ ماكوني، لتتحول في ما بعد إلى إنترناشونال بَكتل (في الشرق الأوسط). وقد قامت هذه الشركة ببناء مصافي شيفرون من ريتشموند في ولاية كاليفورنيا إلى كراكاس، وفي عام ١٩٤٤م تم التعاقد معها لبناء مصفاة النفط في رأس تنورة. لقد أدى دخول بَكتل إلى السوق السعودية إلى حل معضلة واحدة، لكنه في الوقت نفسه أدى إلى خلق أخرى لأولئك الذي يريدون إظهار أرامكو محاطة بنور إلهي وغيرهم من الذين ما زالوا يبحثون عن وهجها إلى اليوم.

أصل أسطورة

كان فِل ماك كونيل (Phill McConnel)،ـ عامل النفط القادم من تكساس والمواظب باستمرار على كتابة يومياته ـ أحد موظفي أرامكو المئة في فترة الحرب. وكانت سنوات الحرب بالنسبة إليه ـ كما أخبر الروائي والاس ستيغنر ـ من أسعد فترات حياته. وفي تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٤٤م، لم يحتج ماك كونيل إلى كثير من الوقت حتى يخترع ما كنت قد دعوته

بخصوصية أرامكو. فقد بدأت كفة الحرب تميل بشدة لصالح الحلفاء، وسيصبح نفط أرامكو ضرورياً لإعادة إعمار أوروبا بعد الحرب. وبينما كان ماك كونيل وغيره من الموظفين في الظهران يتأهبون لعودة عملية الإنتاج وقدوم مجموعة كبيرة من الموظفين الجدد وموجة بناء جنونية جديدة، ظهرت على الصحف الأمريكية بقيادة جريدة الـ **نيويورك تايمز** (*New York Times*) أولى الانتقادات الموجهة إلى الشركة التي تم تعديل اسمها حديثاً إلى شركة الزيت العربية الأمريكية، وقد أخبر رئيس تكساكو ستار رودجرز (Star Rodgers) معارفه في البيت الأبيض بأن أعداء الشركة من أمثال إكسون وموبيل هم الذين كانوا خلف هذه الانتقادات الموجهة إليهم من جريدة الـ **نيويورك تايمز**.

بدأت خطة قيصر النفط هارولد آيكي في دفع الحكومة الأمريكية إلى الدخول في سوق النفط في الشرق الأوسط تتهاوى. واضطر إلى إنهاء مفاوضات شراء أرامكو، كما اضطر مساعده جيمس تيري ديوس إلى أن يستقيل من منصبه في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٤٣م كمدير للعمليات الأجنبية في (إدارة النفط من أجل الحرب) حديثة الإنشاء. فقد كانت احتجاجات النقاد مبنية على كون ديوس يتقاضى مرتباً من شركة تكساكو في الوقت نفسه الذي كان يعمل فيه من خلال منصبه الحكومي على صفقة أرامكو، وقد أشعلت هذه المفاوضات كثيراً من المعارضة لها داخل الحكومة وخارجها. وقامت كل شركة نفط في البلاد التي لم يكن كثير منها على وفاق مع **الصفقة الجديدة** منذ البداية ببناء جبهة مع حلفائها في الكونغرس من أجل إحباط نقلة روزفلت الاشتراكية، فقد خشي المنتجون المحليون من أن يبدأ النفط القادم من الشرق الأوسط بغزو السوق الأمريكية مما قد يؤدي إلى إخراجهم منه. أما شركتا إكسون وموبيل فقد كانتا تفضلان الحصول على حصص من أرامكو لنفسيهما بدلاً من مواجهة منافس جديد مدعوم من الحكومة. أما اليسار (أي جمهور صحيفة **نيو ريبيلك** (*New Republic*) فقد رأوا النفط بدأ مجدداً بالتحكم في واشنطن من خلف الكواليس.

إلا أن آيكي لم يستسلم وقاوم هذا الهجوم، فقام هو وملاك أرامكو بإعداد خطة لإنشاء أنابيب نفط عابرة للجزيرة العربية من الخليج إلى البحر المتوسط. وستقوم الحكومة بتمويلها باعتبارها

إجراء ضرورياً لأجل الحرب في الجبهة الأوروبية، إلا أن المشكلة في هذه الخطة تمثّلت في أن جميع الأطراف يعلمون أن الحرب في أوروبا قد شارفت على نهايتها، وأن المشروع بحاجة إلى سنوات حتى يكتمل تنفيذه، ومن هنا كانت العجلة من أجل توقيع الصفقة وكذلك الحشد من أجل محاولة إحباطها، وفي صيف عام ١٩٤٤ كان التقدم حليفاً لأعداء صفقة الأنابيب.

قامت صحيفة الـ **نيويورك** بمهاجمة الصفقة انطلاقاً من نقطتين:

أما **الأولى** فقد كانت أن الحرب قد بدّلت من دور أمريكا في الشؤون العالمية. ويمكن ملاحظة ذلك في شوارع واشنطن حيث توجد «مجموعات من الأفراد بهيئات غريبة من أماكن بعيدة جداً» بما في ذلك «المملكة الصغيرة في جزيرة العرب... عاصمة المحمدين»[٢٨]. وتستمر الجريدة في حديثها:

لقد أصبح من الواضح أن الشرق الأدنى لم يعد تلك المنطقة النائية المأهولة بأولئك البدو المتخلفين الذين لا يعنينا أمرهم في شيء، فمفارقات التقنية والاقتصاد جعلت من مشاكل الشرق الأدنى مشاكلنا، تماماً كما أصبحت مشاكل النفط الفنزويلي والمكسيكي مشاكلاً لنا. فسياسة الجار الصالح يجب أن تمتد إلى المناطق البعيدة، وهذه السياسة ستوضع تحت الاختبار عندما تقرر هذه البلاد كيف ولمصلحة من سيتمّ استغلال حقول النفط السعودية[٢٩].

وذكرت صحيفة الـ **نيويورك تايمز** كيف أن التدخل في المنطقة خلال فترة الحرب قد أدّى ببعض الأمريكيين الذين ازدادت معرفتهم بتلك المنطقة إلى مراجعة التصورات القديمة المفاخرة بـ«الوهابيين باعتبارهم تطهيريي[*] جزيرة العرب»:

---

(٢٨) John H. Crider, "Saudi Arabia's Oil Looms as Vital," *New York Times*, 3/10/1943, p. 4.

(٢٩) Editorial, "Arabian Oil," *New York Times*, 23/2/1944, p. 18.

(*) التطهيريون (Puritans) هم فرقة مسيحية بروتستانتية كانت ترفض مؤسسة رجال الدين التي تقوم عليها الكنيسة الأنغليكانية الرسمية في إنكلترا مما أدى بها إلى خوض صراع معها أدى أولاً إلى هجرة بعضهم إلى أماكن كثيرة من بينها ولاية ماساتشوسيتس في أمريكا، ثم إلى اعتلائهم السلطة في إنكلترا بعد الحرب الأهلية والمعروفة بجمهورية كرومويل. سموا بالتطهيريين لتعففهم عن المتع والملذات الحسية (المترجم).

لعل النفط ما زال أمراً مستحدثاً لرعايا ملك السعودية المخلصين، بل لعلّ الملك نفسه ومستشاريه الكبار ما زالوا مذهولين من ثرائهم النفطي الجديد، إلا أنهم قطعاً يتعلّمون بسرعة هائلة، فالعرب غالباً سريعون في التأقلم مع الاستمتاع بالثروة تماماً كملّاك الريع من قبيلة الشيروكي في أوكلاهوما الذين كانوا يملكون سيارات فارهة من ماركة باكارد ولينكولن(٣٠).

أما النقطة الأخرى الأكثر أهمية التي هاجمها أكثر وعاظ الرابطة الأطلسية في هيئة التحرير فقد كانت احتمال أن الولايات المتحدة كانت تتراجع إلى الخلف، أي إلى «الإمبريالية القديمة»، أو عصر «دبلوماسية الدولار والهيمنة الاقتصادية»(٣١) وبحسب محرري الجريدة، فإنه من المحتمل جداً أن يتبع هذه الخطوة بناء القواعد العسكرية، وهو الأمر الذي كانت تنكره الحكومة.

ونشرت الصحيفة على صفحتها الأولى قصة جيمس موفيت (James A. Moffett)، ابن صناعة النفط وحليف مقرب لروزفلت، الذي كان يطالب بإخضاع آيكي للمساءلة بسبب دوره في المشروع الحكومي المقترح لأنابيب النفط الذي وصفه بقوله إنه: «واحد من أكبر الفضائح التي رأيتها في حياتي». وقد استقال موفيت من منصبه كرئيس مجلس إدارة الشركة التوأم لأرامكو، أي شركة نفط البحرين، بسبب إحدى خطط **الصفقة الجديدة** لنيل حصة من سوق النفط. أما صحيفة الـ **نيويورك تايمز** التي كانت منحازة إلى موقفه فقد نادت لإنشاء نظام نفطي جديد مطور بشكل كلي خاضع لإشراف «نوع من لجنة دولية» أو «منظمة عالمية تكون الأمم المتحدة لبها المركزي». أما المواطنون الأمريكيون العاديون فقد طالبوا بسلوك مسار أكثر استقلالاً سيظل مشهوراً لستة عقود قادمة. «لماذا لا تستخدم (أي الحكومة الأمريكية) المبلغ الذي يتراوح ما بين ١٣٥ مليون إلى ١٦٥مليون والمتوقع إنفاقه في السعودية لأجل تمويل تطوير خزائن النفط في السواحل الشمالية والجنوبية لألاسكا؟»(٣٢).

---

(٣٠) "Topics of the Times," *New York Times*, 3/3/1944, p. 14.

(٣١) Editorials, "Oil and the Near East," *New York Times*, 2/2/1944, p. 16, and "American Oil Policy," *New York Times*, 10/3/1944, p. 14.

(٣٢) "Moffett Attacks Arabian Oil Plan, Asks Ickes Ouster," *New York Times*, 2/3/1944; = Editorial, "The Oil Controversy," *New York Times*, 4/3/1944, p. 12; Edwin L. James, "Arabian Oil

وفي الظهران، بدأ ماك كونيل صناعة رده التاريخي لاتهامات من نوع «ليست السعودية إلا فصل جديد من فصول القصة القديمة للإمبريالية اليانكية» أو أن دبلوماسية الدولار («المصطلح المكروه») قد عادت بطريقة غامضة. فقد ناقش خطته مع رئيس أرامكو في سان فرانسيسكو، وبيّن له أنهم بحاجة إلى مواجهة «هذا الفيضان المنشور من الأفكار المغلوطة». ولتحقيق هذه الغاية، قام ماك كونيل بتدوير وثيقة عنوانها «الشراكة مع السعودية»، واخترع فكرة أن أرامكو لم تكن إلا مؤسسة متفانية في عملية التنمية بالتحالف مع الملك عبد العزيز ثاقب الرؤية:

> قام الملك ببناء بلاده طيلة فترة حياته مشكلاً إياها بالسيف المحمول بيمناه الفاضلة. . . . لقد اعتنى بها وأدارها بحزمه وحكمته. . . وهو ليس شيخاً مخادعاً يغزو خلسة وينسحب خلسة. لقد كان في البداية جنرالاً، ثم دبلوماسياً، وأخيراً إدارياً أظهر حساً يقظاً حيال العلاقة بين شعبه الصحراوي ومسيرة العالم من حوله. وبينما كان غيره يتحدث لأجيال عن جزيرة عربية موحدة، قام هو بتحقيق ذلك(٣٣).

وحملة عام ١٩٤٤م نفسها التي قادت ملاك الشركة إلى نحت هوية خاصة لها كانت هي أيضاً ما دفعتهم إلى تغيير اسمها ـ من الشركة العربية الكاليفورنية إلى شركة الزيت العربية الأمريكية، أو أرامكو ـ وتغيير مسمى بلدة كاسوك إلى الحيّ الأمريكي.

اليوم ـ ي (D-day)(*)

في شهر حزيران/ يونيو من عام ١٩٤٤م، تم تعيين موظف مكتب

Argument Serves Signal Purpose," *New York Times*, 19/3/1944, p. E3, and Jane Wyeth Knight, Letter sent to the Times March 1, "Arabian Oil Deal Opposed, Plan to Seek Reserves Abroad Held Move toward Imperialism," *New York Times*, 10/3/1944, p. 14.

(٣٣) انظر مخطوطة:

"The Saudi Arabian Partnership" and the cover letter by Ohliger, 7 October 1944, Folder 12, The Saudi Arabian Partnership by Phil McConnell, Box 28, Letters, Journals, Interviews, Stegner Papers.

(*) في السادس من حزيران/ يونيو من عام ١٩٤٤م حدثت واقعة إنزال النورماندي حيث قام الحلفاء بإنزال الآلاف من الجنود على شريط النورماندي الساحلي شمال فرنسا. سمي هذا اليوم بـ(D-day) والمقصود به بساعة الصفر أو ساعة الحسم.

الخدمات الاستراتيجية الكولونيل وليام ألفريد إيدي سفيراً مفوضاً من أجل الإشراف كما كان يأمل على انتقال السعودية من الحماية البريطانية إلى الشراكة الأمريكية، إلا أنه في ما بعد عندما قام بمراجعة سيرة حياته، وسيعيد إيدي تسمية هذه اللحظة بوصفها بداية «الغزو الأمريكي للشرق الأدنى» والذي اعتبره إتماماً للالتزامات التي قدمت للعرب من قبل المبشرين من جيل آبائه وأجداده.

وبمجرد بدء حملة الشمال الأفريقي بوضع أوزارها انتقل إيدي إلى جدة كمساعد خاص للسفير الأمريكي ليتحول بعدها إلى رئيس للبعثة. وفي عام ١٩٤٦م، غادر جدة إلى واشنطن ليساهم في إعادة تجميع أجزاء مكتب الخدمات الاستراتيجية، وذلك أولاً في وزارة الخارجية، ثم في عام ١٩٤٧م في وكالة الاستخبارات المركزية المؤسسة حديثاً؛ حيث استمر يعمل طيلة ما تبقى من حياته. ومنذ ذلك الوقت، تعامل مؤرخو العلاقات الدولية مع القصة التي اتخذها إيدي غطاء لعمله الاستخباراتي باعتبارها حقيقة، ومفاد هذه القصة أنه استقال من منصبه الحكومي احتجاجاً على خضوع ترومان للصهاينة وانتقل إلى الانضمام إلى أرامكو.

انضمت زوجة إيدي، ماري غارفن إيدي، إلى زوجها في جدة نهاية عام ١٩٤٤م. «لقد بدا كما لو أن كافة السكان البيض وكثيراً من السكان الأصليين كانوا هناك من أجل مشاهدة الطائرة، لقد كانت دوماً حدثاً مهماً في جدة». فهي قد كانت تكتب رسائل بشكل دوري إلى موطنها من الجبهة؛ حيث كان إيدي يخوض معارك مع غريمه البريطاني ستانلي جوردان (Stanley Jordan) وبديله في ما بعد لورنس غرافتي سميث (Laurance Grafftey-Smith). كان السفير البريطاني يقيم حفلات على سطح مقر سفارته، وفي أولى حفلات الرقص التي حضرتها ماري كان هناك ست نساء: «لقد بدا الجميع مستمتعاً، فجميع النساء كن يرتدين ثياب السهرة. أعتقد أنهم يقومون بهذه الحفلات كثيراً هنا كما لو أنهم يحاولون جهدهم عدم التخلي عن تمسكهم بالحضارة»[٣٤]. وافتتح آل إيدي سطح مبنى البعثة الحكومية لإقامة الحفلات لليلة واحدة كل أسبوع ليتيحوا للسعوديين الاختلاط بالجالية الأجنبية الصغيرة ومشاهدة الأفلام

(٣٤) Mary Eddy to Family, 31 October 1944, Folder 13, Correspondence, William A. Eddy, 1944, Box 5, and Mary to Dora, 28 February 1945, Folder 4, Marcy Garvin Eddy, 1945, Box 3, Eddy Papers.

الأمريكية. وعندما توفي روزفلت في نيسان/أبريل من عام ١٩٤٥م، قاموا بعرض وثائقي عن لقاء الرئيس بالملك عبد العزيز قبل وفاة الأول بشهرين عندما كان إيدي مترجماً. وفي الشهر نفسه، سافرت ماري إلى الظهران للمرة الأولى، ففي ذلك الوقت كانت أرامكو تسيّر رحلة أسبوعية عبر المملكة: «لم تكن بلدة النفط في الظهران إلا كقطعة صغيرة من الولايات المتحدة الأمريكية: بيوت بأجهزة تكييف حديثة، حوض سباحة، سينما... إلخ. ست زوجات أمريكيات وصلن وغيرهن كثير في الطريق. قرابة ألف رجل (أمريكي) موظفين هناك وحوالى ١٠ آلاف من العرب، وهذا فقط مجرد بداية لتوسع ضخم»[٣٥].

وبالفعل كان الغزو قد بدأ؛ حيث كان هناك نوع من الانتقال المستمر في الفترة بين ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ من التركيز على موارد النفط في الخليج لدعم الحرب في المحيط الهادي إلى دور النفط السعودي في الاقتصاد العالمي لما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد كانت المسألة الثانية معقدة بعض الشيء كما حذّر من ذلك مكتب الخارجية البريطاني عندما كان يتخيل لنفسه دوراً رئيساً في المملكة بالاشتراك مع الأمريكيين: «يجب علينا أن نتذكر إلى أي درجة هذا البلد غير متطور، كما أنه من المهم أن نمنع أي أثر للأعراق الراقية في الغرب قد يعمل على إفساد العرق العربي وذلك عبر الدفع بتغييره بسرعة خلال مرحلة قصيرة من تاريخه استغرقت في بلدان أخرى قرابة الألف عام»[٣٦].

إلا أن الأمريكيين لم يفكروا كثيراً في الماضي، بل سارعوا إلى فتح قنصلية جديدة في الظهران، وبعثة زراعية شكلية في الخرج كانت تزرع محاصيل لقصور الملك. وبدأ آلاف الرجال وعوائلهم بالهجرة إلى ساحل الأحساء حيث ساعدت الحكومة الأمريكية شركة أرامكو في بناء أول مصفاة رئيسة في المملكة كإجراء ضروري من أجل الحرب. وبمساعدة إيدي، أنهت شركة الهاتف والبرق الدولية[*] احتكار بريطانيا الإمبريالي على قطاع الاتصالات. وعلى الرغم من اعتراض أصحاب المصالح البريطانية، إلا أنه

---

(٣٥) Mary Eddy, 13 April 1954, Folder 4, Mary Garvin Eddy, 1945, Box 3, Eddy Papers.

(٣٦) Eddy to State, 55, 13 January 1945, enclosing document titled "Saudi Arabia," RG 59, 890F.00/1-1345.

(*) شركة الهاتف والبرق الدولية (International Telephone and Telegraph) تأسست في عام ١٩٢٠م في الولايات المتحدة، وتسمى اليوم بآي تي تي (ITT) (المترجم).

في عام ١٩٤٦م تم التعاقد مع طياري شركة خطوط ترانسوورلد(*) ليقودوا طيارات الملك عبد العزيز، وليبدؤوا بتأسيس مؤسسة خطوط محلية. وكما توقعت صحيفة الـ **نيويورك تايمز** في عام ١٩٤٤م، تم توقيع اتفاقية سرية مع الملك وبدأ العمل في آب/أغسطس من عام ١٩٤٥م على تأسيس قاعدة عسكرية في الظهران باعتبارها أيضاً إجراءً ضرورياً للحرب على الرغم من أن الحرب نفسها قد انتهت ولم تعد لدى وزارة الحرب أي حاجة بها.

لقد كان كل من مجرى المحادثات وسرعة البدء ببناء قاعدة جوية منبهاً لتغيّر موازين القوى على جبهة المحيط الهادي مطلع عام ١٩٤٥م. ففي آذار/ مارس، قررت هيئة الأركان المشتركة بأن القاعدة في الظهران كانت ضرورية لأجل الحرب، وبدأت أجهزة الدولة بمحاولة الحصول على موافقة من البيت الأبيض لبدء المفاوضات مع السعوديين. وبعد وفاة روزفلت في نيسان/ أبريل، كان ملف مساعدة السعودية أول شيء وصل إلى مكتب الرئيس ترومان في شهر أيار/مايو، إلا أن وزارتي الخارجية والبحرية كانتا صريحتين بخصوص المعضلة التي كانوا وحلفاءهم في أرامكو يواجهونها: «فالمشكلة هي أنه مع قرب انتهاء الحرب فإن القاعدة بدت أقل أهمية، أو أنها مهمة بمقدار السرعة التي يمكن بناؤها من خلاله». ولأن وزارة الحرب لم تعد تريد تمويل المشروع فقد دفعت بإدراج قضية القاعدة ضمن المفاوضات حول اتفاقية من أجل مساعدات طويلة الأمد كان الملك ينادي بها.

إن تطور تعريف داخلي لوجود مصلحة قومية لقاعدة في الظهران لأمر يستحق التركيز عليه هنا. فالتحديد الجوهري الذي بيّنته مذكرة رئيسة للخطر الرئيس المحدق بحقول النفط «الخاضعة الآن للأمريكيين» هو احتمالية أن «تقرر إحدى القوى الأخرى المنخرطة في الصراع أن تحتل حقول النفط من أجل منع قوة مناهضة لها من أن تفعل ذلك. فمجرد وجود قوة جوية عسكرية أمريكية في الظهران سيساهم من أجل الحفاظ على الكرامة السياسية للمملكة العربية السعودية وصيانة مصالحنا في الحقول النفطية»، إلا أن هذه الصياغة سيتم تغييرها وسيتحول الهدف إلى حماية اتفاقية الامتياز الخاصة بأرامكو:

(*) خطوط ترانسوورلد (Transworld Airlines) شركة خطوط طيران أمريكية تأسست عام ١٩٢٥، واندمجت عام ٢٠٠١ مع شركة أمريكان إيرلاينز (المترجم).

إن استمرار هذا الامتياز بأيدي الأمريكيين سيعمل على ضمان أن نفط السعودية سيتم تطويره تجارياً بأسرع الطرق وأوسعها مدى مما سيؤدي إلى إنتاج الموارد التي ستساهم في تحسين الوضع الاقتصادي للمملكة العربية السعودية، ومن ثم تحقيق استقرارها السياسي. إن إبراز وجود مصالح أمريكية في السعودية غير النفط سيؤدي إلى تعزيز الكرامة السياسية للمملكة العربية السعودية في الخارج، وتهيئة الظروف التي تمكن من البدء بتحقيق توسع مبكر لعملية التنمية المكلفة لامتياز النفط[٣٧].

تم إعطاء الضوء الأخضر لإيدي كي يبدأ التفاوض مع الملك على حقيبة مساعدات شاملة في شهر حزيران/يونيو، ووصل فيصل إلى واشنطن في أواخر شهر تموز/يوليو لاستكمال هذه المحادثات. علم السعوديون أن القروض التنموية التي طلبوها لسكة الحديد وغيرها من الأعمال ستتطلب استحداث هياكل إدارية جديدة لا يمكن العمل عليها إلا بعد نهاية الحرب. ولهذا فقد تقرر أن يعود المسؤولون إلى الحديث عن قضية المساعدات في عام ١٩٤٦م، وحتى ذلك الحين سيتم الاكتفاء بتمديد برنامج الإعارة والتأجير لسنة إضافية. بالمقابل، علم الأمريكيون أن صفقة القاعدة، التي تتضمن تجهيزات سيقوم الأمريكيون بتمويلها وستكون مملوكة للسعوديين ومتاحة لاستخدام القوات الجوية، ستقتصر على فترة ثلاث سنوات بعد الحرب، لهذا كان من الضروري مراجعة الصفقة مرة أخرى. وفي الثامن من آب/أغسطس وافق الملك على وجود قوات أجنبية في الظهران بعد أن تأكد من أن المادة التي تقر بحق منتسبي القاعدة بأن يتمتعوا «بمرافق عادية لترفيه الموظفين وتطويرهم» لا تتضمّن مؤسسات دعارة، إلا أنه بعد أحد عشر يوماً، قررت وزارة الحرب أنه طالما أن هناك «شكوكاً حول الجدوى العسكرية» للقاعدة الجوية، فإن على وزارة الخارجية والبيت الأبيض أن يحصلا على موافقة الكونغرس على هذا الاستخدام غير العادي للمال[٣٨].

---

(٣٧) انظر:

Memorandum from Under Secretary of the Navy to Acting Secretary of State, [n. d.], with attached Memorandum for the President, 26 June 1945, RG 59, 890F.245/6-2645.

(٣٨) Eddy to State, Dispatch 162, 8 August 1945, Signing of Agreement for a United States Military Airbase at Dhahran, RG 59, 890F.248/8-845, and Henderson to Acheson, 29 December 1945, Backgroud on Airport at Dhahran, Saudi Arabia, 890F.248/12-2945.

وعلى الرغم من أن خداع الكونغرس لم يكن عاملاً ضرورياً من أجل الحصول على الموافقة، إلا أن وزارة الخارجية تصرفت كما لو أن الأمر كان كذلك.

كانت الاستراتيجية تتضمن التعتيم قدر الإمكان على حقيقة أن بناء القاعدة لم يبدأ إلا في خريف عام ١٩٤٥م ومحاولة إرجاع التاريخ إلى ١٩٤٤م عندما طرحت فكرة القاعدة أول مرة («تم البدء بالتحضيرات») من قبل هيئة الأركان المشتركة. وتم الاتفاق على تضخيم جهود البريطانيين لإعاقة النقل الجوي الأمريكي العسكري والمدني، وعلى مسألة أنه من المرجّح استمرار بقاء بعض الجنود الصينيين واليابانيين والإيرانيين في المستقبل المنظور. وكذلك تم التشديد على أن أرامكو هي التي كانت تساعد الجيش الأمريكي، وليس العكس، وأن العائدات التي تدفعها للملك تؤدي دوراً جوهرياً في الحفاظ على استقرار المملكة، أما الاستجوابات التي قدمها أعضاء الكونغرس استجابة لشكاوى دوائرهم الانتخابية، فقد تمّ التحايل عليها بخطب ارتجالية تتجنب النقطة الرئيسة. فعلى سبيل المثال، عندما اشتكى جندي بأنه تمّ نقله من القاهرة إلى الظهران في تشرين الأول/ أكتوبر لبناء مطار لمصلحة شركات النفط وخطوط الترانسوورلد، كان الرد: «لا يوجد هناك أي ارتباط بين بناء المطار وحماية مصالح شركة النفط». وهذا على الرغم من أنه، كما رأينا، كان النقيض هو ما تم النص عليه كسياسة لكل من وزارتي الحرب والخارجية في شهر حزيران/ يونيو، فالرسالة التي كان يراد إيصالها إلى الناس هو أن الأمريكيين الذين يعملون في مستعمرة النفط كانوا هم المنتفعين الحقيقيين لا الشركة التي قامت بتوظيفهم[(٣٩)].

وعندما نشرت صحيفة الـ **نيويورك تايمز** خبراً عن السياسة التي تميّز ضد اليهود وتمنعهم من العمل في القاعدة الجوية، وتشكل أول جولة من

---

(٣٩) انظر على سبيل المثال:

State, Division of Near Eastern Affairs, 11 October 1945, "Interest of Representative Philbin in construction of Airfield at Dhahran, Saudi Arabia," RG 59, 890F.248/11-1045, and letter from A. S. Hediger, San Anselmo, CA, to Secretary of State James Byrnes, 10 November 1945, RG 59, 890F.248/11-2645.

جولات الاحتجاجات تبعاً لذلك، لم يكن هناك خيار آخر غير الكذب التام. فما قاله غوردون ميريام (Gordon Merriam) للمحتجين عند وزارة الخارجية عام ١٩٤٥م كان كالآتي: «سيسركم أن تعلموا بأنه لا صحّة للاتهام الذي يزعم أننا نعتمد الجنسية أو الدين كشروط للتوظيف في المشروع». أما عميد معادي السامية في وزارة الخارجية، لوي هندرسون (Loy Henderson)، فقد كان أكثر ثقة في عام ١٩٤٦م عندما قال: «حتى الآن، وبحسب ما تعلمه الوزارة، فإنه لا توجد أي اتفاقية تعتبر فيها جهة من جهات الحكومة طرفاً تمنع توظيف العمّال في السعودية على أساس الجنسية أو العرق». قارن هذه الادعاءات بالإنذار الذي أرسله إيدي إلى واشنطن عندما وبّخه مسؤول سعودي بسبب ترشيحه لمراسل الناشيونال جيوغرافيك كي يحصل على تأشيرة والذي اتضح في ما بعد أنه يهودي؛ فقد طالب بزيادة في الحرص في هذه الأمور وكرر فحوى ما تضمنته رسالة مهمة كانت قد أرسلت في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٤٨م:

لتفادي رفض أي متقدم في المستقبل وفي الوقت نفسه لتحاشي إحراج كل من الأمريكيين اليهود أو غير اليهود الراغبين في الدخول إلى المملكة العربية السعودية، والذين ليس من المفضل أن يكون دينهم موضع استفسار رسمي، فإنه من المستحسن أن يتم إخطار بشكل سري كل الجهات الحكومية المعنية والقطاعات الخاصة المهتمة بأن حكومة المملكة العربية السعودية لا ترحب في الوقت الراهن باليهود على أراضيها[٤٠].

وقد خلق هذا العرف بعض المشاكل لحماته المتحمسين جداً في أرامكو عندما أعيد فتح قنوات الشحن وبدأت حركة المرور خلال الخليج بالتزايد. ففي كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٤٤م، حذر عضو من هيئة العلاقات الحكومية ضابط المحاسبة في سفينة ملاحة تجارية تدعى بيلوز عندما كان ينهي إجراءات دخولها في ميناء رأس تنورة من أنه تحت القانون السعودي فإن اليهود والسود غير مسموح لهم بالدخول. على إثر ذلك تقدم مجلس المنظمات الصناعية بشكوى ضد وزارة الخارجية، وقام المسؤولون

(٤٠) Merriam to Lichter, 28 December 1945, RG 59, 890F.248/11-2645; Henderson to Maslow, [William Maslow, Director, American Jewish Congress], 8 January 1946, RG 59, 890F.4016/1-846, and Eddy to State, Airgram a-33, 19 April 1945, RG 59, 890F.4016/4-1945.

في الظهران بالتحقيق في الأمر، وانتهوا إلى أنه بالطبع لا يوجد مثل هذا القانون، وذلك لأن الحكومة السعودية لا تفضل أن «تُسلط عليها الأضواء» بإرغامها على توضيح سياستها بشكل رسمي تجاه اليهود: «أما في ما يتعلق بالسود فإنه لا يوجد أي موقف تجاههم من أي نوع، وذلك كون كثير من العرب من أصول سوداء»(٤١).

إلا أن فظاظة السعوديين النسبية خلقت عوائق إضافية لأصدقائهم في وزارة الخارجية وأرامكو الذين بدؤوا بوضع فروقات بين الصهاينة السيئين من جهة وبين اليهود الجيدين من جهة أخرى. وقد تتطلب الرياض سنوات حتى بدأت بتقدير هذا التفريق، فإذا تقدم مراسل صحفي في القاهرة بطلب تأشيرة دخول إلى المملكة في عام ١٩٤٦م، فإنه سيقال له ببساطة: إن الشيخ يوسف ياسين، نائب وزير الخارجية: «يرفض التحدث معك لأنك يهودي»، وإذا أصر على طلب التأشيرة «لزيارة حقول النفط الأمريكية»، فإن طلبه سيرفض باختصار: «لا يسمح لليهود بالدخول إلى المملكة العربية السعودية»(٤٢). وفي عام ١٩٤٩م، بيّن مدير عمليات خطوط ترانسوورلد في قاعدة الظهران الجوية، حيث ٩٢ في المئة من الأعمال مسخّرة لأرامكو وما يتعلق بها من الأعمال المدنية و٨ في المئة فقط للقوات الجويّة الأمريكية، صعوبة محددة في إدارة شركة خطوط جويّة تجارية هناك؛ إذ يقول:

> أما بالنسبة إلى اليهود، فاليهودي هو يهودي في أعين السعوديين بغض النظر عن الجواز الذي يحمله. وكما وضح لنا يوسف (ياسين) بطريقة لا تحتمل الظن: السعودية بلد المسلمين المقدسة ولن يسمح لأي يهودي أن يمر عبرها أو يلوثها. وعلى الرغم من أنهم يعرفون أن مثل هذا الموقف صعب على الناقلات الجويّة

---

(٤١) Jack Winocur, president American Communications Association, CIO, to State, 8 May 1945, RG 59, 890F.4016/5-845; Memorandum, Parker Hart to Near East Department, 24 July 1945, RG 59, 890F.4016/7-2445. Hart reported that Sheets of ARAMCO "did in fact discourage inclusion of personnel of the S.S. George Bellows to be presented to Saudi authorities for the purpose of obtaining shore leave. He even ventured the belief that there was a law prohibiting the entry of Jews, and he felt that negroes might be taunted by the Arabs, who had learned the expression "Sambo"".

(٤٢) انظر:

Tuck (Cairo) to State, 854, 16 May 1946, RG 59, 890F.4016/5-1646.

الدولية إلا أنهم لا يأبهون بذلك، فهم لا يريدون لأي يهودي أن تطأ قدمه تراب المملكة، هكذا و«نقطة في آخر السطر!».

لعل القرّاء قد لاحظوا جوانب متعددة من السخرية المبثوثة في الصفحات القليلة الماضية، إلا أن أشدّها وضوحاً، وفي الوقت نفسه أكثرها حزناً، هو أنّ الحلفاء كانوا للتو قد خرجوا من حرب هزموا فيها نظاماً كان عازماً على إبادة يهود أوروبا. وعلى الرغم من أن فظائع ذلك المشروع لا يمكن نكرانها، إلا أن تجار النفط والمستعربين كانوا شديدي الحرص على مراعاة رجعيين من أمثال ياسين حين يقول: «اليهودي هو يهودي». وبالمناسبة، فإن ياسين هذا يعتبر متنوراً مقارنة بالوهابيين المخلصين في نجد. وبعد عشر سنوات، سيدون والاس ستيغنر ملاحظة خاصة حول التحيّز الذي لاحظه في أثناء تجوله في مجمع خطوط نقل النفط في لبنان وفي حقول النفط في المملكة العربية السعودية بين عمال أرامكو الأمريكيين، والسهولة التي يضمّنون فيها محادثاتهم كلمة عربية محددة: «يهودي»[٤٣]. ويجب علينا ألا نتفاجأ بمعاداة السامية هذه داخل الحيّ الأمريكي، وألا نتخيّل أنها ناتجة من كون الملك أجبرهم عليها. وإن لم تقتنع بذلك، وما زلت تعتقد أن مواقف الأمريكيين هذه يمكن تفسيرها بإحالتها إلى الصراع المتعاظم بين اليهود والعرب، فإن الحقيقة لا تزال هناك بأن أرامكو كانت تمنع رسمياً كلاً من اليهود والسود من أن تطأ أقدامهم رأس تنورة، ولم يذكر أحد أن عقيدة تفوق البيض على الملونين كانت نابعة من الاحتلال الصهيوني لفلسطين. وبالمناسبة، فإنه ليس من الواضح متى انضم، هذا إن كان هناك من انضم، أول أمريكي أسود إلى الشركة وحظي بموطئ قدم داخل الحيّ الأمريكي.

تأتي بعد ذلك مسألة الجهود التي بذلتها أرامكو للمرة الأولى، التي لن تكون الأخيرة، لتوضيح الحقيقة، كما كان يتخيلها ماك كونيل، بعد أن قام مناوئو الشركة بالحشد ضد تكسّب الشركة من الحكومة وضد الخطوات الأولى التي اتخذتها الولايات المتحدة لتوسيع نفوذها في جزيرة العرب. تضمنت هذه الجهود حجتين متمايزتين عن بعضهما: **الأولى** تتعلق بما كانت

(٤٣) انظر:

Typed Notes, entry for 7 November 1955, Folder 11, Notes for Book, Box 27, Stegner Papers.

الشركة تقوم به لمساعدة الملك وبلاده (ولماذا كان هذا الملك ـ المستبد الذي كان يملك العبيد ـ يستحق الدعم الأمريكي). أما الثانية فكانت تدور حول الفوائد التي سيجنيها الشعب الأمريكي من عمل الشركة هناك. لنتناول كلاً من هاتين الحجتين على حدة.

كل الادعاءات التي قامت أرامكو بنشرها في دعواها المبالغ فيها عن مساعدة المملكة ستتلاشى بسرعة عند قراءة وثائق الأرشيف قراءة متأنية ونقلها بشكل دقيق. فعلى الرغم من أن المزارع النموذجية كانت عبارة عن كوارث، إلا أن أرامكو لم يكن لها دور كبير في تأسيسها ولا في إدارتها. ولعل مؤرخي المستقبل سيتناولونها باعتبارها حكاية إشراف رشيد للشركة على موارد ناضبة، وذلك حتى قبل أن تقوم الحكومة الأمريكية بإلغاء دعم عقارات الملك الخاصة. أما سكة الحديد الصغيرة التي دفعت لأجلها الشركة فقد كانت لخدمة عمليات النقل الخاصة بها من الميناء إلى الحقول؛ فقد كانت عبارة عن كلفة ضرورية لعملية الإنتاج، مثله في ذلك كمثل المصفاة (والتي كانت قد أملت في أن تقوم الحكومة الأمريكية بالدفع لها)، وأعمال المرسى وغيرها من الأعمال. فشركات التعدين عادة كانت تبني مثل هذه الأشياء كجزء من عملية استخراج المعادن وجلبها للسوق من دون أن تدعي ـ على الأقل إلى ما قبل عام ١٩١٠ عندما اندلعت الثورة في المكسيك ـ أنها كانت تقوم بذلك من أجل الشعب. أما سكة الحديد الكبرى التي أصر الملك على تنفيذها على الرغم من توصية أرامكو بعدم القيام بذلك فقد كانت واحدة من بين عدة مشاريع تمت إحالتها إلى شركة بَكتل وغيرها من الشركات، إلا أن الفضل فيه نسب إلى أرامكو بسبب حملاتها الدعائية التي كانت في بداياتها آنذاك. أما الخدمات التي قامت بها لآل سعود من تركيب مضخات في الخرج، وتمديد أسلاك كهربائية في القصور، وتحديد الحدود، وتوظيف طباخين، وغيرها كثير فقد كانت تتقاضى أجراً مقابلها من العائدات المستقبلية للنفط، إلا أنها عندما بدأت دعايتها بدأت تصف بعض هذه الأعمال بأنها كانت خيرية (في حين قامت بإخفاء البقية في الوقت نفسه).

وأكثر الحجج إثارة هي تلك التي تقول: إن كل هذه الأعمال الخيرية التي أشبه ما تكون بأعمال الكنائس التبشيرية الخيرية تمت «من دون أي تكاليف على الشعب الأمريكي». إلا أن ملّاك أرامكو حمّلوا الحكومة

الأمريكية مسؤولية ٢٠ مليون دولار (ما يقارب الـ١٩٠ مليون دولار في أيامنا هذه) التي كان الملك سيستدينها من الشركة على أن يسدّدها بعد أن تتم إعادة الإنتاج مجدداً. ولو دفعت أرامكو قيمة هذه السلفة لاعتبرناه كلفة إضافية لتفادي المخاطر؛ إذ إن الشركات كما نصادفها في الكتب المدرسية بحكم التعريف تفترض وجود مخاطر، إلا أن الشركات في العالم الحقيقي تفضل الاعتماد على أموال الحكومات عوضاً عن أن تواجه مخاطرها بنفسها. فخلال فترة الحرب، قرر ملّاك الشركة المخاطرة بكل ما يملكون. فالسعر الذي وضعوه من أجل بيع جزء من الشركة للحكومة قبل أن تنهار مفاوضاتهم مع آيكي ـ وهذا الجزء من القصة لا نملك إلماماً شاملاً مرضياً عنه حتى الآن ـ كان سيعني تعويضاً عن تكاليف العقد السابق من الاستثمار كافة. وكذلك فشلت محاولتهم في المراهنة على الدولة التي رفعت شعار **الصفقة الجديدة** من أجل أن تدفع لهم تكاليف مصفاة رأس تنورة أو خطوط التابلاين، وحده مطار الظهران الذي بدا كأنه جائزة ترضية.

ولأكرر هذه النقطة مرة أخرى، ففي الديمقراطية كل هذه الخدمات يجب أن يتم التعبير عنها ضمن حجج تتناول منافع تتعلق بـ«الأمة»، أو «الشعب»، أو «المصلحة القومية». ومن بين هذه الخيارات، اختار الملّاك وحلفاؤهم اثنين. فأما **الأول** فقد كان فكرة أنه في ظل غياب موقف حازم من روزفلت، فإن الحكومة البريطانية، على الرغم من كونها تقاتل دون بقائها ضدّ الألمان والمعتمدة على الدعم الحيوي من الولايات المتحدة، إلا أنها تحاول الاستيلاء على امتياز النفط. أما **الثاني** فقد كان يقول: إن نفط الولايات المتحدة الأمريكية، التي كانت أكبر منتج نفط في العالم وكانت تصدر منه ما يشبع نصف حاجات العالم، كان يتجه بسرعة نحو النفاد. وهذه الحجة نفسها تم استخدامها في نهاية الحرب العالمية الأولى عندما بدأت أكبر وأكثر شركات النفط الأمريكية نفوذاً بالتنقيب خارج البلاد. فكانت الحجة تمضي بهذا الشكل: إن أمريكا بحاجة إلى الحفاظ على مخزوناتها المحلية المحدودة تحسباً لحرب أخرى، وبالتالي فإن عليها أن تقوم بكل ما تستطيع أن تقوم به من أجل جلب المصادر الأجنبية إلى السوق، التي لن تكون إلا ذلك المستودع الضخم في الخليج الذي تسيطر أرامكو على امتيازه، إلا أن المعارضين من دون الحاجة إلى تأكيد ذلك قد قاموا برفض كلتا الحجتين.

ونظراً إلى كون الولايات المتحدة لم تمول بناء مصفاة النفط وخطوط النقل، فإنه كان لزاماً على أرامكو أن تقوم برفع قيمة رأسمالها حتى تستطيع القيام بذلك بنفسها، كما أننا لا نستطيع أن نقول: إن الحجة التي تقول: إن البريطانيين كانوا يخططون للاستيلاء على النفط «الخاص بنا» خاطئة، على الرغم من أنه حتى الآن لم يعثر أحد على أي دليل يبين أن مثل هذه الخطط كانت موجودة(٤٤)، ومنذ أن قبلت إدارة روزفلت بتحدي تمويل وتسليح آل سعود، فإن المرء سيجد في أرشيفات مكتب الشؤون الخارجية صفاً طويلاً من الأوراق تركه مسؤولون بريطانيون غاضبون كانت آراؤهم حول «الهيمنة الاقتصادية» الأمريكية لا تختلف كثيراً عن تلك التي كانت تنشر على صفحات الـ **نيويورك تايمز** في اللحظة نفسها. وفي إحدى المرّات، ترجّى غريم الكولونيل إيدي في جدة السفير البريطاني لورنس غرافتي سميث حكومته في لندن ألا تستسلم للنفوذ الأمريكي. فقد قال: «هذه ليست بنما أو سان سلفادور»(٤٥) فالنقطة التي كان يشير إليها أن الهيمنة الأمريكية تتنامى بسرعة هائلة في الاتجاه نفسه الذي نمت فيه في تلك الدول. وكما رأينا مسبقاً، حاول ماك كونيل أن ينفي ذلك (خصوصاً ذلك «المصطلح الكريه» دبلوماسية الدولار)، إلا أن منطقه لم يكن مقنعاً. فقبل الحرب العالمية الأولى كانت إدارة الرئيس تافت (Taft) قد ضغطت باتجاه تنمية رتيبة للأمم الأجنبية عبر آليات رأس المال الخاص، وشركات التعدين وغيرها من منتجي المواد الخام، والبنوك، والمرافق العامة، وذلك عوضاً عن جيوش الاحتلال على النمط الاستعماري، أو هكذا كانت النظرية على الأقل. وأفضل دليل على الاستمرارية بين العهدين لن نجده في تصرفات الدولة بقدر ما سنجده في تصرفات الشركات، وهو سيكون بارزاً في مخططات المخيمات ومناطق القنوات المائية، وكذلك في تنظيم أنماط الحياة والعمل داخل حقول النفط.

---

(٤٤) The best work to date is Simon Davis, "Keeping the Americans in Line: Britain, The United States, and Saudi Arabia, 1939-1945: Inter-Allied Rivalry in the Middle East Revisited," *Diplomacy and Statecraft*, vol. 8, no. 1 (March 1997), pp. 96-136.

(٤٥) Wm. Roger Louis, *The British Empire in the Middle East, 1945-1951: Arab Nationalism, the United States, and Postwar Imperialism* (New York: Oxford University Press, 1984), p. 191.

التخم يقفل

أنهى والاس ستيغنر تاريخه عن روّاد أرامكو بفصل عن سنوات الحرب الأخيرة عنونه بـ«التخم تقفل»، وفيه يقول: «إن الضلوع الأمريكي في كل من الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية للشرق الأوسط سينمو بشكل أكثر عمقاً، وأكثر تعقيداً، وأكثر جديّة... إلا أن هذه قصة أخرى. أما هذه فهي باختصار قصة تخم، وعودة سبع من الزوجات اللاتي رحلن بسبب الحرب إلى الظهران... في شباط/فبراير من عام ١٩٤٥، سيكون تاريخاً مناسباً لإعلان انتهائها».

كان ستيغنر ينظر إلى الماضي من الظهران التي زارها عام ١٩٥٥، وكذلك من بالو ألتو في عام ١٩٥٦م؛ حيث عمل بسرعة على إنهاء الكتاب في ثلاثة عشر أسبوعاً، ولهذا السبب كان لجوؤه إلى هذا المقطع من أساطير الغرب الأمريكي لإنهاء تاريخه مفيداً جداً إن لم يكن مطابقاً، فأرامكو لم تكن تريد أن تناقش سياسات ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ وسنعرف قريباً لماذا ـ كما أنه كان على ستيغنر أن يكتب الكتاب بسرعة، فهو في النهاية محكوم بعقد. ففي عام ١٩٤٥م الذي اختاره، كان لا يزال المحارب الحكيم والمتطلع للمستقبل الملك عبد العزيز حيّاً وإن كان منهكاً بعض الشيء، كما أن قناة السويس لم تزل بأيدٍ أجنبية، ولم تولد الناصرية بعد في مصر. كما أنه كان هناك عقد من الزمان يفصل بين هذه السنة وبين بدء الراديكاليين العرب في كل من القاهرة وبغداد وبيروت والظهران بقيادة عمليات إخضاع شركات النفط الأجنبية، متبعين خطى من سبقهم في هذا الميدان من مكسيكيين وإيرانيين وفنزويليين. وبلا شك، فإن ستيغنر كان يشارك أولئك الذين اعتبروا أنفسهم روّاداً، أي عصابة المئة رجل التي كان فِل ماك كونيل زعيمها، معاقرة زجاجات الرومانسية والحنين للماضي المعتّقة. وقد تلقى ستيغنر لقاء عمله هذا مبلغاً مجزياً، لهذا، قرر إنهاء كتابه بنخب؛ حيث كتب: «لقد كانوا يبنون شيئاً جديداً في تاريخ العالم: ليست إمبراطورية صنعت لتوفير الغنائم للقوة الغازية، بل دولة حديثة يستطيع فيها كل من الأمريكي والعربي أن يعملوا معاً ضمن عقد عادل، وأن يتشاركوا الإنتاج، وأن يجنوا بواسطة تشاركهم الأرباح معاً» إلا أنه كان يعلم بشكل قاطع ـ لأنه كان مكتوباً في يوميات ماك كونيل التي اطّلع عليها ـ أنه بعد أشهر قليلة فقط ـ أي في شهر تموز/يوليو من عام ١٩٤٥م ـ انتفض هؤلاء الشركاء العرب ضد الظروف البائسة التي وفرت لهم.

الفصل الرابع

دهاة الظهران

لكن علينا المضي قدماً في رحلتنا. وهذه الأرض التي نقطعها بمجرد خروجنا من أتلانتا هي الأرض القديمة لأهالي الشيروكي، وهم تلك الأمة الهندية الشجاعة التي كافحت طويلاً من أجل موطنها حتى قادهم كل من القدر وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الرحيل إلى ما وراء نهر الميسيسيبي. وإن كنت تريد السفر معي فعليك ركوب «سيارة الجيم كرو». ويجب ألا يكون هناك أي اعتراض؛ إذ إنه كما ترى يوجد فيها أربعة رجال بيض وفتاة بيضاء صغيرة مع ممرضتها. عادة ما تكون الأعراق مختلطة فيها، إلا أن كل من على الأريكة البيضاء هم من البيض. وبالتأكيد إن هذه السيارة ليست بجودة الأخرى، إلا أنها نظيفة ومريحة بشكل معقول. فالضيق يقع بشكل رئيس في قلوب أولئك الرجال السود الأربعة هناك... وفي قلبي أنا أيضاً.

دبليو.إي.بي.دو بوا، «أرواح السود»

معضلة أمريكية

في مطلع شهر كانون الثاني/يناير من عام ١٩٤٤م، اجتمع مديرو أرامكو الكبار في الظهران ـ الذي كان من بينهم بِل إلِيْست ووليام بورلي وروي ليبكيشر وفلويد أوهليجر، مع نائب الرئيس جيمس تيري ديوس، والذي بدوره كان قد وصل من واشنطن ـ على مدار عدة أيام من أجل إعداد سياسة للتعامل مع تدفق العمالة والتجهيزات للمصفاة الجديدة في رأس تنورة. ذلك أن التوترات بدأت تتزايد داخل الحي الأمريكي، فالسكن لم يكن متوفراً لكل الموظفين الجدد، بالإضافة إلى ذلك: «بدأ موضوع زوجات الموظفين يتحول إلى واحد من أكبر مشاكل الموظفين في الحيّ»، فالفريق الأمريكية الرئيسة التي بقيت في الظهران إبان الحرب، أي فريق «المئة رجل»، تضخمت بشكل متسارع ليصل تعدادها إلى حدود الألف، وهم الآن

يفتقدون زوجاتهم ويواجهون في الوقت نفسه احتمالية إتاحة مجال لفرق الإنشاء أن يشاركوهم السكن في بيوتهم الضيقة. فقد احتال الموظفون على القادمين الجدد بخصوص توقيت وصول زوجاتهم إلى الظهران؛ إذ لم يستغرق الأمر شهرين فقط كما قالوا، بل عامين أو أكثر. في هذه الأثناء، وخارج أسوار الحيّ، بدأ العمال العرب بتحمل مسؤوليتهم بأنفسهم وأسكنوا عيالهم في المساحات الممتدة شمال شرق الحيّ السعودي في مكان أطلقوا عليه اسم النهدين[1]. **وليس مستغرباً، إذاً أن أَطْوَلَ النقاشات وأكثرها حسماً بين المخططين كان متعلقاً بعدم المساواة في التعامل مع السعوديين وباقي العمال غير الأمريكيين.**

ويبدو أنه قد قدّر لروي ليبكيشر، الذي قدم إلى الظهران رئيساً لمنظمة العلاقات الحكومية، أن يتم تذكّره باعتباره أول من ساءل، وإن بشكل متردد، عدم المساواة التي كانت تنظم علاقات العمل عليها، ففي اجتماع الخامس من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٤٤م كان قد عارض أولئك الذين كانوا يريدون ترحيل مستوطني حي النهدين إلى مكان مثل الثقبة والذي كان مكاناً مقفراً على بعد أميال من الحي الأمريكي. وعوضاً عن هذا المقترح، فقد كان رأيه أن على الشركة أن تخطط من أجل توطين العرب بشكل دائم في الظهران؛ إذ قال: «إذا كانت فكرة بلدة عربية في رأس تنورة مقبولة، فكذلك يجب أن تكون الفكرة نفسها مقبولة أيضاً في منطقة الظهران»، إلا أن المشكلة في الحي السعودي تمثلت في أن أكواخه المصنوعة من سعف النخيل لا يمكن أن تستوعب العمال الجدد، وفي أن الأسر العربية كانت ممنوعة من العيش مع الرجال داخل الحي، وكذلك في أن أغلب العمال كانوا شديدي الفقر بحيث ليس لديهم القدرة على استئجار سكن في مكان قريب. ولهذا، فقد كانت النقطة التي نادى بها ليبكيشر محورية؛ حيث قال: «بمجرد أن نبدأ بتوفير سكن مجاني فإننا سنواجَه يوماً ما بسؤال عن سبب تزويدنا الأمريكيين بمساكن مجانية مرفهة وعدم القيام بالأمر نفسه للعرب». فقد وافق ديوس في أن للعمال العرب حقاً مماثلاً للأمريكيين في السكن مع عيالهم، ولهذا اقترح ليبكيشر تغييراً في توجه سياسة الإسكان: «إن أفضل طريقة لتفادي هذه

(١) ARAMCO, Planning Committee, Minutes of Planning Committee, Meetings of 4 and 5 January 1944, Untitled File, Box 3, McConnell Papers.

المشكلة تتمثّل في إيقاف سياسة الإسكان المجاني واستبدالها بأخرى تجعل السكن مبنياً على أساس طبيعي، أي إن على الجميع أن يدفع مقابل السكن، وأن يكون نوع السكن معتمداً على الدخل عوضاً عن الجنسية».

إلا أن ليبكيشر على ما يبدو كان قد ذهب بعيداً في اقتراحه، فتوجب على رفاقه سحبه إلى الوراء مذكرين إياه بالعوائق الكثيرة الموجودة في نظام الإسكان الحالي التي ستواجه أي تعديل كبير مثل الذي اقترحه، فشركة النفط البريطانية كانت قد حاولت بناء مساكن للموظفين من أهالي البلاد كبديل للمخيمات البدائية، إلا أن التكاليف كانت باهظة، كما إنه إن كان للموظفين العرب المحليين الحق في العيش مع أهاليهم، فإن على الشركة كذلك أن تدفع وأن تتكفل بإسكان عِيال موظفيها من ذوي المهارات العالية من الهنود والحجازيين («وهي نقطة كان الهنود يثيرونها منذ فترة»).

وقد كان هناك مشاكل أخرى ملحة بقيت «معلقة للسنتين أو الثلاث سنوات الماضية» وهي الآن تتطلب بعض الاهتمام: **أولاها**: مستشفى لائق للعرب. أما **الثانية**: والتي ستكون موضع تركيز هذا الفصل، فقد كانت البدء ببرامج التعليم والتدريب التي وعد بها في اتفاق الامتياز الأصلي عام ١٩٣٣م وتكرر ذكرها في قانون العمل لعام ١٩٤٢م الذي كان أول تشريع رئيس صمم لتأمين الحد الأدنى من المعايير في صناعة النفط الذي تجاهله الأمريكيون، فعمق التزام أرامكو بالهرمية لم تدع لليبكيشر أي جواب عن السؤال الذي طرح حول اقتراحه في توطين العمال العرب وعيالهم بقرب الحي الأمريكي: «إذا قمنا ببناء مدينة عربية حديثة بكل تجهيزاتها مكان الحيّ السعودي فإننا سنواجه مشكلة رغبة الموظفين المقيمين في الدمام والخبر بالانتقال إلى هذه المدينة».

يجب أن نكون هنا أكثر وضوحاً بخصوص المسافة التي يستطيع رجل متنوّر نسبياً كليبكيشر قطعها. ذلك أن المسألة الوحيدة التي لم يكن حولها أي خلاف، ولم يعترض عليها أو حتى يشكك بها أحد، كانت حول عدم السماح لأي عربي مهما كان مستوى مهارته ومنصبه بالسكن في الحي الأمريكي: «إن استقدام المصريين والإيرانيين والسوريين كمدرسين يطرح قضية ترجيح انتماء هؤلاء الأشخاص إلى مستوى اجتماعي راقٍ معين، وهذا

الأمر قد يجعلهم غير راغبين بالسكن في حي الموظفين، وهذا الأمر غير مرغوب فيه ويجب تفاديه بأي ثمن».

في نهاية الأمر، لم يُتخذ إلا قرار واحد، أو على الأقل هذا الذي تمّ تسجيله في محاضر الاجتماع، فقد طلب ديوس رسم مخطط لبناء أكواخ من سعف النخيل للعمال القاطنين في حي النهدين وذلك «لأجل التخلّص من هذه «النظرة الحادة» تجاه معاملتنا «لموظفينا غير الدائمين». وبعد عدة شهور، بدأت أرامكو بتوظيف نساء أمريكيات عُزاب لأعمال السكرتاريا، وهو الحل الذي اعتمده ديوس والآخرون لـ«مشكلة الأعمال المكتبية»، التي يقصدون بها العمال «ذوي الكفاءة العالية من حجازيين وسوريين وعراقيين وغيرهم»، والذين يعتبرون «من أشد الموظفين لدينا إزعاجاً وافتعالاً للمشاكل». وما يقصده ديوس بافتعال المشاكل هنا هو الميل إلى التحريض من أجل المساواة مع الأمريكيين، إلا أنه في نهاية الأمر، وبعد إضرابات عام ١٩٤٥م وعام ١٩٤٧م، قامت هذه «الفتيات الأمريكيات» بتعقيد ما اعتبر تعديلاً طفيفاً أمرت به الإدارة الرئيسة وهو إعادة تسمية الحي الأمريكي «مخيم كبار الموظفين»، والحي الهندي «المخيم المتوسط»، في حين سيسمى المخيم السعودي «المخيم العام»، بحيث يبدو الأمر كما لو أن مكان المعيشة ودرجة رفاهيتها مرتبطان بالكفاءة والمهارة وليس بالعرق، إلا أنّ النساء البيض المتوسطات المهارة، اللاتي عشن في مخيم كبار الموظفين في مبنى (رقمه ١٢٢٥) وكان يسمى «الميدان المقدس»، كن على ما يبدو استثناء.

وكانت هناك استراتيجية أخرى للتخفيف من حدة افتعال المشاكل على المدى القصير، هذه الاستراتيجية لم تتمّ مناقشتها في الاجتماع التخطيطي في شهر كانون الثاني/يناير، بل تم اعتمادها في شتاء عام ١٩٤٤م عندما استقدمت أرامكو ١٧٠٠ عامل إيطالي من أريتريا. وحول هذا الموضوع، يزودنا دفتر يوميات فِل ماك كونيل بتفاصيل مهمة. فكما دوّن في شهر تشرين الثاني/نوفمبر، فإن المفاوضات مع السلطات السعودية على شروط استقدام الإيطاليين كانت ستعتبر معقدة لولا وجود فرضية أن الإيطاليين سيتعايشون مع الأمر كما فعلوا ذلك في إريتريا عندما بدؤوا بشغل مهام متعددة غير مهمتهم الرئيسة كبنائين مهرة: «سيستقدمون أطباء، وأطباء أسنان، وممرضين، وطباخين، وأساكفة، وحلاقين... إلخ، كما أن مشكلة استقدام الزوجات

ستأتي أيضاً لكنها ما زالت معلقة، فنحن نودّ أن نوظفهم لدينا كي ينظفوا طاولات الطعام، ويعملوا كنادلين، وكتبة. . . إلخ. كما أن هذه المجموعات ستحتاج إلى آلات موسيقية وأفلام، وهو الأمر الذي سيستغرق مفاوضات طويلة مع الحكومة السعودية»[٢]. أما الجزء الحساس فقد تمثّل في احتواء الاعتراضات التي قد تنشأ في ما لو ثبت أن التفاوت بين العرقين ـ الإيطالي والعربي ـ كان ظالماً بشكل فاضح، إلا أنه كان واضحاً أن امتيازات من نوع ما كان قد تم التفكير فيها.

وبعد شهر، كتب ماك كونيل بأن الأمور تغيرت: «سيتم التعامل معهم بشكل مختلف، فنحن لا نستطيع أن نعاملهم بأي طريقة تميزهم عن معاملتنا للعرب، خصوصاً وأن الأخيرين قد احتجوا لدى الشيخ عبد الله السليمان بأننا نقوم بتوظيف أشخاص يأخذون الأماكن المخصصة لهم». وقد كان المحتجون على حق فعلاً، فقد كانت هذه هي المسألة، ويستمر ماك كونيل في حديثه الذي لا نملك إلا أن نكون مدينين له:

> سمح الملك للإيطاليين بالدخول على الرغم من اقتناعه بعدم صحة هذا القرار، وسيقوم بطردهم في اليوم التالي لو تنامى إلى علمه بأنهم يتحصلون على غذاء أو أوضاع معيشية أفضل من شعبه. ولهذا، يجب أن يكون الطعام بسيطاً **والسكن فقيراً**. فقد قررنا استبدال الأدوار بخيم الموظفين العرب المهرة، وبعدها سنستبدلها بخيم الإيطاليين، وعلينا أيضاً ألا نشجع، بل أن نمنع الأمريكيين من زيارة الإيطاليين؛ إذ سيبدأ الأمريكيون بالشعور بالأسى من أجل الإيطاليين وسيبدؤون بإعطائهم بعض المؤن. علينا ألا نسمح بذلك. أحد أولى المتطلبات لذلك هو سياج عالٍ يفصل بين الإيطاليين والعرب والأمريكيين. في ما بعد، سنحاول وبحذر دمجهم مع العرب، وذلك بشكل يعتمد على مدى تلاؤم العرقيْن، فالعرب لم ينسوا بعد الفظائع التي ارتكبها الإيطاليون عبر البحر الأحمر في إريتريا[٣].

---

(٢) McConnell, Diary, Entry dated 29 November 1944, Box 3, McConnell Papers. The wording here is a close but not exact transcription.

(٣) McConnell Diary, Entry dated 29 December 1944, Box 3, McConnell Papers (emphasis mine). Again, wording is close but not exact.

في هذه الفقرة نجد أن تصوّر المديرين للمشكلة التي تواجههم - أي ردة الفعل القاسية المتوقعة من الملك في حال معرفته بوجود نوع من انعدام المساواة - يختلف تماماً عما سيصر فيه عملاء أرامكو بعد ذلك بفترة قصيرة على العمال والسماسرة الفضوليين. ذلك أنهم سيدّعون بأن أيديهم مقيدة باتفاقية صريحة مع الملك عبد العزيز تمنع تحسين ظروف أي مجموعة من العمال (سوى الأمريكيين!) في حين أن شعبه سيجبر على أن يدبّر حياته من دون، على سبيل المثال، مياه غسيل، أو مصابيح إنارة كهربائية، أو أراضٍ مرصوفة، أو لقمة نظيفة، أو ماء وغيرها من الأمور. ولعل بعضهم قد صدّق فعلاً بوجود اتفاق غريب من هذا النوع، إلا أنه من الصعب تصديق أن خيار الأمريكيين في معاملة الجميع بظلم متساوٍ - «يجب أن يكون الطعام بسيطاً والسكن فقيراً» - يمكن أن يكون أمراً يقبل به أي مسؤول حكومي باعتباره الطريق الفضلى لتحقيق مبدأ المعاملة العادلة للسعوديين المحليين. وردة الفعل التي تسببت بها احتجاجات العمال كما سنرى في ما بعد تؤكد شكوكنا. ومع حلول عام ١٩٤٧م، وصلت القنصلية الأمريكية إلى النتيجة نفسها.

كما أن الشركة قد بدأت بترديد، إذا أردنا الحديث بشكل صريح، كذبة أخرى في هذا الوقت نفسه، فالمديرون أصروا على أن القانون السعودي يجعل من تنظيم النقابات عملاً غير قانوني، وقد قاموا بذلك بالقناعة نفسها التي كان يحملها رجل العلاقات الحكومية على متن سفينة الملاحة **بيلوز** (SS Bellows) الذي أعلن بأن القانون يمنع الزنوج واليهود من دخول السعودية. وسيردد مسؤولون متنوعون من السفارة الأمريكية هذه الدعوى المتعلقة بكون النقابات ممنوعة في مكاتباتهم عن إضرابات أربعينيات القرن العشرين(٤). بعد عقد من الزمن، فكّر شخص ما في الظهران في التفتيش عن هذه المادة القانونية موضع التساؤل، وهو الأمر الذي قاده في النهاية إلى إرسال برقية إلى واشنطن أخبر فيها بأنه في الحقيقة «لا يوجد أي أسس معروفة لهذا الاعتقاد»(٥).

---

(٤) The myth began with the very first strike. In the postmortem to Washington, the consulate wrote "Labor organizations and strikes are against the law in Saudi Arabia". See Dhahran to State, 5, 30 August 1945, RG 59, 890F.5045/8-945.

(٥) Department of State Instruction, No. CA-3384, 29 December 1953, "Comment on the =

لم يحدث أول إضراب للعمال في تاريخ المملكة العربية السعودية في الظهران بل في الرياض، ولم يكن له أي علاقة بأرامكو. ففي بداية شهر رمضان (الموافق لأيلول/سبتمبر) من عام ١٩٤٢م، تجمع حوالى ألفي رجل كانوا منخرطين في أعمال شاقة لصالح الدولة في موقع بناء قرب قصر الشمسية(*) في مظاهرة حاشدة مطالبين بيوم عمل أقصر. وهذا لأنهم كانوا يعملون ما بين عشر ساعات إلى إحدى عشرة ساعة في اليوم وهم صيام. وبسبب عجرفتهم، ضُرب قرابة ٢٥ من قادة المظاهرة في مكان التظاهر نفسه وتم سجنهم لمدة عام[٦]. أما الإضراب الثاني، فقد قاده حفارون سعوديون مهرة من عمّال شركة أرامكو.

ليس هناك شك في أن ظروف العمل في المخيمات أواخر عام ١٩٤٤م وأوائل عام ١٩٤٥ كانت قاسية. فالقدرة التخطيطية لبارغر ومن معه في الميدان لم تكن تتحمل كلاً من تدفق العمال من أجل بناء المصفاة الجديدة في رأس تنورة من جهة، والرغبة في إعادة الحقول إلى الإنتاج من جهة أخرى. فكما ذكرنا سابقاً، تم جلب عمال البناء الإيطاليين من إريتريا، والهنود من الخليج وما وراءه، والآلاف غيرهم من العمال المهرة وغير المهرة من الأحساء والبصرة والبحرين، ومجموعة من الأشخاص الصارمين ذوي جِدَّةٍ في الطباع من الولايات المتحدة الأمريكية. هؤلاء الرجال (وفي حالة الأمريكيين فقط نستطيع الحديث أيضاً عن نساء وعِيال) عاشوا في أحياء مفصولة بشكل صارم على أساس عنصري، وإن كنا الآن غالباً ما سندعو هذه الأقسام «جنسيات» أو «إثنيات»، فالإيطاليون كانوا يعيشون مفصولين عن أولئك الذين ينتمون إلى جنوب آسيا. وفي ما بعد، سيتم وضع

October-November 1953 Strike at the Arabian American Oil Company Installations in Saudi Arabia," = section titled "The Legal-Roots of-the Strike Itself," 10, RG 59, 886A.062/12-2953.

(*) قصر الشمسية هو أحد القصور الملكية في الرياض، الذي كانت تعيش فيه الأميرة نورة بنت عبد الرحمن أخت الملك عبد العزيز والتي سميت باسمها جامعة الأميرة نورة (المترجم).

(٦) We have a record of the incident because as a result the government pressed ARAMCO unsuccessfully to reduce the working day for the rest of Ramadan from seven and a half to six hours. See Memorandum, Barger to Davis, Labor Strike at Riyadh, 26 September 1942, Folder 2, Correspondence, Tom Barger, 1957-1958, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers.

الفلسطينيين والمصريين في الأحياء الخاصة بالجنوب آسيويين، أما السعوديون، فقد ظلوا مفصولين عن الجميع. وأرجو أن يكون واضحاً أن ظروف المعيشة في هذه الأحياء يزداد سوءاً كلما نزلت السلم من القمة التي يتربع عليها البيض في بيوتهم المصممة على طراز بيوت رعاة البقر وأحواض السباحة ودور السينما وما إلى ذلك، يأتي بعدهم الإيطاليون؛ حيث يتمتعون بظروف مشابهة للبيض ولكن بوسائل ترفيه أقل، ثم بعد ذلك الهنود الذين يعيشون في ما يسميه بعضهم «**حي الخدم**»، وأخيراً تأتي ظروف المعيشة المزرية في **الحي السعودي**.

ومع ذلك، كان الأمريكيون في بادئ الأمر يكرهون الحياة في الظهران مثلهم في ذلك مثل العرب الذين بالمناسبة كان بعضهم يتمتع بتعليم أفضل من أولئك الأمريكيين القادمين من ولاية أوكلاهوما الذين هربوا عائدين إلى بيروت بعد محاولتهم العمل لدى الشركة. فمن بين ما مجموعه ٥٦٥ موظفاً أمريكياً جديداً وصلوا إلى الظهران في الفترة ما بين الأول من حزيران/يونيو من عام ١٩٤٤م والأول من حزيران/يونيو من عام ١٩٤٥م تم طرد ١٥٠ موظفاً في حين أن ١٢٤ غيرهم استقالوا قبل إكمال عقدهم الأول ذي الثلاثين شهراً[٧].

اندلع أول إضراب للعمال، وكان على ما يبدو عفوياً في أرامكو في حوالى الحادي عشر من شهر حزيران/يونيو من عام ١٩٤٥م، عندما قام المئات من عمّال مصفاة رأس تنورة بأعمال شغب بعد أن قدّمت لهم حصصهم التموينية من الطعام، ذلك أن الشركة كانت قد وعدتهم بالقمح والأرز والطحين، إلا أنهم لم يتسلموا إلا الأرز. أما السبب الآخر لأعمال الشغب فقد كان سوء المعاملة من قبل رجال أمن الشركة الذين كانوا يفتشون عمال المصفاة في أثناء خروجهم منها. انخرط الرجال في مسيرة جماعية على المرفأ محطمين أنوار السيارات الأمامية، وعند لحظة معينة قاموا برمي

(٧) انظر:

J. B. McComb [Superviser,-Employee Relations Department, ARAMCO] to State, 10 August 1945, RG 59, 890F.504/8-1045. We have the data because of an inquiry to Washington seeking assurances that the company would not be in violation of government regulations by forcing these employees to pay their own ways home. See as well, Phil McConnell, Journal, entry for 2 April 1945, Box 3, McConnell Papers.

موظف أمريكي بالحجارة صادف أن كان في طريقهم. كتب ماك كونيل عن أعمال الشغب هذه في كراسته؛ حيث استنتج كما سيفعل كل مسؤول أمريكي بعد كل إضراب قادم بأن هناك «محرضين من الخارج» لا بد من أن يكونوا هم السبب وراء المظاهرة(٨).

بعد شهر، أي في الثاني عشر من تموز/يوليو من عام ١٩٤٥م، بدأ قرابة ١٣٧ حفّاراً عربياً في الظهران إضرابهم احتجاجاً على انعدام المساواة في الأجور والمخصصات مع الأمريكيين وغيرهم من الأجانب؛ إذ طلبوا اجتماعاً مع المسؤولين بخصوص ظروفهم، ولما رفض مطلبهم أخذوا أغراضهم ورجعوا إلى بيوتهم. قام أوهليجر بإرسال أعضاء من منظمة العلاقات الحكومية لتحذير أمير الظهران بأن إضراباً ضخماً تم التخطيط له وحثّه على التدخل لإنهائه. وقد كان أوهليجر محقاً، فسبعمئة عامل آخر انضموا إلى الحفارين في يوم ١٦ تموز/يوليو، محتشدين في موقع يقع شرق الحي الأمريكي بينما وقف الباقون أمام البوابات محاولين منع العمال الآخرين من الدخول. أصدر الأمير أوامره لـ«جنديّه العبد الأسود» في أن يفض المظاهرة ويجلب كل العمال إليه. وقد كتب ماك كونيل: «تحوّل الزنجي إلى وحش فجأة» وهو يقتاد معه حشود المتظاهرين إلى خارج المنطقة ببندقيته، ضارباً إياهم، ومحطّماً سن أحد المسنين. هرع بيرغر إلى مركز الشرطة حيث جلس الأمير منتظراً، واحتجّ على الضرب، وذلك طبعاً بحسب رواية ماك كونيل. ولن يكرر بارغر هذا الاحتجاج مرة أخرى.

عند مواجهة الأمير للمضربين على أرض مركز الشرطة طلب معرفة هوية قادتهم، وادّعى أحد التقارير أن رجلاً تقدم وتطوع بالإجابة قائلاً: إنه «طالما أنهم جميعاً متساوون فليس بينهم قادة»، فأمر الأمير الشرطة «بأخذه وضربه». هذا الشاهد يقول: إن رجلاً آخر كرر جملة: إننا جميعاً متساوون فنال حصته من الضرب أيضاً، أما ماك كونيل، الذي لم يكن حاضراً، فذكر أن حشداً بدأ بإنشاد «إننا جميعاً واحد» وأن الأمير أمر الشرطة بسوقهم معاً إلى مكان العمل، «وأن أي شخص منهم يعود... إلى الحي

---

(٨) Phil McConnell, Journal, entry for 11 June 1945, Box 3, McConnell Papers.

السعودي فإنه سيتم ضربه»[٩]. وعد الأميرُ أوهليجرَ بأن جميع الرجال سيعودون إلى العمل في اليوم التالي وأنه ينبغي عدم مضايقتهم عندما يعودون، إلا أن الإضراب استمر في اليوم التالي، وازداد العدد لأكثر من ألفين حتى قبل أن ينضم إليه مجدّداً رجال الأمس، انتهى الإضراب في العشرين من تموز/يوليو؛ حيث قام الأمير بإيصال المطالب إلى الشركة وحثّها على عمل ما ينبغي طالما أنه قد ثبت أن الشكاوى من التمييز في المعاملة كانت صحيحة. (؟)

وقد أكد مساعد القنصل في الظهران والتر بريج (Walter Brige) الذي أبرق تقريراً إلى واشنطن بالمطالبات أن الحفارين السعوديين - الذين وصفهم بأنهم «من أصحاب الكفاءة العالية ولا يختلفون بشيء من حيث الأهمية عن العامل الهندي أو العراقي الذي يتم التعاقد معه في الخارج» - كانوا يتقاضون أجوراً ليس فقط أقل من الأمريكيين، بل حتى من الهنود والعراقيين. وعلى الرغم من أن الشركة أقرت أن المستشفى كانت بحاجة إلى تطوير، إلا أنها كانت تردد بأنه كان أفضل من أي مشفى آخر في المملكة. أما بالنسبة إلى بريج، فلم «[تبهره] نظافته أو منشآته، وزيادة على ذلك، كان من الواضح أن مدير أرامكو الطبي يبدي القليل من الاهتمام بصحة ورعاية العرب». بالإضافة إلى ذلك، حاول مساعد القنصل استيعاب مدى دقة نظرية وجود عناصر أجنبية تسببت بحدوث الإضراب، فبالنسبة إليه، كان من المستحيل أن يكون العراقيون هم السبب، وذلك لأن كل (المشاغبين) منهم تم ترحيلهم إلى العراق، ولهذا انعقد الإجماع على أن الموظفين الإداريين الحجازيين، الذين كانوا أكثر تعليماً ويتقاضون راتباً أفضل من باقي السعوديين، هم المسؤولون بشكل رئيس عن «تحريض العمال وتنظيم الإضراب».

وقد شرح عدد من مسؤولي الشركة هذا الأمر بأن قالوا: إن هؤلاء الموظفين الإداريين، والمدينين لجهود الشركة، أعجبتهم رفاهية وطرق الحياة الغربية، بما يتضمنه ذلك من نظافة وبيوت حديثة؛ وهذا الأمر جعلهم غير

---

(٩) Phil McConnell, Journal, entry for 16 July 1945, Box 3, McConnell Papers; Birge [Vice Counsel, Dhahran] to State, Airmail 2, 28 July 1945, Strike of Two Thousand Saudi Arab Employees of the Arabian American Oil company at Dhahran, RG 59, 890F.5045/7-2845.

راضين بظروفهم السكنية الحالية، أي إنهم باتوا يحسدون الأمريكيين على طريقة عيشهم وأجورهم العالية التي كانت أكثر بكثير من التي يتقاضونها[١٠].

بعد عشرة أيام، في الثلاثين من تموز/يوليو، ألقى الألف والسبعمئة عامل إيطالي الذين كانوا يبنون المصفاة كلهم أدواتهم محتجين بأنهم قد ضاقوا ذرعاً من معاملتهم «كالعرب»(؟) شملت مطالبهم طعاماً أفضل، وماء نظيفاً، ومطبخاً في حيّهم، ورعاية طبية جيّدة، ومراحيض. سخر الإيطاليون من استعطاف القنصل الأمريكي عندما أخبرهم أنهم بإضرابهم عن العمل في مشروع حربي مهم يعرّضون حياة كثيرين من الأبرياء للخطر. وكما أخبر بريج في ما بعد: «بات واضحاً بأن أغلب مظالم هؤلاء الرجال كانت محقة، وإن كانت لا تبرر بدرجة كافية قيامهم بالإضراب». والمطلب الوحيد الذي تهكّم به هو الشكاوى المتعددة من «المعاملة السيئة» من قبل الأمريكان. وقَبِلَ الإيطاليون في ما بعد بالخضوع «لِلَجنة فض نزاعات» وعاد أغلبيتهم إلى العمل. وافقت أرامكو على تحسين ظروفهم، لكن قادة الإضراب أنفسهم تم طردهم وترحليهم إلى إريتريا[١١].

وبعد أربعة أيام من إضراب الإيطاليين، أي في الرابع من آب/أغسطس، قام جميع العمال العرب، البالغ عددهم ٩ آلاف، في الظهران ورأس تنورة والأماكن النائية بتحدي الأمير واستئناف الإضراب عن العمل مجدداً. وخلال الأيام الثلاثة القادمة، توقفت عمليات الحفر تماماً، أما بناء المصفاة فقد أصيب بالشلل، كما اضطر الأمريكيون أن يدبروا أمر مواصلاتهم، وغسيل ملابسهم، وخدمات الكافتيريا، وغيرها من المهام. أما المطالبات، فقد كانت هي نفسها؛ فالعمال استأنفوا إضرابهم لأن عرض الشركة بزيادة مرتباتهم لم يعالج قضية التمييز في المعاملة الأساسية. وفي

(١٠) انظر:

Dhahran to State, Incoming Telegram 41, 21 July 1945, RG 59, 890F.5045/7-2145; Birge to State, Airmail 2, 28 July 1945, RG 59, 890F.5045/7-2845, and Dhahran to State, Airmails, 30 August 1945, General Strike of All Arabian American Oil Company Saudi Arab Employees, RG 59, 890F.5045/8-945, the source of the extended direct quotation.

(١١) Dhahran to State, 3, 3 August 1945, RG 59, 890F.5045/8-345, and Stefano [Italian embassy, Washington] to Villard [Deputy Director of Near Eastern and Mrican Affairs], 4 July 1947, RG 59, 49/4 890F.504/7-447.

نهاية الأمر، أُجبرت أرامكو على البدء بمفاوضات مع لجنة عمالية اختارها الأمير لإنهاء الإضراب.

حاولت الشركة أن تفهم الأحداث، فإشارات السخط كانت قد تزايدت منذ فترة، إلا أن حاجز اللغة منع الإدارة من فهم عمق المظالم وأدى إلى تجاهل شكاوى الأفراد. وبكلمات بريج: «على ما يبدو، يعتبر أغلب العمال السعوديين أنفسهم يقطنون في مساكن رديئة، ويتقاضون رواتب قليلة، ويتم استعمالهم بشكل سيّئ عموماً». والأكثر إشكالية من هذا هو أن الشركة كانت مقتنعة بأن العمال كانوا يتلقون دعماً من بعض التجار في الخبر من الذين كانوا يمولون الإضراب.

في التاسع من آب/أغسطس، أرسل الكولونيل إيدي رسالة فائقة السرية بعد لقاء شديد الخصوصية بينه وبين الملك في الرياض؛ حيث لم يحضره أحد، ولا حتى المترجم. طلب الملك أن تبقى تعليقاته سراً وألا تنقل، ذلك لأنه كان على غير العادة فظاً وصريحاً، قال: «إني أشعر بالأسى لأن أرامكو لم تعد وفيّة لنا مؤخراً، لقد اكتشفت أن المدير أوهليجر كذّاب، وأن بعض شعبي تتم مخاطبتهم بطريقة لا يمكن أن يخاطب بها البشر، بل هي طريقة تشبه مخاطبة الكلاب». بعد أسبوع، استلم فلويد أوهليجر خطاباً ينص على أن المكتب الرئيس في سان فرانسيسكو يحتاج إليه في الولايات المتحدة للاستشارة.

حب وولاء

كان إطلاق مجموعة أرامكو للبحث والاستخبارات، قسم الشؤون العربية، نتيجة مباشرة لإضرابات العمّال في عام ١٩٤٥م، وأول رؤساء هذا القسم، جورج رنتز، حط رحاله في الظهران باعتباره أول مستعرب يعمل للشركة بدوام كامل. ورنتز هذا أمريكي، كان يحضّر رسالة الدكتوراه في تاريخ الشرق الأدنى في جامعة كاليفورنيا في بيركلي عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية. غادر حينها إلى القاهرة للعمل في مجال الاستخبارات؛ حيث قام بإدارة قسم البحث والترجمة في مكتب معلومات الحرب(*). تلقّى من أرامكو عرضاً للتدريس في الجامعة الأمريكية

(*) مكتب معلومات الحرب هو وكالة حكومية أمريكية تأسست إبان الحرب العالمية الثانية =

في القاهرة، لكنه رفضه. بعد الإضرابات، عرضت عليه الشركة أن يأتي إلى الظهران مؤقتاً حتى بداية فصل الخريف في الجامعة الأمريكية في القاهرة؛ إذ كان أمراً طارئاً في حينها، وكانت أرامكو بحاجة إلى شخص أمريكي واحد على الأقل بمهارات متقدمة في اللغة العربية لأنها لم تكن ترغب في أن ينخرط أياً من مترجميها السعوديين في مراسلاتهم مع أمير الظهران حول كيفية التعامل مع العمال السعوديين. فحتى ذلك الوقت، لم يكن هناك أمريكي واحد في أرامكو، بما فيهم بارغر نفسه، كان يعرف من العربية ما يؤهّله لتسلم هذه المهمة(١٢).

كان رد أرامكو الأولي على العمال ووسيطهم - أي الأمير - هو المماطلة لبعض الوقت؛ فالملاك قد أجبروا أوهليجر على التخلي عن الإشراف اليومي على الحي الأمريكي. ولم يحمه من الطرد سوى علاقته الشخصية بالملك عبد العزيز التي بنيت عبر سنوات عديدة من التودد المذلّ كما يقول ذلك بعض منتقديه. تم تنصيبه نائباً لرئيس الشركة ومسؤولاً عن قسم العلاقات الحكومية («لقد عيّن في ما يشبه البرج العاجي»)، وتم إحضار رجل إسكتلندي من شركة شيفرون، اسمه جيمس ماكفيرسون (James MacPherson)، ليكون نائباً جديداً للرئيس ومديراً مقيماً(١٣)، كما بدأت الشركة بأخذ بصمات كل عمالها العرب حتى تستطيع التمييز بينهم(١٤).

في مطلع شهر آب/أغسطس من عام ١٩٤٥م، أمر الملك أرامكو بالبدء في مفاوضات من أجل الاستجابة لمظالم العمّال، وقام أمير الظهران بتعيين

= وكانت مهمته تمتين الخدمات المعلوماتية الموجودة مسبقاً وبث البروباغندا الأمريكية، وقد تم إغلاقه عام ١٩٤٥م (المترجم).

(١٢) Memo by Owen for the attention of Spurlock, 27 October 1945, SZ-251, ARAMCO, San Francisco, "Subject: George Rentz", and Memo by Osborne [ARAMCO, Cairo], 27 November 1945, to ARAMCO, Bahrain Island, 270, "George Rentz," Folder 52, Rentz, George S.-Correspondence re, 1945-1952, Box 1, Mulligan Papers.

(١٣) See the account of American consul Parker Hart when, later, MacPherson too got the boot, the changes once again taking place during a time of increased labor strife. Dhahran to State, 99, 2 July 1949, RG 59, 890F.6363/7-249.

(١٤) انظر:

Owen to Duce, 28 Nov. 2945, SZ-366, Identification System, included in RG 59, 890F.6363/12-2945.

خمسة عمال وأربعة موظفين حكوميين في لجنة المفاوضات. رفضت الشركة في البداية أن تقابل السعوديين، معتبرة أن المعينين وكلهم موظفون إداريون من الحجاز لا يمثّلون العمال بشكل عادل، لكن الأمير استطاع تجاهل هذا الاعتراض بمهارة. وما أن بدأت اللقاءات حتى طغت قضيتان على النقاش: **الأولى** هي سلم أجور الشركة، الذي كان أحد موظفي الحكومة السعودية يرى بأنه أدنى من تلك الموجودة في العراق وإيران. أما **الثانية**، فكانت التمييز الذي يواجهه السعوديون. فقد كانت تتم معاملة غيرهم بشكل أفضل منهم في أرامكو، كما أنهم يكدحون تحت ظروف عمل أسوأ من تلك الموجودة في كركوك وعبَدان[١٥].

أنكرت الشركة تهمة أنها تعامل السعوديين بطريقة غير منصفة، صحيح أن الإسكان والرعاية الصحية بحاجة إلى تطويرات، إلا أنها بوضعها الحالي أفضل من أحياء العمال خارج المملكة وأفضل من أي شيء تمتع به السعوديون قبل اكتشاف النفط، كما أن الإدارة أصرت على أن أجورهم كانت أفضل من تلك الموجودة في أحياء الشركات البريطانية، إلا أن الحقيقة هي أن عمال النفط العراقيين كانوا بالفعل يتقاضون أعلى مما يتقاضاه عمال أرامكو، فالأجر الأساس لفترة أسبوع بالنسبة إلى عمال شركة النفط العراقية (حيث كان يدفع لهم كل جمعة) كان أقل بـ ١٨في المئة من الأجر في أرامكو لمدة ستة أيام، إلا أن بدل تكاليف المعيشة المضاف إلى أجر العراقيين أسبوعياً يجعل منها في المحصلة النهائية أعلى بـ١٣ في المئة، ومع ذلك فإن الشركة ستصر على أن السعوديين كانوا يتقاضون أجوراً أعلى. جاء ردّ الملك بصيغة أوامر لتبني نظام العمل العراقي الأكثر كرماً والتأكد من أن المواد الموجودة يتم العمل بها. والمقصود بهذه الأخيرة هي المواد التي أصدرت عام ١٩٤٢م، لكن أرامكو تجاهلتها، وقد ضَمنت لكل العمال السعوديين الحصول على أجر سبعة أيام مقابل عمل ستة منها، وتقليل عدد ساعات عملهم، وتوسيع مجال المزايا الصحية، وتعويضات الإصابة،

---

(١٥) التفاصيل موجودة، في:

Dhahran to State, 46, undated [received 13 August], RG 59, 890F.5045/8-1345; Dhahran to State, 49, August 15, RG 59, 890F.5045/8-1545, and Dhahran to State, Airmail 5, 30 August 1945, Subject: General Strike of All Arabian American Oil Company Saudi Arab Employees, 890F.5045/8-945.

وطالبت ببرنامج تدريبي لكل العمال(١٦).

وكردّ غريزي على كل من حزم الحكومة في سنّ أنظمة للعمل وبوادر التمرد بين العمال أنفسهم، قامت الشركة بنفض الغبار عن المواعظ التي تقدم الشركة بوصفها أسرة والتي جمّعتها وتناقلتها شركات الفحم لأجيال. ففي محادثاتهم مع الملك عبد العزيز، كان أوهليجر أو غيره يصرح بأن هدف أرامكو، مثلها في ذلك مثل تعامل الأب الأبيض الكبير(*) مع الهنود الحمر قبل ذلك بعقود، لم يكن سوى السعي إلى الفوز بـ«حب وولاء» السعوديين والمحافظة عليهما، وبالتالي فإن القوانين كانت تشوّش على العمال في تحديد «من يستحق موضع امتنانهم». ولهذا، عندما شق رجل اسمه حمد عبد الله الضيف(**) (رقمه الوظيفي ٤٧٣٣) طريقه إلى الرياض لإيصال عريضة للملك عن الظروف البائسة في الظهران، وقد كانت نصيحة ليبكيشر هي أن يتم التعامل معه ومع غيره من «زعماء الفتنة العصاة» باللين.

> كانت نوايانا الأولى هي أن نستغني عن خدماتهم لما أبدوه من مواطنة سيئة وتحريض للعمال، لكن بعد تأمل قررنا الإبقاء عليهم.

---

(١٦) انظر:

Dhahran to State, 54, 27 August 1945, RG 59, 890F.5045/8-2745. In 1942, the government had requested the oil company to reduce the working day during Ramadan from eight to six hours. When the company declined, the government in Riyadh passed a new royal decree. The company then spent the next six months negotiating with the government over the terms of these provisions and gaining exemptions from at least some of them. I have limited records and there are no easily identified secondary sources on the early labor legislation. I also have not read the State Department materials for the war years. For all these reasons, this discussion may well require revision. I have relied on memorandum from Barger to Davis, Labor Strike at Riyadh, 26 September 1942, Folder 2, Correspondence, Tom Barger, 1957-1958, Box 29. as well as a letter from Garry-Owen to-Najib Salha, 18 October 1942, and a memorandum by Lebkicher, 26 June 1943, on discussions in Riyadh 14 and 15 June 1943, concerning general relations with Saudi Arabian government labor regulations, Folder 8, Discussion in Riyadh, 1942-1943 Regarding Labor Relations, Box 30, Stegner Papers.

(*) الأب الأبيض الكبير هو المصطلح الذي كانت السلطات الاستعمارية في القرن التاسع عشر تستخدمه للإشارة إلى الملك البريطاني أو الرئيس الأمريكي أو ملك إسبانيا عند تعاملهم مع أبناء المستعمرات من الهنود الحمر (المترجم).

(**) اسمه بالإنكليزية: (Hamad Abdallah Adhayf) لم أستطع الحصول على الاسم العربي بدقة، فاجتهدت بترجمته إلى «الضيف»، على الرغم من أنه يحتمل أن تكون «عطيف»، أو غيرها (المترجم).

وتمت دعوة كل زعماء الفتنة ما عدا واحد. وبوجود شهود، استمعوا لمحاضرة عن المواطنة الصالحة والولاء للوطن والشركة ولأنفسهم وإخوتهم من الموظفين، كما أنهم قد أُعلِموا أن الشركة لن تتسامح مع المحرضين أو معهم إن عادوا إلى سابق أعمالهم.... كما أنه قد طُلب منهم أن يقدّموا أي مظلمة يشعرون بها للشركة حتى تطّلع عليها وتدرسها(١٧).

واستمرت المفاوضات مع لجنة الأمير حتى أيلول/سبتمبر من عام ١٩٤٥م. ومع كشف استخبارات الشركة أن قادة الحركة العمالية كانوا يسعون للإضراب مجدداً، قدمت الشركة تنازلين في قضيتين من بين أربع قضايا: بناء مستشفى للعرب، والبدء ببناء مساكن دائمة تحل مكان أكواخ سعف النخل. وهناك، في الولايات المتحدة، ستتبجح شركة شيفرون على الفور قائلة: إن المخططات الجديدة، التي لم تكن سوى عبارة عن مجمع رمادي باهت مكون من عدة غرف ذات مصابيح بالية، كانت «من بين أفضل الموجود في الشرق الأوسط»(١٨). بالنسبة إلى القضية الثالثة، أي مسألة معاملة العمال الذين يتمتعون بالمهارة نفسها والمسؤوليات بشكل متساوٍ، فإن خطاب وزارة الخارجية أشار إلى أنه كان هناك اتفاق على المبدأ، لكن لم يكن هناك أي توثيق لأي إجراءات اتخذت. أما بالنسبة إلى القضية الرابعة، فقد استمر المديرون في إصرارهم على أن أرامكو تدفع أجوراً «مماثلة، هذا إن لم تكن أكثر، من تلك التي كانت تدفع لعمال شركات النفط الأخرى في العراق وإيران، هذا بالإضافة إلى دعم أسعار الغذاء، [كل هذه] كانت كافية لتمكين العامل من العيش براحة حتى في ظل ظروف تكاليف الحياة العالية الحالية». ومع ذلك، فعلى ما يبدو كانت الشركة قد خضعت لمطلب رفع أجور الموظفين بطريقة غير مباشرة. «فقانون العمل السعودي [لعام ١٩٤٢م] ينص على دفع أجرة كاملة ليوم الجمعة. وطالما أن الشركة لم تلتزم بالقانون إلا ابتداء من الأسبوع الماضي... حيث أقرت أخيراً أن تضع أجر يوم

---

(١٧) Confidential memorandum by Ohliger, 765, 10 October 1943, Folder 23, Correspondence Regarding Disloyal Employees, 1943, Box 29, Stegner Papers.

(١٨) *Standard of California Bulletin* (Autumn 1946), p. 8.

الجمعة حيّز التنفيذ ابتداء من ١ كانون الثاني/ يناير ١٩٤٦م»[١٩].

وفي تقرير عن موقف الشركة، تغلب القنصل الأمريكي على شكوكه، إذ إن أرامكو أصرت على أن العمال الإيطاليين كانوا كلهم من ذوي الكفاءات العالية ولهذا يستحقون أجوراً مرتفعة، إلا أن السعوديين أشاروا إلى أن كثيراً من الإيطاليين كانوا يقومون بأعمال ليست حرفية أو على الأقل شبه حرفية، كقيادة الشاحنات، وتشغيل محطات البنزين، وما شابه. وأياً يكن حجم احتجاج الإيطاليين من قلة الخدمات، فإن القنصل كان متأكداً من أن التعامل مع السعوديين كان أسوأ من كل العمال الآخرين. ولتوضيح نقطته فقد ركّز على ما كان يدعى مستشفى حينها، وهو مكان يعجّ بالذباب لم يكن إلا «عاراً على الشركة وبشكل غير مباشر على الأمريكيين عموماً»؛ حيث تم طرد الطبيبة المحترمة الوحيدة بسبب عصيانها للأوامر، يقول:

> قبل شهر، تم طرد الدكتورة ماست (Mast) التي كانت محبوبة جداً من قبل العرب هنا، . . . والتهمة كانت أنها رفضت السفر إلى الدمام، وهي بلدة تبعد تسعة أميال، لمعالجة زوجة أمير المنطقة [ابن جلوي]. وبحسب الدكتورة ماست، فإن زوجة أمير المنطقة لم تكن بحاجة إلى زيارتها . . . [بينما] كان هناك مريض في مستشفى العرب في حالة حرجة وبحاجة ماسة إلى اهتمام طبيب. أما مسؤولو الشركة فقد ذكروا أن الدكتورة ماست تلفظت بتعليقات مضرة بمصالح الشركة مع مسؤولي الحكومة السعودية، وهذا الأمر، مترافقاً مع عدم اتباعها للتعليمات، جعلا الشركة بلا أي خيار آخر[٢٠].

في هذه الأثناء، قام اثنان وثلاثون مشغِّلاً جنوب أفريقي في مصفاة في البحرين يعملون لدى شركة تابعة لشيفرون بالإضراب في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٤٥م مطالبين بالمساواة في الأجور مع العمال الأمريكيين، وقد تم فصلهم جميعاً وترحيلهم.

---

(١٩) انظر:

Dhahran to State, Airmail 15, 15 September 1945, Saudi Government Representatives Suggest Fair Solution to Grievances of Arabian American Oil Company Saudi Laborers, RG 59, 890F.6363/9-1545.

(٢٠) المصدر نفسه.

الفصل العنصري

في الوقت الذي وصل فيه جورج رنتز إلى الظهران لتسلم مهام البحث والترجمة في اللغة العربية في صيف عام ١٩٤٦م، كانت موجة الإضرابات قد هدأت. ومع ذلك، تم الضغط عليه لقبول المنصب بشكل دائم عوضاً عن فترة مؤقتة لمدة تسعة أشهر. وبحسب بِل موليغان، فإن طلاقة لغته العربية «كانت عالية لدرجة أن جيمس ماكفيرسون، مدير أرامكو المقيم، كان مصراً على عدم التخلي عن رنتز مهما يكن الثمن»، وهذا على الرغم من اعتراف رنتز بأنه لا يستطيع ترجمة المستندات من الإنكليزية إلى العربية، إلا أن ماكفيرسون أصر، وهو ما أدّى إلى أن يعيش رنتز في المملكة ما بين ذهاب وعودة طيلة السبعة عشر عاماً التالية، وذلك أولاً بصفته الرئيس الإداري لقسم الشؤون العربية في أرامكو، والذي قام بتصميمه على نموذج مكتب معلومات الحرب في القاهرة، ثم بوصفه أحد كبار المستشارين في القسم نفسه؛ حيث أصبح لديه مزيداً من الحرية للقيام بمهام ذات طبيعة بحثية. وفي عام ١٩٦٣م، استقال وذهب إلى جامعة ستانفورد ليصبح قيّماً على معهد هوفر[٢١].

وضع رنتز شرطين قبل قبوله بالمنصب: **الأول**: طلب ضمانات بأنه سيتوفر على الموارد الضرورية كافة لبناء وإدارة منظمة بحثية متكاملة، بما في ذلك تعيين موظفين جدد ـ ما إجماليّه ثلاثة إلى أربعة أمريكيين وخمسة عشر إلى عشرين عربي. وافق ماكفيرسون، لكنه في ما بعد أخلف وعده، وسيصارع رنتز في ما يأتي من السنوات ضدّ منافسيه من الأقسام الأخرى على الموارد، والمكان، والموظفين مع نمو عمليات الشركة بشكل سريع. فقد عانى لسنة أو أكثر مع ثلاثة مساعدين عرب فقط، وخاض معركة طويلة للحصول على الآلات الكاتبة القديمة التابعة للأقسام الأخرى. ومع ذلك، تسلم مكتبه مهمة ترجمات ومراسلات الشركة السرية. وفي أوقات فراغهم، قام موظفو قسم الشؤون العربية بتقدم متعثر في مختلف المشاريع الأولى التي

(٢١) انظر:

Memo by G. Owen to W. Spurlock, Dhahran, 27 October 1945, SZ-251, ARAMCO, San Francisco, subject: George Rentz, Folder 52, Rentz, George S.- Correspondence re, 1945-1952, and ms. by Mulligan, Folder 53, Rentz, George S.-Correspondence re, 1963-1987, Box 1 Mulligan Papers.

تشمل توحيد أسماء الأماكن التي يستخدمها الجيولوجيون، وتشكيل قائمة بأسماء كل مسؤولي الحكومة السعودية وأعضاء الأسرة الحاكمة، وإعداد كتيب تعريفي عن السعودية للموظفين الجدد، وكذلك البدء بمكتبة تشتمل على مراجع للاطلاع فقط. وفي خضم هذه الأحداث، كان صيت رنتز قد ذاع بوصفه مستشرقاً شغوفاً بالحفلات الليلية والكحول مع ولع خاص بما ندعوه اليوم بالتحرش الجنسي[٢٢].

أما شرطه الثاني: فقد كان هو الأصعب، وبكلمات موليغان كان على أرامكو أن «تتجرعه بصعوبة»، فبإصراره على السكن داخل الحي الأمريكي هو وابنته الصغيرة وزوجته، صوفي باسيلي (Sophie Basili)، وسبق لها أيضاً العمل لدى مكتب الخدمات الاستراتيجية في القاهرة، كان رنتز بذلك يتحدّى عُرفين رئيسين في وقت واحد. فالسكن الخاص للمتزوجين، والذي لم يكن متوفراً بكثرة، كان يعتبر امتيازاً يحصل عليه الشخص بعد أن ينهي أول عقد لمدة سنتين في جزيرة العرب. وعند تعيينه، كانت هناك بالفعل قائمة طويلة بالمستحقين لهذا الامتياز من الموظفين الكبار والذين كانوا ينتظرون سنتين أو أكثر من أجل إحضار عيالهم إلى الظهران. بالإضافة إلى ذلك، «لم تكن صوفي مجرد مصرية ناطقة بالعربية، بل كانت، على الرغم من جاذبيتها، سمراء البشرة». وهكذا كان رنتز عملياً يتحدى الهرمية العرقية الموجودة داخل الحي الأمريكي في وقت وصفه موليغان، الذي كان يعمل لديه، بأنه «قد طغت في أجوائه نعرة سيادة العرق الأبيض التكساسية»[٢٣].

حتى عام ١٩٤٧م، كان حاجز اللون في المستعمرة الأمريكية محروساً بحميّة عالية، ولم يتم السماح لعربي آخر بدخوله لخمس سنوات قادمة على الأقل. وكما رأينا، حتى مسؤولو الشركة الأكثر ليبرالية أصروا على أن مصالح الحيّ يمكن خدمتها بشكل أفضل طالما تم إبقاء العرب خارجه. ونحن نعلم من خلال تاريخ كُتِب، وللأسف نُقّح، من قبل الشركة أن أرامكو

---

(٢٢) انظر:
Mulligan's handwritten notes: "heavy drinking, affection for the girls (pinch/pat)... loved... drinking-partying". Folder 57 Rentz, George S.-Notes re, Box 1, Mulligan Papers.

(٢٣) Mulligan biographical sketch of Rentz, Folder 53, Rentz, George S- Correspondence re, 1963-1987, Box 1, Mulligan Papers.

طردت بشارة داوود، وهو أول موظف بدرجة جامعية لتعليم العربية للأمريكيين والإنكليزية للسعوديين، بعد شهرين فقط من تعيينه.

> مثل هذه الحالات لا تنتهي بنتائج مرضية وذلك يعود جوهرياً إلى أن حقيقة أن رجلاً وُلد في المشرق وتعلم في جامعة أمريكية تبدو غير متسقة... والطريقة الممكنة الوحيدة التي من خلالها يمكن أن نلائم بين رجل بمثل هذه الظروف هي أن نجهّز له مكاناً لوحده، وهذا يعني في حالة داوود إعداد بيت مدرسي بأجنحة منفصلة له، وتوفير معاونين خاصين له، وتركه يتحمل مسؤولية تحضير طعامه... إلخ. هذا بالطبع سيعني محاولة تأسيس منطقة «وسطى»، وهو الأمر الذي لن يكون مجدياً إذا أخذنا الظروف الحالية بعين الاعتبار. وهكذا، تستطيع أن ترى كيف أن محاولة جعل الأمر مناسباً لرجل بمثل هذه الظروف هو أمر صعب وأن أي محاولة للقيام بذلك عبر استقدام رجال مثله ستنتهي بصعوبات ونفقات غير ضرورية.

قال كَمبر مور (Kemper Moore)، وهو الباحث الذي كشف الغطاء عن سجلات قديمة لرفض أرامكو توظيف عرب من ذوي الكفاءات العالية لمناصب عليا، بأنها ترمز إلى «نزعة معاداة الأجنبي» المنتشرة في ذلك الوقت، «فعلى ما يبدو كانت هذه الحادثة تحديداً هي التي أسست سياسة الشركة التي تمّ العمل فيها في الأربع عشرة سنة القادمة. فهذا اللبناني المتعلم لم تتم الموافقة على توظيفه على قدم المساواة حتى مع حمّال أو حفار نفط غير متعلم من تكساس أو أوكلاهوما»[٢٤]. ليس أمراً مفاجئاً إذاً أن ترفض إدارة أرامكو توظيف أي سعودي متعلم أو ذي كفاءة عالية في منصب وظيفي عالٍ في منظمة العلاقات الحكومية. ولا أدلّ على ذلك من قضية رجل من الأحساء اسمه إبراهيم رضوان، وهو موظف حكومي «معروف بأنه ذكي وأمين، وسمعته جيدة في المملكة العربية السعودية» ومع ذلك تمّ تجاوز اسمه من قبل أوهليجر. وكما تبيّن السجلات، فإن السبب

---

(٢٤) انظر:

Kemper Moore, volume titled "Developments, 1939," pp. 10-15, Folder 13, Research Material, Box 30, Discovery: Personnel, Articles, Research materials, News clippings, Stegner Papers.

كان أن توظيفه يعني الالتزام بإسكانه إما في الحيّ الأمريكي أو في أحد الأحياء المريحة خارج أسوار الشركة أو توفير بعض المزايا التي تتناسب مع المنصب له[٢٥].

عندما عاد رنتز من إجازته في أمريكا في كانون الثاني/يناير ١٩٤٨م، قام بكتابة تقرير لاذع لبارغر عن النفقات التي كان يتكبدها قسم البحث والترجمة الخاص به من العنصرية. فهو قد قام أخيراً بتوظيف ثلاثة أمريكيين إضافيين: مدير المكتب موليغان، الذي كانت معرفته باللغة العربية في حدها الأدنى، وكذلك، وإن كان بعد عناء، محللين: جيمس نايت (James Knight) وتشارلز ماثيوس (Charles Matthews)، والذي بدأ بإمداد الشركة بمواد عن حكومة المملكة، وتاريخها، وحدودها، وما إلى ذلك. عمل نايت في منظمة العلاقات الحكومية طيلة حياته، أما ماثيوس، الذي كان ضابط استخبارات عسكري سابق في القاهرة ومتدرب على اللغة العربية الفصحى، فقد كان أقرب للباحث وكان انطوائياً ـ موليغان كان يصفه بـ«المعتوه» ـ وقد ترك الشركة مطلع ستينيات القرن العشرين. وعلى الرغم من ذلك، كانت كمية أعمال الترجمة المتضخمة بحاجة إلى ما لا يقل عن حزمة إضافية من الموظفين الذين يعملون بدوام كامل. وبشكل تدريجي، استطاع رنتز تجميع موظفين كانت العربية لغتهم الأم من كل من اليمن، والسودان، ومصر، والعراق، وفلسطين. وقد حذر من أن هذا العمل مهدداً بـ«الانهيار»، وذلك لأن رجاله هؤلاء، على الرغم من أنهم من ذوي التعليم العالي وبالتأكيد لم يكونوا من «المخربين»، كانوا «معتادين أنماطاً من الحياة لا تقل عن تلك الخاصة بالأمريكيين العاديين، ومع ذلك كانوا يجبرون على العيش في الأماكن المحيطة والشبيهة بتلك التي تمنح للعمال الذين يسميهم الموظفون الأمريكيون «الكوليين»». كانت أجورهم منخفضة جداً، وكانوا يعملون تحت ظروف بائسة: ثلاثون شخصاً في غرفتين صغيرتين، وما زالوا يعيشون في الخيام والأكواخ التي لم تكن تخلو فقط من الكهرباء، بل حتى من الأسقف. فبناء مساكن أفضل وعدت بها الشركة بعد الإضرابات لم يشرع بالعمل به بعد: «إن العرب الذين كانوا يأملون بالسكن في هذه المساكن

---

(٢٥) المصدر نفسه.

يرون بأم أعينهم تزايد العدد الكبير من البيوت المتنقلة للموظفين الأمريكيين، وكذلك بيوت الحجر الجذابة للأطباء الهنود بجانب مستشفى العرب»[٢٦].

والسبب وراء تأكيد رنتز ولاء موظفيه هو أن عمال أرامكو الإيطاليين المتبقين، وعددهم لا يتجاوز الثمانمئة، شرعوا بإضراب آخر في أيار/مايو من عام ١٩٤٧م، واستمر لأسبوع، معترضين مرة أخرى على انعدام المساواة في الأجور وظروف المعيشة مقارنة بالأمريكيين. شارك في العمل أيضاً الإيطاليون الذين كانوا يعملون أيضاً في شركة بَكتل؛ حيث إن الشركتين قد تواطأتا على سلم أجور متشابه. وعلى الفور، قامت أرامكو بطرد خمسة وثلاثين رجلاً من المضربين اعتبرتهم من زعماء الفتنة، ورفضت التفاوض - متمسكة بما اعتبرته «أنه من سياسة الشركة في عدم التفاوض مع المضربين» - وأخبرت القنصل أن الإضراب كان بالضرورة من تأثيرات الشيوعية. وانتهى الإضراب بشكل درامي، حيث تقدم العمّال الباقون باستقالة جماعية وطالبوا بتعويضات فوريّة، وعلى الرغم من أن كثيراً منهم تراجعوا في ما بعد إلا أن أربعين في المئة منهم عادوا نهائياً إلى إريتريا.

سردت إدارة أرامكو قائمة كاملة بالمبررات التي جعلتهم يعتقدون بكون الإيطاليين مغرراً بهم ومخطئين، لكن الحجج التي قدمتها لم تعد تقنع أحداً. فعندما كانت تصرّ على أنه كان ينبغي للإيطاليين أن يتقدموا مظالم مباشرة للإدارة، كان العمّال يجيبون بأنهم كانوا يشتكون لشهور من دون أي جدوى، وأن الإضراب لم يكن سوى ملجئهم الأخير. وبعد أن قام القنصل الأمريكي والدو بايلي (Waldo Bailey) بالتجوّل في أحياء الإيطاليين في العزيزية ورأس تنورة قام بوصف هذه الأماكن بأنها «عار على الاستثمار الأجنبي الأمريكي». فبعد عامين من الإضراب الأول وعلى الرغم من الوعود بتحسين الظروف، كان هؤلاء الرجال ما زالوا يعيشون في الخيام والأكواخ من دون كهرباء، أي من دون مراوح كهربائية، أما المستشفى فقد كان سيئاً للغاية. لم يكن لديهم سوى ماء بارد، وكان بارداً جداً لدرجة أن

---

(٢٦) Rentz to Barger, 12 January 1948, "Supervisor's Report on Arabic Research and Translation Section," Folder 13, ART, AAD, Etc., 1947-1948, Box 2 Mulligan Papers. The account of Matthews is found in Mulligan to Donna Drake [ARAMCO Services, Houston], 26 December 1988, Folder 1, Ameen, Michael M., Jr., Box 1, Mulligan Papers.

بايلي قال: إنه كان تقريباً غير صالح للشرب، فالمياه المقطّرة القابلة للشرب كانت لا توفر إلا للأمريكيين فقط، كما أنه كان «يدفع لهم أقل مما يستحقون بشكل مريع»، فمستوى التمييز كان يثير حنق حتى بعض الأمريكيين:

> وأحد العوامل التي ساهمت في عدم رضى الإيطاليين قبل الإضراب كان بعض العبارات التي كان يتفوه بها الموظفون الأمريكيون بأن أجور زملائهم الإيطاليين كانت أقل بكثير مما تستحقها مهاراتهم الحرفية. وهذه الحقيقة أقر بها مسؤولو أرامكو كذلك. وقد أخبرني عدد من أعضاء اللجنة الإيطالية في العزيزية أنهم عندما تركوا أعمالهم وانخرطوا في الإضراب عبّر رؤساؤهم الأمريكيون عن أملهم بأن يحصل الإيطاليون على ما كانوا يريدونه، كما أني سمعت عدداً من الموظفين الأمريكيين هنا لا يلومون الإيطاليين على لجوئهم إلى الإضراب[٢٧].

أما الموالون لأرامكو فقد برروا هذا الوضع بأن أيديهم مقيدة باتفاقية مزعومة مع الملك، لكن العمال الإيطاليين في جدة وأولئك الذين يعملون لدى القوات الجوية الأمريكية كانوا يعيشون في سكن يماثل في جودته سكن الأمريكيين. فأولئك المتواجدون في القاعدة الجويّة الأمريكية؛ حيث كان السكن مكيّفاً، كانوا يعيشون بشكل أفضل من موظفي السفارة الأمريكية، إلا أن الشركة قالت: إن هؤلاء الإيطاليين في نهاية الأمر قاموا بتوقيع عقود، والتي مهما كانت غير عادلة، إلا أن عليهم الالتزام بها. في الشهور الستة التالية، تم العمل على تطويرات في صالة الترفيه وفي المستشفى ولكن ليس في الإسكان. وفي تلك الأثناء، تم نقل أول دفعة من العرب من الأكواخ إلى سكن بجدران إسمنتية. وعلى الرغم من ذلك، كانت الأوضاع سيئة في عام ١٩٤٨م لدرجة أن السفارة في جدة حذّرت من «وجود خطر بسبب موضوع الإسكان، وكذلك بسبب موضوع طريقة توفير المتطلبات الأخرى،

---

(٢٧) انظر:

Jidda to State, 342, 18 August 1947, Treatment Accorded Italian Employees of Arabian American Oil Company at Dhahran and Ras Tanura, Saudi Arabia, RG 59,890F.6363/8-1847. For conditions ofItalians in the Bechtel camp in Jidda, see in addition Dhahran to State, 131, Enclosing Memorandum from Bergus, Jidda, to Childs, 15 November 1948, Italian Workers Employed by ARAMCO, RG 59, 890F.6363/11-848.

تشكّل جداراً طبقياً بين السعوديين والأمريكيين»[٢٨].

وسيقوم موظفو وزارة الخارجية الأمريكية بترديد هذه الحجج نفسها مجدداً بعد عام واحد، أي في عام ١٩٤٩م، مع قدوم وابل من البرقيات إلى واشنطن من الظهران وكراتشي بعد طرد خمسين موظفاً باكستانياً من أرامكو؛ إذ بدؤوا فور وصولهم إلى وطنهم بحملة لفضح الطريقة السيئة التي عوملوا بها على يد الأمريكيين، فقد أخبروا صحيفة **نيو أورينت** (*New Orient*) أنهم قد شكلوا نقابة للضغط من أجل تحسين أجورهم وظروف معيشتهم:

> لقد زودونا بأكواخ مهجورة مبنية من القش وخيام متهالكة لنعيش فيها، وبطعام رديء لنأكله، وأجبرونا على أن نسير عبر صحارى تغوص فيها أرجلنا داخل الرمل لنصل إلى مكاتب وساحات بعيدة... بينما خصوا أنفسهم بمساكن مكيفة، وأندية، وصالات للسينما، وباصات بمقاعد وثيرة لتنقلهم إلى المكاتب وتعيدهم.
>
> بالإضافة إلى ذلك، فقد كانوا بلا هوادة يوقعون بنا أذىً معنوياً لا يمكن لأي مخيلة أن تدركه. فقد كان تفريقهم على أساس اللون وتمييزهم العرقي بالإضافة إلى تكبرهم وتعاليهم موجودة في جذور كل إجراء أو سياسة صممت لإهانتنا والحط منّا[٢٩].

صحيفة باكستانية أخرى، اسمها **فريدوم** (*Freedom*)، أجرت مقارنة واضحة بين الظروف داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وبين الخطاب المثالي لدعوى الحكومة الأمريكية بأنه لكل شعوب العالم الحق في «الحريات الأربع» (حريتا التعبير والعبادة والتحرر من الحاجة والخوف) التي ذكرها الرئيس روزفلت في خطاب حالة الاتحاد الشهير الذي ألقاه في كانون الثاني/يناير من عام ١٩٤١م. وفي افتتاح الجمعية العمومية للأمم المتحدة عام ١٩٤٦م، كان الرئيس ترومان قد أعلن أن هذه الحريات الأربع نفسها

---

(٢٨) Jidda to State, 233, 25 October 1948, Some Observations on the Position of the Arabian Am Oil Company with Regard to American Policy in Saudi Arabia, RG 59, 890F.6363/10-2548.

(٢٩) "Aramco Insultingly Behaves towards Pakistanis," New Orient (27 March 1949), enclosure in Karachi to State, 99, 31 March 1949, Dispute between Arabian-American Oil Co and Its Pakistan Employees, RG 59, 890F.6363/3-1349.

تشكل أساس ميثاق الأمم المتحدة: «إلا أنهم بعد وصولهم إلى المملكة العربية السعودية، وجد الشباب الباكستاني أن المسؤولين الأمريكيين الذين أعماهم الغرور العرقي كانوا متأهبين لإخضاع هؤلاء الفتية المسلمين إلى معاملة «اشنقوا هذا العبد»(*) المعدومة الضمير. وعندما استجمع هؤلاء «العبيد» بعض الشجاعة وتحدوا هذه المعاملة، تم تسليمهم أولاً إلى الشرطة ثم رحلوا إلى باكستان من دون أي اعتبار لبنود العقد»[٣٠].

أما بالنسبة إلى الدبلوماسيين المكلفين بالمحافظة على المصالح الأمريكية، فقد بدأت مؤسسات جيم كرو تشكل لهم ما يشبه كعب أخيل ضمن صراع أمريكا مع الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة؛ إذ مثّل الاهتمام بسياسات أرامكو العنصرية أول تجليات هذه الحساسية من هذه الفجوة التي تفصل بين خطاب الحريات الأربع وواقع العنصرية؛ إذ اجتمع مسؤولو وزارة الخارجية لبحث المسألة، وتمت دعوة ديوس للاستشارة، في حين أن السفارة في كراتشي كانت قد حذرت بأن أي مديح للشركة ـ كما في عدد مجلة **لايف** (*Life*) لشهر أيار/مايو من عام ١٩٤٩م ـ سيكون أمراً خطراً «في هذا الجزء من العالم... وهو خطر خصوصاً إذا كانت العبارات من قبيل «مثال رائع للاستثمار الأمريكي في الخارج» و«نموذج لما كان يفكّر به الرئيس ترومان في «برنامجه الجريء الجديد» عن إرشاد أمريكا «للمناطق النامية»»[٣١].

وفي تقرير رفعه باركر هارت (Parker Hart) ـ الذي كان يعمل في القنصلية في الظهران ـ إلى زملاء عمله حول الظروف التي أدت «إلى الحوادث المتعددة الأخيرة التي تسببت فيها سياسات أرامكو العمالية بخلق حالة من الاستياء بين العمّال الهنود والباكستانيين» هناك وفي البحرين: «إذ أكد هارت أن الهنود والباكستانيين كانوا خدماً ومحاسبين جيدين وأنه من المستحيل الحصول على خدم جيدين في السعودية». أما ظروف المعيشة في

(*) «اشنقوا هذا العبد» عبارة فيها إشارة إلى ما كانت تقوم به بعض عصابات البيض في أمريكا من عمليات شنق للسود (المترجم).

(٣٠) "Where Yankees Misbehave," *Freedom* (25 March 1949), enclosed in RG 59, 890F.6363/3-1349.

(٣١) Incoming Airgram, Karachi to State, 14 April 1949, RG 59, 890F.6363/4-1449.

الأحياء التي ضمت مجموعة مختلطة مكونة من عمال غير يدويين متوسطي الكفاءة وموظفين إداريين وما شابههم وأغلبيتهم كانوا قادمين من اليمن، والسودان، ومصر، وباكستان، والهند فقد كانت مزرية: «فالمساكن كانت بدائية، والطعام سيئ، ولم يكن هناك أي ساحات ترفيه، لا أفلام ولا بركة سباحة. . .إلخ»: كما ذكّر مسؤول آخر رفاقه بالمعضلة التي دائماً ما يُزعم أن الشركة تواجهها، ولكن هذه المرة مع إضافة مثيرة للاهتمام إذ قال: «إن أرامكو قد عقدت اتفاقاً مع السعودية بأن كل موظفيها في هذا البلد ما عدا الأمريكيين، **ومجموعة صغيرة من العمال الإيطاليين من ذوي الكفاءة العالية**، يجب أن تتم معاملتهم على قدم المساواة مع العرب السعوديين»[٣٢]. فقبل عدة أشهر فقط تم تطبيق هذا الاتفاق الشهير على كل العمال الإيطاليين. أما الخبير بالشأن السعودي المقيم هناك، ريتشارد سانغر (Richard Sanger)، فقد رجّح احتمال أنه مع مرور الوقت ستتطور الدمام المجاورة إلى مدينة وليس فقط «بلدة تابعة لشركة»؛ حيث سيتمكن غير الأمريكيين من العيش «بالطريقة نفسها التي سيعيشون بها في أي مكان آخر في العالم، وسيبدأ «النظام الطبقي» الذي كان قد تطور في الظهران بالتفكك». أما هارت فقد طالب بأنه خلال المدى القصير من الضروري الضغط على أرامكو حتى تطوّر مساكن المقيمين في **الحيّ الأوسط**، وقد تم الاتفاق على دعوة تيري ديوس أو أحد مساعديه إلى اجتماع في واشنطن.

بعد شهرين، وبعد أن وجد ديوس أخيراً متّسعاً من الوقت، أخذ إيدي معه وبرفقته مجموعة من الوثائق، ودليلاً، حسبما قال، على أن الشيوعيين كانوا خلف الإضراب: «فقد تم اكتشاف أن مجموعة مؤثرة من الباكستانيين كانت متركزة في قسم العلاقات الحكومية في الشركة»، وادّعى أيضاً أن هناك «اتصالاً بين هذه المجموعة والسيد سويني (Sweeney)، وهو موظف أمريكي اتّهم بأنه قام بتنظيم خلية شيوعية في الظهران وفي منشأتين نفطيتين أخريين». وكما لو أن الأمر بحاجة إلى أدلة أكثر، فأحضر معه نسخة من بيان فظّ قام بإصداره العمال الباكستانيون وعنوانه «العمال الباكستانيون

---

(٣٢) State Department, Memorandum of Conversation, Treatment of Indian and Pakistani. Workers by the Arabian-American Oil Company in Saudi Arabia, [n.d.] [but probably 14 April 1949], RG 59, 890F.6363/4-1449 (emphasis mine).

يعاملون كالكلاب»؛ حيث علّق عليه بأنه «يتبع بشكل مباشر الخط الشيوعي في التفكير، خصوصاً في ما يتعلق بشرور الرأسمالية والتمييز العنصري». وعندما بدأ خبير عمالي استجوابه، أقر ديوس بأنه لم يكن الرجال كلهم «يعتنقون الفكر الشيوعي» وأن «جانباً كبيراً» من المشكلة كان «منشؤها الظروف السيئة وانعدام المساواة في التعامل وبعضها بلا شك محق»، إلا أن يد شركته مقيدة، فالملك لا يحب الجنوب آسيويين، كما أن الشركة كانت تتمنى لو كان ممكناً تشجيع جمعيات العمال، إلا أن الحكومة أصرّت على أنها هي من تمثّل العرب، سعوديين وغير سعوديين، في ما يتعلق بشؤون العمل. ومع ذلك، فقد وعد ديوس بأن الإصلاحات في الطريق وأن أرامكو ستبدأ باستخدام السودانيين كخدم عوضاً عن الباكستانيين والهنود(٣٣).

كل إضراب من الإضرابات التي وقعت بين عام ١٩٤٥م و١٩٤٩م أنتج عدداً ضخماً من حالات الإنكار وتبرئة الذات والقليل من وعود الإصلاح، والتي بدورها كان تنفيذها، على النقيض من الإسراع بعمليات الإنتاج إلى مستويات قياسية، يسير بسرعة السلحفاة. وأياً يكن، فإن ديوس لم يكن صريحاً، ولم تكن وزارة الخارجية على ما يبدو تعلم بمصدر الضغط الجديد، الذي يمكن القول: إنه كان حاسماً، عليه وعلى موظفي شيفرون وتكساكو المخضرمين لتحسين ظروف المعيشة داخل الأحياء السكنية. فالشريكتان الجديدتان، إكسون وموبيل، قد شنتا حملة تكلّلت أخيراً بالظفر لاستبدال مهندس الإصلاحات التي أدّت إلى ظروف مبنية على الفصل العنصري وانعدام المساواة، جيمس ماكفيرسون، الذي استلم المنصب من أوهليجر بعد أول إضراب، وهي حملة كان ديوس نفسه قاب قوسين أو أدنى من خسارة منصبه بسببها.

تسوية بنسلفانيا

بعد مرور أربع سنوات على أول اجتماع تخطيطي في الظهران المطلوب من خلاله التعامل مع مشاكل العمال المتراكمة، قام ديوس بجمع المخططين مرة أخرى، إلا أن هذه المرة كانت وسط مشاهد طبيعية أجمل، حيث

---

(٣٣) State Department, Memorandum of Conversation, 7 June 1949, ARAMCO and Pakistani and Indian Labor, RG 59, 890F.6363/6-749.

اجتمع بارغر ومن بقي من رؤساء منظمة العلاقات الحكومية في جبال بنسلفانيا، أو «هناك عالياً في جبال البوكونو»في مصيف يدعى مونومونوك إن. (Monomonock Inn.) أما بالنسبة إلى القضايا فبقيت نفسها: توظيف العمال، والإسكان، والتعليم، وإدارة النظام الطبقي في الأحياء. فالظروف التي كانت تواجهها أرامكو كانت أسوأ بكثير من أن يتوقعها أحد في عام ١٩٤٤م بحسب مراقبي الأوضاع في السعودية. فإضرابات العمال جعلت الشركة في موضع الدفاع عن النفس، وعقّدت من علاقاتها مع الملك وغيره من مسؤولي الحكومة، كما كشفت هذه الإضرابات عن وجود بذور لمعارضة ممكنة للوجود الأمريكي تتجاوز ما يسمى العناصر التقليدية أو المتعصبة في نجد. بمعنى آخر، فقد بدا أن السعوديين «يتطورون» بشكل متسارع لم يكن أحد يعتقد بأنه ممكن أو حتى جيّد، فأول إضراب لعمال النفط السعوديين كان قد سبق الإضرابات التي وقعت في إيران (عام ١٩٤٦م) والعراق (عام ١٩٤٧م) التي دوماً ما كان ينظر إليها باعتبارها معلماً في طريق تشكّل الحركات السياسية والقوميّة والمعادية للرأسمالية في المنطقة[٣٤]. وقد سبق أن حذّر الملحق الثقافي الأمريكي في الرياض من أن معاداة أمريكا آخذة بالتصاعد بين كافة طبقات العرب في المملكة، فالانطباع الحسن الذي تم اكتسابه خلال سنوات الحرب أخذ يتبدد، واللوم في هذا يقع بشكل كبير على سياسات الشركة، وقد قال الملحق:

> فخلال هذه الأيام بدأت مشاكل العمال تؤثر في شركة النفط في الظهران عبر سلسلة من الإضرابات التي أثرت في الناس بشكل أكبر حتى من القضايا السياسية. فالتعليقات الصادرة من كافة طبقات العرب كانت تعبّر عن منحى عدائي تجاه طرق معاملة الأمريكيين للعمال العرب في حقول النفط. كان هناك كلام كثير عن الظلم، وعن التمييز في الأجور وفي المساكن، وعن جودة الطعام. وقيل كذلك: إن العمال العرب كان يتم التعامل معهم

(٣٤) انظر المقالات التي كتبها كلّ من:

Patrick Clawson and Joe Stork, in: Petter Nore and Terisa Turner, eds., Oil and Class Struggle (London: Zed Press, 1981), pp. 151 and 175.

بشكل أكثر إنسانية في حقول النفط التي تديرها الشركات البريطانية(٣٥).

وهذه النتيجة نفسها كان أوهليجر قد توصل إليها بحسب مذكرة تمّ توزيعها في اجتماع جبال البوكونو(٣٦).

كما أن وضع أرامكو لم يكن جيّداً في بلادها أيضاً، فقد كانت تحت هجوم اليمين في عام ١٩٤٨، وذلك بقيادة عضو مجلس الشيوخ ممثل ولاية ماين (Maine) الجمهوري رالف أوين بروستر (Ralph Owen Brewster)، وكان حاكماً سابقاً للولاية، وعضواً سابقاً في منظمة الكو كلوكس كلان، ومعارضاً شرساً لسياسات الصفقة الجديدة. وضمن هذا السياق، ترأس بروستر لجنة خاصة للتقصي عن الروابط بين شركات النفط الكبرى وبين إدارة روزفلت في فترة الحرب. أما اليسار فقد اتهم أرامكو بأنها حليفة للملوك الإقطاعيين الأوليغارشيين ملاك العبيد، وكذلك حليفة للمفتي(*)، ولضباط جيوش الشرق الأوسط الفاشيين في حربهم ضد إسرائيل. ولسوء حظ الشركة، فإن محرري صحيفة ذا نايشن (*The Nation*) قد وضعوا أيديهم على مذكرة لديوس مرسلة من القاهرة في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٤٧م لرئيس أرامكو يلخص فيها الاتصالات التي أجراها مع عزّام باشا(**) وغيره من قيادات العرب. فبالنسبة إلى محررة الصحيفة فريدة كيرشواي (Freda Kirchway)، تعتبر المذكرة «دليلاً دامغاً» على جهود أرامكو «لإفشال قرار التقسيم» وذلك «بالتواطؤ مع وزارة الخارجية الأمريكية» وكذلك على تمويل «الدولارات الأمريكية... الحرب على اليهود»(٣٧). وقد تأكدت أصالة الوثيقة في وقت

---

(٣٥) Nils Lind, "A Summary of Views on United States Relations with Saudi Arabia," RG 59, 711.90F/5-147.

(٣٦) "Improvement of ARAMCO Relations with the Saudi Arabian Government," enclosed in ARAMCO, Relations Department, Monomonock Inn, Mountainhome, PA, 25 October 1948 to 28 October 1948, Folder 25, Relations Department, 1948, Box 5, Mulligan Papers.

(*) المقصود هنا مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني (المترجم).

(**) هو عبد الرحمن عزّام (١٨٩٣ ـ ١٩٧٦) ولد في مصر، وهو أول أمين للجامعة العربية، وإليه تنسب فكرة إنشائها. كان يلقب بـ«جيفارا العرب» للحروب الكثيرة التي شارك فيها؛ إذ قاتل الإنكليز والفرنسيين والإيطاليين في مصر وليبيا وغيرها (المترجم).

(٣٧) انظر:

Freda Kirchway to Clark Clifford, 18 June 1948, and enclosures, RG 59, 890F.6363/6-2248.

آخر من السنة نفسها لمّا هوجم ديوس داخل مجلس إدارة الشركة، وكان ذلك ضمن محاولة طرده من قبل الشركاء الجدد[٣٨].

كان الاجتماع التخطيطي في جبال البوكونو في جوهره رداً على النقد والضغط المتناميْن على القسم الذي يديره ديوس من قبل ملّاك أرامكو الجدد لتحسين ظروف المعيشة وتقليل الاحتقان في الأحياء السكنية، وهذا كله جاء بعد أن كانت الشركة تدّعي ظاهرياً ووسط كثير من الصخب بأنّها ما كانت تفعل إلا هذا الأمر. جعل رئيس الحي، جيمس ماكفيرسون، من بناء مستشفى للعرب أولوية ورمزاً لما اعتبره نظاماً أحدث وأكثر مساواة، إلا أن وينثروب روكفلر (Winthrop Rockefeller)، وهو أحد المستثمرين الرئيسين في موبيل ورئيس لجنة التقصي الطبية الخاصة بها، هاجم المشروع قبل أن يتم الفراغ من بنائه. فعلى الرغم من أن ماكفرسون كان فعلاً راغباً بالتخلص من الكوخ السابق الممتلئ بالذباب، إلا أنه أصر على أن تكون التجهيزات الجديدة مفصولة، أي للعرب فقط. ولكن بعد تقرير روكفلر، اضطرت الظهران إلى البدء بالتخطيط لبناء مستشفى يخدم العرب والأمريكيين معاً، على الرغم من أنه لم يكن واضحاً متى سيتم تنفيذ هذا التغيير. أما ماكفرسون، فقد استقال من أرامكو فور علمه بأن التقرير قد ذكره بالاسم؛ حيث كان مصراً على أن جهوده المتفانية لتحسين صحة العرب وظروفهم كانت تجهض دائماً من قبل أعضاء مجلس إدارة الشركة في سان فرانسيسكو الذين لم يكونوا يأبهون إلا بزيادة الأرباح. وبعد سنوات، قرر موليغان وضع النقاط على الحروف، حيث وصف «ماك» باعتباره شخصاً آخر من أولئك الرؤساء ذوي العقلية الاستعمارية الذي «تصرف كالبريطانيين في تعاملهم مع الملك الهندي... فقد كانوا لطفاء مع الملك والأمراء التجار، إلا أنهم اعتبروا كل من سواهم من العرب مجرد كوليين»[٣٩].

---

(٣٨) William Eddy to Mary Eddy, letters dated July 8 and 15, Folder 3, William A. Eddy, 1948-1949, Box 6, Eddy Papers.

(٣٩) MacPherson is portrayed by both Irvine Anderson, ARAMCO, *the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981), and Anthony Cave Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings* (Boston: Houghton Mifflin, 1999), as on the losing side of a battle to make ARAMCO a fully integrated oil firm to rival rather than serve the interests of Exxon. He was U.S. consul Parker Hart's primary source of information about the firm, and it is these self-serving =

وعندما وصل هارولد هوسكنس ـ مستشار إكسون في شؤون الشرق الأوسط وعضو مجلس إدارة الجامعة الأميركية في بيروت ـ إلى الظهران بعد فترة قصيرة من قدوم روكفلر، قام في التقرير الذي كتبه بترديد هذه الانتقادات والتوسع فيها؛ حيث قال:

كما أن معدل تبدّل العمالة المحلية كان عالياً أيضاً... وهذا في جزء كبير منه يعود إلى انعدام تجهيزات سكنية لائقة، ففي الوقت الحالي لا يوجد أي تجهيزات سكنية للموظفين العرب المتزوجين، وتجهيزات المستشفى أقل بكثير مما هو مطلوب. وجميع هذه المشاكل الخاصة بالموظفين يجب أن تدعّم ببرنامج تدريب أكبر وأفضل «داخل وخارج» العمل، بالإضافة إلى خطة متكاملة لتدريب المبتدئين. وقد تم إعداد تقرير يدرس كافة جوانب مشكلة التدريب والتعليم لأرامكو من قبل مجموعة مكلفة بشكل خاص من جمعية كليات الشرق الأدنى قبل قرابة العام، وبحسب علمي، لم يتم اتخاذ أي إجراء بناء على توصياتها.

قَارَنَ تقرير هوسكنس أداء أرامكو بأداء الشركة التي يتشارك ملكيتها كل من إكسون وشركة النفط البريطانية، أي شركة نفط العراق (آيبيسي)، وكذلك بأكبر استثمارات شركة النفط البريطانية، أي الشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط (أيوك)[٤٠] ففي كركوك، خصصت شركة نفط العراق عشرين مليون دولار لتطوير الإسكان للعمال المحليين، وفي إيران، وبعد إضراب عام ١٩٤٦م،

---

conversations with Hart and the latter's reports to Washington on which the historians' portraits = are based. None has considered the materials I present here. See Hart to State, 99, 2 July 1949, Outline of Factors Leading to Retirement from Aramco of James MacPherson, Vice President and Resident Administrative Officer, 890F.6363/7-249, and Mulligan to Harry McDonald, 22 April 1991, Folder 7, Correspondence, 1991, Box 12. In the letter, Mulligan revealed that he was a source for Brown's book but had changed his mind about MacPherson along the lines I suggest here.

(٤٠) I have used BP for convenience's sake. The firm was then known as the Anglo-Iranian Oil Company, and was owned jointly by investors and the British government. The Iraqi concessions were owned by a consortium, including BP/AIOC, Royal Dutch Shell, Jersey Standard (Exxon), So cony-Vacuum (Mobil), France's Compagnie Fran5aise des Petroles, and an individual, Calouste Gulbenkian. Specialists know the story of these ventures. Others can get up to speed using Daniel Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power* (New York: Simon and Schuster, 1991).

تمّ الإسراع بتنفيذ برنامج للإسكان؛ كما أن هوسكنس قد ذكر أن الخدمات الأخرى في إيران كانت أفضل من تلك الموجودة في العراق، وبأن الإيرانيين قد تمت ترقيتهم لمناصب عليا: «لقد مضت أيوك بعيداً في برنامجها التدريبي، سواء داخل أو خارج مقر العمل، مقارنة بآيبيسي وأرامكو». وشدّد هوسكنس تركيزه بشكل خاص على معهد التقنية الذي كلف خمسمئة ألف دولار وتم الانتهاء منه في عام ١٩٣٩م لتدريب التقنيين الإيرانيين[٤١]. وناشد فريق هوسكنس أرامكو ببناء معهد مماثل للسعوديين، إلا أن الطلب رفض من دون أن تتم مناقشته[٤٢].

ترجح حالة أرامكو أن التغيرات الآخذة بالتشكل في حقول النفط في كركوك والظهران وعبّادان تعود بشكل رئيس إلى مطالبة العمّال بمعاملة مماثلة لتلك التي تتنعم بها الأقلية البيضاء من عمال الحفر والمديرين، وإذا كان تصنيف هوسكنس صحيحاً في كون شركة النفط البريطانية «في المقدمة» وأن أرامكو قابعة في المؤخرة، فإن التفسير بالعودة إلى طبيعة المؤسسات السياسية بشكل عام، أي تواجد الأحزاب الشيوعية وما إلى ذلك، قد يكون هو ما يميّز حالة إيران والعراق عن السعودية. ومثل ما هو مطلوب من أي مؤرخ شركة، فإنه يتوجب علي تقصي، لا مجرد الاعتقاد بلا دليل، كيف ميّز وجود بعض السمات الوطنية المديرين المتنورين والمتطلعين قدماً من أولئك الأقل تنوراً. وفي الوقت نفسه، فإن تقرير هوسكنس يرجّح بأن مدى دقة معتقدات الأمريكيين عن كون نظرائهم البريطانيين أكثر إمبريالية وتعالياً منهم لم يكن ذا أثر؛ إذ كما نقل هوسكنس، المسؤولون البريطانيون في إيران «قاموا بترقية الإيرانيين الأكفاء إلى مناصب أكثر أهمية، كان من بينها: مدير

(٤١) Harold Hoskins, 17 March 1948, Report to Coordination Committee, Standard Oil Company (NJ), Trip to Middle East-10 January to 9 March 1948, Folder titled Professional File, Standard Oil Reports and Memoranda 1947-1950, Box 3, Harold B. Hoskins Papers, American Heritage Center, University of Wyoming, Laramie.

انظر أيضاً:

Mark Crinson, "Abadan: Planning and Architecture under the Anglo-Iranian Oil Company," Planning Perspectives, vol. 12, no. 3 (1997), pp. 341-359.

(٤٢) See the account in Harry Roscoe Snyder, "Community College Education for Saudi Arabia: A Report of a Type a Project," (Ph.D. Dissertation, Teachers College, Columbia University, 1963). Snyder headed training and directed the institute that ARAMCO and the Saudi government ultimately built some twenty years later.

التسويق في إيران، ومدير موظفي الميدان الذي كان مسؤولاً عن موظفين أمريكيين وإيرانيين، وواحداً من بين المساعدين الأربعة للمدير العام في عبدان» وهذا في الوقت الذي كان فيه الأمريكيون في الظهران يحرمون العرب من حَمَلَةِ الدرجات العليا من العمل في الشركة، ومن باب أولى السكن في الحيّ الأمريكي. وفي نهاية الأمر، ما يهم هنا هو موضوع سرعة وعمق تحقق المساواة، أي متى انتهى نظام الطبقات والفصل العنصري في السعودية ولماذا؟

تأكدت أهمية هذا السؤال في اليوم الثاني من الاجتماع التخطيطي عندما تحدث بيرغر عن الزيارات المتتابعة التي حدثت في شهري أيار/مايو وحزيران/يونيو من عام ١٩٤٨م، التي قام بها اثنان من كبار المسؤولين التابعين للملك عبد العزيز: وزير المالية عبد الله السليمان، ووزير الخارجية يوسف ياسين. كلا الرجلين أكّد النقطة نفسها: «يجب أن تقترب الظروف المعيشية للموظفين العرب من تلك التي يتمتع بها الأمريكيون. والنقاش حول هذه المسألة استغرق وقتاً أطول بكثير من أي مرة سابقة. **لقد أخبرونا بأن علينا أن نجهّز المخططات في الحيّ بحيث تسمح في نهاية الأمر باندماج مساكن أسر الموظفين العرب الكبار بالحيّ الأمريكي**»[٤٣] وهذه العبارة الواضحة البيّنة المنسوبة إلى أكثر حلفاء الملك ولاء لَكفيلة بأن تبدد الأسطورة القائلة: إن السعوديين كانوا يفضلون نظام الفصل، فالحقيقة كانت هي العكس: «فالحكومة باتت واعية أكثر وأكثر بما حدث في البلدان الأخرى. فالسوابق التي أسست في عبَدان وكركوك قد تؤسس لنمط لن يكون لدينا خيار سوى اتباعه»[٤٤]. ويجب ألا ننسى أنه في حالة عبَدان، فإن السابقة تعود إلى الثلاثينيات[٤٥]، كما أن تقرير اجتماع البوكونو يكشف بأن

(٤٣) ARAMCO, Relations Department, Monomonock Inn, Mountainhome, PA, 25 to 28 October 1948 [T. C. Barger copy], Folder 25, Relations Department, Box 5, Mulligan Papers (emphasis mine).

(٤٤) Ibid., "Pressure for Improved Housing".

(٤٥) انظر:

Ronald W. Ferrier, *The History of the British Petroleum Company*, 2 vols. (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1994), vol. 2: *The Anglo-Iranian Years, 1928-1954*, written by J. H. Bamberg, p. 99, for planning of a garden-city-type housing development for Iranian families along with acceleration of Iranization. The first mass actions by workers dated to the 1920s.

مجموعة من الحاضرين كانوا واعين لأي درجة كانت السياسات الموجودة في الظهران ـ سلم الأجور، والإسكان، والتعليم، والتدريب ـ بعيدة عن قيم العدل والمساواة، فالعالم كان يحث على المسير قدماً بينما هذه الشركة كانت لا تزال تتعثر في المؤخرة.

وعلى الرغم من أن ديوس والمديرين الآخرين أقروا بأن الضغوط بدأت تتعاظم باتجاه عمل شيء ما بما يتعلق بالتعليم والإسكان، أو ما ستتم تسميته في ما بعد «تنمية المجتمع»، إلا أن القرار الأساس الذي خرج به الاجتماع هو المماطلة. فقد استنتجت مجموعة منظمة العلاقات الحكومية بأنه من الضروري إجراء دراسة قبل تبنّي أي حلول كان الشركاء الجدد يضغطون من أجل اتخاذها. فسواء داخل الولايات المتحدة أو في مواقع العمليات في الخارج، كانت شركات النفط دائماً، عندما تواجهها التكاليف الضخمة الناجمة عن توسيع مزايا نظام إسكان الموظفين القديم للعمال كافة، تلجأ إلى خيارات بديلة. فعلى سبيل المثال، بدأت شركة كريول للنفط الفنزويلية، والتابعة لإكسون، بمنح موظفيها قروضاً من أجل أن يبنوا بيوتهم بأنفسهم. وفي عام ١٩٥٢م، تبنت أرامكو الاستراتيجية نفسها. ولئن كان مؤرخو شركة كريول يتوسعون في التفسير ليصوروها كقصة متنورة تمثّل تحولاً عن «الأبوية المتطرفة»، فإنه كان واضحاً في اجتماع البوكونو أن المحصلة النهائية قادت إلى هذا الإجراء وأن الأمريكيين مستثنون من مثل هذه التغييرات، وبعبارة أخرى مستثنون من خسارة امتيازاتهم(٤٦).

أحد أسباب هذه المماطلة هو أن خطة إقراض الموظفين ليبنوا بيوتهم بأنفسهم تم التخطيط لها حتى تكون وسيلة لإبقاء الحيّ الأمريكي مقتصراً على البيض. ولنتذكر فقط النقاشات التخطيطية التي جرت قديماً أيام الحرب

(٤٦) For the turn-from-paternalism argument, see Wayne Taylor and John Lindemann, *The Creole Petroleum Corporation in Venezuela,* with the collaboration of Victor Lopez, United States Business Performance Abroad (Washington, DC: National Planning Association, 1955), pp. 42 and 55, and Indonesia Project, Center for International Studies, MIT, *Stanvac in Indonesia,* Sixth Case Study in a National Planning Association Series on United States Business Performance Abroad (Washington, DC: NPA, 1957), pp. 54-55 and 83-90; but Larson, Knowlton, and Popple, New Horizons, also make clear that costs drove the change in Standard Oil's Venezuelan and Colombian camps in the 1940s. For the parallel movement inside the United States, see Roger M. Olien and Diana Davids Olien, *Life in the Oil Fields* (Austin, TX: Texas Monthly Press, 1986), p. 122.

حول تطوير بلدات عربية بعيدة عن الظهران، ففي السنوات التي أعقبت ذلك، اتخذت أرامكو قراراً نهائياً بإبقاء العِيال العربية في الخارج ـ «لقد تم التفكير في احتمالية توسيع أحياء العرب داخل الشركة لإسكان العِيال، إلا أن هذه الفكرة تم التخلي عنها فوراً باعتبارها غير مرغوب فيها وفي الوقت نفسه مكلفة» ـ وبدأت بتطوير مخطط لمدينة عصرية في الدمام القريبة. لقد تم التعامل مع هذا المشروع باعتباره خدمة للحكومة، وبحلول عام ١٩٤٨م تم إنفاق قرابة مئة ألف دولار على تخطيط المربعات السكنية (٩٩ مربعاً سكنياً مقسومة إلى مجموعات من المباني) وتجهيز إمدادات المياه والكهرباء. توقعت أرامكو أن المشروع سيستغرق خمس سنوات وسيحتاج إلى ما مجموعه مليونا دولار لتطويره. واعتبر المخططون الدمام نموذجاً يمكن إعادة تطبيقه في الأماكن الصغيرة في كل من بقيق، ورأس تنورة، وفي المقاطعات الموجودة على امتداد أنابيب النفط، في ما سيكون إجمالي تكلفته خمسة ملايين دولار، وستمكّن القروض عمّال أرامكو العرب من البناء في هذه الأماكن. بالمقابل لو أرادت الشركة أن توفر إسكاناً «مجانياً» وبجودة مقاربة لما يتم تقديمه للأمريكيين فإن التكلفة ستكون في حدود أربعين مليون دولار[٤٧].

قد يغري هذا بعض للاستنتاج بأن ما قاد هذه التداولات هو متطلبات السوق فقط وليس العنصرية، إلا أنه يجب التنبه أولاً وقبل كل شيء إلى الكيفية التي سعى من خلالها هؤلاء القوم إلى منع العرب من الإقامة بشكل دائم في الظهران التي كانوا يعيشون فيها مع غيرهم من الأمريكيين ومع عِيالهم؛ وكذلك سعيهم للإبقاء على أحياء السكان العرب كأماكن خاصة للعمالة؛ حيث تم إجبار من فيها من العمّال الأقل حظاً على العيش بشكل منفصل عن عِيالهم. كما يجب الانتباه أيضاً إلى أن النسخ الأخيرة من التبريرات لمثل هذه القرارات، والقائمة على أرضية أن الأمريكيين كانوا عرضة لأن يتم التعامل معهم بظلم في «صدامات ثقافية» منغلقة مع المواطنين

(٤٧) انظر:
"Agenda for Second Day," discussion of "Community Development," ARAMCO, Relations Department, Monomonock Inn, Mountainhome, PA, 25 to 28 October 1948 [T. C. Barger copy], Folder 25, Relations Department, Box 5, Mulligan Papers.

السعوديين لم تخترع بعد. فمثل هذه الحجج لم تخرج إلى النور إلا في ستينيات القرن العشرين عندما لم تعد العنصرية مسألة بلا مشاكل كما كان الأمر قبل ذلك؛ إذ لو كان المسؤولون السعوديون جادين في رغبتهم بتوفير مساكن للعِيال تكون مبنية في الظهران بإنهاء الفصل العنصري في الأحياء العمالية، لتوجب على أرامكو التنفيذ مباشرة والتوقف عن الاستثمار في تطوير الدمام، وهو الأمر الذي لم تفعله أبداً.

على الرغم من كل هذا، قام ديوس ورفاقه باتخاذ قرار حول مسألة تنموية واحدة فقط. وعلى غير العادة، لم يسفر هذا القرار عن إحالة الموضوع إلى الدراسة بشكل أوسع لدى مجموعة التخطيط الاستراتيجي، المنشأة حديثاً تحت إشراف بارغر. كانت أرامكو قد افتتحت مدرسة لأبناء الموظفين الأمريكيين في عام ١٩٤٥م، وأنهت بناء أول مبنى مخصص للتدريس في الحيّ الأمريكي في عام ١٩٤٦م، وخرّجت أول دفعة عام ١٩٤٧م، وفي عام ١٩٤٩م، كان لديها مدارس في كل أحياء الموظفين الأمريكيين في أرجاء المنطقة النفطية كافة. كما ترسّخ العرف بأن يُرسَلَ أبناءُ الموظفين الأمريكيين المراهقون إلى الخارج ـ وقد تم إرسال أول دفعة إلى مدرسة الجامعة الأميركية في بيروت ـ كي يتموا دراستهم بدل إبقائهم داخل البلاد[٤٨].

في اجتماع البوكونو تناول المخططون موضوع تعليم أبناء العمال السعوديين لأول مرة. ومع ذلك، وعلى الرغم من مطالبة موظفي منظمة العلاقات الحكومية بحملة علاقات عامة شرسة داخل السعودية وعلى امتداد العالم العربي، حملة ستقوم «بتأكيد ما عناه وجود مستشفيات. . . ومدارس وإعانة أصحاب الأعمال المحلية من تأكيد معنى توفير حياة أفضل» للمواطن السعودي العادي، إلا أنه بالنسبة إلى ديوس ورفاقه فإن «الجواب يبدو واضحاً بأن على الشركة ألا تنخرط في تقديم برنامج تعليمي عام» لأبناء العمال السعوديين. فعلى ما يبدو لم يكن هناك أي أهمية لقانون العمل المصدر عام ١٩٤٢م والذي يلزم الشركة بالقيام بهذه المهمة. وقد تمسكت

---

(٤٨) انظر:

"The Growth of Training Policy (1949-1959)," Folder 32, Box 5, Mulligan Papers.

أرامكو بهذا الموقف حتى دفعت جولة جديدة من الانتفاضة العمالية في الخمسينيات ملكاً جديداً إلى أن يطلب من الشركة بأن تقوم بتطبيق القانون، وهذه القصة نفسها كانت قد حدثت لدوني في المكسيك قبل عقود. أخيراً، بنت الشركة مدرسة ابتدائية في الدمام، لكنها استمرت في رفضها تعليم الأعداد المتزايدة لأبناء العمال الذين يعيشون «بشكل غير قانوني»، والمعنى هنا هو عدم التقيّد بـ«القانون» الذي اخترعته الشركة داخل أو حول مجمّع العمال السعوديين الرئيس في الظهران[٤٩].

ألق دلوك حيث أنت!

اعتبر صنّاع السياسة في واشنطن في عام ١٩٤٥م أن إصلاح النظام المالي المتخبّط في السعودية يعتبر إحدى أهم الأولويات التي تتطلب تقديم مساعدة تنموية على شكل بعثة استشارية. ستتسلم هذه البعثة مهمة «إعداد الميزانية وضبط الصادرات والواردات. . . وخطط شاملة لتنمية رأس المال، والتخطيط لبناء مؤسسة لنظام نقدي حديث، وتطوير سياسات التبادل التجاري»[٥٠]. لقد كان النموذج المراد تطبيقه معروفاً على مدى عقود من التدخل في منطقتي البحر الكاريبي وآسيا في عهد دبلوماسية الدولار وما بعده، إلا أنّ المثير هنا هو أن موقع الإصلاح التعليمي جاء بعد الإصلاح المالي مباشرة:

> وجود برنامج تعليمي يمثّل أهمية كبرى لتطوير مجموعة من القادة الذين سيكون بإمكانهم إدارة التحديث في المملكة العربية السعودية. . . يتوجب على السفير الأمريكي في جدة ومستشاره الاقتصادي ومسؤولي وزارة الخارجية في واشنطن أن يوجهوا حكومة المملكة العربية السعودية خلال هذه الفترة من بزوغها في عالم القرن العشرين. . . فمع وفاة الملك الحالي ومع تطوير

(٤٩) See ms. marked "confidential" Arabian American Oil Co., Donations, Contributions, and Assistance to Saudi Arabia 1933-1970, Folder 10, Donations, Contributions and Assistance to Saudi Arabia; document headed "Examples of Representation Indicating Conflict of Company Interest in Our Approach to Saudi Arabian Government," Folder 13, Government Relations Organization Presentations, and document headed "Historical Survey ARAMCO Schools for Children of its Employees (1952-1967)," Dhahran, 1967, Folder 14, Mulligan Papers.

(٥٠) Memo, Sept. 25, McGuire to Ness, General Policy Saudi Arabian Development, RG 59, 890F.51/9-2546.

> التعليم فإن الطريق قد يكون سالكاً نحو تغيير تدريجي من الملكية المطلقة الحالية إلى حكومة أكثر دستورية. ويجب بذل الجهود كافة للتقليل من تبذير الأسرة الحاكمة، ولتعليم الأمراء وجعلهم يعملون، ولتطوير طبقة وسطى متعلمة في هذا البلد[٥١].

وكما هي عادة هذا النوع من العبارات التنظيرية: كل الأشياء الجيدة تبدو كما لو أنها تسير معاً، فبحسب ما هو مذكور آنفاً، لن تقوم الطبقة الحاكمة المتعلمة فقط بالتحوّل إلى شكل أكثر تنوّراً من الحكم التسلطي، بل إن الخزينة الأمريكية أيضاً لن تضطر إلى أن تتحمل نفقات كل القطارات، والطائرات، والعدد الذي لا ينتهي من القصور، وهذا على الرغم من أن الملك كان يرجو أن تستمر بعمل ذلك، كل ما تحتاج إليه هو أن تعيد تنظيم النظام المالي وأن تدخل الأمراء إلى المدارس حتى «يبدو من الممكن أن يتم تمويل التنمية الاقتصادية للمملكة العربية السعودية بحسب المقاييس التي تريدها الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الحكومة السعودية نفسها».

لم تكن خطة سيئة، على الرغم من أن من كتبها كان يدرك أنها تواجه بعض العقبات على المدى القصير، أحدها: أن الملك عبد العزيز لم يكن على ما يبدو متحمساً لها، وذلك كما أخبر هو ويليام إيدي، والسفير الأمريكي فيما بعد، والذي قال:

> أظن أنه يمكن استشفاف ريبة الملك من جدوى نظام مدارس تفصيلي لشعبه من خلال حديثه مع الكولونيل إيدي. فالملك وافق على أن التعليم على الحرف اليدوية والصنعات سيكون أكثر فائدة لتمكين شعبه من الحصول على معيشة ذات مستوى مرتفع، لكن تطوير برنامج أكاديمي يكون متوافقاً مع الأنماط الأكاديمية المعتادة قد يؤدي إلى المساهمة في نشوء طبقة من السياسيين والمحامين في المملكة العربية السعودية، كما حدث ذلك في مصر، وهو الأمر الذي كان يعتبره الملك مثيراً للقلق[٥٢].

---

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) Snyder to Sanger, 27 December 1946, enclosing memo on proposed education survey in Saudi Arabia, RG 59, 890F.42/12-274.

أما العقبة الأخرى فقد تمثلت في كون تجار النفط الأمريكيين كانوا على أقل تقدير قلقين بدرجة مساوية للملك حول تكاليف خلق طبقة سياسية معنية ببناء الدولة. فالتجارب في المكسيك وفنزويلا قد علّمت الشركات بأن فكرة التعليم على الحكم الحديث غالباً ما كانت تعني تزايد احتمالية التدخل في صناعة النفط أو حتى السيطرة عليها، بل إن حتى خطة الملك عبد العزيز البسيطة، والتي بسهولة يمكن اقتطاعها مباشرة من خطبة بوكر واشنطن في أتلانتا عن «التعليم على الحرف اليدوية والصنعات»، كان رفضها أشد من قبولها داخل الحي الأمريكي، على الرغم من أنه من الصعب إدراك هذا الأمر عبر قراءة الروايات التي كتبوها في ما بعد بأثر رجعي[٥٣].

فالشركة، مثلها في ذلك مثل غيرها من الشركات العاملة في مجال التنقيب على أرض أجنبية، كان لديها مصلحة دائمة في الاستفادة من العمالة المحلية كلما سنحت الفرصة، وذلك بسبب كلفتها القليلة. وهذا الأمر ظل صحيحاً بالنسبة إلى حقول الزراعة كما هو بالنسبة إلى المطاحن، وحفر القنوات المائية، والمناجم. فتكاليف توظيف أرامكو للعمالة «الأجنبية» (والمعني هنا بشكل رئيس تكاليف توظيف الأمريكيين) كانت باهظة جداً، ومثله كذلك كانت تكلفة تبدّل الموظفين في الأيام الأولى كما رأينا سابقاً. وهذه الظاهرة كانت معروفة جداً بالنسبة إلى هذا النوع من الأسواق، ولهذا كان هناك بلا شك محفز لتطوير منابع رخيصة وقريبة للعمال. ظلّ هذا الأمر صحيحاً على الرغم من أن إنتاج النفط كان مختلفاً عن الصناعات التي ذكرتها قبل قليل بحكم كونها نسبياً تستخدم عمالة أقل وأصولاً ثابتة أكثر؛ فحفر الآبار على العكس من التنقيب عن النحاس يعتمد على فرق صغيرة ومستقلة من الرجال ذوي المهارات المتخصصة نسبياً. فغالب ما قام به السعوديون حول الظهران في البداية لم يكن سوى الأعمال المنهكة المتعلقة ببناء وصيانة الأحياء. ومع ذلك، فمن دون وجود مدارس تعلم المهارات المتخصصة المرتبطة

---

(٥٣) Robert Norberg, "Saudi Arabs, Americans, and Oil," Saudi-American Forum, Essay Series, no. 10 (20 March 2003),
< http://susris.com/2003/03/20/saudi-arabs-americans-and-oil/ > (accessed on 16 April 2003).

بحفر آبار النفط، فإن تعلم الصنعات لا يمكن أن يتم من دون مرافقة العمّال الذين يتمتعون بخبرة أكثر.

وكما هو متوقع منهم، فقد سعى العمال «البيض» أو «الأمريكيون»، كما كانوا يسمون أنفسهم في أريزونا وكاليفورنيا في مطلع القرن العشرين وفي السعودية بعد ذلك بنصف قرن، لحماية امتيازاتهم في قمة تراتبية العمال. فقد مرت أزمنة كانوا يحاربون العمال السود والمكسيكيين والقادمين من أمريكا اللاتينية وغيرهم، وفي أزمنة أخرى شكلوا جمعيات سرية كالكو كلوكس كلان، أما في صناعة النفط فقد كانوا يكتفون بالامتناع عن تعليم من سيحل محلهم[٥٤]. وهذه الحالة الأخيرة هي التي كانت موجودة في الحيّ الأمريكي أواخر أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، وهي أيضاً ما يساعد على تفسير الإصرار على إقصاء السعوديين هناك وبقية الأماكن في الظهران من السكن وأحواض السباحة والمدرسة الابتدائية... إلخ.

بشكل لا يخلو من الصحة يُجْمِعُ مؤرخو الشركة والأعداد السنوية لمجلة **عالم أرامكو** على الإشارة إلى أن بداية الحصص الأولى التي تم تدريسها من قبل الشركة والمقدمة للعمال السعوديين لتعليمهم الإنكليزية كانت في أيار/مايو ١٩٤٠م. ففي الليلة الأولى حضر ١٩ طالباً إلى منزل أحد الموظفين في الخبر وكان يتلقى أجراً إضافياً على عمله كمدرس. كبر حجم مدرسة «الخبر» الإنكليزية مع تزايد المقبولين من العمال وبعض أهالي البلدة، وفي آذار/مارس من عام ١٩٤١م تم بناء كوخ لإيوائهم وتم افتتاح المدرسة الثانية التي كان يشرف عليها عامل سوري، في كوخ في الحيّ السعودي في شهر تموز/يوليو من عام ١٩٤٠م. وكما المدرسة الأولى، كانت الدروس في هذه المدرسة تقدّم لكل من العمال وغيرهم، وإن كان عدد الأخيرين أقل في الحي السعودي من عددهم في الخبر. وكذلك، كانت هذه المدرسة تقدم

(٥٤) In California and elsewhere oil was a white man's preserve, and it remained one of the most segregated industries across the United States through the Second World War. See Carl B. King and Howard W. Risher, Jr., *The Negro in the Petroleum Industry*, Racial Policies of American Industry, Report; no. 5 (Philadelphia: University of Pennsylvania, Wharton School of Finance and Commerce, Industrial Research Unit, 1969).

دروساً ليلية خاصة للفراشين والنُدُل وعمال الهاتف. أما المدرسة الثالثة والأكثر شهرة فهي «مدرسة الجبل» (نسبة إلى جبل الظهران حيث مقرّ الإدارة الرئيسة لأرامكو) فقد افتتحت داخل الحي الأمريكي في كانون الثاني/يناير من عام ١٩٤١م وكان يشرف عليها مدرس يعمل بدوام كامل. ومثل سابقتها، كان فيها دروس ليلية مخصصة للفراشين، وفي عام ١٩٤٤م، كان أغلب الطلاب من الشباب السعوديين الصغار الذين كانت أعمارهم تتراوح بين الثامنة والثامنة عشرة. وكانت هذه المدرسة تدرس كيفية الكتابة باللغة العربية ومبادئ الحساب، بالإضافة إلى اللغة الإنكليزية[٥٥].

تمثّل مدرسة الجبل جانباً رئيساً وجذاباً من أسطورة أرامكو، فمن بين «خريجيها» الأوائل كان ابن مكة الأستاذ إسماعيل نوّاب، الذي ظهر في صورة على مجلة **لايف** (*Life*) إبان فترة الحرب وهو يلعب كرة القاعدة (أو البايسبول) خارج المدرسة التي كانت عبارة عن غرفة نوم قديمة للعمال. وفي عام ١٩٨٨م، أصبح نوّاب هذا رئيساً لمنظمة الشؤون الحكومية في الظهران. ومن بين خريجي المدرسة كذلك كان علي النعيمي: أول رئيس سعودي لأرامكو والذي كان يشغل منصب وزير النفط في عام ٢٠٠٥م. كما ساهم توم بارغر وغيره من المديرين في التدريس في الدروس الليلية. وبحلول عام ١٩٤٤م، تم تغيير مسمى كل صغار السن من العمال الذين تحولوا إلى طلاب مدارس إلى متدربين **تحت التعليم** حيث كانوا يعملون نصف دوام بأجر دوام كامل بالإضافة إلى حضور مدرسة الجبل. في الوقت نفسه، عيّنت الحكومة شيخين، **أحدهما** حمد الجاسر، مؤسس صحيفة اليمامة التي مقرها الرياض، والآخر هو عبد الله المطلق، الذي سيصبح في ما بعد سفير السعودية إلى السودان (وسيؤخذ رهينة ضمن عملية فلسطينية في عام ١٩٧٣م)، ليقدموا التعليم الديني لهؤلاء الفراشين والمراسلين، كما قام الرجلان ذوا التعليم الجيّد بتدريس صغار العمال السعوديين اللغة العربية[٥٦].

---

(٥٥) Ohliger to CASOC, 30 June 1941, S-220, "CASOC Schools for Saudi Arabia, with attached memo by J. G. Hosmer, Folder 32," Training Department, Box 5 Mulligan Papers. Hosmer oversaw these first training projects.

(٥٦) Details courtesy of Bill Mulligan, who wrote up the history of the early days of the Jebel School in 1973 in a piece he had hoped to publish in ARAMCO's newspaper, the Arabian

وكما هو متوقع فإن هذه التصورات ذات المسحة النوستالجية والرومانسية للأيام الأولى ستكون مفيدة لأولئك الذين يؤمنون بأنه «من الصعب أن نجد في السجل التاريخي لتنمية الطاقة البشرية قصة تماثل» تلك الخاصة بتفاني أرامكو في تدريب وتعليم الشعب السعودي، وكيف أنها كانت في «مهمة عمل مستمرة» لتمكين السعوديين من إدارة الشركة بأنفسهم(٥٧). إلا أنّ هذه الأحداث تبدو مختلفة إذا ما رأيناها كما حدثت فعلاً في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات؛ حيث كانت تقودها من جهة إضرابات العمال، ومن جهة أخرى ممانعة موظفي الشركة للمطالب المرتبطة بفرص تعليم متساوية وسعودة هذا السوق الناشئ. أما الطرق المثلى لتحقيق هذا المطلب الأخير فقد كانت معروفة بشكل جيّد في عام ١٩٤٥م، حيث تمت مناقشتها، وكذلك، وهو الأكثر أهمية، رفضها من قبل أرامكو. تضمنت هذه الطرق توفير مدارس لصغار الموظفين السعوديين، ومؤسسات خاصة لتدريب المهنيين والفنيين كالحفارين ومن يماثلهم، ودراسات جامعية للوصول إلى ما كانت أرامكو تصنفها كمناصب وظيفية عليا. تم فرض هذه الطرق على الشركة أخيراً في الخمسينيات والستينيات، وبالتالي يمكن النظر إلى الخطوات المتخذة في السنوات الأولى بعد الحرب ليس بوصفها خطوات نحو تحقيقها بقدر ما هي خطوات للابتعاد عنها.

فبحلول عام ١٩٤٥، كانت قد اطلعت بعثتان من مديرين الشركة بشكل مباشر على برامج التعليم والتدريب المتواجدة في المواقع النفطية وكذلك على المدارس في كل من عبدان، والبصرة، وبغداد، وبيروت. وبعد إضراب السعوديين في عام ١٩٤٥م، قامت الشركة بزيارة جديدة لأيوك (الشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط) في عبدان حيث توجد أكثر برامج التدريب شمولية. وكما ذكرنا قبل ذلك، فإن هذه الشركة الإنكليزية ـ الأمريكية قد موّلت وأنشأت معهداً للتدريب التقني وبنت مدارس ابتدائية لأبناء العمال في مكان قريب من أحيائهم وتم تسليمها للحكومة الإيرانية لإدارتها. وكان هذا

Sun. As he noted in his records, "Ismail Nawwab, for a number of understandable reasons, = couldn't bring himself to run it". Folder 32, Box 5, Mulligan Papers.

(٥٧) Joy Winkie Viola, ***Human Resources Development in Saudi Arabia: Multinationals and Saudization*** (Boston, MA: International Human Resources Development Corporation, 1986), p. 1, and Norberg, "Saudi Arabs, Americans, and Oil".

التوجّه هو السائد في أمريكا اللاتينية أيضاً. ولهذا، لننظر أولاً كيف تراجعت أرامكو عن العرف السائد في سنوات الحرب عندما كانت تقبل أبناء العمال وغير الموظّفين في الدروس التي كانت تشرف عليها الشركة، واستبدلت بها سياسة ضد تعليم أبناء عمالها السعوديين وغيرهم من الذين يعيشون بالقرب من المنشآت النفطية، فالموقف الجديد الذي تبنّته الشركة هو أن على الحكومة السعودية أن تموّل وتدير المدارس لكل المتواجدين هناك عدا أبناء الأمريكيين. وهذا الموقف هو ما سيتم تأكيده في اجتماع البوكونو في عام ١٩٤٨م، وهو الذي سيتم التخلي عنه في عام ١٩٥٣م بعد إضراب جديد وكبير للعمال.

ولعل اعتماد هذه الرؤية الضيقة لتعليم السعوديين يعود إلى قسم الموظفين الحديث الذي أنشئ عام ١٩٤٦م. فَتَحتَ رعايته، أقفلت ما كانت تسمى بالمدارس التطوعية أو التعويضية(*) في الخبر وفي الحي السعودي، وغيّرت اسم مدرسة الجبل داخل الحيّ الأمريكي إلى المدرسة الإعدادية التجارية العربية. وسيتم انتقاء الشباب السعوديين للدراسة هناك قبل الفراغ من بناء مدرستين تجاريتين جديدتين، واحدة في رأس تنورة عام ١٩٤٧م والأخرى في الظهران عام ١٩٤٨م. وأدّى صدام في عام ١٩٤٨م مع السلطات الدينية في المنطقة الشرقية - والذين كانوا يعارضون تدريس المعلمين الغربيين للصبية - إلى سحب أي طالب تحت الخامسة عشرة من عمره، وهو الأمر الذي دفع أهالي الطلاب إلى تقديم معاريض للملك يطلبون فيها إعادة قبول أبنائهم في مدرسة الجبل. أدى هذا إلى قبول مجموعة من أربعين سعودياً تتراوح أعمارهم ما بين السابعة إلى الثالثة عشرة في خريف ١٩٤٩م، لكن مجموعة تخطيط جديدة تابعة لقسم الموظفين أوصت بإنهاء التجربة قصيرة الأمد في التعليم المهني للسعوديين وتم إغلاق جميع المدارس في عام ١٩٥٠م(٥٨).

(*) المدرسة التعويضية (Opportunity School) هي مدرسة مخصصة لطلاب من نوع محدد، قد يكونون من أصحاب الاحتياجات الخاصة، أو من المتفوقين، أو من وضعية اجتماعية أو طبقية محددة (المترجم).

(٥٨) Memo, "Education and Arab Training Conference, Dhahran, 23 October 1949, Arab Trade Preparatory Schools," Folder 32, Box 5, Mulligan Papers.

والأجدر بالذكر (والذي لا يكاد يذكر حتى اليوم) هو كيف أدّت هذه القرارات إلى تمدد الهرمية العنصرية إلى فضاء جديد. فالفصول الأولى التي خصصت لتدريس أبناء الأمريكيين في عام ١٩٤٥م في الظهران قدمت على ما يبدو في المبنى نفسه الذي يدرس فيه الطلاب السعوديون، وهو غالباً مدرسة الجبل، بل إن بعض هذه الفصول كانت على الأرجح مختلطة. هكذا كانت الحالة كما نقلها كولونيل القوات الجوية الأمريكية هاري سنايدر (Harry Snyder)، والذي كان مسؤولاً استخباراتياً ترأس البرنامج التدريبي في قاعدة الظهران الجوية، والذي قام أيضاً بإبلاغ السفارة الأمريكية عن مدرسة أرامكو الأمريكية الأولى[٥٩]. ومع ذلك، فإن بِل موليغان، موظف منظمة العلاقات الحكومية الذي تحوّل إلى مؤرخ للشركة، كان واضحاً بأن المباني الدراسية الجديدة التي تم بناؤها في الظهران في عام ١٩٤٦م وفي كل أحياء كبار الموظفين في السنتين التاليتين كانت لـ«أبناء الأمريكيين» فقط. أما العمال السعوديون الذين كانوا في سنّ الدراسة فقد كان إرسالهم إلى مدرسة الجبل يتم مع مجموعة من الصبية الذين غضت الشركة الطرف عنهم حتى تشكل موقفها الرسمي بأن المملكة وليست الشركة هي من عليها تمويل أبناء العمال وتعليمهم. وظلّ نظام الفصل العنصري في مدارس أحياء كبار الموظفين قائماً ومحمياً لعقد من الزمان أو أكثر.

هناك دليل إضافي على أنّ خلق نظام تعليمي مفصول على أساس عنصري وغير متساوٍ في الأحياء العمالية أواخر أربعينيات القرن العشرين قد تمّ بشكل مقصود، وذلك في سياق بحث مديري أرامكو عن طرق لمواجهة فكرة أن التعليم على حساب الشركة يجب أن يمتد إلى غير الخدم وفرّاشي المكاتب. ففي حزيران/يونيو من عام ١٩٤٦م، بدأ نائب رئيس أرامكو تيري ديوس ترتيبات مع سنايدر الذي كان مساعد مدير مؤسسة كلية الشرق الأدنى. وهذه المؤسسة هي عبارة عن تحالف كان يشرف على الكليات الأمريكية في كل من بيروت والقاهرة وإسطنبول. كانت الترتيبات تقضي بأن يقود سنايدر بعثة من المؤسسة إلى الظهران وذلك لتقديم الاستشارات للشركة في سياستها التعليمية. وكان ديوس يريد من المؤسسة أن تتسلم إدارة مدارس

---

(٥٩) انظر:

Snyder to Sanger, 27 December 1946, RG 59, 890F.42/12-2746.

كبار الإداريين. إلا أن الأمر استغرق أكثر من سنة لإعداد البعثة وذلك يعود بشكل كبير إلى كون المؤسسة تصر على أن أي مسح تعليمي للمملكة لا بد من أن يشمل الحكومة السعودية[٦٠]، إلا أن أرامكو لم تتزحزح وألحّت على أن البعثة كانت شأناً خاصاً مرتبطاً بـ«نشاطات شركة نفط». في عام ١٩٤٧م، قدمت المؤسسة تقريرها الذي تم تجاهله على الفور، فعندما أصرت المجموعة المجتمعة في جبال البوكونو في عام ١٩٤٨م، على أنه ينبغي لأرامكو ألا تتورط في مجال تعليم الشعب السعودي، فهم إنما كانوا يردون على مقترح المؤسسة. وفي عام ١٩٤٩م، أصدرت لجنة التخطيط الوظيفي في أرامكو خطة خاصة بها، والتي، كما رأينا، أدت إلى إغلاق مدرسة الجبل التي تشابه توسكيجي.

وفي الحقيقة، انتقلت أرامكو من «سياسة أمريكية في التعليم والتدريب ترتكز على المدارس» الموجهة إلى السعوديين إلى «التدريب بواسطة موظفي خط الإنتاج كامتداد تكميلي للعملية الإنتاجية»، استمرت هذه التجربة قرابة ست سنوات إلى أن أجبر المعارضين من الحركة العمالية ومن داخل الحكومة السعودية أرامكو على أن تموّل نظاماً من المدارس، ومعاهد التدريب، وأخيراً: كلية للهندسة، وهذا توضيح لهذه التجربة:

> النموذج الذي تم اختياره كان نموذج أمريكا في الحرب العالمية الثانية؛ حيث تم جذب عدد كبير من الأشخاص الذين كانوا بلا خبرة صناعية إلى الصناعة الحربية، وساهموا برفع الإنتاج إلى مستوى عالٍ لم يستطع أي اقتصاد عالمي الوصول إليه.
>
> والسر كان في تقسيم القوة العاملة بشكل دقيق جداً؛ حيث تمت دراسة كامل العملية الإنتاجية بشكل شامل، وتفكيكها إلى عناصرها الصغرى، ثم تم تقسيم هذه العناصر إلى أسر بسيطة من المهارات التي يمكن تعليمها بسرعة للعمالة قليلة الخبرة، ثم إعقابها بتعليم صارم يقدم غالباً من المشرفين على الإنتاج لنقل المهارة الوحيدة الضرورية[٦١].

---

(٦٠) المصدر نفسه.

(٦١) "The Growth of Training Policy (1949-1959)," Folder 32, Box 5, Mulligan Papers.

إن تطبيق التايلورية(*) أو ذلك النوع من تنظيم العمل الذي نربطه بخطوط إنتاج المصانع في هذه الحالة كان مكلفاً، وذلك لأن إنتاج النفط، وكما ذكرت مسبقاً، يعتمد على الأصول المادية أكثر من اعتماده على العمال، وأن المهام التي كان يجب على العمال تأديتها في المصفاة وفي مواقع الآبار كانت متنوعة بشكل كبير. ولأنه كان هناك مهام متنوعة فإن تكاليف انطلاق العمل كانت عالية، ولأن عدد الأشخاص الذين سيتم تدريبهم على كل مهمة كان قليلاً نسبياً، فإن النظام بأكمله لم يكن فعالاً. ومع ذلك، فقد كان فعالاً في جانبين آخرين: **الأول**، فكما ذكر التحليل حول نظام التدريب الجديد، فهو قد مكّن أرامكو من «استخدام سعوديين بلا خبرة سابقة والانتهاء من كميّة عمل كبيرة بسرعة»، وبالفعل تعلّم السعوديون عدداً من «الأعمال الرتيبة ذات المهارة الواحدة». أما **الثاني**، فكون هذه المقاربة كانت هي التي تستخدم بشكل معتاد في صناعة النفط منذ عقود، فإنه ليس من المفاجئ أن نجد أنه بعد سنتين أو ثلاث، أو حتى ثمانٍ لم تتم ترقية أي سعودي، إنه السبب نفسه الذي أبقى المصانع الأمريكية مفصولة عنصرياً لمدة طويلة من الزمن، فأولئك الذين يشغلون المناصب الإدارية والتقنية العليا التي تتطلب مهارة أعلى ويدفع لها بشكل أكبر لن يقوموا طوعياً بالتضحية بوظائفهم عبر تدريب غيرهم.

تكرار: الغسق عند الفجر

إن طريقة تهيئة «عُشر موهوب» قادرٍ على إدارة الشركة إما بشكل مباشر أو غير مباشر كانت بلا شك معروفة قبل الأربعينيات بكثير، وذلك عندما بدأت الحجج التي تسعى لدفع المملكة في هذا الطريق. وكان من الواضح كذلك أن موظفي أرامكو في الظهران كانوا يشعرون بالتهديد من وجود طبقة متعلّمة وتقدّمية من عامة الشعب بالطريقة نفسها التي كان يشعر بها الملك عبد العزيز. يمكن أن نرى الدليل على ذلك من خلال سجلات الشركة

(*) التايلورية (Taylorism) نسبة إلى فريدريك تايلور، وهو مهندس ميكانيكي أمريكي ولد عام ١٨٥٦ وتوفي في عام ١٩١٥م. والتايلورية هي نظرية في الإدارة ـ تسمى أيضاً بنظرية الإدارة العلمية ـ تهدف إلى تنظيم القوة العاملة بكيفية تتيح استخراج أكبر قدر ممكن من الإنتاجية منها، وذلك عبر تقسيم العمل وتدريب العمال والإشراف عليهم بشكل علمي ومنهجي (المترجم).

القديمة التي توثق رفضها توظيف المتعلّمين من السعوديين وغيرهم من العرب أو حتى منحهم مكانة مساوية للأمريكان ومن باب أولى السماح لهم بالإقامة في الحي الأمريكي. ويمكن أن نعتبر كذلك القصة المذكورة في الفصل الثاني لموظف العلاقات العامة في أرامكو وهو يقوم بالضغط على ريتشارد سانغر، أحد موظفي وزارة الخارجية الأمريكية، لحذف وصف في كتابه **تخوم عربية** لـ«ملك يفكر كشركة نفط وشركة نفط تفكر كملك».

وأخيراً، كذلك، يمكن أن نعتبر التقرير المرسل إلى واشنطن في عام ١٩٤٩م من الدبلوماسي الشاب باركر هارت الذي قال فيه: إن «أرامكو تترقب بكثير من التوجس العودة الوشيكة للشيخ عبد الله الطريقي»، وهو شاب في الرابعة والعشرين من عمره من الزلفي، من نجد، حصل على بعثة من الحكومة الأمريكية في عام ١٩٤٥م لدراسة الجيولوجيا النفطية. وما خشيه رجال النفط هو أنه قد يبدأ بـ«التدخل في المراحل التقنية من عمليات الشركة».

> تلقى الشيخ الطريقي تعليمه في جامعة تكساس، وهو تعليم كاف ليجعل وجوده محرجاً من وجهة نظر شركة أرامكو. فحسبما هو مفهوم أن معرفته الكافية بالهندسة البترولية والجيولوجيا تؤهله في السعودية لأن يصبح خبيراً حكومياً، على الرغم من أن إدارة أرامكو تعتبر معرفته سطحية. وأياً يكن، فإن ثبت أن تعليمه كاملاً فإن مشكلة أرامكو معه ستكون أكبر، وذلك لأنه على ما يبدو قد مُنح مهمة التحقيق في أمور ذات طبيعة سرية عالية. ومؤخراً طلب منه توظيف متخصصين في أعمال المصفاة، والقياس وأمور أُخَر[٦٢].

في الحقيقة عاد الطريقي إلى السعودية ليطارد أرامكو حتى تم نفيه من المملكة عام ١٩٦٢م.

لم يكن من الممكن إدراج هذه التكاليف الكبيرة لتعليم طبقة من الموظفين

---

(٦٢) Hart to State, Report 125, Weekly Summary of Events, 8 August through 14 August 1949, RG 59, 890F.00/8-2049.

المحترفين السعوديين في التقارير السنوية أو غيرها من مواد العلاقات العامة، ولكن تمت مناقشتها في السر بين مديري الشركة ومسؤولي وزارة الخارجية الأمريكية. ذلك أن تجدد انتفاضة العمال في المنطقة الشرقية ستترافق مع صعود حكومات شعبوية في أماكن كمصر وإيران لتضع أرامكو في حالة الدفاع وتدفعها نحو حد أدنى من الالتزام بتعليم تكنوقراطيي المستقبل، إلا أن هؤلاء السعوديين المتعلمين تعليماً غربياً هم من سيكونون روّاد منتقدي نظام جيم كرو الذي قامت أرامكو ببنائه في الظهران. فمجموعة منهم تم إرسالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٠ لتأدية مهام العمل؛ إذ إن أرامكو قد افتتحت مركزاً تدريبياً بين الكثبان الرملية في ويستهامبتون (Westhampton) في لونغ آيلاند، حيث كما ذكرت صحيفة **الساترداي إيفنينغ بوست** (*Saturday Evening Post*) «سيتعلم» الموظفون الأمريكيون الجدد «العادات المحلية للعرب وأكبر قدر ممكن من لغتهم» لعدة أسابيع قبل توجههم نحو المملكة، وبعض العرب الذين تم جلبهم ليجعلوا المكان يبدو حقيقياً سيعودون إلى بلادهم مقارنين العادات المحلية للأمريكيين في واشنطن وغيرها من المدن بما يجدونه في الظهران، بل إن الطريقي نفسه سيشبه الفترة التي قضاها بتكساس - حيث تم التعامل معه باعتباره مكسيكياً - بالعيش بقرب الحي الأمريكي. في عام ١٩٥٣م، أجرى مسؤولو وزارة الخارجية الأمريكية لقاء مع المديرين التنفيذيين في أرامكو في نيويورك بعد الإضراب الذي استغرق شهراً ضدّ مستوطنات جيم كرو في الظهران؛ حيث قام هؤلاء المديرين بفرك أيديهم حسرة «على حقيقة أن غالبية زعماء الإضراب المعروفين كان قد تم تدريبهم في بيروت على نفقة الشركة»[٦٣]. وهذا صحيح، فأرامكو كانت قد منحت بعثة لعشرين طالباً سعودياً للدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت قبل ذلك بعام.

* * *

حاولت في الفصول الثلاثة الماضية رسم صورة عن المؤسسات التي أنشأها الأمريكيون في الظهران في الأربعينيات خلال العقد الأول من الإنتاج النفطي في شرقي المملكة العربية السعودية. وقد تطلب القيام بهذا الأمر

(٦٣) Department of State Instruction, No. CA-3384, 29 December 1953, "Comment on the October-November 1953 Strike at the Arabian American Oil Company Installations in Saudi Arabia," p. 18, RG 59, 886A.062/12-2953.

تجريد طبقات الأساطير التي تراكمت حول هذه الفترة وهذا المكان. ولقد استغرق تجريدها كثيراً من الجهد. ذلك أن هذه الأسطورة من أصعب أنواع الأساطير التي يمكن التعامل معها، وذلك بسبب أن طبقاتها متعددة بشكل كبير، وكذلك لأن المعتنقين لها حريصون جداً على الحفاظ على أي مما تبقى من بريقها. هذه الأسطورة هي فكرة أن أرامكو كانت بطريقة ما شركة مميزة أو فريدة؛ أي إنها كانت أكثر كرماً وعدلاً وتقدمية وأقل استغلالاً وتركيزاً على تحصيل أهدافها فقط، واهتماماً بمصالحها الذاتية من باقي الشركات، وعلى ما يبدو فإن هذه الأسطورة ترى أن سجل إنجازات أرامكو في المملكة العربية السعودية، إذا ما روعيت فيه العوائق الفيزيائية والثقافية التي واجهها مديروها، سيؤهلها لأن تكون في مقدمة أغلبية الشركات الأخرى.

ولهذا استغرق الأمر عدداً من الصفحات ليصبح من الممكن التناول بشكل تفصيلي لمؤسسات بعينها، وللمخطط العام للأحياء، ولأنواع المنازل التي بنيت، ولتأسيس منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو، ولتأسيس مزرعة الملك النموذجية لإنتاج الخضر في السوق في الخرج، ولتوقيت بناء قاعدة جوية عسكرية أمريكية في الظهران الذي كان لمصلحة الشركة، وغيرها من الأمور، وذلك عبر استخدام أكثر من أرشيف ومجموعة وثائق، ومقارنتها مع بعضها من أجل التحقق من التناقضات والتأكد من ادعاءات الحقيقة الموجودة فيها. وقد استخدمت أسلوب السرد لأنه من أكثر الأساليب نجاعة لمواجهة نظام أساطير يعتمد على ذكريات خاطئة، ودراسات مقيدة، وتعليل بليد، ومصادر فقيرة، وعلى أبناء وبنات يريدوننا أن نصدق كل شيء رائع ينسبونه إلى آبائهم، وعلى سخاء شركة قديمة بمجموعة جديدة من الملاك.

حتى الآن، فإن أكثر الأنظمة التي تمت مناقشتها أهمية هي، **أولاً**، نظام المزايا وانعدام المساواة الذي تم بناؤه في الظهران، **وثانياً**، الحركة التي بزغت لمواجهة هذه الهرمية العنصرية في الأحياء النفطية، وذلك ابتداء من إضراب العمال السعوديين في عام ١٩٤٥م، الذي تمّ توثيقه هنا لأول مرة. هذان النظامان اللذان ظهرا مراراً وتكراراً في عالم مستعمرات التعدين في القرنين التاسع عشر والعشرين، هما الدودة التي تنخر قلب التفاحة التي عرضها قسم العلاقات العامة للشركة أمامنا لإبهارنا بها، ومعاً، فإنهما يقومان بهدم فكرة أن أرامكو قامت بتحقيق المعجزات. ومن بين الاثنين،

مثّلت الإضرابات العمالية مشكلة لكل من الشركات، وفي ما بعد، للمؤرخين الذين تشتريهم الشركات خلال القرن العشرين الطويل. وكما رأينا مسبقاً، ففي السابق، وفي أماكن كلودلو ودوغلاس وبيسبي، قامت شركات التعدين بتطوير حزام واقٍ من الأفكار لتحيط به نظريتها المفضلة للتجارة، ويتلخّص هذا الحزام الفكري في أن المضربين لم يكونوا رجالاً تم إرهاقهم بالكدح طويلاً في المناجم ومصافي النفط، وإنما عملاء لسياسيين طامحين بالسلطة، ولتيارات فكرية أجنبية، ولأعداء الدولة.

بالمقابل، كان الرجال الذين حكموا الحيّ الأمريكي معصوبي الأعين عن ملاحظة هذه الهجمات على نظام الجيم كرو الذي كانوا مشغولين ببنائه، وذلك في لحظة لم يكن الأمر واضحاً لدى كثير في عام ١٩٤٥م بأن نظريتهم عن الشركة (دع عنك الطريقة التي فضلوا ممارسة حياتهم عبرها) كانت قد وقعت تحت حصار طويل. فحركات التحرر الأفريقية والسوداء في أمريكا كانت قد بدأت بالتشكل، ويمكن للمرء أن ينظر إلى الخلف ليجد أن الكتب التي كانت تجعل من العالم الجديد مفهوماً لليبراليين البيض العنصريين هي تلك الكتب التي تبدأ من كتاب روث بنديكت (Ruth Benedict) **العرق، العلم، والسياسة** (*Race, Science, and Politics*) (١٩٤٠م) مروراً بكتاب غنر ميردال (Gunner Myrdal) **المعضلة الأمريكية** (*American Dilemma*) (١٩٤٤م) وانتهاء بكتاب والاس ستيغنر **أمة واحدة** (*One Nation*) (١٩٤٥م). إلا أن الأمر سيستغرق عشرين سنة أخرى أو أكثر لإنهاء مؤسسات الأبارتايد في أمريكا وفروعها في الخارج، وكما كنا قد رأينا، فإن مديري أرامكو في الظهران لم يكونوا رواد المساواة في حقول النفط - بل كانوا عكس ذلك تماماً. فعلى ما يبدو، أنهم قد عملوا وقتاً إضافياً لإبقاء السود بعيداً عن الظهران، وإبقاء العرب بعيداً عن الحيّ الأمريكي فيها. ولهذا سنجد أن الإداري الأسطوري جيمس تيري ديوس سيلجأ إلى النسخة الخاصة ببيض الجنوب الأمريكي لعقيدة مكافحة الشيوعية إبان الحرب الباردة عندما تم الضغط عليه من قبل وزارة الخارجية الأمريكية لتقديم تفسير لاحتجاجات العمال الباكستانيين ثم ترحيلهم في عام ١٩٤٩م، فبحسب هذه النسخة، لم يكن هؤلاء إلا أتباع «المدرسة الشيوعية، وخصوصاً في ما يتعلق بشرور الرأسمالية والتمييز العنصري».

بدأت الشركات والمدافعون عنها بصياغة ثلاثة أنواع من الحجج غير

الدقيقة في خمسينيات القرن العشرين، وكان الهدف من ورائها هو إنقاذ صورة أرامكو باعتبارها استثنائية حتى في ما يتعلق بعلاقتها بالعنصرية. تبدأ **الأولى** بالقول: إن العنصرية (وعادة ما يُفضل هنا استخدام مصطلح «التحيّز») إذا وقعت، فإنما تقع بسبب قيام مجموعة من الأمريكيين المنتمين إلى طبقة متدنية التعليم وغير تعدّدية بنقل عاداتها الشعبية معها إلى الخليج. أما الحجة **الثانية** فترى أن الشركات الأمريكية التقطت بعض العادات الاستعمارية السيئة من الشركات البريطانية التي كانت تعمل بالقرب منها. أخيراً، تقول الحجة **الثالثة** أن الأمريكيين بنوا نظاماً مفصولاً على أساس عنصري وغير متساوٍ لأن السعوديين اضطروهم إلى القيام بذلك. وكما ذكرت، فإن هذه الادعاءات يجب ألا تعوق أحداً أو تخدعه لوقت طويل، بل إن ضعفها الواضح هو ما يفسر لجوء أغلب الكتاب إلى خيار تجاهل وجود مؤسسة العنصرية أو محاولة تخيلها كلحظة عابرة وقصيرة ضمن مرحلة زمنية طويلة ونبيلة. لكن طالما أن هذه الأساطير التي ترجع نظام جيم كرو الخاص بأرامكو إلى جذور وهابية، أو التقاليد الاستعمارية الخاصة بالشركة البريطانية الهندية، أو العادات الشعبية في تكساس ما زالت موجودة، فإن القصة التي أوردناها عن أربعينيات القرن العشرين قد قدمت ما يوجد في الأرشيف من أدلة تدحضها جميعاً، فقد رأينا مسؤولي الشركة الكبار، وليس فقط عمالهم الصغار، وهم يبنون من جديد نظاماً هرمياً عرقياً في الظهران، وقد قمت بتوضيح السبب في أن الحيّ الأمريكي سيبنى بالطريقة نفسها حتى لو لم يكن هناك موطئ قدم لتجار النفط البريطانيين في عبدان أو كركوك أو البحرين، وذلك لأنّ الجغرافيا العرقية للحيّ الأمريكي كانت مطابقة لكل الإنشاءات النفطية التي بناها الأمريكيون في ثلاث قارات خلال مئة عام وفي أماكن كانت خاضعة لأنواع مختلفة من أنظمة الحكم. أما السعوديون فقد توقعوا، بل إنهم قاموا بالضغط من أجل أن يتم دمجهم؛ كما أننا رأينا بعد تنحية التحيزات جانباً كيف أن سجلات أرامكو نفسها تكشف كيف أن الشركات البريطانية القريبة منها كانت تسير بخطى أسرع وأكثر عمقاً منها نحو المساواة بين العمال المحليين والأجانب. وقد اقترحنا فرضية بأن التحالف الشعبوي في إيران والعراق هو ما يفسر اختلافها عن السعودية التي كان يحكمها زعيم قبلي تحوّل إلى ملك؛ حيث كان المؤمنون في أرامكو كما هو متوقع يشكرون الله يومياً على عطائه ورحمته.

أخيراً، بدأنا في هذه الفصول الثلاثة برسم كيفية تشكل عملية صنع أكثر الأساطير شهرة حول أرامكو؛ فأقدمها وأكثرها هيبة هي الأسطورة القائلة: إن أفضل طريقة لفهم الشركة والمنتمين إليها هي باعتبارها «بعثة تنموية عصرية» استثنائية لتنمية المملكة العربية السعودية، أو «مشروع مارشال أو خطة النقطة الرابعة» وما إلى ذلك. لقد أرجعنا اختراع هذه الأسطورة للتحديات الأولى إلى قوّة الشركة ومزاياها في واشنطن من قبل نقادها ومنافسيها في الداخل والخارج، وذلك ضمن فترة الحرب وفي دولة الصفقة الجديدة بعد الحرب.

إلا أن صناعة الأساطير في هذه الفترة كانت قد انطلقت للتو، والقدرة الحقيقية للشركة لم تستغل بشكل كامل بعد. فلا ستغنر تم التعاقد معه، ولا الأفلام أنتجت، ولا مراكز أبحاث الشرق الأوسط تم بناؤها. إلا أن الطلب سيرتفع بشكل كبير في خمسينيات القرن العشرين، وستذكر رسالة كتبها أحد الموظفين القدماء بعد ثلاثين عاماً اللحظة التي بدأ خلالها المحللون والمشغلون وموظفو العلاقات العامة في أرامكو بالتأهب للتحديات التي تنتظرهم، فقد كتب:

> عدد من الأنشطة المتخفية والفائقة السريّة كانت تحدث في تلك الأيّام [أي أيلول/سبتمبر ١٩٥١م]، وذلك بعد أن قام مصدّق بتأميم أيوك، وكان أول ما قام بتأميمه هو الملفات السريّة، إلا أن ملفات العلاقات السرية كانت شديدة السريّة لدرجة أنه لا يمكن رجل واحد أن يقوم بإتلافها، ولهذا كنت أنا وبيل [بالمر] يأتمن كل واحد منّا الآخر على التناوب في تدوير الإسطوانة السلكية حتى ذهبت آخر قصاصات الركام المحترق أدراج الريح. والذي أتذكره الآن أنه كان على كلينا أن يوقع على شهادة بهذا الخصوص، وكان ذلك فقط بعد أن تم إبلاغنا من نيويورك أنه تم تطوير المايكروفيلم. نعم، لقد كنت أنا من بين أربعة ممن قاموا بالتقاط الصور في فترات متناوبة، مدة الواحدة منها ثماني ساعات، وهذا يعني أنني كنت أعمل على الأقل ١٦ ساعة يومياً والتي لم تكن طبعاً تحتسب لي كعمل إضافي[٦٤].

---

(٦٤) انظر:

John McGowan, Sheffield, England to Mulligan, 28 August 1986, Folder 2, "History Project," Box 8, Mulligan Papers.

القسم الثاني

صحراء الرغبة الكبيرة

مقدمة

في إحدى ليالي شهر حزيران/ يونيو من عام ١٩٥٥م، استقبلت مجموعة من موظفي منظمة العلاقات الحكومية في أرامكو الضيوف في قصر القاهرة، وهو مسرح لعرض الأفلام الوثائقية في مصر تملكه وتديره شركة تونتيث سنشري ـ فوكس (Twentieth Century-Fox). وهناك، اجتمع تجار النفط بسفير الولايات المتحدة، هنري بايرود (Henry Byroade)، وبأفراد من الأسرة الحاكمة السعودية، وكذلك بفئة منتقاة من النخبة الجديدة في القاهرة من محامين وضباط جيش وصحافيين، بالإضافة إلى رجال أعمال أوروبيين، وكان هناك على الأقل نجمة واحدة من نجمات هوليوود وهي الفنانة باردة الجمال داون آدامز (Dawn Addams). أما المناسبة، فقد كانت العرض الأول في العالم للفيلم الأول والوحيد لأرامكو «جزيرة العرب». وهذا الفيلم هو أحد أحدث مشاريع العلاقات العامة لنائب رئيس الشركة تيري ديوس الذي تم إعداده بمساعدة الخبراء في المبنى الرقم (٥٠٥)، وكان عبارة عن ناطحة سحاب جديدة في شارع بارك أفنيو في مدينة مانهاتن انتقلت إليها أرامكو عام ١٩٤٩م. فقد كان ديوس يريد إنتاج فيلم يستطيع من خلاله منافسة دعايات حكومات الجمهوريات العربية، وعلى رأسها مصر التي كان يقودها البكباشي جمال عبد الناصر. فقد كان ناصر ـ كما يسمى في الصحف والمجلات الغربية ـ قد عاد للتوّ من المؤتمر التاريخي الآسيوي ـ الأفريقي في باندونغ (Bandung) في إندونيسيا[*]، والذي عقد قبلها بشهرين، ومنذ تلك اللحظة، قد زادت حدّة صوت إذاعة بلاده النقدية (صوت العرب).

(*) مؤتمر باندونغ: عقد في إندونيسيا في ١٨ نيسان/أبريل ١٩٥٥م، وحضرته ٢٩ دولة، حيث مثّل النواة لتشكل ما عرف في ما بعد بحركة عدم الانحياز. حضرته مجموعة من قادة الدول الآسيوية والأفريقية مثل عبد الناصر وجواهر لال نهرو رئيس الهند وجوزيف تيتو رئيس يوغسلافيا. هدفت هذه الحركة إلى خلق طريق ثالث للاستقلال عن الانحياز لأي من معسكرَي الحرب الباردة: الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة (المترجم).

بالنسبة إلى الناصريين، وهم أولئك المفتونون بتوجه عبد الناصر العروبي وسياسته السلطوية الشعبوية، لم تكن السعودية وغيرها من دول الخليج الصغيرة إلا «مجموعة قبائل بأعلام». فقد كانت جزيرة العرب ضعفاً في خاصرة العروبة في مواجهة الصهيونية والإمبريالية، ذلك نظراً إلى كونها خاضعة لشركات النفط الغربية، وكذلك مدعومة من قبل السلطة البريطانية، أو في حالة المملكة العربية السعودية من قبل المساعدات وأفراد الجيش الأمريكييْن. في آذار/مارس من عام ١٩٥٤م، نشر عَلَم مصر الصاعد إحسان عبد القدوس مقالته الفاضحة «المسيح في بلاد النفط» في مجلة **روز اليوسف**، المجلة الأسبوعية الشهيرة التي كان رئيسَ تحريرها، وركّز فيها على انعدام المساواة الواضح بين الأمريكيين ـ الذين كانوا على الرغم من المزايا التي يتمتعون بها تعساء قد أهلكهم الحنين إلى موطنهم ـ وبين العمال السعوديين والعرب الأجانب الذين كانوا محرومين من دخول الجنة.

جعلت أرامكو من فيلم «جزيرة العرب» رداً يسعى للاحتفاء بالملك عبد العزيز، سليل الفاتحين الوهابيين من القرن السابع عشر، والرجل المقدّر له أن يقوم بتوحيد الجزيرة. إلا أن قسم العلاقات العامة اتخذ قرارات غريبة في أثناء العمل على الفيلم، فقد تعاقد مع منتج الأفلام الوثائقية المشهور ريتشارد ليفورد (Richard Lyford)، من أجل إنتاج فيلم «الجزيرة»، وذلك لكون فيلم ليفورد، تايتان (Titan)، وهو عبارة عن عرض لسيرة حياة مايكل أنجلو(*)، قد فاز بجائزة الأوسكار عام ١٩٥١م كأفضل فيلم وثائقي. بعد ذلك، قرر قسم العلاقات العامة الاقتصاد في النفقات، وذلك باعتماد الموظفين كطاقم تمثيل؛ إذ قام موظف قسم العلاقات الحكومية جون جونز (John Jones) بتأدية دور الملك عبد العزيز، يبدأ الفيلم بمشهد خيالي يليق بسيسيل دوميل(**)، الذي سيظهر بعد سنة واحدة في آخر فيلم له في حياته المهنية «الوصايا العشر».

(*) مايكل أنجلو (١٤٧٥ ـ ١٥٦٤م) فنان ورسام ونحات ومعماري إيطالي ينتمي إلى عصر النهضة (المترجم).

(**) سيسيل دوميل (Cecil B. DeMille) (١٨٨١ ـ ١٩٥٩م) مخرج وممثل ومنتج سينمائي، أنتج مجموعة من الأفلام الصامتة والصوتية. أشهر أفلامه هو آخرها الوصايا العشر (The Tenth Commandments) وهو فيلم ملحمي يحكي فيه قصة النبي موسى بحسب الرواية التوراتية. أخرج الفيلم عام ١٩٥٦، ترشح الفيلم لسبع جوائز أوسكار (المترجم).

عندما خفتت أضواء المكان وبدأت آلة عرض الفيلم بالدوران، تفاجأ المشاهدون بظهور سعود بن عبد العزيز، أكبر أبناء الملك المحارب الراحل، والملك الجديد للمملكة العربية السعودية، وهو يحكي قصة تأسيس المملكة بطريقة توحي كما لو أن وصوله إلى العرش كان هو الأمر الجوهري لما ستتكشف عنه هذه الحكاية. يبدأ «جزيرة العرب» بوصول ثلاثة جيولوجيين أمريكيين ملتحين إلى السعودية، من بينهم المشهور ماكس ستينكي (Max Steineke) الذي يبدأ باستذكار رؤيته لجزيرة العرب وقبة الظهران لأول مرة. وبينما هم متحلقون حول نار المخيم، يبدأ دليلهم، واسمه خالد، بسرد تاريخ الجزيرة بطريقة يجمع فيها كل تلك الليالي الطويلة في ثلاثينيات القرن العشرين، عندما كان بارغر وغيره يروون حكاياتهم عن البدو الأمريكيين وعندما كان عبد العزيز نفسه يسلي ضيوفه من سان فرانسيسكو بقصة سيطرته على الرياض. ويجب أن تكون النسخة المخصصة لروّاد السينما قد تراجعت كثيراً بالمقارنة مع سابقتها، فهي «ليست أكثر من تجميع مفتقر إلى الذوق لفيلم عن رحلة، ودراما تاريخية، ووثائقي عن العالم العربي، ولا يفعل الفيلم أكثر من إعادة تشكيل بعض اللحظات الرئيسة من التاريخ العربي في أثناء تنقّله في الصحراء. أما دور فريديريك مارش (Frederic March) فقد اقتصر على كونه معلّقاً في جزء من محطات الرحلة»[1]. وحتى مشاركة مارش ـ وهو الفائز مرتين بجائزة الأوسكار كأفضل ممثل والراوي في فيلم تايتان ـ قد فقدت عندما أضيفت اللغة العربية. ومع انتهاء الرحلة الخالية من صوت مارش ينتهي الفيلم من حيث بدأ، أي مع ماكس ستينكي وهو ينظر إلى الوراء حيث التغييرات التي شهدها في أرض أُنعم عليها بزعيم حكيم وبعيد النظر. بعد ذلك، كان على الرجل المسكين الذي يؤدي دور ستينكي أن يقول جملة ثقيلة جداً لا يستطيع حتى فريدريك مارش نطقها بسلاسة، وهي جملة حاول جورج رنتز انتزاعها من الفيلم. ونص هذه الجملة هو كالآتي: «حقاً، إن الجزيرة العربية هي أرض العرب، لكنها أيضاً تطفو على النفط».

---

(١) TV Guide Online, Movie Database, Entry for Island of Allah, Richard Lyford, 1956 (one star out of five),
<http://www.tvguide.com/Movies/database> (accessed 3 May 2003).

أتيح لأهالي نيويورك أن يشاهدوا الفيلم نفسه بعد ذلك بستة أشهر عندما صدرت النسخة الإنكليزية منه تحت اسم «جزيرة الله»، وعرض لفترة قصيرة جداً. العنوان المعدّل كان موجهاً إلى جمهور ليس مأسوراً بالعروبة كالجمهور المصري، بل تم تعديله ليكون بشكل مقصود صدى للعبارة القديمة والمشهورة جداً «جنة الله»، وهي العبارة التي دوّت في صناعة الثقافة الجماهيرية الأمريكية لعقود، إلا أن هذا التعديل لم يساهم بزيادة الإقبال على شباك التذاكر الخاصة بالفيلم(٢). فإلى جانب التعديل، حذف من النسخة الأمريكية المشهد الافتتاحي الخاص بالملك سعود. فعوضاً عنه، أصر الموزع على إضافة مقطع رقص شرقي في آخر الفيلم قبل أن يقوم بعرضه على الزبائن. وكما لاحظ أحد نقاد الفيلم، «تقدم الأميرة ياسمينا رقصة شرقية متمايلة لا علاقة لها بمسار الفيلم»(٣). وقد تم عرض «جزيرة العرب» مجدداً عندما بدأت أرامكو بالبث التلفزيوني الخاص باللغة العربية، وهو الأول من نوعه داخل المملكة، وذلك في محطتها في الظهران عام ١٩٥٧م. وقد كان أول فيلم يبث على الهواء، إلا أن «جزيرة الله» لم تُرَ نسخته التجارية في الغرب مجدداً(٤).

وبعيداً عن التساؤل عن مدى الحذق الإعلامي لشركة منتجة للنفط، فإن ما يشير إليه هذا الفيلم الآن هو اللحظة التي بدأت فيها الشركة بتسويق

---

(٢) Holly Edwards, "The Near East and the Wild West," in: Holly Edwards, *Noble Dreams, Wicked Pleasures: Orientalism in America, 1870-1930* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000), p. 44. In 1904 Garden of Allah was one of the most successful novels of the early twentieth century, reprinted forty-four times and turned into a Broadway play in 1907, which was revived in 1911. That revival fueled a remarkable campaign of tie-ins-perfume, lamps, hotel and department store promotions, and Maxfield Parrish's famous print. There was also a silent film version made by the Edison studio, a remake in 1926 by Metro Golden Mayer, starring Alice Terry and Ivan Petrovich, and a second United Artists' remake in 1936, with Charles Boyer and Marlene Dietrich in her first Technicolor feature.

(٣) William E. Mulligan, "The Arabian Peninsula in Living Color," column from the Arabian Sun, undated (but from the mid-1970s presumably), Box 6, Folder 15, "Arabian Sun Articles," Mulligan Papers.

(٤) One of the king's sons, Prince Muhammad bin Abd al-Aziz, told a U.S. embassy officer who appeared in the film (when still in ARAMCO's employ), "I enjoyed your acting, but from the point of view of history it was a hodge-podge of surmises and imagination". See Jidda to State, Dispatch 26, 20 July 1959, Prince Mohammed Deplores Arab Disunity, Attacks the Arab Press, and Extols Former King Abdul Aziz, RG 59, 786A.00/7-2059.

قصتها خارج حدود الولايات المتحدة إلى أوروبا، وكذلك، وبشكل أكثر أهمية، إلى العالم العربي. ففي سبيل ذلك، قامت أرامكو بمزج تقنيات العلاقات الصناعية العامة القديمة التي تجاوز عمرها المئة عام بأخرى جديدة، ومن أبرزها الفيلم الصوتي ذو الستة عشر ميليمتراً(٥). أما أول الوسائل التي استخدمتها فقد كانت المجلات، فكما رأينا وكردة فعل على النشاط العمالي، لجأت الشركات منذ زمن طويل إلى مطبوعات الشركة من أجل إعادة تأكيد هوية الشركة باعتبارها عائلة. كل الشركات المالكة لأرامكو أصدرت مجلات خاصة بها؛ فعلى سبيل المثال، يعود أول إصدار لمجلة **تكساكو ستار** (*Texaco Star*) إلى عام ١٩١٣م، وهو العام نفسه الذي ترجع إليه مجلة **نشرة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا** (*Standard Oil of California* Bulletin) الخاصة بشيفرون، التي تحوّل اسمها في ما بعد إلى **عالم شيفرون** (*Chevron World*) في السبعينيات.

ظهر أول عدد من مجلة **عالم أرامكو** (*Aramco World*) في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٤٩م على الرغم من أنها بدأت كصحيفة مكوّنة من أربع صفحات بلا اسم، تصدر من المركز الرئيس في نيويورك وتستهدف بشكل رئيس أول الأمر موظفي مانهاتن. فقد قام هذا المنشور بربط الرجال والنساء في العمارة الرقم (٥٠٥) في شارع بارك بعمليات الشركة في الظهران. إلا أنها بسرعة تحولت إلى آلة لإنتاج فكرة الشركة وبثّها بوصفها ذات رسالة تنموية، بدأت تقدم بشكل متسارع لمنتقدي الشركة في الداخل والخارج. ولا بد من أن تكون الصور مألوفة؛ فلون أبوية الشركة يتم عرضه في سلسلة من صور الرقي المبثوثة في كل مكان التي ظهرت تقريباً في كل عدد من أعداد **عالم أرامكو** لعشر سنوات. فمثلاً صورة لرجل أبيض يعلّم موظفاً أسمر البشرة كيف يتقيّد بوسائل السلامة، أو اللغة الإنكليزية، أو كرة السلة. ومستقبل السعودية يكشف عن نفسه في قصة مثيرة عن تطور عائلة من

---

(٥) Industrial or business filmmaking began around the same time as company magazines, but the lyrical documentary style of *Island of the Arabs/Allah* was an innovation of the 1940s associated with Standard Oil's (NJ) production *Louisiana Story* (1948) by the legendary prospector-turned-documentary filmmaker Robert Flaherty (1884-1951). See Anthony Slide, *Before Video: A History of the Non-Theatrical Film*, Bibliographies and Indexes in Religious Studies (New York: Greenwood, 1992), pp. 102-103.

قبيلة الموهوك(*) في بروكلين مزودة بخارطة للولايات المتحدة الأمريكية ومقسمة إلى قبائل. وتعتبر قصة الرئيس برايت كانوي (Chief Bright Canoe) المرة الوحيدة التي يعرض فيها تنوع أمريكا الثقافي على صفحات **عالم أرامكو** إلا إذا تم احتساب الصورة المعروضة عام ١٩٥١م، من «أرامكو فوليز» لأربعة موظفين من نيويورك بوجوه سوداء يغنون «بانتظار روبرت إي. لي» «Waitin' for the Robert E. Lee»(٦). كما بدأت أرامكو بنشر نسخة عربية من **عالم أرامكو** ـ بعنوان **قافلة الزيت** ـ التي تضمنت مزيجاً من المقالات المترجمة وأخرى باللغة العربية.

وحقيقةً، لم يبدأ المجهود بنشر صور إيجابية للشركة بين السعوديين وغيرهم إلا مع حملة تثبيت ملصقات بمساحة قدمين في ثلاث أقدام داخل المقاهي التي يتجمع فيها الرجال وقربها. وقد وصفت أرامكو هذه الملصقات بـ«القصص المصورة». وقد أنتج قسم العلاقات العامة حزمتين من الملصقات المختلفة، حيث تتكون كل واحدة منها من ثماني إلى عشر صور صغيرة مع تعريف مختصر باللغتين العربية والإنكليزية. وقد كانت ثيمات التنمية والارتقاء طاغية في الصور؛ إذ تظهر إحداها السعوديين وهم يوظفون كمدرسي لغة في «مدرسة التدريب الخارجية» (التي كانت ستنقل قريباً من ويستامبتون في ولاية لونغ آيلاند إلى مدينة صيدا في لبنان)، بينما صورة أخرى كانت تعرض للاجئين فلسطينيين يتم توظيفهم للعمل لدى أرامكو، في حين أن أخرى صورت سكة الحديد التي بنيت للملك عبد العزيز. كما عرضت صور أخرى مجموعة من العمال يتم أخذ بصماتهم، أو كما وصفتها وزارة الخارجية: «يتم تلقينهم» واختبار قدراتهم الذهنية، فيما كانت صور أخرى تروج لنظام التدريب الجديد، إلا أنه كان هناك أيضاً تلك الصور التي طورت ثيمة ستظل أرامكو تستخدمها لثلاثين سنة قادمة وهذه الثيمة تتمثل في الإشارة إلى فرص التدريب

(*) قبيلة الموهوك هي إحدى القبائل الهندية في القارة الأمريكية الشمالية التي كانت تنتشر في شرق هذه القارة في المنطقة التي تمتد اليوم من شمال ولاية نيويورك إلى جنوب إقليم الكيبك في كندا (المترجم).

(٦) "The Story of a Modern American Family," *ARAMCO World* (April 1955), pp. 13-16, but see "Injun Talk" about a Chevron educational film made in 1946 and reported in the same issue as "Partners in Oil and Progress," *Bulletin* (Autumn 1946), pp. 3-15.

الصناعية والمقاولات لروّاد الأعمال السعوديين الذين كانوا في طور التكوين، حيث تمثلت هذه الفرص بإدارة مغاسل الملابس، وتزويد الشركة بالآجُر وما شابهها من الأعمال. ومرة أخرى، وبحسب وزارة الخارجية الأمريكية، قامت أرامكو بتثبيت هذه الملصقات في كل أنحاء السعودية وفي روما، حيث كانت المعاملة السيئة للعمال مسألة ذات شأن في ذلك الوقت، وفي القاهرة، والخرطوم، وعدن، والقدس، وبيروت، وحلب، وبومباي، ومدراس، وكراتشي، ودمشق[٧].

انتشرت حملة تلميع صورة أرامكو في العالم العربي في السنوات القادمة، على الرغم من أننا ربما لن نعلم أبداً مداها الكامل. وقد بدأت أرامكو السير على هذا الطريق في أربعينيات القرن العشرين، كما ذكر ذلك عميل السي آي إيه المتخفي بِل إيدي في رسالة مرسلة إلى أمريكا:

> نحن نستعد لتجهيز مستندات للفكرة التي قمت باقتراحها بشكل مختصر في المذكرة المرفقة التي ستتم ترجمتها إلى اللغة العربية و«زرعها» من قبل بعض الأصدقاء العرب في أيادي أعضاء البرلمانات في البلدان العربية. . .إلخ. يجب أن تكتب كما لو أن عربياً قام بكتابتها؛ حيث ستكون الفكرة في وصف التنمية الهائلة في الأراضي العربية التي ستحدث في السنوات القادمة بواسطة رؤوس الأموال الخاصة، أمريكية كانت أم بريطانية، لو أن العرب شجعوا مثل هذه التنمية عوضاً عن فرض العقوبات على الشركات: مئات الملايين من الدولارات سيتم استثمارها في البنية التحتية، والمرتبات، والمنتجات، والخدمات من دون أن يتكبد العرب عناء إنفاق سنت واحد حيث ستتكفل الشركات بالمخاطر المالية كافة. بالمقابل، فإن المنافع والريع الذي سيجنيه العرب سيسلحهم اقتصادياً لمواجهة التوسع الصهيوني، وسيمنحهم كذلك قوة تفاوضية مع القوى التي يجب أن تحصل على النفط من الشرق

---

(٧) انظر:

Dhahran to State, 118, 21 June 1951, Aramco's Utilization of Publicity Posters, RG 59, 886A.2553/6-2151.

الأوسط وستكون بالتالي محتاجة إلى التعاون مع العرب[٨].

أرسل رئيس لجنة التجارة الفدرالية ستيفن سبينغارن (Stephen Spingarn) إلى وزير الخارجية دولز (Dulles) في شباط/فبراير ١٩٥٣م يطلب منه السماح له بإجراء تحقيق حول **بيروت ستار** *Beirut Star*، وهي جريدة يومية باللغة الإنكليزية، كان يعتقد أن أرامكو كانت تمولها سراً؛ وذلك أن أحد موظفي مجلس الشيوخ قام بتمرير تقرير عن مراسل أمريكي في بيروت إلى سبينغارن الذي أرسله بدوره إلى دولس، إلا أنني لم أستطع أن أجد دليلاً على أن الطلب قد تمت الموافقة عليه، إلا أن وزارة الخارجية قد نقلت بأن أرامكو كانت تدفع لكتّاب عرب من أجل أن يزوروا الظهران ويكتبوا عنها[٩].

أما الكاتب الذي دفعت له أرامكو أكثر من غيره فهو والاس ستيغنر، النجم الساطع في مجال السير الذاتية والروايات عن الغرب الأمريكي في ستانفورد الذي سيفوز بجائزة البوليتزر عام ١٩٧٠م. فقد تم التعاقد معه عام ١٩٥٥م لكتابة تاريخ عن سنوات الروّاد الأولى في السعودية، إلا أن رفض ستيغنر للكتابة حسب إملاءات الشركة دفع برجال منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو بدفن كامل مخطوطة الكتاب لعقد من الزمن. وهذا الإجراء يعطينا مؤشراً على مدى هلع الإدارة وقلقها بخصوص محاولات مكافحة الاحتكار التي تواجهها في أمريكا، وكذلك محاولات التأميم في المنطقة المضيفة، وهو ما دفع رجالها إلى صناعة أفلام لم يُرِدْ أحد مشاهدتها ولدفن كتاب كان قد ردَّ - كما يرى ذلك باول هوي (Paul Hoye) رئيس تحرير **عالم أرامكو** الذي قام بنشره عام ١٩٧١م - على «اتهامات» العصر «العامة بـ«الإمبريالية الاقتصادية» التي قد حجبت المساهمات الجبّارة التي قامت بها شركات عادلة ومتنورة وبعيدة النظر كالتي قامت بها أرامكو في ميدان التنمية»، ومع ذلك، فهو لم يكن جيداً بشكل كافٍ[١٠].

---

(٨) William Eddy to Mary Eddy, Washington, 17 August 1948, Box 6, Folder 3, William A. Eddy, 1948-1949, Eddy Papers.

(٩) Spingarn to Dulles, 18 February 1953, and enclosures, RG 59, 50/7/2 886A.2553/2-1853, and Beirut to State, 592, 18 March 1954, RG 59, 886A.2553/3-1854.

(١٠) Hoye to Ellender, 6 February1968, Folder 23, Correspondence, 1961-1969, Box 11, Mulligan Papers.

الفصل الخامس

أيّام الكاديلاك

كما أن النزعة المحافِظة المحمدية تتفكك بشكل سريع، فعندما بدأنا بالعيش هنا في عام ١٩٤٤م . . . كانت البلدة مغلقة وبدائية لدرجة أنه لا يوجد فيها أي مسيحي عربي، بل إنها لم تختلف كثيراً عن الوصف الذي وصفه بها ريتشارد بورتون (Richard Burton) في كتابه **حج سري إلى مكة والمدينة** (*A Secret Pilgrimage to Mecca and Medina*) عام ١٨٥٣م. إلا أن السنوات الست الماضية قد ارتقت بشكل المدينة عدة درجات إلى الأعلى: فالأسوار هدمت، وبيوت جديدة مزودة بالكهرباء والمياه تنمو كالفطر في جوانب المدينة القديمة الثلاثة، هذا بالإضافة إلى المرفأ الجديد الذي ترسو عليه السفن العابرة للمحيطات والذي ضاعف من قدرة الميناء الاستيعابية لثلاث مرات، كما أن العائدات التي تعطى للملك تحولت إلى طرق معبدة، ومدارس جديدة. ومياه شرب نقية، تأتي بها أنابيب من على بعد ٣٥ ميلاً، وعليك أن تحصل على أطروحة كارمن الإنكليزية عن الموضوع لتقرأ عن كل التغيرات الناتجة من امتزاج حكمة الملك بثروته الجديدة، اليوم شهدنا افتتاح مصنع الكوكاكولا المباح شربها بحسب القرآن، لأن مادة الكوكا ليست كحولية . . . إن الزمان يمضي قدماً .

وليام إيدي في رسالة إلى أبنائه، ٧ نيسان/ أبريل ١٩٥٠م

إن الإمبريالية الأمريكية تحتل قلب جزيرة العرب، مستغلة نفطنا، ومنشئة قاعدة جوية في الظهران؛ حيث تخزن القنابل النووية . . . لقد حولت الإمبريالية الأمريكية الملك سعوداً إلى بوق لترويج كل ما يأتي من الولايات المتحدة الأمريكية، فها هو يعلن عن سيارة الكاديلاك الأمريكية الفارهة ويمنح شاعراً جائزة لأنه نظم قصيدة فيها . . . هيّا يا أمير الموسيقى، غنّ لنا أغنية بينما تسير بنا الكاديلاك ببطء .

صوت العرب، ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦١م.

مهمة سريّة

في شهر آب/ أغسطس من عام ١٩٥٠م، أرسل هارولد هوسكينز جزءاً سرياً من تقرير كان قد أعده مسبقاً إلى ألن دولز (Allen Dulles). وهارولد

هذا هو ابن عم بِل إيدي، وقد كان مثله عميلاً لمكتب الخدمات الاستراتيجية ثم تحوّل إلى مستشار تجاري. وعندما أرسل رسالته هذه، كان عائداً للتو من الشرق الأوسط في رحلته السنوية لصالح شركة إكسون (Exxon)، أما دولز فهو محامٍ وقد كان رئيساً لجمعية كلية الشرق الأدنى، وهي المؤسسة التي كانت تشرف على الجامعة الأميركية في بيروت؛ حيث كان هوسكينز أحد أمنائها. بعد ذلك بستة أشهر، سينتقل دولز إلى واشنطن ليتسلم منصب نائب مدير التخطيط في وكالة الاستخبارات المركزية (السي.آي.إيه)، والتي كانت جِهَةَ العمل السرية لبِل إيدي. وقسم التخطيط هذا هو الذراع المختص بالعمليات السريّة في الوكالة، وعندما أصبح دوايت أيزنهاور رئيساً في عام ١٩٥٣م، قام بترقية دالاس إلى منصب مدير السي آي إيه.

أما التقرير ـ والذي كان أشبه بمسح عام عن العالم العربي ـ فقد تطرق تقريباً إلى كل قضية تشغل اهتمام صناع السياسة في واشنطن لعقدين من الزمن أو أكثر: الشيوعية، إنشاء دولة إسرائيل، تصاعد الحركة القومية في المنطقة، والتحديات التي تطرحها هذه التطورات على النفط الذي تحتاج إليه الشركات (والاقتصاديات) الغربية. وعلى ما يبدو، لم تكن الأمور على ما يرام من وجهة نظر هوسكينز، فبعد اجتياح كوريا الشمالية للجنوب في عام ١٩٥٠م، شاع هلع بين النخب الشرق أوسطية بأن هذه الحادثة ستمثل بداية حرب عالمية ثالثة. وقد ذكر هوسكينز أن الأوضاع متدهورة في كل مكان زاره؛ إذ إن الشيوعية وقضية فلسطين «ربما شكلتا قرابة الـ٩٠ في المئة من كل المحادثات». أما الزعماء العرب، فقد ذكر أنهم يرون أن التدخل الأمريكي في كوريا و«عدم اتخاذ موقف تجاه عدم تقيّد إسرائيل بعدد من قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين» غير مفهوم، اللهم إلا باعتباره نتيجة «النفوذ اليهودي المستمر على السياسة الخارجية الأمريكية».

وإزاء صعود تيارات سياسية جديدة وراديكالية بعد الحرب من حزب البعث إلى الأخوان المسلمين، بالغ هوسكينز في تقديره «لقيمة النظام الملكي في الشرق الأوسط باعتباره عامل استقرار في المنطقة»، وكما ذكر، فإنّ كلاً من مصر والعراق والأردن تبدو في وضع أفضل بكثير من سوريا التي كانت جمهورية تهاوى نظامها البرلماني بسبب سلسلة من التدخلات

العسكرية، أما الجانب السلبي الوحيد فإنه كان في الملكيات: «قد لا يتمتع الحكام أنفسهم بقبول كبير بين عدد كبير من المواطنين»[١].

وطريقة تحليله هذه لم تكن بأي حال مخالفة لأولئك الذين يديرون دفة السياسة الخارجية الأمريكية، يمكن استنباط ذلك من الأحداث المتعاقبة خلال عقد الخمسينيات الصاخب؛ حيث دعمت أمريكا ـ أحياناً بشكل ناجح (السعودية، الأردن) وأحياناً غير ذلك (مصر، العراق) ـ ملوك المنطقة ضد المتآمرين العساكر أو الثوريين أو الشيوعيين الذين كانوا يريدون الإطاحة بهم. ولنأخذ مصر مثالاً على كلامنا، ففي تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٩٥١م، ألغى الحزب الحاكم، وهو حزب الوفد، اتفاقية التحالف التي كان عمرها عشرين عاماً مع القوة الإمبراطورية الآفلة بريطانيا؛ فكانت النتيجة حرب عصابات واسعة في قناة السويس؛ حيث يتمركز الآلاف من الجنود البريطانيين، وكذلك إحراق مركز أعمال أجنبي في وسط مدينة القاهرة. دخل عميل دولز السري، واسمه كيرمت روزفلت (Kermit Roosevelt)، في الصراع في أشهره الأخيرة لكنه قام بدعم الطرف الخاسر، فبعد أقل من سنة ستقوم خونتا عسكرية(*) بالإطاحة بالملك فاروق، وبحلول عام ١٩٥٤م سيبرز جمال عبد الناصر زعيماً لهذه الدكتاتورية العسكرية.

وإن كان هوسكينز قد تجاهل إيران في تقريره إلا أن زعماء حزب الوفد المصري قد ألهمهم قرار البرلمان الإيراني في آذار/مارس من عام ١٩٥١م بتأميم جميع المرافق الضخمة التابعة للشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط، والتي كانت مصدر بريطانيا الرئيس من النفط الخارجي. وبعكس ما حدث في مصر، سيقوم عملاء دولز السريين هذه المرة بأداء أفضل في إيران، وذلك، كما هو معروف، في عملية مشتركة مع البريطانيين سميت بعملية أجاكس (Ajax) في آب/أغسطس من عام ١٩٥٣م. في هذه العملية تم إعادة الشاه

---

(١) Hoskins, Confidential Extracts from Statement Regarding My Recent Trip to the Middle East, dated 16 August 1950, Folder 8, Near East College Association, 1947-1957, Box 42, Allen W. Dulles Papers, Seeley G. Mudd Manuscript Library, Princeton University, Princeton, New Jersey.

(*) الخونتا العسكرية (Military Junta) هو مصطلح تشكل في أمريكا اللاتينية للإشارة إلى الحكومات التي يحكمها مجلس عسكري. وكلمة «خونتا» إسبانية، تعني حرفياً «لجنة» أو «هيئة» (المترجم).

إلى السلطة، أما رئيس الوزراء محمد مصدق الذي قاد قوى تأميم النفط، فقد تم سجنه مع حلفائه من حزب تودة الشيوعي؛ حيث تم إعدام الضباط العسكريين المنتمين إليه، أما أشهر ما يتعلق بهذه العملية، فهو أن الشركات الأمريكية تمكنت من الدخول إلى سوق النفط الإيراني لأول مرة في تاريخها.

وبينما كانت الشعبوية تتصاعد في إيران ومصر اللتين كانتا أقوى دول المنطقة في ١٩٥٠، وبينما كان الحديث عن التأميم يتم تداوله بشكل جديّ للمرة الأولى، كان الملك يشدد على التزامه مع حليفته، الولايات المتحدة الأمريكية، في السعودية، فقد كان السعوديون يريدون أسلحة واتفاقية تحالف رسمية، ولكن هذه الطلبات لم تكن في متناول إدارة يتزعمها حزب ديمقراطي في عام ١٩٤٩م؛ إذ يجب عليهم الانتظار حتى وصول كل من الرئيسين كينيدي وجونسون، وكان البديل الذي حصلت عليه المملكة هو بعثة تقصٍّ عسكريّة، وهذه جاءت مقابل أن يتم التجديد للقاعدة الأمريكية العسكرية في الظهران لسنة إضافية. وعاد الكولونيل هاري سنايدر إلى السعودية لترؤس برنامج تدريب عسكري متواضع إلى أن قامت أرامكو بتوظيفه لصالح برنامجها المتضخم في التدريب الإنتاجي، كما أن الأمريكيين قاموا بترقية مستوى تمثيلهم الدبلوماسي؛ إذ تم تعليق لوحة جديدة على جدار قنصلية الظهران لتصبح قنصلية عامة، أما اللوحة التي كانت معلقة على جدار البعثة الدبلوماسية في جدة فقد تحولت إلى لوحة مكتوب عليها سفارة الولايات المتحدة الأمريكية، أما جاي. رايفز تشايلدز (J. Rives Childs) فقد خرج من أرض آل سعود بصفته قائماً بالأعمال، ثم دخل مجدداً باعتباره سفيراً.

أدى اندلاع الحرب الكوريّة(*) إلى ازدياد أهمية قاعدة الظهران بالنسبة إلى الجيش الأمريكي، ما مكّن السعوديين من الحصول على موارد إضافية جاءت على شكل اتفاقية دفاع مشترك تضمنت أول دفعة سلاح حقيقية من

(*) الحرب الكورية (١٩٥٠م - ١٩٥٣م): في نهاية الحرب العالمية الثانية قامت القوات السوفياتية باحتلال شمال كوريا ووضعت حكومة موالية لها هناك، وبالمقابل قامت القوات الأمريكية باحتلال جنوب كوريا ووضعت حكومة موالية لها هناك. بعد نهاية الحرب، قامت الحكومة في كوريا الشمالية - مدعومة من الصين والاتحاد السوفياتي - بالزحف جنوباً لتوحيد البلاد، فقامت الولايات المتحدة بدعم الحكومة الجنوبية لإيقاف هذه المحاولة (المترجم).

أمريكا، كما تضمنت ترقية مستوى بعثة التدريب العسكرية التي ستستمر تحت مسميات متنوّعة حتى هذا اليوم، كما قد قامت إدارة الرئيس ترومان بتقديم عرض افتتاحي بتمديد اتفاقية القاعدة الجويّة لمدة خمسة وعشرين عاماً، إلا أنّها عادت لتقبل بتسوية مقدارها خمسة أعوام إضافية. وعلى الرغم من كل هذا، لم يحصل الملك على ما أراده من اتفاقية تحميه من أعدائه في الأردن والعراق، وكان الذي حصل عليه بالمقابل هي ساعة ذات صندوق كبير ضخمة ومضيئة بمناسبة الذكرى الخمسين لدخوله الرياض على الرغم من أن السلطات الدينية أرغمت الملك على إلغاء كل الاحتفالات العامة التي كان قد خطط لها، كما قام الرئيس أيضاً بإرسال طبيبه الخاص إلى الرياض في محاولة لإبقاء الملك على قيد الحياة[٢]. والأكثر أهمية من كل هذا هو أن هذه الحرب أثرت في دعم وزارة الخارجية الأمريكية لتعديل جانب رئيس من عقد امتياز أرامكو يؤدي إلى زيادة حصة السعودية من عائد النفط.

فقد كان الاتفاق التقليدي قبل أربعينيات القرن العشرين هو أن على الدولة المضيفة أن تقبل بمعدل ريعيّ ثابت على كل طن من النفط يتم إنتاجه من الشركة صاحبة الامتياز، إلا أن حكومة فنزويلا تمكنت من تحدي هذه الشروط بنجاح في عامي ١٩٤٣م و١٩٤٧م لتتوصل إلى اتفاقية المناصفة «خمسين بالمئة، خمسين بالمئة» مع الشركات المتعددة الجنسيات، وقد وافقت الشركات الأمريكية على ذلك بشكل أسهل مما هو متوقّع منها عادة وذلك بسبب أن الأرباح الإضافية لفنزويلا يتم دفعها على شكل «ضرائب» تسمح لهم باستقطاعها من الضرائب التي يتوجب عليهم دفعها إلى الخزينة الأمريكية، أما في الخليج، فإن الشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط (آيوك) قد رفضت قبول مثل هذه التعديلات عندما تمّ الضغط عليها من طهران، وذلك عندما قامت بعثة فنزويلية بزيارة إيران في أثناء المفاوضات، وأحد أسباب رفضها هو أن القانون البريطاني لا يعطي الشركات القدرة نفسها على معادلة الضرائب المدفوعة، وكان نتيجة ذلك، **أولاً**، انطلاق السعي داخل البرلمان

(٢) David E. Long, *The United States and Saudi Arabia: Ambivalent Allies* (Boulder, CO: Westview, 1985), pp. 34-35 and 106-107, and Anthony Cave Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings* (Boston: Houghton Mifflin, 1999), p. 198. The correspondence on the grandfather's clock begins with State to Jidda, 121, 3 March 1950, RG 59, 786A.11/3-350.

الإيراني نحو تأميم مَرافق آيوك، وثانياً، تحوّل ملحوظ نحو التسوية لدى ملّاك أرامكو الذين قاموا بتوقيع اتفاقية المناصفة الخاصة بهم في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٥٠م[٣]، إلا أن ما هو مجهول بالنسبة إلينا هو الذي من بين السعوديين يعود إليه الفضل بالدفع نحو هذا التحوّل في سياسة الشركة، فالملك وصل إلى مرحلة الشيخوخة، ووزير المالية كان في مراحل متقدمة من إدمان الكحول. وكما سنرى قريباً، فإن المرشح المعقول هو عبد الله الطريقي الذي كان حينها مشرفاً على قسم شؤون النفط في وزارة المالية[٤].

في أماكن مثل إيران ومصر التي كان يتصاعد فيها نجم أميركا، كان المسؤولون الأمريكيون يلومون بريطانيا على تشبثها بطرقها الاستعمارية التي عفى عليها الزمن والتي وقفت في وجه الإصلاحات التي قد تساعد في إيقاف تقدّم الشيوعية، ففي إيران أرسلت إدارة الرئيس ترومان بعثات تدريبية تنموية (النقطة الرابعة) وعسكرية، وكانت الشركات الاستشارية الأمريكية تساعد في كتابة خطة تنموية لسبع سنوات قادمة وغيرها من الأمور، وأحد أهم المستشارين الأمريكيين في إيران هو ماكس ثورنبرغ (Max Thornburg) الذي كان تنفيذياً لفترة واحدة في شيفرون؛ حيث أدار شقيقة أرامكو في البحرين، كما أنه صمم سياسة وزارة الخارجية الأمريكية النفطية خلال الحرب العالمية الثانية، فقد ساعد ماكس وآخرون من أمثال والتر لفي (Walter Levy) وغيرهم من المستشارين الذين يأتون ويذهبون لتقديم المشورة في قطاع النفط، ساعدوا هؤلاء الإيرانيين في مفاوضاتهم مع شركة النفط والمسؤولين البريطانيين.

---

(٣) Irvine Anderson, *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981), pp. 189-197, and Ronald Ferrier, "The Anglo-Iranian Dispute: A Triangular Relationship," in: James Bill and Roger Louis, eds., *Mussadiq, Iranian Nationalism and Oil* (Austin, TX: University of Texas Press, 1988), pp. 172-179.

(٤) انظر: عبد العزيز محمد الدخيل، «عبد الله الطريقي والنفط والوطن (من أجل التاريخ والأجيال)،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٦ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٧)، ص٣٨ ـ ٥٢.
Eddy provided the account of the king's senility and the finance minister's incapacitation. Cairo to State, 354, 14 August 1950, Conversation with Col. Eddy, Political Advisor to ARAMCO, Regarding Conditions in Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/8-1450.

إن الأساليب التي استخدمتها إدارة الرئيس ترومان من أجل دعم الملك عبد العزيز كانت مماثلة لتلك التي استخدمتها في دعم الملكيات في مصر وإيران؛ حيث تضمّنت مساعدة ضمن برنامج النقطة الرابعة وبعثة استشارية عسكرية، وكذلك ابتداء من ١٩٥٢م بعثة مالية بقيادة آرثر يونغ (Arthur Young) لتأسيس مؤسسة النقد العربي السعودي. هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فقد كانت المملكة مكاناً استطاع فيه الأمريكيون أن يزيحوا البريطانيين عنه، وهي كذلك المكان الذي مثّل فيه «شقيق» هاري ترومان - وهو هنا الملك - قيمة كبرى: فهي من جهة مصدر لموارد رئيسة من أجل إعادة إعمار أوروبا، ومن جهة أخرى تمثّل توجهاً «عقلانياً» في ما يتعلق بالشأن الفلسطيني. وفي حقيقة الأمر، فإن الأمريكيين جَنوا عوائد ضخمة وإيجابية من استثمارهم هذا إذا ما أخذنا في الاعتبار أن التحالفات التنموية والشعبوية في أمريكا اللاتينية كانت تتحدى باستمرار امتيازات المستثمرين الأجانب، وأن الحروب والانتفاضات كانت تهددهم في آسيا. ولهذا السبب بدأ الأمريكيون بتبني رواية أرامكو عن الملك الحكيم المحارب ومملكته، وكذلك مديح مبادرة ولي العهد بإصلاحات جديدة، وهم اختاروا القيام بذلك عوضاً عن توجيه النقد بشكل صريح للجشع المدمر والفساد بالطريقة نفسها التي قام بها آخرون، والتي كانت من بينهم **الإيكونومست** (*Economist*) اللندنية، حيث ذكرت الآتي:

> لنسرد الحقائق: في عام ١٩٤٩م استلم الملك قرابة ٩٠ مليون دولار، دُفعت له جلّها ذهباً؛ ومن المتوقع أن يستلم بحلول شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٥٠م ٧٠ مليون دولار أخرى، ويفترض رسمياً أن تذهب هذه الأموال «لرفع مستوى المعيشة» لشعبه، لكن في الحقيقة كل هذه الأموال تذهب إلى جيوب الملك التي لا قاع لها وكذلك جيوب عائلته وحاشيته، وتدفع فقط عشرة في المئة من هذه الأموال إلى القبائل من أجل إسكاتهم، أما جهازه الإداري البدائي فإنه يتم تمويله من العوائد المجمعة من فرض الضرائب على حركة الحج التي تصل في الموسم الجيّد إلى ٤ مليون جنيه إسترليني، فلا غرابة إذاً إن وجدنا العائلة السعودية

الحاكمة مستعدة لاستخدام وارداتها المالية لحماية الشكل القروسطي(*) للبلاد(٥).

إنه تحليل قاسٍ لكنه صحيح، فخلال منتصف عام ١٩٥١م، كانت المملكة تستدين كثيراً من الأموال مستخدمة عائداتها المستقبلية من النفط كضمانة من بنك تشايس (Chase) في نيويورك وغيره من البنوك، كما أنها كانت مدينة لشركة بَكتِل بمليون دولار مقابل القصور والحدائق التي بنتها، وكانت هذه الشركة الكاليفورنية تهدّد بالخروج من البلاد. وبعد سبع سنوات ـ أي في عام ١٩٥٨م ـ سيصبح بقاء هذه الحقائق الأساسية نفسها والمستمرة دليلاً رئيساً للأمريكيين على أن الملك سعود بحاجة إلى أن يتم استبدال أخيه فيصل به الذي كان كما يقال لنا مصلحاً تحديثياً بعيد النظر.

التحديث

بينما كان بِل إيدي يقدم الاستشارات والنصائح في طول الجزيرة العربية وعرضها، كانت ماري إيدي، كما كانت تفعل دوماً، تكتب رسائلها إلى أقربائها في أمريكا، وتناولت هذه الرسائل بشكل مستمر التغيرات التي طرأت على الأماكن التي كانوا قد زاروها أول مرة خلال فترة الحرب. لنأخذ الهفوف كمثال، وهي مدينة كثيرٍ من عمال أرامكو وتقع على بعد خمسين ميلاً من المستوطنة النفطية وهي المقر الذي كان من خلاله يحكم أمير الأحساء ابن جلوي، فالمشاهَد في هذه المدينة أنها كانت لا تزال تبدو وكأنها «صورة من كتاب ألف ليلة وليلة». وقد وصفتها بأنها «أكثر مدينة تتسم بالمظاهر العربية رأيتها في حياتي وأكثرها جمالاً»، «فهي تقع في واحة تزينها حدائق وبساتين النخيل الخلّابة... وحصونها القديمة بأبراجها المرتفعة المدوّرة تطلّ عالياً من فوق النخيل»، أما قصر الأمير، وهو المكان الذي تناولا فيه غداءهما، كان «بيتاً عربياً تراثياً حقيقياً، لكنه قام بتركيب حمامات حديثة، ومراوح كهربائية وهواتف، بل إننا رأينا مكنسة كهربائية في

(*) قروسطي، أي يعود إلى القرون الوسطى (المترجم).

(٥) London to State, 3350, 17 January 1951, A British Comment on ARAMCO'S Labor Problems, RG 59, 886A.2553/1-1751. The quote is a close but not exact transcription.

زاوية غرفة النوم، أما الأثاث، فقد كان مجموعة من الكراسي الجديدة الشديدة الفخامة والموزعة على طول الجدران، بل إننا رأينا شعاراً كتب عليه «سيرز روباك»(*) هنا في الهفوف!»[٦] ولكن ما إن اقترَبَت من الساحل حتى تلاشت مشاهد ألف ليلة وليلة ليحل مكانها المستقبل، أي أوائل مجمعات كاليفورنيا المغلقة، مدينة كوارتز، منبعثة في الظهران حوالى عام ١٩٥٠م:

إذا نظرت حولك في هذا المنزل المريح والمصمم بطريقة رائعة فإنك لن تعرف أبداً أنك في الجزيرة العربية، (باستثناء أنك في أمريكا لن تستطيع الحصول على خادميْن جيديْن)، إن الظهران اليوم أصبحت كبيرة بما يكفي لأن تضيع فيها بسهولة، يوجد هنا باصات وسيارات أجرة تأخذك إلى أي مكان تريده، لكنني أنا أفضل المشي، فهنا تجد مسارات للمشي، وأشجاراً، وعشباً أخضر، وحدائق فاكهة، وزهوراً، بل تجد طيوراً أيضاً: وكل هذا في منطقة كبيرة ومحاطة بسور عالٍ ذي أسلاك شائكة[٧].

ولعله كان صحيحاً أن الحيّ الأمريكي كان نفسه مشبّكاً، ولعله صحيح أيضاً أن أولئك الذين يعيشون فيه كانوا يشعرون بأنفسهم مميزين، أي إنهم يعيشون في مكان ما في المنتصف، مكان لا يقع في جزيرة العرب ولكنه أيضاً ليس في أمريكا، إلا أن هذا الشعور يبدو مماثلاً لكل أولئك الذين جاءت بهم الأقدار للعيش في الظهران من الذين كانوا خارج الأسوار وينظرون إلى الداخل، وقد رسمت المشاهد الأخيرة من فيلم أرامكو «جزيرة الله» الشكل الخارجي لمعالم القوة الجديدة في الأحساء، والتي تمت تسميتها بالمنطقة الشرقية في عام ١٩٥٣م: ابتداء من ميناء الدمام، إلى سكة الحديد التي تنطلق من هناك إلى الرياض والتي اكتملت في عام ١٩٥١م. ثم طائرة تابعة للخطوط السعودية من نوع (DC-3) تحط في مطار الظهران، تأتي بعدها سيارات أجرة تسير فوق طرق حديثة التعبيد، بالإضافة طبعاً إلى

(*) سيرز روباك (Sears Roebuck) هي سلسلة محلات بيع تجزئة شهيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، تأسست عام ١٨٨٦م في ولاية مينوسوتا، وتوسعت لتصبح شركة عالمية، وتعتبر فترة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين هي قمة صعودها (المترجم).

(٦) Mary Eddy, "Continued from Dad's Letter," 27 February 1950, Dhahran, Folder 6, Mary Garvin Eddy, 1950, Box 3, Eddy Papers.

(٧) Mary Eddy to Family, 17 February 1950, Dhahran Guest House, Folder 6, Box 3, Eddy Papers.

ملفات للعمال في مصفاة رأس تنورة. والمستقبل لم يزل يتكشف، فقد أوردت السفارة الأمريكية في تقريرها السنوي بأنه «خلال هذا العام» بدأت المملكة «باكتساب سمات أخرى للدولة الحديثة»: فإشارات المرور الأولى في الرياض وجدت عام ١٩٥١م، وأول محطة إذاعة في مكة، وكذلك أول استاد رياضي في جدة لمباريات كرة القدم الشهيرة والجديدة، وكذلك مصنع الكوكاكولا الذي كان إيدي قد ذكره في إحدى رسائله والمخطط بأن يفتتح في نيسان/أبريل من عام ١٩٥١م. أما أول فندق في الدمام، وهو الإنتركونتيننتال، والذي كان استثماراً مقداره ١١ مليون دولار دفعتها وزارة المالية، فقد قارب على الانتهاء، حيث بني فوق أرض يملكها وزير المالية عبد الله السليمان[٨].

بدأت الأعمال التجارية بالنمو في الدمام وبشكل خاص في الخبر وذلك استجابة لتدفق الأجانب وتركّز السكان في هاتين البلدتين الساحليتين. وكما نقلت السفارة الأمريكية، استحوذت قرابة ١٢عائلة تجارية على ٩٠ في المئة من التجارة وهيمن المقاولون على الغرفة التجارية في الدمام، وأبرز هؤلاء التجار والمقاولين هم آل فخرو والقصيبي والزاهد مضافاً إليهم آخرون بدؤوا بمشاريع جديدة، مثل: محلات لغسيل الملابس لأرامكو[٩]. وقدّم قسم الشركة الجديد والمسمى «قسم التنمية الصناعية العربي» (Arab Industrial Development Department) الدعم للسعوديين الذين كانوا عمالاً ثم تحولوا إلى رجال أعمال والذين افتتحوا مشاريع لتزويد مدينتي الخبر والدمام بالطاقة الكهربائية. والأكثر شهرة من ذلك هو أن أرامكو قامت بمساعدة عاملها السابق سليمان العليّان لتدشين شركة الغاز الأهلية التي انتقل العليّان من خلالها من توزيع عبوّات الغاز المسال المنتجة في مصفاة رأس تنورة إلى تكديس واحدة من أكبر الثروات في العالم. ومع حلول عام ١٩٥٢م، انتقل جهاز إدارة المنطقة السعودي البدائي من الهفوف إلى الدمام.

يجب أن نتذكر أن نفقات الحكومة كانت أكثر بكثير في الجهة الغربية،

---

(٨) Jidda to State, 186, 18 December 1950, Saudi Arabian Government Hotel in Dammam, RG 59, 5886A.02/12-1850, and Jidda to State, 282, 17 March 1952, RG 59, 886A.00/3-1752.

(٩) Jidda to State, 64, 20 August 1952, Survey Trip of Embassy Officer to Riyadh and Eastern Arabia, RG 59, 886A.00/8-2052, and ARAMCO, "Translation Manual," 15 May 1954, Section titled "Saudi Arabs Prominent in Commercial, Cultural, and Similar Activities".

أي في الحجاز الذي كان المكان الأغنى والأكثر كثافة سكانية في البلاد من نفقاتها في الشرق، حيث كانت أرامكو «تباشر أعمالها التنموية العامة»، كما أنها كانت قبل خمس سنوات قد أنفقت أكثر بكثير على الرياض أيضاً والتي كانت «على مقربة من توسّع تجاري واقتصادي لم يحلم به أحد»[١٠]. كانت آثار الكميات الضخمة الأولى من النفط تتوزع في مختلف أرجاء البلاد؛ حيث شملت العِيال التجارية الكبيرة في الحجاز، من أمثال آل علي رضا والجفّالي، وكذلك النجوم الجدد من نجد، كآل بن لادن[*]، والذين كانوا يعبّدون الطرق ويبنون المنشآت في كل مكان.

أما في داخل الحيّ الأمريكي فقد طلب جورج رنتز مالاً وموظفين إضافيين لقسم الأبحاث الخاص به وذلك من أجل التعامل مع تحديات هذا العالم الجديد «فالقسم موجود بشكل رئيس من أجل تقديم خدمات الاستشارة والبحث والترجمة للأقسام الأخرى داخل منظمة العلاقات الحكومية المحلية وغيرها من مكونات الشركة»، والطلب على خدماتها كان يتعاظم وذلك نظراً «إلى التوسع الكبير في بنية الحكومة السعودية» في المنطقة الشرقية، «فالتعديل الهيكلي الأخير للحكومة سيؤدي إلى علاقات أكثر تقارباً بين الحكومة والشركة، إن تأسيس وزارات جديدة في الحكومة السعودية وتعيين مسؤولين من مستويات عليا يضطرنا إلى توسيع برنامج البحث»[١١].

ابن الجزيرة

اتخذت الحكومة السعودية أهم قراراتها وأكثرها مصيرية في عام ١٩٤٩م، وذلك عندما قامت بنقل النجدي عبد الله الطريقي إلى الدمام ليصبح مشرفاً في وزارة المالية على الشؤون النفطية[١٢]. وعادة ما ينسب ظهور

(١٠) انظر:

Jidda to State, 64, 20 August 1952, Survey Trip of Embassy Officer to Riyadh and Eastern Arabia, RG 59, 886A.00/8-2052.

(١١) See memorandum titled "Arabian Research Division," 1 August 1953, Folder 17, ART, AAD, Etc., 1953, Mulligan Papers. Mine is a close paraphrase but not exact transcription.

(*) آل بن لادن أسرة من حضرموت استقرت في الحجاز، أما الجفّالي فهم أسرة نجدية.

(١٢) نقلاً عن عبد الرحمن منيف، صديق الطريقي، في: السفير، ١٨/ ٩/ ١٩٩٧.

"Death slipped past in silence, in obscurity, and snatched away one of the most prominent sons of the Arabian Peninsula".

الطريقي في صناعة السياسة النفطية السعودية إلى نفوذ الأمير فيصل(١٣)؛ فالسيرة التي أصدرتها وكالة الاستخبارات المركزية (السي.آي.إيه) تقول إن ترقية الطريقي عام ١٩٥٤م ليصبح المدير العام لقسم شؤون النفط والمعادن الحديث التكوين داخل وزارة المالية إنما كانت بقرار من فيصل فهو الذي أسس المكتب، والطريقي هو الذي أداره(١٤).

كان الطريقي ذكياً ومتفانياً ورجلاً صاحب مبدأ، كما أنه كان على ما يبدو رجلاً لا يستهويه الفساد، وهذه الصفات أقرت بها السي.آي.إيه، وعندما توفي عام ١٩٩٧م، كتب الروائي المنفي عبد الرحمن منيف رثاءً يثني عليه فيه؛ إذ قال: إن الطريقي «حاول أن يقدم للمنطقة والعصر ما هما أهل له وما يستحقانه»(١٥)، أما مديرو أرامكو فقد صوّروه بأنه عاطفي ومتعصب ومتهور، وهذا متوقّع نظراً إلى كونه سيُلْجِئ الشركة إلى مزيد من الإنفاق، ولهذا نجد أن بارغر وصف الطريقي ذات مرة بأنه «ديماغوجي فاتن»، قد يكون هذا صحيحاً لولا أن تقريراً للسي.آي.إيه ذكر أن «شخصية الطريقي وسلوكياته جعلت من الصعب على الأمريكيين التعامل معه»(١٦)، لا عجب إذاً أن يكون رأي الشركة فيه هكذا.

نشرت واندا جابلونسكي (Wanda Jablonski)، والتي كان نجمها يتصاعد كأكثر صحافيي ذلك العصر تأثيراً في عالم النفط، في بتروليوم ويك (*Petroleum Week*) تقريراً عن «تحقيق» الطريقي الشامل والذي استغرق وقتاً

---

(١٣) The only scholarly article on Tariki, by Stephen Duguid, "A Biographical Approach to the Study of Social Change in the Middle East: Abdullah Tariki as a New Man," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 1, no. 3 (July 1970), pp. 195-220, calls him a protege of Faisal. Later books and articles repeat the claim, but Duguid's work is both poorly sourced and underspecified.

(١٤) المصدر نفسه،
"Biographic Report: Abdallah ibn Hamud al-TARIQI, Former Minister of Petroleum and Mineral Wealth" [dated 26 Feburary 1970], *CIA Research Reports, Middle East, 1946-1976* (Ann Arbor, MI: University Publications of America, 1983), microfilm, reel 3, and Edward Webb, "Tariki's Life and Thought-Research Note," (2003, unpublished paper). My discussion in this section draws on Webb's invaluable research assistance.

(١٥) عبد الرحمن منيف، في: السفير، ١٨/٩/١٩٩٧.

(١٦) Barger's notes, Lecture for Society of Petroleum Engineers, Folder 5, Barger, Thomas C., Biographical Info and Obits, Box 1, Mulligan Papers, and CIA Research Reports, Middle East, 1946-1976.

طويلاً «حول مراحل أعمال أرامكو كافة»، فقد كان أول ما استهدفه الطريقي هو تملص الشركة من اتفاقية المناصفة، فقد اكتشف أن أرامكو تقوم بتخفيض الأسعار التي تبيع بها النفط للشركات الأربع المالكة لها، وأن هذه الأسعار المعلنة هي نفسها المستخدمة في حساب حصة المملكة من الأرباح، وهذا يعني أن ما تستلمه السعودية كان ٢٢ في المئة وليس ٥٠ في المئة من الأرباح، وكان صافي الأرباح السنوي لملاك الشركة ـ بعد الدفع لأسرة آل سعود ـ ٥٧ في المئة طيلة عقد الخمسينيات، وهذا يعني أن أكثر من متوسط الأرباح بخمس مرات يعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية[١٧]، قاد اكتشاف الطريقي هذا إلى مزيد من الضغط على الشركة في عامي ١٩٥١م و١٩٥٢م، انتهى إلى تعديلات على اتفاقية المناصفة مع دفع تعويضات للحكومة.

قام الطريقي كذلك بفتح تحقيق جديد بعد عودته من فنزويلا عام ١٩٥١م، وهي السفرة التي زادت من استيعابه لحجم الظلم في الأجور التي يتقاضاها أبناء بلاده، ولانعدام الفرص للعمال السعوديين، ولتدني مستوى برنامج الإسكان الذي تقدمه الشركة للسعوديين. ويبدو أن الطريقي قد تعلم كثيراً من مقارنة أرامكو بشركة كريول للنفط التي أُجبرت على تبني سياسات إدماجية بكلا المعنيين اللذين يحملهما هذا اللفظ؛ فبالمعنى **الأول** وهو الصناعي، كانت شركة مندمجة، أي إنها تجمع بين النشاطات الأوليّة (إنتاج النفط الخام) والنشاطات اللاحقة (تسويق المنتجات المصنعة)[١٨]. هذا في الوقت الذي بدأت أرامكو تواجه مطالبات بنقل مقرها الرئيس من نيويورك إلى الظهران من أجل عقد اجتماعات مجلس الإدارة هناك، وكذلك من أجل تعيين السعوديين فيه. أما المعنى **الثاني**، ففي فنزويلا أيضاً كما في إيران، كان دمج العمال المحليين المهرة والتقنيين والمديرين في مستويات الشركة المختلفة متقدماً بشكل أكبر من أرامكو، وهو الأمر الذي دفع الطريقي بالبدء

---

(١٧) الدخيل، «عبد الله الطريقي والنفط والوطن (من أجل التاريخ والأجيال)،» ص٣٨ ـ ٥٢؛ Alexei Vassiliev, *History of Saudi Arabia* (New York: New York University Press, 2000), p. 332; John Malcolm Blair, *The Control of Oil* (New York: Pantheon, 1976), p. 50.

(١٨) Wanda Jablonski, "Interview with Tariki," *Petroleum Week* (22 February 1957), pp. 22-23.

في مطالبته بخلق «العشر الموهوب» الخاص بالمملكة، لكن أرامكو بالطبع رفضت، وسيستغرق الأمر ثماني سنوات قبل أن تقوم أرامكو بدعوة الطريقي إلى الانضمام إلى مجلس الإدارة كأول مدير سعودي.

في مقدمته لأعمال الطريقي الكاملة، أكّد محرر الكتاب وليد خدوري بشكل خاص اهتمام الطريقي بتعليم الشباب من أهل بلاده، فمقالته الأولى التي كانت بعنوان «إلى أين نحن مسوقون؟» وصفت هؤلاء السعوديين بـ«أمل هذه الأمة وثروتها الحقيقية»، أقر الطريقي بحالة الاغتراب التي يعانيها المتعلمون السعوديون والمقاومة التي يواجهونها عند عودتهم إلى الوطن، إلا أنه حضّهم على الارتقاء بالأمة، و«رفع مستوى الفقير، ومعالجة المريض، والأخذ بيد الضعيف، وتعليم الأميّ»(١٩). ويتذكر المحامي السعودي محمد الحوشان أنه طيلة فترة الخمسينيات كان منزل الطريقي ومكتبه عبارة عن صالون للطموحين من المهندسين الشباب وغيرهم(٢٠). ويذكر خدوري جهود الطريقي لبناء الخبرات في إدارة الشؤون النفطية حديثة الولادة وعند تحولها إلى وزارة فيما بعد، وذلك بتوظيف السعوديين الموهوبين وغيرهم، خصوصاً من الفلسطينيين الذين حصل كثيرون منهم على الجنسية عام ١٩٦٠م بفضل جهوده الشخصية.

ومن دون كلل أو ملل، استمر الطريقي بالضغط في قضايا تهرب أرامكو من التزاماتها ومسؤولياتها التي تفرضها عليها اتفاقية الامتياز وكذلك في تمسكها بالنظام الهرمي الذي قامت ببنائه شرقيّ السعودية. وبعد رحيله من السعودية، حلل بمهارة المنطق وراء تحوّل أرامكو ابتداء من عام ١٩٥٠م نحو دعم المقاولين السعوديين قرب الأحياء السكنية في الظهران، وهو ما بدأت تسميه بـ«التنمية الصناعية العربية» في ملصقات الشركة وما شابهها من وسائل دعائية، فقد قال:

> وجدت شركة البترول العربية الأمريكية (أرامكو) أن تطبيق قانون العمل والعمال على جميع العمال الذين تحتاج إليهم في أعمالها

(١٩) عبد الله الطريقي، «إلى أين نحن مسوقون؟،» مجلة اليمامة، السنة ١، العدد ١٢ (تموز/ يوليو ١٩٥٤)، ص٣٠ ـ ٣١.

(٢٠) الرياض، ١٨/٩/١٩٩٧.

سيكلفها كثيراً، ولهذا ابتدعت فكرة المقاولين وأصحاب السيارات. . . وكانت مهمة هؤلاء المقاولين الجدد جمع العمال الراغبين، ثم تأتي الشركة بالمعدات والمهندسين فيدربوا المقاول وعماله للقيام بالعمل المطلوب منهم؛ وبهذه الطريقة تكون الشركة غير مسؤولة عن تدبير المساكن والتأمين الصحي والعناية بالعمال وعائلاتهم[(٢١)].

لقد مر بنا سابقاً بداية تشكل الحجج والاستراتيجيات لتفادي التكاليف التي ستتكبدها الشركة لو أنها قامت بتوسيع مزايا برامج الرفاه لعمالها البيض لتشمل القوة السعودية العاملة كافة، أو لو أنها وفت بالتزاماتها المتعلقة بتعليم العمال السعوديين وأبنائهم وتدريبهم. ولهذا، عندما كان المديرون يشتكون من أن الحكومة السعودية هي من كانت تؤجّل البدء ببرنامج تسليف أرامكو الإسكاني، فإنها كانت تعني أن رجالاً من أمثال الطريقي كانوا يسعون إلى دفع الشركة نحو طريق أكثر إنصافاً (من ناحية التكاليف) في ما يتعلق بالإسكان والتدريب والتعليم وغيرها من القضايا. وبلا أي شك، فإن رجال الشركة رأوا الأمور بشكل مختلف: «فبالنسبة إلى كثير من الناس في عالم صناعة النفط في ذلك الوقت. . . إن لم تكن مؤيداً لأرامكو فأنت بالضرورة مؤيد للشيوعية. وأنا أتذكر عندما كنت في الحفلات في الظهران أني كنت أستمع إلى المديرين يتحدثون عن «ذلك الحقير الأحمر[(*)] في الرياض» قاصدين الطريقي، وهذا بالتأكيد لم يكن صحيحاً»[(٢٢)]. وما يهم في النهاية هو أنه بعد موجة الإضرابات في الخمسينيات وظهور نوع جديد من رجال دولة شعبويين يمثلهم الطريقي، تم إجبار الشركة ببطء على التوجه نحو السعودة.

إن تجربة الطريقي مع العنصرية داخل الحيّ الأمريكي هي واحدة من اللحظات النادرة الموثّقة في هذه الحملة الممتدة لعقد من الزمن من أجل

(٢١) "Libyan Oil Politics," *Arab Oil and Gas Journal*, vol. 2 (October 1965),

منشور في: وليد خدوري، محرر، عبد الله الطريقي: **الأعمال الكاملة**، وقفية عبد الله الطريقي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩)، ص٨٧ ـ ٨٨.

(*) الأحمر هو لون علم الاتحاد السوفياتي، والحركات الشيوعية بشكل عام (المترجم).

(٢٢) Metz interview with Webb, 11 August 2001.

ترويض أرامكو، فقد كان الصحافيون في الخمسينيات والستينيات قبل أي شيء آخر، شهوداً على ما سيصفه في ما بعد هاورد وينانت (Howard Winant) بـ «انهيار» نظام العالم العنصري للقرن الماضي؛ حيث أصبح من المقبول ذكر أن الأمريكيين كانوا أحياناً عديمي الشعور تجاه «شركائهم» و«مستضيفيهم»، وكان هذا الوقت أيضاً هو الذي استنجد فيه بعض رجال الشركة بنوع من التحليل النفسي السطحي للتقريب بين اعتقاداتهم باستثنائية أرامكو ودور الطريقي الذي يزداد وضوحاً في الحملة التي أدّت في عام ١٩٦٠م إلى تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)[٢٣].

نصت إحدى عبارات اتفاقية المناصفة بأنه يتوجب على أرامكو دفع ٧٠٠ ألف دولار سنوياً «لتغطية النفقات والدعم والعناية بممثلي الحكومة المسؤولين عن إدارة عمليات أرامكو»، استخدم الطريقي هذه العبارة للمطالبة بحقه وحق زوجته الأمريكية بالسكن داخل حيّ كبار الموظفين في الظهران، لكن أرامكو رفضت، وعرضت عليه بناء بيت في أحد الأحياء المحلية، إلا أنه في آخر الأمر سُمح للطريقي بالدخول داخل أسوار الحيّ.

> وقد قال في الأسبوع الماضي: «كنت أول عربي يقتحم مجمع أرامكو الذي كان محكمَ الإغلاق... ولم أرَ في حياتي أشخاصاً ضيقي الأفق كالذين يعيشون فيه»، فالنساء المتزوجات الأمريكيات تحدّثن مع زوجته سراً مستنكرات زواجها بعربي، وقال الطريقي بمرارة: «إنه حالة لا مثيل لها لعربي أن يكون غريباً في بلده»، و«لأسباب شخصية بحتة لا علاقة لها بجنسيته» انتهى زواج الطريقي إلى طلاق، وأما زوجته وابنه صخر فهما يعيشان الآن في بكبسي (Poughkeepsie) في ولاية نيويورك[٢٤].

---

(٢٣) Some called him "anti-American". "His dedicated Arab nationalism is reportedly deepened by painful memories of having been confused with Mexicans in Texas," *Time* magazine reported in 1958. Anthony Cave Brown insists dramatically that his mistreatment led directly to Tariki's "return to Riyadh" and a putative call for "expropriation of ARAMCO". See: Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings,* p. 152. Tariki did no such thing. This undocumented assertion is by no means the only reason not to trust what is probably the poorest-researched and most error-filled book I have read in ten years of working on the subject. Brown seems incapable of getting a single date right.

(٢٤) *Time* (27 April 1959), p. 22.

ولن يتوقف المسؤولون الأمريكيون لمدة عقد كامل من الشكوى من تصدّع الحاجز بينهم وبين السعوديين الذين طالبوا باستخدام مرافق أرامكو بعد أن قام الطريقي بالسكن في الحيّ الأمريكي، وذلك لأن هؤلاء السعوديين اعتقدوا أن السماح للطريقي بالسكن في الحي الأمريكي يعني تلقائياً منحه الحق بالسباحة في حوض السباحة، وحضور الأفلام المجانية. . .إلخ. وأياً يكن، فإن حياة الطريقي مع امرأة بيضاء هو ما شغل اهتمام جيرانه، وقد تم إدراج فشل زواجه الأول في الخمسينيات داخل الأسطورة المتضخمة عن الطريقي والأسباب النفسية وراء حملة السعودة التي قادها والتي تم ترديدها لعقود. فتخيل أن بارغر تفحّص مذكراته في لحظة ما في الستينيات أو السبعينيات قبل أن يقدم لجمع من مهندسي النفط في أمريكا القصة السرية للطريقي وحملته تجاه الشركة: «إن عبد الله الطريقي كان رجلاً بتركيبة معقدة ومُثُل قوية ومتزوج من امرأة تحوم حول سلوكها الشائعات، وهذه الأخيرة هي أسوأ ما يمكن أن يحدث لشخص من بيئة محافظة، فقد كان يحبها وألهمه حبها لأن يقوم بهذا»، أي إحضارها معه للعيش في جزيرة العرب، إلا أنه «لم يستطع، فقد كان يافعاً، قد أنهى دراسته للتو، وناصرياً متحمساً»، والآن تخيّل امرءاً في البيت الأبيض إبّان فترة رئاسة نيكسون (Nixon) يقرأ هذا الملف الذي أعدته السي.آي.إيه عن السيرة الشخصية لمؤسس أوبك:

> تعرض الطريقي للتمييز في بارات تكساس لأنهم كانوا يعتقدون أنه مكسيكي. وهو متزوج من أمريكية، اسمها السيدة إليانور نيكولس (Eleanor Nichols)، وهي من تكساس، كما أنه تعرض مرّة للمضايقة في أثناء دخوله هو وزوجته إلى أحد مرافق أرامكو المخصصة للموظفين الأمريكيين، وقبل طلاقهما عام ١٩٥٤م، كان عليه أن يتغاضى عن سلوكها غير المحتشم مع موظفي أرامكو الأمريكيين وبعض أعضاء الأسرة الحاكمة.

لم يكن اسمها إليانور نيكولس، بل كان إليانور رامنيتز (Eleanor Ramnitz)، ولم تكن من تكساس، بل كانت من بكبسي. وعلى الرغم من نسيانهم لهذه المعلومات، إلا أن أحداً لم ينس الأسباب التي أدت إلى طلاقهما[٢٥].

(٢٥) Barger's notes, Lecture for Society of Petroleum Engineers, Folder 5, Barger, Thomas C., =

بعثة تبشيرية متخفية

كشف وليام إيدي جانباً آخرَ من أساطير أرامكو في خطاب ألقاه عام ١٩٥٢م، وعلى الرغم من أننا لا نعرف الجمهور المُخاطَب، إلا أننا نعرف السياق الذي ألقي فيه، فقد اتهمت لجنة التجارة الفدرالية الشركات المالكة لأرامكو مع غيرهم من ملّاك شركات أخرى بالتآمر من أجل السيطرة على إنتاج النفط في العالم. وفي الوقت نفسه، كان عضو آخر في كارتل النفط يواجه اتهامات بالاستغلال الاقتصادي والتدخل السياسي في إيران، ولم يكن هذا العضو غير شركة النفط البريطانية المملوكة من حكومة المملكة المتحدة وهي الشركة التي بدورها تملك الشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط، ففي نهاية المطاف، دفعت هذه الاتهامات باتجاه تأميم جميع المرافق التابعة لهذه الشركة في إيران. وفي هذا السياق بالضبط جاء إيدي ليصحح من مجرى الأحداث وذلك لأنه، كما قال: «**نحن لا نعلّم الديمقراطية السياسية، ولا نسعى لاستبدال رؤساء الوزراء ولا الملوك كما تفعل الشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط**»، فكما هو بيّن، فإن امتعاض إيدي من البريطانيين في الشرق الأوسط لم يخبُ أبداً؛ إذ يتابع قائلاً: «نحن لا ندّعي بأن لنا صلاحيات خارج سيادة الدولة المضيفة، ونعترف بأن الملك يستطيع طردنا من بلاده متى شاء، ونحن لا نلجأ إلى محكمة دولية، ولا نستدعي مقاتلات بحرية كي تحمينا، ونحن لا نُملي الثورات الاجتماعية، ولا نطالب بتمزيق حجاب المرأة، فنحن لا نطمح إلى أن نكون كشركة الهند الشرقية، بل نفضّل أن نكون كالبنوك وشركة بكتل»[٢٦].

من جهة أخرى، عندما أضاف والاس ستيغنر مقدّمة متأخرة عن تاريخ الشركة، وكان قد أتمّ مخطوطته بين عامي ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦، وادّعى دعاوى مختلفة بعض الشيء؛ فقد كتب بأن الشركة قد تعلمت بشكل تدريجي كيف «تتخلّى عن التأثير السياسي» في السعودية، إلا أنه مع عام ١٩٧٠م كانت

Biographical Info and Obits, Box 1, Mulligan Papers (emphasis mine), and *CIA Research Reports*, = Middle East, 1946-1976. None of the observers of the time seemed as interested in Tariki's second marriage, to Maha Jumblatt, in Lebanon, where he settled until the mid-1970s.

(٢٦) Notes for a talk dated 13 August 1952, Box 15, Folder 19, "Addresses: Impact of an American Industry," Eddy Papers. My notes are an exact copy of his notes but I have rendered these as full sentences for readability (Emphasis is in the original).

الأسطورة متجذرة لدرجة أن موظف منظمة العلاقات الحكومية مالكولم كوينت (Malcolm Quint) أمر بشطب مقدمة ستيغنر؛ حيث كان صارماً في مسألة أن «أرامكو لم تتخلّ عن التأثير السياسي المباشر، وذلك لأنها لم تكن تتمتع بأي منه»[(٢٧)]. وعلى الرغم من كل هذا، فقبل أشهر قليلة من إفصاح إيدي بأن أرامكو لم تكن منخرطة في مشاريع استبدال رؤساء الوزراء، كان اثنان من كبار مسؤولي أرامكو ـ وهما فلويد أوهليغر وغاري أوين (Gary Owen) ـ قد قابلا مسؤولين في السفارة الأمريكية في الظهران لمناقشة ما إذا كانت «ممارسة الضغط أمراً ضرورياً لطرد وزير المالية» عبد الله السليمان»[(٢٨)].

انحاز موظفو وزارة الخارجية الأمريكية إلى رؤية الشركة المتزايدة القلق تجاه الأوضاع في السعودية ـ والتي لم تكن الأولى من نوعها ولا الأخيرة ـ بعد تطوّر الأحداث في مصر وبشكل أخصّ في إيران. ويمكن القول: إنه بشكل عام لم يتنبه الباحثون الأكاديميون إلى هذه اللحظة أو أنهم لم يتذكروها لكونهم خاضعين لتأثير رواية أرامكو الرسمية عما حدث في الماضي؛ إذ إن هذه الرواية تعتمد اتفاقية المناصفة التي تمّ التفاوض عليها في كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٥٠م باعتبارها دليلاً على اختلاف الشركة عن شركة النفط البريطانية في إيران، أي كما قال إيدي بالضبط، وكذلك على حكمتها في تفادي المصير نفسه، إلا أن قراءة هذا الحدث باعتباره حدثاً تقوم فيه الشركة المتنورة نسبياً بحل أكثر مشاكلها حساسية مع الحكومة، أو حدثاً تبقى فيه ضمن المسيرة التي وضعتها لنفسها، أو حتى حدثاً تقوم من خلاله بإجراء بعض التعديلات الطفيفة على مسارها الذي اختطته؛ إن قراءة الحدث بهذا الشكل يجعل من الصعب تفسير الموجة الجديدة والأكثر تأججاً من الاضطرابات العمالية في عام ١٩٥٣م، أي إن هذه القراءة تجعل الأمر كما لو أن إضراباً عاماً استمر لمدة شهر كامل للقوة العاملة كافة حدث بشكل مفاجئ ومن دون أي أسباب.

والحقيقة هي أن أرامكو كانت خاضعة لضغوطات كانت تتزايد بشكل

---

(٢٧) Letter, Quint, Dhahran to Hoye, Aramco Overseas Company, Beirut, 3 October 1970, Folder 1, Mulligan Papers.

(٢٨) Dhahran to State, Incoming Telegram 83, 15 August 1951, RG 59, 886A.2553/8-1551.

منتظم من الأعلى ومن الأسفل منذ إبرامها اتفاقية المناصفة؛ فمن الأعلى كانت الحكومة قد طالبت بقروض ودفعات مقدّمة واتّهمت الشركة بخرقها للاتفاقية كما رأينا سابقاً، وحمّلت أرامكو مسؤولية المشاكل التي تتعرض لها على عاتق وزير المالية، أما موظفو السفارة الأمريكية فلم يكن منهم إلا أن وافقوا الشركة على روايتها المبسطة جداً، وقد كتب إيدي لزوجته عن «المصيبة التي تعصف بالشركة» والتي ستضطره إلى البقاء بعيداً عن الوطن حيث قال:

> في إطار محاولته لتدمير نفوذ ولي العهد ولتركيز السلطة والأموال بشكل كامل في يده، أسر عبد الله السليمان (والذي كما أخبرتك سابقاً أنه يشرب الخمر بشدة) الملك بحزمة من الأكاذيب مما دفع الملك إلى إخبار راي هير (Ray Hare) [السفير الأمريكي] بأن أرامكو كانت تشتمه وتخدعه وتغش الحكومة السعودية وأن «على كل أولئك الذين تعامل معهم مؤخراً من موظفي الشركة مغادرة المملكة العربية السعودية»...

إن ما حدث في إيران سيؤثّر فينا قريباً بطرق خطيرة جداً، فإيران طالبت واستطاعت أن تصل بإيرانيين إلى مجلس الإدارة كما حدث في شركة نفط العراق، وحتماً ستطالب السعودية بذلك قريباً كما أن السعوديين باتوا يتساءلون بشكل قاسٍ حول سعر النّفط عند نقطة بيعه الأخيرة مقارنة بالسعر الزهيد الذي يتم حساب العائدات على أساسه (أي سعر النفط عندما يغادر أرامكو)[٢٩].

هكذا إذاً أصبح السليمان مصدر الفساد الرئيس (إذ بدا من المناسب التغافل عن العائلة الحاكمة للحظة) والعقبة الأساسية أمام «إصلاح» نظام المالية الذي عفى عليه الزمن والذي ينفق الأموال بشكل غير منضبط، كما أصبح أيضاً طليعة المعارضة لولي العهد الذي كانت تدعمه أرامكو، ولعلها قد «أخذت على عاتقها سابقاً» مهمة إنقاذ آل سعود من «عدم تحملهم لمسؤولياتهم المالية»، إلا أن الوضع هذه المرة حسّاس جداً والدولة في حالة

(٢٩) William Eddy to Mary Eddy, 18 August 1951, Box 6, Folder 4, William A. Eddy, Correspondence, 1950-1951, Eddy Papers.

واهية ووزير المالية يزداد غرابة في الأطوار بسبب معاقرته الخمر لدرجة تدفع إلى التساؤل ما «إذا كانت توجد أي حكومة حقيقية»[٣٠]. هذه الحكومة غير الموجودة هي نفسها التي خاضت مع الشركة مفاوضات حول التابلاين (ربيع عام ١٩٥١م)، وأخذت منها ضمانات لدائنيها (آب/أغسطس عام ١٩٥١م)، وهي التي قام ملكها بمهاجمة الشركة لانعدام ولائها، وكذلك، بالتوازي مع عملية التأميم الإيرانية، حول مشاركة السعوديين في حكم أرامكو (شباط/ فبراير ١٩٥٢م).

ولقد ألمح محللو الشركة إلى أن وصول الملك إلى مرحلة الهذيان جعلته مستباحاً أمام دسائس السليمان ضدّ كل من الشركة والرجل التي كانت تتعامل معه مصرفياً لحماية اتفاقية الامتياز، أي سعود بن عبد العزيز، بل إن منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو كانت تلتقط صوراً لسعود بشكل منتظم منذ عام ١٩٥١م، عندما بدا أن الملك كان قريباً من الموت، لدرجة أن رئيس المراسيم في البيت الأبيض كان قد أعدّ برقيات العزاء في شهر آذار/ مارس من عام ١٩٥٢م؛ حيث كان النص كالآتي: «إن الشعب الأمريكي كان فخوراً بأن يعتبره ويعتبر شعبه من بين أصدقائه المقربين والثقات». وبينما كان الملك متشبثاً بالحياة لعام إضافي، جهزت أرامكو أفلاماً إضافية «لتبث مباشرة وفي كل أنحاء العالم عند وفاة جلالة الملك عبد العزيز باعتبارها مساهمة معنوية لتأكيد الرضى العام بوصول ولي العهد إلى السلطة كخليفة مناسب لوالده العظيم»[٣١].

وقد كان الكولونيل إيدي، وهو أكثر مستشاري الشركة معرفة بشؤون الشرق الأوسط، متيقناً من «أن ولي العهد سيكون زعيماً كفؤاً ومتعاطفاً مع قضية شركة النفط في السعودية، إلا أن هناك رجالاً في السلطة غير ولي العهد، أشهرهم وزير المالية، ليسوا أكْفاء وهم أنانيون في رغباتهم»[٣٢]؛ ولهذا اقترحت الشركة ما هو أكثر من مجرد برنامج علاقات عامة مصمم

---

(٣٠) Dhahran to State, Incoming Telegram 83, 18 August 1951, RG 59, 886A.2553/8-1551.

(٣١) Dhahran to State, 58, 3 January 1952, 50/9 886A.452/1-352. The unsent telegram is found in White House to John Simmons, Chief of Protocol, State, 29 March 1952, RG 59, 786A.11/3-2952.

(٣٢) Cairo to State, 354, 14 August 1950, Conversation with Colonel Eddy, Political Advisor to ARAMCO, Regarding Conditions in Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/8-1450.

لترويج قصة سعود الملك التحديثي، فكما ذكر المتخصص الجديد بالشأن السعودي في وزارة الخارجية الأمريكية بعد مشاورات قام بها مع إيدي ونائب رئيس أرامكو جيمس تيري ديوس: «باتت مغادرة الشيخ عبد الله السليمان لوزارة المالية أمراً ضرورياً، وهو الأمر الذي سيمهد الطريق باتجاه تدشين نظام أكثر ترتيباً لجباية موارد المملكة العربية السعودية وإنفاقها»(٣٣). بعد ذلك، اجتمع ديوس لأكثر من مرة مع سعود وذكر أن الأمير قد خطط لاستبدال الشخصية المفضلة لدى أرامكو بالسليمان، أي عبد الله بن عدوان، رئيس فرع وزارة المالية في الظهران(٣٤).

كان جانب الحكومة يمثّل نصف المشكلة فقط بالنسبة إلى أرامكو، فخلال زيارة ملحق الشؤون النفطية في وزارة الخارجية الأمريكية التي امتدت لأسبوع كامل في شهر أيار/مايو من عام ١٩٥١م، نقل بأن الشركة واجهت تذمراً متصاعداً بين عمالها من شرائح قوتها العاملة كافة بمن في ذلك الأمريكيون والأجانب من الموظفين الإداريين. ورجّح بأن تحسن ظروف العمل في بلدانهم الأصلية كان يزيد من انعدام جاذبية الظروف التي توفرها أرامكو، إلا أن كل ما علينا قوله هنا هو أن تكلفة استبدال العمال عالية، وهي أعلى بشكل هائل في حالة النساء، فكما مرّ بنا سابقاً، فإنّ ارتفاع هذه التكاليف يفسر لجوء أرامكو إلى نوع محدد من برامج التدريب، أي تعليم السعوديين مهارات أحادية لا تسمح لهم بالانتقال بها إلى أماكن عمل أخرى، وهي البرامج نفسها التي سيتم الترويج لها بعد فترة قصيرة باعتبارها مساهمة في تنمية البلاد.

وفي فقرة من التقرير وصفت بأنها سرية ـ أي إنها تمثّل معلومات مأخوذة من مصادر داخل أرامكو أو أنها تمثّل رواية يجب على السفارة ألا تنقلها إلى الشركة ـ شدّد الملحق على فشل الشركة المستمر في بناء مساكن للعمال العرب المتزوجين وذلك حتى بعد أن ضغطت عليهم الحكومة السعودية في هذه النقطة، لأنّ غيرها من الحكومات استطاعت انتزاع هذه الاتفاقية من شركات النفط، بالمقابل، ألقت أرامكو باللوم على الحكومة

---

(٣٣) Awalt's Memo to File, 21 August 1951, RG 59, 886A.2553/8-2151.

(٣٤) Awalt, Memorandum of Conversation, 31 March 1952, with Duce and others, RG 59, 986A.512/3-3152.

بسبب رفضها خطتها البديلة للإقراض والبناء، إلا أنّ الملحق أشار إلى أنّ هذه المساكن للمتزوجين ستظل ضرورية في المناطق التي تمتد إليها عمليات أرامكو؛ حيث لا وجود لأي بلدة قرب مكان العمل، كما أنه حثّ الشركة على الذهاب إلى مصر ورؤية كيف بنيت مساكن المتزوجين من قبل شركات تعمل على ساحل البحر الأحمر(٣٥).

ولقد واجهت الشركة عدة «مُعوِّقات وموانع محلية في مسار العمل» في أوائل عقد الخمسينيات؛ كان أحدها إضراباً في عام ١٩٥١م قام به عمال الميناء في رأس تنورة ما دفع الملك إلى التدخل مباشرة، ولعلّ هذه الواقعة تفسّر غضبه المتزايد الذي احتاجت تهدئته إلى تدخل طارئ من أوهليغر الذي كان على معرفة قديمة بعبد العزيز، وهي كذلك تفسر عجز الشركة عن التعرف إلى أيّ مصدر لهذا الغضب غير خضوعه للخداع والسيطرة من قبل أعداء متخيلين(٣٦).

بعد أشهر قليلة، وبينما كانت عملية التأميم الإيرانية تأخذ مجراها، أي في شهر آب/أغسطس من عام ١٩٥١م، سافر الملحق الأمريكي لشؤون العمال من عبدان إلى الظهران وكتب تقريراً جديراً بالذكر؛ حيث قارن فيه الظروف والاحتمالات في كلتا الدولتين النفطيتين، ففي خوزستان، راهن المسؤولون في الشركة الإنكليزية - الإيرانية في أثناء «عشائهم الأخير» قبل إقلاعهم من البلاد على أن «الجدول الزمني الاجتماعي للتأميم» في السعودية سيكون قرابة سنة واحدة، إلا أن الملحق رفض بشكل حكيم هذا الاستنتاج الذي رآه مبنياً على قراءة سطحية للديناميّات السياسية، فقد قال:

> مهما تكن الدرجة التي يبدو فيها تخلف الإيرانيين ومهما تكن درجة بساطتهم السياسية التي يعتقدها من ينظر إليهم من الخارج، إلا أنهم متنبهون وراشدون في سياساتهم الاقتصادية والسياسية بشكل أكبر من السعوديين...

(٣٥) Cairo to State, 2787, 24 May 1951, New Developments in ARAMCO Operations, RG 59, 886A.2553/5-2451. On the turnover rates, see as well Tehran to State, 138, 1 August 1951, Labor Attache's Comments on Dhahran, Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/8-151.

(٣٦) Department of State Instruction, no. CA-3384, 29 December 1953, RG 59, 886A.062/12-2953. Unfortunately, I have not been able to find additional materials on the strikes and slowdowns in the early 1950s.

> وكما نعلم فإن حكومة المملكة العربية السعودية لا تجد حرجاً من إظهار نفسها كحكومة أوتاركية [أي حكومة استبداد مطلق]، كما أن عدد الذين يسيطرون على مستقبل البلد ويتحكمون بمداخيل النفط يمكن عدهم على أصابع اليدين الاثنتين، إن إيران معروفة لدى الغربيين بمحدودية عدد الطبقة التي تحكمها، إلا أن هذه الطبقة، أياً تكن محدوديتها العددية... تستند إلى قاعدة أوسع من نظيرتها في السعودية... ونتيجة لذلك، فإن بإمكان أرامكو تجاهل الرأي العام الذي ليس له أي قوّة أو صوت، وعليها أن تضع تركيزها على إنتاج النفط والاعتبارات الاقتصادية البحتة... إذ لا يبدو أنه ستكون هناك أي قيود في المستقبل القريب على استمرار نفوذ هذه القلّة... كما أنه لا يوجد أي دليل على وجود أي قوّة أو أفراد ولو بشكل متخفٍّ قادرين على قيادة حركة عمالية أو حريصين عليها[٣٧].

وبالتماشي مع التحليلات التي تقدّم ذكرها في الفصول السابقة قلب الملحق رواية الموالين للشركة المتعلقة بكون سياساتها الكريمة والتقدمية هي سر مصيرها الأفضل رأساً على عقب، فالبعد الوحيد الذي تفوقت فيه أرامكو على الشركة البريطانية في إيران كان في استثمارها في برنامج العلاقات العامة؛ إذ صوّرت أرامكو نفسها وهي تستشير المسؤولين السعوديين بالإضافة إلى قيامها بطباعة تقارير ذات ألوان زاهية «بالأخضر والأبيض»، إلا أنها في جوانب رئيسة أخرى كانت متخلّفة جداً، وكانت على علم بذلك. ولهذا «كان هاملين [جورج هاملين (George Hamlin) مساعد مدير شؤون الموظفين الجديد في أرامكو] كما نقل عنه مهتماً بشدة وقلق بخصوص تخلّف سياسة أرامكو للعلاقات الصناعية، وذلك مقارنة بفنزويلا على الأقل حيث كان يعمل سابقاً»[٣٨]. وقد عوّل هاملين على برنامج التدريب الجديد الذي يركز على تعلم مهارة واحدة فقط وإصلاح مسألة الإسكان على النمط الفنزويلي، وهذا على الرغم من أنه ورفاقه كانوا يتناقشون في ما إذا كانوا سيوجهون

---

(٣٧) Tehran to State, 138, 1 August 1951, Labor Attache's Comments on Dhahran, Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/8-151.

(٣٨) المصدر نفسه.

العمال السعوديين إلى بناء منازلهم الجديدة: «ضمن تجمعات عربيّة مأهولة أو... في منطقة جديدة تكون بعيدة عن القرى القديمة».

بعد عدة أشهر وجد رئيس قسم النفط في وزارة الخارجية الأمريكية روبرت إيكنز (Robert Eakens) نفسه مع عبد الله الطريقي على متن الطائرة نفسها المتجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية من كاراكاس بعد حضورهما مؤتمر فنزويلا الدولي للنفط، ولما استدرج إيكنز الطريقي للحديث عن علاقات السعودية بأرامكو وجد أنّ تقييمه عبارة عن صدى لما قرأه في تحليلات الملحق الأمريكي لشؤون العمال، فعندما طُلب منه أن يذكر أكثر المشاكل حساسية مع الشركة أجاب بأنها الأجور المتدنية، وانعدام الفرص للعمال السعوديين، والفشل في توفير سكن كريم لهم ولِعيالهم. لقد كان الطريقي ببساطة أكثر صراحة في ما يتعلق بالظلم المتفشّي في صناعة النفط في السعودية، والسلوكيات غير الغريبة عليه منذ تلك الفترة التي قضاها في تكساس: «لقد قال: إن مديراً في أرامكو سُئل عن سبب عدم تطوير الشركة لخطط من أجل إسكان العِيال وكان جواب المدير هو «ألم تقرأ الكتاب المقدس؟ فقد ذكر فيه أن سكان الجزيرة العربية ينبغي لهم ألا يسكنوا سوى الخيام طيلة حياتهم»»[٣٩].

لقد فهم الملحق الأمريكي لشؤون العمال في عام ١٩٥١م - كما فعل تقريباً كل من حاول تحليل الوضع - أن سياسات العلاقات الصناعية التي تتبعها أرامكو ستبقى «متخلفة» ما لم تبرز حركة عمالية تدفع باتجاه رفع التكاليف التي تنفقها الشركة من أجل الحفاظ على الهرمية العنصرية داخل الأحياء إلى مستوى أعلى من تكلفة بناء «إسكان عربي» مشابه في مستواه للإسكان الأمريكي، وكذلك تكلفة التعليم الذي يتلقاه أبناء عمالها، بل وحتى تكلفة أجور تساوي ما تدفعه لعمالها البيض، وكما رأينا سابقاً، فإن هذه الخيارات كلها كانت بدائل معروفة للنظام «التقليدي» الذي أنشئ بناء عليه الحي الأمريكي، كما أنها قد تمت مناقشتها كلها، ولقد كانت هذه القضايا معروفة ليس فقط لأنها حديث الساعة في كل من إيران وفنزويلا

(٣٩) Eakens, Memorandum of Conversation, 24 October 1951, General Discussion of Saudi Arabian Oil Problems, RG 59, 886A.2553/10-2451.

والعراق؛ حيث كان يوجد في هذه الدول فعلاً ما سبق أن وصفه الملحق الأمريكي بـ«قوى. . . قادرة على، بل ومن مصلحتها أن تقود حركة عمالية». لقد كانت هذه القضايا معروفة بشكل أساس لأنه كان بإمكان أرامكو في السعودية أن تماطل «وتركز اهتمامها على إنتاج النفط وعلى الشؤون الاقتصادية البحتة»[٤٠]، بل إنها ستحاول أيضاً أن تتهرب عبر اللجوء إلى بدائل قليلة التكلفة في تدريب العمال إلى أن تم إرغامها على تبني نموذج الشركة البريطانية للنفط بعد إضرابات عامي ١٩٥٣ و١٩٥٦م.

ربما اعتقد بعض الأمريكيين بمن في ذلك بعض مسؤولي الشركة بأنهم إذا قاموا ببعض الأمور الإضافية في القضايا الهامشية فإن أرامكو ستستطيع اتقاء ظهور قوى قوميّة ومعادية للرأسمالية كتلك الموجودة في أماكن أخرى من عالم صناعة النفط، فالمعضلة كانت، بل إنها كانت أشبه بالمقامرة، أن الآخرين من داخل الشركة وخارجها كانوا مؤمنين بأن نتيجة تعليم «وتغريب» السعوديين لن تكون الاحتواء، بل ستكون زيادة سرعة نمو الحركات الراديكالية، فبعض قصص التأميم الإيراني كانت توحي بهذه الخلاصة:

> إن تجربة الشركة الإنكليزية الإيرانية للنفط في إيران أثبتت للمسؤولين في مجال النفط أن عنصر الإيثار الذي أدرجوه ضمن برامجهم التدريبية للعمال قد «يرتد» بنتائج لا ترضي كلَّ المهتمين بالأمر. فعلى سبيل المثال قامت آيوك عن قصد بتدريب موظفين أكثر، خصوصاً في المراحل المتوسطة، بحيث يمكن استيعابهم ضمن مؤسستها (ما لم يهددوا منصباً يشغله أحد مواطنيهم البريطانيين)، وقد كان القصد من هذا التدريب هو أن تقوم الحكومة الإيرانية باستقطاب هذه العمالة المدربة الفائضة عن حاجة الشركة وذلك من أجل استقرار كفاءة البيروقراطية وزيادتها، ولأجل أن يصبح المدربون الإيرانيون الآخرون موارد بشرية لأكثر الموظفين تدريباً في الصناعة الإيرانية الخاصة. ولكن، ولأسباب

(٤٠) Tehran to State, 138, 1 August 1951, Labor Attache's Comments on Dhahran, Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/8-151.

خارجة عن إرادة الشركة لم تقم أي من الحكومة ولا الصناعة الخاصة الإيرانية باستقطاب أعداد كافية من هؤلاء الأشخاص المدربين لمنع ما سيصبح في ما بعد الجوهر الرئيس لحركة عمالية إيرانية محبطة ومتعلّمة[٤١].

ومع ازدياد الضغوط من السياسيين الشعبويين على الشركات المتعددة الجنسيات في أماكن أخرى، زاد كل من أرامكو وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية من استثمارهما في حماية آل سعود، فكما رأينا، كانت أرامكو تروّج لولي العهد سعود بن عبد العزيز باعتباره وريثاً مؤهّلاً، بل كانت مستعدة للتفاوض من أجل زيادة حصة الحكومة من عائد النفط، كما أنها كانت تستغل مخاوف آل سعود من أعدائهم، الأردن والعراق، لمنع أي محاولة لتهديد أو إخضاع الشركة. ومن جهتهما، قام كل من إدارتي الرئيس ترومان والرئيس آيزنهاور بدوريهما أيضاً، فالبعثة الأمريكية للمساعدة الخارجية، والتي لا يكاد يتذكرها أحد اليوم، (وتسمى إدارة التعاون التقني) قامت بتمويل هيكلة وتنظيم صندوق النقد العربي السعودي المشكّل حديثاً الذي كان الأمريكيون يأملون بأنه سيبدأ أخيراً عملية الإصلاح المالي - والتي كان يتكرر الحديث عنها منذ الحرب العالمية الثانية، وفي مجالات أخرى، كان الإداريون الأمريكيون من ذوي عقلية «الصفقة الجديدة» قد حاولوا عبثاً أن يقوموا بدعم أي هيكلة ومبادرات إصلاحية «جذرية»[٤٢].

كما قام الأمريكيون كذلك ببناء القاعدة الجوية، وقدموا المشورة نحو تأسيس وزارة الدفاع (حيث كان وزيرها الأمير مشعل في الخامسة والعشرين من عمره عند تعيينه)، وقاموا أيضاً بدعم بعثة التدريب العسكري، أما الأسلحة فقد كانت قصة أخرى، فالسعوديون كانوا يريدون دبابات وطائرات، لكنهم تردّدوا قليلاً عندما أُخبِروا بالتكلفة؛ حيث سيكلّف تجهيز وحدة مكونة من ١٨ ألف رجل وسرب جوي وتدريبها أكثر من ١٥٠ مليون دولار. وفي

---

(٤١) Department of State Instruction, no. CA-3384, 29 December 1953, "Comment on the October-November 1953 Strike at the Arabian American Oil Company Installations in Saudi Arabia," p. 18, RG 59, 886A.062/12-2953.

(٤٢) Memorandum of Conversation, 27 September 1951, "Point IV Organization in Saudi Arabia," RG 59, 886A.00-TA/9-2751. The Saudi hands at State had to break the news to the clueless TCA official that "Saudi Arabia may not be ready for a grass-roots program at present".

عام ١٩٥١م، قدمت الولايات المتحدة مساعدة عسكرية قيمتها ١٥ مليون دولار (مع تمويلات إضافية لترقية قاعدة الظهران)[٤٣]. ولن يتوقف الأمر ها هنا، بل إنها ستكون رحلة طويلة.

الأمريكيون الذين كانوا يعرفون العرب

كانت هناك طرق أخرى لحماية «شركة صناعية كبيرة جداً وغنية وقوية تعمل بكامل طاقتها» في بلد محاط من كل جهاته بتيارات سياسية قومية وشعبوية غادرة[٤٤]؛ إذ أصبحت أرامكو، وبشكل أخص منظمة العلاقات الحكومية الخاصة بها، غطاء لعدد متزايد من عملاء وكالة الاستخبارات المركزية في خمسينيات القرن العشرين يعملون إلى جانب إيدي، والذي أصيب بنوبة قلبية في عام ١٩٥٢م ولن يعود إلى العمل في الميدان حتى عام ١٩٥٥م. أحد هؤلاء العملاء هو ريتشارد كيرن (Richard Kerin) وقد كان ضالعاً في مجال العمليات الخاصة ثم عمل للسي.آي.إيه كمشرف عمليات مستقر في بغداد في بداية الخمسينيات. بعد ذلك، انتقل إلى مستوطنة أرامكو في بقيق عام ١٩٥٤م، ثم إنه كان قد عمل جنباً إلى جنب مع ديوس في الأمم المتحدة في عام ١٩٥٨م خلال أزمة كل من العراق ولبنان. كما أن بِل موليغان كان قد وصف فئة من أصدقائه وزملائه في منظمة العلاقات الحكومية باعتبارهم جواسيس. فقد ترأس هومر ميولر (Homer Mueller)، الذي كان أحد «مدربي الموظفين المميزين» التابعين للشركة في معهد الشرق الأوسط (وهو المسار الوظيفي الذي رفضه ديفيد دودج)، مكتب الرياض غالب عقد الخمسينيات. أما روبرت هَدلي (Robert Headley, Jr) فقد وصل إلى الظهران عام ١٩٥٢م ليصبح أخيراً مشرفاً في محطة في سلطنة عُمان فترة السبعينيات، بالإضافة إلى هؤلاء، كان هناك رون وهيلين متز (Ron and Helen Metz) اللذين تم توظيفهما معاً، وبلا أي شك، كان هناك آخرون. فمن بين موظفي منظمة العلاقات الحكومية كان هناك رجل اسمه هاري ألتر (Harry Alter)، وقد كان ابناً لمبعوثين وكان حديث التوظيف في

(٤٣) Commanding Officer, Dhahran Airfield to Secretary of Defense, Telegram Ch-58, 16 August 1951, RG 59, 786A.5-MAP/8-1651.

(٤٤) Self-description of ARAMCO from a draft memo dated 1 February 1951, "Why a Research Division," Folder 16, ART, AAD, Etc., 1951, Box 2, Mulligan Papers.

الخمسينيات، هذا الموظف كان له أخ تم الكشف عنه بأنه كان عميلاً للسي.آي.إيه في هذه الفترة نفسها، أما بالنسبة إلى العملاء العرب داخل السعودية، فإننا نعلم القليل عنهم؛ فالوحيد الذي استطعت التعرف إليه بأنه عميل لدى السي.آي.إيه فقد كان حسن ياسين، ابن وكيل وزير الخارجية يوسف ياسين، والذي كان مستشاراً مؤتمناً لدى الملك عبد العزيز(٤٥).

ولهذا عندما أخبر إيدي جمهوره في خطابه في عام ١٩٥٢م بأن الشركة النفطية التي كان يعمل لديها، على العكس من الشركة البريطانية للنفط، لم تكن تتدخل في الحياة السياسية السعودية، فإن طبقات من المكر كانت مصممة بدقة في هذه المقولة، أي بالشكل الذي نتوقعه من رجل كانت وظيفته الخداع لصالح بلاده، إلا أن إيدي كان في بعض المرات يكذب بشكل صريح، فعلى سبيل المثال، سأله صديقه الملك عبد العزيز في عام ١٩٤٧م بشكل خاص: «هل ما زالت لديك أي صلة بحكومتك؟ وهل أنت عبارة عن رسول أستطيع من خلاله الوصول إلى المسؤولين في حكومتك؟» فجوابه كان حاسماً؛ حيث قال: «أجبته بلا، ثم أخبرته بأني قد استقلت من العمل لدى حكومتي بشكل كامل»(٤٦). وعلى ما يبدو فإن استمرار الجهود التي بذلتها أرامكو في دعم ولي العهد الذي أصبح في ما بعد ملكاً ضدّ عبد الله السليمان لم تكن تثير اهتمام إيدي باعتبارها تدخلاً في السياسة السعودية، ولعله بالغ في فكرة تدخل البريطانيين بصعود رؤساء الوزراء وسقوطهم بطريقة جعلت من مساهمته هو نفسه في النقاشات حول مصير عبد الله السليمان بالكاد مهمة. وأياً يكن، فإن العلاقات الوثيقة بين ديوس ووكالة الاستخبارات المركزية جعلت الحدود الفاصلة مبهمة مرة أخرى بين

---

(٤٥) Biographies in Box 2, Mulligan Papers; Metz's interviews with Edward Webb, 11 August 2001, confirming biographical material in Mulligan papers; Julius Mader and Mohamed Abdelnabi, *Who's Who in CIA: A Biographical Reference Work on 3,000 Officers of the Civil and Military Branches of Secret Services of the USA in 120 Countries* (Berlin: Julius Mader, 1968), for Alter; interview by author with George Lane, former U.S. ambassador to Yemen (on Yassin's recruitment). Headley may not have been recruited until leaving ARAMCO in 1963. I am not sure.

(٤٦) Memorandum, Dhahran, Saudi Arabia, 22 October 1947, Personal and Confidential, Report of Conversation during Audiences with King Abdul Aziz al Saud, at Riyadh, 20-21 October 1947, Folder 6, Box 2, Eddy Papers. It was widely believed in the court nonetheless that Eddy was a spy.

أرامكو وبين دولة تسعى بشكل فعال في التحكم بصعود رؤساء الوزراء وسقوطهم في إيران وأماكن أخرى من العالم.

وبدأت أرامكو أيضاً بزيادة استثماراتها داخل أمريكا وخارجها في تلك المؤسسات التي تقوم بتزويدها هي ووكالة الاستخبارات المركزية بالمعرفة المتخصصة، فكما كتب إيدي في رسالة إلى ابنه:

> أنا سعيد بأن أسمع أن هناك طلاباً في قسم الشرق الأدنى يستعدون للحصول على وظائف في هذه المنطقة، أن لا أعلم إن كنت تعلم، ولكن في الثماني سنوات الماضية قمنا بتوظيف عدد من المتخصصين في الشرق الأدنى، واحد بعد آخر، من جامعة برنستون وهم يقومون بعمل رائع هنا... وكحقيقة، والتي لا أظنها تخفى عليك، تساهم أرامكو في مؤسسات كبرنستون، ومعهد الشرق الأوسط في واشنطن، والجامعة الأميركية في بيروت، وذلك ليس لأن هذه المراكز تجهّز موظفي المستقبل، بل لأنهم يجهزون الرجال كي يستطيعوا القدوم إلى الشرق الأدنى والعمل لدى وزارة الخارجية، أو للتدريس وغيرها من المسؤوليات، والتي تعمل على تقوية المجموعة الصغيرة من الأمريكيين الذين يعرفون العرب ويفهمونهم[٤٧].

وقد بدأت الشركة بالاقتناع بوجهة نظر كبير المستعربين في الشركة جورج رنتز التي تقول إن الهندسة ومعرفة إنجاز الأعمال التقنية لا تكفي وحدها لتأمين موقع الشركة في السعودية. فقد كتب توم بارغر في عام ١٩٥١م أنه «لا بد من مواجهة مشكلة بناء أرضية مشتركة لحضارتين كبيرتين مختلفتين ولا بد من تجاوزها» وذلك عبر مؤسسة مختصة «باكتشاف الحقيقة الكاملة عن حياة الشعب العربي وشخصيته وخلفيته»[٤٨]، إلا أن هذا الإيمان والثقة بـ«المعرفة الحميمة» المتزايدة بالبدو التي يحصل عليها قسم الشؤون العربية سرعان ما تم وضعهما تحت الاختبار.

---

(٤٧) Eddy to Reverend William A. Eddy, Jr., 12 January 1956, Folder 8, Box 8, General Correspondence, Eddy Papers.

(٤٨) Memo draft dated 2-1-51 titled "Why a Research Division," Folder 16 ART, AAD, Etc., 1951, Box 2, Mulligan Papers.

فقد نقل الملحق الأمريكي لشؤون العمال بأنه فقط في السنة السابقة، ومع اشتعال الأزمة الإيرانية، افترضت الإدارة في أرامكو بأن استثماراتها كانت بشكل عام «آمنة للسنوات القادمة، وأملت بأن تستمر الشركة بإدارة عمليات مربحة لعشرين سنة أخرى»، وهذا يعني أنها اختارت الاعتماد على «التاج الملكي من أجل السيطرة والتحكم بالعمال، فقد شعروا أن بإمكانهم تجاهل مطالب العمال بتحويل المسؤولية إلى الملك، ومن ثَم حل الصعوبات التي يواجهونها في علاقاتهم الصناعية وذلك بأن يكونوا متيقظين بشكل كامل للملك ومؤامراته»(٤٩). ولكن للأسف لم تنجح خطتهم.

عبيد أرامكو

في الثالث والعشرين من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٥٣م، أرسل ولي العهد سعود برقية إلى رئيس أرامكو نيابة عن والده الملك عبد العزيز. ومناسبة الرسالة أن أحد رعايا الملك المخلصين، واسمه عبد العزيز السنيد، والذي كان موظفاً لدى أرامكو (رقمه ٤٩١٢٨)، لجأ إلى الملك يطلب مساعدته للحفاظ على وظيفته، فقد كان السنيد قد بدأ عمله لدى الشركة في عام ١٩٤٩م كمساعد مدرّس، ثم تمّت ترقيته في عام ١٩٥١م، وفي آذار/مارس من السنة نفسها تم إرساله إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتدريس في المخيم التدريبي للموظفين الجدد في لونغ آيلاند. وفي الصيف من هذه السنة نفسها أيضاً أرسلته أرامكو إلى الجامعة الأميركية في بيروت، حيث كان أحد السعوديين الأوائل الذين تمت الموافقة على حضورهم الندوات الصيفية الخاصة هناك. ومنذ ذلك الحين، كان يعمل مدرساً في مركز الظهران التدريبي، إلا أنه ذكر أنه قد تم إيقافه عن العمل بعد أن نمى إلى عِلم مُشرفِه أنه كان يكتب تقارير لولي العهد عن نظام أرامكو التعليمي.

ولو اعتبرنا السنيد مصدراً موثوقاً، فإن روايته لن تكون بأسوأ من تلك التي ذكرها مسؤول في برنامج النقطة الرابعة لواشنطن والذي قام بزيارة ميدانية بعد ذلك بعدة أشهر؛ حيث قال إن: «المنشآت كانت غير كافية في جوانب متعددة، وقد كان يتم إسكانهم في أكشاك عشوائية»، وعندما نقل

(٤٩) Department of State Instruction, no. CA-3384, 29 December 1953, RG 59, 886A.062/12-2953.

موظف السفارة الأمريكية قصة عبد العزيز السنيد إلى وزارة الخارجية بعد ذلك بعشرة أشهر، ذكر أنها ليست صحيحة، وهذا يعني إما أن السنيد لم يتم إيقافه عن العمل، أو أنه تم إيقافه لأسباب غير تلك التي ادعاها، وللأسف، لا نملك أي معلومات إضافية حول هذا الموضوع(٥٠).

فنحن نعلم أنه في آذار/مارس تحدّثت كل من صحيفتي البلاد وأم القرى السعوديتين عن التقدم الكبير الذي أحدثته الإصلاحات المتعددة التي اعتمدها ولي العهد السعودي لصالح المنطقة الشرقية، وهي الإصلاحات التي تضمنت تعديل قانون العمل لعام ١٩٤٧م، والحصول أخيراً على اعتراف أرامكو بمسؤوليتها عن تعليم أبناء العمال. وقد وافقت الشركة من ناحية المبدأ - كما شددت على ذلك السفارة الأمريكية؛ حيث ذكروا أن التفاصيل سيتم التطرق إليها في مفاوضات قادمة - على تنفيذ التزاماتها بحسب قانون ١٩٤٧م؛ حيث ستقوم ببناء مدارس للأطفال السعوديين والمساهمة في تكاليف إدارتها(٥١). وكما يبدو، كان ولي العهد يربط بين الرفاه والأمن، وذلك لأنه أمر بإنشاء وكالة أمن عام جديدة في المنطقة الشرقية. وقد كانت هناك بعثة مصرية تزور المملكة لتقديم الاستشارة في تطوير الأدوات الأمنية، كما وسّع الإداريون الأمريكيون في برنامج المساعدة من تعريفهم للمبادرات الجذرية إلى تغطية تكاليف المنح المتعلقة بسفر ضباط الشرطة السعوديين إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتعليمهم المهارات القيادية(٥٢).

وعلى ما يبدو لم يسمع عبد العزيز السنيد بخبر هذه الإصلاحات والرفاهية القادمة، أو أنه كان يأمل بتسريع حدوثها، وذلك لأنه في الثالث

---

(٥٠) On Abu Sunayd, see "Enclosure A" to Dhahran to State, 61, 4 November 1953, Labor Disturbances in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 886A.062/11-453. For criticism of and comparison to the school of commerce TCA was building in Jidda, see Jidda to State, 40, 8 June 1953, TCA Monthly Program Summary May 1953, RG 59, 886A.00-TA/6-853.

(٥١) البلاد، ٣/٣/١٩٥٣، الترجمة متضمنة، في:
Jidda to State, 279, 22 March 1953, "Reforms of Crown Prince in al-Hassa," RG 59, 886A.00/3-2253, and Thomas Pledge, *Saudi ARAMCO and Its People: A History of Training* (Dhahran: Saudi Arabian Oil Company, 1998), p. 48.

(٥٢) أم القرى، ٦/٣/١٩٥٣، الترجمة متضمنة، في:
RG 59, 886A.00/3-2253. on the police mission and Point Four initiative, see Jidda to State, 34, 7 April 1953, Technical Cooperation Administration Monthly Program Summary, March 1953, RG 59, 886A.00-TA/4-753.

والعشرين من أيار/مايو من عام ١٩٥٣م قام هو و١٥٤ موظفاً آخرين «متوسطي المهارة» والذين كانوا سعوديين وفلسطينيين ومن جنسيات أخرى متنوعة بتوقيع خطاب موجه إلى إدارة أرامكو يطالبونها فيه بدفع بدل السكن وتوفير ظروف ومزايا عمل أفضل، واحتاجت الإدارة إلى أكثر من شهر حتى تجد في جدول أعمالها متسعاً من الوقت لعقد اجتماع مع الموظفين الذين وافقوا على شرط أن يرسلوا مجموعة صغيرة تمثّلهم بدلاً من أن يحضروا بكامل عددهم. وهذه النقطة كانت مهمة؛ حيث سيتسنى للشركة في ما بعد أن تدّعي أن هذه المجموعة ليس لها حق التحدث نيابة عن الآخرين، وعندما عقدوا الاجتماع أخيراً في الثلاثين من حزيران/يونيو، قدّم كل من عبد العزيز السنيد وصالح الزيد وعبد الله علي الغانم وإبراهيم الفرج وعبد الرحمن البهيجان وعمر وزنة وعبد العزيز صفيّان أنفسهم كمتحدثين باسم الجميع[٥٣]، وهؤلاء السبعة كلهم كانوا من بين من أرسلتهم الشركة للدراسة في بيروت قبل ذلك بسنة أو اثنتين.

في الاجتماع استحضر السنيد ورفاقه القضايا التي كانت في قلب كل حراك منذ إضرابات الأربعينيات، أي عدم ترقية السعوديين لمناصب عليا ومعاملتهم كأنهم كائنات أدنى داخل الأحياء، بل وأصر هؤلاء الرجال على أن تعترف الشركة بهم كمتحدثين باسم عمال أرامكو السعوديين كافة فرفضت الشركة، وطلبت تعليق الاجتماع على الفور، ووجهتهم بتقديم كل مظالمهم عبر مكتب وزارة المالية في الدمّام باعتباره الممثل الشرعي الوحيد للعمال، وهذا الإجراء كان معمولاً به منذ إضراب عام ١٩٤٥م. ولما قاموا بذلك، وجّه مدير مكتب العمل عبد المنعم مجدوب الشركة بالعودة إلى طاولة المفاوضات مع اللجنة العمالية. وفي صباح الخامس من شهر أيلول/سبتمبر، والذي كان تاريخ الاجتماع الثاني، نقل مجدوب رسالة رسمية مؤيدة لمطالب المجموعة، وهو الأمر الذي فاجأ مديري أرامكو؛ إذ بدا كما لو أنه يفتح الباب نحو إنشاء نقابة، وكما وصف موظف في السفارة الأمريكية الأمر في ما بعد؛ حيث قال: «لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي سمحت فيها الحكومة بأن يتشكل شيء مشابه لتنظيم

(٥٣) These are the transliterations used in the company and embassy documents. Salili Sad al-Zaid appears in the list of original scholarship students to AUB. See Pledge, Ibid., p. 46.

النقابات»[٥٤]. وفي الحقيقة، لقد كانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة.

وحسبما يبدو، فإن الحراك الجماعي للعمال كان قد جاء في وقت ملائم جعله موضع ترحيب من قِبَل عدد متنوع من المسؤولين في الرياض وجدة، وهذه الحجة تأتي مناقضة لتلك التي حاول صياغتها موظفو منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو في شهري أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/أكتوبر؛ حيث ذكروا أن الحركة كانت مصمّمة لاستغلال الضعف والتشتت في الإدارة الحكومية المركزية، والتي كانت منشغلة بالحالة الصحية للملك، كما أنها حدثت أيضاً وأكثر حلفاء الملك ولاء في الدمام، أعني ابن جلوي، كان قد سافر إلى باريس لعلاج صحي طارئ.

من الممكن أن يكون هذا الكلام صحيحاً، لكن علينا أن نتذكر أن الحراك حدث أيضاً في وقت كانت فيه وزارة المالية والشركة تتنافسان في ما بينهما على قضايا متعددة، كان من بينها تسعيرة مقاعد سكة الحديد التي «كانت قائمة على التمييز»، والمهام الجديدة لشركة التابلاين، وكذلك الأمر الذي يقضي بأن على أرامكو أن تبدأ بتزويد الأحد عشر ألف عاملٍ سعودي الذين كانوا يعملون مع شركات مقاولة بالأجور نفسها والخدمات الصحيةً والسكنية وبدلات الإجازة التي كانت تقدمها لقوتها العاملة الخاصة بها، كما أنه قد طُلب من الشركة أن تسلّم ملفات كل عمالها غير السعوديين إلى لجنة حكومية مسؤولة عن زيادة عدد السعوديين في الوظائف العليا في الشركة. وأخيراً، أمرت الحكومة الشركة باستخدام اللغة العربية في وثائقها كافة. وقد ذكرت السفارة الأمريكية أن كل هذه الإجراءات كانت «مصمّمة بشكل واضح لإجبار أرامكو على الرضوخ لطلبات الحكومة في ما يتعلّق بتسعير النفط»[٥٥]. ومن هنا يكون السماح لممثلي العمال بالضغط على الشركة مماثلاً لفتح جبهة جديدة في هذه الحملة، كما أنه من الممكن أيضاً أن يوجد من بين المسؤولين السعوديين من كان مقتنعاً بأن العمال كانوا على حق.

---

(٥٤) Department of State Instruction, no. CA-3384, 29 December 1953, RG 59, 886A.062/12-2953, one of the long retrospective chronologies and commentaries I have relied on, but see the comment on sources below.

(٥٥) انظر:

Jidda to State, 393, 27 June 1953, "Further Measures of S[audi] A[rabian] G[overnment] Discrimination against ARAMCO," RG 59, 886A.2553/6-2753.

إلا أنّ الشركة اتخذت موقفاً متعنّتاً؛ إذ أوقفت أي اجتماعات مستقبلية مع السنيد ومن معه، عارضة بالمقابل مناقشة حلول المطالب الأصلية مع الحكومة. بعد ذلك، وفي الثاني والعشرين من أيلول/سبتمبر، أخبرت الشيخ عبد الله بن عدوان، أحد أكبر مسؤولي وزارة المالية وكان على اتصال مباشر مع الملك وولي عهده، أنها رفضت بشكل مباشر المطلب الرئيس، أي إنها لن تقوم بدفع بدل السكن، وهو القرار الذي ستجبر في ما بعد على تغييره، أما العمّال فقد كانت ردة فعلهم بأنهم قاموا باستقطاب آخرين للمشاركة في تحقيق هذا المطلب، وبدأت تظهر منشورات مناهضة «للسادة الأمريكان» على جدران الأحياء السكنية، وبدأ العمال بعقد اجتماعاتهم في المساجد، وقام أولئك الذين سيكونون في ما بعد ممثلين للحراك بتقديم مزيد من الشكاوى للحكومة وأرسلوا خطابات إضافية للتوقيع عليها، وقد وقّع تقريباً نصف العمال السعوديين بياناً يناشدون فيه ولي العهد سعود بالاعتراف بلجنة العمال باعتبارها مؤسسة لها الحق بالتفاوض الجماعي مع الشركة. بعد ذلك، وفي الشهر نفسه، أبرق ستة عشر مُوَقِّعاً من الموقعين الأصليين إلى سعود معترضين على فصل أرامكو لعضو اللجنة في رأس تنورة، عبد الرحمن البهيجان، وكرروا مطالبتهم بالسماح للعمال بإنشاء نقابة. ومع مطلع شهر تشرين الأول/أكتوبر، كانت الصحيفة الأسبوعية البحرينية **الكاملة** تقوم بتغطية الاضطرابات المتزايدة التي كانت تحدث في أحياء العمال.

في هذه الأثناء، كانت وحدات أرامكو الاستخباراتية والعمالية تعمل بكامل طاقتها، وكان جواسيسها داخل الأحياء ينقلون لها بأن خطر الإضراب حقيقي، وأن المنظمين كانوا يحرضّون الآخرين على التمرد: «فقد نُقل عن أحد المحرضين المتهورين بأنه قال: إن هدف المجموعة هو إسقاط أرامكو أولاً، فالحكومة السعودية ثانياً، ثم الإسلام ثالثاً، والحجة التي تستخدم بكثرة هي أن النفط ملك للشعب»، أما آخرون «فقد وظّفوا، بكل أسف، المسألة الدينية المتعلقة بـ«كلاب المسيحيين» لكسب تأييد عمال أرامكو الجدد الذين كانوا عادة بدواً قد وصلوا من الصحراء للتو»[٥٦]، ومن جهتها، بدأت الشركة بالضغط على الحكومة لمواجهة هذا التهديد، ووافق أخيراً

---

(٥٦) For the "agitator" quote, Dhahran to State, 61, 4 Novemebr 1953, 886A.062/11-453. for the "Christian dogs" quote, Dhahran to State, 52, 13 October 1953, 886A.06/10-1353.

الأمير المكلف، وهو عبد المحسن شقيق ابن جلوي، على ترك رفاهية الحياة في الهفوف والانتقال إلى الدمام؛ حيث بدأ ممثلو الشركة بتزويده ومدير الشرطة بنسخ من المنشورات، وقصاصات الورق، والقصص الصحافية التي كان يتم تداولها داخل الأحياء، إلا أن ما نقل عن الأمير هو أنه لم يقتنع، وتمسك بموقف فحواه أن «مثل هذه الأمور لا يمكن أن تحدث هنا» على الرغم من تحذيرات رئيس الشرطة بأنه سيقوم باتخاذ إجراءات مشددة، أما عبد الله بن عدوان فيقال: إنه تجاهل توسلات مبعوث أرامكو ثم حظي بموافقة ولي العهد بتشكيل لجنة تحقيق للنظر في شكاوى العمال، وقد وصل عبد الله بن عدوان ومعه اثنان من مساعديه واثنان من المسؤولين إلى الظهران خلال الأسبوع الأول من تشرين الأول/ أكتوبر(٥٧).

وعندما بدأ العمال بتقديم شهاداتهم للجنة، قامت أرامكو بتزويدها بالملفات الخاصة بقيادة الحراك، وإذا كانت الرواية المثيرة التي ذكرتها السفارة الأمريكية والتي كانت في جوهرها رواية الشركة نفسها دقيقة نسبياً، فإن السنيد ومن معه غامروا بالمطالبة بأن يتم الاعتراف بهم رسمياً كشرط للمشاركة في إجراءات اللجنة:

> ازدادت الحدة في تعاملهم وازدادت القسوة في تعليقاتهم مع استمرار المداولات، فقد صرحوا بأن ما حدث لهم ليس بأهمية ما حدث للحراك الذي يمثلونه أو لرفاه زملائهم السعوديين. وقد قاموا باتهام بعض أعضاء اللجنة الملكية بأنهم لا يأبهون برفاه العمال، وبأنهم باعوا الأمريكيين ذممَهم، وبأنهم «أبناء لأمريكا». وبعد هذه الاتهامات صرحوا بأنه إذا لم يتم الاعتراف بهم كممثلين لعمال أرامكو السعوديين ولم تتم الاستجابة لمطالبهم، فإنهم سيطلبون من العمال القيام بإضراب وسيتم إيقاف العمليات النفطية كافة، وستسيل دماء أمريكية بالقدر الذي يكفي لإقناع اللجنة بأن العمال هم سادة الموقف الحقيقيون(٥٨).

---

(٥٧) This account is based primarily on the first comprehensive narrative of the strike and the events leading up to by the U.S. consulate in Dhahran to State, 61, 4 November 1953, RG 59, 886A.062/11-453.

(٥٨) Ibid. Close but not exact transcription of the source text.

فما كان من رئيس اللجنة إلا أن أمر باعتقال قادة الحراك وسجنهم في الهفوف في الخامس عشر من تشرين الأول/أكتوبر. وفي الوقت نفسه، وجّهت أوامر إلى الكولونيل السعودي المكلّف في قاعدة الظهران الجويّة بقيادة القوى العسكرية كافة في منطقة الأحساء، كما تم إرسال تعزيزات من الخرج، وتم تحريك قرابة ألف جندي ليكونوا بالقرب من أحياء العمال السكنية. وفي اليوم التالي، أي في السادس عشر من تشرين الأول/أكتوبر، وكما وعدت اللجنة العمالية، انطلقت المظاهرات من الحيّ السعودي والقرى المجاورة، وبعد مظاهرة أمام مركز الشرطة الذي يحتجز قادة الحراك، شرعت بعض الحشود في مسيرة نحو القنصلية الأمريكية والقاعدة الجوية، اختبأ المواطنون الأمريكيون داخل مجمعاتهم السكنية، وتم رمي السيارات الخاصة وباص تابع للقوات الجوية الأمريكية بالحجارة، إلا أنه لم يُصَب أحد، حدث هذا قبل وصول القوات السعودية التي كانت قد أُمرت بسحق المظاهرة، لقد كان الجنود شديدي الوحشية.

أكثر الرجال نباهة هم دوماً تعساء

في السابع عشر من تشرين الأول/أكتوبر، نودي بالإضراب اعتراضاً على اعتقال قادة الحراك، فاجتمعت الحشود في الحي السعودي في الساعة الثانية والنصف ظهراً للاستماع إلى الخطابات التي تم إلقاؤها، قدّر بعضٌ عددَ هذه الحشود بخمسمئة في حين قال آخرون: إن عددهم ألفان. وقد أصر أحد المشاركين بعد ذلك بعقود عند حديثه عن هذا الإضراب قائلاً: «لم نستجب للدعوة إلى الإضراب» عندما حاولت لجنة العمّال أول الأمر أن تحشد الناس من أجل: «أجر أعلى وطعام أفضل... ولكن عندما قالوا لنا إنهم سيطالبون بحقوق سياسية، استجبنا كلنا وشاركنا في إضرابات عام ١٩٥٣م»[٥٩]. خلال فترة الإضراب، كان عدد الذين ذهبوا إلى العمل من العمال لا يتجاوز العشرة بالمئة من مجموع العمال، وأقام المضربون اجتماعات عامة في مختلف بلدات الشركة وأحيائها، وكان أكثر ما صدمت الشركة به هو فعالية المقاطعة وحجم الحشود

---

(٥٩) مقتبس في:

Madawi Al-Rasheed, *History of Saudi Arabia* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002), p. 98. A possible problem in this recollection is that the archival documents make it appear that the workers' committees themselves were created after the 1953 strike.

التي تجمعت في العلن. وبالطبع، كانت الأسباب معروفة للشركة وللقنصلية، في حين أن الشرطة لم تكن مجدية في استخراج «مثيري البلبلة» ومحرضي الرعاع. أما قائد الجيش المحلي فقد رفض في البداية أن ينجر إلى أن يقوم بالبحث عن «محرضي العمال»، في حين أن مسؤولاً رفيعاً في الشرطة، اسمه عبد الله بن عيسى، والذي كان نائب مدير الأمن العام، كان يقوم بنفسه بـ«ضرب العمال في الحي السعودي بعصا محاولاً تفريق الحشود». وبينما كان الحراك ينجح، كانت الشركة تواصل تعنتها، وعبر «تهديد وضرب» العمال الآخرين فقط، وعلى الرغم من ذلك، امتد الإضراب بحلول ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ليشمل القاعدة الجويّة الأمريكية[٦٠]، في حين أن وكالة رويترز للأنباء نقلت بأن القضية الرئيسة كانت مطالبة العمال بأن تتم معاملتهم كما تتم معاملة الأمريكان.

صمد العمال لعشرة أيام، وعاد عددٌ منهم إلى قراهم، وحتى تستطيع الاستمرار في ضخ النفط أعادت أرامكو توزيع موظفيها، معتمدة على عمل الأمريكيين والموظفين من جنسيات أخرى لوقت إضافي ومن دون الخدمات التي كان العمال السعوديون يزودون الشركة بها، حيث كانوا يعملون كسوّاقين، وبستانيين، وفي جمع النفايات، والمساعدة في أعمال المطبخ، وغيرها من الأعمال، أما كبار المديرين فقد تبنّوا في وقت واحد رؤيتيْن متناقضتيْن للإضراب: **الأولى**: هي أن الإضراب لا أهمية له، فبالكاد استطاع المضربون تعطيل عمليات الشركة، وأن على السلطات المحلية ألا تجبرهم على العودة إلى أعمالهم، والسبب في ذلك هو أن الأمريكيين كانوا يخشون أن يؤدي ضرب العمال وإجبارهم على العودة إلى مكان العمل إلى أن يقوموا بإضرابات داخل مكان العمل تؤدي إلى تعطيل العمليات أو إلى أعمال تخريبية. أما **الرؤية الثانية**: فهي أن الحكومة بدأت تفقد السيطرة على الموقف بشكل متسارع، فحسبما قالوا، فإن العمّال الموالين تم تهديدهم، والأشد من ذلك هو أن المضربين قاموا بضرب سكرتير الأمير في الهفوف عندما أبلغهم برد ولي العهد على برقيتهم التي طالبوا فيها بالإفراج عن رفاقهم المسجونين. وبحلول العشرين من تشرين الأول/أكتوبر، تم اعتقال قرابة الألف سعودي، وذكرت السفارة الأمريكية أن ولي العهد قام باستبدال

(٦٠) Dhahran to State, 70, 19 October 1953, RG 59, 886A.062/10-1953. for the description of bin Issa, Dhahran to State, 78, 3 November 1953, RG 59, 886A.062/11-353.

الأمير بآخر يثق به، هو ابن عدوان الذي كان رئيس لجنة التحقيق الملكية، وكلّف الكولونيل محمد الأورطاني ليصبح القوة الفعلية في المنطقة الشرقية، تفاوضت أرامكو مباشرة مع هؤلاء من أجل الخروج بخطة تسمح للجيش بإرسال جنوده إلى داخل أحياء الشركة من أجل إنهاء الإضراب من دون اللجوء إلى استخدام غير مبرر للعنف، أو كما كانوا يأملون(٦١).

وبينما كان الجيش يستعد إلى إنهاء الإضراب، شرع ذراع الشركة للعلاقات العامة بالعمل مصوراً أرامكو بأنها كانت تريد مواصلة المفاوضات مع اللجنة العمالية الأصلية والتي بدأت في شهر أيار/مايو، إلا أنها للأسف الشديد لم تستطع، وذلك «لأن التنظيمات العمالية ممنوعة في السعودية»، إلا أنه وكما رأينا سابقاً العكس كان هو الصحيح؛ حيث قامت السفارة الأمريكية بعد محاولة التنقيب عن مثل هذا القانون، بتأكيد عدم صحة هذا الاعتقاد القائل بمنع تشكيل النقابات الذي كان يتم التعامل معه باعتباره مسلّمة لفترة طويلة(٦٢). ساعدت أرامكو الجيش في حملته على أحياء العمال؛ حيث تم التحقيق مع المشتبه بهم ممّا أدّى إلى اعتقال ١٢ شخصاً إضافياً، كما تمّت مصادرة «المنشورات الشيوعية»، إلا أن الأحياء كانت في غالبها مهجورة، حيث إن أغلبية العمال كانوا قد عادوا إلى منازلهم، وكانت خطوة المسؤولين السعوديين اللاحقة هي الذهاب إلى القرى واقتلاع المخربين، كما ذكرت السفارة الأمريكية بداية خطة لتهجير قادة الإضراب إلى نجد، أما ابن جلوي، فقد انزعج من حقيقة أن الموعد النهائي الذي وضعه للعمال كي يعودوا إلى العمل قد حلّ ومضى من دون أي استجابة، كما أنه غضب عندما سمع عن وجود تغطيات إذاعية للحدث قامت باقتباس سطر من شركة النفط ذكرت فيه أن الإضراب كان في جوهره «ثورة» على الحكومة أكثر منه إضراباً ضد أرامكو(٦٣)، ولا يبدو أن أحداً لاحظ الصعوبة في وضع هذه الفروقات الحادة بين هاتين المؤسستين الهرميتين النَظَريتيْن.

استمر المسؤولون السعوديون بالتحقيق مع القاطنين في الأحياء العمالية في حين أن أغلبية العمال واصلوا تجاهلهم لأوامر الحكومة بالعودة إلى

(٦١) Dhahran to State, 71, 20 October 1953, RG 59, 886A.062/10-2053.

(٦٢) Department of State Instruction, no. CA-3384, 29 December 1953, RG 59, 886A.062/12-2953.

(٦٣) Dhahran to State, 72, 22 October 1953, RG 59, 886A.062/10-2153.

العمل، وقد تمّ سجن المزيد من الرجال (عمّال رفضوا العودة إلى العمل أو مشتبه في كونهم محرّضين) وذلك في الوقت الذي حذّر فيه مسؤول أرامكو غاري أوين بأن جهاز الأمن العام السعودي فشل بالقيام بكل ما هو ضروري للإطاحة بقادة الحركة، وهي الشكوى التي كما يبدو لم يتوقف الأمريكيون عن ترديدها، أما أول ترحيل لستة وخمسين «غير مرغوب بهم» ـ وكانوا خمسة وأربعين من العمال وأحد عشر من غيرهم ـ إلى الرياض وبمرافقة رجال الأمن فقد حدث في يوم الجمعة الموافق للثالث والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر. تجمع حشد كبير من السعوديين و«هتفوا مندّدين ومستنكرين ضدّ الجنود» في مشاهد تذكر بأحداث بيسبي وجيرومي في الحزام النحاسي في أمريكا، أما العمال الآخرون فقد بدؤوا بالعودة أخيراً إلى الأحياء؛ حيث عاد ما نسبته ثلاثون في المئة من القوة العاملة مع منتصف الأسبوع. وهؤلاء الذين عادوا هم بشكل عام من العمال الذين يحتلون أدنى المستويات في سلم العمل، وهم، كما هو متوقع، الأكثر حاجة إلى المال. ومع هذا الوقت، قام بارغر وغيره من مسؤولي الشركة بالاجتماع مع اللجنة الملكية من أجل إعادة فتح المحادثات حول المطالبات الأصلية المتعلقة ببدل غلاء معيشة وبدل النقل، إلا أن اللجنة أصرّت على ضرورة توسيع جدول الأعمال ليضم القضايا التي تمّ رفع خطابات متناوبة إزاءها والتي تضمّنت «سكناً أفضل، وتوظيف سعوديين أكثر في الوظائف التي يشغلها أجانب الآن، وابتعاث السعوديين للخارج للدراسة الجامعية على نفقة الشركة، وغيرها كثير»[٦٤].

وعلى الرغم من أن سجلات السفارة الأمريكية لا تقدّم القول الفصل حول مجرى أحداث الإضراب نفسه، إلا أنّها مبهرة من ناحية ما تكشفه من قدرة بعض التقاليد الخطابية على البقاء على الرغم من أنها تعود بتاريخها إلى نصف قرن حيث كانت مستخدمة في مختلف التخوم المعدنية مطلع القرن العشرين، فكل من موظفي الشركة ومسؤولي السفارة كانوا يأكدون إحدى هاتين الروايتين: إما أن هؤلاء الأشخاص الذين حاولوا تحدّي الهرمية القائمة في أحياء الشركة السكنية عبارة عن أناس يسعون إلى مصالحهم الشخصية ومتعطشين للسلطة ويحاولون استغلال أي مظلمة يعثرون عليها من

(٦٤) Dhahran to State, 61, 4 November 1953, Labor Disturbances in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 886A.062/11-453.

أجل تمرير أجندتهم السياسية، أو أن السعوديين يتحكم بهم أشخاص من الخارج وأنهم قد تمّ التغرير بهم بتأثير من الأفكار والأيديولوجيات الأجنبية. وفي هذه الأثناء، أصيب الملك بنوبة قلبية في التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر، وساد الاعتقاد بأنه يحتضر. ومن هنا كان صعباً على عقول الأمريكيين أن يقتنعوا بأنها مصادفة أن يحدث إضراب في هذا الوقت نفسه، متجاهلين حقيقة أنها كانت نتيجة عملية كانت تتشكل لأشهر: «ليس هناك شك بأن ما يحفزها هو بشكل كبير أطماع سياسية»، «وعلى الرغم من أن مسؤولي أرامكو كانوا مقتنعين بأن هناك قوة خارجية كانت تتحكم بأغلبية هذا الحراك، إلا أنه لم يكن هناك أي دليل في ذلك الوقت بأنه كان حراكاً شيوعياً وأنه من المعقول جداً أن تكون اللجنة العمالية كانت حريصة فقط على إنشاء نقابة عمالية تستطيع التحكم بها لصالح أطماعها الشخصية»[٦٥].

نقلت السفارة الأمريكية أن السلطات المحلية كانت تنفي في العلن فكرة أن هناك أناساً من الخارج متورطون في تدبير الإضرابات، ولكنهم في السرّ كانوا يبدون مخاوفهم بأنها كانت تدار من قبل شيوعيين، فهم قد وجدوا منشورات في بعض غرف العمال قد كُتب على أكثرها وضوحاً اسم موسكو (قادمة عن طريق بيروت)، وبدلاً من أن تقدم السفارة نماذج من هذه المنشورات اكتفت بتقديم الحجج النظرية وذلك عبر طرح أسئلة من قبيل: من دون هذا الدعم الخارجي كيف يمكن أن يوجد هذا التنسيق بين أحياء العمال؟ ومن دونه كيف يمكن أن يتحدى العمال أوامر الحكومة وأن يكونوا «شهداء»؟ وقد ذكر القنصل العام أن «ضلوع الشيوعية . . . الذي لا يمكن التأكد حتى الآن من طريقته ودرجته هو احتمال لا شك فيه»، وهذا على الرغم من أنه لم «يعتبر أن أغلبية المضربين كانوا متعاطفين أو حتى لديهم علم بوجود هذا التأثير الشيوعي». عوضاً عن ذلك، كان مقتنعاً بأن أكثر قادة الإضراب تحمساً كانوا مدفوعين بـ«تطلعهم الشخصي إلى السلطة» ومتأثرين ـ وهذا السبب دائماً ما يأتي في آخر القائمة ـ بـ«إحباط عام» من ظروف العمل والمعيشة[٦٦]. وما

(٦٥) Dhahran to State, 52, 13 October 1953, Labor Agitation in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 886A.06/10-1353, and Dhahran to State, 61, 4 November 1953, 886A.062/11-453, which notes the lack of evidence of communist influence and the likelihood instead that Sunayd and the others were driven by a desire for power.

(٦٦) Dhahran to State, 78, 3 November 1953, RG 59, 886A.062/11-353.

أن بدأت الأزمة تنحسر في شهر تشرين الثاني/نوفمبر حتى شرع المسؤولون الأمريكيون بكتابة تحليلات أطول وأكثر تفصيلاً لكن من دون أي تعديل على الإطار التحليلي الأساس.

كما سيواصل الأمريكيون في أرامكو إصرارهم على أن الإضراب كان في نهاية الأمر موجهاً ضد المملكة بدلاً من الشركة أو ما كانوا يسمونه أهدافاً «سياسية»، ولقد كان التقرير الأولي الذي كتبه عميل السي.آي.إيه بل إيدي استثناءً نادراً في الاعتراف بأنه من الممكن أن يكون العمال محقّين في مظالمهم، «ولقد رأى الكولونيل إيدي أن الانتفاضة العمالية كانت نتيجة إحباط العمال الذين كانوا يقارنون وضع بلادهم البدائي بأجورهم المتدنية، ووجود العبيد والمخصيين والحريم بالظروف المريحة التي يتمتع بها الأمريكيون المقيمون في الظهران، وكذلك لاحتمالية وجود تحفيز أحمر»[٦٧]. وهكذا ستتجاهل الأغلبية الرسالة التي أرسلها السنيد، الذي كان يصفه موظفو الشركة بأنه الأذكى من بين أعضاء اللجنة العمالية إلى رئيس أرامكو في شهر حزيران/يونيو شاكياً من:

> أنه منع من دخول دار السينما المخصصة لكبار الموظفين عندما أراد مشاهدة فيلم تشارلي تشابلن (Charlie Chaplin) الذي كان اسمه «تحت الأضواء»، واستمر منتقداً بشدة ما وصفه بـ«اضطهاد أمريكا لتشارلي تشابلن» ووصف حادثة تعرض لها هو ومجموعة من رفاقه السعوديين في واشنطن عندما منعوا من دخول السينما بسبب وجود قانون يمنع أصحاب البشرة السمراء من ذلك. إن هذه الرسالة تم تداولها بشكل واسع في هذه المنطقة[٦٨].

لم يتحدث كل العمال السعوديين بلغة الحدود العرقية، ولم تسنح لكل واحد منهم الفرصة ليقارن الحياة في بيروت بالحياة في الظهران، إلا أن فئة قليلة منهم فقط كانت تعتقد بعدالة النظام الهرمي الذي وضعه النصارى (وهو المسمى الذي كان يسمي به السعوديون المسيحيين)، وفي عمق الأحياء

(٦٧) Eddy quote found in Department of State Instruction, No. CA-3384, 29 December 1953, RG 59, 886A.062/12-2953.

(٦٨) Dhahran to State, 61, 4 November 1953, RG 59, 886A.062/11-453.

السكنية بدأ العمال بتشكيل هويات جديدة، وكان رجال منظمة العلاقات الحكومية على معرفة بهذا الأمر أيضاً:

> ولكن عندما نعود إلى سبب الإضراب والتعاسة، فإنه مهما يكن العمل الذي نقوم به، فإن السعوديين الذين في مقدمة عملية التنمية سيكونون تعساء. فعلى الرغم من أنهم يقودون مجتمعهم نحو التطور، فإنهم بالضرورة على معرفة بأنهم لن يتمتعوا بالمزايا، وأنهم لن تتم معاملتهم من قبل أغلبية الأمريكان بالطريقة نفسها التي يعامل بها العامل الأمريكي، وهم لا يستوعبون لماذا يجب أن لا يعاملوا بالطريقة نفسها ويتمتعوا بالمزايا نفسها... فقادة الإضراب الظاهرون (وأنا مقتنع بأن هناك غيرهم متخفون) هم أكثر العمال نباهة الذين كان بإمكاننا الإسراع بتجهيزهم، فهم المثقفون. وقد أخبرني توم بارغر أن توينبي (Toynbee) قد قال مرة: إن المثقفين دائماً تعساء ومنعزلون(٦٩).

سيستمر النضال

إن أفضل ما يمكن أن يقوله المرء عن التحليلات التي تلت ذلك هو أنه مع مرور الزمن بدأ دور أرامكو في الأحداث يحظى ببعض الاهتمام، ولا أدلّ على ذلك إلا عندما زار الملحق الأمريكي لشؤون العمال في عبدان واسمه فينش (Finch) المقر الرئيس لأرامكو في نيويورك ثم عاد إلى المملكة من أجل تقييم الأوضاع بعد الإضراب، فقد أكد فينش أن الإضراب جاء بعد اعتقال القيادات، ومن المرجّح أنه ما كان ليحدث لو أن الشركة واصلت المفاوضات ولو لم تقم اللجنة الملكية طبعاً بسجن العمال، إلا أنّ كبار التنفيذيين في نيويورك لم يكونوا بحال أفضل من وزارة الخارجية من ناحية معرفتهم بما يجري «في الميدان»، وهذا ليس فقط بسبب أنّ قسم الشؤون العربية تحت إدارة رنتز، أو كما يسميه فينش «الاستخبارات»، كانوا في حالة جهل مطبق في ما يتعلّق بالإضراب، فهم لم يكن لهم أي اتصال حقيقي برجال الأمن السعوديين وكان لديهم القليل من الوعي بأنواع «البروباغاندا» التي كانت تنتشر بين العمال.

ولن يكون كافياً تطوير وسائل الاستخبارات أو حتى اقتلاع العمال ذوي

---

(٦٩) Phil McConnell, Diary entry, 27 October 1953, 8, Box 3, McConnell Papers.

الولاءات المشبوهة، فلدى العمال مظالم حقيقية. والحقيقة أنه، وعلى الرغم من كل ما ادّعته الشركة في العلن، كان مفهوماً بشكل لا لبس فيه بأن تعلّم السعوديين لمهارة واحدة غير قابلة للنقل إلى وظائف أخرى سيقودهم إلى طريق مسدود نحو الأسفل، ولن يساعدهم على الصعود إلى أحياء كبار أو متوسطي الموظفين، وقد كان كبار تنفيذيي أرامكو صريحين في تردّدهم بشأن تقليص الفروقات بين السعوديين وبين طبقة العمال ذات الامتيازات. فأولاً، قام مديرو أرامكو «بمقاربة مسألة تزويد العمال السعوديين وغير الأمريكيين بمؤن أكثر وعلاوات مالية أعلى باعتبارها محفّزات قابلة للتأجيل من أجل تطوير الإنتاج لاحقاً»؛ كما أن كبار التنفيذيين لم يقاوموا تحيزاتهم عندما ادّعوا أن السعوديين كانوا يباركون فلسفة «الندع أرامكو تقوم بذلك» - في المستشفيات، والصحة العامة، والسكن، وغيرها - وتجنبوا «حتى تحمل مسؤولية جزئية» لصحة ورفاهية جيلهم التالي.

وكانت النتيجة التي خلص إليها ملحق شؤون العمال أن سياسة أرامكو في نهاية الأمر كانت مصممة لـ«تأجيل التغريب» بدلاً من أن تقوم بحثّ المسير إليه، وذلك لأنها هي من ستتكبد دفع تكاليفه. فقد ساد الاعتقاد بين تنفيذيي الشركة بأن استثمارهم كان آمناً، وذلك حتى في أوج قيام حكومة مصدق بتأميم شركة النفط في إيران، ولهذا كانت الاستراتيجية المثلى بالنسبة إليهم لتأمين المستقبل هي الأقل تكلفة والتي كانت تتمثل بشكل مختصر بالاستمرار في رشوة الملك. وخلص فينش أيضاً إلى أن على الشركة أن تجرب حلاً آخر: «فالموظّف المسؤول عن توصيف الأوضاع يعتقد بأنه لا مناص من المشاركة المباشرة في عملية تغريب مدروسة لموظفيها السعوديين... وذلك لأن التغريب في نهاية الأمر قادم لا محالة، فالأفضل أن يأتي بطريقة مباشرة ومتحكم بها من أن يأتي بطريقة غير مباشرة وخارجة عن السيطرة»[٧٠]، إلا أن هذا الرأي لم يكن في أفضل حالاته إلا مقامرة، وكانت مقامرة باهظة التكلفة يتوجب على أرامكو إن أرادت الدخول فيها أن تبدأ بوزن رهاناتها على الفور.

بدا أول الأمر أن الأوضاع القديمة ستسود مجدداً، ففي الأول من

(٧٠) Department of State Instruction, no. CA-3384, 29 December 1953, RG 59, 886A.062/12-2953.

تشرين الثاني/نوفمبر، رحّلت الحكومة السعودية العمال غير السعوديين، والذين كان من بينهم ثلاثة فلسطينيين وبحريني وآخر من عدن سبق أن تم منحه الجنسية السعودية اسمه عبد الرحمن فرح سالم حيث تم سحبها منه قبل نفيه، والأمر نفسه حدث للسنيد قبل أن يتم الإلقاء به على الحدود العراقية. أما بقية قادة الحراك العمالي فقد تم إطلاق سراحهم من سجنهم في الهفوف ثم ترحيلهم وإبعادهم عن المنطقة الشرقية، وذلك بحسب نصيحة فينش، أما أجهزة الأمن السعودية الحديثة والشرسة فقد مضت قدماً في تحقيقاتها آمرة أرامكو بأن تطرد العمال الذين كانت تشك الحكومة بولائهم، أحد هؤلاء كان رجلاً اسمه ناصر السعيد، وهو رجل من نجد كان قد تم توظيفه حديثاً وأحد الموقّعين الرئيسين على الخطاب المرسل إلى الحكومة، وهو الذي سيبرز بعد ذلك بفترة قصيرة باعتباره أحد أهم الشخصيات في حركة العمال السعودية الحديثة التشكل(٧١).

إلا أن هذه الأوضاع بدأت بالتغيّر فور وفاة الملك عبد العزيز التي تأخرت كثيراً في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر في عام ١٩٥٣م، فلجنة التحقيق العمالية التابعة للحكومة بدأت بالضغط على الشركة من أجل تقديم تنازلات حول أغلبية المسائل التي رفعها العمال في خطاباتهم، كما علمت أرامكو أن جميع العمال الذين تم طردهم بناء على أوامر الحكومة مطلع الشهر سيعاد توظيفهم مجدداً بمن فيهم ناصر السعيد. ومع نهاية شهر تشرين الثاني/نوفمبر وافقت أرامكو على رفع أجور العمال من الأصناف كافة بالإضافة إلى أنواع كثيرة من الدعم كدفع تكاليف فطور العمال، وشراء دراجات هوائية لهم، وتوفير الأزياء الموحدة لهم وما إلى ذلك، وأجبر الملك الجديد الشركة في اللحظة الأخيرة على زيادة مقدار العلاوة قبل أن يقوم بإعلان نتائج المحادثات بشكل مهيب أمام حشد من المواطنين

---

(٧١) For the deportations and new round of firings, see Dhahran to State, 61, 4 November 1953, RG 59, 886A.062/11-453. on Said's termination in particular, see Dhahran to State, 174, 17 April 1956, ARAMCO Discllarges Labor Agitator, Nasir Al-Said, RG 59, 886A.06/4-1756. Said wrote that he was exiled, bound, to Hail in early November, and eventually confronted the new king, demanding a parliament, the release of the workers, the end of slavery, and other reforms.

انظر: ناصر السعيد، تاريخ آل سعود (اتحاد شعب الجزيرة العربية) (١٩٨٢)، ص١١٠ ـ ١٢١.
ملاحظة، لم يتبين مكان النشر في هذه النسخة.

المخلصين في المنطقة الشرقية في الرابع عشر من شهر كانون الثاني/يناير. وقام مساعده بتسجيل خطابه ثم قامت أرامكو ببثه لمستمعي إذاعتها في الظهران، كما بدأت أرامكو ببناء البيوت والمدارس للعمال وتحوّلت اللجنة الملكية الخاصة بالعمال إلى لجنة دائمة، في خطوة تكشف التزام الملك برفاهية العمال وبتوجيههم التوجيه الصحيح:

> ليكن همّ كل واحد منكم أن يتقرّب من الحقيقة ويعمل على رفعة وطنه وتقدمه، وأي واحد منكم يشذّ عن الناس أو يضع المعوّقات أمامهم أو حتى يحاول بثّ الفرقة بينهم سيتم التعامل معه بالطريقة المثلى التي تردّه إلى الصراط المستقيم وتحمي الأمة من وسوسته الشيطانية.

وأخبر نائب رئيس أرامكو غاري أوين السفارة الأمريكية بأن الشركة «بالمجمل كانت راضية عن النتائج»[٧٢]، ولم يحدث أن قام أمريكي بتسجيل موقف موثق، أو موثق على الأقل في الوثائق التي عثرت عليها، يقول فيه: إن العمال السعوديين بحاجة إلى أن ينتظموا من أجل الدفاع عن حقوقهم، أو أن النقابة العمالية كانت هدفاً معقولاً في حدّ ذاته.

وكصدى غريب للأربعينيات عندما صعد العمال الإيطاليون على ظهر الحركة العمالية السعودية، تحركت الحكومة في روما من أجل حماية مصالح ما يقارب الألف والثلاثمئة عامل إيطالي/إريتري الذين ما زالوا يعملون في المملكة، فالزيادة التي انتزعها العمال السعوديون رفعت من أجورهم إلى مستوى أعلى من أجور الإيطاليين في بعض الطبقات، وهذا يحدث طبعاً على الرغم من العهود التي تقطعها الشركة بأن مستوى الكفاءة وحده هو ما يحدد الأجر الذي يتقاضاه المرء وأين يسكن وغيرها من المزايا، ومن أجل الضغط على أرامكو، بدأت الهيئة الإيطالية للهجرة بمطالبة من يخرج من أراضيها من العمال بالتوقيع على إفصاح قبل أن يتم اعتماد جوازه، وينص هذا الإفصاح على أن «الرواتب لا تكفي الحاجة» و«أن الأحياء السكنية ليست مزودة دائماً بأجهزة تكييف»، «وأن العمال لا يحصلون على مزايا الضمان الاجتماعي المكفولة تحت القانون الإيطالي (علاوة أسرة، تأمين ضد المرض،

---

(٧٢) Jidda to State, 198, 28 November 1953, RG 59, 886A.062/11-2853; Dhahran to State, 90, 25 January 1954, RG 59, 786A.11/1-2554 (the king's speech); Dhahran to State, 102, 8 February 1954, ARAMCO Concessions in Labor Dispute with Employees, RG 59, 886A.062/2-854.

. . .إلخ»)، وأخيراً «أنه في ما يتعلق بمجال العمل والإسكان أو قاعات الطعام أو تجهيزات النظافة فإنّه قد فرض على العمال الإيطاليين أن يخالطوا العرب وغيرهم من الملونين بشكل مستمر، في حين أنهم يحرمون من الدخول إلى «حي كبار الموظفين» المخصص للمناصب العليا الخاصة بالفنيين البيض».

وعلى الرغم من أنّ أرامكو اعترضت على هذا الإجراء، إلا أن القنصلية الأمريكية في الظهران أخبرت السفارة الأمريكية في روما بأن هذه الدعاوى كانت في المجمل صحيحة، حيث قالت:

> لا يوجد أي أمريكي في حي العمال المتوسط، وعلى الرغم من أن هناك القليل من الأمريكيين وبعض الممرضات الهولنديات ينتمون إلى الدرجة المتوسطة إلا أنهم يعيشون في حي كبار الموظفين، كما أنّ هناك طبيباً إيطالياً يعمل لدى أرامكو يسكن في حي كبار الموظفين، وهذا حدث بعد أن زار السفير الإيطالي في المملكة العربية السعودية الظهران مع زوجته في الربيع الماضي ووجد أن الشركة جعلت الإيطاليين يسكنون مع العرب والباكستانيين والسودانيين، فاعترض السفير على ذلك مشدداً على أنّ الإيطاليين والأوروبيين يجب أن لا يسكنوا مع الملونين بل يجب عليهم أن يتمتعوا بالمزايا نفسها التي يتمتع بها الأمريكيون وغيرهم من البيض. وعندما نُقل الإيطاليون من حيّ خاص بهم إلى حي متوسط جديد في بداية عام ١٩٥٣م، احتج كثيرون على جعلهم يعيشون ويأكلون في حيّ واحد مع العرب[٧٣].

وأما الاستنتاج الذي خلص إليه المسؤولون الأمريكيون، والذي تبيّن أنه كان دقيقاً، فهو أنّ أرامكو لن تقوم بعمل أي شيء لأنها كانت قد خطّطت لاستبدال عمالتها الإيطالية خلال السنوات التالية.

في شباط/فبراير من عام ١٩٥٤م، وعندما عاد ثلاثة من قادة الإضراب الأصليين إلى منطقة الظهران قامت كل من أرامكو والشرطة بالقبض عليهم وحبسهم مجدداً، أما السنيد فقد أخذ الطائرة إلى مطار الظهران، وما أن وصل حتى تم ترحيله مع الطائرة المتجهة إلى الكويت، أما عبد الرحمن

---

(٧٣) Rome to State, 1949, 21 December 1953, RG 59, 886A.2553/12-2153.

البهيجان، وهو أحد قادة الإضراب، فقد تقدّم بطلب توظيف إلى القنصلية الأمريكية العامة في الظهران! وهناك اعترف بأنه أحد قادة الحراك، وعندما أحاطت به الشرطة كي تعتقله، «كان تعامله شديد الفظاظة تجاه السلطات المحلية لدرجة أنهم هددوه بالضرب»، فما كان منه إلا أن صاح: «سيستمر النضال»(٧٤).

في شهر آب/أغسطس، نقلت السفارة الأمريكية أنه تم العثور على نسخ من منشورات مكونة من صفحة واحدة مطبوعة باللغة العربية على صدرها شعار المطرقة والمنجل(٧٥) مبعثرة في شوارع الخبر، لم يكن واضحاً من قام بطباعتها وتوزيعها، إلا أنها تضمّنت كما تقول السفارة أقسى نقد تم توجيهه إلى العائلة المالكة حتى الآن؛ إذ كتب عليها الآتي:

> إن الملك والعائلة المالكة قد ماتوا بعد أن قتلهم الشعب لتعاملهم المتواطئ مع الأجنبي المستعمر، لقد قتلهم الشعب لأنهم كانوا رجعيين وفاسدين واستغلوا العمال استغلالاً شنيعاً، فأيام الكاديلاك والقصور قد انهارت لتحل محلّها ديمقراطية شعبية للعمال.
>
> أيها العمال
>
> تخلصوا من الخنازير الأمريكيين واحتلوا شركة البترول الاستثمارية.
>
> أيها الشعب
>
> ما عليك إلا أن تتبع قادتك المخلصين الذين يريدون رفاهيتك والذين سيكشفون للملأ عن وجوههم.
>
> أيها العرب
>
> اتحدوا إن الجزيرة العربية للعرب(٧٦).

---

(٧٤) Dhahran to State, 105, 24 February 1954, Reappearance of Exiled Strike Leaders in Dhahran Area, RG 59, 886A.062/2-2454.

(٧٥) شعار المطرقة والمنجل هو شعار الحركات والأحزاب الشيوعية.

(٧٦) Dhahran to State, 12, 25 August 1954, Distribution of Subversive Leaflet in al-Khobar, RG 59, 50/1/2 786A.00/8-2554.

الفصل السادس

عين الصحراء

٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٥
وزارة الخارجية الأمريكي: واشنطن دي سي
معالي الوزير دالاس
أنا طالبة في الصف السابع في مدرسة هارتمان ماين (Hartman-Main) وقد قرأنا في الفصل مقالة نشرت على صفحات جريدة كانساس سيتي ستار (Kansas City Star) في الرابع عشر من أيلول/ سبتمبر عن بيع العبيد في المملكة العربية السعودية واليمن، ونريد أنا وزملائي في الفصل معرفة ما يمكن عمله حيال ذلك.
مع خالص التحيات،
ساندرا غروسنك (Sandra Grousnick)
٧٩٣٥ جادة كينود،
كانساس سيتي، ولاية ميزوري
إشارة إلى ما تضمنه استفسار سيادتكم بخصوص موقف حكومة المملكة العربية السعودية حول قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي ذي الرقم (575 A/XIX/)، فقد تم تكليفي بأن أخبركم نيابة عن حكومتي، أن حكومة المملكة العربية السعودية تعتبر المسألة التي تطرحها هذه الادعاءات والتي أدّت إلى تمرير القرار المشار إليه أعلاه تقع بشكل كامل ضمن سيادة المملكة العربية السعودية المحلية، وطالما أن المملكة العربية السعودية ليست عضواً في منظمة العمل الدولية أو طرفاً موقعاً في اتفاقية الحق في حرية التجمع، فإنها تعتقد أنه ليس من المقبول أن يجري جهاز فرعي من منظمة العمل الدولية تحقيقات داخلها. وبناء على هذه المعطيات، فإن حكومة المملكة العربية السعودية ليس بمقدورها أن تمنح موافقتها لتمرير الاستفسارات محل الاتهام إلى الجهاز الحاكم في منظمة العمل الدولية. ووجهة النظر هذه تنطبق أيضاً على الاتهامات المدرجة في النموذج الرقم (E/2951) المؤرَّخ في الثاني عشر من شباط/ فبراير ١٩٥٧م.
وفي الوقت نفسه، فإنه يسرّ حكومتي أن تطلع المجلس بأن ظروف العمل في المملكة العربية السعودية في تطوّر مستمر، حيث إن حكومتي تعمل كل ما يمكنها في سبيل المساعدة من أجل إنجاح هذه التطورات، وسيتذكر أعضاء المجلس أن المملكة العربية السعودية واجهت عدة مشاكل خلال جيل واحد فقط، ومع هذا، فإن حكومة المملكة العربية السعودية تعتقد بأن ظروف العمل أفضل بكثير مقارنة بدول كثيرة غيرها.

نص قام جيمس ديوز من أرامكو
بتسليمه لمبعوث المملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة ١٩٥٧م

عندما كان سعود ملكاً

في الرابع عشر من شهر حزيران/يونيو من عام ١٩٥٦م، اندلعت معركة في رأس تنورة نتيجة إضرام العمال السعوديين النيران ببوابات الحي الأوسط التابع لأرامكو. وما دفعهم إلى ذلك هو أنهم كانوا يطالبون بأن يسمح لهم بدخول السينما الخاصة بالشركة، والتي كانت رمزاً للمزايا التي يتمتع بها الأجانب، وهم هنا الباكستانيون والفلسطينيون، في حين يُحرم منها العمال السعوديون، فقد كان مديرو أرامكو لعدة سنوات يصرون على أنهم كانوا ممنوعين من أن يمنحوا أي أجنبي غير الأمريكيين أي شيء لا يمنحونه للسعوديين، ولكن الآن، ولأن السوق وغيرها من الظروف جاءت في مصلحة العمال العرب والباكستانيين الأكثر تعليماً، فإن الرواية ستتغير بعض الشيء لتتحول إلى أن الشركة ممنوعة من عرض الأفلام في الحي السعودي فقط ـ وكذلك على الأرجح ممنوعة أيضاً من توفير باصات لائقة للمقيمين فيه ومرافق ترفيهية ومدارس وغيرها من المزايا.

وقد كان هناك لمدة أسبوعين ما وصفه تقرير للقنصلية الأمريكية بـ«أعراض تذمّر» أمام مدخل دار السينما البديلة، وذلك لأن مجموعات متنوعة من السعوديين حاولت بشكل مستمر الدخول إلى المبنى لكن دائماً ما يمنعون، ففي الثالث عشر من حزيران/يونيو، تجمّع قرابة المئة عامل أمام السينما وبدؤوا بالهتاف: «فليسقط الباكستانيون، إنهم يهود وأصدقاء لليهود». وفي صباح اليوم التالي، علم الأمريكيون بأن المسرح ستضرم فيه النيران وغالباً سيُحرق ويسوّى في الأرض إلا أن أمير رأس تنورة صالح بن عطيشان أمر الشرطة المحلية وحرسه الخاص بأن يحافظوا على النظام داخل الحي، إلا أن هذا لم يمنع قرابة المئة عامل من اقتحام البوابة الرئيسة في تمام العاشرة والنصف وتغلّبوا عليهم.

وصلت التعزيزات الأمنية بعد ذلك وبدؤوا بضرب العمال، إلا أنّ المتظاهرين عادوا بأعداد أكبر بعد ساعة، يرمون الحجارة على حرس الأمير وعلى الأمير نفسه عندما أوقفت سيارته عند الحي. تم فضّ الانتفاضة أخيراً حوالى الساعة الثانية صباحاً بعد وصول المزيد من رجال الشرطة والحرس الذين كان قد أرسلهم حاكم مدينة الدمام ابن جلوي، وساعد مسؤولو أرامكو رجال ابن عطيشان بالقبض على «المحرضين»، وفي نهاية ذلك

اليوم، والذي كان يوم جمعة، وبعد الصلاة، تم إحضار عشرة عمال، وتمّ جلد كل واحد منهم مئة جلدة، ثمّ تمّ جرهم إلى الحبس في القطيف؛ حيث لم يتجاوز عمر أحدهم ثلاث عشرة سنة، ونقلت القنصلية الأمريكية إشاعة تفيد بأن سجينين قد توفيا من شدة الضرب. بعد ذلك، نقل مكتب التحقيقات الخاصة التابع للقوات الجوية الأمريكية بأن الرجال المسجونين قد تم تعذيبهم وأن «بعضهم» قد توفي(١).

مثّلت القسوة التي استخدمت ضد متظاهري رأس تنورة نقطة تحولٍ في مسار الحركة العمالية التي أعيد إحياؤها وتشجيعها، وذلك بعد مضي أشهر من تقديم العرائض والاحتجاجات ووقف الأعمال والمقاطعة الموجهة ضدّ أرامكو ابتداء من أيار/مايو عام ١٩٥٥م. فقد كان العمال يطالبون بأن تفي الشركة بالتزاماتها التي تعهدت بها بعد إضراب عام ١٩٥٣م، وتفكيك نظام المزايا الذي كان يتمتع به العمال الأمريكيون، كما أنهم لم يكفّوا عن المطالبة بحق انتخاب ممثليهم أيضاً، إلا أن العريضة الأخيرة التي قدّمت في أيار/مايو من عام ١٩٥٦م قامت بتوسيع قائمة المطالب لتشمل مطالبة الملك بإغلاق القاعدة الأمريكية الجويّة في الظهران.

ففي التاسع من حزيران/يونيو ـ أي قبل أيام من محاولة حرق السينما ـ تجمع العمال أمام بوابة الدخول إلى مركز إدارة أرامكو الرئيسة في الظهران لاعتراض الملك سعود وحاشيته الذين كانوا في طريقهم إلى مأدبة غداء أقامتها الشركة على شرف الملك؛ وما أن اقترب الملك بسيارته الكاديلاك هتف المواطنون لسعود، ولكن أيضاً ناشدوه بأن يجد حلاً لمظالمهم التي استغرقت وقتاً طويلاً. وقام بعضهم برفع لوحة كتب عليها «يرحب المواطنون السعوديون بالملك، الموت للإمبريالية والخونة». بعد ذلك، وعندما مرّ الموكب مرة أخرى من أمام الحشود الهاتفة التي ازداد حجمها وهيجانها، برز اثنان من حرس الملك سعود ومزقا اللوحة من أيدي المتظاهرين قبل أن ينطلقا بعد ذلك مسرعين.

---

(١) The most comprehensive accounts I found are Dhahran to State, 212, 20 June 1956, Disturbances and Partial Strike by ARAMCO Saudi Workers, RG 59, 886A.062/6-2056, and Dhahran to State, 7, 14 July 1956, Further Information on Aramco Labor Unrest and Government Action June 9-21, RG 59, 886A.062/7-1456. In this latter dispatch, the reporting officer commends the USAF OSI report as the most detailed account available. The OSI was created in 1948 and modeled on the Federal Bureau of Investigation.

لقد كانت وقاحة هؤلاء الرجال ـ الذين لم يكونوا سوى عمال حاولوا إحراج مكانة آل سعود أمام الغربيين الذين التقطوا كل شيء بكاميراتهم ـ لا تحتمل؛ فبعد يومين تم إعداد أمر ملكي (رقمه ١٧/ ٢/ ٢٣/ ٢٦٣٩) بتاريخ الثالث عشر من ذي القعدة في عام ١٣٧٥هـ أو ١١ حزيران/ يونيو لعام ١٩٥٦م. حظر هذا الأمر الإضرابات والمظاهرات العمالية كافة، واعتبر التحريض على التظاهر جريمة يعاقب عليها القانون بالسجن لمدة عامين. وقد استغرق الأمر أسبوعين للأسف حتى قُرئ الأمر الملكي على عمّال أرامكو. لقد كان خروج المتظاهرين عند مأدبة الغداء بلا شك هو السبب الذي دفع ابن جلوي إلى معاقبة الرجال الذين انطلقوا في مسيرة رأس تنورة، فقد ألقت قواته الخاصة القبض على زعماء الحركة، وقام ناصر السعيد ـ وهو أحد منظمي إضراب عام ١٩٥٣م وتشتبه أرامكو بأنه أحد المحرضين الرئيسين على الاضطرابات الأخيرة ـ بالتخفي بعد أن أسرّ له أحد معارفه من الحرس الملكي بأنهم يبحثون عنه؛ بعد ذلك اختار الهروب من البلد[٢]. أما رفاقه الذين ما زالت أغلبيتهم في الظهران فقد بدؤوا في السابع عشر من حزيران/ يونيو بحشد العمال في حال تمّ إيذاء أيٍّ من المعتقلين بالطريقة نفسها التي عومل بها عمال رأس تنورة، وهكذا بدأ آخر أكبر إضراب عمالي في تاريخ المملكة.

خلال فترة إضراب عام ١٩٥٦م، كانت كل التيارات والتوجهات الشعبوية التي كانت تعيد تشكيل النظام السياسي في مصر والمشرق العربي تمدّ جذورها داخل المملكة، ولم يكن عمال النفط إلا مجرد قوة واحدة من بين القوى التي بدأت اقتحام المجال السياسي، ولعل الجيش كان أكثر هذه القوى إثارة لخشية آل سعود، حيث تم كشف وتعطيل أول محاولة انقلاب بواسطة «المجموعة الإصلاحية» المكونة من ضباط سعوديين في الطائف في شهر أيار/ مايو من عام ١٩٥٥م؛ حيث خطّط كل من الضابط غانم ماضي هادي ورفاقه للإطاحة بالعائلة السعودية الحاكمة، وكان أغلب المعتقلين قد تلقوا تدريبهم في مصر[٣]. وعلى الفور سينقل ضابط الاستخبارات الذي

---

(٢) ناصر السعيد، تاريخ آل سعود (اتحاد شعب الجزيرة العربية) (١٩٨٢)، ص١١٩.

(٣) انظر:

Jidda to State, 13, Further Information on Anti-Subversive Measures by SAG, RG 59, 786A.52/7-2655. I should note that many dispatches and the like in the U.S. State Department records from

يعمل كملحق عسكري في السفارة الأمريكية خبر العقبة الجديدة التي وضعت أمام المستشارَيْن العسكريَيْن الأمريكيَيْن: «لم يرغب كل من الأمير فيصل والملك سعود بزيادة القدرات القتالية الحقيقية للجيش السعودي في هذه الفترة، وذلك لأن ولاءه للأسرة السعودية في اللحظات الحرجة كان موضع تساؤل»، وإن بعثة التدريب العسكرية الأمريكية أصبحت الأداة «الضرورية لتبرير الإبقاء على قاعدة جوية أمريكية في السعودية وضمان الحماية العسكرية الأمريكية ضدّ أي تهديد خارجي»[٤]. وأي سخرية حول التشكيل المؤسساتي الصاعد لقوات الدفاع السعودية لم يعد مقبولاً لدى الأمريكيين. تخيّل الآتي: فالأمراء الذين لم يكونوا واثقين بجنودهم رموا إلى إبقائهم متفرقين. لقد كانت الاستراتيجية نفسها التي كان ملاك شركات التعدين يستخدمونها لعقود ضدّ أي تهديد قد تشكّله حركة عمالية موحدة، وآثارها لا تزال ظاهرة في مخطط مدينة الظهران وغيرها من المستوطنات، كما أن السعوديين ما زالوا يصارعون نتائجها.

وفي الشهر نفسه الذي تم فيه الكشف عن محاولة الانقلاب في الجيش والذي شرع فيه العمّال في بقيق بمقاطعتهم للباصات في أحيائهم الخاصة، تم القبض على عدد من الفلسطينيين داخل أرامكو اشتبه في كونهم منتمين إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي ومنافسه الصاعد في خمسينيات القرن العشرين: حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد كانت هذه الأحزاب شعبوية وعروبية في توجّهها، قريبة في بعض أوجهها من الاشتراكية القومية الأوروبية أو الفاشية[٥]. ولعل المثال الأهم خارج الجيش الذي يدل على انتشار هذا السرطان في نجد والأحساء هو إلقاء القبض في شهر أيار/مايو على عبد

this period dealing with military security, countersubversion, and the royal family itself remain = classified. Consider this account reported by Pakistani ambassador Khwaja Shahabuddin in this light.

(٤) انظر:

Jidda to State, 260, May 23, 1959, Saudi Reluctance to Discuss USMTM Problems May Result from a Disinclination to Strengthen the Regular Army, RG 59, 786A.5/5-2359.

(٥) انظر:

Dhahran to State, 89, 25 May 1955, Aramco Labor Dissatisfaction, RG 59,786A.00/5-2555, for the views on the arrests of PPS members, and Dhahran to State, 93, 1 June 1955, Weekly Report of Political and Economic Developments in the Dhahran Consular District, RG 59, 786A.00/6-155, for the arrests of suspected communists.

العزيز بن معمر الذي كان من نجد وابناً لأحد الأصدقاء الموثوقين للملك عبد العزيز؛ كما أنه كان قد تخرّج في الجامعة الأميركية في بيروت وكان مثقفاً صاعداً في المملكة.

كان ابن معمر يعمل مديراً عاماً لمكتب العمل في الدمام التابع لوزارة المالية في عام ١٩٥٥م عندما تمّ القبض عليه ونقله إلى الرياض وإلقاؤه في زنزانة تحت الأرض. ولم يقم، على ما يبدو أحد في أرامكو أو في السفارة الأمريكية بالتوفيق بين الروايات المتضاربة حول سبب القبض عليه؛ فتارة يوصف بأنه عضو في الحزب القومي السوري، وأخرى بأنه بعثي، وأخرى بأنه شيوعي(٦)، كما صورته الشائعات بأنه كان يؤدي دوراً رئيساً خلف الأضواء في حشد العمال ضدّ أرامكو (فمقاطعة الباصات في بقيق كانت قد بدأت قبل اعتقاله بيوم واحد) وبأنه تم سجنه بسبب «أفكاره القومية» أو لأنه قام بتوزيع منشورات مناهضة للعائلة الحاكمة وتطالب «الشعب بطرد الأمريكان والإبقاء على جزيرة العرب للعرب» أو لأنه كان يحرض على الثورة(٧).

وقد وصفه أحد تنفيذيي شركة تيكساكو الذين زاروا الظهران بأنه «شخص لطيف، ويميل إلى الشركة لكنه ضعيف ويمكن استغلاله من قبل ذوي الشخصيات القوية»، وقد أعجب أمريكي آخر بـ«عقله المتسائل»، لكنه قال: إنه بعد انتقاله إلى مكتب العمل بدأ ابن معمر «بالحديث عن السعوديين المضطهدين والاعتراض على بذخ العائلة المالكة وحكام المناطق بينما لا يستفيد المواطنون العاديون من الثروة النفطية الهائلة للبلاد»، وأيضاً «كان

(٦) A source at ARAMCO provided the embassy with an initial account of Muammar's arrest on May 3 in his room at the government hotel at the Dhahran Airport. He was seized by Colonel Muahmmad al-Dib and two members of the king's bodyguard who took him by plane back to Riyadh. See Dhahran to State, Telegram 157, 4 May 1955, RG 59, 886A.2553/5-455. Later in May, a top labor relations manager for the Texas company updated the embassy. Dhahran to State, 91, 25 May 1955, Conversation with an Executive of ARAMCO Industrial Relations Concerning Labor Dissatisfaction, RG 59, 886A.2553/5-255.

(٧) For the description of Muammar's alleged role as pamphleteer and the most detailed outline I have found of his various positions in the 1950s, see Dhahran to State, 62, Abd Al Aziz Ibn Mu'ammar offered Position as Deputy Minister of Finance for National Economy by SAG, RG 59, 786A.13/8-1559.

لديه نسخة من كتاب **رأس المال** لكارل ماركس في أحد رفوف مكتبته»[٨].
وقد اعتقل معه سعودي آخر، اسمه فيصل العنبري وهو عضو في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ما يعرف عادة باسم «الشرطة الدينية»، كان قد أعدم وذلك بحسب رواية صديق ابن معمر خبير النفط السعودي عبد الله الطريقي[٩] أما رواية السفارة فتقول: إنه قد توفي في السجن، أما ابن معمر فقد كان أوفر حظاً، حيث تم إطلاق سراحه بموجب عفو عام في شهر آذار/ مارس عام ١٩٥٦م، إلا أنه للأسف لن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي يتم إيداعه فيها في زنزانة تحت الأرض. وكلتا هاتين الرؤيتين عن ابن معمر مهمة، ذلك أنه ابتداء من السنة التالية سيتم وصفه بشكل روتيني من قبل موظفي منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو باعتباره راديكالياً غير مسؤول، ومتطرفاً مقارنة بعدو الشركة رقم واحد ـ أي الطريقي ـ والذي يمكن التفاهم معه.

لم يكن نقد ابن معمر إسراف الأمراء وفشلهم في توظيف النفط الذي تنتجه أرامكو بشكل صحيح مختلفاً عن أي نقد يمكن أن يصف به أي شخص شجاع أو مغامر بما فيه الكفاية داخل المملكة ما كان يراه أمامه؛ فمستشار الملك عبد العزيز الأمين عبد الله فيلبي (الذي كان اسمه سابقاً هاري جون بريدجر) تم طرده خارج المملكة في هذا الشهر الحاسم نفسه، أي أيار/مايو ١٩٥٥م، وذلك بعد مرور عام على انتقاده البلاط الملكي في صحيفة خارج المملكة، وهي **الفورين أفيرز** الصادرة من نيويورك، وكذلك، وهذا أسوأ بكثير، داخلها في محاضرات ألقاها في الظهران وبقيق ورأس تنورة.

لقد كانت إدارة الرئيس آيزنهاور الجمهورية الجديدة هي الاستثناء في زمان كانت الأصوات الأجنبية الناقدة للملكيات النفطية الرجعية تتزايد بحدة

---

(٨) Dhahran to State, 129, Abd al-Aziz Mu'ammar to be Released, 2 August 1956, RG 59, 786A.52/2-856.

(٩) I have been unable to determine the fate of the other two men arrested with Muammar, according to U.S. embassy records. One was Khalif al-Hussaini, an Egyptian who worked as a legal advisor to the Council of Ministers, and the other was Muhiyadddin Namaani, a Lebanese national who owned an auto repair shop in Jidda. See Jidda to State, 187, Saudi Government Combats Subversion, 31 May 1955, RG 59, 786A.52/5-3155.

أكثر من تزايد مداخيل المملكة من النفط. لقد رأى كل من دويت آيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس الشرق الأوسط باعتباره منطقة مهيأة للتوسع السوفياتي ما لم تسارع الولايات المتحدة إلى عمل شيء ما أولاً، وفعلاً كانت لهم الأسبقية في محاولة مد النفوذ الأمريكي خارج المملكة إلى كل من سوريا ولبنان والعراق ومصر، إلا أن هذه المحاولة فشلت وبشكل مذهل. ويربط مؤرخو العلاقات الدولية هذه اللحظة بما بات يعرف بمبدأ آيزنهاور، وهو التعهد بالمساعدة، والتي تتضمن التدخل بالقوّة العسكرية، لأي دولة شرق أوسطية يتم تهديدها «من أي عدوان عسكري من قبل أي دولة خاضعة للشيوعية الأممية»[10]، إلا أن الجانب الآخر من مبدأ آيزنهاور الذي حاول كل من كانوا مرتبطين به نسيانه بشدة فيما بعد، فقد كان محاولة تقديم الملك السعودي الجديد باعتباره منافساً للزعيم المصري ذي الكاريزما العالية، وكذلك القوّة والشعبية في المنطقة: جمال عبد الناصر، استجاب الملك سعود لمبدأ آيزنهاور ـ وإن حاول في ما بعد إنكار ذلك ـ واختيرت صورته غلافاً لمجلة **التايم**. والأهم من ذلك أنه قام بتمديد الاتفاقية التي تسمح للقوات الجوية الأمريكية باستخدام القاعدة التي قامت أمريكا ببنائها في الظهران، وهو الأمر الذي كوفئ لأجله بمدرعات وطيارات وتجهيزات متطورة للمجال الجوي، بالإضافة إلى بعثات تدريبية معقدة ومتقدمة، إلا أن سعوداً أيضاً سيكون أكثر حلفاء أمريكا غير المؤهلين، أو على الأقل غير المحظوظين، وذلك لأنه سيتم إجباره من قبل أسرته على أن يسلم إدارة الحكومة لأخيه، ولي العهد فيصل، والمغادرة في إجازة في شهر آذار/مارس من عام ١٩٥٨م، وسيسعى فيصل إلى إعادة ترميم العلاقة مع عبد الناصر. وبعد ستة أشهر، سيتم إرسال جنود مقاتلين أمريكيين إلى المنطقة لأول مرة، وذلك في لبنان من أجل دعم القوات اليمينية ضد اليساريين في الحرب الأهلية.

أثار تأييد أمريكا الشديد لواحدة من أكثر الأنظمة الحاكمة رجعية في العالم جدلاً لا يزال مستمراً إلى اليوم في الولايات المتحدة، فالكاثوليكيون واليهود أدانوا التمييز الديني الذي كان يقوم به الحكام الوهابيون المتزمتون،

---

(١٠) *Department of State Bulletin*, vol. 36, no. 917 (21 January 1957), pp. 83-87.

أما مجلس مؤتمر المنظمات الصناعية في نيويورك فقد احتج على آيزنهاور بأنه دعا «إلى بلادنا الطاغية الإقطاعي الذي يحكم المملكة العربية السعودية. . . بقسوة تعود إلى القرون الوسطى والذي يسمح باستعباد الآلاف الكثيرة جداً من الرجال والنساء والأطفال ضمن نفوذه الإقطاعي، ولهذا الأمر فهو يمثّل النقيض لكل ما تقوم عليه الديمقراطية الأمريكية». أتبع ذلك المجلس التنفيذي لتحالف اتحاد النقابات الأمريكية مع مؤتمر المنظمات الصناعية (AFL-CIO) بخطوة توبيخية قام بصياغتها فيليب راندولف (Philip Randolph)، والذي كان رئيس أخوية مشرفي قاطرات النوم، حيث ندد باستضافة «مالك العبيد والمتآمر على العالم الحر»[١١]وفي هذه الأثناء كُشف الستار عن مسرحية سياسية سيتم إحياؤها فيما بعد لمرات عديدة تتجاوز في عددها عروض مسرحية «قصة الجانب الغربي»، فمحافظ المدينة روبرت واغنر (Robert Wagner) رفض مقابلة الملك السعودي عندما وصلت سفينته إلى مرفأ مانهاتن، كما أن حاكم الولاية أفيريل هاريمان (Averell Harriman) رفض ذلك أيضاً، وهو الأمر الذي أثار حفيظة وزير الخارجية دالاس[١٢]. وسيستمر الساسة المنتمون إلى الحزب الديمقراطي بأداء هذا الدور مستقبلاً بالهمّة نفسها[١٣].

ولا حاجة إلى القول بأن سجل السعودية في حقوق الإنسان كان بشعاً، إلا أن هذا لم يمنع مجموعات مثل جمعية أصدقاء الخدمة الأمريكيين من التهليل للملك «ودوره في تحقيق السلام»، وهو الأمر الغريب حيث لم يكن هناك أي نوع من السعي إلى السلام في تلك السنوات، فسعود كان بلا شك

---

(١١) Winton Beaven, ICPA, to Eisenhower, 7 February 1957, RG 59, 786A.11/2-757; Ferris Fitzpatrick, Lansing, MI, to Dulles, 24 February 1957, RG 59, 786A.11/2-2457; Telegram, Michael J. Quill, New York CIO Council, to Dulles, 25 January 1957, RG 59, 786A.11/1-2557, and *New York Times*, 1/2/1957, p. 3.

(١٢) Mayor Wagner's stance was backed by the city council's Democratic majority leader, Joseph Sharkey, "1,000 per cent. When we entertain half these monkeys who come over here, it's on orders of the State Department". Sharkey later "regretted his use of the word "monkeys". He had meant to say "characters". "see: Charles Bennett, "Mayor Bars Fete for Saud," *New York Times*, 30/1/1957, p. 1.

(١٣) Almost one-half century later, in the fall of 2001, Mayor Rudolph Giuliani returned a $10 million donation from Prince Alwaleed Ibn Talal, the son of the man who in 1961-1962 would try to lead a constitutional revolution in the kingdom, before fleeing to Cairo.

معادياً للصهيونية، وكانت أرامكو تساعد تلك الجمعيات، كأمثال الكويكرز التي كانت تقدم العون للاجئين الفلسطينيين، إلا أن ما يثير الاستغراب في كل هذا هو أنه على الرغم من أنه كان متوقعاً من مختلف أصدقاء المملكة وحلفائها أن يلتزموا الصمت، إلا أنه حتى أولئك الذين كانوا ينتقدون العبودية والتمييز الديني في السعودية لم يقولوا أي شيء عن معاملة أرامكو للعمال السعوديين، وعن فشلها بالالتزام بالقيم العالمية حول حرّية العمال في التنظيم، وعن الهرمية العرقية التي ما زالت مستمرة في الأحياء العمالية. ومن أجل المقارنة، فعندما نزل المؤرّخ المعروف آرنولد توينبي في الظهران عام ١٩٥٨م لتقديم سلسلة من المحاضرات، كان أيضاً قد كتب تقريراً خاصاً لمديري الشركة، وقام فيه بمقارنة النظام الاجتماعي في الظهران بذلك الموجود في ساحل الذهب عشيّة الاستقلال؛ حيث نصح الشركة بتفكيك المؤسسات التي أبقت السعوديين مفصولين وغير مساوين لغيرهم[١٤].

هذه كانت شروط وحدود الانشقاق عن مباركة الجمهوريين للملك سعود، والذي على الرغم من كونه مستهلكاً شرهاً لمشروب كوينترو (Cointreau)، تم اعتباره رئيساً فخرياً للجمعية العالمية لمنع معاقرة الكحول في عام ١٩٥٧م. لقد دافعت الولايات المتحدة عن «صداقتها الخاصة» بآل سعود، وذلك لأن أرامكو كانت «أكثر المصالح الأمريكية أهمية على وجه الأرض خارج حدود الولايات المتحدة»، وذلك بحسب جورج وادسورث الثاني (George Wadsorth II) السفير الأمريكي في السعودية[١٥]. لقد كان من المقدّر لهذه العبارة أن تتحول إلى ترنيمة دينية سيتمّ ترديدها في دوائر صناعة السياسة الأمريكية لعقد كامل، فبالنسبة إلى أولئك الذين كانوا يفكرون بمثل طريقة السفير وادسورث، كان هناك نوعان من التهديدات للعلاقات الأمريكية - السعودية، الأمريكيون الذين كانوا مصرين على إلحاق الضرر بها، وذلك عبر الإفراط بالتشديد على مسائل حقوق الإنسان، أو عبر رفض بيع الأسلحة للسعوديين، أو عبر ترك اللوبيّات العرقية تدير دفة الدولة نحو الفخ الذي

---

(١٤) انظر:
"Report For ARAMCO by A. J. Toynbee," [n. d.], copy enclosed in Jidda to State, 217, 6 May 1958, Toynbee on ARAMCO and Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/5-658.

(١٥) Wadsworth to Allen, 15 December 1954, RG 59, 886A.512/1-3155.

نصبه السوفيات. أما النوع الأشد تهديداً فهم السعوديون من أمثال الطريقي وابن معمر من الذين كانوا مصرين على انتزاع أرامكو «منا»، فنفوذ الطريقي كان يتنامى، وقد كان هو ورفاقه قاب قوسين أو أدنى من أخذ المملكة إلى مصاف العالم الحر لو لم يتم إيقافه.

ادعاء الشعبوية

في شباط/فبراير من عام ١٩٥٦م، نشرت وكالة الاستخبارات المركزية (السي آي إيه) تقريراً تحليلياً جديداً عن المملكة، وهو التقرير ذو الرقم ٧١٤، بعنوان **المملكة العربية السعودية: عامل اضطراب للعلاقات الغربية العربية**. ونستطيع أن نخمن من العنوان فقط بأن الآمال الكبيرة التي عقدها الأمريكيون على الملك سعود في عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤م عندما كان يُحتفى به بوصفه محدّثاً نذر نفسه لبرنامج مكثف من أجل تطوير الموارد البشرية وبناء الجيش وإنهاء الفساد قد بدأت تتلاشى، أما القراءة الأكثر دقة فستفضي بنا إلى الاستنتاج بأن الملك لم يكن يقوم بما يتوجب على رقابة الحليف الجيّد أن يقوم به، وهذا هو سبب مراجعة أدائه باعتباره قائداً حكيماً كان سينتشل المملكة من «القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن العشرين» كما يحلو للأمريكيين أن يصفوا ما يتوجب عليه أن يفعله. إن هناك أسساً كثيرة لاعتقاد أن هذه القراءة الكلبية الأخيرة هي الصحيحة وحتى من دون الحاجة إلى استذكار الحالات الأخرى التي يكتشف الراعي فيها فجأة عيوب عميله ويقوم بفضحها[١٦] فبعد سنة، عندما قرر الملك سعود الاستجابة لمبدأ آيزنهاور، كان هناك أولئك الذين يعرفون هذه العيوب جيداً ومع ذلك قاموا برفع سعود بن عبد العزيز على أكتافهم، وذلك لفترة مؤقتة، وكان أحد هؤلاء رئيس أرامكو نفسه حيث قال:

---

(١٦) انظر:

Robert Vitalis, When Capitalists Collide: Business Conflict and the End of Empire in Egypt (Berkeley, CA: University of California Press, 1995), for the American ambassador's turn from champion of the Egyptian Wafd Party to critic of its failed domestic policies after the party acted in ways counter to American preferences. Diplomats all seemed to have learned the Claude Rains part in Casablanca (1942) where Captain Louis Renault professes his shock at learning that gambling is going on at Rick's place, orders the bar closed, but not before pocketing his night's winnings.

كنت سأخبركم بما قاله الملك عندما تم تنصيبه ملكاً أول مرة، لقد قال: «كان عهد والدي مشهوراً بفتوحاته وتوحيده للبلاد، أما عهدي فسيتم تذكره بما سأفعله لشعبي من أجل رفاهيتهم وتعليمهم وصحتهم» وما كان يقوم به في السنتين أو السنوات الثلاث الماضية يؤكد تقيده الكبير بهذا الإعلان؛ إنه يبني مدارس ومنازل، وعيادات متنقلة وأخرى مستقرة في كل مكان من البلاد، كما أنه ينشئ الطرق، ويحفر آبار المياه، ويطور الزراعة، ويصلح المساجد. وكثيراً ما تذكر الصحف هنا عن الكاديلاك المطلية بالذهب، إلا أنني لم أر أبداً كاديلاك مطلية بالذهب. نعم، لقد رأيت سيارات كاديلاك، لكن رأيت مثلها كثيراً في تكساس[١٧].

إن ما كان يوصف بـ«التنمية» يوماً ما سيوصف بـ«الإسراف» في اليوم الذي يليه، وذلك يعتمد على قيمة الحليف وولائه وعدم تحوله إلى عبء كما حدث لسعود عندما أتت محاولته لاغتيال عبد الناصر بنتائج عكسية، رغم كون آيزنهاور داعماً لها. لكن علينا ألا نستبق الأحداث ونعود إلى حيث كنا.

لقد ظهر تقرير السي آي إيه عام ١٩٥٦م بعد سنتين من سياسة خارجية صممت من أجل التشديد على استقلال المملكة من حاميتها، أي الولايات المتحدة الأمريكية، والتي مع اشتداد الحرب الباردة بدأ صبرها ينفد من حساسية السعوديين من تهمة أنها، في الحقيقة مجرد دولة تابعة، ولتقدير المعضلة التي كان فيها السعوديون يجب علينا أن نجمع معاً اعتراف الأمير فيصل لإيدي بأنه لا توجد في المنطقة دول حرة سوى مصر والسعودية من جهة، مع تذكير الملحق العسكري الأمريكي للمملكة باعتمادها الكبير على الولايات المتحدة من أجل بقائها من جهة أخرى.

وقد أدّت سياستان مرتبطتان ببعضهما بعضاً إلى جعل السعودية عامل اضطراب، وذلك بحسب وصف السي آي إيه، فالسعوديون تصدوا للجهود

---

(١٧) Excepts from the testimony of Fred Davies, Chairman of the Board of ARAMCO, Accompanied by James Terry Duce, Vice President, and Douglas Erskine, Tax Counsel, Before the Subcommittee on Antitrust and Monopoly of the Senate Common Judiciary and Subcommittee on Public Lands of the Senate Committee on Interior and Insular Affairs, Washington, DC, 20-21 March 1957, pp. 8-9, Box 2, McConnell Papers.

الإنكليزية والأمريكية في ضم دول المنطقة إلى تحالف غربي دفاعي. وقد رفضوا بشكل أكثر تحديداً الانضمام إلى حلف بغداد المدعوم من بريطانيا، والذي ضمّ عدوهم العراق ومجموعة من الدول غير العربية من بينها تركيا (وكان السعوديون في جدة معتادين على وصف الأتراك بـ«اليهود الآخرين»)، وباكستان، والأمر نفسه هنا أيضاً وإيران[١٨] أما عبد الناصر فقد ولّى ظهره لبذرة علاقة عمالة كانت ستنعقد بينه وبين الولايات المتحدة متزعماً الكتلة المعارضة لاستراتيجية التحالف كلها التي تفرضها الحرب الباردة تحت لائحة «عدم الانحياز»، كما أنه زاد من مخاطره عندما وَقَّعَ - وذلك بعد أن بدأ اتفاق وقف إطلاق النار مع إسرائيل بالتحلل - صفقةَ أسلحة قيمتها ٢٠٠ مليون دولار مع تشيكوسلوفاكيا في صيف عام ١٩٥٥م، وكذلك بعد أن نظم تحالفاً خاصاً به مضاداً لحلف بغداد يضم السعودية وسوريا.

كما أن السعوديين قد بدؤوا بالتفكير بطرق أخرى يقللون بواسطتها من استباحتهم أمام تهمة أن بلدهم أصبح مستعمرة أمريكية، ففي عام ١٩٥٤م، قام الملك بإغلاق بعثة النقطة الرابعة[١٩] وأحد أسباب هذه الخطوة هو أن إدارة آيزنهاور كانت قد أنهت للتو صفقة أسلحة مع الدولة الغريمة للسعودية: العراق. وكانت التوقعات في ذلك الوقت تقضي بأن قاعدة الظهران الجوية سيتم إغلاقها عندما تنتهي مدة الاتفاقية الحالية في عام ١٩٥٦م. وصعّد الملك سعود من التوترات عندما وافق على خطة إنشاء أسطول من ناقلات النفط السعودية والتي ستبنى من قِبل صانع السفن اليوناني أرسطو أوناسيس (Aristote Onassis)، بعد ذلك أصدر أمراً يقضي بأن كل النفط المنتج من السعودية يجب أن ينقل بواسطة الناقلات السعودية. وكردة فعل على هذه القرارات، اجتمع مجلس الأمن القومي الأمريكي في الثاني والعشرين من تموز/يوليو من عام ١٩٥٤م الذي تزعمه آيزنهاور نفسه؛ حيث اتفق مع مستشاريه على اتخاذ - كما ينص التوجيه الخاص بالسياسة المتعلقة بالشرق الأوسط ذات الرقم (NSC 5428) - كل التدابير اللازمة لإلغاء الاتفاقية بين

(١٨) Jidda to State, 63, 17 November 1955, Review of Events for October 1955, RG 59, 786A.00/11-1755, for more of what ARAMCO Americans loved to say was really just anti-Zionism.

(١٩) Jidda to State, Telegram 527, 28 June1954, RG 59, 8S6A.00-TA/6-2754 (for the king's decision on Point Four).

حكومة المملكة العربية السعودية وأوناسيس»[٢٠]. لقد كانت أرامكو مصرة على محاربة الصفقة باعتبارها تعدياً على حقوق امتيازها؛ حيث قامت الشركات الأربع المالكة لها بالضغط على الحكومة الأمريكية في جبهة موحدة نادراً ما تتشكل.

وبمؤامرات كثيرة دبرتها السي آي إيه ومنافسو أوناسيس مرت عبر كل من جنيف ونيس وأثينا وبيروت وجدة، أصبح من السهل على المرء أن يفقد الرؤية حول حقيقة ما حدث، لكن يمكن القول: إن أرامكو استطاعت بشكل أساس أن تبرم صفقة مع الملك. فقد أرسلت الشركة إشارة بأنها مستعدة لأن تحل مسألة الريوع بأثر رجعي، وهي مسألة تعود إلى العام ١٩٥١م؛ حيث تبلغ قيمتها ٧٠ مليون دولار، والتي تمت مناقشتها في الفصل الخامس (فقام الملك بتسهيل الموضوع بعد أن وعد أرامكو بفصل وزير ماليته عبد الله السليمان الذي كان المهندس الرئيس لصفقة أوناسيس[٢١] ووافقت الحكومة على طلب أرامكو بتقديم القضية لجهة تحكيم أجنبية كما ينص اتفاق الامتياز على ذلك، وقد سمح هذا الأمر للملك بأن «ينهي الأمر مع أوناسيس» أما بالنسبة إلى الوسيط في الصفقة، وهو محمد علي رضا، والذي كان وزير الملك سعود للتجارة، فقد قرر الاستقالة بعد هذا الفشل الشنيع للصفقة.

صحيح أن جهود عبد الله الطريقي في مراقبة سجلات المحاسبة الخاصة بأرامكو قد آتت أكلها، إلا أن تحركات الحكومة السعودية لتقدّم نفسها ضمن المحور العربي القومي الصاعد وذلك عبر التخلص من بعثة المساعدة الأمريكية وغيرها لم تكن سوى تحركات رمزية، صحيح أنها ضايقت وزير الخارجية دالاس إلا أنها لم تغيّر شيئاً من اعتماد المملكة على الولايات المتحدة الأمريكية في مسألة الأمن. إن العلاج لمثل هذه الدول الضعيفة التائهة في فترة الحرب الباردة كان معروفاً. دع القضايا الإقليمية والعالمية الأساسية لأمريكا، وركّز اهتمامك على مشاكلك الداخلية وعلى تطور حركة

---

(٢٠) My summary is based on the superb recounting in Nathan Citino, "Defending the "Postwar Petroleum Order": The U.S., Britain and the 1954 Saudi-Onassis Tanker Deal," Diplomacy and Statecraft, vol. 11, no. 2 (July 2000), pp. 137-160. I am citing from a manuscript copy of the article so have omitted page references to avoid confusion.

(٢١) See the memorandum from Dorsey to Murphy, 4 October 1954, Recent Development Regarding Onassis Agreement, RG 59, 786A.2553/10-454.

المعارضة في كل جوانب المجتمع السعودي، إن لم تفعل ذلك فإنك ستكون مهدداً بالانقلاب.

«أنوار النيون... كانت بالنسبة إلى الملك كالقنابل النووية»

الوثائق كلها التي كتبت من أجل جعل المملكة مكاناً أفضل كانت غير مجدية، فتارة يُنصح الملك بأن عليه أن يركز موارده في التنمية، وهو ما فعله بطريقة متلكئة، وذلك على الرغم من وجود مشاكل حقيقية تتعلق بالقدرة على استيعاب المعرفة الجديدة وتشربها؛ فالموانئ على سبيل المثال كانت تعجّ بالسفن التي كانت تنتظر لأيام، وكان الملاّك يدفعون مبالغ إضافية من أجل السماح لهم بتفريغ البضائع، وتارة أخرى يأتي آخرون ليشيروا على السعوديين بأن يقلصوا من إنفاقهم ويسددوا ديونهم ويقوموا بترتيب نظامهم المالي، فرحّب الملك ببعثة من صندوق النقد الدولي إلى السعودية في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٥٧م ووافق على خطة تقشف، وينسى أغلب الناس هذه الحقيقة اليوم، وعلى الرغم من موافقته إلا أنه وافق على دعم حكم الملك الشاب ذي الاثنين والعشرين عاماً في الأردن، وقام الأمريكيون ببيع السلاح له، كما قامت بنوك نيويورك بإقراضه الأموال التي سمحت لهم بها أرامكو[٢٢].

وستبدو الصورة الكاملة لعدم الاتساق في الوصفات العلاجية الأمريكية من أجل مساعدة المملكة على الخروج من مشاكلها في برنامج من اثنتي عشرة خطوة شديدة الوضوح عندما نضيف إليها التوجيه الرئيس بحماية امتياز أرامكو والأدوات الأساسية لضمانه، فالشركات قد تدفع مبالغ إضافية لحكومات البلدان المصدّرة للنفط، وذلك في الأساس من أجل استرضاء القوميين كبديل عن «حماية نظام النفط فيما بعد الحرب العالمية عبر الجيوش

---

(٢٢) The contradiction was fully spelled out in an editorial "Getting into Step," Times, 12/1/1956, which noted how loans by ARAMCO translated into Saudi "mischief" in the form of subsides to Arab parties aligned against the West's more reliable Hashemite clients in Jordan and Iraq. ARAMCO's Terry Duce objected, saying it was New York bankers that were advancing the funds, not ARAMCO (but they did so in close coordination with the oil company, based on the old formula of royalties owed by the firm to the kingdom but not yet paid). State Department, Memorandum of Conversation, James Terry Duce and David Newsom, 13 January 1956, ARAMCO Payments to Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/1-1356.

وتدبير الانقلابات السرية»[٢٣]. فاتفاقية المناصفة التي عقدتها شركة إكسون مع فنزويلا كانت نموذجاً على ذلك، ومنذ الخمسينيات أصبح هذا المنطق لا جدال حوله. ولهذا، كان رد الشركة لمقترحات السعودة التي قدّمها الطريقي في عامي ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م هو أن تعرض ملايين إضافية من الدولارات من دخل إضافي من التابلاين بالإضافة إلى حصة من الأرباح في الأعمال المستقبلية للشركات المالكة لأرامكو. وعندما رفضت هذه العروض عَنَّفَ الأمريكيون السعوديين على كونهم لا يعرفون مصلحة أنفسهم، كان جواب الطريقي أن الدخل الإضافي يمكن أن يتبدد في الطريقة القديمة نفسها، وهذه الحجة دوماً، وبشكل غير مفاجئ، كانت تترك الأمريكيين عاجزين عن الرد.

فلك أن تتخيل إذاً ردة الفعل إزاء المشاريع التي يحاول الطريقي وأقرانه من المثقفين تأسيسها، والتي كان من الممكن أن تحدث بعض التغيير: مشاريع ككتابة دستور، وانتخاب ممثلين لبرلمان وطني، وبناء مصانع، واستثمار بشكل جاد في الموارد البشرية، وزيادة صفوف السعوديين من حَمَلة الشهادات العليا، وكذلك وفوق كل شيء آخر الاستحواذ على أرامكو بشكل مرحلي. وكانت السفارة الأمريكية تتكلم دائماً عن هؤلاء المثقفين باعتبارهم مجموعة، كان من بينهم عمر السقّاف، أحمد عبد الجبار، عبد الرحمن الحويسي، وعبد العزيز بن معمر، وكان دائماً يُشدد على كون الأخير «حماسياً» و«مثالياً» أو كما وصفه البروفسور جورج لينكزوفزكي (George Lenczowski) أحد الذين استأجرتهم شركة إكسون بأنه: «قومي، عربي، غير متزن، عاطفي، وراديكالي»[٢٤].

---

(٢٣) Citino, "Defending the "Postwar Petroleum Order": The U.S., Britain and the 1954 Saudi-Onassis Tanker Deal".

(٢٤) Jidda to State, 78, 15 September 1959, Professor George Lenczowski Discusses His Interview with Crown Prince Faisal, RG 59, 786A.11/9-1959. "He had spoken with Shaykh Abdullah Tariqi in the past few days, and while he admired Tariki as a sincere Arab nationalist, he felt that his oil policies, particularly his preference for "integration" of oil operations, even at the expense of possible additional revenues, was not favorable to progress for the kingdom. Tariqi although determined and emotionally sensitive on the issue, was at least a reasonable man with whom matters could be discussed frankly, unlike the radical and emotionally unbalanced Arab nationalist, Abdul Aziz Muammar".

وإليك كيف وصف السقّاف ـ الذي ارتقى بسرعة داخل وزارة الخارجية وتعتبره السفارة الأمريكية أكثر مَن في المجموعة حذراً ـ معضلةَ التنمية في السعودية:

إن الملك ومستشاريه المتملّقين يعتقدون بأن إنفاق مليارات الدولارات من أجل بناء الوزارات في الرياض يعني تقدّماً للبلد، في الحقيقة لم يكن الأمر سوى إسراف غير مسؤول، فكل العاملين في كل الوزارات لن يستطيعوا ملء دور واحد من أدوار أحد مباني الوزارات الجديدة في الرياض، فعوضاً عن التطوير المتدرج والبطيء للمدارس والمستشفيات والمصانع، يقوم الملك بتبذير الأموال من دون أن يستطيع أن ينتقل إلى حكومة تستطيع أن تؤسس لنهج تحديثي، فطالما أن السعودية تعتمد على النفط فلا بد من أن يكون هناك تصنيع، ويجب أن يتم تجهيز السعوديين ليديروا صناعاتهم الأساسية، ويجب أن يكون هناك مواصلات أفضل للبلد خصوصاً في شبكة الطرق، إلا أن المعضلة هي أنه لو نفّذ كل من الأمير فيصل والملك هذا المشروع التحديثي فإن هذا يعني أنهم سيساهمون في التقريب من اليوم الذي سيتم فيه تقليص مجال الملكية بشكل كبير أو حتى إلغائها[٢٥].

كان هناك كثير ممن رفضوا بشكل صريح الأولويات التي نادى بها كل من الطريقي والسقّاف وغيرهم من السعوديين المعتنقين لعقيدة التنمية. وكان عيسى صبّاغ واحداً من هؤلاء، وهو أمريكي من أصول فلسطينية، كان يعمل في منظّمة العلاقات الحكومية الخاصة بأرامكو؛ (حيث كان مترجماً، كما أنه أدى دور خالد، وهو شخصية الدليل البدوي في فيلم جزيرة الله) قبل أن ينتقل إلى الخدمة الإعلامية[*] للحكومة الأمريكية ليعمل كموظف شؤون عامة في القنصلية في جدة. فبعد سنة من افتتاح أول جامعة في المملكة العربية السعودية في عام ١٩٥٧م (أو «ما يسمى بجامعة الملك سعود»، كما قام بالسخرية منها)، كشف المسؤولون عن عزمهم إنشاء كليّة للعلوم في عام ١٩٥٩م لتنضم إلى كلية الآداب.

(٢٥) Jidda to State, 227, 27 April 1959, Head of Foreign Office Gives Personal Views of Difficulties of Making Saudi Arabia a Modern State, RG 59, 786A.00/4-2759.

(*) الخدمة الإعلامية تشير إلى العمل لدى وكالة المعلومات الأمريكية التي أنشئت في الفترة ما بين ١٩٥٣ ـ ١٩٩٩، وكانت تمثل ما يشبه الذراع الإعلامي للسياسة الخارجية الأمريكية (المترجم).

إن وجود هذه «الجامعة» أشبه ما تكون بالكعك منه إلى الخبز إذا ما أخذنا الاحتياجات التعليمية في السعودية على محمل الجد، فكل سعودي ذكي تحدث إليه موظف الشؤون العامة يوافق على أن الحاجة ملحّة أكثر للمدارس المهنية من أجل **الارتقاء** بحياة السعوديين، ومن المؤكد أن مثل هذه المدارس المهنية ستكون الوسيلة الأسرع في تنوير الروح اليومية للبلاد[٢٦].

لو كان بوكر واشنطن هو الكاتب فلن يجد أكثر من هذه الأسطر تعبيراً عن أفكاره، وكما وضّح عمر السقّاف، لقد كانت هذه هي نفسها السنوات الثلاث من الأعمال الإنشائية الكبيرة في الرياض التي غذّت اتهامات النقاد بالتبذير والرشوة والإسراف والفساد، كما أنها هي نفسها التي ألهمت أبيات الشعراء (وكذلك من يعمل في قسم العلاقات العامة في أرامكو) للتغني حول إنجازات الملك العظيمة التي أنجزها لصالح شعبه[٢٧]، ففي منتصف الخمسينيات الميلادية، نما قطاع الإنشاءات ليصبح ثالث أكبرَ قطاع استقطاباً للأيدي العاملة بعد أرامكو والحكومة، وهذا على الرغم من أن التّداخل بين أي قطاعين من هذه القطاعات مضلل بالطريقة نفسها التي تصبح فيها الطرق الممتدة من الرياض إلى الدمام مضللة بعد عاصفة رملية. تأمل للحظة نوعي المباني اللذين ولّدا أغلبية النفقات والوظائف والبضائع في منتصف الخمسينيات: القصور والوزارات. فأبناء عبد العزيز كانوا يحطمون مجمعات سكنية لم يتم الانتهاء من بنائها إلا قبل سنوات، ويحولونها إلى بيوت وحدائق ضخمة، وقد كان بإمكان الملك أن يتبرع بنفقات التحويل التي أنفقت في العام الماضي من أجل بناء مدرسة أو مستشفى. وأكبر مشاريع القصور هذه كان مجمع الملك في الناصرية خارج الرياض، فقد تمّ الضغط على أرامكو من أجل بيع الأدوات والتجهيزات للرجل الذي كان يعرف بـ«بنّاء الملك»، والذي لم يكن أحداً غير محمد بن لادن من أجل إنهاء

---

(٢٦) USIS Jidda, 52, 4 September 1958, Education in Saudi Arabia, RG 59, 886A.432/9-458 (Emphasis mine).

(٢٧) See for example Philby's first article on the kingdom following his exile Sunday *Times* (London), 23/10/1955, where, with Sulayman's replacement by Muhammad Surur, he insisted (although it was hardly true) "there is nobody now able to resist the fantastic and unproductive drain on its resources". Précis in London to State, 947, 25 October 1955, RG 59, 786A.00/10-2655

عملية البناء الضخمة في الوقت المحدد. وقد كان التقدير النهائي الذي خمنته أرامكو لنفقة المشروع (أي ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ مليون دولار) يعادل ما قيمته ٣٠٠ ـ ٦٠٠ مليون دولار اليوم. ولقد ذكرت السفارة الأمريكية العشرات من المجمّعات المشابهة التي تم بناؤها في البلاد ابتداء من عهد سعود.

لقد كان سعود حريصاً على تحويل المدينة إلى عاصمة مناسبة لدولة حديثة، فطريق جديد بأربع مسارات مزيّن بالنخيل تم إنشاؤه يمتد من المطار إلى ساحة سباق الهجن التي اختيرت لتكون حيّاً جديداً للسفارات. كما تم بناء سبع وزارات على طريق آخر يمتد من المطار كذلك. ومع حلول عام ١٩٥٦م، قدّرت أرامكو أن حوالى ١٠٠ مليون دولار (أي ما يكافئ ٦٠٠ مليون دولار حالياً) تم إنفاقها في الرياض على الإنشاءات والبنية التحتية، وذكرت السفارة أن قرابة ٧٠٠ منزل جديد تم بناؤه لموظفي الدولة، إضافة إلى مجموعة من الفنادق ومطار جديد ليستبدل آخراً لم يكن قديماً[٢٨]. فالإسكان كان بمثابة عنق الزجاجة الذي أعاق نقل الحكومة من الحجاز إلى الرياض؛ حيث قام الملك بلطف بدفع الموظفين وأهاليهم من جدة ومكة إلى الرياض. وفي نهاية عام ١٩٥٦م، كان جلّ الوزارات قد نقلت جزءاً من موظفيها إلى أحياء مؤقتة في الرياض حيث لم يكتمل من مباني الوزارات إلا هياكلها فقط. تم نقل وزارة الداخلية إلى الرياض، لتتم إعادتها مرة أخرى إلى جدة حيث مكان عملها الأمني الرئيس. وسيستغرق النقل الكامل للسفارات كلها، والأجهزة الحكومية كصندوق النقد العربي السعودي، والخطوط السعودية، ومركز عمليات الأمير فيصل للشؤون الخارجية عدة سنوات إضافية، إلا أن الرياض قد حجزت موقعها بين العواصم الحديثة ذات المباني الحديدية والإسمنتية في الشرق الأوسط[٢٩].

لقد كان التنافس مع أماكن مثل القاهرة وبغداد هو الذي دفع نظام

---

(٢٨) Reporting on these matters took place regularly. For example, see Jidda to State, 41, Economic Summary for Saudi Arabia, First Two Quarters 1956, RG 59, 886A.00/8-1856.

(٢٩) انظر:

Jidda to State, 160, 31 January 1957, Progress of Transfer of Ministries from Jidda to Riyadh, RG 59, 786A.13/1-3157.

الملك سعود ليعلن الاستمرار في عملية بناء الرياض ويعلن مشروعاً لمدة خمس سنوات من أجل توسعة المسجد الحرام في مكة ـ تدمير أجزاء من أحيائها القديمة، وتوسعة شوارعها، وما إلى ذلك، ولقد كان بلا شك مهماً الاستجابة لشكوى الحجازيين من تكاليف البناء في الرياض عبر منحهم مشروع تنمية خاص بهم، إلا أن طموح سعود لأن يكون زعيماً للمنطقة تمخض عن أمرين: إنفاق ثروته على قطاع من المنتفعين يمتد إلى أبعد من القبائل وحدود المملكة العربية السعودية نفسها، وكذلك تقديم الإسلام باعتباره «طريقاً ثالثاً» بين الشيوعية والرأسمالية. ولم يكن بمقدرة عبد الناصر المنافسة في هذين المجالين، فالمشاريع في مكة كلفت ما يقارب المليار دولار بالأسعار الحالية، أما محمد بن لادن، وهو أحد الحرفيين الذين تحولوا إلى مقاولين في الرياض، والذي سيحالفه الحظ بتعيينه وزير دولة ومديراً لمشاريع الدولة الإنشائية، سيقوم بالإشراف على المشروع(٣٠). سيولد ابنه أسامة هناك في السنة التالية.

أي محلل يتحلى بالحد الأدنى من الموضوعية سيستطيع الإشارة إلى المشاكل الكبرى في الطريقة التي اتبعها سعود في بناء الدولة، ومن هنا يمكن تخيّل ما سيقوله منتقدوه من باب أولى، ولندع جانباً الشكاوى الصادقة المتعلقة بتفشي الارتشاء والفساد. ولم يتم بشكل عام تحقيق أي استثمار منتج اقتصادياً، أي يستطيع سداد السلفة التي تم تمويله بها بشكل كامل من دون تمديد لا في قطاع الزراعة ولا الصناعة، ومنذ قرار الملك عبد العزيز الكارثي باستبدال الطرق السريعة بسكك حديدية، أصبحت الأعمال التجارية رهينة نظام توصيل بضائع غير مؤهل. واتبعت ديون الملك الجديد المتعاظمة النمط القديم نفسه، وذلك بالاستدانة من التجار ثم تأجيل موعد السداد، ووصل الأمر إلى درجة أن موظفي الحكومة بدؤوا بالشكوى من عدم دفع رواتبهم.

في السنوات الأخيرة من عهد الوزير عبد الله السليمان، استطاعت مؤسسة النقد العربي السعودي، والتي كانت أولاً برئاسة آرثر يونغ ثم بعد

---

(٣٠) Jidda to State, 140, 21 March 1956, Fortnightly Review of the Economy in Saudi Arabia, March 1-15, RG 59, 786A.00/3-2156.

ذلك (خلال الفترة ١٩٥١م ـ ١٩٥٤م) خليفته ومريده جورج بلوورز (George Blowers)، تنظيم المصروفات بعض الشيء وجلب الاستقرار للعملة، وكذلك إعادة تنظيم الديْن الداخلي والترتيب للتسديد للمقرضين على دفعات. ومع ذلك، فإن السعي نحو زعامة إقليمية لم تكن بتكلفة قليلة. فبالإضافة إلى «العبء» المعتاد «من الإسراف الملكي في الاستهلاك داخلياً وخارجياً»، كان هناك هذه الرؤية الجديدة للسياسة الخارجية» والتي كانت منقسمة بين الحدّ من نموّ الهيمنة العراقية على سوريا والأردن، ودعم مصر بوصفها قوّة مضادة لإسرائيل والنفوذ الهاشمي». وفي عام ١٩٥٦م، زاد الملك سعود عشرة ملايين دولار من قيمة القرض الذي قدمه إلى الحكومة السورية والذي كانت قيمته ١٦ مليون دولار والتي كانت مستحقة السداد لكن تم تأجيلها، وهو القرض الذي كان بمثابة قيمة «منع سوريا من الانضمام إلى حلف بغداد وتعاونها الكامل مع مصر والسعودية». واشتبهت الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها لم تستطع أن تؤكد أن مبالغ إضافية تم دفعها لمصر واليمن مطلع هذا العام[٣١]. وأياً يكن، فإن الأقساط سيتم دفعها في فصل الخريف عندما يبدأ العدوان الثلاثي، وذلك على الرغم من أن مداخيل الملك النفطية قد بدأت بالهبوط.

وقد كرّر أحد مستشاري سعود ووسطائه، وهو عبد الرحمن عزّام باشا، النقد المتكرر آنذاك للملك في لقاء جمعه بموظف وزارة الخارجية الأمريكية ديفيد نيوسم (David Newsom) في البلازا في نيويورك أواخر عام ١٩٥٧م، حيث يقول:

إنه يتصوّر نفسه وكأنه يتصرف بالطريقة الأبوية نفسها التي كان يتصرف بها والده، في حين أن مشاكل البلد في حقيقة الأمر تنامت بشكل كبير... وإن لدى الملك سعود فكرة خاطئة حول كيف يجب أن يكون التقدم. فقد قال مرة: إن «أنوار النيون تضاهي القنابل النووية للملك»، إذ إن أتباعه من البادية عندما يأتون إليه ويرونها ينبهرون بها، ويفخرون كذلك بكون ملكهم قد بنى شيئاً بجودة ما يبنيه أي ملك في العالم الحديث، أما المتعلمون من

---

(٣١) انظر:

Jidda to State, 143, Economic and Financial Review: A Survey, 24 March 1956, RG 59, 886A.00/3-2456.

الناس والسعوديون الذين تلقوا تعليمهم في الخارج فإنهم يرون الأمور بشكل مختلف[٣٢].

وبكل وضوح، مثلت هذه الرؤية صيحة بعيدة أشد البعد عن التخيلات التي نسجها رئيس أرامكو في أثناء استجوابه أمام الكونغرس بعد ذلك بعدة أشهر حول مدى التزام الملك بالتنمية، إلا أن عزّام باشا كان أيضاً أبعد نظراً من كل أولئك الذين باتوا مقتنعين بأن السعودية تسير على حافة الثورة كنتيجة لكل هذا التبذير. فعزّام قد قال بأنه: «على الرغم من أن ثروة البلاد لم يتم توزيعها بشكل حكيم، إلا أنها، سواء عن طريق الإنفاق الكبير أو الفساد، قد تم توزيعها بشكل واسع، وأنه يشعر بأن وضع البلد مطمئن وأن حالة الملك السياسية مستقرة» ودوماً كان هذا التوقع هو أسلم التوقعات.

عام اتخاذ القرار

في الأول من شهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٥٥م، اعتقلت شرطة بلدة مونتغمري في ولاية ألاباما السيدة روزا باركس (Rosa Parks) وذلك لأنها رفضت الانتقال إلى مؤخرة الحافلة والسماح لأحد ركابها البيض بأخذ مكانها. واليوم يتم الاحتفال بحملة مقاطعة حافلات مونتغمري ـ والتي قاطع فيها السود ركوب الحافلات حتى يتم إنهاء معاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية ـ باعتبارها أشد اللحظات تحفيزاً على حركة الحقوق المدنية في أمريكا وبداية النهاية لنظام جيم كرو في الجنوب الأمريكي.

قبل هذه الحادثة بشهور، أي في أيار/مايو من عام ١٩٥٥م، كانت هناك حملة مقاطعة حافلات أخرى، لكنها أقل شهرة، تحدث في مدينة بقيق بواسطة العمال السعوديين الذين كانوا يعارضون الشيء نفسه؛ أي نظام جيم كرو الذي بنته أرامكو في المنطقة الشرقية. كانت المواصلات من أحياء العمال وإليها تمثّل واحدة من التسويات التي تم التوصل إليها بعد إضراب عام ١٩٥٣م. اختارت الشركة مجموعة من العمال في كل من الأحياء

(٣٢) State Department, Memorandum of Conversation, 8 November 1957, U.S.-Saudi Arabian Relations, Abdul Rahman Azzam Pasha, Special Representative of King Saud, and David Newsom, RG 59, 611.86A/11-857.

الرئيسة ليعملوا في شيء سمته بـ(مجموعات الاتصال العمالية)، حيث كان عبر هذه المجموعات يتم إخبار العمال بخطط الإدارة عن أي خدمة جديدة تتعلق بالنقل عبر الحافلات، إلا أن الحافلات في بقيق كانت أشبه بالقاطرات: غير منتظمة، وتتوقف في أماكن قليلة، وكانت الشركة تمانع نقل العمال إلى الأحياء ليتناولوا غداءهم هناك. في الثاني من أيار/مايو، استقبلت أرامكو عريضة موقعة من قبل ٣٢٣١ عاملاً يسكنون في الحيين الأوسط والعام مطالبين بخدمة حافلات تماثل في جودتها تلك التي يتمتع بها الموظفون الأمريكيون، بالإضافة إلى الحق في انتخاب ممثلين في مجموعات الاتصال العمالية: «إن ما يسمى باللجان... لا تمثلنا، ولا تتحدث باسمنا... إن هذه اللجان لا تمثل إلا مصالح من شكّلها». وفي اليوم نفسه، بدأت مقاطعة الحافلات، وفي اليوم الرابع من أيار/مايو لم يكن هناك أحد يستخدمها[٣٣].

أرسلت أرامكو ممثلاً إلى أمير بقيق في الثاني من أيار/مايو، فطلب الأمير بأن تبقى الزيارة سريّة ولكن بعد فترة قليلة، وفي حالة ذعر شديد، طلب تقريراً رسمياً عن كل العمال المنخرطين في المقاطعة، وأسماء أولئك الذين كانوا يعملون في مجموعات الاتصال العمالية وكذلك التصريح الحكومي الخاص بإنشاء مثل هذه المجموعات، وكذلك، أخيراً، كل ما يتعلق بقادة الإضراب منذ عام ١٩٥٣م، أما الذعر فقد كان بسبب الأنباء الواردة عن قرب اعتقال ابن معمر، المدير العام لمكتب العمل، في ٣ أيار/مايو، والخوف من أن حملة المقاطعة لم تكن إلا جزءاً من مؤامرة كبرى.

زوّدت وحدة الاستخبارات الخاصة بأرامكو كلاً من الإمارة والسفارة بالأخبار كلها المتعلقة بقادة عام ١٩٥٣م، لقد كانت أخباراً صعبة التصديق: فالسنيد قبل أن يعود من العراق توقف قليلاً في بيروت؛ حيث بحسب ادّعاء الشركة كان يعمل هناك لدى صحيفة شيوعية، والآن هو في الدمام مجدداً، يعمل لدى ابن معمر في مكتب العمل، أما صالح الزيد والمعروف بارتباطاته

(٣٣) Dhahran to State, Telegram 157, 4 May 1955, RG 59, 886A.2553/5-455. Copies of the workers' original and follow-up letters to ARAMCO are enclosed in Dhahran to State, 105, 17 June 1955, Secret Labor Group's Letters to ARAMCO Board Chairman Fred A. Davies, RG 59, 886A.2553/6-1755.

اليسارية، وهو عضو آخر في لجنة العمال الأصلية التي كانت مكونة من سبعة أشخاص وقادت إضراب عام ١٩٥٣م، عمل أيضاً في مكتب العمل الخاص بالحكومة. بالنسبة إلى جمعان بن فرّاج فقد كان يعمل في أرامكو في بقيق، أما عبد الرحمن البهيجان فقد سافر إلى إنكلترا في بعثة حكومية، تحققت بواسطة قريبه سليمان العليان الذي كان يمثل أحد أهم قصص نجاح أرامكو؛ حيث كان أحد أفراد الجيل الأول من المقاولين السعوديين الذين كونوا إمبراطوريات مالية، وقد ذكر المصدر أن تخصص البهيجان في إنكلترا كان «الشيوعية» أما بخصوص بقيّة الأشخاص السبعة فلم يكن معروفاً ما حل بهم، أما المشتبه به دائماً، ناصر السعيد، فقد كان حتماً في بقيق؛ إذ إن جاسوساً أمريكياً لم يذكر اسمه كان يعمل في قاعدة الظهران الجوية قد ذكر بأن السعيد كان هو العقل المدبر خلف حملة مقاطعة الحافلات[٣٤]، كانت إدارة أرامكو في حيرة من أمر عمالها السعوديين، وذلك بحسب خبير في العلاقات الصناعية كان زائراً من شركة تكساكو، حيث قال:

أغلب الأشخاص في الإدارة العليا لا يستطيعون فهم سبب امتعاض العمال لدينا، خصوصاً أن الشركة قامت بالكثير من أجل العمال ووفرت لهم مستشفيات من الدرجة الأولى وغيرها الكثير من الخدمات التي لم يكونوا يحلموا بها قبل أن تأتي أرامكو. والجواب في اعتقادي على هذا الأمر هو أننا كأمريكيين نبالغ في ما نرجوه من تقديم المزايا المادية في حين أن السعوديين لا يأبهون كثيراً مثلنا بمثل هذه الأمور.

فكما هو ظاهر، لم تتغير الحجج أبداً منذ أول إضراب في عام ١٩٤٥م إلى اليوم الذي رفض فيه العمال ركوب مقطورات بلا مقاعد تسميها أرامكو بالحافلات، فهؤلاء العمال لم يكونوا يأبهون بتحسين حياتهم كما يقول بروكس (Brox)، بل جل اهتمامهم كان في السيطرة على «القوة العاملة لشركة النفط» والتي «كانت الطريقة الوحيدة الأكيدة، بل الوحيدة الممكنة، للوصول إلى السلطة السياسية في هذا البلد»، وهذا على الرغم من أنه لم يمر وقت

(٣٤) Dhahran to State, 88, 19 May 1955, Agitation by ARAMCO Employees [missing file number and enclosure's title].

طويل على حديثه مع القنصل غرانت ماكلانهان (Grant McClanhan) حيث قال: «إننا لا نعلم الكثير عن مصالح [عمالنا] وحاجاتهم ودوافعهم الحقيقية» لا أستطيع أن أكون متأكداً، لكن توقعي أنه حتى السفارة بدأت تشك في الرواية التي نسجتها أرامكو عن مخطط للاستيلاء على سلطة الدولة والذي كان يحظى في الوقت نفسه على حماية الحكومة والقصر.

ومع استمرار الحكومة في قبضها وترحيلها للعمال القوميين والشيوعيين داخل أحياء أرامكو، بدأت حملة المقاطعة تخبو تدريجياً؛ إذ اعتقد خبراء الشركة بأن تواجد ما يفوق الألف من المجاهدين مسلحين ببنادق من نوع «إنفيلد» وأحزمة من الذخائر الحيّة كانوا معسكرين في أطراف الظهران هو الذي أدى بشكل فوري إلى «انطفاء حماسة المحرضين من بين العمال». وقد تم الدفع لأرامكو من أجل تزويد هذا الحرس الوهابي بالماء وأن تنقلهم إلى هذا المكان وذاك خلال فترة مرابطتهم[٣٥]. إلا أنه مع خفوت مخاوف تشكل انتفاضة عمالية وعودة المجاهدين إلى نجد، بدأ العمال في الظهران بتقديم عريضة خاصة بهم، ولم توجه العريضة الجديدة لأرامكو، بل للملك سعود. وقد بدأت العريضة بنقد الأمير ابن جلوي بسبب فشله في إجبار الشركة على الخضوع للمطالب الموجودة في العريضة الرئيسة، وناشدت الملك أن يمد يد العون من أجل تحقيق حق العمال في أجور ومزايا مقاربة لتلك التي يحصل عليها الأمريكيون بما في ذلك الحق في اختيار ممثليهم لدى مجموعات التواصل التي أنشأتها أرامكو، وطلبوا عونه كذلك من أجل وضع حدّ لاختبارات القدرات التي يلزم بها الأمريكيون العرب. وقالت الشركة: إن هذه العريضة انطلقت من اثنين من أكثر السعوديين تقاضياً للأجور والذين كانا يسكنان في الحي السعودي الأوسط؛ حيث كانوا يعملون في «قسم الأعمال الثقيلة في ورشات الظهران»، وأن غالبية الموقعين كانوا سعوديين أيضاً[٣٦]. ولجأ القصر إلى خياره المفضّل، محيياً شيئاً كان يسمى باللجنة الدائمة لشؤون العمال من أجل التقصي، ولتحل محل مكتب العمل في الدمام، والذي كان مديره ابن معمر مرمياً في السجن.

---

(٣٥) Dhahran to State, 93, 1 June 1955, Weekly Report of Political and Economic Developments in the Dhahran Consular District, RG 59, 786A.00/6-155.

(٣٦) Dhahran to State, 23, 24 August 1955, Weekly Report, RG 59, 786A.00/8-2455, and Dhahran to State, 28, 31 August 1955, RG 59, 786A.00/8-3155.

وبسبب حيرتها بأحداث الربيع الماضي قامت أرامكو باستدعاء كبير جواسيسها، بل إيدي ـ والذي كان طيلة السنوات القليلة الماضية في بيروت في فترة نقاهة بعد أن أصابته ذبحة صدرية ـ إلى الظهران لثمانية عشر شهراً، وقد أخبر عائلته أن:

معظمكم كان قد اشتكى من أني لم أخبركم عن طبيعة العمل الذي سأقوم به في جزيرة العرب، وهو اهتمام محل تقدير حول عملي، أنا الآن أعمل كمستشار لشؤون الشرق الأوسط لشركتَي التابلاين وأرامكو، حيث إن من طبيعة عملي كتابة التقارير السياسية والاتصال بالشخصيات المهمة. والآن أنا ذاهب إلى الظهران لأقدم استشارتي حول الإدارة المحلية والعلاقات الصناعية في جزيرة العرب، حيث بشكل مختلف عن لبنان إن الأمريكيين الذين يتحدثون العربية قليلون على الرغم من أن اللغة العربية هي الوحيدة التي يتحدّث بها السكان المحليون[٣٧].

نحن لا نعلم طبيعة النصيحة التي قدمها إيدي عندما تسلمت أرامكو عريضة مكونة من تسعة وعشرين نقطة موجهة إلى الملك في شهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٥٥م. لقد كان وقت العريضة قريباً من عطلة الكريسمس، وهو أكثر أوقات الشركة انشغالاً، ولعل هذا ما يفسر قرار الشركة بأن تهزأ بالمطالب الموجودة «غير معقولة أبداً» وتعلن بأن العريضة ليست مشكلة أرامكو بل «مشكلة حكومة المملكة العربية السعودية، وعلى كل من اللجنة الملكية وقسم العمل بشكل خاص أن يتعاملوا معها: «وحينها بدأ عمال الفترة المسائية في بقيق ليلتين من «التظاهر، وإيقاف الأعمال، وإثارة الاضطرابات» في الثامن عشر والتاسع عشر من كانون الأول/ديسمبر، التي لم تنته إلا عندما وافق مسؤولون من مكتب العمل باستقبال شكواهم.

وفي اليوم نفسه، كتبت ماري إيدي رسالة إلى أبنائها في أمريكا من أمريكا الصغيرة في الظهران:

(٣٧) William Eddy to Family, Ainab (Lebanon), 25 September 1955, Box 3, Folder 10, Eddy Papers. He only returned to Beirut as the Americans began their occupation, during which he aided the military command's senior political advisor, Deputy Undersecretary of State Robert Murphy, in making contact with Lebanese political factions-pretty impressive for a consultant to ARAMCO on industrial relations.

على الرغم من أن درجة الحرارة هنا ليست كريسماسية، إلا أن البيوت مزخرفة بشكل مبهج، والكثير من العرب يأتون في الليل فقط ليشاهدوا الأنوار. وغداً مساء سنذهب لمشاهدة العرض المسرحي الخاص بالكريسمس في الفضاء الطلق مع وجود جِمَالٍ حقيقية وراع بقطيع حقيقي من الغنم، إنه تقليد قديم في الظهران وإننا مسروران لأننا سنتمكن من رؤيته. وعادة ما يصل بابا نويل عبر طائرة مروحية، ولكن جنرالاً في القاعدة العسكرية خشي بأن قانوناً جديداً سيجعل من تكرار ذلك هذا العام أمراً مستحيلاً[٣٨].

أما هناك في بقيق، قام عمال البناء باتباع عمال النقل وألقوا بأدواتهم في الثاني والعشرين من كانون الأول/ديسمبر، مطالبين بحضور مسؤولين من الشركة ليستقبلوا شكاواهم قبل أن يوافقوا على العودة إلى أعمالهم. ولأنها سبق وأن قالت: إن مظالم عمالها تقع ضمن اختصاص مكتب العمل، فإن الشركة أصابها الذعر عندما تدخل أحد ممثلي مكتب العمل قبل أن يقوم العمال بحل المسألة «داخل الشركة»، وكان سبب تدخله هو أن الشركة والعمال قد تجاهلا العرف السائد ضد «الأعمال الجماعية التي تتم خارج إجراءات التظلم المؤسسة». تراجعت الشركة قليلاً، ووافقت على أن تقدم رداً على العريضة للجنة الملكية العمالية الجديدة[٣٩].

لا تحاصرونا

سيكون مديرو أرامكو على موعد آخر يعلنون فيه دهشتهم من «المصالح والاحتياجات والدوافع الحقيقية» لعمالهم مع تسرب الأنباء عن عزم الشركة بناء أسوار حول أحياء العمال السعوديين في الظهران وبقيق ورأس تنورة. ففي الرابع من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٥٦م، ناشد قرابة المئتين سعودي الأمير بأن يوقف ما وصفته الشركة بأنه برنامج للتحسين من جودة الحياة داخل الأحياء، فقد أخبر مسؤولو الشركة الأمير بأنه طالما كانت الأحياء غير مسوّرة فإن الطعام الذي كان يزرعه بعض العمال في حدائقهم

---

(٣٨) Mary Eddy to Family, Dhahran, Saudi Arabia, 19 December 1955, Box 3, Folder 10, Eddy Papers.

(٣٩) Dhahran to State, 101, 22 December 1955, RG 59, 786A.00/12-2255.

الصغيرة سيكون خاضعاً لرحمة معزى القرى المحيطة. أما العمال، فقد رأوا الأمر بأنه محاولة لحصارهم في الداخل من أجل عزلهم أكثر عن عِيالهم وأصدقائهم، وبدأ العمل في المشروع بحفر حُفَرٍ من أجل تثبيت الأعمدة والعوارض وتمديدها، فعلى ما يبدو كانت المعزى الموجودة حول أحياء العمال شديدة الجوع ومتعددة المهارات ليتم ردعها بهكذا سور: «فعلى سطح السور يوجد سياج شوكي على شكل الحرف (Y) بحيث يجعل من الصعب لأي كان تسلقه»(٤٠).

وبعد تصادم مع العمال قرر الأمير السفر إلى الدمام من أجل التشاور مع المسؤولين هناك. وهناك واجهه أخوه تركي بن عطيشان، مدير اللجنة العمالية الدائمة قائلاً: «لماذا هناك دوماً مشاكل كثيرة في بقيق؟»، فجاءه الرد سريعاً من الأمير: «لم يكن لدينا كثير من المشاكل قبل تأسيس مكتب العمل هناك». في السابع من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٥٦م، سافر تركي إلى بقيق مزوّداً بقائمة بسبعة عشر اسماً من العمال كان مكتبه قد تعرف إليهم باعتبارهم قادة الحركة هناك وآملاً بأن يحل المشكلة معهم، إلا أنه كان متأخراً، فمع وصوله إلى أطراف المنصور، وهو الاسم الذي أطلقه السعوديون على حيهم في بقيق، كان العمال يهدمون الأعمدة والعوارض التي على شكل (Y).

ما أن وصل تركي إلى مكتب متنقل تابع لأرامكو تم تخصيصه لأن يكون مكتب العمل، حتى كان في استقباله حشد من ٢٠٠ ـ ٣٠٠ عامل هتف ضده، وبحسب البعض اعتدى عليه مما دفعه إلى التراجع في اللحظة نفسها التي واصل فيها الحشد تحطيم السور(٤١) واضطر مسؤولو أرامكو استدعاء الشرطة الذين اشتكوا من كونهم ليسوا «أشداء كفاية أو بشكل أدق

---

(٤٠) Dhahran to State, 115, 14 January 1956, ARAMCO Labor Demonstrations against New Fences around Camps, RG 59, 886A.2553/1-1456. The direct quotation in the next paragraph is from this long and detailed dispatch.

(٤١) انظر رسالة:

Barger to Duce, Dhahran, 30 January 1956, and Barger's Memorandum to File, Dhahran, 21 January 1956, Fencing General Camps, both enclosed in RG 59, 886A.O6/1-3056. Needless to say, this is ARAMCO's version of events as recorded in a long memo that Barger wrote later in January for Ohliger's use in a meeting with the king about the latest disturbances.

فعالين، لكنهم على الأقل استطاعوا احتواء الحشد»، وفي سجلات بيرغر نجد أن «رئيس الشرطة حضر إلى المكان ومعه سيارة من نوع «بيك ـ آب» قام بشحن جميع المجموعة التي كانت تحطم السور فيها. «وفي وقت متأخر من الليل قام بعض العمال بتحطيم بعض زجاج النوافذ، إلا أن الضرر الرئيس كان على السور». وقد وصف أحد موظفي منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو الأمر بأنه «أشبه ما يكون بعيد الهالوين»[٤٢].

عقد العمال في اليوم التالي اجتماعاً عاماً أمام مكاتب العمل في كل من رأس تنورة والظهران احتجاجاً على الأسوار. وتذكر مذكرة بيرغر أن «اجتماع الظهران تم تنظيمه بواسطة رجل أو رجلين في كل وقفة من وقفات الحافلة داخل الحي السعودي حيث يبلغون [الآخرين] عن الاجتماع الكبير في الساعة الخامسة مساء»، وهنا نجد أن بيرغر، مثله مثل كل جيل الروّاد، ما زال يستخدم الاسم القديم للحي العام الذي يسميه السعوديون حي السلامة، وقد وجد بيرغر أنه من المهم أن يذكر كيف أنه «بعد الساعة الخامسة مساء حاولت مجموعة من ٣٠ ـ ٤٠ رجلاً تحطيم جزء من السور شمال شارع بقيق والذي كان من المزمع أن يمتد حول **أحياء المحليين**» وذكر بيرغر أيضاً أنه، بمساعدة مسؤول آخر من منظمة العلاقات الحكومية اسمه هاري ماكدونالد، استطاعا إقناع الأمير بأن يلغي فكرته التي كانت تقضي بتوجيه حافلات الظهيرة كلها إلى ملعب كرة القدم وجمع العمال هناك وإخبارهم أن الملك أمر أرامكو بأن تقتلع كل الأسوار» ومن وجهة نظرنا كان أمراً خاطئاً التصريح بشكل علني بنصر العمال على الشركة والحكومة»[٤٣]، ففي المظاهرات في الظهران قام أحد ممثلي مكتب العمل بتقديم الأمر باعتباره نصراً على أرامكو، إذ إنه من المؤكد أن لا أحد خارج الشركة صدق أن الحكومة كانت مستهدفة بهذا العمل أو أي عمل آخر.

وفي داخل أرامكو، استخلص المديرون من عدم اكتراث السلطات

---

(٤٢) Quotes not attributed specifically to Barger are from the account in Dhahran to State, 115, ARAMCO Labor Demonstration, RG 59, 886A.2553/1-1456.

(٤٣) Barger Memorandum, in RG 59, 886A.O6/1-3056 (emphasis mine). The embassy's report said the appeal had failed and that the firm appealed to the governor, Ibn Jiluwi, who phoned the amir and instructed him to cancel the rally.

لتحطيم ممتلكاتهم دليلاً على أن أعراف «العهد الصالح» الذي كان قائماً في السنوات الماضية لفضّ النزاعات قد بدأت بالتلاشي «فقد كشفت مجموعة منظمة من العمال، وهم في الغالب أقلية، أن بمقدرتهم أن يرغموا الشركة والحكومة على أن يتصرفوا حسب رغبتهم». وبدأ الأمريكيون بتصوير تركي بن عطيشان باعتباره شخصاً ضعيفاً أو أسوأ من ذلك: أنه منحاز إلى جانب المحرضين، فهو قد غيّر موقفه خلال الأحداث الأخيرة في بقيق وأخبر الشركة بأنها لا تستطيع تطبيق سياسة «لا أجر إلا بعمل» ضد العمال المضربين. وستستمر عمليات إيقاف الأعمال، ففي الثامن من كانون الثاني/ يناير، قامت مجموعة من اثنين وثلاثين عاملاً من عمال المعدات الثقيلة بإضراب، ليتبعهم في الحادي عشر من الشهر نفسه مُشَغِّلُو خطوط المجسات السلكية[٤٤].

لم تأت نهاية شهر كانون الثاني/ يناير إلا وقلق الأمريكيين في بقيق قد وصل إلى قمته. فالعرائض والمنشورات الجديدة كانت تنتشر، وقد تمكنت الشركة من الحصول على إحداها التي كانت تصور أرامكو وهي تمتص دماء العرب، وهاجمت الأمريكيين لأنهم «يعيشون برفاهية في حين أن العرب يعيشون في أكواخ وفي حي الثقبة»[٤٥]. وعندما التقى أوهليغر أخيراً مع الملك سعود ليتحدث معه عن المشكلة في بقيق لم يجد هناك ما يشعره بالطمأنينة: «فقد روي عن الملك أنه لم يكن مهتماً وبدا كما لو أن لديه فكرة مشوهة عما حدث، والأكثر أهمية فيما يتعلق بالشركة أنه كان لديه ذلك الانطباع الخاطئ بأن الأمير تركياً... قد استطاع السيطرة على الأوضاع»[٤٦].

---

(٤٤) Barger Memorandum, in RG 59, 886A.06/1-3056; Dhahran to State, 112, 14 January 1956, Weekly Report of Political and Economic Developments in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/1-1456; Dhahran to State, 115, 14 January 1956, ARAMCO Labor Demonstrations against New Fences around Camps, RG 59, 886A.2553/1-1456, and Dhahran to State, 116, 21 January 1956, Weekly Report, 786A.00/1-2156.

(٤٥) انظر: Dhahran to State, 133, 16 February 1956, Biweekly Report of Political and Economic Developments in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/2-1656

(٤٦) Dhahran to State, 125, 2 February 1956, Biweekly Report of Political and Economic Developments, RG 59, 786A.00/2-256.

وانطلاقاً من الأخبار التي تقدمها مصادر داخل أرامكو للقنصلية الأمريكية وما ردّده مسؤولو هذه الأخيرة في تقاريرهم إلى واشنطن، يمكن استخلاص أن قراءة أرامكو للأحداث باتت تنمو أكثر تصلباً، فهي قد اعتبرت شكاوى العمال من العنصرية سخيفة وغريبة، كما أنها قد قدمت جوابها على عريضة بقيق في كانون الثاني/يناير بناء على طلب اللجنة العمالية الدائمة؛ إذ أصبح معلوماً في ذلك الوقت أن أحد العمال، واسمه سيّد عبد الله الهاشم، قام بقراءة العريضة على الملك سعود في الظهران في شهر تشرين الثاني/نوفمبر الماضي. وعندما وصل مديرون من أرامكو إلى جلسة استماع اللجنة الدائمة في آذار/مارس لمناقشة ردّ الشركة، أصيبا «بالدهشة والضيق» لمشاهدتهما الموظف نفسه سيّد عبد الله الهاشم ينتظرهم ومعه رد طويل على الوثيقة التي قدمتها الشركة[٤٧]. اهتزت الشركة من هذه الخطوة وحاولت جاهدة أن تبعده.

وللإنصاف، فإن الفقرة الأخيرة من المذكرة الطويلة التي كتبها بيرغر إلى أوهليغر في شهر كانون الثاني/يناير، والمعنونة بـ«ما يجب عمله وما تم تعلمه من دروس»، أبدت بعض التحفظات حول الأبوية التقليدية التي تتبناها أرامكو في تعاملها مع مسألة تمثيل العمال، فنحن يجب أن «نحترس من نزعتنا في عدم قبول تصوّر الحكومة عن طبيعة دورها كممثل للعمال... فنتيجة افتقارهم إلى أي مجموعة عمالية تمثلهم، يلجأ العمال إلى الحكومة كحام لهم وينزع موظفو الحكومة إلى تسلّم دور المفاوضين نيابة عن العمال أكثر من أن يكونوا حكاماً غير متحيزين»[٤٨]، إلا أنه في جلسة الاستماع كان من المستحيل العثور على أي أثر لرؤاه هذه وذلك بسبب كل الدخان المنبعث من وابل الاتهامات بعدم الاتساق التي أطلقتها أرامكو تجاه وجود الهاشم.

وركزت الحجة الأولى على حقيقة أن تركياً كان قد أخبر أرامكو بأن القصر يأمرها بأن تلغي مجموعات الاتصال العمالية، وخمنت أرامكو بأن الغرض من ذلك تعطيل المطالبة بالانتخابات كما هو الحاصل في البحرين.

---

(٤٧) Dhahran to State, 150, 15 March 1956, Biweekly Report of Political and Economic Developments in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/3-1556.

(٤٨) Barger Memorandum in RG 59, 886A.O6/l-3056.

وأيّاً يكن السبب، فإن القنصلية قد ذكرت أن «هذه الخطوة كانت ضربة موجعة لمسؤولي أرامكو الذين تكلفوا عناء تأهيل مجموعات الاتصال منذ تأسيسها لأكثر من سنتين ماضيتين»[٤٩].

حاول هاري ماكدونالد التابع لأرامكو أن يوقع في بداية الأمر بتركي، فإن كان الهاشم لا يتحدث باسم اللجنة الدائمة وإنما لأن العريضة تحظى بدعم عمالي عريض، فإن ذلك «يبدو غير متسق» مع الأمر بإغلاق مجموعات الاتصال. وتبدو هذه الحجة بالنسبة إلي مخادِعة، إلا أن تركياً على كل حال قام بتجاهلها. وبيرغر نفسه، وهو المصدر الرئيس للقنصلية، تذمّر في ما بعد من فشل اللجنة الدائمة من اتخاذ «دور فعّال» واكتفائها بأداء دور «طرف ثالث غير متحيز بينما القضايا كانت تناقش بين الشركة وعبد الله» وهي شكوى مناقضة لشكوى أرامكو الدائمة بأن الدولة كانت مستعدة للانحياز إلى جانب العمال عوضاً عن أن تكون وسيطاً منصفاً.

أخبر تركي الشركة أنها تستطيع رفع المسألة إلى أمير المنطقة إن أرادت، وفعلاً قامت أرامكو بذلك في رسالة صورت جلسة الاستماع باعتبارها مخالفة صريحة لتوجيه الملك وذلك نظراً إلى السماح لعامل بالدخول وحضور ما أراده جلالته بشكل جلي أن يكون اجتماعاً بين ممثل الحكومة والشركة لوحدهم[٥٠]. والتحسين الذي أضافته القنصلية إلى التهمة التي تقول إن تركياً كان مخالفاً بشكل مباشر لتوجيه الحكومة هو أن أرامكو لم يكن لديها أي خيار وذلك «لأنه انطلاقاً من الإجراءات في آخر جلستَي استماع مع هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم ممثلين للعمال بينما أعضاء اللجنة الملكية جالسين كما لو كانوا متفرجين ضجرين كان كل ما اشتملت عليه المداولات تقريباً غير معقول إن لم يكن سخيفاً».

لقد رأينا هذه النقطة الأخيرة تناقش من قبل عندما تقوم أرامكو بتعيين عامل في مجموعات الاتصال العمالية الخاصة بها، فحينها تصبح شركة

(٤٩) Dhahran to State, 143, 1 March 1956, Biweekly Report of Political and Economic Developments in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/3-156.

(٥٠) Dhahran to State, 160, 31 March 1956, Biweekly Report, RG 59, 786A.00/3-3156. The direct quotation below is from the same dispatch.

تتطلع إلى المستقبل وتقوم بالشيء الصحيح من أجل عمالها، ولكن عندما يقوم أي شخص آخر غيرها بتعيين عامل كمتحدث باسم العمال فإنها عملية تم التلاعب بها أو حتى أسوأ من ذلك: عملية لا تتمتع بذرة شرعية «هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم ممثلين للعمال».

إلا أنه تم إجبار الشركة في حقيقة الأمر على قبول إهانة الاستمرار في مناقشة القضايا المعلقة وتناول «المطالب غير المعقولة الموجودة في العريضة» مع عبد الله الهاشم في سلسلة من اللقاءات التي صوّرها ماكدونالد وآخرون بأنها مصممة ضد أرامكو. والأسوأ من ذلك هو أن الهاشم كان معلماً متدرباً لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره ويتحدث لغة إنكليزية جيّدة ولديه سجل سفر مشبوه في الإجازات الصيفية: «فقبل سنة أخذ إجازة لمدة شهرين قضاها في لبنان وربما في مصر... وبعض الأمريكيين في بقيق يعتبرون أنه صاحب أهداف شخصية من أنشطته العمالية أكثر من غيره من المحرضين أو قيادات العمل الشابة»(٥١).

أعادت «مطالب العمال السعوديين في أرامكو» ـ وهذا هو الاسم الذي أطلق على العريضة ـ طرح كل القضايا التي كانت تحاربها الشركات لعقود في كل تخوم النفط: «الفشل في ترقية العمّال المحليين وفي توفير مساكن لهم وغيرها من المزايا مقارنة بما يتم توفيره للأمريكيين. ونتيجة لذلك، وبعد ربع قرن، «لا يشغل العمال السعوديون مناصب تقنية أو مكتبية رئيسة في الشركة» ولقد أكدت العريضة «التمييز بين الأعراق: فالأمريكي، على سبيل المثال، يُعطى كل شيء كالأثاث وغيره من التجهيزات والمساعدات، بالمقابل لا يحصل السعودي على أي منها». وعلى مدى مئة عام تتم إعادة إنتاج الهرمية العرقية في المناجم والمصافي عبر التفريق في الأجور حيث يدفع لكل عرق بعملة مختلفة أي «سلمي الذهب والفضة» القديمين، ولهذا جاءت عريضة العمال في بقيق «لتطالب بأن تدفع الأجور بالعملة السعودية لكل عامل من عمال الشركة» و«أن تبنى بيوتهم على نفقة الشركة أسوة ببيوت الأمريكيين، وأن تكون مماثلة لها في الجودة والموقع ومراعاة الأسس

---

(٥١) Dhahran to State, 145, 8 March 1956, Labor Petition Presented to King Saud by ARAMCO Employee, RG 59, 886A.06/3-856.

الهندسية الحديثة»، بالإضافة إلى الحق باستئجار هذه المنازل، كما يفعل الأمريكيون، عوضاً عن الاضطرار إلى شرائها[٥٢].

ماطلت أرامكو في لقاءاتها مع عبد الله الهاشم حتى جاءت اللحظة لتهجم بقوّة مستخدمة أكثر الأسلحة فتكاً في حوزتها، فرئيس منظمة العلاقات الحكومية، أوهليغر، كان قد ذهب إلى الرياض من أجل مقابلة الملك، ولا نعلم حقيقةً ماذا جرى، إلا أن اجتماعاً آخر بحضرة كل من أوهليغر وبيرغر وماكدونالد تم ترتيبه؛ حيث أصدر فيه الملك «بياناً غير رسمي»، أكد فيه «التعاون الكامل والمساعدة المتبادلة بين الحكومة والشركة في كل الأوقات»، نقلت القنصلية رضي أرامكو بهذا التقدم نحو تصميم طريقة أخرى للاتصالات بين الإدارة والعمال، وهو هدف تم ذكره في مذكرة بيرغر، والأهم من ذلك هو أن ابن جلوي تلقى الأمر بأن يدير مكتب العمل[٥٣].

بدأ المردود الحقيقي لهذه الخطوة بالظهور بعد أسبوع عندما فصلت أرامكو الزعيم العمالي ناصر السعيد لمخالفته شروط فترته التجريبية، وهذه الفترة هي شيء اخترعته أرامكو عندما أُجبرت على إعادة توظيفه بعد أشهر من إضراب تشرين الثاني/نوفمبر في عام ١٩٥٣م. وكانت أسباب الفصل تشمل «بث معلومات خاطئة والتسبب في بث روح التمرد بين العمال». وقد كان السعيد قد عمل بجهد كبير لدرجة أنه قد تمت ترقيته إلى الحي الأوسط في بقيق، لكن الشركة اشتبهت في كونه متزعماً مقاطعة الحافلات فنقلته إلى الظهران. وفي ٣١ آذار/مارس، أعلنت الشركة بأن شركة سعودية خاصة جديدة ستتسلم الطريق الموصل بين الظهران والخبر، فقام العمال بحملة مقاطعة أخرى في اليوم التالي. وذكرت أرامكو بأن لديها إثباتاً مفصلاً «بأنه

---

(٥٢) انظر:

"Demands of Saudi Workmen in the Arabian American Oil Company Stated in a Petition to His Majesty the King and Dictated by the Permanent Royal Committee on Labor Affairs to Sayyid Muhammad Jamil al-Shawwa for Transmittal to the Company," 24 Rabi' II 1375, 10 December 1955, Translation from Arabic with Interposed Point-byPoint Explanations or Comments by ARAMCO Management, enclosed in Dhahran to State, 145, 8 March 1956, Labor Petition Presented to King Saud by ARAMCO Employee, RG 59, 886A.06/3-856.

(٥٣) Dhahran to State, 173, King Saud Enunciates Policy of Cooperation with ARAMCO, RG 59, 786A.11/4-1756.

في السابع والثامن من نيسان/أبريل قام بطبع وتوزيع منشورات متعلقة برفض العمال ركوب حافلات المقاول نفسه في الطريق المؤدي بين الظهران والجبيل»، وقد كان أمير المنطقة الشرقية قد أبدى موافقته المسبقة على طرد ناصر السعيد، وفي اليوم نفسه تمّ حجزه واستجوابه ثم إطلاق سراحه، وقد ذكر ممثّل لشركة أرامكو للقنصلية الأمريكية أن «التوجيه يقول بأن لديهم «أوامر سريّة» بإبقائه تحت المراقبة»، فقد كانت منظمة العلاقات الحكومية المثقلة بالأعمال تتبع تحركات السعيد بين العمال في الأحياء الثلاثة بينما كان يحاول حشد الدعم من أجل إعادته لمنصبه(٥٤).

ولئن كانت الشركة تظن أنها بفصله ستستطيع إيقاف حملة مقاطعة الحافلات فإن ظنها قد خاب، فبعد شهر كان أغلب العمال السعوديين يرفضون ركوب حافلات الشركة المقاولة، وقام كل من مكتب العمل واللجنة الدائمة بتوجيه أوامر لأرامكو بأن تعيد تشغيل حافلات الشركة، إلا أنها رفضت، مبررة رفضها بأن لديها الحق بحسب امتياز عام ١٩٣٣م، بأن تتعاقد مع من تشاء لتسليمه إدارة أي من الخدمات التي تقدّمها، وكذلك بأن الحافلات تم تطويرها استجابة لشكاوى العمال، وأن الخدمة الجديدة تمثّل دعماً للقطاع الخاص المحلي، إلا أنه بعد أسبوع أمر مدير الشرطة في الظهران شركة أرامكو بأن توقف الخدمة الجديدة، والمعروفة بالحافلات ذات الخط الأزرق، وأن تقوم هي بإدارة الخدمة بنفسها، إلا أن أرامكو تجاهلت هذا الأمر أيضاً(٥٥).

كان النضال العمالي قد استمر لمدة عام، والحجة التي يتم ترديدها عادة خارج أرامكو هي أن هذه الأعمال نتيجة إحجام الشركة عن تقديم ما تعهدت به في أثناء التسوية التي تلت إضراب عام ١٩٥٣م. وأصبحت مسألة حق عمال أرامكو في التنظم مطروحة بشكل علني، وذلك قبل أن تطرح مسألة الانتخابات التي ستجرى في المملكة في المجالس الإدارية المحلية بعد عدة أعوام، وكذلك قبل الدعوات نحو إنشاء مجلس شورى وطني

---

(٥٤) Dhahran to State, 174, 17 April 1956, ARAMCO Discharges Labor Agitator, Nasir Al-Said, RG 59, 886A.06/4-1756.

(٥٥) Dhahran to State, 182, 28 April 1956, Biweekly Report, RG 59, 786A.00/4-2856, and Dhahran to State, 195, 12 May 1956, Biweekly Report, RG 59, 786A.00/5-1256.

منتخب، ففي البحرين، شاركت النقابات العمالية في هيئة الاتحاد الوطني وفي الإضراب العام الذي أطلقته في شهر آذار/مارس. وقد قام أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة في مصر، وهو أنور السادات، بزيارة المنامة لتقديم دعمه للمضربين لكن تم منعه من قبل السلطات البريطانية[٥٦]. في الشهر نفسه، في دمشق، أشارت مسودة دستور اتحاد النقابات العرب بشكل صريح لما سيدعى بالنقابة السعودية[٥٧] إلا أن ما هو أكثر أهمية من ذلك هم العمّال أنفسهم، ويوماً ما سيكون من الممكن الحديث عن هذه القضايا بشكل أكبر.

فكما بدا واضحاً، فإن أرامكو كانت تفضّل أن تُترك وشأنها في تحديد ما هو الأفضل لعمالها، ولكن داخل القصر اعتبرت مجموعات الاتصال العمالية التي أنشأتها الشركة خطراً يهدد النظام القائم[٥٨]، ففي نيسان/أبريل قامت الحكومة السعودية بالتوضيح للمرة الثانية بأنها «تعارض أي تمثيل للعمال، سواء كان منتخباً أو معيّناً، وأنها ستقوم بتمثيل مصالح العمال بنفسها». وفضلت أرامكو وجهة نظر القصر هذه على وجهة النظر المؤيدة للنقابات والآخذة بالتشكل بين بعض المسؤولين والمثقفين السعوديين، ولعل أهمهم هو الطريقي، كما أنها من دون الحاجة إلى التنبيه قد فضّلت وجهة نظر القصر على وجهة نظر العمال أنفسهم[٥٩]. وتحمّست الشركة لوجهة نظر القصر أكثر عندما قام الأخير بحلّ اللجنة الدائمة على الرغم من أن اسمها يقول: إنها دائمة وإنشاء لجنة ملكية أخرى من أجل التقصي عن أسباب المشاكل العمالية، والتي كانت مكونة هذه المرة من رجال قريبين من رأي القصر يترأسهم الأمير مساعد بن عبد الرحمن، وهو عمّ الملك وصفه فيلبي بأنه «ربما الأفضل من بين أعضاء الأسرة الحاكمة».

---

(٥٦) Dhahran to State, 154, 24 March 1956, Biweekly Report of Political and Economic Developments in Bahrain, Qatar, and Oman, RG 59, 786A.00/3-2456.

(٥٧) Dhahran to State, 199, 26 May 1956, Biweekly Report of Political and Economic Developments in Eastern Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/5-2656.

(٥٨) Dhahran to State, 91, 25 May 1955, Conversation with an Executive of ARAMCO Industrial Relations Concerning Labor Dissatisfaction, RG 59, 886A.2553/5-2555.

(٥٩) Dhahran to State, 182,April 28, 1956, Biweekly Report, RG 59, 786A.00/4-2856, and Dhahran to State, 183, 30 April 1956, Hints of Saudi Officials' Interest in Labor Unions, RG 59, 886A.062/4-3058. The latter dispatch includes the translation of al-Rayyis's piece, "Industrial Relations and Social Progress," *Al-Yamamah*, no. 29 (8 April 1956), which I have excerpted here.

إلا أن المشهد لم يكن ودياً بحسب القنصلية الأمريكية، فقد كان عمال أرامكو يتداولون ثلاث عرائض جديدة لتتزامن مع وصول اللجنة الجديدة: **الأولى** أبدت تأييدها لحملة مقاطعة الحافلات، **والثانية** طالبت بالسماح بانتخاب لجنة عمالية، **والثالثة** طالبت الملك بأن يطرد الأمريكيين من قاعدة الظهران الجوية». تم نشر خبر الوصول الوشيك للجنة الأمير مساعد بين عمال أرامكو في التاسع عشر من شهر أيار/مايو بواسطة ناصر السعيد، وهو عامل تم تسريحه للتوّ بسبب التحريض، وبواسطة زملائه من العمال، لقد تحدّثوا إلى مجموعات من العمال تجمعوا في أماكن وقوف الحافلات في حيّ الظهران العام مطالبين العمال بالصمود والاتحاد. . . والتأكد من أن حقوقهم ستحفظ[٦٠]. قام عملاء أرامكو بإيصال نسخ من هذه العرائض إلى الشرطة والتي بدأت بدورها باعتقال العمال.

المأجور الذي ضلّ الطريق

هناك كثير مما لا نعلمه وربما لن نستطيع معرفته أبداً عن المسار الذي اتخذه العمّال في حزيران/يونيو عام ١٩٥٦، والذي بدأنا به هذا الفصل، عندما أنهى الملك سعود إجازته البحرية في الخليج وعاد إلى الظهران، فما من شك أن الغرض من رفع لوحة تقول: «العمال السعوديون في أرامكو يرحبون بالملك، والموت للإمبرياليين والخونة» لم يكن الرغبة في إجهاض حركتهم، بل إنه في مطلع الأسبوع كانت هناك جموع تحيّي الملك لحظة وصوله، هذا على الرغم من أنها لم تكن مكوّنة من الأشخاص أنفسهم الذين يهتفون: «نحن مظلومون، نحن لسنا راضين، نريد حافلات نقل الشركة، وليس الحافلات ذات الخط الأزرق»، كما أنه في بداية الزيارة الملكية اجتمعت مجموعة صغيرة من العمال السعوديين في الدمام؛ حيث كان الملك يتفحص مشروع أرامكو الإسكاني وحاولت أن تتقدّم بعريضة، وعندما «مر الملك من أمامهم أرسل أحد مرافقيه ليسألهم عن حاجتهم»[٦١] وكذلك فقد روي أن العمّال قد التقوا بالأمير مساعد مطلع ذلك الأسبوع، ووعدهم بأنه

---

(٦٠) Dhahran to State, 200, 29 May 1956, New Royal Commission Investigating Labor and Related Problems in the Eastern Province, RG 59, 886A.06/5-2956.

(٦١) Dhahran to State, 210, Organized Demonstrators Disturb King Saud on Way to Banquet at ARAMCO, RG 59, 786A.11/6-1356.

«سيبحث حول ما تعرضت لهم حقوقهم وأن حقوقهم ستكون محمية»(٦٢)، ولعلهم لم يصدقوه، فقد قاد العمال تظاهرة جديدة بعد أن أعلنت لجنة مساعد عن نتائجها.

انتشر خبر بعد الظهر من يوم السادس عشر من حزيران/يونيو أنه ينبغي على جميع عمال أرامكو أن يجتمعوا أمام البوابة الرئيسة للأحياء الثلاثة في الساعة الخامسة مساء. وقرأ ممثّل مكتب العمل «إعلاناً إلى عمال شركة الزيت العربية الأمريكية»، حيث أكد التزام الحكومة الكامل برفاهيتهم، وذكر أنها أمرت أرامكو بأن توسّع من المزايا التي تقدمها وأن تستجيب لمطالب العمال برعاية صحية أفضل، وتعليم وتحسين ظروف العمل، هذا مع تجاهل لمسألة الحافلات، تم إنهاء الإعلان بذكر التحذير الآتي:

ولقد نما إلى علم الحكومة أن هناك فئة صغيرة بينكم حادت عن الطريق، فئة من المأجورين الذين ارتضوا الأساليب التدميرية والتحطيمية سبيلاً لهم وقبلوا بإثارة الاضطراب هدفاً ومنهاجاً. تتقرب منكم هذه الفئة بالكلام المعسول لتضلكم عن سبيل الله ومصلحة وطنكم، وهم غالباً إما مأجورون من قبل أعدائكم الحاقدين على بلدكم أو أولئك الساخطين بسبب فشلهم، أو أنهم يسعون إلى تحقيق أهدافهم الشخصية أو أنهم جهلة، فعليكم الحذر منهم(٦٣).

في تلك الليلة، بدأت الشرطة بالبحث عن تسعة وثلاثين ممن يشتبه بأنهم منظمون، واستطاعت القبض على سبعة وثلاثين منهم، وقد اعتقلوا سيّد عبد الله الهاشم وقرابة ستين أو تسعين آخرين بحسب الإشاعات، إلا أنهم لم يتمكنوا من القبض على ناصر السعيد بسبب اختفائه. بعد شهر أكدت الاستخبارات التابعة للقوات الجويّة الأمريكية أن خمسة وتسعين شخصاً كانوا في السجن، بالإضافة إلى عدد ممن تم نفيهم لأماكن أخرى أو الإبقاء عليهم في الرياض. كان القمع شديداً، فقد تواردت الأخبار أن الهاشم قتل، في اليوم التالي أبرقت القنصلية الأمريكية الأخبار، فحملة

(٦٢) Dhahran to State, 208, 9 June 1956, Biweekly Report, RG 59, 786A.00/6-956.

(٦٣) Dhahran to State, 212, 20 June 1956, Disturbances and Partial Strike by ARAMCO Saudi Workers, 886A.062/6-2056.

مقاطعة الحافلات قد انتهت[٦٤].

بدأ كبار موظفي أرامكو بالاستعداد إلى إضراب جديد في اليوم الذي تلا مظاهرات مأدبة الغداء، وكذلك قامت السلطات المحلية بذلك بقيادة الأمير سعود بن جلوي، وكانت منظمة العلاقات الحكومية مقتنعة بأن سبب تنامي شراسة العمال هو غياب ابن جلوي في الأشهر الستة الأخيرة، فبديله أخفق بأن يدير الأمور بسياسة القبضة الحديدية نفسها، إلا أن ابن جلوي ولله الحمد قد عاد بقوّة كما بدا ذلك واضحاً في تعاطيه مع المحتجين في رأس تنورة عندما حاول العمال هناك إضرام النيران في السينما في الرابع عشر من حزيران/ يونيو.

في الساعة الواحدة من صباح يوم الثامن عشر من حزيران/ يونيو، علم مسؤول من أرامكو من عامل سعودي موالٍ بأن الإضراب سيبدأ في الظهران في اليوم و«سيرافقه الكثير من الإزعاج والمشاكل». كان المنظمون يحرضون العمال على قضايا تتعلّق بالعقوبة القاسية التي لحقت بأولئك المتواجدين في رأس تنورة وغيرهم الموجودين الآن في السجن، وقد كانت التقارير تتوافد من الأحياء الثلاثة كافة بأن العمال بدؤوا بالهروب بواسطة سيارات الأجرة أو على الأقدام مع أمتعتهم.

ولقد أخطأ أولئك الذين وصفوا الإضراب في يومي الثامن عشر والتاسع عشر من شهر حزيران/ يونيو بأنه بداية أزمة متراكمة، فقد بدأت الفترات الصباحية في الظهران وبقيق بغياب ٢٥ ـ ٣٠ في المئة من العمال، أما في رأس تنورة، حيث تم سحق المظاهرة بشكل شديد القسوة، فإن الأرقام لم تتجاوز الـ١٠ في المئة، كان معدل الغياب المعتاد هو بين ٢ ـ ٨ في المئة وفي الثامن عشر من حزيران/ يونيو، قام رجال الأمن التابعون لابن جلوي وممثل من أرامكو بالانتقال من باب إلى آخر في الحيّ السعودي في الظهران وتخيير كل من يجدونه هناك متخلفاً عن دوامه بين الذهاب إلى العمل أو

---

(٦٤) Dhahran to State, 215, 25 June 1956, Biweekly Report, 786A.00/6-2556, and Dhahran to State, 7, 14 July 1956, Further Information on ARAMCO Labor Unrest and Government Action, June 9-21, RG 59, 886A.062/7-1456. The account of events below is drawn from these two dispatches. I have not tried to find a copy of the USAF intelligence report, but it is clear that it includes details, for instance of names of arrestees, that are not available elsewhere.

منزله، وقامت الشرطة بطرد كل شخص من خارج العمال وجد داخل الأحياء. في اليوم التالي، أي في التاسع عشر من حزيران/يونيو، عاد العمال وكان معدل حضور العمال في الظهران «مقارباً للمعتاد».

وقرئ الأمر الملكي الذي يجرّم الإضرابات على العمال في الواحد والعشرين من شهر حزيران/يونيو بينما كانوا يتسلّمون أجرتهم ويتوجهون إلى بيوتهم لقضاء إجازة نهاية الأسبوع. وانتشرت إشاعات مضلّلة بأنّ العمال لن يعودوا من بلداتهم وقراهم عندما يبدأ العمل مجدداً مطلع الأسبوع القادم، لكن تعهّد الحكومة بالسجن لمدة عام لكل من يُضرِب أو يتظاهر (عامين للمحرضين) وعامين لمن يستخدم القوة ويحطم الممتلكات (ثلاثة للمحرضين) آتت أكلها. فقد عاد السعوديون إلى العمل في يوم ٢٣ حزيران/يونيو واعتبرت أرامكو الإضراب قد فشل فشلاً ذريعاً، وذكرت القنصلية الأمريكية بأنه «بات واضحاً بشكل كبير أن القبضة الصارمة للأمير سعود بن جلوي كانت عاملاً حاسماً في الحفاظ على النظام»، وأن كل من استثاره حجم القوة المستخدمة تمت طمأنته من قبل الأمير بأن الحكومة تعرف «كيف تتعامل مع شعبها»، وقد كان بيرغر مقتنعاً بأن معنويات الموظفين السعوديين قد ارتفعت إلى مستويات أعلى نتيجة لعمليات الحكومة الصارمة[٦٥].

بعد سنتين، طمأن هاري ماكدونالد ـ أحد موظفي منظمة العلاقات الحكومية وعضو في قسم أرامكو للتخطيط ـ موظفاً في السفارة بأن عمالهم لم يبدوا أي علامة تذمر منذ أن قضى ابن جلوي على الحركة، صحيح أن العمال لا يزالون يتداولون العرائض، إلا أنها اليوم باتت توجه إلى الإدارة عوضاً عن الحكومة، وكما قال، فإن عمال أرامكو كانوا «أكثر سروراً من المعتاد»، بل إنهم قد أصبح لديهم تلفاز الآن، تم تقديمه من الشركة كهدية[٦٦].

وهذه المعلومة الأخيرة صحيحة، فقد افتتحت القوات الجوية الأمريكية محطة تلفازية بقوّة ٢٠٠ واط، اسمها تلفاز إي جي أل (AJL-TV)، أو «عين

---

(٦٥) Dhahran to State, 215, 25 June1956, Biweekly Report, RG 59, 786A.00/6-2556, and Dhahran to State, 7, 14 July 1956, Further Information on ARAMCO Labor Unrest, RG 59, 886A.062/7-1456.

(٦٦) Jidda to State, 107, 8 November 1958, ARAMCO Estimate of Labor Unrest in the Eastern Province, RG 59, 886A.06/11-1558.

الصحراء»، في صيف عام ١٩٥٥م. ويمكن التقاط إرسال القناة في أغلبية أحياء أرامكو وفي البحرين. لقد كانت العروض أمريكية خالصة ـ يعرض برامج مثل: عالم المصانع (Industry in Parade)، وبرنامج المسابقات (Strike it Rich)، وبرنامج الأطفال (Ding Dong School)، وبرنامج (Garry Moore)، ومسلسلات **أنا أحب لوسي** (I Love Lucy) **وروي روجيرز** (Roy Rogers)، وفي أيام الجمعة يتم عرض البرنامج المنوّع (Ed Sullivan) ـ إلا أن مسؤولي الشركة كانوا متيقظين فقاموا بحذف كل مشاهد «المشروبات الكحولية، ورموز الديانة المسيحية، وكل إشارة أو رمز يشير إلى إسرائيل أو اليهود»[٦٧] حذت أرامكو حذو القوات الجوية في مجال البث التلفزيوني بعد سنة، حيث كان بثها موجهاً بشكل رئيس إلى عمالها السعوديين، فبعد الإضراب ضغطت الحكومة على الشركة بأن توفر المزيد من الترفيه لعمالها السعوديين. ومثّل ذلك ما يشبه تحقّق الحلم للشركة، أي وسيلة لمواجهة البروباغندا المصرية، فقامت الشركة بتركيب أجهزة التلفاز في صالات الترفيه وأماكن أخرى يجتمع فيها العمال.

استطلع قسم العلاقات العامة حول عادات السعوديين في مشاهدة التلفاز وذلك عبر توزيع أجهزة مجانية لبيوت عربية ثم طلب منهم ترتيب البرامج التي شاهدوها على «إي جي أل» بحسب أفضليتها: «كانت النتيجة أن مسلسلات رعاة البقر والمغامرات هي المفضلة»، وهذه الأنواع نفسها من الأفلام كانت المفضلة أيضاً لدى الفلسطينيين وغيرهم من الذين كانوا يشاهدون الأفلام في الحي الأوسط، قامت أرامكو بسلسلة أخرى من المقابلات للتأكد من أن العرب «لا يربطون أنفسهم بالهنود الحمر، وهو الاحتمال الذي سبب بعض القلق»[٦٨].

رجلنا في الرياض

حتى يومنا هذا، كل كتاب يتناول الملك سعود بن عبد العزيز يكون

(٦٧) Dhahran to State, 12, 24 July 1956, Armed Forces Television Station at Dhahran Airfield, 986A.50/7-2456.

(٦٨) Dhahran to State, 74, 11 March 1957, ARAMCO's Television Station in Dhahran, RG 59, 986A.50/3-1157, and Dhahran to State, 175, 1 November 1958, King Saud Shows Interest in TV Station for Riyadh, 986A.50/11-158.

محملاً بالاتهامات والإشاعات المزيفة ضده، ونادراً ما تجد صورته معروضة في الرياض اليوم إلى جانب كل من الملوك: عبد الله وفهد وخالد وفيصل وعبد العزيز، بل حتى رابط «ملوك السعودية» في موقع وزارة الثقافة والإعلام السعودية (www.saudinf.com) لا يخصه إلا بسطرين قصيرين (بأنه هو من أسس مجلس الوزراء وجامعة الملك سعود)، ويترك المساحة المخصصة لصورته فارغة، إلا أنه إذا عدنا إلى الخمسينيات فسنجد إدارة آيزنهاور تحتفي به باعتباره مصلحاً كبيراً وزعيماً للعالميْن العربي والإسلامي. وهذا الكتاب، كما هو واضح، ليس من أجل تحسين سمعته، لكنه يجعل الأمر ملحاً على المؤرخين بالتفكير أكثر عمقاً مما فعلوا حتى هذا اليوم، فمن جهة، عادة ما يتم تصويره بأنه السبب وراء تهيئة الجو لخلق حالة فوضى وتمرّد حقيقية أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات الميلادية جاعلاً من مهمّة فيصل أن يقوم بإصلاح الأمور من بعده في كل مرة، لكن إذا ما أخذنا في الاعتبار أن النشاط الفعّال لعمّال أرامكو هو الدليل الذي عادة ما يكتفى به في المشاكل «الداخلية» التي ورثها فيصل، فإن هذه الحجّة تحتاج إلى إعادة نظر؛ إذ إن فترة المعارضة هذه كانت قد انتهت في جزء كبير منها. بالإضافة إلى هذا، نجد أنه دوماً ما ينسب الفضل إلى فيصل في إعادة النظام إلى مالية المملكة، لكن الملك سعود كان هو من استدعى بعثة صندوق النقد الدولي ولم تستطع سوى هذه البعثة سحب المملكة من الهاوية، وهي الحقيقة التي، حتى هذه اللحظة، لم يشعر أي أحد أنها مهمة كافية حتى يتم ذكرها. لقد كان العدوان الثلاثي على مصر الذي كبّد السعوديين بضعة ملايين من الدولارات من الخسائر هو الذي يمكن من خلاله تفسير الارتفاع المفاجئ لديون الملك إلى مستوى فوق ما كان يعتبره الملك عبد العزيز وأبناؤه عادياً.

في السادس والعشرين من تموز/يوليو من عام ١٩٥٦م، في الذكرى الرابعة للثورة المصرية، أعلن جمال عبد الناصر بأنه قد أمّم واستحوذ على شركة قناة السويس وكل أصولها، وأن دخل هذه الشركة سيستخدم من أجل بناء مشروع توليد كهرباء عبر الماء، أي سدّ أسوان (أو السد العالي)، والذي سيمد بالطاقة قطاع الصناعة المصرية الجديدة، وقد كانت إدارة آيزنهاور قد وعدت بتقديم المساعدة من أجل بناء السد إلا أنها تراجعت بعد أن علمت بوجود صفقة سلاح مصرية ـ سوفياتية، فجاء رد فعل عبد الناصر بأن أمم القناة.

لم يكن هذا بالطبع وقتاً جيداً لأن تكون دولة مصدّرة للنفط خصوصاً إذا كانت كذلك وكانت قد وقعت للتو اتفاقية دفاع مشترك مع مصر. هبط دخل السعودية بشكل حاد، كما أنه قد طلب منها تحمّل نصيبها من أعباء الدفاع العربي المشترك، ففي أثناء العدوان الثلاثي الذي بدأ في التاسع والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر بتقدم إسرائيلي في شبه جزيرة سيناء، لم يكن أمام السعودية أن تعمل أي شيء غير دعم مصر، فمدنهم كانت تقصف، وأصدرت مصر أمراً لما تبقى من قواتها الجوية السوفياتية الصنع والمكونة من قاذفات قنابل موديل إي أل ٢٨، وطائرات الميغ ١٥ بالتوجه إلى السعودية من أجل حمايتها من التدمير، أما محمد علي رضا، والذي كان موجوداً في مصر لحظة الهجوم، فقد أبرق للسعودية يطلب الإذن بالتطوع في الجيش المصري للمشاركة في الحرب، إلا أن المساهمة السعودية الأكبر جاءت بعد أن وضعت الحرب أوزارها حيث كانت على شكل نفط خام تم تزويده لمصافي النفط في السويس (حيث إن آبار النفط في سيناء تم تدميرها) وبشكل متردد وافق ملّاك شركة أرامكو بنقل النفط لعبد الناصر؛ حيث تم الدفع لهم من خلال خصم ريوع النفط السعودية المستقبلية.

ومع ذلك، فقد كان بيّناً من خلال ما سمي سريعاً بالقمم والمداولات في جامعة الدول العربية في تشرين الثاني/نوفمبر، بالإضافة إلى النقاشات الساخنة بين الأمراء السعوديين في الرياض وجدة وغيرها من الأماكن أن السعوديين كانوا قلقين من مجريات الأحداث، فمقابل الأموال التي دفعوها كلها ـ حيث كان المال هو كل ما جاؤوا به حين عقدوا التحالف مع المصريين والسوريين ـ استطاع السوفيات زيادة نفوذهم في المنطقة، وأصبح عبد الناصر أكثر شعبية من أي فترة سابقة، وأصبح الإسرائيليون أكثر خطراً، وكان هناك على الأقل ملكية واحدة، وهي الأردن، مهددة بالانهيار، لقد كانت هناك علامات بأن الملك ومستشاريه كانوا يعيدون التفكير في استراتيجية التعاطي مع عبد الناصر والبحث عن طرق ليحددوا أيها التي ستحط بهم على مرافئ العالم الحر وبعيداً عن تيارات عدم الانحياز الخائنة.

أبو العرب

لم تمر أيام قليلة على الكشف عن مبدأ آيزنهاور إلا وبدأت الخطط

لانطلاقة مزدوجة له من خلال زيارتين لواشنطن من دولتين مختلفتين، **الأولى** كانت بواسطة الملك سعود **والثانية** كانت بواسطة الوصي على عرش العراق الحاكم الملكي عبد الإله، وكان على كلا الملكين أن يقابل كلاً من آيزنهاور ووزير الخارجية دالاس، وإن جرت الأمور كما هو مأمول، فإنه كان من المتوقع أن يلتقيا ببعضهما البعض. فقد كان آل سعود لعقود يعتبرون الهاشميين في العراق والأردن ألد أعدائهم. ومن الواضح أن طموح الجمهوريين كان عالياً على الرغم من أن الخطة واجهت المصاعب منذ البداية على شكل مكالمة من السفير السعودي لوزارة الخارجية الأمريكية في التاسع من كانون الثاني/يناير، فالخبر الذي تم إبراقه للتو إلى السفارة السعودية في جدة يقول: إن الملك سعود «سيلغي زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية إن لم يستقبله الرئيس في المطار». وقد أصر على ذلك باعتبار أن هذا هو مقتضى البروتوكول السعودي، لكن المشكلة أن آيزنهاور لم يفعل شيئاً مماثلاً من قبل، ففي الولايات المتحدة كان البروتوكول الأمريكي هو المهم، فالرئيس يمكن أن يرسل نائبه نيكسون إلى المطار أو محطة القطار لاستقبال هذا الرئيس أو ذاك الملك لكنه هو نفسه لا يغادر البيت الأبيض، إلا أن هذا الأمر تغيّر في الثلاثين من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٥٧م، ظهراً في البرد عندما صافح الرئيس الملك سعود بن عبد العزيز الذي طار من نيويورك على متن طائرة الرئيس المسماة «**كولومبين**»(٦٩).

فالملك الذي وصفته السي آي إيه قبل عام بأنه عامل اضطراب في دبلوماسية الغرب تم منحه الآن شكلاً جديداً، فقد كنا نعتقد أنه ملك فاسد، بطيء الفهم، غير مؤهّل، ذو سلطة مطلقة، يتجاهل احتياجات شعبه. لقد كنّا مخطئين، فبحسب صحيفة **النيويورك تايمز**، فالملك سعود كان يكافح من «أجل تحقيق النقلة من مجتمع مشابه للمجتمع البريطاني في عهد الملك آرثر إلى القرن العشرين» والملك «كما يبدو أنه وجد نفسه، فهو قد جعل من الاعتدال الكلمة السحرية لحكمه في الداخل وفي علاقاته الخارجية»(٧٠).

(٦٩) State to Dhahran, Telegram 264, 9 January 1957, RG 59, 786A.11/1-957, and E. W. Kenworthy, "President to See Saud at Airfield," *New York Times*, 26/1/1957, p. 9.

(٧٠) "Worried Oil Monarch," *New York Times*, 30/1/1957, p. 2.

أما دانا آدامز شميدت (Dana Adams Schmidt)، وهي مراسلة مجلة التايم الرئيسة في الشرق الأوسط، فقد نشرت تقريراً في الصفحة الأولى في اليوم الذي وصل فيه الملك إلى واشنطن ذكرت فيه تقييم الخبراء لهذه الزيارة، فزيارة الملك كانت «مفتاحاً رئيساً للشرق الأوسط»، والمحادثات التي أجريت كانت «نقطة تحول في الحياة السياسية للشرق الأوسط» مع ملك يعتبر «الزعيم الروحي للعالم العربي». ليس هذا فقط، بل إن مستشاري الملك قالوا: إنه لم يكن فقط «الزعيم الروحي للعرب» بل إنه «جاء إلى واشنطن باعتباره أبا العرب».

وتبدو الأجندة الأمريكية هنا واضحة؛ فالولايات المتحدة كانت تطمح إلى تحقيق إعادة اصطفاف مهم، حيث يقتنع الملك سعود بأنه «لديه من المشتركات مع الملك فيصل في العراق، والتي كانت غنية بالنفط أيضاً أكثر مما لديه مع الرئيس عبد الناصر، والذي كان يمثل الحركة الثورية المناهضة للإقطاع في العالم العربي والتي قد تطيح في يوم واحد بآل هاشم وآل سعود معاً»، إلا أن، كما تقول شميدت: «ما يريده الملك سعود، وما يمكن للولايات المتحدة أن تقوم به، ليس واضحاً»[٧١]. فمن دون أن يشعر بأي خجل، كان الملك في أمسّ الحاجة إلى المال، وكذلك كان يريد سلاحاً أكثر، كما أنه يريد بشكل صريح أن يبقى الأمريكيون قريبين منه في الظهران، وذلك على الرغم من أن الاتفاقية المتعلقة بقاعدة الظهران كانت قد انتهت في شهر حزيران/يونيو الماضي، ولعله يريدهم لأن مساحة المناورة لملك يريد تغيير مسار سياسته الخارجية ضيقة وهو «رجل كبير»، «لا يرى في إحدى عينيه وبالكاد يرى في الأخرى، وهذا هو السبب في كونه يضع نظارة شمسية بشكل دائم»[٧٢]. كما أنه لا يبدو متقناً لفن السياسة، ولا أدل على ذلك سوى رأس المال الذي أهدره من أجل جلب زعيم العالم الحر إلى المطار حتى يستقبله.

أملى آيزنهاور مذكرة تعطي فكرة عامة عن فحوى لقاءه الخاص الذي

(٧١) Dana Adams Schmidt: "Saud's Visit Seen as a Mideast Key," New York Times, 31/1/1957, p. 1, and "Saud Is Eager for Serious Talks, King's Aides Say," *New York Times*, 29/1/1957, p. 5 (for "father of the Arabs" quote), and David Newsom, Memorandum of Conversation, 15 January 1957, RG 59, 786A.11/1-1557.

(٧٢) "Worried Oil Monarch," p. 2.

امتد لساعتين مع الملك سعود ومترجمه، فالملك قال: إنه «يريد التحدث عن أمور في غاية السريّة والحساسية، وبعضها شخصي أيضاً». إلا أن المشكلة هي أن آيزنهاور «لم يستطع التمييز أي الأمور التي تحدث عنها سعود كانت سريّة... وأيها أقل حساسية». استعرض الملك سعود قائمته الصغيرة بشكل مطوّل: الأسلحة («البريطانيون يحاولون قضم بعض حدودي») والمساعدة («لقد قال: إنه يعمل بجد من أجل بناء المدارس والمستشفيات والطرق والمواصلات... فكل الأموال التي تسلمتها قمت بصرفها بحكمة على هذه الغايات النبيلة»). وبشكل عام، كانت ردة فعل آيزنهاور مبتذلة («لقد كان مستجيباً عندما ذكرت له أن القرية الصغيرة والمصانع المتعلقة بالأمور المنزلية تعتبر أكثر أهمية لبلد ذي مستوى معيشي منخفض من مصانع المنتجات الثقيلة») بل إن الملك أقر «أن إسرائيل، كدولة، باتت حقيقة تاريخية ويجب قبولها كذلك».

أما الموضوع السري فقد كان طلباً كما حاول آيك (Ike) تذكره، «بدعوة كل من جمال عبد الناصر وملك سوريا لزيارتي». فسعود قد نبّه بشكل مستمر أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تبالغ بتصوير مدى النفوذ السوفياتي في هذين المكانين، لنتخيّل ردة فعله لو علم بأن آيك لم يكن أصلاً يعلم من يحكم دمشق، وكان الملك، قبل ذلك قد أخبر دالاس بأن «أغلبية الأمور التي كانت تقلق الولايات المتحدة إنما هي تمظهرات للقومية العربية»، وليست الشيوعية، وهو الأمر الذي استجاب له دالاس باقتراح أن يقوم سعود بلقاء أخيه ألين (Allen). ختم سعود اللقاء الخاص بتحذير أن الوقت بات ضيقاً، فقد استطاع وحده أن يوقف الحرب من الاندلاع في الشرق الأوسط، لكن الحرب اليوم باتت أقرب من أي وقت مضى[٧٣].

شكّل الجانبان السعودي والأمريكي مجموعات عمل واتجها بسلاسة نحو اتفاق بينما كان الملك سعود وزوجاته وخدمه يستجمون في وايت

(٧٣) Memo dated 31 January 1957, Box 41, Saudi Arabia, Ann Whitman Files, President Dwight D. Eisenhower's Office files, 1953-1961, Part 2: International Series, Eisenhower Library, Abilene, Kansas. For the exchange of views with Dulles, see State Department, Memorandum of Conversation, 1 February 1957, White House, Whitman Files, Box 41, Saudi Arabia. Note too that an unnamed Saudi official was revealing all the same things publicly to the *New York Times* a few days later.

سولفور سبرينغز (White Sulfur Springs) في ولاية فرجينيا الغربيّة لمدة أسبوع، تم إسقاط المطالبة السعودية بمبلغ ٥٠ مليون دولار كأجار للقاعدة العسكرية بسرعة كما أنهم لم يستطيعوا تحقيق الكثير من رغبتهم في الحصول على مساعدات تنموية جديدة، وافق الأمريكيون على بيع السعوديين مزيداً من السلاح ودفع ما قيمته ٤٥ مليون دولار من أجل تدريب الجيش والقوات الجوية، وبالمقابل وافق الملك على تمديد اتفاقية قاعدة الظهران الجوية حتى عام ١٩٦١م. وإذا أضفنا خمسة ملايين دولار من أجل زيادة منفذ جوي جديد وتطوير ميناء الدمام، يستطيع السعوديون ادعاء الحصول على الخمسين مليون دولار، ولقد ساوموا على نوعية البنادق، والدبابات، والطائرات، وعلى ما إذا كانت الأجهزة جديدة أو مُعاد تصنيعها، وما إلى ذلك، لكن الصفقة الرئيسة نفسها تمت الموافقة عليها قبل التوقيع الفعلي على اتفاقية التجديد في شهر نيسان/أبريل بشهور(٧٤).

بدا مستقبل العلاقة الخاصة بين السعودية وأمريكا باهراً في واشنطن مطلع شهر شباط/فبراير من عام ١٩٥٧م، فالرئيس كان يبارك الملك، والملك كان يثني على مبدأ آيزنهاور: («إنها فكرة جيدة»)، وكان كل ما تبقى القيام به هو أن يجتمع الزعيمان وأعوانهما لينهوا ترتيبات كتابة البيان الختامي المشترك(٧٥). المثير للسخرية في «نص سعود وآيزنهاور» هو في

(٧٤) For an outline of the terms, see Gordon Grey, Assistant Secretary of Defense, to Robert Murphy, Deputy Undersecretary of State, 4 February 1957, RG 59, 786A.11/2-457.

انظر:

Dana Adams Schmidt, "U.S.-Saudi Talks Reach an Accord on Base and Aid," *New York Times*, 8/2/1957, p. 1.

(٧٥) See the account of the impromptu press conference in Dana Adams Schmidt, "President Hails Saud Visit, King Praises Mideast Plan," *New York Times*, 7/2/1957, p. 1. The memorandum from the meeting has been heavily redacted. All of the king's requests are still secrets of state except one. Might the communique specify that the target of American development support was "the country as a whole and not mention restricting economic development to the Dhahran area only"? Eisenhower replied that this was "put in for public relations reasons since he had to tie economic help to mutual defense. He suggested however that the communique state that the U.S. agreed to provide economic facilities that would serve to augment the mutual security of both countries". See Department of State, Memorandum of Conversation, 8 February 1957, White House, Box 41, Saudi Arabia, Ann Whitman Files, President Dwight D. Eisenhower's Office files, 1953-1961, Part 2: International Series, Eisenhower Papers.

تشديده المتكرر على حق شعوب الشرق الأوسط في «سيادتها الكاملة» أما النقطة الثالثة من النقاط الست التي «توصّل زعيما البلدين إلى اتفاق كامل بخصوصهما» فتقول: «أي اعتداء على الاستقلال السياسي أو الحدود الوطنية لهذه الدول أو أي تدخّل من أي مصدر في شؤون دول المنطقة سيتعبر تهديداً للسلام والاستقرار فيها، ومثل هذه الأعمال ستتم مواجهتها بحسب أهداف ومبادئ الأمم المتحدة»[٧٦].

لماذا تثير السخرية؟ لأن أسهل طريقة لفهم الأحداث في الأشهر القليلة القادمة ـ صعود الملك الخاطف وسقوطه باعتباره بديلاً عن جمال عبد الناصر، والصعود الحاد ثم التعثّر لمبدأ آيزنهاور، والانهيار المفاجئ لسعود ـ إنما يعود لثلاث عمليات تدخّل سريّة فاشلة في الشؤون الداخلية في الدول الأخرى: **الأولى**، كانت من قبل مصر تجاه الملكيات في الأردن والسعودية في شهر نيسان/أبريل. **والثانية**، كانت من قبل الأمريكيين تجاه الحكومة اليسارية في سوريا. **والثالثة**، كانت من قبل السعوديين الذين حاولوا إصلاح ما أفسده الأمريكيون في آذار/مارس من عام ١٩٥٨م.

الرجل الذي سيصبح مهيمناً

من أجل تقدير حجم الدراما هنا، لنتأمل أولاً تحالفات دول المنطقة لحظة وصول سعود وعبد الإله إلى واشنطن، فالعراق كان يعتبر حليف الغرب الحقيقي الوحيد، أما عبد الناصر فكان يتم تصويره بشكل متزايد في **النيويورك تايمز** بأنه قوة إمبريالية صغرى، مدعومة من قبل موسكو وإن لم تكن خاضعة لها، ويترأس تحالفاً عربياً مهيمناً يضم مصر وسوريا والسعودية، حيث إن هذه الأخيرة تقوم بتمويل الناصريين. أما الأردن الخاضعة للملك حسين ذي الواحد والعشرين عاماً الذي لم يتم اختباره بعد، فقد اختارت الانضمام إلى المعسكر القومي العربي؛ حيث قامت بطرد الجيش البريطاني مقابل كثير من الدعم المالي من السعوديين.

في الثامن عشر والتاسع عشر من نيسان/أبريل، وذلك بحسب السفارة الأمريكية «كشفت السلطات السعودية عن مخزن أسلحة» مخبّأ في قصر

---

(٧٦) "Eisenhower-Saud Text," *New York Times*, 9/2/1957, p. 2.

الملك في الرياض، وقد اعترف شخص فلسطيني بأنه قد وضع الأسلحة هناك بناء على تعليمات من الملحق العسكري المصري المقدّم جمال خشبة. تقدّم السعوديون بطلب مساعدة فوري من الولايات المتحدة من أجل التقليل من اعتمادها على جنود الجيش المصري وقدمت قائمة بـ٢٥ وظيفة رئيسة شاغرة يجب ملؤها بأسرع وقت ممكن[٧٧]. في السادس والعشرين من نيسان/أبريل أقلع وفد مصري رفيع المستوى يترأسه مستشار جمال عبد الناصر علي صبري، ويتضمن من كان وقتها رئيساً للمجلس الإسلامي، وهو أنور السادات، إلى الرياض لمنع تشكيل نظام معادٍ لعبد الناصر بشكل كامل. أما الملك حسين في الأردن فقد أعلن حالة الطوارئ معلناً بحسب صياغة **النيويورك تايمز**: «الحرب حتى النهاية ضد مؤامرة لإسقاطه... تتلقى دعمها من مصر». في الرابع من أيار/مايو، قامت مجلة **التايمز** بنشر تقرير آخر على صفحتها الأولى كتبه مراسلها في بيروت، سام بوب بروير (Sam Pope Brewer)، بعنوان «مؤامرة لقتل الملك سعود بتورط مصريين». ادعى المصريون أن هذه الخلايا كانت مزروعة للاستخدام ضد أهداف بريطانية مستقبلية في البحرين، لكن بعد شهور قال أحد أعوان الملك: إن المؤامرة ضد سعود كانت حقيقية، وقال ذلك جواباً على انحياز الملك المجازف نحو أمريكا[٧٨].

إلا أن ما لا يمكن إنكاره هو أنه منذ حزيران/يونيو ١٩٥٧م، أي بعد مرور ستة أشهر على مبدأ آيزنهاور، تمت الإشادة بسعود لأنه قام بتجاوز «الأزمة طويلة الأمد بين آل سعود والهاشميين» وقدرته على موازنة الشر المتمثّل في حثّ عبد الناصر «على تكوين كتلة معادية للغرب». أعادت عمليات عبد الناصر الفاشلة النظام الإقليمي إلى طبيعته بين إقطاعيين وبين معارضين للإقطاع وعززت من موقف الملك سعود: «إن الشخص الرئيس للظروف السيئة للتحالف في العالم العربي هو الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية، والذي قام في الشهرين الماضيين بأكثر مما قام به أي

(٧٧) Jidda to State, 272, Fortnightly Review of Events in Saudi Arabia, May 1-15, RG 59, 7786A.00/5-2257, and Memorandum, Rountree to Murphy, Saudi Arabia: Request from King Saud for Help in Replacing Egyptian Military Personnel, 23 April 1957, RG 59,786A.5-MSP/4-2357.

(٧٨) Jidda to State, 46, 28 August 1958, Conversation with Ghalib Rifa'i, RG 59, 786A.00/ 8-2858.

شخص آخر لردع مسيرة جمال عبد الناصر نحو زعامة تحالف قومي مناهض للغرب في الشرق الأوسط»[٧٩].

إن النتيجة المتوقعة لهذا التي ستمر من دون أن يتم ذكرها في الصحافة الأمريكية طالما كان ولاء سعود مستمراً لإجماع واشنطن، هو تعاظم مشاكل المملكة المالية المتراكمة، فالبنوك الأجنبية في جدة كانت تتعاون في ما بينها من أجل مقاومة الضغوط التي تمارسها مؤسسة النقد العربي السعودي ضد تسليف التجار بالدولار مقابل أسعار الريال المتهاوية. كما انتقد كتّاب الصحف إسراف الوزارات وعدم كفاءتها، وارتفاع تكلفة المعيشة، وانخفاض سعر الريال، وتهريب رؤوس الأموال (من قبل الأمراء قبل غيرهم)، وغياب أي استثمار إنتاجي من أي نوع في السعودية ـ فكوكا كولا وبيبسي لا تفيان بالغرض[٨٠].

وتحت الضغط، قام الملك بعقد مؤتمر جمع كبار التجار والمسؤولين في البلد أعلن فيه عن تأسيس هيئة ملكية جديدة بقيادة الأمير مساعد بن عبد الرحمن مكلفة بإعادة إنعاش الاقتصاد السعودي، وكانت الخطوة الأولى هي الموافقة على قانون خاص بترخيص الواردات، واختلف الأعضاء فيما بينهم ليتعطل العمل على إصدار قانون للتحكم في التبادل الأجنبي («والذي كان سيخرج صرافي العملة خارج السوق»)، وكذلك الأمر فيما يتعلق بخطة من قبل مؤسسة النقد لإصدار عملة جديدة عوضاً عن الريال[٨١]. ولم يعجب التجار والمصرفيون بقيود الاستيراد الجديدة، إلا أن الأخيرين أقروا بأن مؤسسة النقد بدأت بتحقيق تقدم في موضوع ديون الحكومة. وفي شهر آب/ أغسطس أنهت الحكومة مفاوضاتها للانضمام إلى كل من البنك الدولي

(٧٩) Editorial, "Struggle for Arabia," *New York Times*, 15/6/1957, p. 16. "In the struggle for the soul of the Arab peoples now under way between the pro-Soviet and imperialist elements led by President Nasser and the anti-Communist forces backing the principles of the Eisenhower Doctrine, King Saud of oil-rich Saudi Arabia is obviously emerging as the key figure". Also see the next day's story by the staunchly anticommunist Cairo correspondent, Osgood Caruthers, "King Saud Now Plays Key Role in Mideast," *New York Times*, 16/6/1957, p. 3.

(٨٠) Jidda to State, 289, Fortnightly Review of Events in Saudi Arabia, 16-31 May 1957, RG 59, 786A.00/6-1157.

(٨١) Jidda to State, 305, Fortnightly Review of Events in Saudi Arabia, 1-15 June 1957, RG 59, 786A.00/6-2757.

وصندوق النقد الدولي، وسيصل مسؤولون من الأخير في الخريف من أجل تقديم المشورة حول تطبيق خطة للتقشف[٨٢].

كان البحث عن مصادر جديدة للتمويل من أجل التعويض عن انخفاض مداخيل النفط بعد أزمة قناة السويس هو المحرّك الرئيس وراء الحملة المتعددة الجوانب التي شنها عبد الله الطريقي ضد أرامكو. تذكّر تلك الحملة من أجل الحصول على حصص الريع بأثر رجعي من الأرباح التي حصلتها الشركات المالكة لأرامكو من بيع النفط عبر التابلاين في منفذ صيدا، فخدعة تحويل الأسعار قوّت من حجة الطريقي بأن المملكة ستحصل على أرباح كبيرة إذا قامت أرامكو بتولي مسؤولية عملياتها كافة. وأخيراً، كان الطريقي على شهر أو نحوه من إعلان الصفقة الأولى التي تعهدت للسعودية بأكثر من خمسين في المئة من الأرباح وذلك مع شركة النفط الوطنية اليابانية في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت[٨٣].

وفي موسم جني حصاد السخرية سيعود آيزنهاور إلى منزله بجائزة المركز الأول، ففي التاسع من آب/أغسطس من عام ١٩٥٧م، قدّم تقريراً للكونغرس حول نجاح مبدئه: «علامة على سياستنا الخارجية فيما يتعلق بالشرق الأوسط»، في تحقيق السلام والاستقرار في تلك «المنطقة المشتعلة»، وأن هذه النجاحات «ستستمر في النمو طالما تم الحفاظ على الأهداف والمبادئ التي تعتمد عليها»، إلا أنه بعد ثلاثة أيام قامت القوات السورية بمحاصرة السفارة الأمريكية وطرد ثلاثة عملاء متخفين للسي آي إيه بسبب تورطهم في محاولة إسقاط حكومتهم[٨٤].

وبشكل مفاجئ قام وزير الخارجية المكلّف، والذي كان سوري

---

(٨٢) Jidda to State, 8, Fortnightly Review of Events in Saudi Arabia, 16-30 June 1957, RG 59, 786A.00/7-1157.

(٨٣) Jidda to State, 81, 17 October 1957, Documents Concerning ARAMCO-Saudi Arabian Government Income Tax Issue, RG 59, 886A.112/10-1757 (reviewing the course of negotiations, June-August 1957); "A Super Aramco Could Lift Profits, Saudi Aide Asserts," *New York Times*, 17/9/1957, p. 47, and Sam Pope Brewer, "Saudi Oil Terms for U.S. to Stand," *New York Times*, 17/12/1957, p. 5 (threatening to press for revisions of the ARAMCO fifty-fifty norm).

(٨٤) For full details, see the careful account by Douglas Little, "Cold War and Covert Action: The U.S. and Syria, 1945-1958," *Middle East Journal*, vol. 48, no. 1 (Winter 1990), pp. 51-75.

المولد، يوسف ياسين بالاعتراض على تقرير تم بثه في إذاعة صوت أمريكا يقول: إن المعونات للأردن كانت في طريقها من القاعدة الأمريكية في الظهران، فقد كان السعوديون حسبما قال سعداء بالمعونة لكن استخدام القاعدة لهذه الأغراض يعتبر مخالفاً لشروط الاتفاقية، تلا ذلك تصريحات إضافية تؤكد أنه على عكس التقارير الصادرة لم تكن الظهران بأي حال قاعدة أمريكية، فالحكومة السعودية لم تقبل بمبدأ آيزنهاور (وذلك بحسب عدد صحيفة البلاد السعودية، في ٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٧م)، وعندما ذكرت إذاعة البي بي سي بأن السعودية تلقت مساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية نشرت الحكومة نفياً رسمياً: «لم تحصل حكومة المملكة العربية السعودية على أي مساعدات مالية من أي حكومة»[٨٥]. فكل إشارة إلى مساعدة متعلقة بمبدأ آيزنهاور كان يتم إسقاطها، كما أن السعوديين اعترضوا عندما كان يشار إلى الرئيس الجديد للبعثة التدريبية الأمريكية بلقبه الثاني: «القائد في القسم الثاني في سلاح الطيران، أوروبا، ضمن رئاسة الأركان في الظهران»[٨٦] وهذا كله ليس بسبب أن هذه الأمور كانت تعني شيئاً، بل لأن كاتب عبد الناصر الموثوق محمد هيكل كان يسخر من الملك على صفحات جريدة الأهرام بوصفه لا شيء أكثر من أداة بيد الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد بدا التراجع عن الحرج الأولي من مبدأ آيزنهاور كما لو كان سيتحول إلى مسار جديد، فقد اختار السعوديون مسؤولاً في جامعة الدول العربية، وهو الرئيس السابق لبعثة سوريا في الأمم المتحدة والرئيس المستقبلي لمنظمة التحرير الفلسطينية، أحمد الشقيري، ليكون ممثلاً للسعودية في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وفي ظهوره الأول كسعودي في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥٧م تقدم بهجوم حاد على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، حاول الملك سعود التخفيف من أثر هذه الكلمة عبر إرسال «رسالة حميمية» إلى آيزنهاور. وكان مراقبو سلوك القصر

---

(٨٥) Jidda to State, 55, Fortnightly Review of Events in Saudi Arabia, 1-15 September 1957, RG 59, 786A.00/9-1857, and Jidda to State, 72, Fortnightly Review, 16-30 September 1957, RG 59, 786A.00/10-957.

(٨٦) Jidda to State, Telegram 535, RG 59, 786A.5-MSP/12-1057.

يعملون ليل نهار من أجل الإجابة عن هذه الأسئلة: ماذا يحدث للسياسة الخارجية السعودية؟ لماذا يستمر وزير الخارجية، ولي العهد فيصل، في تأجيل عودته من الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء العملية في شهر تموز/يوليو[٨٧]؟

وافق البيت الأبيض على إجراء لقاء بين آيزنهاور وفيصل في الثالث والعشرين من شهر أيلول/سبتمبر، وهو اليوم الذي انسحب فيه الحرس الوطني لولاية آركانساس من ثانوية سنترال (Central High School) في بلدة ليتل روك (Little Rock) ليحاول بعض الغوغاء إحراق تسعة طلاب سود في الداخل، ليأتي رد آيزنهاور بإرسال جنود فدراليين في اليوم التالي. من المشكوك فيه أن تكون دعوة الملك فيصل لها علاقة بسياسة إنهاء التمييز العنصري، فقد كان «متوقعاً منه أن يتبع الموقف العربي» فيما يتعلق بسوريا وإسرائيل، لكن الوثيقة المتعلقة بكامل المحادثة لا تزال تصنف بأنها سريّة، في المؤتمر الصحفي بعد ذلك أصر فيصل على أن سوريا لم تهدد أيّاً من جيرانها العرب، وذلك لأنها لو فعلت فإنه بناء على مبدأ آيزنهاور فسيتوجب على الولايات المتحدة أن تتخذ موقفاً. وقد قال البعض: إن آيزنهاور ودالاس قد قاما بالتلطيف من نبرة هذا النوع من الخطاب بعد رجاء شخصي من سعود، إلا أن وزارة الخارجية كانت تنفي ذلك، فقد كانت مذكرتها لآيزنهاور ليلة اللقاء تقترح دوراً للسعودية في الأشهر القادمة: «نأمل أن تستطيع المملكة العربية السعودية استخدام نفوذها من أجل الحدّ من التوجه الموجود في سوريا وتحويله نحو جعل هذا البلد تابعاً»[٨٨]، وفعلاً حاول الملك سعود ذلك.

بقي فيصل في الخارج حتى شهر شباط/فبراير من عام ١٩٥٨م، وذلك إما لأنه أراد أن يرى أخاه يستمر في مساره المتعثر باعتباره سلاح أمريكا السري في حربها ضد عبد الناصر بينما كان ريع النفط يتقلص في الداخل

---

(٨٧) Jidda to State, 72, Fortnightly Review, 16-30 September 1957, RG 59, 786A.00/10-957.

(٨٨) Memorandum by Robert Murphy to Eisenhower, 20 September 1957, Subject: Meeting with Crown Prince Faisal of Saudi Arabia, White House, Box 41, Saudi Arabia, Ann Whitman Files, President Dwight D. Eisenhower's Office files, 1953-1961, Part 2: International Series, Eisenhower Papers.

وقيمة الريال تتهاوى، أو لأن أخاه لم يوافق على شروط عودته. وبالمصادفة، قامت أرامكو بزيادة الضغوط على حكومة سعود، فقد استطاع وزراء الملك الضغط على أرامكو في شهر شباط/نوفمبر لضمان مبلغ ١٦ مليون دولار إضافي على شكل قروض من بنوك نيويورك إلى جانب الـ٢٥ مليون دولار التي اقترضت في شهر أيلول/سبتمبر، وهذا الإجراء كان نسخة مطوّرة لآخر مشهور كان قد قام به الملك عبد العزيز من قبل. وفي شهر تشرين الثاني/نوفمبر وصل خبيران من صندوق النقد الدولي، وكما هو متوقع منهما فقد أرادا إلغاء كل القيود على الواردات والعملة، وهي الخطوة التي ستتطلب تعاون أرامكو على شكل سلفة كبيرة من أجل استقرار الريال، وذكرت السفارة الأمريكية أنهم طلبوا ما قيمته ٩٠ ـ ١٠٠ مليون دولار. ردت الشركة بعدة اقتراحات من أجل توفير المبلغ المطلوب من دون اللجوء إلى خزينة أرامكو، فعلى سبيل المثال، سيوافق الطريقي أخيراً على مقترح الشركات المالكة لأرامكو بأن تؤسس شركات جديدة متاجرة بالنفط لاستبدال نظام الخصومات القائم؛ كما أنه كان من الواضح أن هناك تبذيراً في الموارد، وبالتالي كان من المرجح أن مصير سلفة المئة مليون دولار سيكون مماثلاً، ولهذا قامت الشركة برفض طلبهم بشكل مؤدّب، مما أدّى إلى تقدّم عمل صندوق النقد الدولي بشكل بطيء، وعندما نشرت أول ميزانية جديدة بعد ثلاث سنوات في شهر كانون الثاني/يناير، نقلت السفارة الأمريكية اللحظة غير المسبوقة بتخفيض حصة العائلة الحاكمة، وهو الأمر الذي وافق عليه الملك لكن تمّ رفضه من قبل بعض كبار الأمراء[٨٩].

أما الأخبار في ما يتعلق بالشؤون الخارجية فقد كانت أشد إحباطاً، ففي شباط/فبراير من عام ١٩٥٨م، اندمجت سوريا ومصر لتشكلا دولة واحدة، هي الجمهورية العربية المتحدة (UAR)؛ إذ سلّم شكري القوتلي السلطة لعبد الناصر، كما ضغطت اليمن من أجل الانضمام. وبالمقابل قام كل من العراق والأردن بإعلان اتحاد عربي فدرالي مضاد. وقد كان الملك سعود مذهولاً، ذلك أنه قد تم إرجاعه إلى المربع الأول في محاولته إيقاف

(٨٩) Jidda to State, 112, Fortnightly Review, 1-15, November 1957, RG 59, 786A.00/11-2057; Jidda to State, Fortnightly Review, 16-31 December 1957, RG 59, 786A.00/1-958, and Jidda to State, 151, Fortnightly Review, 1-15 January 1958, RG 59, 786A.00/1-2158.

انتشار الناصرية. أما أخو الملك فيصل، فقد كان في مصر لحظة الإعلان عن الوحدة المصرية ـ السورية، حيث قام بمباركتها، ورفض مبدأ آيزنهاور، وهاجم «البروباغندا الصهيونية وأعوان الإمبريالية» الذين ادعوا أن السعودية تعارض هذه التطورات العظيمة. عاد إلى الوطن من القاهرة في الثالث من شباط/فبراير بعد انقطاع غير مسبوق لثمانية أشهر. وفي الوقت نفسه، أكدت السفارة الأمريكية لواشنطن أن الملك لن يهاجم الجمهورية العربية المتحدة بشكل علني ولكنه كان معارضاً لها(٩٠).

في الخامس من آذار/مارس، اتهم رئيسُ المخابرات العسكرية السورية المَلِكَ سعوداً بتدبيره محاولة اغتيال جمال عبد الناصر وتدمير الجمهورية العربية المتحدة، وبأنه كان يعمل نيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية، وقام بدفع خمسة ملايين دولار على شكل رشاوى، مستخدماً أحد أنسبائه وسيطاً، نفت الولايات المتحدة ذلك، كما حاول السعوديون منع وصول الأخبار إلى المملكة، إلا أن إذاعة صوت العرب في القاهرة نشرت التفاصيل وهاجمت الملك بلا رحمة طيلة الأسابيع التالية. من الصعب التثبت من حقائق ما حدث، خصوصاً عندما يقوم الصحافي. هيكل، الذي تحوّل إلى مطبّل بنشر تفاصيل الهجوم المدّعى جنباً إلى جنب في جريدة **الأهرام** مع «دليل» على أن الملك سمح للأمريكيين بتخزين قنابل نووية في قاعدة الظهران الجوية، وهي الكذبة التي تم تكرارها لسنوات(٩١).

ولن يكون من السهل على مدى الأسابيع التالية تمييز الحقيقة من الخيال، فكيم فيلبي، وهو عميل سوفياتي مزدوج كان يعمل متخفياً لدى الاستخبارات البريطانية بوصفه مراسل صحيفة **الإيكونوميست** في بيروت، ذكر للسفارة الأمريكية بأن لجنة ملكية تم تشكيلها من أجل التحقيق حول التهمة الموجهة ضد سعود، وبعد اجتماعها: «قام ثلاثة من أعضاء اللجنة... بالاستقالة لأنهم كما نقل إلينا وجدوا دليلاً على أن المؤامرة كانت حقيقية»، على الرغم من أن الملك نفسه لم يكن لديه أدنى علم بالخطة، وكان مصدرَ أخبار فيلبي هو أبوه، والذي عاد ليستقر مرة أخرى في

---

(٩٠) Jidda to State, 167, Fortnightly Review, 1-15 February 1958, RG 59, 786A.00/2-1958.

(٩١) Osgood Caruthers, "Nasser Is Pressing His Attack on Saud," *New York Times*, 9/3/1958, p. 1.

الرياض ويتسمر في القصر[٩٢]. والأمر لا يعني أن الحقيقة مهمة للأحداث، فمؤيدو فيصل اجتمعوا من أجل إعادته إلى السلطة، فقد كانت هناك إشاعات عن انقلاب عسكري. وقد صدقها عميل السي آي إيه بل إيدي، والذي لطالما كان معجباً بفيصل، ناقلاً أن الملك كان «مصاباً بالذعر»، إلا أن السفير الأمريكي ومصادره وكذلك أرامكو والقاعدة الجوية لم يصدقوها وذكروا ذلك لواشنطن.

وقد وصف البعض الأمر الملكي في الثالث والعشرين من آذار/مارس بنقل الملك لمسؤولية إدارة شؤون البلاد والخارجية لأخيه بأنه عبارة عن انقلاب في القصر، أما الآخرون فقد رأوها خطوة ذكية من الملك باعتبارها رداً على التهمة المصرية بأن المملكة تتفكك وبأن فيصلاً موالٍ لعبد الناصر، وقد كان السفير الأمريكي هيث (Heath) من بين هؤلاء، وبينما كان الانقلاب في القصر يمضي قدماً، رتّب هيث قناة تواصل خلفية يستطيع من خلالها سعود إرسال واستقبال «معلومات في غاية السريّة من الولايات المتحدة الأمريكية لجلالته»[٩٣].

(٩٢) Dhahran to State, Telegram 537, 26 March 1958, RG 59, 786A.00/3-2658.

(٩٣) Jidda to State, Telegrams 897, RG 59, 786A.00/3-1558; 929, RG 59, 786A.11/3-2158, and 943, RG 59, 786A.00/3-2358.

الفصل السابع

الرأس الأحمر

ويمكن أن نعتبره ناموساً أن المعارضين الشرسين لسعي الحكومة نحو تملك الثروات وإدارتها لن يكونوا سوى أولئك الذين سيجنون كثيراً من الأرباح في حال استطاعوا منع ذلك من التحقق.

والاس ستيغنر

وقد ذكر هاردي بأنه لا يستطيع إلا أن يتوقع وقتاً عصيباً ستمر به أرامكو مهما تكن السياسات التي ستتبناها الشركة.

مذكرة وزارة الخارجية الأمريكية

إبقاء كتاب «اكتشاف» سراً

في شهر تموز/يوليو من عام ١٩٥٥م، وبعد أسبوعين من فترة العرض القصيرة لفيلم «جزيرة الله» في مسرح ترانس ـ لوكس (Trans-Lux) على الشارع التاسع والأربعين في نيويورك، هاتَف منتج الفيلم، واسمه راي غراهام (Ray Graham)، الكاتب والاس ستيغنر ليحادثه بشأن فكرته اللامعة التي خطرت له حديثاً. وكانت أرامكو تريد نشر كتاب يكون مرافقاً للفيلم، واقترحت ستيغنر لكتابة «قصة روّاد النفط الأمريكيين في الجزيرة العربية» وكان العرض أن يتقاضى ستيغنر ما قيمته ٦٥٠٠ دولار، على أقل تقدير، أي من دون التكاليف الأخرى التي ستغطيها الشركة، وهذا المبلغ يساوي اليوم قرابة ٤٢ ألف دولار، وذلك بشرط أن يستغرق العمل ثلاثة عشر أسبوعاً.
كان تخوّف ستيغنر الوحيد هو من تدخل الشركة في عمله: «أنا لا أحب أن أكون مشوِّهاً أو ملمِّعاً للأعمال التي أكتب عنها، ما أود القيام به هو أن أجعل من هذا الكتاب تاريخاً مباشراً وصادقاً... وحتى أستطيع أن أقوم

بذلك فأنا بحاجة إلى عدم تقييد يديّ»[1].

إن الأسبوعين اللذين قضاهما في الظهران والمنطقة المحيطة في كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٥٥م، وهي السنة التي شهدت الكفاحات العمالية الأشد في أحياء العمال، قد ثبطا ثقة ستيغنر في قدرته بأن يسلم الكتاب الذي كانت تأمل به الشركة في الوقت المحدد، وقد عبّر عن شكوكه هذه في رسالة كتبها وهو لا يزال في الحيّ الأمريكي:

من الواضح أن قصة رائعة يمكن كتابتها هنا، قصة ليست فقط مهمة للشركة أو للمملكة العربية السعودية، بل مهمة للعالم أجمع. وهي قصة يمكن كتابتها بطرق عديدة؛ إذ يمكن حكايتها باعتبارها قصة نجاح، أو قصة نوع جديد من الحدود، أو تحالفاً جديداً بين القوى السياسية والاقتصادية، أو قصة التقاء واندماج لثقافات متنوعة، ويوماً ما سيأتي شخص ويجمع هذه الأشياء كافة في كتاب رائع، إلا أنه من الواضح أيضاً أن جانباً كبيراً من القصة من الصعب حكايته الآن إلا إذا كان سيتم إدراجه ضمن ملفات الشركة[2].

فالذي بدأ ستيغنر باكتشافه في الظهران هو ذلك التناقض الذي يقع في قلب صورة الشركة عن نفسها. فإن كان البعض داخل أرامكو يريد للقصة أن تحكى، فإن الآخرين كانوا يخشون مما سيكشفه هذا الكتاب للصفوف المتكاثرة من نقّاد الشركة أو كيف سيقوم هؤلاء النقّاد بتوظيف محتواه.

كتب ستيغنر كتاب **اكتشاف!** بسرعة مذهلة، وفي الثالث من آذار/مارس من عام ١٩٥٦م، ذكر الآتي:

لقد أعلنتُ وقف عملية الكتابة، ولقد أرسلتُ البارحة لتومسون نسختين من المسودة ذات الـ٣٥٧ صفحة، أنا متأكد أن الملاحظات

(١) Telegram, Graham to Stegner, 7 July 7, 1955, Folder 5, Correspondence, Ray Graham 1955; Letters, Stegner to Phillips, Aug. 3, 13, 22 (muckraking quote), and 2 October 1955, Folder 17, Correspondence, T. O. Phillips, 55-56, 1968; contract dated 19 September 1955, Folder 27, Contract for Services of Consultant, 1955, 1958; Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers, and ""Island of Allah" Bows," New York Times, 27/6/1955, p. 35.

(٢) Stegner to H. O. Thompson, Draft, Dhahran, 14 November 1955, Box 29, Discovery Correspondence, Folder 19, Correspondence, H. O. Thompson, 1955-1956, Stegner Papers.

عليها ستصل بعدد صفحاتها إلى ٥٠٥ صفحات لكنها على الأقل الآن خارج سيطرتي... وإذا قمت مرة أخرى بكتابة ٨٠ ألف كلمة في شهر، ومقابل أي سعر، فأرجوكم خذوني إلى بثيسدا (Bethesda) وافحصوا دماغي[٣].

لم يتلق ستيغنر أي رد من الشركة حتى نهاية العام، فقد كان على عملية تفحّص المسوّدة - التي كان يقوم بها مستعربو الشركة وموظفو العلاقات العامة - أن تنافس مشاغل أخرى أكثر أهمية تواجه أولئك الذين يعملون على الأرض، وذلك بسبب بداية جولة جديدة من الإضرابات التي قام بها العمال السعوديون في حزيران/يونيو من عام ١٩٥٦م.

قام ستيغنر بالتواصل مع الشركة مرة أخرى في كانون الثاني/يناير من عام ١٩٥٧م بعد أن وصلته أنباء عن مقتل اثنين من مصادر معلوماته، وقد كان التوقيت ملائماً، إذ كان الملك سعود ومبدأ آيزنهاور حديث الساعة، ومع حلول شهر نيسان/أبريل قامت الولايات المتحدة بتجديد اتفاقية القاعدة الجوية في الظهران، وكانت أسهم سعود لا تزال تتصاعد. قررت أرامكو أخيراً أن تمضي قدماً بمسودة معدلة، وهي اللحظة التي علم بها ستيغنر مصير النص الذي كتبه. فبعد تردد قام تومي تومسون (Tommy Thompson) في قسم العلاقات العامة بإرسال مذكرة الشركة الداخلية[٤] إلى ستيغنر، فكان رد الأخير نارياً بخصوص التعديلات التي طلبت الشركة إجراءها، حيث قال:

فكما تعلم، هذا النوع من الكتب لا يمكن أن يكون إلا أحد أمرين: فهو إما أن يكون بكل صراحة «تاريخ الشركة»، أي مكتوب من قبل موظفي الشركة بحسب مواصفاتها ويُنشر بدعم منها أو على نفقتها، وهذا يجعل منه بشكل جوهري عمل علاقات عامة، وإما أن يكون كتاباً مكتوباً من قبل مراقب خارجي مزود بهذا القدر من تعاون الشركة أو ذاك، ومزود كذلك

---

(٣) Stegner to Sinclair, 7 March 1956, Folder 18, Correspondence, Angus Sinclair, 1955-1956, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers.

(٤) Stegner to Thompson, 5 January 1957; Thompson to Stegner, 2 April 1957; Stegner to Thompson, 6 April 1957; Stegner to Thompson, 6 December 1957; Thompson to Stegner, 9 December 1957, and Stegner to Thompson, 16 December 1957, Folder 19, Correspondence, H. O. Thompson, 1955-1958, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers.

بهذا الحجم من الاطلاع على وثائقها أو ذاك، إلا أنه بشكل رئيس يمثّل تحليله الخاص للناس والأحداث وهو منشور باسمه وعلى مسؤوليته، وإذا كُتب الكتاب بهذه الطريقة، فإن هدفه سيكون الحقيقة التاريخية بحسب قدرة الكاتب على الوصول إليها، وليس السعي نحو النشر غير النقدي لأهداف الشركة وتحسين سمعتها[٥].

فعلى ما يبدو لم تكن المشكلة سوى رغبة ستيغنر هذه في الوصول إلى الحقيقة أو «التحدث بصراحة عن العرب أو علاقة الشركة بالعرب»، فقد كان رأيه أن «صراع الثقافات والشخصيات» كان سمة رئيسة في فترة التخم من تاريخ أرامكو. «وفي هذه الموضوعات فإنه من الصعب معرفة متى استحال التقدير إلى جبن من جهة، ومتى استحال إلى تهور من جهة أخرى»[٦] فقد كان يريد أن يحكم قبضته على الشخصية الرثّة لأغلبية مستثمري النفط، وعلى تصوراتهم عن الناس الذين وجدوا أنفسهم في مواجهتهم، وعلى النمو البطيء لأنماط التعاون والتعاقد بينهم، فكما كتب في إحدى الفقرات التي أثارت جدلاً:

> إنه من الصعب على رجل قضى عشر سنوات أو نحوها من عمره يحفر ثقوباً في الصحراء، ويعيش في خيمة عمال أو كوخ، ويتعلم أن يتعايش مع أناس أجانب وغرباء يضعون بشوتاً على ظهورهم وخرقاً فوق رؤوسهم أن يدرك الطرق التي تسهم بها أعماله اليومية في الضغوط الهائلة التي ترتقي بالأمم والإمبراطوريات وقطاعات كبيرة من سكان العالم أو تهوي بهم.

اعترضت الظهران على سرده لحادثة الثلاثينيات؛ إذ قام رجل صلف من تكساس بضرب عامل سعودي. كما أن توم بارغر أراد حذف وصف «عمال أصليين» (إن كلمة أصليين هي كلمة سيئة، وليس لها أي احترام إلا في كاليفورنيا ونيوإنغلاند، أما في الأماكن الأخرى في العالم فهي لا تعني سوى «مستعمرين مضطهدين) كما أنه بات يقترح في رسائله لما بات يدعى آنذاك

---

(٥) Stegner to Thompson, 24 January 1958, Folder 19, Correspondence, H. O. Thompson, 1955-1958, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers.

(٦) المصدر نفسه.

بـ«حيّ الكوليين» بأن يسمى بـ«حيّ السعوديين»(٧).

وقد بدا الأمر كما لو أن كل فصل من المسودة يمثّل تهديداً، وذلك ابتداء من تأويل ستيغنر لمفاوضات عقد الامتياز الأول، فقد وصفها بأنها «لعبة بوكر، كل من الربح والخسارة فيها عال» وهو الأمر الذي علّق عليه قسم الشؤون العربية في الشركة بأنه يجعل من شركات النفط تظهر كما لو أنها تحاول الحصول على أكبر قدر ممكن من الأرباح، فطُلب منه تغييره، إلا أن تشبيه لعبة البوكر تم استخدامه أصلاً من قبل أحد مفاوضي الشركة نفسها: «أجد من الصعب التصديق بأن ضرراً سيأتي من تصوير المفاوضات بأنها لعبة يسعى فيها أحد المتنافسين الأذكياء من أجل الفوز بأفضل صفقة ممكنة من الآخر، أما ادّعاء بأن المتفاوضين كانوا متفانين ونبلاء فهو أمر يغالط العملية وشخصيات كلا الطرفين»(٨). كما أن أرامكو طلبت من ستيغنر أن يحذف الإحالات إلى الرسائل التي قام هاملتون، كبير مفاوضي الشركة، بإرسالها إلى أمريكا، وصفت إحدى هذه الرسائل تواطؤ الشركات المنافسة من أجل السيطرة على الإنتاج، بينما الأخرى كانت موجهة إلى أرامكو (والتي كان اسمها كاسوك وقتها) بأنها كانت دوماً تعمل «وفق الأوامر التي تصدر إليها من سان فرانسيسكو»، وكما يكشف الأرشيف، وأنها سعت إلى «احتكار ما يقارب كامل الأراضي الغنيّة بالنفط في الجزيرة العربية والمناطق الساحلية في الجنوب منها وحصلت عليه»(٩). وهذه هي التهم عينها التي سيطلقها عبد الله الطريقي بعد عامين من على منصّة أول مؤتمر عربي للنفط في القاهرة عام ١٩٥٩م.

لقد كانت الإشارة إلى التخوم في جنوب المملكة أو إلى حقول النفط هناك أمراً مقلقاً للشركة بشكل كبير، وذلك بسبب الأزمة الحدودية التي لم تنته مع عمان وحلفائها البريطانيين، فقد قامت أرامكو بنقل الجنود السعوديين للاستيلاء على واحة البريمي المتنازع عليها، كما ساعد قسم الشؤون العربية

---

(٧) See the annotated manuscript chapters in Folder 2, First Draft II, The Negotiators, Box 26, Discovery, First Draft, Reader's Copy, and Folder 3, III, The Wildcatters; Folder 7, VII, pp. 302-312, and Folder 9, The Wildcatters, Box 27, Discovery, Stegner Papers.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) Folder 2, First Draft II, The Negotiators, and Folder 7, First Draft, VII, Commercial Production, Box 26 Discovery, First Draft, Reader's Copy, Stegner Papers.

بتقديم الأبحاث والخرائط والمعلومات الأخرى لتدعيم الموقف السعودي، كما قامت بنشر مذكرة الحكومة السعودية الضخمة والمقدمة للجنة التحكيم الدولية التي عقدت في جنيف عام ١٩٥٥م من أجل الفصل في قضية البريمي، نقلت الاستخبارات البريطانية بشكل سري أن أرامكو كانت تعمل ضد حكومة جلالة الملكة، ومصادر أخرى أصرت على أن أرامكو كانت تتعاون مع السي آي إيه، وفي مكتب الشؤون الخارجية البريطانية وصفت أرامكو بأنها «العائق الأكبر أمام التوافق الأنغلو ـ أمريكي في الشرق الأوسط»[١٠].

فلا عجب إذاً أن تقوم الشركة بشطب أي إشارة لمصالح الشركة في قضايا المملكة العربية السعودية الحدودية ولكل الأفعال المعادية لبريطانيا التي قام بها تجار النفط الأمريكيون باعتبارها إحدى حقائق سنوات الحرب. لقد كان ستيغنر مذهولاً من هذا الأمر بشكل واضح.

قامت الظهران بمنع أي إيراد لدور الشركة في مشاكل السعودية الحدودية، لكنها لم تمس أجزاء كاملة من النص كانت تتناول تجارب كل من توم بارغر وديك هاتروب (Dick Hattrup) في استكشاف النفط في هذه الحدود المتنازع عليها، كيف يكون جانب من هذه القصة مسموحاً به في حين أن الآخر ليس كذلك؟ وبشكل أكثر دقة، أليس كلا الجانبين مهماً جداً كأجزاء من تجربة أرامكو في أثناء فترة التخم في الجزيرة العربية بحيث يصبح من الصعب حذفهما[١١]؟

وكانت آخر المسائل التي ناقشها ستيغنر هي مسألة «الصراع مع إسرائيل والحظر السعودي لليهود»؛ فقد كان محقاً بأن هذه القضية كانت مهمة جداً

---

(١٠) Tore Tingvold Peterson, "Anglo-American Rivalry in the Middle East: The Struggle for the Buraimi Oasis, 1952-1957," *International History Review*, vol. 14, no. 2 (February 1992), pp. 71-91, "greatest obstacle" quote on p. 87; Nathan Citino, *From Arab Nationalism to OPEC: Eisenhower, King Sa'ud and the Making of U.S.-Saudi Relations* (Bloomington, IN: University of Indiana Press, 2002), pp. 82-85 and 90-91, and Anthony Cave Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings* (Boston: Houghton Mifflin, 1999), p. 212. Homer Mueller, the ARAMCO Arabist who met secretly with Egyptian and Saudi intelligence officers to promote a rebellion against the British in southeastern Arabia, was himself an undercover CIA officer.

(١١) Stegner to Thompson, 24 January 1958, Folder 19, Correspondence, H. O. Thompson, 1955-1958, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers.

لكثيرين في أمريكا ممن يريدون قراءة الكتاب، فقد كانت الشركة حينها تقاتل في قضية مرفوعة ضدها في نيويورك تتهمها بأنها تخالف قانون عدم التمييز ضدّ اليهود الأمريكيين، فقد طالبت منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو بأن يتم إسقاط كل ذكر لعمالها اليهود الأوائل أو حتى تلك القصة الرومانسية التي حدثت في بيروت في الثلاثينيات بين أحد موظفيها الصلفين من تكساس وشابة من حيفا.

أنهى ستيغنر رده الطويل بعرض الخيارات المتاحة: إما إنهاء المشروع باعتباره شديد الخطورة، أو نشره من دون أن يذكر اسمه عليه، أو منحه لكتّاب أرامكو ليقوموا بتعديله بالطريقة التي تناسب الظهران، أو تركه لإتمام ما شرع بالقيام به: «لكني لا أريد أن أرى اسمي عليه إلا إن شعرت بأن ما سأوقع عليه هو فعلاً ما أنا مؤمن به»(١٢). في شهر أيار/مايو من عام ١٩٥٧م، تصوّر وكيل أعماله أنه استطاع أن يعقد صفقة ناجحة(١٣). فقد وعد بتسليم النسخة الجديدة خلال خمسة أشهر، أي في شهر أيلول/سبتمبر، ومرة أخرى تم تسليمها في الوقت المحدد مع تجاهل متعمد لكثير من التعديلات المطلوبة. في شهر تشرين الأول/أكتوبر، كتب له موظف أرامكو في مكتب نيويورك غوردون هاملتون (Gordon Hamilton) يعتذر منه على «التأخير الغامض»، معللاً ذلك بأنه كان هناك تأخير في نسخ وتوزيع النسخة المعدلة من أجل المراجعة، ولكنه أراد أن يأخذ على عاتقه جهد طمأنته: «من مجرد النظر إلى الغلاف، أستطيع القول بأنه فعلاً «عمل ستيغنر» وأي كلام غير هذا سيكون مجرد لغو في الوقت الحالي»(١٤). وبعد ذلك، سيرمى الكتاب في الإدراة لمدة عشر سنوات.

عبر مراكمة الأساطير بعضها فوق بعض في الستينيات والسبعينيات، سيفسر موظفو العلاقات العامة في أرامكو سبب منع نشر الكتاب بأن ستيغنر

---

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) Copy of Contract between Stegner and ARAMCO in Folder 27, Contract for Services of Consultant, 1955, 1958, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers. Stegner was to receive an additional flat fee of $9,250, just under $57,000 today, to produce a final version, including an introductory chapter that would situate the pioneer story and bring it up to date.

(١٤) Hamilton to Stegner, 2 October 1958, Folder 6, Correspondence, Gordon C. Hamilton, 1957-1958, Box 29, Discovery Correspondence, Stegner Papers.

بالغ جداً في أسطرته للأمريكان، وأن كتابته كانت مجحفة بحق السعوديين، كما لو أن آراءه كانت هي المشكلة وليست تلك التابعة للرجال والنساء الذين قاموا ببناء الحيّ الأمريكي، ومع ذلك، اعترض ستيغنر بشدة على قيام أرامكو بحذف كل فقرة في الكتاب يظهر لها أهمية في التهم التي كان يطلقها نقاد أرامكو المتكاثرون في الداخل والخارج، وهي تهم بالطبع لا تتعلق بما يسمى عدم مراعاة الحساسية الحضارية.

أصبح **اكتشاف!** رهينة لسياسة أواخر الخمسينيات المحفوفة بالمخاطر والتقلبات الإقليمية التي بدت كما لو أنها تستعد لإسقاط الملكية السعودية نفسها، فبعد انقلاب القصر الذي قاده فيصل بقليل، حدثت «ثورة» مصممة على نموذج ثورة عبد الناصر ولكنها هذه المرة أكثر دموية وبقيادة الجيش، حيث أسقطت الملكية في العراق في تموز/يوليو من عام ١٩٥٨م، وكردّ على ذلك، أنزلت الولايات المتحدة جنودها في لبنان في شهر آب/أغسطس خشية أن تتساقط الحكومة هناك، وفي الأردن نمت مساحة انتقاد الشركة الأمريكية بشكل كبير، وأصبحت الحجج أكثر تهديداً، وذلك عندما بدأ «الأمراء الأحرار» والراديكاليون من المسؤولين من غير الأسرة الحاكمة بالمطالبة بملكية دستورية وسعْوَدة أرامكو وتأسيس منظمة للدول المصدرة للنفط من أجل موازنة قوة الشركات النفطية، وستظل العلاقات مع الولايات المتحدة وأرامكو مضطربة خلال فترة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ حتى يختفي الراديكاليون بشكل نهائي، ويهرب الطريقي من البلاد، ويبدأ فيصل، الذي سيصبح ملكاً في عام ١٩٦٤م، بإعادة بناء هذه العلاقة[١٥].

الكلمة التي تبدأ بحرف «ت»[*]

استجابت أرامكو للتقلبات الإقليمية والهزّات التي عاشتها الظهران أواخر الخمسينيات بأن قامت بالانكفاء على نفسها، فقد انهارت مملكتان، ولم تستطع ثالثة يقودها الملك حسين ـ الصغير جداً والعاشق للسيارات الرياضية، في الأردن ـ مقاومة اللحظة إلا بفضل المساعدات الخفيّة وغير

(١٥) Madawi Al-Rasheed, History of Saudi Arabia (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002), pp. 117-121.

(*) يقصد كلمة التأميم.

الخفيّة، التي قدمتها له الولايات المتحدة الأمريكية، لقد كان من الصعب عليها ألا تتأثر، دع عنك أن تفنّد بإقناع الحجة التي تتردد في كل مكان من كازينو النيل في القاهرة إلى نادي الكوزمو في واشنطن بأن أيام آل سعود معدودة، والسعوديون كانوا يقولون الشيء نفسه أيضاً، فالأمريكيون سمعوا الحجازيين يرددون ذلك في جدة، أو عندما يتحدثون إلى الطريقي أو عندما يدعون دعاة الملكية الدستورية إلى الشراب أو العشاء.

لقد بدا واضحاً أيضاً أن أرامكو كانت أقل قابلية أو رغبة من كل من فيصل وإدارة أيزنهاور في فترتها الأخيرة، بعد أن فشلت سياستها في الشرق الأوسط في أن تتخيل إمكانية عقد سلام مع عبد الناصر أو الناصرية(١٦). وكما هو مشهور، فإن عبد الناصر سهّل مهمة آيك في عام ١٩٥٩م عندما بدأ بجمع الشيوعيين المصريين في السجون وتعذيبهم، ولعل فيصلاً شعر بالرضى عندما وجد أن الأمريكيين أخيراً بدؤوا بالأخذ بنصيحته بينما كان يحاول هو للمرة الأخيرة إصلاح علاقاته مع «شقيقه جمال» كان آيزنهاور قد وصف فيصلاً مرة بـ«الغبي» لأنه يحمل هذه التصورات الإيجابية عن عبد الناصر، إلا أن السخرية ستتجلى بعد عام أو أكثر عندما أراد فيصل إعادة النظام القديم محاولاً بلا جدوى إقناع الإدارة الديمقراطية الجديدة بأن عبد الناصر شيوعي وأن الجمهوريين كانوا مخطئين عندما حاولوا إرضاءه، إلا أن الإجابة التي سيجيب بها مساعدو كينيدي كانت: لا، وأن عبد الناصر كان قومياً بالفعل، لكن في ذلك الوقت، كان عبد الناصر قد بدأ بقصف السعودية فخشيت العائلة المالكة أن تكون الولايات المتحدة قد تآمرت على الإطاحة بها.

ومع نهاية هذا العقد، كان تأميم الملكية الأجنبية ـ وهي القضيّة التي كانت تقض مضاجع ملاك أرامكو ـ أمراً تطالب به التيارات والحركات والشخصيات كافة في المنطقة، من الإخوان المسلمين إلى البعث، باعتباره

(١٦) The historian Salim Yaqub is correct that we ought to view the final year or so of the Eisenhower administration as an effort to turn in the direction that the new Kennedy administration would go in 1961 when it sought closer ties with the United Arab Republic. See the key chapter "Death of a Doctrine, July 1958-December 1960," in: Salim Yaqub, *Containing Arab Nationalism: The Eisenhower Doctrine and the Middle East*, New Cold War History (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2004).

حقاً للأمة وضرورة، فتصوّر ردة الفعل إذاً عندما قدم مستشار عبد الله الطريقي القانوني فرانك هندريكس (Frank Hendryx) ورقة في المؤتمر العربي النفطي الأول في القاهرة في شهر نيسان/أبريل من عام ١٩٥٩م دافع فيه عن حق سيادة الدول المصدرة للنفط بأن تعدّل من شروط الامتياز إذا كان رفاه الأمة على المحك، فلم يكن بيد أرامكو حينها إلا أن أعلنت الحرب على الطريقي(١٧).

إن القرّاء الذين يريدون تصديق أسطورة أن الأمريكيين قاموا بدعم أمير طيب وإصلاحي بعيد النظر، أي فيصلاً، مقابل ملك سيِّئ ومنغمس في الملذات، هو سعود، سيواجهون بعض الصعوبة في تقبّل هذه الأحداث، ذلك أن فيصلاً كان يُنظر إليه من قبل كثيرين داخل الإدارة الأمريكية وفي أرامكو بأنه أقل اعتدالاً وموثوقية من سعود، وبأنه الناصري الحقيقي في القصر. بدأت الآراء تتمايز عندما بدأ تقييم أداء فيصل كرئيس للوزراء في عام أو أكثر قليلاً بعد أن طلب منه إخوته العودة من الولايات المتحدة في آذار/مارس من عام ١٩٥٨م لاستلام الحكم. لقد نال درجات عالية على قدرته في اتباع التعليمات التي رسمها مستشارو صندوق النقد الدولي، وبشكل أخص على قدرته في تثبيت سعر صرف الريال وتسديد بعض ديون الحكومة الكبيرة، إلا أن سياسات التقشف لها تبعاتها الخاصة، وفي المملكة العربية السعودية بدأ الضجر يتنامى بين التجار بالمقدار نفسه الذي بدأ يتنامى بين العمال، وذلك عندما بدأ التوظيف يتباطأ والإنفاق على المشاريع الخاصة والعامة يتضاءل، اتجه فيصل إلى الصحافة، والتي بدأت بانتقاد فشل الحكومة باتخاذ نهج تنموي صحيح، وقمع كل حديث عن أشياء مثل الدستور والانتخابات في المملكة العربية السعودية.

ضع في بالك أيضاً أن الطريقي كان دوماً ما يُصوَّر بأنه تلميذ لدى فيصل، وأنه قد جرت العادة لدى مراقبي السعودية بأن يلوموا ولي العهد

(١٧) Frank Hendryx, "A Sovereign Nation's Legal Ability to Make and Abide by a Petroleum Concession Contract," paper presented at: Secretariat General of the League of Arab States, Proceedings of the First Arab Petroleum Congress, Cairo, April 1960. The copy in my possession is from Box 2, Folder 3, Ibn Muammar Papers, Los Angeles. For ARAMCO's initial reaction, see Jidda to State, 884, 22 April 1959, RG 59, 886A.2553/4-2259.

على تفضيله الضغط على أرامكو، والذي على الرغم من كونه عملاً سهلاً إلا أنه لم يكن منصفاً، عوضاً عن بناء مؤسسات إدارية وهندسة عملية «إنقاذ» للاقتصاد الوطني.

الانعطافة المتأخرة لأرامكو نحو الارتقاء

تُصوّر مطبوعات أرامكو أن سياسات الشركة في الخمسينيات والستينيات كانت عبارة عن تطوير طوعي ومتتابع ومتصل لمبدأ الشراكة في سبيل التقدم المزعوم الذي يقال لنا: إنه تم التخطيط له قبل عقود بالتعاون مع الملك. وضمن هذا التصوّر فقط يمكن للمرء أن يرى في مدرسة الجبل بذرة لما تلاه من تفتّح لبرامج التدريب المتقدمة الخاصة بالسعوديين (والتي بالطبع لم ترغب الشركة في تحمل نفقاتها)، وكذلك يمكنه أن يرى أن برنامج تملك البيوت (والموجود على الرغم من أن أغلبية العمال السعوديين لا يريدون الشراء) لم يكن سوى التطوير الذي خطط له المديرون المحليون للأكواخ الموجودة (والتي كانت تدعوها الشركة بأنها أفضل برامج إسكان موجودة في الشرق الأوسط) التي تم بناؤها للسكان المحليين، إلا أن الحقيقة التي تكشفها وثائق الشركة هي أنه في عام ١٩٥٨م اعترف بارغر وآخرون بأن كثيراً من الإصلاحات التي احتفت بها الشركة، أو التي أعلنت عنها الشركة رداً على موجة الإضرابات مطلع الخمسينيات قد فشلت. ومرة أخرى قام موظفو شركة إكسون بمقارنة الوضع السيّئ في أرامكو باستثمارهم الآخر في فنزويلا: شركة كريول للنفط. وكذلك وجّه الطريقي هذا الانتقاد نفسه، والكل طرح أسئلة حادة بشكل خاص حول قيمة قسم الشؤون العربية الذي يديره جورج رنتز.

ومرة أخرى، ستقبل أرامكو ببعض التغيير الذي كان يطالب به السعوديون لسنوات، وهي المطالب نفسها التي بحسب توصيف الأمريكيين كانت دائماً غير معقولة عندما واجهوها أول مرة. وهكذا، في عام ١٩٥٨م، أي بعد مرور سنوات على مطالبة الطريقي به باعتباره حقاً للحكومة، تم جلبه هو ومستشار الملك المسن يوسف وهبة إلى مجلس إدارة الشركة، وستقوم الشركة وحلفاؤها في السفارة الأمريكية بعد ذلك بالاحتفاء بهذا الأمر كدليل إضافي على التزام الشركة بعيد النظر تجاه الشعب السعودي، أو ما دعاه

بارغر «مسؤولية الشركة»، حتى وهي ترفض الاستجابة لمطالبات الطريقي الأخيرة باعتبارها متطرفة جداً.

ولعل القارئ سيتساءل بشكل محق حول صحّة حكمي السابق بالفشل وسيجادل عوضاً عن ذلك بأن أرامكو استطاعت تطوير استراتيجية ناجحة تتكون بشكل عام من تجاهل للمستقبل و«تحصيل ما يمكن تحصيله» على المدى القصير. وكما سنرى، فإن هذا سيكون توجهاً واحداً فقط اقترحته مجموعة تخطيط السياسة الجديدة لأرامكو في الظهران ضمن محاولتها تخمين نوايا ملاك الشركة إزاء عقد الامتياز السعودي.

ليس هناك مكان أفضل نبدأ به قصة تعثّر الشركة بالقومية العربية من قسم الأبحاث العربية والترجمات، والذي أعيدت تسميته إلى قسم الشؤون العربية - إن كبرياء مستشرقي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والذين سوّقوا أنفسهم - في كل مكان وليس فقط في الظهران - بأنهم الأشخاص ذوو الخبرة الذين سيؤمنون للشركات والدول «الحقيقة الكاملة» و«المعرفة اللصيقة» جعلهم مستباحين في كل مرة يتفاجأ من يستأجر خدماتهم بالإضرابات والانقلابات وحملات التأميم والثورات وغيرها من الحوادث. لقد تلقّى جورج رنتز ورفاقه انتقادات كثيرة من ملاك الشركة في نيويورك بل ومن وزارة الخارجية الأمريكية وذلك عندما اتهمت الأخيرة مستعربي أرامكو بتجاهل نموّ الشيوعية في حقول النفط السعودية.

في فترة إضراب عام ١٩٥٣م، اتخذت الشركة قراراً غير مسبوق بنقل قسم البحث خارج الحي الأمريكي، باعتبار أن الأخير يتسبب بقيود على تحصيل المعرفة اللصيقة بالمجتمعات المحلية، تم نقل القسم إلى الدمام حيث كان أمير الأحساء سعود بن جلوي يقوم بنقل الإمارة إليها، وما ستعتبر في ما بعد أشبه بوزارة خارجية خاصة بأرامكو ستبدأ بوضع خبرائها في الرياض. أقنعت أرامكو صديقاً مقرّباً لابن جلوي واسمه عبد الله الدرويش - وهو تاجر انتقل إلى المنطقة الشرقية بعد أن خسرت تجارته في قطر - ببناء مبنى عصريّ ومكيّف في الدمام، حيث وعدته أرامكو بأن تستأجر دورين من أدواره الثلاثة لمدة طويلة، وافق الدرويش، الذي كان شريكاً لمحمد بن لادن ومجموعة من الأمراء في بنك الرياض المؤسس حديثاً على العرض،

إلا أن داعميه الأمريكيين لم يكونوا معجبين به كثيراً، لقد كان مقرفاً، جاحظ العينين، وكان ذا صوت عال، يتعطر على نحو مبالغ فيه، إضافة إلى انحرافاته السلوكية»[١٨].

وصف بل موليغان، والذي أصبح مديراً للقسم تحت إشراف رنتز، مرة مبنى الدرويش بأنه «مطل على البحر» في وقت كانت أرامكو فيه «تُساءَل عن المظاهر الاستعمارية في المجمعات السكنية المعزولة والمسوّرة «وتبحث عن الوسائل» التي تقربها من العرب: «لعل هذا صحيح، لكن مبنى الدرويش كان ملاصقاً أيضاً لمركز شرطة محلي، وخُطَطُ نَقْلِ مركز عمليات العلاقات العامة لأرامكو انتهت إلى جعله إلى جانب الطريق، أما كونه «مطلاً على البحر» فهذا لأن هذه هي أقصى نقطة وصلها الأمريكان قبل أن يتراجعوا، وهذا من دون الأخذ بالحسبان الشقة الذي استأجرها أحد عملاء السي آي إيه في وحدة البحث الخاصة بأرامكو، واسمه هومر ميولر (Homer Mueller)، مع رنتز لفترة من الزمن. لقد كان ميولر أول موظفي أرامكو الأمريكان يقرر العيش خارج الحي لعقد من الزمان منذ أن تم فصل وليام لوتز (William Lutz)، الموظف الذي اعتنق الإسلام وتم طرده من المملكة لأنه قرر الانتقال إلى الحي السعودي والعيش فيه في عام ١٩٤٤م، وسينتقل ميولر في ما بعد إلى الرياض باعتباره ممثلاً للشركة هناك، ولن يستخدم رئيسه رنتز الشقة كثيراً، وهذا التبذير سيعتبر توفيراً مقارنة بتكاليف مبنى الدرويش نفسه.

نقل رنتز مكتبته وأمين المكتبة إلى هناك مع لاقطات إذاعية، ومسجلات فيديو، وغيرها من المعدات اللازمة لوحدة الترجمة، كما أنه كان لديه مختبر مجهز بالكامل لموظفيه: الأنثروبولوجي فيديريكو فيدال (Federico Vidal)، وعالم الطبيعة بوب ماثيوس (Bob Mathews)، أما السكريتارية فقد عملوا بين «الجماجم الموجودة في الحقائب والسحالي المجمدة الموجودة في الثلاجات»، بينما سيتعجب مخبروهم من البدو، أو «الرابطين» كما كانوا يعرفون داخل الحيّ من مشهد العيّنات (والسكريتارية، هكذا كانت النكتة) قبل أن يصلوا إلى الغرفة رقم ٣١٩ والتي كانت مجهزة خصيصاً لهذا النوع

(١٨) Bill Mulligan, "Darwish Building," Box 7, Folder 22, "Dammam Building," Mulligan Papers.

من الزوّار: «أرجو تأثيث الغرفة رقم ٣١٩ في مبنى الدرويش في الدمام بأثاث على نمط المجالس العربية... بحيث يكون محاطاً بمساند أرضية مناسبة وأخرى للظهر، ومزوداً بعدد من الأرائك... وثماني مراتب... وثماني عشرة وسادة.. وقماش «قابل للغسيل» لتغطية كل ما ذكر في الأعلى»[١٩].

إلا أن هذه التجربة أثبتت أنها مكلفة، ففئران المختبر بالكاد استطاعت البقاء، كما أنه كان على الباحثين والمترجمين أن يتحملوا ثماني ساعات أو أكثر داخل مكان مطلي بلون واحد، سيّئ التكييف، معبأ برائحة البنزين، وفي حماماته الكبيرة المصممة على الطراز الغربي قليل من الماء، لم يكن المدير رنتز يداوم إلا بشكل متقطع، مفضلاً العمل على مسوداته في المنزل، وبعد ذلك، في القاهرة لمدة ستة أشهر كل سنة، حيث قام بنقل زوجته المصرية وأبنائه بعيداً عن العنصرية التي سيطرت على حيّ كبار الموظفين. دفعت الشركة أجار مبنى الدرويش لعشر سنوات كاملة لكنها قامت بسحب موظفيها المتذمرين والمحبطين خارج المبنى في عام ١٩٥٨م، موفرة بذلك ما قيمته ٧٥ ألف دولار في السنة من تكلفة التشغيل، وذلك بحسب تقدير موليغان، إلا أن الأسطورة لم تمت، فلعدة سنوات قادمة ستتعامل الصحافة المعارضة والبروباغندا المناوئة مع مبنى الدرويش باعتباره مركز قيادة «الاستخبارات الأمريكية في الظهران»[٢٠].

ونتيجة الضغوط المتواصلة من مجلس الإدارة والشركات المالكة المطالبة بتبرير وجود مركز دراسات وما يشبه الوزارة الخارجية، قام بارغر والآخرون بالمبالغة في تصوير المخاطر متجاهلين التناقضات الموجودة في تصوراتهم عن المملكة، فقد قالوا: إن المملكة العربية السعودية لا تشبه أي بيئة عمل أجنبية عرفتها صناعة النفط في تاريخها، فبحسب أحد مذكرات الشركة التوضيحية، فحكومة المملكة في عام ١٩٦٠م لم تتجاوز بعد المرحلة «الجنينية» كما أن «الكتيبات الوحيدة التي تشرح الأعمال في الحكومة هي

(١٩) ARD, Chronological Files, March 1954, Box 2, Folder 38, Mulligan Papers.

(٢٠) See the account of a "Statement by a Saudi Clandestine Group," the Union of Sons of the Peninsula, published in the Beirut weekly *al-Huriyah* (8 May 1960), and found in Box 3, Folder 7, AAD, Chronological File, May-June 1961, Mulligan Papers.

الكتيبات التي قام موظفونا بإعدادها». قارن هذا بما ذكر قبل ذلك في عام ١٩٥٧م بأن الحكومة السعودية كانت قد «نمت بشكل هائل سواء في الحجم أو التعقيد» ما جعل الحاجة إلى البحث والتحليل ملحّة أكثر من أي وقت مضى[٢١]. وقبل ذلك بثلاث سنوات، قام بارغر بتأطير مهمة هذه الوحدات بأوسع طريقة يمكن تخيلها بها، مصراً في الوقت نفسه على أن باحثيه المدربين بشكل عالٍ جاهزون لتحمّل هذه المهمة.

إن وظيفة هذه المنظمة الرئيسة هي معرفة العربي وبلاده ـ التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج، ومن البوسفور إلى المحيط الهندي ـ وفهمهما، وحتى نستطيع معرفة العربي علينا معرفة دينه وهو الأمر الذي يدفعنا إلى توسيع نطاق اهتمام قسمنا البحثي ليشمل المناطق الواقعة شرقي الخليج كفارس وأفغانستان وباكستان وإندونيسيا... وستنال المملكة العربية السعودية اهتماماً خاصاً، لا تتضمن طبيعة العمل مجرد معرفة أو اطلاع على كل من المشهد الجغرافي والثقافي والحضاري المعاصر بل تشمل الماضي أيضاً، ذلك أنه من الصعب تقييم الحاضر من دون معرفة تاريخ الشرق الأدنى[٢٢].

وأكثر ما يثير الاستغراب في ضوء هذه التشديدات العلنية على أهميتهم للملاك وعلى دقّة خبرتهم هو الاعتراف الخفي الذي يدلي به هؤلاء المستعربون بأنه بعد سنوات من السعي نحو معرفة السعودية وفهمها لم يتعلموا إلا القليل «عن كيفية عمل الحكومة السعودية، وكيف على الشركة أن تتعامل معها... ولم يكن واضحاً مَن الجهات المسؤولة عن الشأن المحلي وما هي، ... ونحن لا نعلم السبل الصحيحة لإنجاز أعمالنا»[٢٣]. ومن

---

(٢١) انظر:
James Knight to Garry Owen, 17 May 1960, and enclosure, draft, date 16 May 1960, "Why Should Aramco Handle Its Relations with the Government through a Company Department Specially Designated for That Purpose," Box 5, Folder 13, Mulligan Papers, and Confidential Memorandum to Files, Special Committee, 30 December 1957, Box 2, Folder 4, Mulligan Papers.

(٢٢) See the delayed response to a request for a description of the Arabian Research Division during the time of the October 1953 strike, Barger to Ohliger, 22 April 1954, "The Arabian Research Division of the Arabian American Oil Company;," Box 5, Folder 13, Mulligan Papers.

(٢٣) Confidential Memorandum to Files, Special Committee, 30 December 1957, Box 2, Folder 57, Mulligan Papers. My transcription is a close but not exact copy of the original text.

باب الدفاع عنهم، فإنه كان صحيحاً أن إدارة نيويورك كانت تثقل الموظفين بأعمال كانت تشغلهم عن القيام بدراساتهم. فعلى سبيل المثال، كان على ماثيوس أن يعمل مع طاقم الفيلم الفاشل «جزيرة الله» قرابة العام. وفي عام ١٩٥٥م، أمر نائب رئيس الشركة هارولد ماينور (Harold Minor) بإنتاج ترجمة عربية لكتيّبيْن من كتب الدعاية السياسية في الحرب الباردة ـ الأول هو كتاب جيمس بيرنهام (James Burnham) بعنوان **الهزيمة القريبة للشيوعية** (١٩٥٠م) والثاني هو كتاب ماكس إيستمان (Max Eastman) **تأملات في فشل الإشتراكية** (١٩٥٥م) ـ للمملكة السعودية عندما كانت تخفي دور أرامكو[٢٤]، كما أن خوض الحروب إلى جانب السعودية في جنيف بخصوص المشاكل الحدودية استهلك كثيراً من الوقت، أما أولئك الذين سيكونون أساتذة جامعات وكان رنتز حريصاً على توظيفهم، فإنهم كانوا مهيئين للتعرف إلى النباتات والحيوانات أو في ترجمة نصوص الفكر الإسلامي أكثر من أن يقوموا بجمع معلومات استخباراتية سياسية، علّق أحد مديري الشركة على إحدى المذكرات التي اقترحت كتابة تاريخ شامل للمجتمعات الشيعية في الخليج قائلاً: «هل نحن بحاجة إلى هذا؟». وبالإضافة إلى كل هذا، كانت هناك مسألة هَوَس رنتز بالكمال، وهو الأمر الذي لم يجعله يكتب سوى بضع مقالات ومواد في بعض الموسوعات طيلة فترة عمله[٢٥].

قد يفسّر هذا النقد النادر غير المجامل تعيين محللين جدد للشؤون الحالية: هاري ألتر (Harry Alter) الذي قضى كل حياته العملية في الظهران، وطالبة درجة الدكتوراه في جامعة هارفرد فيبي مار (Phebe Marr) التي فرّت من العراق بعد الثورة لتمضي في السعودية عامين ثم تهرب منها. أنتج هذا

(٢٤) انظر:

Khalil Semaan, Harpur College, Binghamton, NY, to R. G. Von Peursen, ARAMCO, Shoreham Bldg., Washington, DC, 22 November 1965, Box 5, Folder 1, Mulligan Papers. Semaan had been the translator.

(٢٥) انظر:

Mulligan's Biography of Rentz, Box 1, Folder 53, Rentz, George S.-Correspondence re, 1963-1987, Mulligan Papers. For the research topics, see John Pendleton to R. A. Eeds, [et al.], 20 July 1957, enclosing memorandum, "Operational Considerations Arabian Research Division," Box 2, Folder 57, ARD, Chronological Files, July-December 1957, Mulligan Papers.

الثنائي السّيَرَ الأولى لكل من الطريقي وابن معمر وغيرهم من المسؤولين السعوديين وذلك لصالح منظمة العلاقات الحكومية المطوّرة في الفترة ما بين ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م، إلا أن النتيجة المباشرة كانت اجتماعاً في مطلع عام ١٩٥٨م للجنة خاصة مكونة من أشخاص من مختلف الأقسام، غرضها تقييم فهم الشركة وعلاقتها بالدولة السعودية، وتدشين «طرق أكثر فعالية» للتعامل مع الجهات الحكومية الجديدة، كما تضمّنت مذكرتها مشكلة سياسات أرامكو الصناعية[٢٦].

ترأس بارغر، رئيس منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو، الاجتماع الأول لهذه اللجنة في مكتبه في الثامن من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٥٨م، وكان الطريقي وانتقاداته الدائمة على رأس جدول الأعمال، فقد كان على أرامكو أن تتعامل مع مسألة البطالة في المملكة «وكان على الشركة أن تتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية» عبر تقديم المساعدة للصناعة المحلية. كما أن على الشركة أن تختبر علاقتها بالشركات المالكة، وببنية مجلس الإدارة الحالية، ومدى شرعية شكوى السعوديين بأن الشركة كانت تغش في حساب حصتها الصافية من عائد النفط. «هل اشتباه الحكومة في مصداقيتنا قائم على أساس مثلاً أنه طالما كان بإمكاننا أن نعقد صفقة المناصفة في عام ١٩٥٠م لماذا لم نعقدها قبل ذلك؟... هل يجب على الشركة أن تحدد ما تعتبره ربحاً عادلاً وتقرر ألا تتجاوزه؟» وفي الوقت نفسه، وبالتشديد على المصدر التقريبي لمصاعبهم الحالية، فكر بارغر ومساعدوه في الطريق السياسي البديل ـ أو كحد أدنى المصاحب ـ الذي يتوجب عليهم السير فيه. «هل منحت الشركة الطريقي كثيراً ما يمكنه البناء عليه؟ هل نحن نعتبره أكثر أهمية من حجمه الحقيقي؟ وهل هناك شخص آخر نستطيع أن نقوم بأعمالنا معه»[٢٧]؟

مذكرة بندلتون

وزّع أحد أعضاء اللجنة ـ واسمه جون بندلتون (John Pendleton) ـ

(٢٦) Confidential Memorandum to Files, Special Committee, 30 December 1957, Box 2, Folder 57, Mulligan Papers.

(٢٧) Memorandum, Confidential, by Pendleton, Special Committee, First Meeting, 15 January 1958, Box 2, Folder 58, Mulligan Papers.

مذكرة متميزة على أعضاء الإدارة يلخص فيها التيارات الثلاثة الرئيسة التي حكمت عملية اتخاذ القرار لدى مختلف أجنحةِ الشركة: الملاك، والأقسام المنتجة، وأخيراً وليس آخراً، موظفي العلاقات العامة: **أولاً**، كان هناك أولئك الملتزمون بالحفاظ على الوضع القائم: «التمسك بما نملك، أياً يكن معنى ذلك في رؤوس المدافعين عن هذا التوجه، لا يتطلب اتخاذ أي تدابير خاصة، بل فقط الاستمرار بما نقوم به الآن». أما التيّار **الثاني**، والذي ألمحت إليه سابقاً، فقد كان مصرّاً على استغلال الامتياز بأكبر قدر ممكن وبأقل تكلفة ممكنة على الشركة.

يعكس هذا التوجه فلسفة قصيرة المدى، فهو يفترض . . . أن عقد الامتياز لن يستمر حتى نهاية فترته [وهو أمر أثبت الزمن صحته]. ولهذا، فإن على الشركة ألا تنفق وقتها وأموالها في الأعمال الخيرية في السعودية، وبدقة أكثر، ألا تسعى إلى تطوير علاقاتها مع الحكومة. يجب على جهودنا أن توجه إلى مضاعفة الأرباح من دون الالتفات إلى أي اعتبارات أخرى.

في هذه الورقة التقليدية التي تقسم التوجهات إلى ثلاثة، صنّف بندلتون مجموعة بارغر (التي كان هو عضواً فيها على الأرجح) ضمن التيار **الأخير** الذي سماه بسبب عدم توفر اسم أفضل بالليبرالي أو التَسوَوِي، فالمنتمون إلى هذا التيار كانوا مقتنعين بأنه من الممكن «مواصلة إدارة الشركة بنجاح طيلة السنوات المتبقية لعقد الامتياز» والذي سينتهي في عام ١٩٩٩م، إلا أنه حتى يتيسر القيام بذلك فإن الشركة مضطرة إلى أن تقوم بعدد من التنازلات للقوى الوطنية السعودية والتنموية، فعلى أرامكو أن ترعى نشوء صناعة محليّة، كما أن عليها إصلاح علاقاتها مع الحكومة. والأهم من ذلك، وبسبب أنه ستستمر مقاومتها طيلة العقد القادم، يجب على أرامكو تحطيم الأسوار المحيطة بالحيّ الأمريكي، ونادى بندلتون بـ«الاندماج بين المجتمعين العربي والأجنبي»، وسيتم رسم خطط من أجل القيام بذلك، لكنها ستوضع في الأدراج بمجرد أن يتم قمع الموجة القوميّة في عام ١٩٦٤م، كما أن على الشركة أن توفر تمويلات ضرورية كما قال لإنشاء المستشفيات والمدارس والطرق.

واستجابة للقضية التي هاجم الطريقي الشركة من خلالها لعقد من

الزمان، فإن بندلتون نادى بـ«زيادة توظيف السعوديين في المناصب العليا، والاستفادة منهم بعد توظيفهم، ومعاملتهم بالطريقة نفسها التي يعامل بها كبار الموظفين». وبسرقة صفحة من برنامج روكفلر وشركة إكسون خلال فترة الحرب في أمريكا اللاتينية، فقد نادى بأن على أرامكو أن تمارس «أعمالاً خيرية واسعة النطاق وخالية من التمييز»، ولعل أفضل طريقة للقيام بذلك هو عبر «تأسيس مؤسسة أرامكو الخيرية» أخيراً «وحتى نستطيع كسب الناس إلى صفنا»، فإن على أرامكو أن تتجهز لاحتمالية تغيّر نظام الحكم «إما بشكل عنيف أو بطريقة أخرى»[٢٨].

أريد أن أتوقف هنا قليلاً لأشير إلى أهمية هذه الوثيقة للتحليل الذي سعيت لتقديمه في هذا الكتاب، فأولاً، وبشكل لا يحتاج إلى إيضاح، فإن هذه الوثيقة تناقض التصور التقليدي لأرامكو بأنها منذ بداية أعمالها أو منذ الحرب العالمية الثانية أو منذ نهاية هذه الحرب كانت تسعى إلى تبني سياسات كان بندلتون في عام ١٩٥٨م يطالبها بأن تتبناها باعتبارها إصلاحات ضرورية في المستقبل، أي بكلمات أخرى: إن هذه الوثيقة متسقة مع الوثائق التي قمت بتجميعها من الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات في تأكيدها المسافة، من جهة بين تعامل الشركة مع العمال السعوديين وغيرها من إجراءات العمل الرئيسة في حقول النفط في المنطقة الشرقية، وبين من جهة أخرى صورة «الشراكة من أجل التقدم» التي كانت تسوقها الشركة عن نفسها.

وهكذا، وبشكل مناقض للروايات التي ترى سياسات الشركة بأنها كانت احتوائية جوهرياً أو حصرياً، فنحن لدينا من بندلتون تصوير أكثر دقّة ونفعاً لشركة أديرت من قبل ملاكها ومديريها الذين فكروا وجسدوا وتبنوا أهدافاً مختلفة ومتناقضة طيلة فترة الامتياز، والأهم من هذا كله هو أن تقييم مجموعة بارغر للأمور كان خاطئاً، فاعتقادهم أنهم بسعيهم المتأخر نحو الارتقاء بالسعوديين يستطيعون منع تأميم الشركة «لاستمرار إدارة الشركة بنجاح طيلة السنين المتبقية لعقد الامتياز» تكشّف عن كونه وهماً كثير

(٢٨) Memorandum, Confidential, Pendleton, ARAMCO Objectives, 24 February 1958, Box 2, Folder 58, Mulligan Papers.

التكلفة، فأفضل ما يمكنهم ادعاؤه على الرغم من وجود سبب وجيه يشكك في حقيقته هو أن الانعطافة المتأخرة نحو الارتقاء عنت أن السعوديين كانوا مهيئين أكثر، وذلك بعد التخلص من الطريقي، للتفاوض حول الاستحواذ على الشركة على مراحل عوضاً عن أن يكون بأمر مباشر من طرف واحد.

ومع ذلك، فنحن يجب أن نمنح التقدير لمن يستحقه، فمجموعة بارغر استطاعت الإبقاء على كل من منظمة العلاقات الحكومية وذراعها البحثي، قسم الشؤون العربية، على قيد الحياة لأكثر من عشر سنوات إضافية، كما أن اللجنة الخاصة استطاعت البقاء أيضاً باعتبارها جهة تخطيط وسياسات جديدة بدأت عملها في نوفمبر من عام ١٩٥٨م وكانت مهمتها تقديم «توصيات عملية» للإدارة بخصوص علاقة أرامكو بالدولة السعودية[٢٩]. وفي حقيقة الأمر، تم تطبيق عدد من الإصلاحات في هذه الفترة، وذلك بحسب الخطوط العريضة التي اقترحتها مجموعة بارغر، واستطاعت اللجنة الخاصة أن تضغط بنجاح من أجل تفكيك نظام التدريب على مهارة واحدة، الذي سبق أن احتُفي به كثيراً، وقد حكم عليه بأنه فشل مكلف ومضلل. وعوضاً عنه، وافقت أرامكو أخيراً على برامج تدريب في بعض المنشآت الخاصة بحضور مدربين يعملون بدوام كامل، بحيث تركز هذه البرامج على الأعمال الفردية في الوقت نفسه الذي تركز فيه على المعرفة والمهارات العامة[٣٠] أما التزامها القديم الذي أصرت على تجاهله والمتعلق ببناء نظام تعليم مهني للمملكة العربية السعودية، الذي التزمت به بعد إضرابات ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م، فقد تم إحياؤه ليستغرق بعض الوقت الكافي لتتصارع فيه كل من الشركة والحكومة على بنود الاتفاق الذي تم بشكل غير نهائي في عام ١٩٦٠م، إلا أن الأموال التي عرضتها الشركة في هذا الشأن ستستخدمها الحكومة في نهاية الأمر لاستكمال بناء كلية البترول والمعادن بعد سبع سنوات، وهذا طبعاً بعد عدد من جلسات التفاوض[٣١].

(٢٩) See the document labeled Confidential, Dhahran, 11 February 1962, GRO Presentation, EMC/Budget Committee, 12 February 1962, Box 5, Folder 13, Mulligan Papers.

(٣٠) انظر:

"The Growth of Training Policy (1949-1959)," Box 5, Folder 32, Mulligan Papers.

(٣١) See Confidential, ARAMCO, Donations, Contributions, and Assistance to Saudi Arabia, 1933-70, Box 5, Folder 10, Mulligan Papers.

ولعل ما هو أكثر أهمية بل والأكثر مفاجأة خصوصاً إذا ما تذكرنا الإشادة الروتينية لما يدعى بالمقاربة المتنورة لشركة أرامكو تجاه عمالها خلال فترة الخمسينيات، فقد كان تفكيك نظام الشركة التراجعي المستخدم لتأديب الموظفين السعوديين في عام ١٩٥٨م وعقابهم.

وكما تحدث تقرير في عام ١٩٦٥م: «كانت تلك أيام مشينة عندما كنا ندعو عمالنا بـ«واضعي الخرق» و«الكوليين»». ووصف الكاتب نهاية نظام سكن العمال القديم المستخدم للتأديب بأكثر التغيرات دراميّة في تاريخ الشركة: «لقد انتقلنا من معاقبة الموظف والانتقام منه. . . إلى إصلاحه وتوجيهه». فعلى ما يبدو، اكتشفت أرامكو أخيراً أن السعوديين «يستجيبون للتوجيه العادل والمعقول» و«أن غالب. . . الخلافات كانت نابعة من سوء فهم مبرر وليس من مخالفات متعمدة. . . لقد أدركنا أن موظفينا، بغض النظر عن المظهر الخارجي، لم يكونوا يختلفون جوهرياً عن أي أحد آخر من العمال في دوافعهم الأساسية»(٣٢).

والآن، على كل نزعة لاعتبار هذه التغيرات في مسائل العمل، والتي استولت على تركيز مطالب السعوديين لعقد أو أكثر من الزمان، دليلاً على الطبيعة الاستثنائية للشركة أو على تنوّر طليعتها الإدارية، وخصوصاً جناح بارغر، أن تلتزم الصمت، إلا أن تشديدي على أن السياق السياسي«المحلي» ـ العلاقة المعقدة بين النظام والمعارضة في المملكة والضغوط «الخارجية» التي جاءت على شكل الناصرية ومنافساتها ـ هو الذي اضطر الإدارة إلى إعادة النظر في مصالحها قد لا يكون كافياً، فكل البلدان المصدرة للنفط واجهت التحديات نفسها، من حصص التصدير المفروضة من قبل الكونغرس الأمريكي إلى تخفيض أسعار النفط الخام الذي أعلنته الشركات العالمية من دون إنذار في عام ١٩٥٩م، فالموجة الجديدة آنذاك من التمدد والاستثمار

---

(٣٢) انظر:

B. C. Nelson, Manager, Employee Relations Department, "Employee Relations-Then and Now," Box 5, Folder 16, ARAMCO Management Development Seminar, 6 March 1965, Mulligan Papers. For a short account at the time of the change in policy see, Memorandum by Nelson, Coordinator, Labor Relations Division to W. E. Squires, Assistant Director, Industrial Relations Department, Dhahran, 30 December 1958, Special Labor Relations Report, The Boys in the Back Room, Box 6, Folder 22, Mulligan Papers.

في الخارج الذي قامت به ما يدعى بالشركات المستقلة ـ وهي شركات غيتي (Getty)، وسيتيز سيرفيس (Cities Service)، وأميرادا هس (Amerada Hess) ـ كانت قد بدأت للتو عبورها للمحيط الأطلسي مهددة صيغة المناصفة وغيرها من الصفقات التي عقدت في الأربعينيات والخمسينيات. وهكذا، ضغطت فنزويلا من أجل التحوّل إلى أخذ ٦٠ في المئة من الأرباح في عام ١٩٥٩م، وضاعف عبد الله الطريقي جهوده من أجل بناء جبهة مع الفنزويليين، فقد أرسل أحد أتباعه ـ وهو وزير النفط المستقبلي هشام ناظر، والذي عمل مساعداً إدارياً له ـ إلى كراكاس لمدة سنة في عام ١٩٦٠م، كما دعا الطريقي وزير النفط الفنزويلي، خوان بيريز ألفونسو، إلى حضور المؤتمر العربي الأول للنفط في القاهرة. إن أعراف نظام نفطي دولي جديد كانت آخذة بالتشكل بسرعة هائلة.

إلا أن السؤال كان: إلى أي مدى قام هذا الفاعل أو ذاك بمساعدة أو ممانعة هذا التحوّل؟ وعلى الرغم من وجود استثناءات نادرة ـ كإشارة بندلتون بأن النصيب النسبي من الريع بحاجة إلى تعديل ـ كانت أرامكو باعتقادي مأوى منيعاً للممانعة، فنظام التدريب التقني الذي تم إنشاؤه أخيراً مع كثير من الجلبة في عام ١٩٦٠م كانت الشركة البريطانية للنفط قد قامت بإنشاء شبيه له في إيران قبل ذلك بعقدين من الزمان، وعلى الرغم من إيحاء أولئك الذين يحتفون ببرنامج أرامكو لتمليك البيوت بانطباع أن أرامكو قد جلبت شيئاً جديداً إلى عالم صناعة النفط، إلا أنه كان اختراعاً تم تطويره وتنفيذه قبل ذلك في أماكن أخرى. ولم يلاحظ أحد، بالطبع، أن هذه الإجراءات التحديثية التي اتخذتها الشركة قد سمحت لها بتوفير التكاليف العالية التي كانت تتطلبها مساواة الكوادر الإدارية والفنية السعودية بتلك الأمريكية، وأنها كانت مصممة من أجل إبقاء الظهران خاصة للأمريكيين البيض، وأن كثيراً من السعوديين رفضوا الشراء من هذا البرنامج. ومرة أخرى، تستطيع أرامكو إن شاءت أن تدعي بكل فخر أنها كانت تعامل العمال السعوديين بشكل أفضل من منافستها الأمريكية الجديدة، أمينويل(غيتي)، والتي كانت تعمل في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت، والتي بنت مجموعة من أحياء عمالية لا يمكن تصديق مدى قذارتها، إلا أن هذه الأحياء لا تذكرنا إلا بالأيام القديمة في الظهران.

على خطى الشيخ الأحمر

كان عبد الله الطريقي نجماً صاعداً في العالم العربي بوصفه خبيراً متميزاً في شؤون النفط في الشرق الأوسط ومنادياً لاتخاذ موقف جماعي ضد الاحتكارات الغربية، ولم يمر وقت طويل حتى أصبح شخصية مشهورة ومعروفة لدى الصحافة لدرجة أن البعض في أرامكو التي تكرهه كثيراً، صوروه بأنه يتحيّن الفرصة لأداء دور عبد الناصر داخل المملكة في حال تم إسقاط حكم آل سعود. كانت منصة الانطلاق للصعود الصاروخي الذي تمتع به الطريقي هو المؤتمر العربي النفطي الأول، والذي عقد في القاهرة في نيسان/أبريل من عام ١٩٥٩م، فقد كان سبباً رئيساً في الجمع بين الدول المتناحرة لحضور هذا الاجتماع الذي تمّ تأجيله لفترة طويلة، لدرجة أنه تم في عملية الجمع هذه إقصاء الداعية الأصلي للمؤتمر وهو المهندس العراقي المنفي محمد سلمان(٣٣). هذا وقد وراقب مبعوثو أرامكو بحذر عن بعد - وهي الاستراتيجية التي أقنع رئيس شركة التابلاين ديفيد دودج الآخرين بتبنيها - قدوم هذا الشخص أو ذاك من منافسي الطريقي المحليين لأجل انتقاد الأخير وزعزعة ثقته.

كان أشد معارضي الطريقي في المؤتمر هو أحد مقاولي شركة التابلاين وعضو البرلمان اللبناني إيميل بستاني والذي زج بنفسه بقوّة ضمن البعثة اللبنانية، ذلك أن الاقتصادي الذي اختير أول الأمر لترؤسها قد غادر القاهرة محتجاً، قدّم البستاني نفسه باعتباره مدافعاً عن قدسيّة العقود وكفاءة الأسواق، وغريب أن من يدافع عن هذه الأخيرة وبلا أي سخرية هو شخص استطاع تأمين ثروته عن طريق امتيازاته الخاصة داخل الدولة اللبنانية، وكما فصّل تقرير لأرامكو، فإن البستاني كان متحمساً جداً في معارضته للطريقي لدرجة أن كثيراً من المجتمعين افترضوا أنه ينافح عن شركات النفط(٣٤).

---

(٣٣) Salman headed the Arab League's petroleum bureau. He planned the conference originally for March 1957. My account is based on the documentation and analysis that Rentz and others in Arabian Affairs prepared. See the binder-full of material, First Arab Petroleum Congress, Cairo, UAR, 16-23, April 1959, Box 4, Folder 13, Mulligan Papers.

(٣٤) I have my doubts, but it is true nonetheless that Bustani's death just weeks before the fourth congress in 1963 left ARAMCO officials lamenting that there was "no third party present to appeal to logic and commercial reasoning or inject other issues to harass or humor the =

تتبع عملاء أرامكو تحركات الطريقي كافة خلال المؤتمر بما في ذلك محاضرة ألقاها في جامعة القاهرة في إحدى الأمسيات («كانت الأسئلة الثلاثة أو الأربعة الأولى عدائية النبرة ضد الشركة إلا أن الطريقي وضّح موقف الشركة بشكل منصف وصريح»). أما رنتز فأقل ما يقال عن تقريره: إنه درامي، فقد ذكر أن الطريقي وعدداً من المندوبين الآخرين «كانوا عصبة واحدة... يعقدون اجتماعات سريّة في نادي يخت المعادي... وتحديداً في الحديقة، وذلك من أجل تفادي مسترقي السمع» وهناك «كانت الاتفاقات الحقيقية تتخذ حول قرارات المؤتمر» وفيها سعى الطريقي «من أجل التقريب بين العرب والفنزويليين». وفي خضمّ جهاد خبراء الشركة من أجل فهم القوى التي ستقود إلى تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) بعد عام واحد، فهم قد اقترحوا فكرة بديلة عن سعي الشركات لتنسيق سياساتها بشكل جماعي كالقرار الأخير الذي اتخذوه في تخفيض الأسعار، ومفاد هذه الفكرة هو التعمق في الثقافة، فكما اقترح رنتز: «إن أمزجة اللاتينيين والعرب تبدو أنها تحمل نوعاً من الألفة تجاه بعضها البعض».

ولزيادة ذعر أرامكو دفع الطريقي في مؤتمر القاهرة وما تلاه من مؤتمرات سياسة النفط العربي إلى الطريق الذي كانت تخشى منه الشركات النفطية، ففي عام ١٩٥٩م دافع الطريقي عن فكرة تكامل وتعريب شركات الامتياز، وصوّرته أرامكو حينها أنه متقدم بهذا الطرح نوعاً ما على البعثة الفنزويلية التي كان يرأسها خوان بيريز ألفونسو (Perez Alfonso)، في مطالبتها بالتنسيق بين الدول المصدرة للنفط في وضع القيود على الإنتاج، لكنها أيضاً كانت مقتنعة بأن الفنزويليين «كانوا قوة اعتدال» في تحذيرهم للعرب بأن يبتعدوا عن اتخاذ مواقف شديدة الصدامية.

كان موقف الطريقي في المؤتمر مطابقاً للموقف الذي بدأ بتبنيه ضد أرامكو في الرياض، وخلال ذلك العام بدأت اجتماعاته مع رجالات النفط تزداد توتراً وصدامية. فعندما يحاول هذا التنفيذي أو ذاك مناقشة أن مثل هذه القرارات ستكلف المملكة الملايين من إيراداتها الجديدة، كان الطريقي

---

delegates.... Industry [thus] took a much worse beating in this one". ARAMCO, Fourth Arab = Petroleum Congress, Beirut, Lebanon, 5-12 November 1963, report dated 26 January 1964, Box 4, Folder 16, Mulligan Papers.

يجيب بأنه «ليس مهتماً بالأرباح بل بالمبادئ». وكان المقترح الوحيد الجديد الذي تقدمت به أرامكو والذي كان من الممكن أن يوافق عليه عبارة عن عرض لتأسيس مؤسسة غير ربحية للتنمية، وهي الفكرة التي بزغت في مداولات اللجنة الخاصة، إلا أن مجلس الوزراء برئاسة فيصل قد رفض الفكرة، وذلك بناء على نصيحة مستشار من البنك الدولي، باعتبارها تسعى إلى الاستحواذ على سلطة الحكومة(٣٥).

حاولت أرامكو من دون جدوى إقناع فيصل بأن تابعه الموالي يقود سياسة النفط السعودي إلى الهاوية، فرئيسها التنفيذي الجديد ورئيس مجلس إدارتها، نورمان هاردي (Norman Hardy)، ذهب بشكل شخصي إلى الطائف، حيث كانت الأسرة الحاكمة في مصيفها، في شهر أيلول/سبتمبر بحثاً عن أي مخرج لهذا الطريق المسدود، وبعد لقائين مع ولي العهد خلص هاردي إلى أن هناك «القليل من الأمل في تغيير أسلوب الطريقي صعب المراس أو سياسته تجاه أرامكو»(٣٦). وسبب التشاؤم كان واضحاً جداً للسفير السعودي بعد لقائه هو أيضاً مع فيصل بعد عدة أسابيع. «إن فيصلاً يشارك الطريقي في عدائه لأرامكو، ويقبل اتهامات الطريقي ضد الشركة، و. . . هو متعاطف مع إصرار الطريقي على إجبار أرامكو حتى تكون شركة سعودية». فالخلاصة إذاً كانت أن فيصلاً لم يكن على دراية، وقد حذّر السفير بأنه:

ما لم يتم الحدّ من توجُّه الطريقي المتسارع فإن العلاقات بين حكومة المملكة العربية السعودية وأرامكو ستصبح بشكل متدرج ومن المحتمل بشكل سريع أسوأ، كما أنه ستكون هناك نتائج وخيمة على العلاقات بين البلدين. إن سياسات الطريقي وأهدافه ليست اقتصادية بل سياسية، فقد أخبر موظفي أرامكو والسفارة بأنه يؤمن بمبدأ تعريب الشركة وأنه غير آبه إذا ما قاد ذلك إلى خسارة في أرباح الحكومة(٣٧).

---

(٣٥) For Tariki's response to the trading company proposal, see Jidda to State, 157, 19 December 1959, Fortnightly Economic Review, 1-15 December 1959, RG 59, 886A.00/12-1959. for the development foundation proposal, see Jidda to State, 296, Armco Proposal to Establish an Industrial Foundation in Saudi Arabia, 25 June 1959, RG 59, 886A.19/6-2559.

(٣٦) Jidda to State, 90, Fortnightly Economic Review, 1-15 September 1959, RG 59, 786A.00/9-1759.

(٣٧) Jidda to State, 242, RG 59, 786A.11/10-1459.

قذارة الرياض

وجد تنفيذيو أرامكو (ومعهم ممثلو الحكومة الأمريكية) أنفسهم يتجهون مثلهم مثل غيرهم من داعمي فيصل السابقين إلى المعسكر المعارض له. وأول وأشهر المنشقين عنه كان صديق ولي العهد وحليفه لفترة طويلة: محمد علي رضا، رجل الأعمال الحجازي الذي استقال من منصبه كوزير للتجارة في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٥٩م، وقد أخبر السفارة الأمريكية بأنه أصبح مرتاحاً بعد أن تخلص من «قذارة» الرياض. وفي بغداد، كان النظام الجديد قد بدأ بمحاكمة عدد من مناصري النظام القديم، ولهذا، فإن علي رضا «لم يرد أن يستدعى للمساءلة حول خطايا آل سعود عندما يأتي يوم الحساب»، هذا بالإضافة إلى فشل فيصل في المضي بشكل حازم «في الحدّ من تبذير الأمراء المتهوّر» أو عمل أي شيء من أجل النهوض بالبلاد[٣٨].

لقد كان تغيّر رأي علي رضا مثيراً جداً؛ فقَبْل عام، في تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٥٨م، كان علي رضا، الذي وُصف في أحد تقارير السفارة الأمريكية الرئيسة بأنه مقرّب جداً لفيصل (وليس صديقاً مقرباً من الولايات المتحدة)، يحضّ الأمريكيين على أن يقفوا إلى جانب ولي العهد. ولكن مع حلول شهر نيسان/أبريل من عام ١٩٥٩م، بدأ علي رضا بمراجعة موقفه من زعيمه وذلك بسبب استمرار الركود الاقتصادي ورفض فيصل الاستجابة لاستجداءات الإصلاح السياسي، فالملك كما قال: «لا يمكن الاعتماد عليه» وهو بحاجة إلى مساعدة الأمريكيين كي ينجح، وعلى الرغم من أن السفارة الأمريكية لم تقدم أي التزامات، إلا أنه مع حلول شهر تشرين الثاني/نوفمبر كان علي رضا قد اختار أن يرمي بثقله في التحالف المناهض للملك فيصل، ناقلاً إلى معارفه في الاستخبارات العسكرية الأمريكية خطط الملك لإسقاط فيصل وتأسيس جمعية استشارية، يكون علي رضا نفسه نائباً فيها وأخ سعود الصغير والجريء طلال نائباً ثانياً[٣٩].

---

(٣٨) Jidda to State, 116 Fortnightly Economic Review, 16-31 November 1958, RG 59, 786A.00/12-458.

(٣٩) Richard Sanger to Gordon Arneson, State, INR, Continued Tension within Saudi Royal Family, 1 October 1958, RG 59, 786A.11/10-158; Jidda to State, 841, 2 April 1959, RG 59, =

ومع انشقاق طلال وأعضاء آخرين عن الأسرة الحاكمة، والذين سيدعون في مرحلة لاحقة من الصراع بـ«الأمراء الأحرار»، فُتح ثقب آخر في أسوار قلعة ولي العهد التي كانت منيعة في يوم ما. كان طلال ذو الثماني والعشرين عاماً يوصف بشكل مشابه لعلي رضا، بأنه شخص يمقت الملك، وكان أعضاء من الأسرة الحاكمة يشتبهون في أنه يخطط للإطاحة بسعود، ولعل هذا الاشتباه هو ما يفسر نقل طلال المفاجئ من وزير للمواصلات إلى سفير في باريس في عام ١٩٥٥م، وهو العام الذي كان التآمر فيه على سعود في قمته، بعد ذلك قرر «الاستقالة» من الحياة السياسية للسنوات الأربع القادمة والتحوّل نحو المشاريع الخيرية في المملكة والاستثمار في الأملاك في بيروت والقاهرة وغيرها من الأماكن، لكن في ربيع عام ١٩٦٠م، تم اختياره وزيراً للمالية ونائب رئيس المجلس الأعلى للتخطيط في الحكومة الجديدة التي ترأسها الملك مرة أخرى، حيث أحضر معه إخوته عبد المحسن (للداخلية)، وبدر (للمواصلات)، وفوّاز (أميراً على الرياض).

أما المجموعة الثالثة من المنشقين، وهم أكثر المجموعات إثارة للدهشة، فهي تضم الرجال المثاليين «الجدد»، و«المحدثين»، و«الإصلاحيين» الذين كانت السفارة الأمريكية مشغولة في مراقبتهم ومغازلتهم في السنوات القليلة الماضية. هذه المجموعة تبدأ من عزيز ضياء الذي سبق أن سجن بسبب الاشتباه بأنه شيوعي ولكنه الآن مُنح مجلة لإدارتها، وتنتهي بعبد العزيز بن معمر. لقد كانت هذه اللحظة هي نفسها التي قابل فيها صديق الشاه وشركات النفط، دكتور جامعة بيركلي جورج لينكزوفزكي عَبْدَ العزيز بْنَ معمر ووصفه كما ذكرت سابقاً بـ«القومي العربي المتطرف وغير المتزن عاطفياً». أما فيصل الذي استضافه عنده فقد وصفه بأنه «جاهل»،على الرغم من أن فيصلاً قد ضحك عندما علم أن التحديثي المفضّل لدى لينكزوفزكي لم يكن سوى شاه إيران، والذي بحسب وصفه «كان مستبداً في الوقت الذي لم تكن سلالته طارئة على الشعب» و«ديمقراطياً حقيقياً»»[٤٠].

786A.13/4-259, and Jidda to State [from the military attaché], 349, 27 November 1959, 786A.00/= 11-2759.

(٤٠) Jidda to State, 78, 1 September 1959, Professor George Lencrowski Discusses His Interview with Crown Prince Faisal, RG 59, 786A.11/9-159.

في آب/أغسطس ذكرت السفارة الأمريكية محاولة فيصل الأخيرة لاستقطاب هؤلاء الناصريين الصرحاء، وحده ابن معمر ـ والذي كان أكبر المطالبين بالملكية الدستورية وعائداً للتوّ من رحلته إلى النمسا، لم تتم دعوته إلى التشاور مع ولي العهد في جدة. وسيصر تري ديوس التابع لأرامكو في ما بعد على أن رحلة ابن معمر للنمسا تعتبر دليلاً قويّاً على أنه كان عميلاً سوفياتياً، ولم تشكّ كل من وثائق أرامكو والسفارة الأمريكية للحظة في سفراته ولم تعتبرها ذات أهمية؛ لأن واحدة من بناته قد قامت بعملية وقضت هناك فترة نقاهتها الطويلة(٤١). ومع ذلك، فإن السفارة ستنقل أن فيصلاً كان قد بدأ بالتحدث بشكل «لطيف معه»(٤٢). وبعد فترة قصيرة سيفاجئ فيصل الأمريكيين بدعوة ابن معمر إلى الانضمام إلى الحكومة كوكيل لوزير المالية(٤٣).

فيصل يتعثّر

لم يكن فيصل قادراً على إيقاف الانشقاقات من حوله، كما أن الملك بدأ يظهر كخيار أفضل لأولئك الذين كانوا يدعمون الأمير، بل حتى السفارة الأمريكية بدأت بجلب الانتباه قائلة: «إن التفاؤل الذي انتاب الجميع بعد أن تسلّم فيصل السلطة في آذار/مارس عام ١٩٥٨م بدأ يتبدّل بشكل سريع ليتحول إلى ضيق وضجر، وذلك لأن عدم فاعلية الحكومة أدى إلى تأجيل الإصلاحات الاقتصادية والإدارية التي سبق أن وُعد بها. وهناك إحساس بدأ يتنامى بأن الأمير فيصلاً معيق للتقدم، وليس لديه رغبة بأن يتخذ موقفاً صارماً من تبذير الأمراء وإسرافهم(٤٤)، بل إن السفير هيث نفسه قد أخبر واشنطن بأن لديه قلقاً مماثلاً من «أنه بعد اكتمال النجاح في تحقيق الاستقرار المالي لن يبادر فيصل بالتفكير في أي خطط للتنمية الاقتصادية

(٤١) Beirut to State, 597, 15 February 1961, RG 59, 886A.2553/2-1561.

(٤٢) Jidda to State, 75, 26 August 1959, Prince Faisal's Policy of Cultivating Young Intellectuals, RG 59, 786A.11/8-2659.

(٤٣) Dhahran to State, 62, 15 August 1950, RG 59, 786A.13/8-1559. I am grateful to Haifaa Muammar and her family members for the information about her father's time in Austria.

(٤٤) Jidda to State, 111, 15 November 1958, Economic Summary, Second and Third Quarters of 1958, RG 59, 886A.00/11-1558.

تستجيب للنقد المتزايد لسلوكه»[٤٥]. قام الملك سعود ومستشاروه الخاصون بكل ما في وسعهم من أجل تشجيع هذا الفرار الجماعي من فيصل، وذلك بعقد مؤتمرات صحافية، وكسب الجمهور بالطريقة التي لا تزال رائجة («لا يمكن لإسرائيل أن تستمر في الوجود»)، وتقوية العلاقات مع الحكومة البريطانية بشكل سري، والاحتفاء بأكبر عدد ممكن من المواطنين. وضمن هذا السياق أعلنت الرياض في تشرين الثاني/نوفمبر أن ابن معمر نفسه وافق على تسلم منصب مستشار للملك.

وعلى الرغم من أن هذه التيارات لم تكن تعمل لصالح أهداف مشتركة، فإن الحافز وراء موقف الأمريكيين كان واضحاً إذا نظرنا إليه بأثر رجعي، وهو كذلك على الرغم من أن أحداً حتى الآن لم يكلف نفسه عناء ملاحظته، فقد رأينا للتوّ السفير الأمريكي يصف فيصلاً بأنه كان داعماً لسياسة الطريقي التعريبية، وأن الفرق الوحيد الحقيقي بين فيصل وسعود كما قال هو موقف الملك العقلاني تجاه أرامكو، بل إن هيث قد ذهب إلى سعود وحذره من أن سياسات الطريقي تأخذ المملكة إلى الطريق نفسه الذي سلكته إيران من قبل، فما كان من الملك إلا أن وعد بأنه لن يسمح للطريقي بأن يحقق ما يريد، فما كان من أرامكو حين سمعت بذلك إلا أن أدارت حنفية أموالها من جديد؛ إذ كانت طلبات الملك المتكررة قبل سنة لقروض غير مسجلة بشكل رسمي تُرفض بشكل دائم، وكذلك كان يرفض استخدام الملك لطائرات أرامكو، وأسرّت الشركة للسفارة بأن هذه القرارات إنما اتخذت «بناء على أسس سياسية». حسناً، ويبدو أن هذه الأسس تغيرت، فقد وافق رئيس أرامكو على تقديم قرض واحد بقيمة مليوني دولار، كما وافق على طلب الملك بأن لا يتم إخبار الحكومة عن هذه الصفقة[٤٦].

ما الذي كانت تظن الشركة أنها ستحصل عليه بالمقابل؟ كان توقّع

(٤٥) He was endorsing Lenczowski's view. Jidda to State, 78, 1 September 1959, Professor George Lenczowski Discusses His Interview with Crown Prince Faisal, RG 59, 786A.11/9-159.

(٤٦) For Heath's frank exchange with the king and his comparison of the two positions on oil, see Jidda to State, 348, RG 59, 886A.00/n-2659, and Jidda to State, 141, Fortnightly Review, 16-30 November 1959, RG 59, 786A.00/12-559. On the change in the willingness to loan the king cash, see Jidda to State, 1268, RG 59, 786A.11/6-2358; Dhahran to State, 606, RG 59, 786A.11/4-2959, and Dhahran to State, 617, RG 59, 786A.11/5-459.

الأمريكيين أنه من بين كل الاحتمالات لن يكون هناك مقابل سوى فقدان الطريقي لمنصبه، بالإضافة إلى ذلك تشير سجلات أرامكو بأن موظفي منظمة العلاقات الحكومية كانوا يشيرون إلى «اللحظة الذهبية» في الأيام الأولى لثورة سعود عندما «بدا أن الحكومة كانت أكثر استعداداً من أي وقت مضى على العمل من أجل حل بعض القضايا»[٤٧].

إن المؤرخين الذين يكررون أسطورة فيصل الإصلاحي كانوا حكماء بتجاهلهم لكامل هذه الفترة التي أناقشها هنا، وذلك لأنه لم يكن بالإمكان تحصيل سوى بعض الأدلة البسيطة منها لدعم فكرتهم، ذلك أنه خلال هذه الفترة كان العكس صحيحاً، فالدعوة الوحيدة عن هذه المرحلة التي سمح لها بأن تذكر في كتب التاريخ هي أن فيصلاً استطاع أن يُحكِم السيطرة على الإنفاق الحكومي بعد السلوك غير المسؤول لأخيه الملك، إلا أننا قد رأينا أن سعوداً هو من استدعى أطباء المال وبدأ عملية اقتطاع الأسعار، والتي استحق لأجلها فيصل الإشادة وذلك لسبب بسيط وهو أنه تسلم السلطة من الملك، واعتقد لو أنه قام بالانقلاب على سياسة التقشف هذه لكان استحق فعلاً بعض الإشادة، بل إن فشله الخاص في عدم القيام بذلك هو ما دفعه إلى انشقاق رجال أعمال كعلي رضا، ولو كان النقد الموجه لطبقة رجال الأعمال صحيحاً فإن المشكلة ستكون هو أن فيصلاً كان يفضل إيقاف مشروع «التنمية» وذلك من أجل الحفاظ على تدفق الموارد على الأسرة الحاكمة.

وهذا الأمر الأخير هو ما بدأ الأمريكيون بالكتابة عنه مع ازدياد انزعاج أرامكو من الهجمات عليها، واستمرار فيصل بتحالفه مع أكثر الدول العربيّة قوّة، مصر، والتي كانت أقوى منافس للولايات المتحدة في المنطقة، فهذا السلوك نفسه غير اللائق بدولة تابعة كان قد دفع أمريكا إلى رفع حدة النقد اتجاه المملكة في الفترة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦م عندما كان سعود يترأس الحكومة، ولهذا كنا نجد عدداً من المقالات عن تسامحه مع الفساد وإنفاقه الكبير على القصور وعدم عمل الكثير من أجل إنعاش التنمية، وعندما قام الملك

---

(٤٧) Confidential, Dhahran, 11 February 1962, GRO Presentation, EMC/Budget Committee, 12 February 1962, Box 5, Folder 13, Mulligan Papers.

بالتحالف لفترة قصيرة مع أمريكا حوّله الرضى عليه إلى مصلح حقيقي ملتزم بتحسين حياة الشعب السعودي. وفي ضوء ما سبق، بإمكانك التخمين متى نال فيصل سمعته الدائمة في الصحف الأمريكية وفي كتب التاريخ بعد ذلك باعتباره مصلحاً حقيقياً وحاكماً متنوّراً في النواحي كافة.

لن يكون الجواب طبعاً بأنه نال هذا الصيت عندما قام أخيراً بمباركة وتقديم يد العون لأولئك الرجال في المملكة الذين بدؤوا بتخيل كتابة مسودة لدستور يضع حدوداً واضحة لسلطة الأسرة الحاكمة للمرة الأولى وفتح مسألة الحكم في المملكة للمواطنين، ففي الروايات كلها كان فيصل بشكل مستمر معارضاً لمثل هذه الخطوات التي تحاول الابتعاد عن السلطة المطلقة، فأولئك الذين أعلنوه مصلحاً تجاهلوا عن قصد نزعته الرجعية، إما لأنه لم تكن تتناسب مع القصة التي يروونها أو لأنهم خافوا من التغير السياسي بالمقدار نفسه الذي كان يخاف منه هو. وستعرف إجابة هذا اللغز في الفصل القادم، أما في هذه الأثناء فإن القصّة ستصبح أفضل بكثير.

الثورة التي لم تحدث أبداً

في ٣٠ نيسان/أبريل من عام ١٩٦٠م، نشرت صحيفة **الإيكونومست** اللندنية تقريراً، من مكتبها في بيروت، بعنوان «ثورة سعودية». ولا تذكر **الإيكونومست** عادة أسماء كتّاب مقالاتها، لكن المقالات كلها التي نشرت في شهر نيسان/أبريل عن التحوّل المفاجئ في الشأن السياسي السعودي كان كاتبها هو كيم فيلبي. كان كيم ابناً لجون فيلبي، أشهر مستشاري الملك عبد العزيز الغربيين الذي لم يحجب من شهرته سوى الاكتشاف اللاحق بأن ابنه جاسوس سوفياتي مزدوج داخل جهاز الاستخبارات البريطاني. وبينما كان متخفياً كصحافي، كوّن كيم فيلبي شبكة واسعة من العلاقات، بمن في ذلك أصدقاء كثيرون داخل أرامكو التي دفعت نفقة نشر كتب أبيه الأخيرة، وكذلك بمساعدة كيم اشترت أرشيف أبيه بعد وفاته في عام ١٩٦٠م[٤٨]. إلا أن المصدر الأساس لمقالة كيم فيلبي

---

(٤٨) The papers were turned over to St. Antony's at Oxford more than a decad later, but the correspondence in the Mulligan Papers makes clear that the firm understood its first priority to be to find and keep out of other people's hands any materials thought "embarrassing" to either the =

المعنونة بـ«ثورة السعودية» لم يكن سوى عبد العزيز بن معمر، وهذا الأمر «ليس فيه مجال للشك»، كما قال يوماً أحد موظفي أرامكو[٤٩].

قدّم فيلبي لقرّاء **الإيكونومست** استقصاء للتقلبات العجيبة في الصراع بين الملك وولي عهده والتي حوّلت فيصلاً إلى «رجعي» وسعود إلى «مناصر للإصلاح الشعبوي»، وهذا القول ما بين مزدوجين كان اقتباساً بالمعنى من أحد موظفي السفارة الأمريكية، بل إن فيلبي قال: إن الملك «اختار أن ينحاز إلى القوى الثورية . . . مراهناً على تحصيل دعم شعبي لم يتمتع به أي من الملوك المخلوعين في الشرق الأوسط»، وإن «منافسه الرئيس هو أخوه فيصل»، وأضاف موظف السفارة أن فيلبي «كان دقيقاً بشكل كبير»، وذلك على الرغم من أن الملك وولي العهد كانا يفكران بالطريقة نفسها[٥٠]؛ أي إن الأحداث لا يمكن ردها إلى اختلافات أيديولوجية، وأيّاً يكن، فالمنتمون إلى أقصى اليسار من أمثال ابن معمر وفيلبي يتفقون مع المنتمين إلى أقصى اليمين من أمثال السفير الأمريكي هيث بأن رئيس الوزراء فيصلاً قد فشل في حشد موارد الدولة من أجل المضي قدماً في تحقيق الهدف الفضفاض والذي تم الحديث عنه بكثرة «التنمية الاقتصادية»، وبأن الملك قد برز باعتباره مناصراً من أجل تحقيقه. المشكلة الأخرى - وهي مشكلة على الأقل للبعض - هي أن فيصلاً رفض التنازل لأي نوع من الانفتاح السياسي، وهذا غير اعترافه (أو لنقل بسبب أنه يعتقد ذلك) بأن بلاده كانت «ديمقراطية فعلاً»، وفي هذا المجال أيضاً بدا الملك كما لو أنه يأخذ منعطفاً حاسماً باتجاه الهاوية التي كان يخشاها فيصل.

استخدم السفير هيث في شرح فشل فيصل أفكاراً لعلها كانت جديدة في وقتها، إلا أنه سيتم استحضارها بعد ذلك كما لو كانت طقساً دينياً في

firm or to the royal family. See, e.g., Mulligan, Manager, Research and Services, to General = Manager, Gov. Relations, Dhahrah, 6 February 1972, Disposition of the Philby Papers, Box 1, Folder 45, Philby, H. St. John, Correspondence re 1971, Mulligan Papers. The firm also vetted Elizabeth Monroe's biography of Philby, which drew on the papers.

(٤٩) انظر:

Report of conversation with Carl Barnet, assistant Aramco representative, Riyadh, 23 October 1960, enclosed in Jidda to State, 155, 2 Novemebr 1960, Reform in Saudi Arabia Both a Royal Pawn and a Reformist End, RG 59, 886A.00/11-260.

(٥٠) المصدر نفسه.

السفارة في الرياض. فبحسب السفير، كانت المشكلة الرئيسة هي «تناقض حضارات... حجاب مع مايوه سباحة، وشيوخ صحراء مع مهندسي بترول». وصف هيث السعودية بأنها «مجتمع يقع في «المرحلة الثانية» من النظريّة التي اشتهرت مؤخراً لوالت روستو عن المراحل الخمس للنمو الاقتصادي»، وحذّر من «الانتظار لفترة طويلة قبل أن تطوّر البلاد الشروط السياسية والاجتماعية والمؤسساتية المطلوبة للانتقال إلى المرحلة الثالثة أو مرحلة «الانطلاق»»[٥١].

تحاشى خبير الاقتصاد السعودي الأكثر شهرة في العالم في ذلك الوقت ـ واسمه أنور علي والذي كان المحافظ المكلّف لمؤسسة النقد العربي السعودي ـ استخدام أسوأ التوصيفات المضللة في ذلك الوقت، فالمشكلة ببساطة كما أخبر بها السفير هي «افتقار أي مجموعة مؤثرة في البلد للفهم الكافي عن مدى الحاجة الملحّة إلى تنمية اقتصادية واجتماعية وتعليمية»، فرأس المال البشري كان شحيحاً بالمقدار نفسه الذي كان فيه الماء شحيحاً في هذه المملكة الصحراوية. ومستقبل البلاد مرتبط بتخطيط منهجي وشامل، وهو الأمر الذي لم يبذل فيصل إزاءه أي جهد بل لم يكن يفهمه أيضاً كما تحدث بذلك يوماً لينكزوفزكي، كما أن الأمريكي الذي ترأس بعثة البنك الدولي إلى المملكة تحدّث بشكل مفصّل عن الشيء نفسه، مع إضافة جزء متعلق بميل فيصل إلى تقديم تنازلات لأعضاء آخرين من الأسرة الحاكمة لا يمكن اعتبارها تمثّل أي خطة[٥٢].

أنتجت هذه اللحظة ـ والتي سواء نظرنا إليها باعتبارها نضالاً مبدئياً من قبل أكثر المواطنين قدرة، أو تلاعباً كلبياً من قبل الملك بـ«إخوته المنغمسين بالملذات» كطلال ونواف وغيرهم من العامة المتعطشين للسلطة كالطريقي ـ بعضاً مما نعتبره اليوم إنجازات مفصلية في العصر الحديث[٥٣] وكان هناك

(٥١) For Heath's views, see Jidda to State, 264, 4 April 1960, RG 59, 886A.00/4-460. The wording here is a close but not exact transcription.

(٥٢) For Anwar Ali, see the confidential report on Ali's conversation with Heath, enclosed in Jidda to State, 284, 18 April 1960, Fortnightly Economic Review, 1-15 April 1960, RG 59, 886A.00/4-1860. For the view of Harold Folk, who headed the World Bank mission, see Jidda to State, G 80, 8 June 1960, RG 59, 886A.00/6-860.

(٥٣) For St. John (Abdallah) Philby's deeply cynical perspective, see Jidda to State, 217, 6 February =

إصلاحات مؤسساتية مهمة مزمعاً تنفيذها لكنها منسية اليوم، وهي الإصلاحات نفسها التي سيحاول الحكام في عام ٢٠٠٥م نفض الغبار عنها وتسويقها باعتبارها جديدة. فعلى سبيل المثال، أنشأ الملك لجنة تنمية اقتصادية تحت إشراف الديوان الملكي يترأسها ابن معمر وشخص آخر من المطالبين بالملكية الدستورية اسمه فيصل الحجيلان. كانت الأعمال التمهيدية التي قام بها فريق ابن معمر شكلت الأساس الذي قام عليه مجلس الوزراء المميز والذي شكله سعود في كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٦٠م، حيث تم تنصيب الأمير طلال وزيراً للمالية ورئيساً لمؤسسة متعلقة بالتنمية، والطريقي وزيراً لوزارة مستحدثة للنفط، وتوقيع عقد مع الأمم المتحدة من أجل تأسيس معهد جديد للإدراة العامة.

ولو صحّ ما ترويه السفارة الأمريكية فإن الأثر الحقيقي لابن معمر في تاريخ المؤسسات السعودية كان في الفضاء السياسي، وذلك لأنه يعود إليه الفضل في إدارة النقاشات ـ وحتى اليوم لم يتجاوز الأمر مرحلة النقاشات ـ من أجل تصميم أول نظام للتمثيل الديمقراطي السياسي الرسمي لمصالح المواطنين. وعندما زار أحد تنفيذيي أرامكو من نيويورك، فقد ذكر للسفارة ما ادّعاه ابن معمر من أن «أحد الأسباب الرئيسة» وراء تعيينه كان من أجل تصميم «شكل من أشكال الحكومة التمثيلية الديمقراطية في المملكة» وذكر ابن معمر بأنه عمل بجد في هذا المشروع أكثر من أي شخص آخر، وهو الأمر الذي أكّده الطريقي حيث قال: إن الأمير فيصلاً «عارض كامل الفكرة بشراسة» بحجة أنه «بمجرد أن تبدأ الحركة نحو الحكومة التمثيلية فإنه لا يمكن إيقافها»[(٥٤)].

إنه أمر لا جدال فيه أن أجواء المملكة كانت معبّأة بالكلام عن تحديث المؤسسات، وأن وسائل الإعلام العربيّة خارج المملكة كانت تتحدث عنه أيضاً. في مطلع شهر كانون الثاني/يناير، أكّد محرر صحيفة **البلاد** السعودية اليومية لأحد منتسبي السفارة الأمريكية الإشاعات المتكاثرة حول سعي الديوان الملكي إلى تأسيس مجلس للنوّاب تحت إدارة ابن معمر (الذي كان

= 1960, Philby Says Money is the Root of Saudi Arabia's Evil, RG 59, 786A.00/2-660.

(٥٤) Jidda to State, 589, 22 Marach 1960, RG 59, 886A.2553/3-2260.

ولاؤه مشكوكاً فيه بحسب إشارة هيث)[٥٥]. وأشار السفير الأمريكي إلى أن البرلمان المزمع تأسيسه إذا صحّت الأخبار سيكون الخطوة الأولى نحو الملكية الدستورية، ولكنه حتماً سيستخدم أيضاً من أجل تجريد فيصل من سلطته. ولجأ المطالبون بالإصلاح في السعودية إلى منشورات سرية موجهة إلى الأمراء الأحرار نددوا فيها بوجود رجعيين من أمثال: جمال الحسيني ويوسف ياسين (عند الملك) وفهد (عند فيصل)، وطالبوا بإنشاء برلمان[٥٦]. وفي بيروت، أشارت صحيفة **النهار** إلى أن الشجار داخل الأسرة الحاكمة على البرلمان دار كالآتي: هل سيضعف الملكية أم سيقويها؟ وفي القاهرة، نشرت صحيفة **الجمهورية** الناصرية اليومية لقاء مع الأمير نواف قال فيه: إن المملكة جاهزة لتخطو «خطوة كبيرة باتجاه حكومة ديمقراطية». بعد ذلك، أخبر ابن معمر ملحقاً أمريكياً بأنه قد تم الضغط على نوّاف من قبل الرقابة التابعة لفيصل من أجل تكذيب خبر المقابلة لكنه رفض ذلك[٥٧].

نظر الأمريكيون إلى هذه الأحداث باعتبارها حملة يقودها الأحرار ـ طلال، علي رضا، ابن معمر، وغيرهم ـ ضد فيصل، والذي كان من المقرر له مغادرة البلد لإجراء عملية جراحية، ولكن بعد جولة ساخنة من اللقاءات والمناورات قرر البقاء، وذلك لأن حلفاءه من الأمراء ـ والذين سيدعون منذ ذلك الحين فصاعداً بالسديريين السبعة (وهم سبعة أشقاء يقودهم الملك الراحل فهد والأمير سلطان الذي ينتظر دوره في عام ٢٠٠٦م لأن يكون ملكاً بعد الملك الحالي عبد الله)[*]، أصروا عليه بألا يغادر بعد لقاء حاد وطويل بين مختلف الأجنحة داخل الأسرة الحاكمة[٥٨]. ضغط طلال على معارفه الأمريكيين لتقديم المساعدة من أجل الإبقاء على الملك

---

(٥٥) Jidda to State, 442, 10 January 1960, RG 59, 786A.00/1-1060.

(٥٦) Jidda to State, 860, June 24, RG 59, 786A.00/6-2460.

(٥٧) حول النهار، انظر:

Jidda to State, 359, 19 June 1960, Revolutionary Group in Saudi Arabian Army, RG 59, 786A.00/6-1960.

وحول الجمهورية، انظر:

Jidda to State, 818, 9 June 1960, RG 59, 786A.00/6-960. Date of the interview was not reported.

(*) كان الملك عبد الله ما يزال على قيد الحياة حين صدور الكتاب بنسخته الأجنبية. وقد توفاه الله بتاريخ ٢٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥ (المترجم).

(٥٨) Jidda to State, 832, 12 June 1960, RG 59, 786A.00/6-1260.

إلى جانب أولئك «المصرين على مواصلة الكفاح من أجل الإصلاح باعتباره الوسيلة الوحيدة للحفاظ على مستقبل الأسرة» وقد كان الصراع، كما شرحه طلال، صراعاً على المبادئ «بين الملكية الدستورية وبين الاستبداد المطلق»، وطلب من السفير الأمريكي أن ينحاز إلى جانب الديمقراطية أو على الأقل ألا يبارك الرجعيين. وعندما قال الملحق الأمريكي: إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تقضي بعدم التدخل في الشؤون السعودية، جاء رد طلال متسائلاً عن الدور الذي كان يفعله الكولونيل إيدي، الذي كان داعماً لفيصل منذ فترة طويلة، في زياراته الأخيرة إلى كل من السفارة والملك؟ أجاب الملحق بأنه لا يعرف، وتساءل عن أهمية هذا الأمر نظراً لكون إيدي مسؤولاً لدى أرامكو أليس كذلك؟ أجاب طلال بأنه «يعتقد أن إيدي يعمل لصالح ألين دالاس [رئيس السي آي إيه]»، وهو أمر صحيح بلا أدنى شك(٥٩).

نحن لا نعلم ماذا كان يفعل إيدي في الرياض ولا ماذا نستنتج من الاعتراف الإلزامي بالتزام الحياد تجاه صراع الأجنحة داخل الأسرة الحاكمة، ولكننا نعلم أن الأمريكيين انحازوا بشكل قوي خلف الأسرة الحاكمة عندما أخبرهم رئيس البعثة التدريبية العسكرية في الطائف بأن الضباط السعوديين كانوا يخططون لانقلاب في صيف عام ١٩٦٠م. خطط المتآمرون لقتل فيصل ومسؤولين في وزارة الدفاع، وأخبر الضباط الأمريكيون أن الشخص الذي يعرفونه من بين المتآمرين، وهو الضابط حازم سليمان، وهو حجازي يُكِنُّ كثيراً من الحقد تجاه آل سعود، كان واحداً من بين ضباط الجيش البارزين، ومع ذلك، فإنه وربما غيره من رفاقه كانوا حمقى بما فيه الكفاية ليعتقدوا بأن الجمهوريين سيساعدون ثورتهم، وهذا الاعتقاد هو نتيجة للمنطق المقلوب المنتشر في العالم العربي الذي تخيل أن عبد الناصر أو عبد الكريم قاسم أو كليهما وصل إلى السلطة بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه سعى لطمأنة من يعرفه من الأمريكيين بأنه بعد استيلائه على السلطة فإن الجمهورية الجديدة ستحتاج إلى مساعدة أرامكو عوضاً عن مساعدة عبد الناصر، إلا أن هذا كله لم يكن له أي فائدة، فقد أرسلت كل

---

(٥٩) Jidda to State, 838, 16 June 1960, RG 59, 786A.00/6-1660.

من وزارة الخارجية في واشنطن، والمخابرات العسكرية الأمريكية في الظهران عن طريق «عميل مخابراتي» في أرامكو ـ حدّدت هويته السفارة بأنه موظف منظمة العلاقات الحكومية ويليام بالمر الذي مرّ معنا اسمه مسبقاً وهو يحرق ملفات الشركة السريّة خلال فترة أزمة مصدّق في إيران ـ إلى أرامكو بوجود مخطط انقلاب ضد الحكومة. بعد ذلك، قامت هذه الجهات باستخدام شركة النفط من أجل توصيل التهديد إلى الملك وولي العهد(٦٠).

في منتصف كانون الأول/ديسمبر، أجرت السفارة الأمريكية تقييماً للتيارات السياسية والعسكرية في المملكة العربية السعودية خلصت منه إلى أن عدم الرضى من النظام كان حقيقياً ويتنامى، في حين أن الحركة الإصلاحية قد فقدت زخمها وأن وعود التحرير التي قطعها الملك للإصلاحيين «تلاشت مع فشل جهود الملك في إسقاط ولي العهد». فقد كان فيصل في هذه الأثناء يقف في طريق هذا التوجه، والتقدم الوحيد الذي يمكن الحديث عنه هو أن انتخابات محلية كانت تجري في كل من القطيف والخبر والدمام والهفوف، كانت هذه الانتخابات البلدية غير المسبوقة ذات شعبية وستغطي بلدات أخرى، بما في ذلك الرياض، حتى نهاية عهد سعود، أي قبل أن ينهي فيصل هذه التجربة التي تم نسيانها، وهو النسيان الذي سيكون من مصلحة الأمراء أنفسهم الذين عملوا بجد من أجل سحق الحركة الإصلاحية في الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ لأنهم سيعودون ليقترحوا الفكرة نفسها بعد نصف قرن عبر تقديمها وكأنها فكرة جديدة غير مسبوقة باتجاه الديمقراطية في الفترة ما بين ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥م، إلا أن السفارة قللت من شأنها، ففيصل، كما قالت السفارة، استطاع بنجاح إنهاء هذه العاصفة(٦١).

كان بقاء فيصل مقلقاً في أفضل الأحوال بالنسبة إلى أرامكو، وذلك

(٦٠) انظر:
Jidda to State, 359, 19 June 1960, Revolutionary Group in Saudi Arabian Army, RG 59, 786A.00/6-1960; Jidda to State, 36, 20 July 1960, RG 59, 786A.00/7-2060; Dhahran to State, 62, 27 July 1960, RG 59, 786A.00/7-2760, and Jidda to State, 76, 1 August 1960, RG 59, 786A.00/8-1660. Readers should keep in mind that much remains classified in the file series I am drawing on in these pages.

(٦١) Jidda to State, 249, 19 December 1960, Periodic Assessment of Political-Military Trends and Foreign Affairs in Saudi Arabia, 15 March-15 December 1960, RG 59, 786A.00/12-1960.

لأن الطريقي كان لديه تصريح بملاحقة شركات النفط التي أعلنت تخفيضاً جديداً في أسعار النفط من طرف واحد وفي أقل من سنة. رفض الطريقي، وبتأييد من فيصل، الاعتراف بالتخفيض لأسباب تتعلق بحساب الريع، مضيفاً قضية جديدة إلى القائمة الطويلة من الاختلافات مع الشركة (التي وصفها رئيس أرامكو بالأزمة). قاد خفض الأسعار إلى أن يقوم الطريقي شخصياً بالسعي في حملته المطالبة بعمل جماعي من ماراكيبو إلى هيوستن، وهي المكان الذي اخترع فيه التناسب النفطي في ثلاثينيات القرن العشرين، وهو المكان الذي كانت تتواجد فيه أقوى معارضة منظمة للشركات النفطية الكبرى والتي كانت تعرف بجمعية منتجي تكساس مستقلين. وفي نهاية الأمر، وافقت كل من إيران وفنزويلا والسعودية والعراق والكويت على تأسيس أوبيك رداً على قرار خفض الأسعار الصادر في تموز/يوليو من عام ١٩٦٠م[٦٢].

خشيت أرامكو من أن مشاكل أكثر كانت تنتظرها في الطريق، وقد اطّلعت السفارة على تحليلها الأخير شديد التشاؤم عن الوضع الاقتصادي المتدهور حول حقول النفط في المنطقة الشرقية؛ إذ إن عامين من تخفيض الإنفاق الحكومي قد تركا أثريهما الواضحين، وسيذهب التحليل بعيداً في تفسير أسباب الانشغال بالتنمية (أو عدمه). فأرامكو لم تعد قادرة على الاستمرار في اعتبار عملياتها الروتينية بأنها برنامج مسألة رابعة خاصة كما كانت تفعل في الأربعينيات، وذلك لأن فترة الطفرة الاقتصادية قد انتهت، وكل إنشاءات الإنتاج ولواحقها قد تم الفراغ منها، والشركات الأم قد أصدرت أوامرها بتخفيض العمالة والإنتاج، أدى كل من طلبات التخفيف وزيادة حدة المنافسة إلى اتخاذ قرارات عام ١٩٥٩م التي شرعت بتخفيض العمالة، فقد تم ترحيل كثير من العمالة الأجنبية تم اعتبارهم «فائضين» كان من بينهم عشرات الأمريكيين، كما قامت الشركة بتخفيض أعداد السعوديين أيضاً، ولكن ليس عن طريق الفصل بل عن طريق عدم توظيف بدائل

(٦٢) For Faisal's growing anger at the firms' pricing decision, see Jidda to State, 71, 17 August 1960, Biweekly Economic Review, 3-16 August 1960, RG 59, 886A.00/8-1760; for Tariki's campaigning and ARAMCO's understanding of the crisis, see Jidda to State, 87, 31 August 1960, Biweekly Economic Review, 17-31 August 1960, RG 59, 5/886A.00/8-3160.

للمستقيلين والمتقاعدين، وحرصت على إخفاء تقلص الأعداد حتى لا تجلب نقداً إضافياً. وبهذه الطريقة، وضعت أرامكو أفضل قناع متاح لديها وذلك عبر الاحتفاء في كل موضع ممكن بقدرتها على تحقيق هدفها المزعوم بزيادة النسبة الإجمالية للسعوديين في قوتها العاملة، أما النجاح الآخر، وهو التخلص التدريجي من «مثيري المشاكل»، فقد تم الاحتفال به بشكل خاص وبعيداً عن الأنظار[٦٣].

ولم تتوقف آثار التدهور الاقتصادي عند قرار أرامكو في تشرين الثاني/ نوفمبر بإغلاق واحدة من مؤسساتها الأسطورية خطوطها الجويّة الخاصة بها والتي تسمى «الجمل الطائر» والتي كانت تسافر مرتين في الأسبوع بين الظهران ونيويورك، بل في قرى الفقراء التي نمت حول المدن تم التخلي عن كثير من المساكن المؤقتة وتركها «للتدهور والانهيار»، أما الأحياء الأخرى فقد كانت عملياً غير صالحة للعيش أو تم الاستيلاء عليها ليلاً من قبل العزاب من العمالة الأجنبية بدلاً من العِيال الذين عاشوا لفترة هناك، وقد حذّرت السفارة بأن خوف أرامكو من مشكلة البطالة قد يكون مبالغاً فيه، وذلك لأن كثيراً إن لم يكن غالب أولئك الذين فقدوا أعمالهم خلال السنوات القليلة الماضية قد غادروا سوق العمل المحلي إما بالذهاب إلى مكان آخر بحثاً عن عمل أو بالعودة إلى الصحراء أو مزارع التمر... ومثل حركة التنقل هذه تخفف من الوضع الحالي على الرغم من أن أولئك الذين عادوا إلى منازلهم تكون لديهم رغبة في التغيير خارج الضواحي المباشرة لأحياء النفط وربما يكونون محبطين من الحياة في المنزل بعد أن ذاقوا تجربة مختلفة.

ومع استمرار الطريقي بالضغط على أرامكو لإجراء بعض التحولات، بدأ البعض في الشركة ينظرون إلى ابن معمر، حتى وإن كان هذا صعب التصديق، كقوة مضادة محتملة. والسرّ هو انشقاق ذَكَر محلّلو أرامكو أنه بدأ يتنامى بين الصديقين حول الاتجاه الذي يجب على السعودية أن تسير فيه:

---

(٦٣) انظر:

Dhahran to State, 282, 6 April 1960, Annual Petroleum Report for Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/4-660.

«فالطريقي كان ناصرياً صرفاً بينما ابن معمر كان وطنيّاً سعوديّاً»، وذكر جندي البحرية السابق ومحلل أرامكو كارل بارنت (Carl Barnet) بأنه شاهد «مشادة كلامية حادة حول قوميّة محلية أو قوميّة على الطريقة الناصرية» إلا أن السفارة بحكمة شككت في هذا النوع من التحليل، وذلك على الرغم من أنها استمرت في مهاجمة الطريقي باعتباره «متملقاً ويسعى خلف الأضواء» وسخرت من ابن معمر باعتباره «متقلب المزاج» و«عاطفياً» ومتمكناً من الفكر الشيوعي لكنه في نهاية الأمر«تاجر حر»»[٦٤]. ولو نحَّينا هذا الهجوم المتنكر بزيّ التحليل جانباً فإنه لا يوجد دليل من أي نوع على وجود تنافس يشكل السياسات في الشهور التالية.

وتكشف أحكام القيادات العليا في أرامكو بأن تحيزاتها استمرت في منعهم عن قراءة الأحداث. ففي كانون الأول/ديسمبر، شجب أحد كبار قيادات أرامكو في واشنطن، تري ديوس، عمل الطريقي الذي اعتبره حملة غير عقلانية ضد أرامكو والتي لا تحركها سوى طموحاته السياسية والتي ترمي إلى إسقاط الملكية، كان هناك أمل ضعيف: «فحقيقةُ أن الطريقي لم تتم ترقيته إلى درجة وزير» تشير إلى أن الملك وولي عهده قد تنبها إلى «خطر الطريقي السياسي على السلالة الحاكمة». وبعد ما لا يقل عن الشهر، تم توجيه صفعة للشركة عبر تعيين الطريقي وزيراً على وزارة النفط التي أنشئت حديثاً. وقد كانت السفارة أيضاً قد قرأت الأمور بشكل خاطئ، فكما أشرت مسبقاً، ففي التاسع عشر من كانون الأول/ديسمبر، كانت قد أشارت إلى أن حكم فيصل كان آمناً، إلا أنه في هذا اليوم نفسه رفض الملك سعود بشكل رسمي الميزانية التي اقترحتها حكومة فيصل، وبعد يومين قدّم فيصل استقالته إلى الملك.

ابن معمر يكهرب الرياض

استعاد الملك سعود السيطرة على الحكومة في الأيام الأخيرة من عام ١٩٦٠م وشكّل حكومة تُعتبر إلى يومنا هذا الأكثر تميزاً وتقدماً عرفه

---

(٦٤) انظر:

Jidda to State, 175, 21 November 1960, Aramco Representative Explains Cleavage between Abdullah Tariki and Abdul Aziz bin Mu'ammar, RG 59, 886A.2553/11-2160.

تاريخ المملكة العربية السعودية حتى اليوم. توجه بارغر إلى الرياض للقاء الملك بعد أيام من تشكيل الحكومة الجديدة حيث وصفها بأنها «أكبر لعبة بوكر سياسية في تاريخ المملكة»(٦٥). ومن الصعب أن يفسّر كل من تبذير سعود، أو افتقاره لتعليم أو خبرة أجنبيين، أو حتى محاولته الفاشلة لإسقاط عبد الناصر، السبب في أنه إلى هذا اليوم لا تُعلّق صورته في الجهات الرسمية، ليس هناك سبب آخر غير هذه الحكومة التي يتناساها التاريخ الرسمي يمكن أن يفسّر لنا هذا التناسي لدوره في تاريخ المملكة.

اختار الملك أخاه طلالاً الذي كان وقتها ألد أعداء فيصل ليترأس وزارة الاقتصاد الوطني، معلناً بداية رحلة ستكون نهايتها في المنفى في بيروت. وكوزير للمالية، أدار طلال أيضاً مبادرة التخطيط الجديدة. أما الطريقي، الذي كانت أرامكو تتضرع إلى الله بأن يتم استبعاده، فقد نال مقعداً في مجلس الوزراء باعتباره أول وزير للبترول والثروة المعدنية في تاريخ المملكة العربية السعودية، وهو أيضاً سيتوجب عليه التخلي عن منصبه والرحيل إلى بيروت. وبشكل غير مسبوق في ذلك الوقت تم تعيين ثلاثة مواطنين آخرين من عامة الشعب في مناصب وزارية، كما أعلن الملك تأسيس وزارة جديدة أخرى مخصصة للعمل، والأكثر دهشة من كل هذا، ولفترة قصيرة من الزمن، بات ابن معمر يُرى بحسب كلمات السفارة الأمريكية أقوى الأشخاص في الحكومة والمهندس الفعلي وراء أغلب التغييرات، ولهذا السبب فلن يكون النفي كافياً بحقه، بل سيرسله فيصل إلى السجن مرة أخرى، ولكن هذه المرة لأكثر من عشر سنوات.

والمصدر المعتاد لهذه الفترة المتميزة هو تقرير للسفارة عن محادثة أجريت مع مهندس استشاري يعمل في الرياض وكان يعرف ابن معمر لأكثر من عشر سنوات، فقد قال إيميل جورج (Emile George) لأحد الموظفين السياسيين الزائرين في السفارة بأنه «مرتاب بعض الشيء وخائف قليلاً على مستقبل الحكومة السعودية الجديدة»، وذلك بسبب «السلطة الهائلة» الموجودة الآن بين يديّ ابن معمر وحليفه فيصل الحجيلان. كرّر جورج الوصف التقليدي لابن معمر بأنه يحمل «أفكاراً راديكالية جداً». وهذا الراديكالي

(٦٥) Dhahran to State, 349, 26 December 1960, RG 59, 886A.2553/12-2660.

الآن هو من يختار التعيينات الحكومية، وقد وصفه مراقبو القصر باعتباره «القوّة الرئيسة وراء الملك»، ولهذا السبب كان الآخرون في مجلس الوزراء يعاملونه باحترام كبير[٦٦]. وأضافت السفارة بأن مصادر أخرى أكدت هذه الرواية، أحدها كان مسؤولاً كبيراً في أرامكو موجوداً في الرياض واسمه رونالد متز، وهو عميل سي آي إيه سابق، والذي قدّم أكثر التقارير تفصيلاً عن التغير التاريخي الآخذ بالتشكل، كان الملك واعياً حول ميل ابن معمر لإعطاء المثقفين مناصب حكومية ـ حيث كان هؤلاء التابعون معجبين به ـ إلا أن سعوداً قبل باختيارات ابن معمر، وفي بعض الأحيان قبل بها ضد «معارضة شديدة» من قبل المجلس المحافظ[٦٧].

ذكر متز أن أفكار ابن معمر عن التنمية وبناء الدولة تشابه أفكار حزب البعث الاشتراكي، وذلك على الرغم من أنه لم يكن له أي علاقة معروفة بهم، فهو وغيره من «الرجال الجدد» في جزيرة العرب كما يصفهم كيم فيلبي، غرقوا في اجتماعات «التخطيط» ـ «وهي كلمة رئيسة بالنسبة إلى المجموعة الجديدة» ـ وفي كتابة مسودات قوانين جديدة وإعادة ترتيب الإجراءات الحكومية والاستمرار في الالتقاء في فندق اليمامة «مساء وفي بعض الأحيان إلى آخر الليل بعد إغلاق الوزارة لمكاتبها». وقال متز: إن ابن معمر استطاع التحكم بمساعديه عبر هذه الاجتماعات الليلية، ووافق متز أرامكو في تفكيرها بأن هناك حرباً بين الطريقي وابن معمر، وهو الأمر الذي رفضته السفارة بشدة («إن الإشاعات حول وجود انقسام... غير صحيحة مع العلم بأن لا أحد من الاثنين يسيطر على الآخر») أما الذي اعتقده الأمريكيون بأنه صحيح فهو أن الطريقي لديه تأثير أقل على فيصل في فترته الأخيرة، وكذلك على ابن معمر الذي كان أكثر تسامحاً منه مع المخالفين له في الرأي، وأكثر قدرة على الحصول على ولاء أغلبية المعينين الجدد[٦٨].

---

(٦٦) Jidda to State, G-95, 6 February 1961, RG 59, 786A.00/1-2661.

(٦٧) انظر:

Jidda to State, 416, 14 February 1961, RG 59, 786A.00/2-1460, for the quotations contained in this and the following paragraph. Additional details from the meeting with Metz and others are provided in Jidda to State, 275, 25 February 1961, RG 59, 786A.00/2-2561.

(٦٨) Beirut to State, 757, 16 February 1961, RG 59, 786A.00/2-1661, reporting views =

أما الفرق الآخر بين الاثنين، والذي فيه مديح أقل لابن معمر، هو أن الطريقي لم يكن يعتقد أن ألاعيب الملك في السلطة كانت لحظة تحوّل حقيقية. وقد وصف متز ابن معمر باعتباره «رجلاً يعرف جيداً بأنه يملك السلطة والتأثير»؛ وكان بإمكانه أيضاً أن يضيف بأنه كان يعرف بدقة من أين حصل عليهما، فهو بوصفه موالياً للملك قد قدم له من التبجيل ما ساهم في صعوده بشكل سريع، حيث كان حجم التبجيل أكبر من ذلك الذي كان يقدّم له هو شخصياً والذي جعله مأقنماً من قبل أتباعه. «ستذكر كيف أن «جلالته استطاع الحصول على كل ما يريده من قصور ورفاهية، أما الآن فإن الرغبة الإضافية المتبقية في حياته هو أن ينجز شيئاً لصالح شعبه... وهي مهمة تنمية البلاد»». ولعله كان مؤمناً بذلك، ولكن سواء كان أم لم يكن فقد أراد التشديد على تسجيل غضبه من الرؤى الساخرة للصحافيين الغربيين الذين كانوا يكتبون عن النظام الجديد في المملكة العربية السعودية[(٦٩)].

إلا أنه كان هناك إجماع على نقطة واحدة، وهي أن الأجواء في الرياض كانت مشحونة أو «متكهربة» كما وصفها عيسى صبّاغ موظف السفارة المختص بالشؤون العامة. موظف آخر في السفارة قال بأن الحكومة الجديدة «لديها من الدعم الذي لم يحظ به أي أحد في السعودية من قبل»[(٧٠)] وقد ذكرت السفارة أيضاً ما حدث في لقاء مع مصطفى وهبة، أحد المنتمين إلى ما يسمى بالرجال الجدد، وهو اقتصادي ابن المستشار الملك عبد العزيز

---

of unnamed ARAMCO officials, one of whom was clearly Duce, carrying on once more about = Ibn Muammar being a menace and consorting with communists in Vienna, a charge for which he admitted he had no evidence.

انظر أيضاً:

"Arabia's New Men," *Economist* (18 March 1961).

(٦٩) Jidda to State, 275, 25 February 1961, RG 59, 786A.00/2-2561. The travel writer James (now Jan) Morris was one. She brutally dissected the "regal rearguard" fought by "flabby and threadbare" Saud, "an aristocrat gone to seed.... A strange man, with a sick look to his eyes". Morris was apparently not much impressed with the Saudi Arabian revolution- "one of the most politically stagnant of all states. Scarcely a breath of liberal democracy has yet rustled the trappings of fue royal house". See: James Morris, "Saud-Master of the Rich Desert," *New York Times Magazine* (19 February 1961), p. 32.

(٧٠) Dhahran to State, 441, 15 February 1961, RG 59, 786A.00/2-156.

الشيخ حافظ وهبة وأحد تلاميذ الطريقي في مديرية النفط العامة، انضم وهبة للحكومة الجديدة باعتباره وكيل وزير المالية للتنمية الاقتصادية التي كانت بإدارة الأمير طلال، وصفته السفارة في مطلع عام ١٩٦١م بأنه «يفيض حيوية» و«حماسة بالكاد يمكن التحكم بها». قال وهبة بأن «هذه هي المرة الأولى في تاريخ البلاد التي بدأ فيها الناس بالالتفات بشكل واعٍ إلى السياسة والاهتمام بشكل كبير بالوعود التي تُقدم». وقال في الوقت نفَسه: إن المملكة قد تحتاج إلى مساعدة خبرات خارجية من «مؤسسة فورد أو روكفلر» وذلك من أجل دعم مسار التنمية الذي بدأته حكومة الملك سعود الجديدة، إلا أن وهبة سيبدو متحفظاً إذا ما قورن بأحد المؤمنين بابن معمر كعبد الرحمن البهيجان وهو، كما ذكرنا في الفصل السادس، المولود في عنيزة في نجد والذي كان أحد قادة الإضراب في عام ١٩٥٣م، وكان من بين الذين رفضت الشركة إعادة توظيفهم، فانتقل بعد عام للعمل لدى ابن معمر في مكتب العمل في الدمام ومُنح بعثة لدراسة الاقتصاد في لندن، فهو «تحدث عن ابن معمر بلغة ملؤها الخشوع والإعجاب» وأصيب بنوبة ضحك عندما دافعت السفارة عن التزام أرامكو بسياسة السعودة(٧١).

كان الطريقي أكثر تحفظاً، لكن لم يمنعه ذلك من أن يبين بوضوح إلى أي فريق ينحاز، فقد أخبر مبعوثَي أرامكو في الرياض، بارغر وبروغهام (Brougham)، بأنه لم يستطع تصديق أن تشكيل حكومة تقدمية مثل هذه أمر ممكن في السعودية «من دون ثورة» ولكننا الآن نسعى «لتحقيق كل ما يمكن تحقيقه من خلالها». فهو كان مستعداً للعمل مع الملك لكنه لن يتسامح بأن يتم التعامل معه كما لو كان مجرد «مخلب قط». وشدد بارغر على أن الطريقي كرر استخدام كلمة «نحن» عندما كان يتحدّث عن التغيرات التي في الطريق(٧٢).

في لقائه الإعلامي السعودي الأول بعد توليه وزارة النفط مع صحيفة

---

(٧١) Jidda to State, 275, 25 February 1961, Conversations in Riyadh with Mu?ammar, Turaiqi, Wahba (Jr.), Biliaijan and an Aramco Official about the New Outlook in the Saudi Arabian Government, RG 59, 786A.00/2-2561.

(٧٢) انظر:

Dhahran to State, 358, 31 December 1960, RG 59, 886A.2553/12-3160.

البلاد (في التاسع من كانون الثاني/يناير من عام ١٩٦١م)، طالب الطريقي بتغيير اتفاقية الامتياز بما يتوافق مع مصالح الشعب، وإذ كان يتحدث عن أمل الحكومة بالحصول على «اتفاق مناسب» مع أرامكو والتابلاين فإنه على الأرجح كان يتخيل نظاماً جديداً يجبر الشركة على الخضوع(٧٣). هذا وقد رفض كل مقترحات الشركة الجديدة ولجأ في النصف الثاني من عام ١٩٦١م إلى الإعلام من أجل الضغط على الشركة عبر تثقيف الشعب، فقد اتهم أرامكو بأنها تهربت من دفع ما قيمته ١٨٠ مليون دولار كانت عبارة عن ضريبة دخل على مبيعات أنابيب صيدا. وانضم إلى هذه الحملة أيضاً وزير المالية الأمير طلال، فوجهت أرامكو اعتراضها للملك، لكن من دون جدوى، فسعود ادعى أنه ليس لديه أي علم بنشاطات الطريقي، دفع هذا الأمر رجال النفط لشن حملة مضادة وذلك عبر استخدام تلفاز أرامكو في المنطقة الشرقية، وتوزيع الأفلام في المدارس والأندية الرياضية إلى ما يقارب ١٦ ألف سعودي، واستضافة الصحافيين ورجال الأعمال وموظفي الدولة وأساتذة الجامعات في الظهران، وتقديم رحلة من الساحل إلى الساحل في أمريكا لاثنين من أهم رؤساء التحرير في البلاد(٧٤).

كان فيصل هو البطل الذي لجأ إليه كل أولئك الذين صُدموا من انشقاق الملك المفاجئ والتوجه إلى الجانب الصحيح من التاريخ والذين كانوا متخوفين من عواقب التراجع المفاجئ لولي العهد، وقد أبدى غالب الرفاعي، أحد موظفي القصر، مخاوفه ممزوجة بشيء من المزاح لأحد زملائه الأمريكيين الذين يعملون في البعثة التدريبية العسكرية بعد دعوته إياه إلى عرض الأفلام الأسبوعي الذي يجري بعد العشاء في القصر. «أحد أبطال الفيلم هو جيري لويس (Jerry Lewis)، إننا بحاجة إلى الضحك وسط كل هذا التوتر». إلا أنه كان هناك كثيرون لم يكونوا يضحكون، من بينهم

---

(٧٣) انظر:

Jidda to State, 263, 7 February 1961, Tariki Press Interview Alleged Need for Changing Agreement with ARAMCO, RG 59, 886A.2553/2-761.

(٧٤) انظر:

Dhahran to State, 17, 17 July 1961, ARAMCO Voices Concern to King Saud over Recent Press Interviews of Shaikh Abdullah Tariki and Prince Talal, RG 59, 886A.2553/7-1761, and for the public relations countercampaign, Dhahran to State, 269, 25 April 1961, Annual Petroleum Report for Saudi Arabia, RG 59, 886A.2553/4-2561.

المقاول السعودي الذي تنبأ بأن «ما سيحدث مستقبلاً لن يكون سوى الصراع والفتنة»، وكذلك السفير الباكستاني الذي خشي أن يستولي اليساريون على المملكة وكان يريد من طلال وعلي رضا أن يتخلوا عنهم. وبالفعل، فبينما احتفى التاجر الحجازي بهزيمة راعيه السابق («إن فيصلاً بكل تأكيد ضعيف الآن ولا يمكنه استعادة سلطته أو منصبه»)، إلا أن علي رضا لم يعجبه كيف تمت إدارة الأحداث، فقد قال: إن الشيوعيين كانوا «قريبين من الملك قرب ربطة عنقي إلى حلقي» في إشارة إلى ابن معمر، وأنه ـ أي علي رضا ـ أجبر «على التخلي عن عالم التجارة في المملكة العربية السعودية، مخالفاً بذلك رغبة أسرتي، وذلك من أجل الدخول في السياسة وحماية البلاد من الشيوعية»[٧٥]. كان توقع السفير الأمريكي الأخير هو أن الحكومة الجديدة لن تكون قادرة على «تحمّل هذا الجهد الجماعي من العناصر المحافظة للإطاحة بها»[٧٦]. لقد كان توقعه صحيحاً.

بيت الرجعيين

قاد ما يعرف اليوم بالأمراء السديريين السبعة ـ والذين تضمنوا فهداً وسلطاناً وسلماناً وتركياً وعبد الرحمن ـ معارضة هذه الثورة. فكما نقلت السفارة، كان يحرك هؤلاء الأمراء دوافع مختلفة لكنهم كانوا متوافقين على هدف واحد، ففريق كان لديه ولاء عال لفيصل، وآخر كان يخشى من ابن معمر، وآخر كان يريد الانتقام من فقدانه لمنصبه الوزاري، وآخر، وهو الذي تنتمي إليه الأغلبية، كان غاضباً مما وصفته السفارة بـ«التوزيع غير العادل من قبل الملك للمزايا والأعطيات»[٧٧]، ولن يكون أول من يجب التضحية به في الحرب داخل أسرة آل سعود أحد سوى عبد العزيز بن معمر نفسه.

أحد الإخوة من أبناء علي رضا واسمه أحمد أبلغ السفير الأمريكي

---

(٧٥) Jidda to State, 369, 10 January 1961, RG 59, 786A.00/1-1061.

(٧٦) Dhahran to State 441, 15 February 1961, RG 59, 786A.00/2-1561; Jidda to State, 238, 19 January 1961, Apprehensions of Pakistani Ambassador over Leftist Influence on New Saudi Arabian Government, RG 59, 786A.00/1-1961, and Jidda to State, 416, 14 February 1961, RG 59, 786A.00/2-1461.

(٧٧) Dhahran to State 441, 15 February 1961, RG 59, 786A.00/2-1561.

بالأخبار الجديدة على العشاء في الثامن عشر من شباط/ فبراير، ففي الليلة السابقة قرر الملك أنه بات ضرورياً تعيين مستشاره السابق، ابن معمر، سفيراً في سويسرا، ومعاونه فيصل الحجيلان مبعوثاً في إسبانيا. لم يستطع أحمد تمالك نفسه («إن الأسرة على ما يبدو مبتهجة بهذا الخبر»)، مراهناً على أن «الثاني في قائمة الإقالة سيكون وزير النفط عبد الله الطريقي»[(٧٨)]. وأكّد وكيل وزير الخارجية، عمر السقّاف، الذي كان شديد الولاء لفيصل، هذا التوقع الصحيح. لم يستطع الرجال الجدد التكيّف مع معطيات الواقع السعودي، بل «أرادوا ضغط ثلاث سنوات من التقدم والتغيير في سنة واحدة». وكما توقع السقّاف، فإن الأمير طلالاً كان هو العنصر الرئيس ولن يستمر طويلاً «وستكون هذه نهاية محاولة الملك لممارسة الحكم».

فعلى مدى الأشهر القليلة التالية سيزداد إحباط كل من سعود وطلال، وهو ما يدل على صحّة كلام السقّاف، ويدل كذلك وهو الأكثر أهمية على مدى إصرار فيصل والسديريين على تحقيق هدفهم، فقد طالب الأمراء بأن يتم إرجاع فيصل إلى الحكومة، في حين أن فيصلاً كان يطالب بإقالة طلال كمقابل لعودته. ولعل أقوى الأدلة على أن الملك بدأ يخسر مجدداً ويبدأ بالارتجال، كما فعل في النهايات المأساوية للعامين ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م، هو الإعلان المفاجئ في آذار/مارس من عام ١٩٦١م بأن حكومته لن تقوم بتجديد اتفاقية قاعدة الظهران الجويّة مع الولايات المتحدة الأمريكية، والتي لم يكن مقرراً لها أن تنتهي إلا بعد عام. إن محاولة لفت الانتباه الغريبة هذه، والتي وصفها السفير الأمريكي بأنها «واحدة من أغبى وأشد ممارسات سعود السياسية إثارة للاشمئزاز» كان دافعها الخوف من قرب نشر الصحافة في بيروت وأماكن أخرى في المنطقة قصة ـ أخبر القصر السفارة أن الأمراء المعارضين هم مصدرها ـ مفادها أن فيصلاً كان يسعى لإنهاء الوجود العسكري الأمريكي، وهو أمر صحيح، وأن سعوداً كان يريد إقصاء فيصل، وهو الأمر غير الصحيح، فقبل ذلك في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٦٠م، بدأ فيصل بالتواصل سراً مع إدارة كينيدي لإنهاء الاتفاقية (لكن ليس البعثة التدريبية) قبل موعدها المحدد، كما أن طلالاً قام بالأمر نفسه

---

(٧٨) Jidda to State, 433, 19 February 1961, RG 59, 786A.13/2-1961. The file is also the source for the al-Saqqaf quote that follows.

بعد ذلك بشهرين[٧٩].

في هذه الإثناء كان إكمال المنفذ الدولي الجديد ـ الممول أمريكياً في الظهران، والذي كان جزءاً من (عملية التفاوض) لتجديد الاتفاقية في عام ١٩٥٦م ـ متأخراً عن موعده المتفق عليه بسنوات. والسخرية في هذا الموضوع تستدعي التوقف عندها قليلاً، فكما رأينا مسبقاً، فالسعوديون كانوا يتظاهرون ضد الوجود العسكري الأمريكي منذ عام ١٩٥٥م، مستغلاً سمعة مشروع الظهران، كان مصمم المنفذ، وهو الحداثي الأمريكي مينورو ياماساكي (Minoru Yamasaki)، قد بدأ للتوّ مشروعه الجديد حيث تحدث فيه عن كيفية أن عمله في السعودية وخصوصاً طريقة بناء الكعبة في مكة ـ وباحتها المركزية الفسيحة ـ كانت مصدر إلهام له في تصميمه المقترح لمركز التجارة العالمي في منهاتن، بعد عدة عقود ساهمت عودة الجنود الأمريكيين إلى المنطقة الشرقية إلى تدمير أشهر المباني التي أنشأها ياماساكي.

في عام ١٩٦١م، كان اهتمام الأمريكيين مركّزاً على قرارات السعوديين التي تتخذ من طرف واحد أكثر من مسألة استمرار الوجود العسكري في القاعدة الجوية (والتي كان الجميع يصرّ على أنها لم تكن قاعدة). كانت أهمية الظهران الرئيسة بالنسبة إلى الجيش الأمريكي هو أنها تعمل كمركز اتصالات في فترة السلم لكل من القوّات البحرية، التي كانت قيادتها الإقليمية (COMIDEASTFOR) تعتمد عليها من أجل الاتصالات التي تربط الساحل بالمركبة والقوّات الجويّة، حيث كانت تعمل بوصفها محطة مُرحّلة بين قاعدة ويلوس (Wheelus) في ليبيا ومحطة كلارك فيلد (Clark Field) في الفلبين، ونقطة استراحة لطاقم الطائرات. ولهذا كان من الممكن إيجاد بدائل لها، فالقاعدة لم يكن لها أي دور في خطط البنتاغون الحربية وذلك لأن المخططين الاستراتيجيين افترضوا بأنه من السهل استهدافها وتدميرها، أو الاستيلاء عليها وإدارتها من قبل الأعداء.

---

(٧٩) Heath continued, "It would almost seem he is disintegrating before the pressure of the opposing members of the royal family and clutching at straw". See: Jidda to State, 479, 13 March 1961, RG 59, 611.86A7/3-1361, and State to Jidda, 366, 13 March 1961, RG 59, 611.86A7/3-1361.

وبالطبع، فقد حذّر السفير من أن الملك قد يتخذ إجراءات متهوّرة، فلم تكن هذه هي الطريقة التي كانت الدول الصديقة تحل من خلالها اختلافاتها، وعندما بات واضحاً من أن السعوديين لن ينتظروا التفاوض حول حل مُرْضٍ للطرفين، طلبت واشنطن بعض الوقت لتعد بياناً مشتركاً، إلا أن هذا الطلب لم تتم الاستجابة له، طلب طلال من السفارة الأمريكية في السادس عشر من شهر آذار/مارس بأن تقبل بالإعلان الذي سيبث في إذاعة مكة عن قرار الملك بإنهاء «أول» وجود أمريكي على الأراضي السعودية المقدسة، كان رد هيث هو أن الحكومة في واشنطن لن تكون سعيدة بذلك، إلا أن إذاعة مكة بثت الخبر على أيّة حال.

في ربيع عام ١٩٦١م أصبحت الحرب بين مختلف أجنحة الأمراء علنية لدرجة أنه تمت تغطيتها في صحيفة **النيويورك تايمز**. في القاهرة، كان الأمير طلال («سميناً ونشيطاً وثريّاً جداً») يمارس بعض السياسة الخارجية بينما هو في إجازة من السعي من أجل التنمية السعودية، فقد قال للإعلام المصري بأن الحكومة السعودية ستنهي اتفاقية الظهران («والتي كانت تسمى بشكل خاطئ تأجير») بسبب المساعدة الأمريكية لإسرائيل! أما سعود فقد قدم نسخة (أقوى) من هذا السبب بعد أيام قليلة، ولعله ظن أن الأمريكيين سيقدرونه أكثر، إلا أنهم لم يفعلوا. طلب طلال الالتقاء بالسفير وذلك بطريقته الملكية الخاصة: حيث قام سكرتيره كما ذكر هيث لواشنطن «بالاتصال من الرياض بخصوص طلبي بمقابلة الأمير»، «إلا أني لم أتقدم بأي طلب. . . ولعلها كانت هذه طريقته في طلب لقائي»، إلا أن وزارة الخارجية نصحته بأن يتجاهله[٨٠].

تم خداع القليل في العالم العربي بهذه المحاولات اليائسة لاسترضاء «الشارع» كما هي الكليشيه المستخدمة في تلك الأيام، ففي أيار/مايو، كان عدد من المجموعات السريّة الجديدة ـ وهم أبناء الجزيرة العربية، والجبهة الوطنية للإصلاح، وجبهة التحرير القومية ـ قد بدؤوا بشن حملة عن طريق نشرات مرسلة بالبريد من بيروت ودمشق والبحرين تهاجم الأسرة الحاكمة وتندد «بكل من سعود وفيصل باعتبارهما «عملاء للغرب» ـ وهو مصطلح

(٨٠) Jidda to State, 544, 10 April 1961, RG 59, 786A.11/4-1161, and State to Jidda, 402, 11 April 1961, RG 59, 786A.11/4-1161.

ازدرائي بالنسبة إلى القوميين والشيوعيين» كما وضحت ذلك النيويورك تايمز، وقد أوردت خبيرتها القديمة بشؤون الخليج دانا آدامز شميدت (Dana Adams Schmidt) بأن المتظاهرين في المنطقة الشرقية تجمعوا عند زيارة الملك في شهر أيار/مايو[٨١]. وبعد شهر، بعد ادعاء العراق بأن الكويت ليست إلا جزءاً من العراق، كان الشيعة في المنطقة الشرقية يرسلون البرقيات إلى قاسم من أجل تخليصهم وضمهم إلى ما اعتبروه وطن العرب الأصلي.

لقد نما بالفعل حنق الشيعة ونشاطهم بشكل ملحوظ في المنطقة الشرقية وتحديداً في واحة القطيف في الشهور الستة الأخيرة، فقد أرسلوا بعثة إلى الرياض للاحتجاج إلى الملك من التمييز والهجوم عليهم في الصحف، أما الشيعة في الهفوف فقد قاطعوا الانتخابات المحلية بعد أن خصص لهم الأمير مقعديْن فقط من أصل أحد عشر مقعداً، وذلك على الرغم، كما ذكرت أرامكو، من أنهم يمثلون ثلاثة أرباع سكان البلدة، كما أن السفارة قد ذكرت تشكُّل جمعيات تطوعية تقوم بتمثيل مصالح الشيعة، إلا أن النقطة التي كانت السفارة تشدد عليها دوماً في تقاريرها هي أنه على الرغم من وجود عدد قليل من الأشخاص يمكن اعتبارهم شيوعيين في السعودية، إلا أنهم كانوا غالباً من شباب الشيعة في الأحساء حيث كان دعم العراق وتأييد حاكمها الشعبوي، عبد الكريم قاسم، قوين[٨٢].

الملك وولي عهده وجهاً لوجه لأول مرة بعد ستة أشهر في الثامن من آب/أغسطس من عام ١٩٦١م، حيث أفصح سعود عن رغبته بإيجاد حل للخلاف بينهما من أجل مصلحة البلاد، وهذا بحسب الروايات التي تم تسريبها خارج الرياض، طالب فيصل بإقالة طلال كمقابل، والبعض في الرياض سيضيفون بأن طلالاً ذهب إلى بيروت في الأسبوع اللاحق وقام بسلسلة من اللقاءات الجديدة النارية لحماية نفسه؛ حيث هاجم سجل فيصل الإصلاحي في الداخل وفشله في مواجهة الأمريكيين، ولعل عميل أرامكو

---

(٨١) Dana Adams Schmidt, "King Saud's Foes Step Up Activity," *New York Times*, 23/5/1961, p. 4.

(٨٢) انظر:

Dhahran to State, 148, 27 December 1960, Discrimination in the Eastern Province of Saudi Arabia against the Shia and Their Increasing Discontent, RG 59, 886A.413/12-2760, and Dhahran to State, 71, 9 September 1961, Visit to Hofuf, RG 59, 886A.00/9-961.

في الرياض، رونالد متز، قد أدرك الأمور بشكل صحيح عندما قال: إن التخلي عن طلال في بداية شهر أيلول/سبتمبر نبع من خلاف عميق مع الملك، وإن «الصراع على القيادة» كان «مسألة حقيقية». فالمواجهة بين الرجلين بعد مغامرة طلال في بيروت انتهت بأن قام الملك بطرده. حاول حلفاء طلال داخل مجلس الوزراء من الأمراء حمايته إلا أنهم فشلوا، وتم إقالة إخوته بدر وعبد المحسن من مجلس الوزراء أيضاً[٨٣].

كان شقيق زوجة فيصل ورئيس استخباراته المستقبلي، واسمه كمال أدهم، موافقاً على تصرفات الملك طالما أنها تمنع خطر تحرر البلاد، قال أدهم: «إن البلد ببساطة ليس جاهزاً للدستور». وأخبر معارفه الأمريكيين أيضاً بأن فيصلاً ما زال غير راضٍ. لقد كان «مستحيلاً بالنسبة إلى الملك وفيصل أن يعملا معاً بتوافق... وسنحتاج إلى أزمة وطنية حتى يتمكن فيصل من العودة إلى السلطة»[٨٤]، وستؤدي الحرب مع مصر هذه المهمة.

---

(٨٣) انظر:

Jidda to State, A-68, 27 September 1961, RG 59, 786A.13/9-2761.

(٨٤) انظر:

Jidda to State, 88, 25 September 1961, Enclosure, Memorandum of Conversation, Political Situation in Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/9-2561.

الفصل الثامن

مملكة أمريكا

أنا أعلم أيضاً أن هيئة الأركان تتساءل ما إذا كان هذا الجزء الفاسد من العالم هو الذي ينبغي أن نتدخل فيه، إلا أني أخشى أن أخبركم هو أننا تدخلنا في هذا المكان منذ زمن بعيد. وعلى الرغم من أن الأمر كان خطأ منذ البداية، إلا أن علينا أن نتذكر النفط.

ماك جورج بندي (McGeorge Bundy)
مذكرة إلى هيئة الأركان

ستعتمد زيارة فيصل ـ أكثر من المعتاد ـ على نبرة صوتك بالمقدار نفسه الذي ستعتمد فيه على محتوى كلامك... ولعل انطباعك الأول سيصوّر لك أنه سيكون من الصعب عليك التعامل مع هذا الملك الصحراوي الملتحي والمتدثر بالثوب. إلا أن فيصلاً عصري أكثر بكثير مما يدل عليه مظهره. فستجد تَحْتَ هذا الثوب عقلاً متقداً وحرصاً عميقاً على التقدم التعليمي والاجتماعي. أنا متأكد أنه سيكون ممتناً لوضوحك وصراحتك... فهو يستحق المحاولة. إن أكبر استثمار خاص لنا خارج البلاد هو استثمار شركة الزيت العربية الأمريكية في السعودية الذي تبلغ قيمته ١,٢ مليار دولار. كما أن كل مصالحنا الأخرى في الشرق الأوسط ـ والتي تمتد من منع وصول الشيوعية إليها إلى حماية إسرائيل ـ تعتمد بشكل كبير على التحديث التدريجي تحت قيادة زعماء معتدلين مثل فيصل الذين يعارضون الطرق الثورية التي يتبناها أمثال عبد الناصر والشيوعيين.

والت روستو، مذكرة إلى الرئيس جونسون

«نحن لا نثق بعد اللهِ إلا بأمريكا».

فيصل بن عبد العزيز
مقتبس من كتاب باركر هارت، المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة

حرب جمال عبد الناصر ضد آل سعود

في ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦١م، استولت مجموعة متمردة من الجنود السوريين على دمشق، عاصمة ما كان يعرف حينها بـ«الإقليم الشمالي» للجمهورية العربية المتحدة، معلنين بأن هدفهم هو «استعادة حقوق الأمة». توسع التمرّد ليصل إلى الثكنات العسكرية في حلب واللاذقية. وقبض الثوّار على حرس المقدمة المكونة من ١٢٠ مظلياً كانوا قد حلّقوا من مصر لقمع الانقلاب. وأمام هذا التحدي، أوقف زعيم الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر هجومه، أما نائبه في دمشق ورفيقه المقرّب عبد الحكيم عامر فقد عاد أدراجه إلى القاهرة[١]. أنهى هذا التمرد الوحدة مع مصر التي لم تعش لأكثر من ثلاث سنوات، وتلقى عبد الناصر بسببه ضربة قويّة.

وفي سبيل تجاوز هول الفاجعة السوريّة، بدأ عبد الناصر باعتقال الأثرياء المصريين، على الرغم من أنه لا علاقة بينهم وبين الانفصال، وقام بمصادرة بيوتهم وأملاكهم، ووعد الأمة بإقامة محاكمات شكلية لأكبر رجال الأعمال. أما ضباط جيشه الذين قادوا محاولة انقلاب لمنعه من التحول إلى الاشتراكية فقد تم التخلص منهم بصمت[٢] كما جدّد عبد الناصر حملته ضد ملكيات الشرق الأوسط الرجعية، والتي كانت أقل قمعاً منه، حيث اتهمها بتقديم الدعم لـ«التيار اليميني» ولـ«منحرفين» في سوريا. وأبقى الهجوم، الذي بثته إذاعة صوت العرب على ملك السعودية وشركة النفط الأمريكية («حكام عرب رجعيون وخونة ومتآمرون وأدوات للإمبريالية»)، مترجمي أرامكو ومحلليها مشغولين ومستمتعين. فقد ذكرت إحدى نشرات الإذاعة المعادية أن هناك من بين نساء سعود «يهوديات من إسرائيل واليمن وأوروبا... هل تحطّم إيمانك الزائف أمام بريق الدولارات وسادتك الأمريكيين؟» واعتمدت البروباغندا بشكل كبير على القصائد والمحاكاة الساخرة للأغاني المشهورة في ذلك الوقت[*].

---

(١) Amr would console himself -with an Algerian actress turned mistress and with hashish. See: Kirk Beattie, *Egypt during the Nasser Years: Ideology, Politics and Civil Society* (Boulder, CO: Westview, 1994), p. 160.

(٢) Ibid. The plot was uncovered in January 1962.

(*) لم يتم العثور على النص الأصلي للقصيدة، فقمت بتعريبها من ترجمة القنصلية الأمريكية في الظهران التي أوردها الكاتب (المترجم).

يا عبد أرامكو، وأداة الإمبريالية

على رمال متحركة ممزوجة بالعرق بنيت قصر الناصرية

يا عبد أرامكو، وأداة الإمبريالية

قمت بذلك من عرق أحرار الأرض

سيسيطر الشعب يوماً على الأرض

وسيكون يوماً قريباً يوم يثأرون؛

نعم، سيثأرون؛ نعم، سيثأرون.

فهم عاشوا في سجونك، وتعذبوا خلف القضبان

وهم يعلمون أن الظلم يباع في بلادك في كل مكان.

فهم عاشوا في سجونك، وتعذّبوا خلف القضبان

وأنت اليوم لا تصلي، وإنما تركع للدولار

أمريكا لن تحميك من الأحرار،

ولا حتى قاعدة الظهران عندما يثورون.

عندما يثور الأحرار ويثأر المقهورون،

فكن متأهباً يا سعود، لأنهم حتماً سيثأرون.

نعم، إن الشعب والأحرار قريباً سيثأرون[٣].

ضغط مسؤولون في وزارة الخارجية الأمريكية على التنفيذي في أرامكو توم بارغر من أجل الإجابة عن السؤال المستمر المتعلق بمدى هشاشة النظام السعودي، فجاءت إجابته بأنه على الرغم من أن البروباغندا المصرية كانت «أكثر عنفاً وفحشاً من أي وقت مضى»، إلا أن السعوديين سيستطيعون الصمود على الأرجح. وذكر أيضاً أن الجيش كان مقسماً ويفتقر إلى الروح

(٣) انظر:

Dhahran to State, 170, 18 January 1962, RG 59, 786A.00/1-2362, enclosing summaries and partial transcripts of Voice of the Arabs broadcasts on 25 November, 5 December and during the week of 6-19 December 1961.

القتالية اللازمة، إلا أنه للأمانة قد أقر بأن أحداً لم يتنبأ بانقلابات عبد الناصر وعبد الكريم قاسم في كل من مصر والعراق. وقال بارغر: إن أكثر ما يقلقه هو الطوفان المتعاظم من السعوديين المتعلمين العائدين إلى البلاد؛ إذ إنه حتى بعد مرور عقدين على تواجده في المملكة، ما زال أكثر الأصوات تقدمية في أرامكو مشككاً بجدوى تدريب طبقة مثقفة بالطريقة نفسها التي أبداها مؤسس المملكة وللسبب نفسه أيضاً قبل ذلك بعقدين من الزمان[٤].

ومع ذلك، فقد أثبت هذا القطاع الأكثر تنعماً من النخبة المثقفة السعودية فائدته للنظام عندما قام بالرد على وابل رصاص البروباغندا المصرية على صفحات الصحف، وكذلك في الإذاعة عندما أطلقت السعودية محطتها الخاصة **صوت الإسلام**. وفي كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٦١م، نشرت صحيفة **الندوة** السعودية سلسلة من المقالات تنتقد فيها محمد هيكل رئيس تحرير الأهرام وذراع عبد الناصر الإعلامية (بوصفه «أداة» و«مرتزقاً»)، حيث استذكرت دور مصر التاريخي والمهم في النهضة بالإسلام، وشنّعت على عبد الناصر تقليله من أهمية الدين. ففي الوقت الذي يصرح فيه بأنه مؤمن، نجده يُتهم بأنه يسمح «بالحانات، وبالملاهي الليلية الملأى بالأجساد العارية التي تستثير أحط الرغبات الجنسية، وببث الأغاني في الإذاعة والتلفاز التي تدعو الناس بشكل صريح إلى الزنا، وبوجود المجلات والصحف التي تظهر صوراً شبه عارية للنساء، وبأندية القمار، وبإجبار الفتيات الصغار على تعلم الرقص وحضور المخيمات الشبابية في الداخل والخارج، ويشمل الخارج هذا عاصمة الشيوعية موسكو»[٥]. وستبدأ الصحافة السعودية بعد ذلك بفترة قليلة بنشر رسوم كاريكاتورية لعبد الناصر وهيكل يظهران فيها وهما يدخنان الحشيش في إشارة إلى أن المصريين لا بد من أن يكونوا بلا وعيهم حين ينشرون هذه الأكاذيب عن الملك[٦]. وبدا جلياً أن المشرفين على

---

(٤) انظر:

State Department, Memorandum of Conversation, Current Developments in Saudi Arabia, 23 January 1962, RG 59, 786A.00/1-2362.

(٥) انظر:

Jidda to State, [telegram number not obvious], 3 January 1962, 686A.86B/1-362.

(٦) انظر:

Jidda to State, A-142, 23 March 1962, RG 59, 686A.86B/3-2462.

البروباغندا السعودية كانوا قادرين على مجابهة الناصريين بسبب أموالهم، فقد ينتقد كاتبٌ ما النظامَ المصريَّ لتعذيبه أعضاء من جماعة الإخوان المسلمين، ولكنه في الوقت نفسه قد يشجب على مصر دورها في حركة عدم الانحياز من منطلق أن «كاسترو ليس إلا يهودياً، وأن اثنين من مستشاري تيتو المقربين يهود أيضاً»(٧).

الملك وكينيدي

لقد تزامنت الحرب المتصاعدة مع نظام عبد الناصر، الذي تجددت راديكاليته في شتاء ما بين عامي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م، والقلق الحاد الذي أصاب أولئك الذين راهنوا بشدة على النظام السعودي، مع تدهور مفاجئ لصحة الملك مرة أخرى. ففي قصره في الرياض في منتصف شهر تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٦١م، تردّت حالة سعود الصحية بشكل حاد، حيث كان ينزف بشدة من فمه بينما كان أطباء أرامكو يفحصونه بعد نوبته القلبية الأخيرة. بعد إدخاله مستشفى أرامكو أخطؤوا تشخيص حالته؛ حيث قال أطباء أرامكو: إن حالته خطرة وبحاجة إلى عملية في ما ذكروا أنه نزيف شديد في القرحة. وقد عارض الموظفون السياسيون في أرامكو فكرة إجراء العملية في الظهران، وذلك خشيةً من احتمالية أن الملك «لن يتعافى» حيث ستُلام الشركة على ذلك. كما أخبر توم بارغر وزارة الخارجية الأمريكية بأن الشركة كانت ضد نقله إلى مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت للسبب نفسه.

لقد كان من الجيد أنهم ترددوا في علاجه، فقد رتّبت السفارة الأمريكية مجيء أخصائي من لندن كي يأتي لفحص الملك، وما أن وصل هذا الطبيب حتى أنهى كل الحديث عن ضرورة إجراء عملية جراحية. كما تجاهلت وزارة الخارجية الأمريكية بشكل لبق طلب أرامكو بنقل الملك بالطائرات العسكرية؛ إذ كان على الشركة أن تجهّز طائرة خطوط ترانز ـ وورلد كي تقلع من نيويورك إلى الظهران لتأخذ الملك سعوداً إلى ما تبيّن فيما بعد أنها ستكون إجازة شتاء طويلة. أعلن الأطباء في مستشفى بيتر بنت بريغهام في مدينة بوسطن بأن الملك «كان، وبشكل مفاجئ، في حالة جيّدة» إذا ما تم

(٧) Jidda to State, A-143, 4 April 1962, RG 59, 686A.86B/4-462.

استثناء ضغطه المرتفع. حجز الملك وحاشيته أربعين غرفة في فندق بوسطن بلازا بعد مغادرته لمستشفى بريغهام، وذلك بعد أن عولجت عيناه وأجريت له بعد شهر عملية باطنية بسيطة. كما أنه قضى بعض الوقت في منتجع في سوامبسكوت قرب المجمع الشهير كيب كود الخاص بآل كينيدي، وبعده في شاطئ بالم في ولاية فلوريدا والتي كانت أيضاً قريبة من مكان الإجازة الشتوية لأسرة الرئيس(٨).

وبكل تأكيد لن يمضي الوقت كله في الاسترخاء والراحة. فعندما اتصل مبعوث الولايات المتحدة للأمم المتحدة أدلاي ستيفنسون (Adlai Stevenson) بالملك وجد أن كامل فريق التقدميين المغتربين موجود في غرفة سعود في المستشفى بمن فيهم سفير السعودية في إسبانيا فيصل الحجيلان، وعبد العزيز بن معمر الذي قدم من سويسرا، وكذلك سفير المملكة إلى ألمانيا الغربية صالح شعفان. كما كان من المتوقع أيضاً أن يصل الطريقي إلى بوسطن في وقت قريب(٩). وتكشف سجلات الأرشيف بكل وضوح الأمر الذي شغل اهتمام المجتمعين إلى جانب الملك، حيث كان المستشارون متوترين في سعيهم من أجل تدبير لقاء بين سعود وكينيدي، وإيقاف ما اعتبره كثيرون بأنه ـ وإن كان من الصعب تخيل مثل هذا الأمر في هذه الأيام ـ انحراف خطير عن تعهد كل من الرئيس ترومان وآيزنهاور بحماية حكم آل سعود و«نفطنا».

كانت إدارة الرئيس كينيدي قد وصلت إلى السلطة متعهّدة بتحسين العلاقات مع مصر، الدولة العربية الرئيسة، وذلك من أجل تجاوز ما اعتبره كثيرون بمن فيهم شخصيات رئيسة في إدارة آيزنهاور سياسة احتواء فاشلة(١٠). ولم تتجاوز المبادرة الاحتفائية سوى بعض الرسائل الوديّة بين

---

(٨) انظر:

New York to State, 1667, 16 November 1961, RG 59, 786A.11/11-1661; Dhahran to State, 153, 18 November 1961, RG 59, 786A.11/11-1861; State to Jidda, 175, 27 November 1961, RG 59, 786A.11/11-2761, and Chronology, compiler not listed, no date [1962], "Saudi Arabian News Chronology," Box 3, Folder 15, Mulligan Papers.

(٩) New York to State, 1982, 6 December 1961, RG 59, 786A.11/12-661.

(١٠) For a broadly revisionist but carefully argued account of the Eisenhower administration's late shift toward seeking "common ground", in effect, paving the way for the Kennedy advisors' initiative, see: Salim Yaqub, *Containing Arab Nationalism: The Eisenhower* =

الرئيس كينيدي وعبد الناصر، ولم يكن العلاج السحري الذي تقدم به المستشارون لكل أقطاب حركة عدم الانحياز، وهم عبد الناصر وتيتو ونهرو ونكروماه، سوى تقديم بعض الدولارات من أجل التنمية. ولهذه الغاية رفع فريق كينيدي من قيمة المعونة الغذائية المقيدة الذاهبة إلى مصر، والمعروفة بـ«معونات PL 480»، كما قاموا بإرسال «مخطط» جامعة هارفرد إدوارد مايسون (Edward Mason) في بعثة جديدة لاستطلاع فرص التنمية في اقتصاد مصر الاشتراكي(١١).

ولم تجد جهود مغازلة عبد الناصر في حقيقة الأمر رواجاً وشعبية كبيرة. ومع أن السعوديين لم يكونوا على علم بها، إلا أن كينيدي نفسه كان مشككاً بمستقبلها، فقد جعلت ردة الفعل السلبية السياسية من قبل كل من الليبراليين وأصدقاء إسرائيل من جهة، والتوجه الرئيس والثابت في سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط والمتمثل بتأمين النفط السعودي من جهة أخرى، محاولة التقارب صعبة بين الناصريين وأتباع التُّخُم الجديد(*). فقد أشعلت الإيماءات الرمزية الأولى، والتي وافق عليها البيت الأبيض بعد تردد، احتجاجات من قبل المجموعات اليهودية والإسرائيليين، وكذلك ضغوطات من قبل لوبيّات شركات النفط وحلفائهم ضدّ هذا التوجه الجديد في السياسة الخارجية. وقد سهّل عبد الناصر لهذه القوى المتضادة أن تتصالح فيما بينها عندما تبنّى قضية الثوريين في اليمن عام ١٩٦٢م على

Doctrine and the Middle East, New Cold War History (Chapel Hill: University of North Carolina = Press, 2004). For JFK's efforts at constructive engagement, see: Douglas Little, "New Frontier on the Nile: JFK, Nasser, and Arab Nationalism," *Journal of American History*, vol. 75, no. 2 (September 1988), pp. 501-27, and chapters 2 and 3 of the superbly crafted Warren Bass, *Support Any Friend: Kennedy's Middle East and the Making of the U.S.-Israel Alliance* (New York: Oxford University Press, 2003), on which I have relied here.

(١١) See Objectives of the Mission to the United Arab Republic of Dr. Edward Mason, enclosed in Memorandum from Battle to Bundy, Washington, 27 February1962, *Foreign Relations of the United States, 1961-63*, vol. 17, Near East, 1961-1962, no. 201,
<http://www.state.gov/r/pa/ho/frus/kennedyjf/xvii/17713.htm> (accessed on 4 December 2004).

(*) أتباع التخم الجديد هو مصطلح أطلق على إدارة الرئيس كينيدي وسياستيه الخارجية والداخلية، وذلك بعد خطاب كينيدي الذي قبل فيه ترشيح الحزب الديمقراطي عام ١٩٦٠م حيث قال: «نحن نقف اليوم على حافة تخم جديد: تخم عقد الستينيات، تخم الفرص والمخاطر المجهولة، تخم الآمال والتهديدات غير المحققة...» (المترجم).

الحدود مع السعودية، ومع تتابع فصول الحرب في اليمن ازداد تسمّم علاقة كينيدي بمصر[١٢].

وعلى الرغم من أن سعوداً أخذ على عاتقه في وقت مبكّر تلطيف العلاقات مع البيت الأبيض؛ حيث جلب مبعوثُ المملكةِ لدى الأمم المتحدة، أحمد الشقيري، لمرؤوسيه وسامَ التميّز في كون بلادهم الدولةَ التي أرسلت أقوى رد «غاضب» على محاولة الرئيس كينيدي الأخيرة في التقرب من عدد من الزعماء العرب[١٣]. وهكذا حاول الملك التقرّب بطريقته الملكيّة المميزة، حيث لجأ، أو بشكل أكثر دقة: لجأ مستشاروه، إلى التصنّع. بعد ذلك، وعندما وافق البيت الأبيض على استضافة سعود على الغداء في واشنطن في أواخر شهر كانون الأول/ديسمبر، اعترض، انطلاقاً من أنه كان الأحرى بكينيدي أن يتصل به في المستشفى مراعاة لما ادُّعي من أن زيارة المريض عادة عربية.

ومهما بدا الأمر غير قابلٍ للتصديق، إلا أن إدارة أمريكية ثانية اضطرت إلى الإذعان، على الرغم من أنّ هذه المرة أضرّت بكينيدي أكثر مما فعلت بآيزنهاور. فقد وافق الرئيس على لقاء الملك سعود لـ«محادثة وديّة مدتها أربع عشرة دقيقة» في شاطئ بالم أواخر كانون الثاني/يناير من عام ١٩٦٢م، وذلك من أجل «الدردشة» وشرب قليل من «القهوة العربية المركّزة» كما كتبت صحيفة **النيويورك تايمز**، وهي البادرة التي سيقابلها الملك بزيارة إلى واشنطن للغداء في الشهر التالي. لم يكن هناك شك في أن دعم أمريكا للمملكة مستمر، وذلك على الرغم من أن كينيدي تذمّر طيلة طريق عودته إلى منتجع أسرته بعد لقائه مع سعود. فقد وجّه سؤالاً تقريعياً إلى مدير التشريفات لديه ووريث أسرة ديوك المشهورة بتجارة التبغ واسمه أنغير بيدل ديوك (Angier Biddle Duke) قائلاً: «هل شركات النفط هي ما دفعك إلى قبول هذا؟»، ولماذا تم إخبار الصحافيين بأمر الزيارة؟، ثم قال: «ها قد ضاعت ولاية نيويورك». وعلى الرغم من تعرّض ديوك لكثير من النقد، إلا أن الرئيس وافق على استضافة الملك للعشاء في

---

(١٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: Bass, Ibid.

(١٣) المصدر نفسه، ص٧٦.

البيت الأبيض عوضاً عن الغداء وذلك لأن الموعد سيكون في رمضان(١٤).

أدّى كينيدي دور آيزنهاور واصطحب معه وزير خارجيته راسك (Rusk) وآخرين إلى قاعدة آندروز للقوات الجويّة في الثالث عشر من شباط/ فبراير من عام ١٩٦٢م، من أجل استقبال الملك سعود الذي كان قادماً من فلوريدا على طائرة الرئيس الأمريكي إير فورس وان. في وقت متأخر من هذا اليوم، التقى الزعيمان مع مساعديهم، فطلب كينيدي من الملك أن يرفع الحظر المفروض على اليهود (وهو يقصد اليهود من أعضاء الكونغرس) المسافرين إلى المملكة. في تلك الأثناء، أصبح السعوديون أكثر مراوغة، حيث كان ردهم بأن «القيود السعودية مفروضة فقط على الصهاينة و. . . «كثيرون» من اليهود الأمريكيين غير الصهاينة كانوا قد زاروا السعودية». من جهته طالب الملك بمزيد من الدعم الأمريكي وبإرسال «بعثة» أيضاً إلى بلاده (فقد كانت بعثة مايسون في طريقها إلى مصر في ذلك الوقت)، كما أنه ضغط على كينيدي كي يوضح له سبب مكافأة أمريكا عبد الناصر بعد أن ثبت ولاؤه لموسكو في عملية المصادرات الأخيرة. وقد كرر سعود هذه النقطة الأخيرة عدة مرات، واسترسل في التشديد عليها ببعض من التفكير الرغبوي؛ «ورداً على سؤال الرئيس حول المدة التي يتوقّع الملك أن يستمر خلالها عبد الناصر في السلطة، كان جواب الملك أنه على الرغم من أن الله وحده يعلم الإجابة، إلا أنه على ما يبدو أن أيام عبد الناصر أصبحت معدودة»(١٥).

نزع الثورة الأخير

بعد ضغوط من كبار الأمراء الآخرين وافق سعود على تعيين فيصل نائباً

---

(١٤) انظر:

State Department Memorandum, Strong (NE) to Talbot (NEA), 31 January 1962, RG 59, 786A.11/1-3162.

(١٥) State Department, Memorandum of Conversation, by Seelye, President-King Saud Meeting, 13 February 1962, *Foreign Relations of the United States, 1961-63*, vol. 17, Near East, 1961-1962, no. 191,
<http://www.state.gov/r/pa/ho/frus/kennedyjf/xvii/17713.htm> (accessed on 5 December 2004).

له ورئيس الوزراء المكلّف خلال فترة غيابه. وفي مقابل موافقة فيصل على ألا يجري أي تغيير في الحكومة في أثناء غياب الملك، وعد سعود بأن يحلّ مسألة دور فيصل في الحكومة الجديدة بمجرد عودته. وبعد مضي عدة أيام على هبوطه في الرياض في شهر آذار/مارس، أعلن الملك عن تعيين ولي عهده وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الوزراء. وعلى أرض الواقع، تمّ منح فيصل كامل السلطة على الشؤون كافة ما عدا الأمنية منها، والتي أصر سعود على الاستئثار بها. وبعد أن تم إعفاء الأمير نوّاف ـ آخر حلفاء طلال من الحكومة ـ ركّز فيصل اهتمامه على ضمير المملكة: الطريقي.

سهّل وزير النفط على فيصل مهمته، ففي الصيف الماضي، وقبل إعفاء طلال، انضم الطريقي إلى الأمير المتمرّد في حملته ضد ولي العهد؛ إذ اتهم الاثنان فيصلاً بأنه كان يستفيد شخصياً من صفقة مع الملاك اليابانيين للمشروع الجديد واسمه الشركة العربيّة للنفط. اضطر فيصل إلى التعامل مع التهمة وكتابة رد عليها عندما ظهرت في الصحافة اليومية في بيروت؛ حيث إنه أنكرها بطبيعة الحال، ثم طالب خصومه بدليل على هذا الادّعاء الغريب، متعهداً بأن الحكومة ستتحرك بسرعة من أجل معالجة كل «ضرر وقع».

وبشكل لافت، ضاعف الطريقي من جهوده وقام بتجميع أدلة كافية على ما يبدو لإقناع مجلس الوزراء بأنه قد تم تحقيق شرط فيصل. وفي الرابع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٦١م، ألغى مجلس الوزراء الاتفاقية بعد أن كشف الطريقي كيف أن اثنين في المئة من أرباح عمليات الشركة العربية للنفط كانت تخصص لفترة طويلة لمصلحة شقيق زوجة فيصل، والرئيس المستقبلي للاستخبارات السعودية كمال أدهم[١٦]. قرر الطريقي بعد هذه الحادثة الاستقرار في الرياض وعدم مغادرتها، فعلى ما يبدو كان هذا الوزير، الذي لا يفارق الطائرة كثيراً، خائفاً من مغادرة البلاد[١٧]، انتظر فيصل حتى شهر آذار/مارس لينتقم، وذلك عندما أنهى دور الطريقي في شؤون النفط السعودي ومنح المحامي أحمد زكي يماني منصبه.

---

(١٦) انظر:

Jidda to State, 151, 29 November 1961, RG 59, 886A.2553/11-2961.

(١٧) Jidda to State, 219, 8 February 1962, Conversation with Saudi Petroleum Minister Abd Allah Tariki, RG 59, 886A.2553/2-862.

كان هذا الأمر بالنسبة إلى الأمريكيين في أرامكو بمثابة إشراقة فجر جديد على الظهران. فقد طمأنهم يماني بأن الطريقي سيطرد من مجلس إدارة الشركة، كما أنهم شاهدوا الوزير السابق يطوف المنطقة بحثاً عن عمل. حاول حلفاؤه الكويتيون أن يمنحوه وزارة النفط لكنهم فشلوا. وتوقعت **الإيكونوميست** أنه سينضم إلى الحكومة المؤقتة في الجزائر[١٨]، في حين ذكر آخرون بأنه سينتهي به المطاف رئيساً لمنظمة أوبك، إلا أن الطريقي لام فيصلاً على إفشاله كل الفرص التي تأتيه. استقر في نهاية الأمر في بيروت حيث أنشأ مكتب استشارات، مواسياً نفسه بفكرة أن الأمر لن يأخذ وقتاً طويلاً حتى يعود إلى المملكة. «سألته عن تصوّره إمكانية حدوث تغيير في النظام، فأجاب بأن الأمر سهل للغاية، فرقة عسكرية صغيرة ستقوم بالمهمة عن طريق قتل الملك وفيصل، أما بقية العائلة المالكة فستهرب بحثاً عن ملجأ كالأرانب الخائفة، ثم سيلجأ الثوّار إلى عبد الناصر طلباً للمساعدة»[١٩].

كان الطريقي بالطبع مخطئاً حول مصير آل سعود، ونتيجة لذلك أمضى قرابة العقدين في المنفى. وكان عليه أن ينتظر مقتل خصمه القويّ فيصل، في عام ١٩٧٥م حتى يستطيع هو وغيره من الأعداء القديمين أن يعودوا إلى وطنهم[٢٠]. ومع ذلك، فهو لم يكن الوحيد الذي كان يعتقد أن أيام النظام السعودي كانت معدودة، فقد كان من المستحيل التنبؤ في أي يوم سيستيقظ أحد من أولئك الموجودين في الظهران أو واشنطن صباحاً وقد تصبب عرقاً. كما أنه كان واضحاً أن حكام السعودية قد افترضوا أن أعداءهم في مصر

(١٨) انظر:

Kuwait to State, A-134, 10 April 1962, RG 59, 886A.2553/4-1062, and Jidda to State, 637, 15 April 1962, RG 59, 886A.2553/4-1562.

(١٩) ARAMCO's Washington representative, Garry Owen, thought the report of Tariki's musings on regime change disturbing enough to alert the State Department. See 886A.2553/11-562. The source was an unnamed, "reliable" contact who had seen Tariki in Cairo.

(٢٠) The journalist Robert Lacey, who was living in the kingdom in the late 1970s while researching his book see: Robert Lacey, *The Kingdom: Arabia and the House of Saud* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1981), had met Tariki in Riyadh (p. 340). Although Lacey's account of this era is based mainly on interviews, the now available archival evidence shows his to be one of the most reliable (if under-referenced) books about politics in the 1950s and 1960s.

والعراق كانوا يتآمرون مع عدد من السعوديين في الداخل والخارج[٢١]، أما أولئك الذين رفضوا فكرة أن أيّام العائلة الحاكمة كانت معدودة فقد كانوا يعوّلون على حقيقة أنه لم يكن هناك معارضة قويّة، كما أنّ الرياض كانت تحكم قبضتها مجدداً[٢٢]. فقد عيّن فيصل رؤساء تحرير من اختياره لعدد من أفضل الصحف والدوريات السعودية ـ كـ: **أخبار الظهران**، و**البلاد**، و**عكاظ**، و**الخليج العربي**، و**اليمامة** ـ حيث كانت هذه الحركة هي الأفضل لإدارة حملة معادية لعبد الناصر، ووضع قيود على منتقديه[٢٣].

بعد ذلك التفت فيصل إلى أخيه الأمير الحرّ طلال، وذلك بسبب جريمة إرساله مباركة لعبد الناصر بمناسبة الذكرى العاشرة لانقلاب الضباط الأحرار، وذلك في تموز/يوليو من عام ١٩٦٢م. فالمشكلة كانت أن وزارة البروباغندا المصرية هبّت بسرعة إلى الإذاعة ناقلة خبر أن أحد الأمراء السعوديين يدعم الثورة. تعامل فيصل مع الموضوع باعتباره خيانة، حيث ألغى صلاحية جواز سفر طلال بينما كان مسافراً إلى جنيف، وقام أيضاً على الرغم من كل اعتراضاته على برنامج عبد الناصر الإجرامي لمصادرة الأراضي بمصادرة أراضي أخيه وقصوره، كما أعلنت الحكومة أنه لن يسمح لأي طائرة بالهبوط على أراضي المملكة إذا كان على متنها هذا المنشق.

جاء ردّ طلال سريعاً، إذ أقلع أولاً إلى بيروت؛ حيث أقام مؤتمراً صحافياً، وضّح فيه أن الحملة التي يشنها أخوه فيصل عليه إنما تنبع من خوفه من الإصلاحات الدستورية الذي كان طلال يطالب بها حتى «استقال» من منصبه، وأخبر بأنه سيسافر إلى القاهرة والإسكندرية، وأنه سيطلق حملة من أجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية في السعودية، وأنه «سيعود [إلى

---

(٢١) انظر:

Dhahran to State, 265, 16 June 1962, Eastern Province Public Security Arrests, RG 59, 786A.00/6-1662, and Dhahran to State, A-25, 14 July 1962, RG 59, 786A.00/7-1462.

(٢٢) Baghdad to State, 533, 17 February 1962, Transmitting Newspaper Report of Clandestine Organization in Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/2-1762.

(٢٣) انظر:

Dhahran to State, 267, 30 March 1962, RG 59, 986A.61/3-3062; Jidda to State, A-144, 31 March 31, 1962, RG 59, 986A.61/3-3162, and Jidda to State, A-148, 14 April 1962, RG 59, 986A.61/4-462.

وطنه] يوماً ليقود النضال»[٢٤]. وفي القاهرة انضم بشكل رسمي إلى القوى التي ستشكل الثورة السعودية. وكان يوجد في القاهرة ناصر السعيد، أحد قادة الإضرابات في الخمسينيات، بالإضافة إلى وزير تقدمي سابق اسمه حسن نصيف. كما انضم إليه كل من إخوته فوّاز وبدر وابن عمه سعود بن فهد، والذين عرفوا بما يسمى «الأمراء الأحرار»؛ حيث سلموا جوازاتهم إلى السفارة السعودية كنوع من التضامن مع أخيهم طلال[٢٥].

بدأ الاستقطاب يزداد حدة فيما وصفه طلال بأنه نضال من أجل إصلاح الملكية المطلقة، وما وصفه المنظّرون الأيديولوجيون المصريون بأنه حرب ضدّ الرجعية والإقطاع، وما وصفه حلفاء السعودية في واشنطن وبقيّة الفصائل المعادية لعبد الناصر بأنه محاولة يائسة لعبد الناصر من أجل «الهيمنة الإقليمية». فإذا كان شهر حزيران/يونيو من عام ١٩٦٢م يمثّل بحسب وصف وارن باس (Warren Bass)، «قمّة» ما وصلت إليه مبادرة إدارة كينيدي تجاه عبد الناصر، فإن صحيفة **النيويورك تايمز** كانت منحازة إلى الجانب الآخر. فبينما كان مراسلها في القاهرة يتحدث عن العزلة المتزايدة لعبد الناصر وفقدان مصر بريقها، كان أحد المختصين في شؤون الخليج في الجريدة يتحدث عن «التغييرات التقدمية» التي ترتقي إلى مستوى «ثورة اقتصادية واجتماعية» داخل المملكة، والتي يقودها تشكيلة ديناميكية من الملك سعود وولي العهد فيصل والذين باتوا يعملون الآن من أجل رفاهية الشعب، ويستثمرون في تنمية المملكة، بل وحتى التحضير «لبدائل مستقبلية للنفط كمصدر للدخل». ولم تكن هذه النقطة سوى خيال جامح.

ومع ذلك، لاحظ تضمين اسم سعود في القصة والتي ستروى مرة أخرى بعد أقل من سنة لكن مع حذف اسم سعود أو باعتباره العائق الرئيس للإصلاحات التي كان فيصل يطالب بها. أما دانا آدامز شميدت فقد أثنت في مجلة **التايم** على أشخاص كطلال حيث وصفته بـ«النموذج الذي يجب أن يقتدي به كل أمير»، والطريقي الذي قالت عنه بأنه «النموذج الذي يتوجب

(٢٤) Jidda to State, 86, 3 August 1962, RG 59, 786A.00/8-362; Jidda to State, 107, 16 August 1962, RG 59, 786A.00/8-1662, and "Kinsman of Saud Asks for Reform," *New York Times*, 16/8/1962, p. 4.

(٢٥) Cairo to State, 302, 20 August 1962, RG 59, 786A.00/8-2062.

على كل شخص من خارج الأسرة أن يكونه». وعلى الرغم من أن هؤلاء «الأشخاص وآخرين مثلهم تم تهميشهم. . . إلا أنه يبدو أن القوى التي تعمل على الأرض لن يكون بوسعها إلا إعادتهم مجدداً إلى الحياة العامة السعودية»، في الحقيقة سيكون هذا أشد كوابيس فيصل سوءاً[٢٦]. ومرة أخرى، لن يكون هناك أي ذكر لهؤلاء الأشخاص مجدداً.

اقتضى تحويل فيصل إلى بطل التغاضي عن عدد من القضايا، ابتداء من أسباب تهميش الطريقي إلى تفضيل الأمراء احتكار السلطة، وكذلك حظر النقابات وتشديد سيطرة فيصل على ما كان أصلاً الأقل حرية في الصحافة في العالم وما إلى ذلك. إن الحقيقة، كما كان يذكرها السفير الأمريكي هارت وغيره سراً هي أن تهديدات حملة عبد الناصر ثم ما تلاها من انشقاق طلال قد هزّ النظام، لكنه وهنا المفارقة دفع فيصلاً وسعوداً إلى التعاون فيما بينهما. وذكر ممثّل أرامكو في واشنطن ونائب رئيس منظمة العلاقات الحكومية غاري أوين أن المشكلة تتمثل في أن فيصلاً كان بالكاد ذاك التقدمي («إنه لأمر مؤسف أنه سلبي للغاية») الذي صورته صحيفة **النيويورك تايمز** أو غيرها من الإعلام الموالي للنظام[٢٧]. ومثلما أن الصحافة السعودية والإذاعة استمرتا في «صمتهما المطبق» حول رحيل طلال وهجمات النظام ضده، فإن مجلة **التايم** لم تجد أنه من الملائم كتابة حرف واحد عن تنامي القمع هناك[٢٨].

شنت الحكومة حملات ضد المقاهي العامة وقبضت على زبائنها في منطقة النفط وذلك بسبب استماعهم لبرنامج «أعداء الله» في إذاعة صوت العرب، والذي كان يهاجم الملك وفيصلاً بشكل مستمر. ومع حلول الصيف، كانت الحكومة تضايق وتعتقل الشباب الصغار بأعداد كبيرة في

(٢٦) Dana Adams Schmidt, "Saudi Oil Money Put to New Uses," *New York Times*, 12/5/1962, p. 5, and "Saudis Expunge a Popular Image," *New York Times*, 13/5/1962.

انظر أيضاً:

Jidda to State, 124, 25 August 1962, RG 59, 786A.00/8-2562, p. 21.

(٢٧) State Department, memcon, 28 August 1962, Political Situation in Saudi Arabia, RG 59, 786A.00/8-2862.

(٢٨) ورد الاقتباس، من:

Jidda to State, 99, 30 August 1962, RG 59, 786A.00/8-3062.

المنطقة الشرقية بسبب ما وصف بأنه «نشاط سياسي» والذي سمته القنصلية الأمريكية بإبهام مشابه «الناصرية». لقد كان هؤلاء الفتية «يختفون ببساطة» ثم يسمح للآباء بزيارة أبنائهم في السجن، وكما كتب أحد الموظفين الأمريكيين في ذلك الوقت، فقد كان السجن الجديد الذي افتتح بالقرب من الدمام «تذكيراً مخيفاً للجميع» بما للحكومة من «وسائل حقيقية للسيطرة»(٢٩). وفي أيلول/سبتمبر، عندما سيطر انقلاب مدعوم من مصر على العاصمة في اليمن تم تمديد حظر الاستماع إلى إذاعة صوت العرب ليشمل كلاً من إذاعة صنعاء وإذاعة القاهرة وإذاعة البي بي سي(٣٠). فقد كان من بين أهداف الحكومة السعودية منع انتشار الأخبار التي تبثها جبهة التحرير العربية في القاهرة والتي كانت مِظَلة عَمِل تحتها، لفترة من الزمن، المنفيون من الشيوعيين السعوديين والقوميين والأمراء الأحرار(٣١).

وعلى الرغم من أن تنفيذيي آرامكو كانوا يعتبرون فيصلاً رجعيّاً، وأن أمامه طريقاً طويلة حتى يستطيع تحقيق الحدّ الأدنى من مطالب المعارضة الليبرالية، إلا أنهم لم يكونوا منزعجين جداً من هذا الفشل، وذلك لأن المعارضة لم تمثّل تهديداً جديّاً(٣٢). فبحسب تقديراتهم، كان أغلب المسؤولين يعتقدون بأن فرص النظام في البقاء جيّدة. ففي المحصلة، كان فيصل هو الذي أعفى الرجل الوحيد الذي قام بكل ما يمكن القيام به من أجل تعكير صفو حياتهم لأكثر من عقد من الزمان، كما أن الأمريكيين كانوا مقدّرين للوضعية الصعبة التي وجد فيصل نفسه فيها مع ازدياد ضغوط عبد الناصر على الشخص الذي كان ذات مرّة محبّاً له وحليفاً. بدأ مكتب أرامكو في واشنطن بممارسة الضغوط من أجل تدبير لقاء بين وليّ العهد

---

(٢٩) Dhahran to State, A-41, Listeners to Voice of the Arabs Arrested, 18 July 962, RG 59, 786A.00/7-1862; Dhahran to State, A-52, 4 August 1962, RG 59, 786A.00/8-462, and Dhahran to State, A-57, Arrests of Teen-Agers Reported, 11 August 1962, RG 59, 786A.00/8-1162.

(٣٠) Jidda to State, 214, 29 September 1962, RG 59, 786A.00/9-2962.

(٣١) انظر:

Cairo to State, 491, 24 September 1962, RG 59, 786A.00/9-2462.

(٣٢) انظر:

State Department memcon, 8 August 1962, ARAMCO-Saudi Arabia Negotiations- OPEC Resolutions, with Owen, George Ballou, Manager, Eastern Hemisphere Operations of SOCAL, and others, RG 59, 886A.2553/8-862.

وكينيدي، فقد تبرعت بموارد إضافية من مخزونها الخاص لدعم جهود فيصل من أجل إضعاف عبد الناصر. ففي مطلع الصيف دبرت الشركة سرّاً سلفة مقدارها ١٤ مليون دولار للحكومة السوريّة، وذلك بناءً على طلب من فيصل، وعلى الرغم من أن رئيس الشركة، توم بارغر، أخبر معارفه في السفارة بأنه لم يكن هناك «دليل يعتمد عليه بأن هناك حاجة طارئة لسوريا» للحصول على هذه الأموال، ولكن أرامكو فعلتها من أجل أن تجمّل علاقتها مع فيصل وتحسّن من فرص مفاوضاتها معه[٣٣].

وعلى الرغم من أن الأمر يبدو بأنه مصادفة، إلا أنه في هذا الوقت نفسه أرسل السعوديون أنفسهم عن طريق شقيق زوجة فيصل والعميل كمال أدهم بأن وليّ العهد يريد لقاء الرئيس كينيدي. وعلى الرغم من أن فيصلاً سيسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل حضور جلسة الجمعية العمومية في الأمم المتحدة إلا أن أدهم قال:

> إن هدفه الرئيس من السفر. . . سيكون اللقاء بالرئيس ووزير الخارجية حتى يستطيعا أن يشاهدا أنه ليس كل السعوديين يشبهون الملك. إن فيصلاً يريد الحصول على التفهم والتعاطف من الولايات المتحدة مع هدفه إنشاء جمعية إسلامية عالمية تحت رعاية الملك خلال موسم الحج الماضي. إن السعوديين يعتقدون أن الإسلام يمثل حصناً منيعاً ضدّ الشيوعية[٣٤].

وقد كانت صحيفة **النيويورك تايمز** قد نشرت تقريراً في شهر حزيران/ يونيو عن دعوة السعوديين «لتنظيم قوى الإسلام التقليدية لأغراض سياسية». وفي شهر أيلول/سبتمبر من عام ١٩٦٢م، سيجد القراء سلسلة من الأخبار لأول مرة، ولكنها لن تكون الأخيرة عن بلد اسمه اليمن، حيث قامت مجموعة عسكرية بإسقاط الإمامة هناك. كانت مصر عبد الناصر أول دولة تعترف بالحكومة الجمهورية الجديدة وتعد بتقديم العون للثوّار، أما وليّ

---

(٣٣) Dhahran to State, A-4, 7 July 1962, RG 59, 786A.00/7-762; Dhahran to State, A50, 25 July 1962, RG 59, 786A.00/7-2562, and State to Damascus, 31, 29 August 1962, RG 59, 886A.2553/8-2962.

(٣٤) Jidda to State, A-58, 2 August 1962, Memorandum of Conversation with Kamal Adham, RG 59, 786A.00/8-262.

العهد السعودي فقد أقلع إلى نيويورك حيث طالب بعودة النظام في اليمن إلى ما قبل الثورة. التقى فيصل بوزير الخارجية الأمريكي في الخامس والعشرين من أيلول/ سبتمبر، ثم أعقب ذلك بلقاء مع الرئيس في بداية تشرين الأول/ أكتوبر. إن حرباً بالوكالة بين مصر والسعودية قد شارفت على الابتداء.

الانهيار اليمني

قام ضباط يمنيون بقيادة الناصري العقيد عبد الله السلّال بانقلاب في صنعاء ليلة الخامس والعشرين من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٢م، مسقطين بذلك حكم الإمام محمد البدر حميد الدين ودولته ذات الحكم المطلق. كان هدف قادة الانقلاب هو إنهاء حكم هذه السلالة وتحويل اليمن إلى جمهورية. ادّعى الثوّار أنهم قتلوا الإمام، لكنه في الحقيقة كان قد هرب إلى الجبال المنيعة في الشمال حيث قام بتنظيم رجال القبائل لشن حرب من أجل استرجاع العاصمة. وعلى الرغم من أن مصر وعدت بأنها ستبقى خارج الصراع ووجهت تهديدات إلى الآخرين إن لم يفعلوا مثلها، إلا أنه في غضون أيام أقلع أحد ألوية عبد الناصر إلى اليمن من أجل تقييم الوضع هناك. وبناء على توصية من هذا اللواء، وصلت كتيبة من القوّات الخاصة في الخامس من تشرين الأول/ أكتوبر من أجل دعم السلّال. بعد ذلك سيتم إرسال طائرات مقاتلة ثم المزيد من الجنود. وبشكل سريع أنشأ المصريون في صنعاء، والتي كانوا يتحكمون فيها بشكل مباشر، دولة بوليسية[٣٥]. وعلى الفور بدأ آل سعود بإلقاء الأسلحة والذهب من الجو لدعم الموالين للإمام، وكذلك لدعم الشخص الذي تأملوا بأن يقود الثورة المضادة وهو أخو الإمام الأمير سيف الإسلام حسن.

كانت الأيام الأولى لحملة السعودية لدعم الثورة المضادة ضد عبد الناصر كارثية، ففي الثالث من تشرين الأول/ أكتوبر، أقلعت طائرة شحن تابعة للقوات الجويّة السعودية من نوع فيرتشايلد سي ـ ١٢٣ (Fairchild C-123) وعلى متنها طاقم مكوّن من ثلاثة أشخاص. كانت الطائرة محمّلة بالبنادق،

(٣٥) Paul Dresch, *A History of Modern Yemen* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000), p. 93.

وكان من المقرر لها أن تهبط في نجران في المنطقة الجنوبية الغربية على الحدود السعودية ـ اليمنية، إلا أن الطائرة غيّرت مسارها وطارت فوق البحر الأحمر متجهة إلى أسوان، وهناك أعلن الطاقم السعودي أنه سينضم إلى القوات الجويّة المصريّة. كانت البعثة العسكرية الأمريكية قد دربت كلا الطيارين، وهي الحقيقة التي فضلت السفارة الأمريكية طمسها. وفي مصر، تم تفريغ شحنة الأسلحة وعرضها أمام الإعلام، حيث كانت الصناديق كلها تظهر شعار اليدين المتصافحتين الخاص بإدارة المساعدات الأمريكية[٣٦].

أعلنت الرياض حالة الطوارئ، حيث تم تطويق قصر الملك بقرابة ست دبابات وجّهت فوهاتها إلى الخارج، وتمركز الجنود على الطريق المؤدية من الظهران إلى العاصمة. وأمر الفريق أول السعودي المكلف بإدارة الأمور القائد الأمريكي لبعثة التدريب الأمريكية بأن يوقف إقلاع كل المقاتلات الجويّة التدريبية، وأن يكفّ عن العمل مع الموظفين السعوديين. وعلى الرغم من كل هذه الاحترازات، إلا أن طاقم قوات جوية آخر استطاع الهروب بطائرة تدريبية ذات مقعدين في اليوم التالي، أي في الرابع من تشرين الأول/أكتوبر، والهبوط بها في وادي حلفا على الحدود المصرية السودانية والتقدم بطلب لجوء سياسي. وفي الثامن من تشرين الأول/أكتوبر قامت طائرتان إضافيتان بالإقلاع معلنتين الانضمام إلى المعسكر الآخر. وعند هذه اللحظة فقط أمر الملك الذي رفض تصديق هذه الأخبار أول الأمر بتعطيل الأسلحة الثقيلة كافة المحيطة بالقصر[٣٧].

ذكر تقرير للسفارة الأمريكية بأن هذه الأحداث مثلت «ضربة للروح المعنوية» الخاصة بالحرس الملكي المتباهي بنفسه، والذي لم يكن فيه أحد يحمل سلاحاً بذخيرة حيّة إلا الحرس الذين كان يثق بهم الملك[٣٨]. لجأ السعوديون إلى الكذب عندما أذاعوا خبر الانشقاقات حيث ذكروا أن المنشقين تمت رشوتهم، وذلك بدلاً من أن يعترفوا، مثلما اعترفت

---

(٣٦) Dhahran to State, 77, 3 October 1962, RG 59, 786A.00/10-362; Cairo to State, 559, 3 October 1962, RG 59, 786A.00/10-362, and Dhahran to State, 78, 3 October 1962, RG 59, 786A.00/10-362.

(٣٧) Cairo to State, 564, 4 October 1962, RG 59, 786A.00/10-462.

(٣٨) Jidda to State, 292, 15 October 1962, RG 59, 786A.00/10-1562, reporting a two-day observation trip to Riyadh, 9-10 October.

شخصيات كثيرة داخل مجلس الوزراء وخارجه، ويقبلوا حقيقة أن المنشقين كانوا معارضين لقرار القصر القاضي بدعم الملكيين اليمنيين(٣٩). وبعد أن قرروا منع أيّ من قواتهم الجوية من الطيران، استخدم السعوديون طياري خطوط ترانسوورلد لنقل البنادق وقاذفات الصواريخ (البازوكا) وقذائف الهاون والألغام الأرضية.

ونقلت السفارة الأمريكية تقارير من شخصية مهمة داخل الجيش تفيد بأنه مع بداية شهر تشرين الأول/أكتوبر كانت القوات السعودية تشن هجمات محدودة على طول الحدود، حيث كانت تتمركز هناك كتيبتان من المشاة ولواءان من الحرس الوطني. لقد كانت هناك معارضة لأن يذهب الجيش للقتال ضد مصر في اليمن، ولكن العامل الرئيس الذي تحكّم بما يسع المعارضون فعله هو الخوف المنتشر بينهم من أن الولايات المتحدة ستتدخل حتماً لحماية الملك. وقد كان هذا التوقّع صحيحاً إذا ما أخذنا بالاعتبار أنه بعد ذلك بأسابيع قليلة حدّدت هيئة الأركان الأمريكية المشتركة بأن أحد الأهداف الأمريكية الرئيسة في السعودية يجب أن يكون «تحديد العناصر التخريبية التي تسعى لإسقاط الحكومة وتحييدها»(٤٠).

بعد هذه الانشقاقات الأولى في صفوف الطيارين السعوديين، والتي تبيّن فيما بعد أنها ستكون الوحيدة، نادى طلال باندفاع بما سمّاه الثورة السعودية القادمة، والتي كان يأمل أن تكون خالية من الدماء. فقد تنبأ في سلسلة من المقابلات والمؤتمرات الصحافية في القاهرة بانهيار وشيك للملكية وولادة جمهورية ديمقراطية. فقد مهدت اليمن الطريق، ولتحقيق هذا الهدف قام بتشكيل جبهة موحدة من المنشقين السعوديين تحت اسم جبهة التحرير

(٣٩) Jidda to State, A-161, 6 October 1962, Saudi Reaction to Defection of RSAF Officers, RG 59, 786A.00/10-662.

(٤٠) انظر:

Jidda to State, 296, 16 October 1962, RG 59, 686A.86H/10-1662; Jidda to State, A-183, 25 October 1962, RG 59, 686A.86H/10-2562, and Memorandum from the Joint Chiefs of Staff to Secretary of Defense McNamara, JCSM-875-62, Washington, 9 November 1962, Possible US Military Support to the Saudi Arabian Regime, National Archives and Records Administration, RG 218, JCS Records, 1962 Files, 9180/3100 (19 October 1962). Secret, *Foreign Relations of the United States, 1961-1963*, vol. 18, Near East, 1961-1962, Document 92,

< http://www.state.gov/r/pa/ho/frus/kennedyjf/x:viii/26200.htm >, (accessed 26 December 2004).

العربية، وتخلّى أشقّاؤه عن ألقابهم الملكية وأخذوا أماكنهم بين صفوف الشعب السعودي(٤١).

كان طلال يريد الذهاب إلى الولايات المتحدة حيث كان غريمه، ولي العهد، قد التقى للتوّ بالرئيس، وذلك من أجل حشد الدعم لقضيته، إلا أن موظفاً في السفارة في القاهرة أخبر الأمير السابق بأن واشنطن لا تريده. فجاء رده بأن اتهم واشنطن بأنها تساعد فيصلاً في سعيه الدؤوب من أجل «إسكاته»(٤٢). ولسوء الحظ، فقد بدا أن مصر أيضاً لم تكن أكثر ترحيباً به، وذلك مع تزايد انزعاج طلال من تحكّم القاهرة بكل ما يمكنه قوله، بالإضافة إلى ما أبدته من استمتاع بمطالبة رفاقه المزعومين في اليمن المواطنين السعوديين بالنهوض وقتل العائلة الحاكمة. كما أنه اغتاظ من الدعم الذي تقدّمه حكومة عبد الناصر للزعيم العمالي ناصر السعيد، والذي كان ينافسه على لقب المعارض المنفي رقم واحد، وذلك لأن البعض على الأقل في مصر كانوا يعتبرونه صوتاً أكثر أصالة للتعبير عن الشعب السعودي (ومع ذلك، فإن ناصراً «رحب بدعم كل العناصر التحررية بغض النظر عن مدى حداثة تنورها»). وبينما كان يعوّل ناصر السعيد وغيره من المنفيين على القاهرة، انتقل طلال بشكل شبه دائم إلى بيروت، حيث كانت الصحافة هناك على الأقل تنشر كل ما يَوَدّ قوله(٤٣).

الأمراء الأحرار يتراجعون

مع حلول شهر كانون الأول/ديسمبر، انتقل ناصر السعيد إلى اليمن لتوفير الدعم لحكومة المنفى الخاصة به ذات الاسم الرنّان التي أعلن عنها حديثاً: جمهورية جزيرة العرب. وفي هذه الأثناء، سعى طلال من أجل

(٤١) Cairo to State, 606, 11 October 1962, RG 59, 786A.00/10-1162. Also see the account of Dana Adams Schmidt, *the New York Times* reporter, of his discussions with Talal in the book he would publish a few years later, See: Dana Adams Schmidt, *Yemen: The Unknown War* (London: Bodley Head, 1968), p. 51.

(٤٢) Cairo to State, 585, 8 October 1962, RG 59, 786A.11/10-862.

(٤٣) Beirut to State, A-480, 19 November 1962, RG 59, 786A.00/11-1962. The al-Said quote is from an interview he gave while in Yemen to the Lebanese weekly *al-Hawadith* (23 November 1962) and reported to Washington by the embassy. Beirut to State, 517, 23 November 1962, RG 59, 686A.86B/11-2362.

التواصل مع أخيه فيصل؛ حيث كان الأمريكيون إحدى القنوات التي طرقها لهذا الغرض. كان مجلس كبار أمراء العائلة يلحّ على فيصل ليتسلّم سلطات رئيس الوزراء وإدارة دفّة المملكة للخروج بها من هذه الأزمة مع مصر. ويمكن القول: إنه عند هذه اللحظة كان عهد سعود الذي امتد لعقد من الزمان قد وصل إلى نهايته. أقرّ طلال بهذه النتيجة للأمريكيين في بيروت، وذلك في عملية إعادة كتابة سريعة وباهرة لتاريخ سجله الشخصي:

> إن طلالاً وجبهة التحرير العربية الخاصة به لم يعارضا شخص [فيصل] بل عارضا ردة الفعل التي كان فيصل يمثلها حتى الآن. وإن كان فيصل قد تغيّر فعلاً، وأصبح مستعداً للالتزام بإصلاحات تقدمية حقيقية، فإن طلالاً سيتمنى له النجاح. بل إنه مستعد لدعمه... فطلال لا يتمنى أن يرى ثورة في السعودية ويعتقد أن تحقيق التقدم بواسطة فيصل سيكون أفضل بكثير من الفوضى والتمزق المريع الذي قد ينتج بواسطة بعض العناصر التخريبية المجهولة. ولهذا فإنه من مصلحة السعوديين والأمريكيين بأن يجبر الأخيرون فيصلاً على أن يتحرك بسرعة، فأنصاف الإصلاحات لن تؤدي الغرض[٤٤].

وبوصفه المضيف، فقد أهدى طلال ضيفه نسخة من كتابه الممنوع **رسالة إلى المواطن** ومن ميثاق جبهة التحرير العربية، إلا أن «إصلاحات تقدمية حقيقية» لم تكن سوى عبارة مهلهلة ومريحة، إذ لم يكن جوهر موقف طلال الداعم لفيصل مختلفاً عن موقف إدارة الرئيس كينيدي وشركة أرامكو، وذلك لأن ولي العهد كان مواظباً على إعلان نفسه مصلحاً، وهو الأمر الذي منحه دعماً أمريكياً مهماً كما سنرى فيما بعد. أما طلال وإخوته فقد طالبوا بحقهم في العودة، وما أن حلّ الصيف حتى انضموا مجدداً إلى صفوف الأمراء[٤٥]. وبهذه الطريقة انتهى تمرد واحد على الأقل.

(٤٤) Beirut to State, 567, 19 December 1962, RG 59, 786A.00/12-1962. The quotation above is an expanded and thus altered version of a telegram's typical clipped prose.

(٤٥) "5 Exiled Kinsmen of King Saud Ask Permission to Return Home," *New York Times*, 24/8/1963, p. 4. The subtitle reads "Prince Talal and 4 Comrades Abandon Their Policy of Opposition to Monarch".

أما بخصوص ناصر السعيد فإنه قد استمر في التحريض على الثورة من داخل المملكة من دون تحقيق أي نجاح كما هو واضح. وفي شهر كانون الأول/ديسمبر، ضغط السفير الأمريكي على رئيس مصر من أجل إيقاف عمل السعيد: «إن ناصر السعيد متطرف معروف، يوجد لدينا ملف كامل عنه يكشف تاريخاً بغيضاً من العلاقات والنشاطات المتطرفة... أنا أطالب بأن يتم إيقاف ناصر السعيد فوراً عما يقوم به». إلا أنه لم يتم «إيقافه»، أو على الأقل لم يقم جمال عبد الناصر بذلك لأنه اعترض. وفي وقت لاحق، سيصرّ معارضو السعودية على أن السعيد تم اختطافه في آخر الأمر وقتله بناء على طلب من الحكومة السعودية في عام ١٩٧٩م.

أسطورة إصلاحات فيصل

لقد ظلت الدوافع الحقيقية وراء خوض عبد الناصر حرباً طويلة ومكلفة ومدمرة في اليمن محل خلاف وتخمين: فهل كان الدافع استعادة هيبته، أم اختبار قدرات جيشه، أم إضعاف موقع بريطانيا في عدن، أم السعي نحو إشعال ثورة في السعودية، أم كبح جماح الهيمنة الأمريكية في الخليج؟ إلا أن ما لا خلاف حوله هو أن قرابة خمسين ألف جندي كانوا مرابطين في مرتفعات اليمن لسنوات طويلة، وظلوا هناك حتى وهو يقوم بمجازفته السياسية مع إسرائيل عام ١٩٦٧م التي أدّت إلى تدمير القوات الجوية المصرية وكثير غيرها، وأن قواته قد استخدمت أسلحة كيميائية ضد القوات اليمنية المدعومة من بريطانيا والسعودية، وأنه قد قُتل الآلاف من الجانبين في هذه الحرب ومن دون أي قصد من عبد الناصر، إلا أن مغامرته في اليمن سمحت لفيصل أن يحكم سيطرته على الدولة السعودية، حيث سحقت هذه الدولة ما تبقى من معارضين.

دفع الانقلاب في اليمن وإجماع الاستخبارات الأمريكية على أنه كان لعبد الناصر يد فيه، كلّاً من البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية إلى مضاعفة جهودهما. وصل فيصل إلى نيويورك قبل أيام من استيلاء السلّال على السلطة، حيث التقى بعدد من المسؤولين الأمريكيين لعدّة مرات كان أولهم وزير الخارجية دين روس في ٢٧ أيلول/سبتمبر الذي أخبر الأمير أن الرئيس سيدعوه إلى الغداء بعد عدة أيام. شرح مستشار كينيدي، واسمه

روبرت كومر (Robert Komer)، ما تجب مناقشته في اللقاء ولماذا أراد فيصل تخصيص وقت محدد للحديث على انفراد:

> إن لدينا تقارير متعددة بأن سعوداً قد أخفق بشكل كبير. ومن المحتمل أن سبب تواجد ولي عهده فيصل هنا هو رغبته في معرفة إلى أي مدى يستطيع هو وبلاده الاعتماد على الدعم الأمريكي. تستطيع الحديث بكل صراحة معه، فهو أذكى بكثير من سعود. . . وللأسف، فإن ثورة اليمن أشعلت كل مخاوف السعوديين من الناصرية (فآل سعود يعلمون جيداً بأن الدور وصل إليهم). إن فيصلاً يريد دعماً أمريكياً للجهود السعودية ـ البريطانية المضادة في اليمن، إلا أنه من الصعب الاستجابة لطلبه في هذا المجال[٤٦].

استنتج البعض من هذا اللقاء أن كينيدي وفريقه أجبروا فيصلاً على إجراء الإصلاحات التي يتم اجترارها بشكل متكرر بأنها دليل على قيادته المتنورة (الثانية)، أو أن الأمريكيين عقدوا صفقة مع فيصل من أجل دعمه ضد الملك. إلا أن هناك أدلة قليلة تدعم مثل هذا الاستنتاج، وما زالت حتى الآن شحيحة، بل حتى الوثائق القليلة التي تم الإفراج عنها والتي تحدثت عن اجتماعات فيصل ومساعديه مع كينيدي وغيره من كبار المسؤولين في أمريكا لا تقدّم أي دليل يؤيد هذا التفسير، بما في ذلك تلك المذكرة المختصرة والجافة عن المحادثة الخاصة التي جرت بين الرئيس كينيدي والأمير فيصل بحضور موظف أرامكو السابق الذي أصبح موظفاً في وزارة الخارجية الأمريكية عيسى صبّاغ بصفته مترجماً. وعلى الرغم من كل ذلك، فإن احتمالية التآمر ما زالت قائمة، ذلك أن فيصلاً وأهم مستشاريه رشاد فرعون ـ وهو سوري استثمر منصبه كطبيب خاص للملك عبد العزيز ليصبح منصباً مجزياً من دون عمل حقيقي ـ بقيا في الولايات المتحدة قرابة الشهر على الرغم من أن الملك وكل مستشاريه قد بدؤوا حرب اليمن.

---

(٤٦) Memorandum from Robert W. Komer of the National Security Council Staff to President Kennedy, Washington, 4 October 1962, Kennedy Library, National Security Files, Countries Series, Saudi Arabia, 10/62, *Foreign Relations of the United States, 1961-63*, vol. 18, Near East, 1961-1962, document 68,

<http://www.state.gov/r/pa/ho/frus/kennedyjf/xviii/262oo.htm> (accessed 26 December 2004).

تستند فكرة حدوث «صفقة» مع فيصل إلى حقيقة أنه بعد عودته إلى الرياض بعدة أسابيع وتسلّمه منصب رئيس الوزراء، أعلن فيصل عن إصلاحات جريئة تسمى عادة ببرنامج النقاط العشر. وقد قام بذلك في أثناء مفاوضاته مع الأمريكيين من أجل أن يُظهروا بعض القوّة بعد أن قامت الطائرات المصرية بقصف الأراضي السعودية، بالقرب من الحدود اليمنية حيث كان يتم تهريب الأسلحة إلى الملكيين. بالإضافة إلى أنه قد انتشرت مطالبات بالإصلاح في السعودية في الأيام والأسابيع التي أعقبت سقوط الإمامة، وقد استطاعت السفارة الأمريكية تقديم وصف دقيق لردة الفعل العامة التي قام بها «العناصر المحافظة» في المجتمع السعودي والذين كانوا يطالبون باتخاذ «إجراءات لإرضاء الشعب»، مثل السينما، وشكل من أشكال البرلمان التمثيلي، وإيقاف «تبذير الأمراء»[٤٧]، أما بالنسبة إلى الليبراليين السعوديين، فإن طريق النجاة تستوجب برامج جريئة وصادمة من تحديث للجيش وتنمية اجتماعية واقتصادية. لقد كانت انشقاقات الجيش الأولى، وانحياز طلال إلى جانب القاهرة، وغيرها من الأمور التي جاءت بُعَيد ما اعتبره السعوديون انتصاراً مصرياً ساحقاً في إنهاء حكم الإمامة؛ لقد كانت كل هذه أمور أكثر من كافية لدفع فيصل إلى أن يركّز تفكيره على الخيارات المتاحة أمامه.

لم أجد في كل الوثائق الأرشيفية التي اطلعت عليها ـ حول ما كان يعتقد كل من الليبراليين السعوديين وموظفي وزارة الخارجية الأمريكية وكبار موظفي أرامكو، بأنه يجب القيام به من قبل كل من فيصل وآل سعود لتعزيز منصبهم ـ أيَّ تركيز على الرقّ في السعودية، بل على العكس من ذلك كان التركيز على موضوعات أخرى مثل افتتاح قنوات تلفزيونية وغيرها من «الوسائل البريئة للترفيه» المتاحة للرعيّة. ويصدق هذا الاستنتاج أيضاً حتى على وثائق لقاءات الرئيس الأمريكي كينيدي، والتي لا نجد فيها أن القلق (الذي كان عابراً) كان بشأن قضية الرقّ، بل كان ولمرة أخرى بشأن إخفاق السعودية في عدم السماح لليهود الأمريكيين بالدخول إلى الرياض[٤٨]. وعلى

(٤٧) Jidda to State A-161, 6 October 1962, RG 59, 786A.00/10-662.

(٤٨) See, for instance, Bass's fast-paced reconstruction of the meeting, drawn from State = Department and presidential library documents, in: Bass, *Support Any Friend: Kennedy's Middle East*

الرغم من أن الأمر كان كذلك، إلا أنه منذ السبعينيات وحتى اليوم، سنجد أن الأمريكيين وغيرهم من الغربيين كانوا يضعون قضية تحرير العبيد على رأس قائمة إنجازات فيصل. وسيقوم بذلك أيضاً بعض السعوديين، وإن كان أغلبيتهم يفضلون البدء بإصلاحاته التعليمية المدّعاة(٤٩). ويمكن القول ببساطة: إن تحرير العبيد لم تكن قضية رئيسة في الرياض، أو حتى قضية مُلِحّة يمكن المعارضة المحلية أن تحشد الناس حولها. على العكس من ذلك، كانت مسألة العبودية، كما رأينا، مسألة مهمة للنقّاد من خارج البلاد، من القاهرة إلى نيويورك، والذين كانوا يستخدمونها ليوضحوا إلى أي درجة كان حكم آل سعود رجعياً ومتخلفاً ومفسداً. ففي كل سنة في الأمم المتحدة كان على أحمد الشقيري ـ القائد المستقبلي لمنظمة التحرير الفلسطينية والذي كان مبعوثاً للسعودية ـ أن يدّعي أن وجود العبودية في المملكة إنما كان أسطورة من اختراع أعدائها. ولما أعلن طلال والأمراء الأحرار إعتاق عبيدهم عند وصولهم إلى القاهرة، ولما قام اليمنيون بالفعل نفسه أيضاً، عندها فقط أعلن فيصل أنه سيقوم (مع الجميع في السعودية) بإعتاق عبيدهم أيضاً.

بعد عدة عقود، نشر باركر هارت مذكراته عن الوقت الذي أمضاه في المملكة العربية السعودية، حيث عمل هناك في ثلاث مهام متعاقبة(٥٠). فقد عمل بوصفه أول قنصل أمريكي في الظهران في الفترة ما بين عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٦م، ثمّ عاد مرة أخرى إلى العمل بصفته قنصلاً عاماً لسنتين في عام ١٩٤٩م، ثم انتقل في الخمسينيات إلى مناصب أخرى في القاهرة ثم واشنطن ثم دمشق، ثم اختير سفيراً لأمريكا في السعودية بعد ذلك في عام ١٩٦١م لأربع سنوات. ذكر هارت أنه خلال اللقاء بين الرئيس وفيصل وعد

---

and the Making of the U.S.-Israel Alliance, p. 104. He did not read U.S. ambassador Parker Hart's = memoir, apparently.

(٤٩) For instance, compare Madawi al-Rasheed's account in: Madawi Al-Rasheed, *History of Saudi Arabia* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002), pp. 120-123 (which emphasizes the mythmaking element in the Faisal-as-modernizer narrative) with Alexei Vassiliev, *History of Saudi Arabia* (New York: New York University Press, 2000), pp. 364-366; Nadav Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985), p. 97, and Lacey, *The Kingdom: Arabia and the House of Saud*, p. 345, among others. Even Schmidt, Yemen: The Unknown War, p. 53, leads with the banning of slavery.

(٥٠) Parker T. Hart, *Saudi Arabia and the United States: Birth of a Security Partnership* (Bloomington, IN: Indiana University Press, 1999). The book appeared the year after his death.

كينيدي بتقديم الدعم للمملكة ضدّ مصر وغيرها من التهديدات في داخل البلاد وخارجها مقابل أن يتخذ الأمير:

> خطوات مبكرة لإنهاء العبودية، وتبنّي إصلاحات مالية، وإصلاحات أخرى في الجهاز القضائي من أجل تحسين أدائه، وكذلك كسب دعم شعبي ومشاركة أكبر للشباب السعودي المتعلّم في الجهاز الإداري للدولة. ذلك أن الولايات المتحدة ستجد صعوبة في أن تبرر لشعبها التزامها العميق تجاه شكل فاسد من الحكومة أو شكل يحمل ختم العبودية والحرمان الاعتباطي للحقوق والحريات الشخصية(٥١).

كيف تسنّى له معرفة ما جرى في لقاء لم يحضره ومن دون الاستناد إلى أي وثيقة؟ للأسف الشديد لا نجد لديه أي إجابة. صحيح أن الرجل الثالث الذي كان حاضراً في الغرفة كان مساعداً قديماً لهارت. «كان صبّاغ أفضل المترجمين المتمكنين من كلا اللغتين، الذين عرفتهم في حياتي، حيث كان على علاقة صداقة مع الأمير والوحيد الذي ينقل إليّ عنه بشكل مباشر». من المحتمل أن يكون صبّاغ قد أخبر هارت في عام ١٩٦٢م عن ما جرى في تلك المحادثة التي جرت في البيت الأبيض، ومن المحتمل أيضاً أن يكون هارت قد تذكّر ما قيل له بشكل دقيق بعد ذلك بعقود. ولكن نستطيع أن نقول أيضاً: إنه من المحتمل أن تكون هذه المذكرات التي كتبها سفير سابق يبلغ من العمر أكثر من ثمانين عاماً قد استفادت من الكومة الباهرة من الكتب التي بدأت تنشر عن السعودية بعد تولي فيصل الحكم، والتي كانت تعتبر قضية العبودية بالنسبة إليها الإثبات الرئيس على تنوّر فيصل وحرصه على تحقيق الرقيّ. ولكن مرة أخرى، قد يكون هذا كله محض أسطورة.

وسواء أكان الإصلاح صفقة أم لم يكن فإنه كما رأينا، علاج متعدد الأغراض يقترحه الأمريكيون مع كل تحدٍّ يواجه آل سعود في داخل حدود المملكة العربية السعودية أو خارجها من أربعينيات القرن العشرين إلى ستينياته. ولم لا؟ فهذا المفهوم فضفاض بشكل غير محدود، كما أنه قد

---

(٥١) المصدر نفسه، ص١١٤.

أثبت فاعليته إذا ما أخذنا بالاعتبار أن الأسرة الحاكمة استطاعت تجاوز كل أزمة مرت بها في الوقت الذي كان الآخرون مقتنعين بأنها لن تستطيع. في الفترة ما بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣، أثبت السعوديون خطأ كثير من المتنبئين الذين توقعوا نهاية وشيكة للملكية، ابتداء من الشاب (حينها) شيمون بيريز («إن سقوط . . . فيصل ـ سعود أمر لا مفر منه») إلى الأمير طلال[٥٢].

إن آراء مستعربي أرامكو، والتي نقّب عنها هارت في بداية الأزمة اليمنية، مهمة هنا بسبب قيام خبراء الشركة بتحدي الفكرة المشهورة آنذاك والتي تقول بأن أيام حكم آل سعود معدودة. فقد أخبره هاري ماكدونالد، رئيس منظمة العلاقات الحكومية: بأن «فرصهم في البقاء ستمتد إلى أبعد بكثير من السنة التي توقعها طلال» وذلك لأن آل سعود، على الرغم من الانشقاقات التي حدثت مؤخراً، «ما زالوا يتمتعون بتأييد قوي» بين البدو وغيرهم من العناصر المحافظة في المجتمع. وأضاف ماكدونالد بعد عجزه عن مقاومة إغراء القيام ببعض الضغط غير الرسمي لمصلحة الملكية، أن بإمكان الولايات المتحدة على الرغم من ذلك أن تفعل المزيد من أجل دعم الملك «في لحظة حاجته». ولكن ماذا عليها أن تفعل؟ الجواب بالطبع هو «الإصلاح والتنمية»[٥٣].

يختفي أهم إرث مؤسساتي لفيصل بعد عودته إلى السلطة وأكثرها دواماً، وراء الاحتفاءات التي نشرت لاحقاً عنه باعتباره إصلاحياً ناجحاً استطاع أن يمنع حدوث ثورة. وهذا الإرث هو استيلاؤه على الدولة بواسطة تحالف أمراء، أو ما يعرف عادة بالإخوة السديريين؛ إذ ما زال يعتبر صحيحاً ما أشار إليه الصحافي البريطاني روبرت ليسي في عام ١٩٨١م عن عودة فيصل إلى السلطة: «وهكذا تأسس في عام ١٩٦٢م تحالف استمر بعد وفاة فيصل [١٩٧٥م] وما زال يحكم السعودية حتى اليوم».

ويعطينا مصير ما سمي بإصلاحات فيصل ـ والتي تم الإعلان عنها بكثير من الصخب في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦٢م واحتفي بها باعتبارها

---

(٥٢) Peres's prediction at the time of the Yemen crisis, when he was Israel's deputy defense minister, is quoted in: Bass, *Support Any Friend: Kennedy's Middle East and the Making of the U.S.-Israel Alliance*, p. 118.

(٥٣) Dhahran to State, 95, 11 October 11 1962, RG 59, 786A.00/10-1162.

إصلاحات حقيقية من قبل معجبيه المتحمسين ـ صورة مبكرة عن طريقة نظرة هذا التحالف إلى الحكم. فقد أعلن فيصل عن عزمه كتابة دستور للبلاد، سماه «النظام الأساس» ليتفادى التصادم مع أولئك الذين يعتقدون أن الدستور الحقيقي للمملكة هو القرآن، لكن لم يسمع به أحد مرة أخرى بعد ذلك. كما أنه وعد بإصلاح الحكم المحلي، وهو الوعد الذي لاحظ كثيرون من المعلقين بأنه لم يكن إلا وعداً آخر من الوعود الغامضة التي لم يفِ الإصلاحي التحديثي بها. والحقيقة أن الوعود التي صيغت على شكل مقترحات واضحة ومحدّدة من بين النقاط العشر (التي كتبها أحمد زكي يماني بحسب مصادر السفارة الأمريكية) ولم تُصَغْ على شكل أحلام كالحديث عن «النهوض بالمستوى الاجتماعي للشعب السعودي» أو «وضع برنامج ضخم للإنعاش الاقتصادي»؛ هذه الوعود الواضحة والمحددة لم يتحقق منها شيء. والاستثناء الوحيد من ذلك هو النقطة الخامسة والتي كرر فيها فيصل تأكيده التزام الدولة بنشر الإسلام، وهو الأمر الذي توقع الأمريكيون أنه يعني تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكن لأن هذه النقطة لم تكن ملائمة للصورة المفضّلة حول ما يقوم به فيصل، فقد تم تجاهلها باعتبارها «الموقف التقليدي للحكومة السعودية»، أي إنها ليست أمراً جديداً[٥٤]، بل إن ما حدث كان في الحقيقة أسوأ بالنسبة إلى أي شخص ديمقراطي على الأقل. فالإصلاح تضمن إنهاء تجربة انتخابات المجالس المحلية التي بدأها حلفاء سعود التقدميون، ولن يحظى المواطنون بفرصة التصويت مرة أخرى إلا بعد مرور خمسين سنة.

نستطيع أن نقول: إن ديفيد هولدن (David Holden) كان أكثر صحافيي تلك الفترة نشاطاً في إطلاق قطار فكرة فيصل التحديثية، وذلك بطريقة تختلف عن كُتّاب سيرة فيصل المقدِّسين له. فبالنسبة إليه، «لم تتغير السعودية «كثيراً من الناحية السياسية والإدارية عما كانت عليه عندما تسلّم منصبه هذا أول مرة». فالإنجاز الوحيد الذي يمكن ادعاؤه قبل وصول فيصل إلى السلطة مرة أخرى هو تقيّد الحكومة بإجراءات التقشف، وهو الإنجاز الذي كان الناس يعتقدون أنه من أعمال وليّ العهد عام ١٩٥٨م (لم يكن

(٥٤) انظر:

Jidda to State, A-212, 15 November 1962, RG 59, 886A-40/11-1562.

كذلك). لكن كل هذا بدأ يتغيّر في عام ١٩٦٢م عندما بدأ فيصل بجلب «السعوديّة نحو المستقبل»، وذلك عبر الإنفاق على مدارس جديدة وطرق ومشاريع ووزارات[(٥٥)] والغريب أنه عندما كانت حكومة سعود تدعم هذا النوع نفسه من الاستثمارات الذي كانت تُلام بأنها تهدر موارده الشحيحة. ومع حلول الثمانينيات، بدا وكأن هذا القطار يخرج عن السيطرة التحليلية، ذلك أن غاري سامور (Gary Samore) ومشرفه الدراسي في جامعة هارفرد (والباحث المتعاقد مع السي آي إيه في السعودية) ناداف سافران (Nadav Safran) نسبا فضل نشر خطة خماسية شاملة في عام ١٩٧٠م إلى إصلاحات فيصل في عام ١٩٦٢م على الرغم من أن الجهة التي أصدرتها هي لجنة التخطيط العليا التي أنشأها الأمير طلال[(٥٦)]، بل إن فيصلاً قد أعاق مسار عملية كانت آخذة في التشكل. فهشام ناظر، والذي كان أحد تلاميذ الطريقي في وزارة البترول، كان هو رئيس المؤسسة التي كتبت هذه الخطة. لنقل إن أيّاً من الأساتذة الأكاديميين هنا في الولايات المتحدة لم يبذل جهداً إضافياً من أجل إيضاح المنطق السببي لحجّتهم، أو حتى تبيين مدى تحقّقه[(٥٧)].

---

(٥٥) David Holden, *Farewell to Arabia* (New York: Walker, 1966), pp. 134-136.

(٥٦) Gary Samore, "Royal Family Politics in Saudi Arabia (1953-1982)," (Ph.D. Dissertation, Harvard University, 1983), p. 177, and Safran, *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security*, p. 95.

(٥٧) It is worse. See Thomas W. Lippman, *Inside the Mirage: America's Fragile Partnership with Saudi Arabia* (Boulder, CO: Westview, 2004). He gets the year and the details about the reforms wrong, but he is nonetheless sure that credit belongs to Faisal and those he promoted, and blunter than most in his caricature of a hapless king. He writes that Faisal's reforms were launched within days of his becoming king in 1964 (p. 112) thereby fulfilling his pledge to Kennedy (pp. 141-144). One problem is thus his fragile grasp of the record. One part of his brief for Faisal versus Saud is the alleged failure of the latter to make use of the good offices of the Ford Foundation inside the kingdom. Nonetheless, his own account shows that the foundation had been reluctant to fund work in the kingdom when SaU:d was requesting aid (since Saudi Arabia could pay); and that, smart enough or no, Lippman's own sources show it was King Saud and not Faisal who sought Ford Foundation support in 1963, unless he is misquoting them. Later in the discussion he notes that the first Ford Foundation project actually began almost two years earlier, and had nothing to do with Faisal, but everything to do with the progressives who established the Institute of Public Administration, about which he knows only what the Ford Foundation documents tell him. The institute was a UN-supported reform launched in 1960, under Saud, although he allegedly did not even comprehend the idea of development. Unfortunately, Lippman did not use the only historical study to date on developments in the Saud-Faisal era based on what were then newly available archival sources, published by Sarah Yizraeli in 1997, years earlier than his. Her book goes far to explode the precious myths about Faisal.

نستطيع أن نسرد عدداً من الحقائق وأن نحلّ عدداً من الأمور الغامضة في تلك اللحظة وذلك عبر تذكّر أن فيصلاً كان العقبة الرئيسة للمشاريع التحديثية التي كان يسعى فيها الطريقي وغيره من التقدميين، وأنه في الأشهر التي تلت تولّيه منصب رئيس الوزراء قام بتعيين الموالين له على رؤوس الوزارات المختلفة، ونتيجة لذلك، سمح لبعض هذه المشاريع بأن تستمر، أما الأخرى فتم إيقافها. فعلى سبيل المثال، إن المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) التي كشف عنها النقاب في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦٢م كانت مشروعاً أوشك الطريقي على إطلاقه لولا إسقاطه من منصبه. ولم يكن لفيصل أي دور في إلهام الفكرة أو حتى في عدم الوقوف أمامها. قارن هذا بأحد أعمال فيصل المؤثرة في السياسة التخطيطية الحقيقية وليس المتخيلة، حيث قام بطرد المستشار الأمريكي للحكومة السعودية هارولد فولك (Harold Folk) الذي كان اقتصادياً لدى البنك الدولي. عمل فولك بجد ضدّ ممانعة المحافظين، كما وصف موظفو التنمية التابعون لأرامكو فيصلاً بأنه العقبة الرئيسة أمام المخططين، وأن الملك هو من يمكن المراهنة عليه لدفع عمل المخططين قدماً إلى الأمام[٥٨] قام فولك ومن معه من السعوديين برسم مخططات تتعلق بالطرق والمياه والطاقة ومصانع الإنارة.

وكما أشارت المحللة من تل أبيب سارة يزرائيلي (Sarah Yizraeli): «لم تنفذ حكومة فيصل أيّاً من هذه المشاريع التي كانت متواضعة على أي حال، وذلك على الرغم من أن الحكومة نفسها قد اعترفت بضرورتها»[٥٩]. تخيّل ما يتطلبه الأمر من قلب للمنطق حتى يصبح تجاهل هذه التفاصيل من جهود فيصل أمراً ممكناً، خلصت يزرائيلي التي كانت أذكى وأكثر حذراً من كثيرين في قراءتها للوثائق الأرشيفية إلى أن فيصلاً كان عقبة رئيسة للمخططين طيلة تلك الفترة، لقد رأينا كثيراً من الأمثلة على ذلك. إن أفضل ما يمكن قوله هو أن فولك والطريقي وطلالاً وغيرهم قد مهدوا الطريق للجهود المستقبلية التي حدثت في أواخر الستينيات والتي تُستَذكَر اليوم على أنها نتيجة جهود الملك فيصل ورؤيته.

---

(٥٨) انظر:

Dhahran to State, 95, 11 October 1962, RG 59, 786A.00/10-1162.

(٥٩) Sarah Yizraeli, *The Remaking of Saudi Arabia: The Struggle between King Sa'ud and Crown Prince Faysal, 1953-1962* (Tel Aviv: Moshe Dayan Center, 1997).

أنا والدك الآن

لم تتمكن سنتان من الدبلوماسية من إنهاء حرب الوكالة السعودية - المصرية في اليمن. فقد باءت بالفشل الجهود الأولية للدفع بالأمم المتحدة إلى تنسيق محادثات فضّ الاشتباك. وعندما بدأ مبعوث كينيدي الخاص، إلسوورث بنكر (Ellsworth Bunker)، بالتنقل بين الرياض والقاهرة في ربيع عام ١٩٦٣م، تمكن مراقبو الأمم المتحدة أخيراً من الحصول على مواقع خاصة بهم على الحدود السعودية - اليمنية والتي استمروا فيها قرابة العام، كما وافق فيصل على إيقاف إمدادات السلاح للملكيين، وذلك مقابل تعهّد عبد الناصر بسحب قواته، وبعد عملية سحب الجنود المصريين الرمزية الأولى اتبعت مصر استراتيجية تشبه لعبة البطاقات الثلاث[٦٠]، حيث قامت بتغيير أماكن الجنود بشكل مستمر وذلك من أجل إخفاء الجنود الجدد المرسلين (أي إنه مع كل ألف جندي يخرج نجد أربعة آلاف يدخلون). وبيت القصيد هنا هو أن ٣٠ ألفاً وأكثر من الجنود المصريين استمروا عالقين هناك إلى ما بعد هزيمة مصر من إسرائيل في حزيران/يونيو عام ١٩٦٧م.

بذل فيصل جهداً أكثر من عبد الناصر للتقيّد بالاتفاق وذلك لسببين اثنين: **الأول**؛ هو أن الميليشيات لم تكن تعتمد بشكل رئيس على تدفق الأسلحة القادمة من السعودية والأردن شمالاً طالما أن معهم المال الذي يستطيعون بواسطته الشراء من المهرّبين، وطالما أن الحكومة البريطانية مستمرّة في دعم المقاتلين بالسلاح من مستعمرتها في عدن وما حولها من مَحْمِيّات (٦٠). أما السبب **الثاني**؛ فهو أن الرئيس كينيدي جعل من إيقاف التسليح شرطاً لإرسال الولايات المتحدة إلى فيصل سرباً من طائرات الإف - ١٠٠ المقاتلة، حيث كان الدعم الجوي هو العنصر الثالث من تعهد أمريكا بحماية المَلَكيّة. فقد سلمت الولايات المتحدة القوات الجوية السعودية بعض الطائرات التدريبية، ورفعت من عدد زيارات المقاتلات الأمريكية، وأرسلت قوات خاصة (أو ما يسمى بذوي البيريهات الخضراء) إلى قاعدة الظهران لتعليم السعوديين طرق مواجهة الانتفاضات.

---

(٦٠) Spencer Mawbry, "The Clandestine Defence of Empire: British Special Operations in Yemen, 1951-64," *Intelligence and National Security*, vol. 17, no. 3 (Fall 2002), pp. 105-130.

ضاعف الأمريكيون من تدخّلهم عندما بدأت قوات عبد الناصر بقصف البلدات السعودية ونقاط تمركز الملكيين على الحدود السعودية ـ اليمنية. وعَكْس ما توقّعه عبد الناصر، لم يكن انتصار الشعب العربي على الإقطاعية بتلك المهمة السهلة؛ فعلى الدوام، وعلى مدار السنوات التالية، كانت القوات المصرية أو اليمنية تُمْنَى بالهزائم عندما تتصادم مع القبائل. حاكى عبد الناصر الأمريكيين في فييتنام باستخدامه مادة النابالم(*)، بل وتفوق عليهم عندما أطلق القنابل الكيميائية على الميليشيات وعلى أولئك الذين يعيشون بالقرب من نقاط تمركزهم. وكان المصريون بين فينة وأخرى يرسلون طائرة لتدمر نوافذ جدة، إلا أن الهجمات على الجانب السعودي قلّت عندما أرسل الأمريكيون جنودهم لفترة من الزمن في تموز/يوليو عام ١٩٦٣م.

أدّت الخيبة من عدم انسحاب المصريين وعدم استجابتهم للطعم الذي ألقي إليهم، والذي كان عبارة عن أموال برنامج المساعدة، إلى فقدان إدارة كينيدي أملها في عبد الناصر. قرّع الليبراليون كلّاً من البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية على ما تخيّلوه تجاهلاً للتهديد التي كانت مصر، الدولة التي أصبحت الآن مذنبة باستخدامها أسلحة دمار شامل، تشكّله على إسرائيل. أما شركات النفط فقد هاجمت واشنطن من الجهة الأخرى حيث كانوا يقبلون بأي شيء ما عدا السماح لعبد الناصر أو أي من أتباعه بإسقاط السعوديين. قرر كينيدي إرجاع مهمّة طائرات الإف ـ ١٠٠ إلى أمريكا في كانون الثاني/يناير من عام ١٩٦٤م، وسيقع على عاتق خليفته ليندون جونسون (Lyndon Johnson) إنهاء هذا الفصل المصري الذي افتتحه أتباع التُخم الجديد، كما ستنسحب قوات الأمم المتحدة من اليمن أيضاً في شهر آب/أغسطس من عام ١٩٦٤م.

تعثّر كل من الجمهوريين والملكيين في اليمن كثيراً وهم في طريقهم نحو اتفاقية تقاسم السلطة، والتي قاد إليها زوال الغشاوة عن أعين الجمهوريين تجاه حكامهم المصريين الجدد من جهة، ووصول المعارك إلى

(*) النابالم هو مادة هلامية سريعة الاشتعال، عبارة عن مزيج بين المواد الصابونية والبنزين، تستخدم في الحروب، حيث تلتصق بالجلد وتتسبب بحروق قاسية. تم تطويره من قبل فريق علماء أمريكي، واستخدمته أمريكا كثيراً في حربها ضد فييتنام، ومنذ عام ١٩٨٠م اعتبرت الأمم المتحدة استخدام هذا السلاح ضد المدنيين جريمة حرب. (المترجم)

نقطة جمود من جهة أخرى. ولن يوقف عبد الناصر من تدخله الطويل والمكلف في اليمن إلا بعد الهزيمة الساحقة التي مُنِيَ بها في حرب ٦٧ من إسرائيل. أما التابع الرئيس للأمريكيين في الشرق الأوسط فيصل، فقد اقتنع مضطراً بأن أولئك الذين يدعمهم غير قادرين على إيقاف التحوّل نحو الجمهورية في اليمن حتى بعد انسحاب المصريين، أي أن كلا الجانبين وصل إلى نتيجة تعادل(٦١).

وبسبب ضغوط كل من فيصل وأرامكو، والشركات التي تملكها، وغيرها من الشركات النفطية، وعدد من رجال الكونغرس، وجوزيف ألسوب (Joseph Alsop)، أكثر كتاب المقالات شهرة في ذلك الوقت، وغيرهم، تخلّى أتباع التخم الجديد في إدارة كينيدي عن المغازلة قصيرة الأمد مع نظام عبد الناصر(٦٢). استمر هذا الانزلاق - أو إن كنت تفضل مصطلح «التطوريين»، كما يصف مستشار الأمن القومي الخاص بليندون جونسون والت روستو أنظمةَ الأردن والسعودية، فحينها سنقول الارتقاء - بعد تسلم جونسون للسلطة. فقد وافق هذا القادم من تكساس على بيع السعوديين ما قيمته نصف مليار دولار من الأسلحة والخدمات، والتي تضمنت إنشاء أول نظام دفاع صاروخي وبناء سلسلة من القواعد العسكرية. وعادت وحدة المهندسين في الجيش الأمريكي، والتي كانت قد طوّرت منفذ الظهران في أواخر الخمسينيات إلى السعودية لتدشين نظام بثّ تلفزيوني في الرياض، وكذلك أصبحت، بعد أن توسع دورها الذي أدّته في المملكة: «المدير الوطني لعقود التنمية السعودية» في القطاعيْن المدني والعسكري وهو دور مشابه لذلك الذي أدّته شركة بَكتل في الأربعينيات(٦٣). وسيزور فيصل

(٦١) Faisal had to give up the dream of restoring the imamate, but he could absorb the cost. "The Yemeni army and security services were purged of leftists. Many royalists returned from Saudi Arabia; some of them were appointed to the supreme administrative bodies". Faisal's government recognized the now right-tilting republic in July 1970 and looked forward to his and his successors wielding increased influence over the north, prefigured in the defense pact Yemen signed with the Saudis in March 1971. See: Vassiliev, *History of Saudi Arabia*, p. 378.

(٦٢) As the historian Warren Bass puts it, "the attempt to woo Nasser became an attempt to deter him from waging war on Saudi Arabia". See: Bass, *Support Any Friend: Kennedy's Middle East and the Making of the U.S.-Israel Alliance*, p. 115.

(٦٣) Hart, *Saudi Arabia and the United States: Birth of a Security Partnership*, p. 250.

واشنطن مرة أخرى في عام ١٩٦٦م، حيث أمر وزير خارجية جونسون، دين راسك، بأن تتوقف كل «مظاهر التشجيع على الإصلاح، والتي تبيّن في ذلك الوقت أنها مضرة ومكررة، وبحسب راسك، فإن القيادة السعودية مؤهلة جيداً لتحديد ما هو الأصلح لها»(٦٤).

وعلى الرغم من مرور عقدين من الالتزام الأمريكي بحماية الملكية السعودية ومباركة إدارة جونسون، التي كانت نوعاً ما أكثر صراحة ومن القلب على طريقة أهل تكساس، المجددة لآل سعود، إلا أن فيصلاً ظلّ غير واثقٍ بالولايات المتحدة الأمريكية، وغير مستوعب فشلها في إخراج عبد الناصر من اليمن، وخائفاً من القوّة التي حصلت عليها أمريكا في الخليج وما ورائه. بمعنى آخر، لقد أصبح الآن وجهاً لوجه أمام اعتماد المملكة الحادّ على حامٍ لا يملك كل تلك الرحمة ولا يتحلّى بكل ذلك القدر من العطاء. لقد قَبل أبوه في الأربعينيات بمكانه في النظام الدولي والهرمية العالمية، كما أن فيصلاً قد فعل ذلك أيضاً في الستينيات، وذلك عبر تخلّيه عن جهوده لتغيير شروط الاتفاق، حيث اختار أن يلقي اللوم في المشاكل التي يواجهها مع أمريكا كما فعل أبوه قبله على اليهود.

أما فيما يتعلق بأرامكو، فقد أرضى فيصل الشركة بأن أقنعها أن الأيام السابقة السيئة قد انتهت. فقد ألقى وزير البترول الذي عيّنه، أحمد زكي يماني، كلمة في مؤتمر النفط العربي الرابع في بيروت عام ١٩٦٣م، في اليوم نفسه الذي كشف فيه فيصل عن برنامجه الإصلاحي، أخبر فيها المندوبين الحاضرين أن المملكة تعارض بشدة فكرة تأميم قطاع النفط، معتبراً إياها خطوة ستكون بشكل كامل «على النقيض من سياسة المملكة المتمثّلة في الحفاظ على الاقتصاد الحر»(٦٥). ومقابل ذلك، كان متوقعاً من أرامكو أن تدعم فيصلاً عن طريق تقديم الأموال من أجل بناء طرق إضافية

---

(٦٤) انظر مراجعة هرمان إيلتس (Herman Elits) لكتاب باركير هارت:
Parker Hart "Saudi Arabia and the United States," *Middle East Policy*, vol. 6, no. 4 (1999), < http://www.mepc.org/public_asp/journal_vol6/eilts.html > (accessed 30 December 2005).

(٦٥) "Saudi Arabia Bars Nationalization," *New York Times*, 9/11/1963, p. 47. Tariki had called for nationalization of the industries in all the producer states.

وغيرها من المشاريع[٦٦]. كما قام فيصل أيضاً بعزل أحمد الشقيري مبعوث المملكة لدى الأمم المتحدة والذي كانت إدارة كينيدي لا تستسيغه، إلا أن الشقيري سيعود مرة أخرى إلى نيويورك، ولكن هذه المرة بدعم من مصر باعتباره ممثلاً لفلسطين قبل أن يختاره عبد الناصر رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

كما أن فيصلاً حاول أيضاً إعادة بناء علاقاته في جدة، وذلك من خلال شقيق زوجته ورئيس الاستخبارات كمال أدهم الذي تواصل مع حليف فيصل الذي قرر الابتعاد منذ مدة: محمد علي رضا، ووصف السفير الأمريكي هذه الحركة بأنها محاولة من فيصل لبناء دعم سياسي من خارج الأسرة الحاكمة. وللتذكير، فإن علي رضا كان قد استقال من مجلس الوزراء الذي كان يرأسه فيصل عام ١٩٥٨م واختار بشكل حكيم العيش في الخارج حتى استعاد سعود السلطة. وذكر السفير أن علي رضا وأسرته لم يكفوا داخل أوساطهم الخاصة من انتقاد فيصل، وكانوا يشكّون في قدرته على ضمان الأمن والاستقرار. أياً يكن، فمع مرور الوقت سيصبح علي رضا المعاد تأهيله مبعوثَ فيصل إلى عبد الناصر.

وقام فيصل بمحاولات عامة للتقرب من شعبه؛ ففي بداية شهر كانون الثاني/يناير ١٩٦٣م، تحدّث عبر الأثير إلى الشعب السعودي مباشرة، وهي المرة الأولى ـ بحسب ترجيح السفير الأمريكي ـ التي يقوم فيها زعيم سعودي بذلك. استرجع الأمير في كلمته تاريخ علاقات بلاده مع مصر، وأبدى استياءه مما أطلقه عبد الناصر من تهديدات للمملكة، وطالب السعوديين بالتظاهر من أجل دعمه، ولم يكن واضحاً مدى فعالية الخطاب. فباستثناء بعض الأمراء الذين تعهدوا بنقل المعركة إلى القاهرة وما شابه ذلك، فإن من المحتمل أن الشعب قد استمع وأن كثيرين منهم قد جُلب بالحافلات إلى المدينة من أجل مظاهرات الحرب، ولكن طالما أنه لم يكن مطلوباً منهم القيام بأي شيء غير المحافظة على ولائهم فإنه من الصعب الحكم بمدى التزامهم فيه. وفي الجهة المقابلة، كان الأمريكيون مستمتعين

---

(٦٦) انظر:

Dhahran to State, 128, 14 November 1962, RG 59, 886A.2553/11-1462.

جداً بالخطاب، فقد أبرق السفير هارت إلى واشنطن مخبراً إياهم بتواضع بأنه هو وعيسى صبّاغ كانا خلف «دردشة نار المدفأة»[٦٧] التي قام بها فيصل، وذلك بعد كما قالا أن دفعاه إلى اتباع نموذج الرئيس روزفلت خلال الحرب العالمية الثانية. واستحق فيصل تقديراً إضافياً على قبوله تحدّي السفارة، وذلك لأن إتقانه العربية الفصحى كما قال صبّاغ كان «سيّئاً بشكل كبير»[٦٨].

وبكلمة واحدة كان فيصل مناسباً، فقد دعم القضايا التي كانت لسنوات عديدة تثير قلق أرامكو؛ كما أنه بعد انشقاقات الطيارين والأمراء الأحرار، لم يكن هناك سوى القليل مما يؤشر على وجود اضطراب قد يثير القلق بين موظفي السفارة، بل إن فيصلاً قد وافق على ما يمكن اعتباره سياسة «لا تسأل ولا تخبر» بخصوص قضية اليهود الأمريكيين الموجودين في فريق سرب القوات الأمريكية الجوية وموظفي الدعم الخاص بهم، وهو الأمر الذي استغله ذراع البروباغندا المصرية كثيراً، لكن هل كان ذلك مهماً؟ فلسنوات ستتصدر في الصحافة الأمريكية أخبار حول كيف أن إصلاحات فيصل الاستشرافية قد أسهمت بتفادي حدوث الكارثة. ولم يجد محررو صحيفة **النيويورك تايمز** وغيرهم وقتاً للنوم وهم يحاولون حل لغز كيف أمكن لنظام كان يُعتبَر أنه على حافة الهاوية أن يستطيع إنقاذ نفسه قبل تنفيذ أيًّا من هذه الإصلاحات السحرية بفترة طويلة، بل حتى قبل أن يتم تحديدها بدقة، وهذا طبعاً لا ينطبق على أولئك الذين يصدقون أن تحرير العبيد كان أمراً كافياً لدفع كل من أصبحوا ثواراً وناصريين وشيوعيين لإلقاء أسلحتهم.

وستتكرّر قصة كيف أن جهود فيصل في التحديث حَمَت المملكة في كل مرة تتحدّث الصحافة عن نهاية سعود الحزينة ونفيه، أو عن مفاوضات فيصل مع عبد الناصر المتقلبة، أو عن تتويج فيصل ملكاً عام ١٩٦٤م ورحلته

---

(٦٧) دردشة نار المدفأة عبارة عن سلسلة من الخطابات الإذاعية كان الرئيس روزفلت يوجهها بشكل يومي إلى الشعب الأمريكي في الفترة ما بين ١٩٣٣م إلى ١٩٤٤م.

(٦٨) See the remarkable Jidda to State, 309, 17 January 1963, RG 59, 686A.861/1-1763 XR 786A.13. I leave it to others to reconcile this account with Lacey *The Kingdom: Arabia and the House of Saud*, p. 347, "Faisal held war rallies in Riyadh which he addressed with a vigour and eloquence no one has suspected. He was a natural and inspiring orator".

المباشرة إلى واشنطن بعد ذلك، أو عن بيع أمريكا للصواريخ لحليفها ذي الأنف الذي يشبه منقار الصقر، وغيرها من الأمور. ولعل من الأفضل أن لا نشتت القراء، ذلك لأن المحدّث نفسه كان مشغولاً كما أشرت مسبقاً في إنهاء التجربة الأولى للانتخابات المحلية. ففي تموز/يوليو من عام ١٩٦٤م، ألقى جنوده القبض على عدد من السعوديين الذين كانوا متحمسين بشكل مبالغ فيه للإصلاحات[٦٩]، كما أن المملكة آوت أكثر الإسلاميين المصريين تبنّياً للعنف كما نسمّيهم هذه الأيام. وأحد أول أعمال فيصل بعد تنصيبه ملكاً كان إلغاء منصب رئيس الوزراء، كما أنه قام بتفكيك لجنة التخطيط التي صمّمها الأمريكيون، وسلّم موضوع التخطيط لرشاد فرعون، طبيب الملك عبد العزيز السابق الذي أثرِيَ من منصبه[٧٠]. وكما ذكرت سابقاً، فأكثر الإصلاحات التي وعد فيصل بها لم يتم ذكرها مرة أخرى، وذلك لسبب معقول؛ فبالنسبة إلى أحد محللي أرامكو، فإن فيصلاً كان في حقيقة الأمر «يدير الحكومة بنفسه من دون مراعاة لأي ترتيب محدّد للسلطة أو للبنية النظرية للحكومة»[٧١].

وكانت هناك لدى فيصل حسابات لا بد من تصفيتها، ففي وقت ما خلال ربيع عام ١٩٦٣م، استدعى فيصل سفير المملكة إلى سويسرا: عبد العزيز بن معمر، وعلى الرغم من أن أصدقاء عبد العزيز على الأرجح حذّروه من الذهاب إلى هناك، إلا أن ابن معمر وزوجته وأبناءه الستة رجعوا إلى جدّة. ويتذكر السفير الأمريكي أن ابن معمر كان يقول لفيصل وسعود بأن عليهم مواجهة الحقيقة والاعتراف بجمهورية اليمن العربية. أما الصحافي روبرت ليسي فقد كان أكثر بلاغة حين قال: «ظلّ ابن معمر ناقماً، فعندما

---

(٦٩) One of those arrested as a communist and later released was an ARAMCO employee turned writer, Ibrahim al-Nasir (possibly Ibrahim al-Nasir Humaydan?), who published a book of short stories about work in the TAPLINE province, Ard bila Matar (Land without Rain), in 1967. I have not been able to locate a copy: I note this for others who, in some better world, might want to document the fate of those who lived under Faisal's reign.

(٧٠) انظر:

John Jones to GRO, 3 March 1965, Enclosing report by Quint, untitled, confidential, reporting on the Ford Foundation mission, Box 3, Folder 23, AAD, Chronological Files, January -April 1965, Mulligan Papers.

(٧١) انظر:

Quint, Memo to file, 15 July 1965, Trip to Riyadh, Box 3, Folder 24, AAD, Mulligan Papers.

عاد من سويسرا إلى الرياض انتقد فيصلاً بشكل مباشر ومن دون توقف إلى أن ضاق فيصل به ذرعاً، صاح به الملك غاضباً في آخر الأمر قائلاً: «إما أن تتوقف عن إثارة اللغط وإلا فإن مكانك السجن»»(٧٢).

شاهدت هيفاء، ابنة عبد العزيز بن معمر الصغرى، كيف ساق مسؤولون سعوديون في ليلة ١٣ آب/أغسطس ١٩٦٣م أباها إلى السجن: «أذكر أمي وهي تصيح معترضة، وهي تتوسل بألا يأخذوه، وهي تحاول سدّ الطريق أمام الجنود، إلا أن والدي لم يقاوم، وللأسف الشديد، ولم يره أحد أو يسمع به بعد اعتقاله وذلك للعشر أو الإحدى عشرة سنة القادمة»(٧٣). لم تُوجَّه إليه تهمة أبداً، ولم يقدّم إلى أي محكمة.

وقبل هذه الحادثة بسنوات استضاف جدّ عبد العزيز بن معمر والد فيصل عندما كان عبد العزيز في المنفى في الكويت. وكان والد عبد العزيز بن معمر مستشاراً وفياً للملك الأول. وتزوجت (أم محمد) عبد العزيز بن معمر بمباركة من الملك، وتربّى محمد، أول أبناء عبد العزيز، مع أحد أبناء الملك عبد العزيز. ولهذا كان من المتفهَّم أن تسعى أم محمد للحديث مع الملك فيصل. وتذكر العائلة هذه القصة عن اللقاء: جلبت أم محمد معها أكبر بناتها، حصة، إلى القصر وتوسلت، باسم الأبناء، من أجل الإفراج عن والدهم، التفت فيصل ووجَّه حديثه إلى حصة قائلاً: «انسِ والدك، أنا والدك الآن».

الأمريكيون في أرامكو تحت المجهر

عندما أمر البيت الأبيض بتوجيه طائرات الأف ـ ١٠٠ إلى المملكة لتنفيذ عملية السطح الصلب(*)، كان على أرامكو أن تستجمع قواها، وذلك

(٧٢) Hart, *Saudi Arabia and the United States: Birth of a Security Partnership*, p. 265, note 5, and Lacey *The Kingdom: Arabia and the House of Saud*, p. 381. The journalist unfortunately never explains how he knows what Faisal said. I leave the quotation marks in because he uses them, but take it literally at your peril.

(٧٣) Haifaa Muammar to Vitalis, 9 February 2005. Published sources are unclear and contradictory about the date of Ibn Muammar's arrest. His daughter has her mother's calendar from the year of the arrest, with the date marked, "so that we would never forget".

(*) وهي العملية التي تعهدت فيها الولايات المتحدة بحماية السعودية مقابل أن توقف الأخيرة تسليحها للملكيين في حرب اليمن وسحب مصر لجنودها من اليمن (المترجم).

لأنها تعرف أن مثل هذا الأمر سيعيد تسليط الأضواء مرة أخرى على المستوطنة الأمريكية في «ذلك الجزء الفاسد من العالم» بحسب وصف أحد مساعدي كينيدي. ولا شيء يكشف مزيج الاستعلاء والانزعاج التي كانت متفشية بين الأمريكيين في الظهران آنذاك أكثر من الرسالة المكتوبة في تموز/يوليو عام ١٩٦٣م بواسطة هاري ماكدونالد أحد ألمع موظّفي منظمة العلاقات الحكومية التابعة لأرامكو، والذي تعلّم حرفته عندما كان يعمل في الاستخبارات لدى آيزنهاور في الحرب العالمية الثانية:

> قدم إلينا موفد مجلة **التايم** للشرق الأوسط لكتابة مقال عن أرامكو لقسم التجارة والأعمال، وكان وقع هذا الخبر علينا هو الأسوأ لهذا الموسم، حيث تمنينا أن يبقوا كل شيء على حاله من دون مساس. «كتب» كل واحد منا ما كنا نعرف مسبقاً أننا سنكتبه، وحتى الأسئلة المسبقة التي أرسلت إلينا كانت مسربة... كيف يتم تعويض الزوجات مقابل العيش في هذه الصحراء الحارقة؟ ما هو الجواب الذي تستطيع تقديمه لهذا السؤال بحيث تتمكن من حجب وجهة النظر الأصلية من دون أن يبدو كلامك وكأنه دعاية محضة... كان واضحاً أن هذا الموفد يتدرج عبر قائمة مدروسة من الموضوعات وكان الموظفون يجيبون عليه. وفي كل مرة تطلق امرأة تعليقاً بريئاً مثل «إن العواصف الرملية ليست بذلك السوء» يتوتر الجميع فوراً خشية أن يبدو تعليقها خاطئاً بطريقة ما...
>
> وأياً يكن، إن الأمر سيكون مدهشاً لو سئلت بعض الأسئلة التي كانت في بالي لسنوات... إن سياسة أرامكو محددة بعمل ما هو صحيح وصالح في هذا البلد. هل لدى مجلة **التايم**، في أي من لوائحها، أي مادة تفرض عليها العمل من أجل المصلحة العامة أو أن تتحمل مسؤولية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية أو أي جهة أخرى... إلخ[٧٤].

---

(٧٤) Harry McDonald, letter excerpt dated July 13, 1963, recipient unspecified but presumably Mulligan, Box X, Folder 13, "McDonald Letters" Mulligan Papers.

لقد أراد ماكدونالد من رسالته أن تكون مضحكة، كما أنها كانت رسالة خاصة إلى موظف آخر في أرامكو، أي إنه لم يكن لديه ما يضطره إلى التصنّع من أجل الشركة. ولهذا السبب فإنه يمكن اعتبار الرسالة دليلاً على مدى عمق اعتناقه لإنجيل أرامكو، بالإضافة إلى كونها دليلاً على انزعاج الشركة من تسليط الأضواء عليها. وبالنسبة إليه، ليس من الممكن أن تستطيع مؤسسات كمجلة **التايم** أن تذكر قصة أرامكو بشكل صحيح، كما أنه قد أبدى شكوكاً بمدى اتباع مراسليها ومحرريها للتكليف الإلهي ذاته الذي دفع بأربع من كبرى شركات النفط في العالم إلى أن تستغل (وهي الكلمة التي لم يتجرّأ على كتابتها أحد من موظفي العلاقات العامة في أرامكو) النفط السعودي. ومع هذا التأكيد المتأخّر على فكرة أن أرامكو كانت أشبه بهيئة تنمية دولية أو بعثة إنسانية لمصلحة الشعب السعودي، فإن السخرية في الفكرة الأخرى التي ذكرها ماكدونالد تبدو دقيقة، أي إن إخلاصاً كاملاً من قبل مجلة **التايم** سيجعل من المستحيل حدوث حوار صادق مع الأرامكويين. أخيراً، كان هناك ذلك القلق بشأن ما قد تكتبه مجلة **التايم** عن زوجات العاملين في النفط.

رفع النقاب

لقد كان هناك قرابة ١٢٥٠ رجلاً أمريكياً يعمل لدى أرامكو في عام ١٩٦٦م، وهو رقم يعتبر قليلاً مقارنة بعام ١٩٦٣م (إذ بدأ الأمريكيون بالتقاعد بشكل بطيء ومطرّد). وكان هناك حوالى ألف امرأة متزوجة يعشن داخل أحياء كبار الموظفين في كل من بقيق والظهران ورأس تنورة. ويوجد داخل هذه الأحياء أيضاً ٢٠٠ امرأة عزبة. وكانت قوانين الشركة تمنع النساء المتزوجات من العمل لدى أرامكو، وكانت ترغم كل امرأة تتزوج بعد مباشرتها العمل في الشركة على التخلي عن وظيفتها، وكان يتوجب على كل امرأة لديها أطفال أن تتخلى عنهم في آخر الأمر. ولا توجد في مدارس أرامكو صفوف فوق الصف التاسع؛ ففي الأحياء الأمريكية «لا شيوخ، ولا شباب صغار، وباستثناء أوقات الأعياد، لم يكن هناك مراهق أكبر من سن الرابعة عشر»[٧٥].

= Ludovic Kennedy, *Very Lovely People: A Personal Look at Some Americans Living* (٧٥)

لدينا نوعان من السرديات حول آثار أبويّة أرامكو على النساء اللاتي عشن داخل الأحياء السكنية، والقليل منها كتبت من قبل نساء. واحدة من هذه السرديات القليلة كتبتها نورا جونسون (Nora Johnson)، وهي نفسها التي كتبت في الستينيات رواية **عالم هنري أورينت** التي أصبحت فيلماً ناجحاً من إخراج بيتر سيلرز (Peter Sellers). انتقلت نورا إلى الظهران وهي في الثانية والعشرين من عمرها، بعد أن تخرّجت من جامعة سميث وتزوجت بـ ليونارد سيويك (Leonard Siwek) الذي عمل محللاً لدى قسم الشؤون العربية وكان قد انضم إلى أرامكو بعد تخرّجه في كلية الدراسات الدولية العليا التابعة لجامعة جون هوبكنز في عام ١٩٤٩م، إلا أن سيويك قد استقال من عمله بعد أن أجبرته زوجته المذعورة والغاضبة والوحيدة وأم ابنته الرضيعة على الهروب من الظهران بعد نهاية عقده الذي كانت مدته سنتين. كتبت نورا:

> تعايش مثقفو الظهران مع البلدة واحتفوا بثقافة المسلمين وتحدي الأرض القاحلة؛ أما الآخرون الذين كانوا أقلّ انبهاراً فقد احتفوا بدرجة حماسة الأولين نفسها بالكفاءة اللافتة التي استوردت بها الشركة كل ما هو مبهج وعادي من الوطن ـ أي حقيقة أن الظهران غدت أمريكية أكثر من أمريكا نفسها ـ كما أنهم كانوا يعتبرون العرب مثيرين للاشمئزاز(٧٦).

عاشت جوي ويلسون (Joy Wilsom) في الظهران فترة أطول من نورا جونسون، حيث قضت هناك ما مجموعه أحد عشر عاماً. وبينما كانت هي خريجة كلية رادكليف عام ١٩٥٧م، كان زوجها، روبرت، اقتصادياً متخرّجاً من هارفرد. قَبِل روبرت عرضاً وظيفياً في أرامكو وانتقل هو وزوجته إلى الظهران مع ابنهما الجديد في عام ١٩٦٥م، ثم بعد وصولهما إلى المملكة

Abroad (New York: Simon Schuster, 1969), p. 321. Kennedy was a BBC personality who visited = Dhahran in 1965. "It bears little relation to the American way of life it is said to represent. The essence of small town American life is government by democracy, but government by ARAMCO is benevolent dictatorshipÛÛ. To live as an ARAMCO employee is to be a citizen of a superbly well-organized welfare state". He commented too on women's isolation and often alienation, "with perhaps the bottle or the Church or the occasional affair to help them along the road" (p. 311).

(٧٦) Nora Johnson, *You Can Go Home Again: An Intimate Journey* (New York: Doubleday, 1982), p. 42. She says she wrote the paragraph I quoted "just after I left there, in 1958, and know I can never tell better-awkwardness and all-what is was like there then.

بفترة قصيرة رزقا بطفلة جديدة. روت جوي ويلسون قصة هذه السنوات في مجلة خريجي جامعة رادكليف بعد عودتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقرارها في نيو كانان في ولاية كونكتيكوت. وكان الذي كتبت عنه، والذي كان ولا بد يصح على غيرها من الزوجات والأمهات هو حجم الأذى الذي شعرت به، كما أنها قد كتبت بكل شفافية، حيث تحدثت عن رغبة عائلتها في البقاء وعن ذنبها في اقتلاعهم من هناك(٧٧).

وصفها بيتر سبيرز (Peter Speers) بأنها ساحرة وصلت إلى الظهران بـ«مكنسة درجة أولى»، حيث أدرج نسخة من مقالتها مرفقاً معها تعليقاته في رسالة أرسلها من تكساس حيث استقر بعد تقاعده. وبالعودة إلى عام ١٩٥٠م، وصف بل إيدي سبيرز بأنه «طالب لغة عربية ألمعي» في برنامج التدريب في كلية الدراسات الدولية العليا (SAIS) عندما كان إيدي مسؤولاً عن توظيف المجموعة الأولى من محللي قسم الشؤون العربية وربط مجموعة مختارة منهم بالسي آي إيه. تخلت زوجة بيتر، إيلين سبيرز (Ellen Speers)، عن عملها كمحللة في شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية عندما توظف زوجها في الشركة وانتقل إلى الظهران. ولعل مرور السنين قد أثّر في ذاكرة سبيرز بعض الشيء، وذلك لأن تعليقاته على مقالة جوي ويلسون فوتت النقطة الرئيسة: «لقد تذمّرت من روبرت ويلسون لسنوات وجعلت من حياته لا تطاق بسبب مطالبتها المستمرة بمغادرة جزيرة العرب، وها هي تستمر في الكتابة حول كيف كانت الحياة في الظهران رائعة». ولعلّه تجاهل نقدها، بغض النظر عن طريقة تعبيرها عنه، بشكل غير إرادي وبالطريقة نفسها التي تعلّم موظفو التخطيط والسياسات أن يقوموا بها لسنوات(٧٨).

دعمت دراستان إثنوغرافيتان عن أحياء الشركة السكنية الأمريكية، كُتبت إحداهما في عام ١٩٥٥م والأخرى في عام ١٩٦٣م، ما كتبته هاتان

(٧٧) Joy Wilson, "Raising Children in an American Oil Camp in Saudi Arabia," *Radcliffe Quarterly* (March 1977), pp. 8-9.

(٧٨) Speers to Mulligan, 5-6 April 1977, Box 10, Mulligan Papers. On his and Ellen's background, see Eddy to Duce, memo, LWN-142, ARAMCO, Washington, DC, 25 March 1949, "Report and Recommendations Regarding Special Employee-Trainees 1949/1950," Folder 11, Box 2, Mulligan Papers, and Anthony Cave Brown, *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings* (Boston, MA: Houghton Mifflin, 1999), pp. 142-145.

الامرأتان من سرديات. فلا عجبَ إذاً أن تقوم أرامكو بإعداد ردود تفصيلية عليهما. وفي حقيقة الأمر، تعتبر هاتان الدراستان هما العملين الوحيدين إلى هذا اليوم اللذين سيتعاملان بشكل نقدي مع الهرمية العنصرية للأحياء السكنية ونظرة الأمريكيين إلى السعوديين. وكثيراً ما تمّت الإحالة إلى إحدى هاتين الدراستين في كتب المذكرات في ذلك الوقت، أما الأخرى فلم تتمّ قراءتها لعقود. وقد تمّ إنجاز الدراسة الأولى التي قام بها أستاذ الأنثروبولوجيا الرائد سولون كيمبال (Solon T. Kimball) بشكل سريّ. يعتبر كيمبال، الذي كان يعمل أستاذاً في الأنثروبولوجيا في كلية المعلّمين التابعة لجامعة كولومبيا، أحد روّاد مجال دراسة المجتمعات. فقد كان عمله الرئيس مع قبائل النافاهو حيث قدّم استشارات لهيئة الشؤون الهندية في ما يتعلق بقضايا التنمية وعلاقة النافاهو بالحكومة. في عام ١٩٥٥م، تعاقدت معه أرامكو من أجل المشاركة في المعهد الصيفي للمعلمين في مدارسها؛ فقضى في كل واحدة من البلدات النفطية الثلاث أسبوعاً واحداً يقدم فيه محاضرات ويسجّل ملاحظاته، وبعد ذلك جمع ملاحظاته في كتاب عنوانه **الثقافة الأمريكية في المملكة العربية السعودية** (*American Culture in Saudi Arabia*)[٧٩].

لقد كان كتاباً صغيراً؛ حيث لم يشأ الإسراف في استخدام الكلمات بل تحدّث بشكل مباشر عن التناقض الذي وجده في العيش داخل الأحياء السكنية: «لقد أذهلني بطريقة يجب أن تذهل أي شخص يرى ما تمّ إنجازه بواسطة عظمة طريقة الأمريكان، التقنية في معرفة كيفية إنجاز الأشياء، والتي رافقتها بكيفية ما عدم القدرة على فهم أو التعامل - في حالة وجد الفهم - بطريقة مناسبة مع مشاكل العلاقات البشرية والعواطف»، فقد بدا كثيرون من الرجال والنساء الذين قابلهم قلقين: «فعلى الرغم من . . . أن عبارة «لم يمرّ

---

(٧٩) Biographical material on Kimball is from the Inventory of the Solon Toothaker Kimball Papers, Newberry Library, Special Collections, Chicago, IL, <http://www.newberry.org/collections/FindingAids/kimball/kimball.html> (accessed on 16 February 2005). Brown, gets Kimball's story ("Barger called in experts to make a study of the town for the review of the senior staff") and the citation for the paper ("presented to the U.S. Anthropology Section of Oceanography and Meteorology"-what can this possibly mean?) wrong, spectacularly, as usual (Brown, Ibid., pp. 140 and 383, note 26. See instead: Solon T. Kimball, "American Culture in Saudi Arabia," *Transactions of the New York Academy of Sciences*, vol. 18, no. 5 (series II) (March 1956), pp. 469-484.

علينا أفضل مما نحن فيه» كثيراً ما تتردد، إلا أن هناك تيارات عميقة من الضيق والإحباط، بالإضافة إلى مضاعفات نفسية خطيرة».

كشفت دراسة كيمبال الخواء الكامن في قلب عدد من ادّعاءات الشركة حول انعدام وجود هرمية عنصرية والمساواة بين الأعراق وما شابهها، إلا أنّ الحقيقة هي أن الحدود المادية الموجودة في كل البلدات التابعة للشركة: «التي كانت تعبيراً تقريبياً للبنية الهرمية البيروقراطية والتقسيم العرقي للموظفين»، قد جعلت من الانقسامات الاجتماعية الداخلية التي لا تعدّ ولا تحصى واضحة للجميع. «فحتى أدنى» عامل أمريكي كان لديه أو لديها ـ إذا كانت عاملة ـ إحساس بالفوقية يتم إعادة تعزيزه بواسطة التنظيم المكاني والعرقي للأحياء، «فالموقع المتميِّز للأمريكيين ينعكس في كل من عالم الرموز وعالم الحقيقة. وهو موقع يفرض درجة عالية من العزلة الثقافية. . . كما أنه يسهم في تشكيل شعور طاغ بالخطر». وقد وجد كيمبال في تقصّيه أن حتى أولئك الذين يؤكدون مساهمة أرامكو في التنمية السعودية وما يتحلى به الأمريكيون من «شعور رسالي معرّضين لحالات من التشاؤم»، فعدد منهم سيقول إن لم يكن معظمهم: «أنا هنا للسبب نفسه الذي جاء من أجله الآخرون: المال».

عند خاتمة كتابه انتقل كيمبال إلى الطريقة التي أدّى فيها الجندر (Gender) دوراً في هذه الهرمية العنصرية، وإلى عالمَي الذكور والإناث المفصولَيْن وغير المتساويَيْن. وذكر أن المستعمرة الأمريكية في هذا المجال كانت تشبه التخم بشكل كبير: «فالصناعة النفطية هي عالم الرجل، وعملية إنتاج النفط في ظروف التخم ليست مناسبة لتأسيس أسرة أو علاقات اجتماعية مستقرة». وكان يرى أن العكس هو الصحيح، فقد «كان كل من العائلة والمجتمع. . . في حقيقة الأمر عناصر تعقيد وإزعاج» للهدف الرئيس وهو إنتاج النفط. فمنذ القرار الرئيس لتأسيس سكن للأسر في نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن الجندر للقائمين على الشركة إلا عاملاً تقنياً للإنتاج يمنعون به التغيّر المكلف والذي كان يتم بشكل كبير في صفوف الموظفين. أمثلة كثيرة بعد ذلك اتبعت المنطق نفسه، ابتداء من القوانين التي تحدّد متى يسمح للرجال بإحضار عيالهم إلى الحيّ السكني إلى قرار منع وجود أي مراهقين في الحيّ أكبر من سن الرابعة عشر. ولهذا فقد شدّد في الوقت نفسه الذي انهار فيه نموذج التخم على «أن السيطرة الأبوية لأرامكو تصل إلى كلّ

جانبٍ وَزاوية من حياة المرء، وتمنح أماناً يسهم في حقيقة الأمر بالشعور بالوضعية المؤقتة وبالخطر، أي شعور أن ما يتم منحه قد يبقى وقد يؤخذ».

وكما ذكرت سابقاً، فإن دراسة كيمبال تدعم السرديات التي كتبتها نساء كنورا جونسون عن عالم كان فيه الرجال

> يحظون بجانب كبير من المرح الذي حاولوا إشراك زوجاتهم فيه، حيث جلسنا كلنا وضحكنا بأدب، محاولات تخيّل كيف كان شكل الحياة هناك عند الأنابيب في تلك الليلة من شهر حزيران/ يونيو، أو ذلك الغداء المجنون في روما في السنة الماضية، أو الحفلة التي كانت في أحد الأكواخ حيث قام أحد الأشخاص بعد أن ثمل من الخمر بتقليد أنف الموزة (المقصود هنا هو الملك سعود) بينما كان يحيط نفسه بشرشف فقط(٨٠).

وكما فعلت ويلسون، وضّح كيمبال كيف أن رفاهية البساطة والامتيازات تعايشت مع «الضجر، والقلق، والإحباط»، حيث كانت مؤسسات المجتمع «متحقّقة بشكل جزئي و. . . أن النقائص كانت معيقة للمرأة [المتزوجة]». كما أن كيمبال يروي لنا الرواية الوحيدة التي نملكها عن مكانة المرأة العزبة في هذه الهرمية، وعن كيفية كون «الضبط الاجتماعي، وبشكل أكثر تحديداً: كيف كان سلوك الموظفة الأنثى الجنسي موضع اهتمام وحديث، وتأمل كبير جداً». وتشير وثائق أرامكو، الموجودة حالياً في جامعة جورجتاون، إلى مشكلة كون رجال الشركة هم من يحكمون؛ إذ سيجد الباحثون في ما يسمى بملفات ويليام موليغان التي بلا معنى، والتي احتفظ فيها بالنكت والتعليقات الساخرة لمواد قسم العلاقات العامة في الشركة، وبملف ضخم عن إعلانات للملابس الداخلية النسائية، ومقالة جوي ويلسون في كلية رادكليف، وسجلات «النساء العَزّب» اللاتي

(٨٠) Johnson, *You Can Go Home Again: An Intimate Journey*, pp. 45-46. For examples from ARAMCO archives of the easy racism, parties, and pranks, including another Banana Nose incident, see: Robert Vitalis, "Aramco World," in: Madawi Al-Rasheed and Robert Vitalis, *Counternarratives: History, Society and Politics in Saudi Arabia and Yemen* (New York: Palgrave; St. Martins Press, 2003).

زعمن بأنه تمّ اغتصابهن في الحيّ السكني، ومذكراته عن مترجمة كان أحد أصدقائه يتباهى بأنه كان يضاجعها، ولا بد من أنه كان يكذب، ولكن إن لم يكن فإنه «في بعض الأحيان يهلوس بعد أن يفقده الشراب عقله حول جسدها البشع»[٨١].

كانت ردة فعل الشركة مثيرة للاهتمام على مثل هذه اللحظة النادرة التي ارتدّت فيها العين الأنثروبولوجية الثاقبة، التي طالما وَجّهها مختصوها إلى العالم الموجود خارج السور إلى الداخل. كان الأمر كما لو أن قبيلة آل مُرّة أو أي قبيلة غيرها تكتب رداً مفصلاً على نقطة تلو أخرى من تقارير فيدال أو رينتز أو ماثيوز. لقد كان ردّ الشركة دليلاً على صحة ملاحظات كيمبال حول أبويّة الشركة، وقدرتها على الوصول إلى «كل جانب وزاوية من حياة المرء»، وفي الوقت نفسه طغيان الشعور بالخطر على الحياة هناك. فالشركة قد أعدت رداً مفصلاً في ورقة تمّ تقديمها إلى المجتمع الأكاديمي، أي ورقة من المستبعد جداً أن يقرأها أحد في السعودية. إن هذا التناقض هو نفسه الذي يبرز في هوس الظهران حول النقطة نفسها عندما دفنت الكتاب الذي كان مكتبها في نيويورك قد كلّف والاس ستيغنر بكتابته.

أعمدة وأوتاد الهرميّة العنصريّة

بعد ثمانية أعوام، في خريف عام ١٩٦٣م، سلّم عالم الاجتماع توماس أوديا (Thomas F. O'Dea) التقرير النهائي للدراسة التي تعاقدت أرامكو معه من أجل إنجازها عن «التغيّر الاجتماعي في السعودية: المشاكل والتوقعات». كان أوديا حينها أستاذاً في جامعة ولاية يوتاه، وكان مشهوراً بدراساته عن طائفة المورمون[٨٢]. عندما جاء إلى السعودية، شكّل فريقاً ضمّ

---

(٨١) انظر:

Confidential, Memo to File, Dhahran, 21 February 1967, Miss Lorraine A. Landry, 90899, Folder 15, and his typescripts on Catherine Brown and Lovelind Hoel, Folder 18, Box 9, Mulligan Papers.

(٨٢) It is unclear why O'Dea was hired. He had spent 1955-56 at Stanford's Center for Advanced Study in the Behavioral Sciences, where Stegner was then completing his manuscript. For O'Dea's biography, see Robert Michaelsen, Raimundo Panikkar and Tamotsu Shibutani, 1976, *University of California: In Memoriam*, Thomas F. O'Dea, Sociology; Religious Studies: = Santa Barbara, 1915-1974,

فدريكو فيدال (Federico Vidal)، وهو أنثروبولوجي يعمل لدى أرامكو، في مشروع مدته ثمانية أشهر. لم تتجاوز عدد صفحات التقرير الـ٢٠٠ صفحة، وعلى الرغم من أن النتائج كانت مشابهة لتلك التي توصل إليها كيمبال بخصوص الهرمية العرقية داخل منطقة النفط، إلا أنها قد تجاوزتها لمسافة أبعد. جهّز مستعربو أرامكو رداً رسمياً، وذلك خشية من أن يقوم أوديا بنشر التقرير. وبعد خمس سنوات، رأى موليغان أنه من الأفضل الرد على طلب تم التقدم به من أجل نشر التقرير بالرفض مبرراً موقفه بالمبررات نفسها التي قدمها لمنع نشر كتاب ستيغنر، والذي كان قد وقع للتو في قبضة رئيس التحرير الجديد لمجلة **عالم أرامكو** في بيروت. فعلى ما يبدو كان أوديا مخطئاً في بعض الحقائق ـ على الرغم من أنه عمل مع شخص من المنظمة نفسها التي يعمل موليغان لديها ـ إلا أن موليغان لم يخبرنا ما هي هذه الأخطاء، وقد رأى أن القراء الذين لا يتمتعون بـ«المعرفة المتخصصة» الكافية لن يكون بمقدورهم «القيام بالتمييز والتقييم» الضروريين للتعامل مع نتائج أوديا الصحيحة، كما أنه أصر على أن الدراسة ستكون مسيئة إلى أغلب السعوديين، وذلك لأن أوديا قدم أرامكو باعتبارها الحل لكل مشاكل المملكة و«كان يقلل باستمرار من شأن تماسك المجتمع السعودي وقدرته الذاتية على تحقيق التغيير». إلا أن الحقيقة هي أن موقف أوديا كان نقيض ذلك[٨٣]. ولا حاجة إلى ذكر أن السر وراء شعور أرامكو بالذعر هو تكرار التقرير، فقرة تلو أخرى، للقصة التي قمنا بتفصيلها في هذا الكتاب بشكل مطول.

< http://texts.cdlib.org/view?docId = hb9k4009c7&brand = calisphere&chunk.id = meta > = (accessed 13 February 2005).

طائفة دينية تنتسب إلى المسيحية تشكّلت في عشرينيات القرن التاسع عشر في شمال ولاية نيويورك بواسطة شخص يدعى جوزيف سميث. يؤمن المورمون بالكتاب المقدس بالإضافة إلى كتاب آخر خاص بهم اسمه كتاب المورمون، ويتركزون في ولاية يوتاه التي هاجروا إليها بعد اغتيال جوزيف سميث تحت قيادة خليفته بريغهام يونغ بعد مضايفات وخلافات مع بقية الطوائف المسيحية. يشتهرون بتحريمهم القهوة والشاي، وإباحتهم التعدد في الزواج (المترجم).

(٨٣) انظر:

Mulligan to Barger, Memo, 2 October 1968, Social Changes in Saudi Arabia: Five Years after "the O'Dea Report," AAD Chronological Files, July-December 1968, Folder 31, Box 3, Mulligan Papers

الحجة الرئيسة في كلام أوديا والمصاغة بالمصطلحات التي بثها اقتصادي التنمية والمسؤول في إدارة كينيدي والت روستو (Walt Rustow) قبل ذلك بعدة سنوات هي أن حالة المجتمع السعودي الانتقالية كانت مهيأة لأن تبدأ بمرحلة «الانطلاق» التي تتصف بـ«التنمية المتدرجة في الزراعة والصناعات الخفيفة». وبالنسبة إلى التقرير، لم تكن أرامكو إلا مجرد محرك واحد في قطار التحديث خلال فترة العقد الماضي. والأهم من ذلك هو أن «عصر التأثيرات الكبيرة لابتكارات آرامكو **قد انتهى**». وبشكل متزايد، سيصبح موقع أرامكو خاضعاً للدولة أو كما يفضل أوديا تسميتها: الحكومة؛ حيث يقول: «إن المبادرة في التغيير... قد انتقلت من شركة النفط إلى الحكومة»، أما العامل الثالث فقد كان القومية العربية التي كانت مسؤولة عن خلق «بيئة من الإلحاح والتحفيز» حول جهود التنمية وأعمال الحكومة[٨٤]. وسيعود أوديا إلى هذه النقطة أيضاً عندما يناقش تبعات تخطيط السياسات في أرامكو. «ستكون مساهمة أرامكو في المستقبل ثانوية في كل الجوانب ما عدا كونها مصدراً لرأس المال الذي يأخذ شكل عوائد نفطية». وكانت المشكلة الحقيقية بالنسبة إليه تكمن في المدى الذي تستطيع فيه حكومة يترأسها فيصل أن تتصدى لمثل هذا التحدي[٨٥].

كان رأي أوديا، وهو الرأي الذي ستتبناه سارة يزرائيلي بعد عقود في التسعينيات، أن المؤسسات الحكومية التي بنيت في سنوات الملك سعود كانت قادرة بهذه الطريقة أو تلك على إدارة جوانب متعددة من عملية التنمية، فقد بدأ مجلس الوزراء بالسيطرة على التنسيق الكلي للسياسات. صحيح أنه كانت هناك مؤسسات بالكاد تعمل، أشهرها وزارتا الصحة والزراعة، إلا أن هناك مؤسسات أخرى يمكن الاعتماد عليها ابتداء من مؤسسة النقد العربي السعودي وكذلك وزارة المالية ومكتب العمل على الرغم من كل التذمر الذي أبدته الشركات المحلية من هذا الأخير. إلا أن التقرير يشير إلى وزارة بعينها باعتبارها مميزة عن غيرها: «يقترح باحثونا بأن أكثر الوزارات فاعلية هي

(٨٤) Thomas F. O'Dea, *Social Change in Saudi Arabia: Problems and Prospects* (Report Prepared from Research Conducted by the Special Study Group, [George Maranjian, Salma Najjar, O'Dea, and Federico S. Vidal], February-August 1963, unpublished, copy in J. Willard Marriott Library, Special Collections, University of Utah, Salt Lake City, 1963), pp. 1-2 (emphasis mine).

(٨٥) المصدر نفسه، ص١٦١.

وزارة البترول والثروة والمعدنية، فعلى الرغم من أنها تعاني نصيبها من المشاكل المعتادة، إلا أنها تبدو الأقرب من بين كل الأجهزة الحكومية الأخرى في التزامها بتقديم الخدمة المدنية»[٨٦]، وهذه المؤسسة بناها عبد الله الطريقي.

نقلت دراسة أوديا بدقة الرأي السائد بين السعوديين والمراقبين الخارجيين بعد ثورة اليمن ومضمونه أن إحكام فيصل بقبضته على السلطة سيؤدي إلى تراجع فرص التنمية في المملكة عوضاً عن تقدّمها. وما يجدر ذكره أيضاً هو أن أوديا تجاهل كلياً كامل الجلبة التي أحدثها الحديث عن الإصلاح وما شابهه من أمور. فالحكومة لم تكن تحكم «بواسطة دعم شعبي واسع» بل عبر إبقاء الجيش منقسماً وغير مسلح، وشراء ولاء الشخصيات المهمة ـ متخلّياً عن الفكرة الخيالية التي تقول: إن شراء ذمم الأتباع كان أمراً اخترعه سعود ـ «وقمع الحرية السياسية، والتي يقال: إنها اليوم تتضمن توسيع أنشطة الشرطة السريّة»، ثم كان هناك أيضاً الأمريكيون: «لخّص أحد الأشخاص الذين قابلناهم ردة فعله على قدوم الجنود الأمريكيين الأخير إلى السعودية، في هذا الوضع المعقد، بقوله: ««إنكم (أي الأمريكيون) تدعمون الجانب الخاطئ (يقصد الأسرة الحاكمة)، لكن أين هو الجانب الصحيح؟»»[٨٧].

وحول هذه النقطة تحديداً سنجد أن وثائق أرامكو تدعم كلام أوديا؛ فقد تذمّر أحد مصادر الشركة في الرياض ـ وهو فلسطيني اسمه عبد الحميد الدرهلي تم نقله من مجلس الوزراء إلى وزارة البترول ـ من المشاكل المتنامية داخل وزارة البترول. ذكر الدرهلي أن تلميذ الطريقي، هشام ناظر، جاهد كثيراً من أجل الحفاظ على مستوى المواصفات والمعايير نفسه. فقد ملأ الطريقي الوزارة بكادر من المحترفين، جلّهم فلسطينيون مُنِحوا الجنسية السعودية، حتى تكون جاهزة للعمل بشكل موازٍ لتنظيم أرامكو، «ومبرره، كما ذكره الدرهلي هو أن يكون قادراً بشكل سهل وسلس أن يحقق نقلة من إدارة أرامكو» إلى سيطرة الحكومة. وذكر الدرهلي تدهوراً كبيراً في

---

(٨٦) المصدر نفسه، ص١٩ ـ ٢٠.

(٨٧) المصدر نفسه، ص٣٣ ـ ٣٤.

المعنويات بعد رحيل الطريقي خصوصاً بين الفلسطينيين، كما أنه وضع اللوم على الوزير الجديد، يماني، والذي ذكر أنه قام بقلب التزام الطريقي رأساً على عقب وذلك عبر التوقف عن تعيين وترقية الأشخاص بناء على الكفاءة والعودة إلى «الطريقة التقليدية المعتادة»، بل إن الدرهلي، الذي كان يوماً ما مريداً لفيصل وأحد موظفيه، ذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ وصف فيصلاً بالدكتاتور: «إذ إن الدكتاتور الوحيد الذي يمكن تقبله هو جمال عبد الناصر». فقد لام فيصلاً على منعه الإصلاحات الدستورية: «والتي كان سيتم تعريف حقوق الشعب فيها بوضوح»، لقد كان «الطمع بالسلطة» هو الذي دفع فيصلاً إلى إيقاف التغييرات التي كانت تأخذ مجراها[٨٨].

ذكر أوديا أن أرامكو تواجه معضلة، فهي من جهة عليها أن تتعاون مع حكومة فيصل لكن بطريقة لا تدفعها إلى تهميش ما سماه «الرأي التقدمي»، والسبب في ذلك هو أنه ـ وهنا أوديا يكرر ما قد قاله شيمون بيريز وآخرون ـ «عاجلاً أو آجلاً، سواء بشكل تدريجي أو بطريقة مفاجئة، فإن الرأي التقدمي هو الذي سيستحوذ على المستقبل. فهذا الرأي التقدمي، الذي أسهم وجود أرامكو في إخراجه إلى الوجود، يرى أن علاقات أرامكو غير ملائمة للظروف الحالية، ويشتبه بأنها تجامل القوى المعيقة للتقدم». والدليل الرئيس الذي قدمه أوديا على هذه الفرضية هو ضعف الحكومة التي شدّ من أزرها فيصل مقابل تلك التي كافحتها أرامكو لفترة طويلة. «يشعر كثيرون بأن الحكومة السابقة التي كان أعضاؤها كلاً من جمجوم، ودبّاغ، والطريقي، ونصيف، وغيرهم كانت واعدة بشكل أكبر، وأن فيصلاً لا يعيّن إلا أشخاصاً مطيعين له. . . وأن الحكومة لا تبدو مستجيبة للتحديات بأي شيء يرتقي إلى مستوى الكفاية»[٨٩]. وعلى الرغم من أن هذا الكلام يبدو اليوم وكأنه مختلف بعد كل الشهادات الحامية والمملة عن النقلة العظمى التي حقّقها فيصل، فإننا نستطيع الآن أن نفهم ما هي مشكلة أرامكو الحقيقية فيما إذا قام «الرأي التقدمي» بالاطّلاع على تقرير أوديا، إن الأمور ستسوء حتماً.

---

(٨٨) انظر:

Malcolm Quint, Memo to file, 25 March 1964, Conversation with Employee of Minypet Jiddah, Folder 20, Box 3, Mulligan Papers.

(٨٩) O'Dea, *Social Change in Saudi Arabia: Problems and Prospects*, p. 34.

كتب أوديا قسماً طويلاً عن تجربة أرامكو «على أرض الواقع» - وهذا مصطلح لي أنا، ليس له - سواء من ناحية آثارها التي أدت دوراً لا يمكن إنكاره في المنطقة الشرقية، وكذلك من ناحية «المشاكل المعتادة التي تصاحب التواصل الثقافي بين شعبيْن مختلفيْن». وكان هذا الموضوع الأخير هو مجال اختصاص أوديا، فقد كانت ملاحظته، التي قدّمها بشكل صريح يدعو إلى الاحترام، وكذلك بشكل مختصر، والأهم من ذلك بشكل صحيح، أنه على الرغم من أن «السعوديين كانوا مواطنين لبلد مستقل سياسياً وأن الأمريكيين كانوا أجانب فيه، إلا أن الأمريكيين كانوا بشكل فعّال هم الذين يستحوذون على مواقع السلطة». وكان السعوديون، ولفترة طويلة، يكرهون ذلك:

> كانت العلاقة بين الأمريكيين والسعوديين معبرةً بشكل صريح عن هذا الاختلاف، فالمساحات السكنية المنفصلة للمجموعات العمالية الرئيسة الثلاث... جعلت هذا التمييز الإجرائي ظاهراً بتبعاته الاجتماعية كافة. واليوم، بسبب بعض التعديلات المهمة، خصوصاً في العلاقات الخاصة مع السعوديين والأمريكيين، ولكن أيضاً بسبب سكن بعض السعوديين في حي كبار الموظفين ووجود ما يقارب الـ١٠٠ سعودي في مناصب كبيرة، فإن الوضع قد تحسّن، إلا أنه ما زال هناك ما يدعو للاعتقاد بأن الآراء التي تشكّلت في مرحلة سابقة، سواء بين الأمريكيين أو بين السعوديين، لم تتلاشَ بعد، كما أنه ما زال هناك سخط عام من كون كل الأمريكيين يحصلون على مناصب كبيرة، ومن سكنهم في أحياء مسوّرة، وهي أمور لها معانٍ رمزية أكثر من كونها ذات معانٍ حقيقية. فهي على ما يبدو ترمز بالنسبة إلى السعوديين إلى الشعور الذي ما زال حاضراً عن الجوانب غير المتساوية في العلاقات السعودية الأمريكية(٩٠).

نقل أوديا نتائج استطلاع أجراه على العمال السعوديين وغيرهم في المنطقة الشرقية، والتي بيّنت التوتر الذي يعيشه أولئك الذين يعملون لدى

(٩٠) المصدر نفسه، ص٥١ - ٥٢.

الشركة. فعلى سبيل المثال، استثنى بعض العمال مدارس أرامكو باعتبارها تستحقّ الثناء، لكن أوديا رأى أنه كان لدى الأمريكيين بشكل عام مشكلة في التعامل مع «السعوديين ذوي الياقات الزرقاء»(*)؛ بينما يشعر حتى «السعوديون ذوو الياقات البيضاء أن الأمريكيين كانوا يرون أنفسهم أعلى منهم». أحد المشاركين في الاستطلاع ذكر أنه «في الوقت الحالي هناك نقاشات كثيرة بين السعوديين حول مشاكل العرق في الولايات المتحدة، فكل سعودي الآن لديه راديو، ويلاحظ بعض السعوديين أن الأمريكيين يقولون: إنهم ديمقراطيون، ولكنهم في الوقت نفسه يمارسون التميز داخل بلادهم». شخص آخر قال: «الأمريكيون لا يفهمون السعوديين، وعليهم أن يكونوا مندمجين اجتماعياً بشكل أكبر، فهم لا يخرجون من منازلهم ولا يزورون السعوديين في منازلهم. وأشعر أن كثيراً من الأمريكيين يكره السعوديين الذين يعيشون في حي كبار الموظفين. لماذا يشعرون بأنهم أعلى منا؟ لماذا يريدون ممارسة التمييز العنصري؟» وبعد أن طُلب منه أن يفصّل أكثر، أشار هذا العامل السعودي إلى استخدام «سيد» عند مخاطبة الأمريكيين، في حين يُكتفى بالأسماء الأولى للسعوديين، أو الأسوأ من ذلك استخدام كلمة «صبي»[91].

وعندما طُلب من العمال ورجال الأعمال أن يذكروا التغييرات التي يعتقدون أنه من الضروري إجراؤها في السعودية، ذكروا مجموعة من الأشياء التي كان على فيصل القيام بها: إخراج عائلته من الحكومة، خفض مخصصات الأمراء، تأسيس برلمان منتخَب، إعطاء الناس حرياتها، تطوير القطاعات غير النفطية من الاقتصاد، بناء الطرق (ولقد استجاب فيصل لهذه النقطة)، وتخصيص الموارد للمناطق المهمشة من البلاد. استنبط أوديا شعوراً ما يزال صحيحاً حتى هذا اليوم: «لقد تم أيضاً إظهار الانزعاج من الزيادة الأخيرة في أعداد القوات الأمريكية الموجودة في المملكة، فبالنسبة إلى السعوديين، لقد جيء بالقوات الجوية الأمريكية لحماية الأسرة الحاكمة وليس لحمايتنا «نحن». ويعتقد كثيرون منهم أن هذا الأمر سيّئ جداً، كما

(*) عمال المصانع أو العمال الحرفيون يسمون ذوي الياقات الزرقاء، في حين عمال المكاتب يسمون ذوي الياقات البيضاء (المترجم).

(91) المصدر نفسه، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

أنه تمّ توزيع بعض المنشورات بهذا الخصوص»[٩٢].

ختم أوديا تقريره بسلسلة من التوصيات التي رأى ضرورة تنفيذها على المدى القصير. فقد ضغط على الشركة من أجل أن تخفّف من ادعاءاتها «المترفّعة» بأن لكل سعودي الحق في «الترقي إلى أي منصب في الشركة... بشرط أن تتوافر لديه المتطلبات الضرورية»، وذلك لأن السعوديين يعلمون بكل وضوح أن هذا أمر غير صحيح. فقد أبدى مديرو أرامكو كافة «تحفّظات على بعض حالات التوظيف؛ حيث اعتبر المنصب «حساساً» لهذا السبب أو ذاك»، وبالتالي غير مسموح به للسعوديين. فالمشكلة الحقيقية كانت في «انعدام الوضوح حول الطبيعة الحقيقية لهذه الأعمال ولماذا يعتبر بعضها حساساً». وباختصار، لم يكن الأمر إلا عبارة عن آلية صممت لمنع غير الأمريكيين من الوصول إلى عدد هائل من الوظائف ولإبقاء عملية اتخاذ القرار في أيدي الأمريكيين. كان السعوديون يمقتون مؤسسات الهرمية العنصرية التي لا تُمَسّ داخل الأحياء السكنية، بما في ذلك المكانة العالية التي يحتلها الأمريكيون، والفروقات الكبيرة في الأجور، ونظام سلالم الأجور المنفصلة الذي يُعمل به منذ قرن من الزمان حيث يدفع بالدولار (أو الذهب) إلى البعض وبالريال (أو البيزو أو الفضة... إلخ) إلى الآخرين. إن الشركة بحاجة إلى أن تعالج على الأقل بعض هذه الممارسات العنصرية التي ما زالت مستمرة حتى بعد القضاء على أسوأ أنواع الانتهاكات «التي كانت من النوع الاستعماري»[٩٣].

وأبدى أوديا الملاحظة نفسها التي أبداها كيمبال حول الكيفية التي أدت بترفّع الأمريكيين إلى انعزالهم ليس فقط عن السعوديين بل حتى عن العرب غير السعوديين وعن الباكستانيين والمقيمين الأوروبيين في البلدات القريبة، والذين كانوا كلهم يمقتون موظفي أرامكو الأمريكيين (بمن في ذلك الغربيون لأنه كان عليهم عيش حياة أقل رفاهية مع العرب). ومثل كيمبال، قال أوديا: إن هذه العزلة هي ما يفسر الاضطراب الذي يبديه الأمريكيون حول حالتهم والخطر الذي عادة ما يشعرون به حول الحياة داخل إحدى بلدات

(٩٢) المصدر نفسه، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٩٣) المصدر نفسه، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

الشركة، بل إنه استخدم المثال نفسه الذي استخدمه كيمبال وهو سهولة التلفظ بالإيمان بمهمة أرامكو ـ كما رأينا في رسالة ماكدونالد التي كتبها إلى موليغان ـ والسهولة المماثلة في رفضها.

> يعبّر هؤلاء الأمريكيون بكثير من الفخر عن فوائد وجود أرامكو وأعمالها في هذه المنطقة... ولكن ما أن ينتقد أحدهم جانباً من الجوانب إلا وتظهر حالة دفاع متطرفة، تترافق عادة مع إنكار أي مسؤولية أمريكية أو مسؤولية للشركة عن التنمية في المنطقة. فقد قال أحدهم لآخر: «إن أرامكو موجودة هنا بسبب المال»، أو «لنواجه الأمر، نحن هنا لسنا فاعلي خير، نحن هنا من أجل إخراج النفط من الأرض»[٩٤].

لا بد من أن مديري أرامكو أو بعضهم على الأقل كانوا على أدنى تقدير بمستوى ذكاء أساتذة الجامعات نفسه؛ إذ استطاعوا ملاحظة أن علامات الامتيازات الأمريكية كانت تثير الامتعاض وردة الفعل. فمن دون هذا الافتراض كيف سنفسر، كما بيّن تقرير أوديا، الجهود التي أطلقها فريق تخطيط أرامكو في نهاية عام ١٩٦١م من أجل التحضير لتفكيك الأسوار ونقل الأمريكيين إلى «أحياء السعوديين الطبيعية» كالدمام، والتي بغضّ النظر عن الوصف كانت قد طوّرتها الشركة في الخمسينيات؟ التفسير الآخر الوحيد هو أنها قد توقعت أن يتم إجبارها على القيام بذلك من قبل الطريقي أو أحد المسؤولين الكبار الحريصين على بناء الدولة.

اقترح مخططو أرامكو استراتيجيات مختلفة، وكان على أوديا ومجموعة الدراسات الخاصة تقييم جدوى المضي قدماً في هذه الاستراتيجية أو تلك. جاء أوديا ومعه توصية ذات جودة عالية لكنها سلبية، حيث ذكر فيها أن السؤال الجوهري هو هل سيقوم الاندماج «بتطوير العلاقات بين السعوديين والأمريكيين بطريقة تزيل الريبة والضغينة بينهم؟» كان رأيه أن الأوروبيين كانوا يعيشون منذ فترة في أحياء قريبة من السعوديين، وأن «مجرد تواجدهم هناك لم يؤدِّ بالضرورة إلى درجة عالية من التفاعل». وسيكون تفكيك

(٩٤) المصدر نفسه، ص١٦٥ ـ ١٦٧.

الأحياء الأمريكية مكلفاً نظراً إلى أنه افترض أنه لن يتم الاكتفاء فقط بتوسيع نطاق الإسكان والبنية التحتية، بل وترقيتها أيضاً. كما أنها ستظل تعني، على الأقل في السنوات القليلة القادمة، نمط حياة أقل رفاهية من تلك التي يتم الاستمتاع بها في أحياء كبار الموظفين. وبيّنت العلوم الاجتماعية أن القرب عادة ما يؤدي إلى «تطوّر العداء» عوضاً عن «الصداقة»؛ إذ سيسعى عدد كبير من الأمريكيين إلى جعل «تلك الجوانب من الحياة الأمريكية التي تتصادم مع الثقافة السعودية مكشوفة وعلنية»، ولن يكون من المرجّح أن يتعلموا «التحدث بالعربية ولو بمستوى بسيط»، فلماذا إذاً نتوقع أنهم سيكونون غير«حساسين تجاه المشاعر والانحيازات المحلية» أو «معزولين نفسياً» بدرجة أكبر عما كانوا عليها في الأحياء؟ إن الدمج على الأرجح «سيزيد من حدة المشاكل الحالية بدلاً من أن يقلل منها»، ولكن من المؤكد أنه لن يحلّها.

وأخيراً، قال أوديا: إن من المرجح أن ضغط الشركة بالمضي في هذا الاتجاه سيدفع كثيرين إلى الاستقالة، «وسيكون للاستقالات الجماعية أثر جيّد في عمل الشركة على المدى الطويل، وإذا تم التعامل معها بحكمة فإنها قد تؤدي إلى تطوير استثمار الدماء الجديدة بل وحتى تقليل التكاليف»، ولكنّ الأثر الأوّليّ سيكون مزيداً من الإحساس بالعزلة. قد تُشجع أرامكو «إجراءات دمج بسيطة» رمزية، كما يمكنها أيضاً بكل بساطة وبسهولة أكثر نقل عدد أكبر من السعوديين إلى الأحياء الأمريكية، إلا أن الدمج لن يحل من مشكلة الشركة[٩٥].

قام بِل موليغان كما تبيّن لاحقاً بتشويه جوهري لتقرير أوديا بشكل فظيع جداً، وإن كان هناك من يريد إحسان الظن فيه فإن عليه مواجهة حقيقة أنه استخدم الاستراتيجية نفسها تماماً، وفي الوقت نفسه أيضاً، من أجل منع نشر كتاب ستيغنر عام ١٩٥٦م، إلا أنه قد فشل في حالة أوديا لحسن الحظ، فهو قد أصرّ بأن ما كتبه أوديا (أو ستيغنر) سيسيء إلى السعوديين عبر المبالغة بإظهار الأمريكيين بأنهم منقذو السعودية. إن ما كتبه أوديا كما رأينا كان على النقيض من ذلك. وعلى أي حال، فلم يكن هناك إلا سعودي واحد كانت الشركة يعنيها أمره، وهو فيصل، والذي أصبح ملكاً في

(٩٥) المصدر نفسه، ص١٦٨ ـ ١٧٥.

عام ١٩٦٤م. وقد كان تقرير أوديا قد أشار بشكل دقيق إلى التراجع عن برنامج بناء الدولة الذي دشنه التقدميون، ومخاوف الكثيرين (التي كانوا محقين فيها) بأن رد فيصل على تحديات عبد الناصر سيكون بمزيد من القمع وليس بالانفتاح.

والأكثر وضوحاً من ذلك هو أن التقرير كان صريحاً جداً بخصوص الهرمية العرقية التي كانت تعمل من دون أن يمسها شيء تقريباً داخل الأحياء بعد عقد من انتفاضات العمال. فكما رأينا، لقد كانت الإضرابات هي الآلة التي كان القوميون (أو المتعصبون المتعطشون للسلطة كما تسميهم أرامكو، الذين كانت تحركهم مخاوف غير عقلانية وجروحهم الشخصية) من أمثال الطريقي يستخدمونها من أجل دفع الشركة ببطء إلى التحرك في طريق التاريخ. ولكن، كما رأينا أيضاً، وبكل أسف، أن أولئك الذين حاولوا ذلك سواء هنا أو في مكان آخر كانوا دائماً ما يجدون أمامهم مقاومة متماسكة وقوية.

كانت هناك نقطة واحدة على الأقل تعبّر عن نصف الحقيقة في تلخيص موليغان. فقد كان حقاً لا يمكن إنكاره - إذا ما نظرنا إلى الأمر بعد مرور خمس سنوات - أن تقرير أوديا المكتوب في شهر تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦٣م قد قلّل جداً من قدرة فيصل على مواجهة الأزمة التي مرّت به، وذلك عبر المزاوجة بين التقنية القديمة في كسب الولاءات مع التقنيات الحديثة في القمع؛ حيث أسهمت أمريكا بتزويده بهذه الأخيرة وقام هو بشرائها من إيرادات النفط المتصاعدة. فهو قد استطاع هزيمة أعداء الشركة، حيث أجبر أشخاصاً من أمثال الطريقي على مغادرة البلاد، كما أسقط الجنسية عن الرجل الذي سيكتب فيما بعد رواية عن صعود الحركات العمالية وانهيارها في أحياء أرامكو، عبد الرحمن منيف؛ وبينما هو يقوم بذلك، كان عبد العزيز بن معمر، والذي كانت أرامكو تعتبر الطريقي بالنسبة إليه رجلاً عقلانياً، يتعفّن في أحد أسوأ السجون التي كانت مجهزة لخدمة آل سعود بشكل فعال لفترة طويلة.

أيام جميلة

قبل أسابيع قليلة من إرسال أوديا تقريره، أرسل السفير الأمريكي رسالة إلى ماري إيدي. فقد توفي زوجها بِل في بيروت في أواخر عام ١٩٦٢م

ودفن بالقرب من مكان ميلاده في صيدا، وذلك بعد أن أصابته ذبحة قلبية في عام ١٩٥٩م وقام بزيارته الأخيرة إلى الظهران في عام ١٩٦٠م. كان يكتب مذكراته عندما توفي، لكنها لم تنشر أبداً، فرئيسه في أرامكو، وهو المسؤول في شركة تكساكو الذي انتقل من إدارة الأحياء السكنية في كولومبيا ليصبح مسؤول أرامكو في واشنطن، رثى رفيق عمره ومعلّمه قائلاً: «إني أشعر بخسارة شخصية، فالراحل قد كان لفترة طويلة ركناً من أركان مجالس أرامكو ووزارة الخارجية والسي آي إيه، سنفتقده بشدة»[٩٦]. كما رثته أيضاً السفارة الأمريكية في جدة حيث قالت: «تم إجراء إصلاح وتعديل شامل ليخت السفارة وهو الآن على الماء، وقد تم الاتفاق بالإجماع على تسميته «الكولونيل ويليام إيدي» كتذكار لأول وزير مفوّض إلى السعودية»[٩٧]

في حزيران/يونيو من عام ١٩٦٤م، قامت ماري برحلتها الأخيرة إلى الظهران حيث كانت ضيفة عند آل بارغر؛ إذ كان كل من الأبوين كاثلين وتوم مسافرين إلى الولايات المتحدة وبقيت ماري مع بناتهما الثلاث الصغيرات. وكعادتها، كتبت عن التغيرات الجديدة في الحيّ:

> ربما وصلك خبر أن الكلاب صار مسموحاً بها في الظهران، وتيريزا [ابنة توماس بارغر] تأمل بأن تجلب لها أمها واحداً. الطفلة المسكينة! إن بيل أوين قد وصل ومعه كلب من نوع الراعي الألماني (جيرمن شيبرد) وما زلت أتساءل كيف سيتمكن من تحمل الحرارة هنا.
>
> إنه من المحزن أن تكون منازل كل من آل ديفيز وآل جايز خالية. من جهة أخرى، تمت إضافة ملعبي تنس إلى جانب الملاعب الموجودة بقرب المدرسة، كما أن هناك كثيراً من العرب في حي كبار الموظفين، ويبدو أنهم يندمجون من دون أي مشاكل[٩٨].

---

(٩٦) Mary Eddy, excerpts of condolences, typescript, Folder 5, Condolences, 1962, Box 1, Eddy Papers.

(٩٧) Parker T. Hart to Mary Eddy, Jidda, Saudi Arabia, 14 October 1963, Folder 4, Box 4, Eddy Papers.

(٩٨) Mary Eddy to Zelia[?], from the Barger house, Dhahran, Saudi Arabia, 3 June 1964, Folder 5, Box 4, Eddy Papers.

لقد وافق هذا الصيف رحلة الحج الشهيرة التي قام بها مالكولم إكس (Malcolm X)(*) إلى مكة؛ إذ تعهد بعد عودته منها إلى نيويورك بأن يرفع قضية السود إلى الجمعية العمومية في الأمم المتحدة وأن «يجبر حكومة الولايات المتحدة على مواجهة التهم نفسها التي تواجهها جنوب أفريقيا وروديسيا»(٩٩).

وفي هذا الصيف نفسه أيضاً، تشاجر بعض الآباء في الحيّ الأمريكي في الظهران مع آخرين حول القانون الجديد المقترح لتنظيم السلوك في الصفوف السابعة والثامنة والتاسعة الذي تمت كتابته من قبل إدارة المدرسة وجمعية الآباء والمدرسين. تذمّر الآباء من ارتفاع حالة السرقة والتخريب والتحرشات الجنسية، وكذلك من تقليل الاحترام تجاه السعوديين الذين يعيشون في البلدات القريبة للعمال والذين يقومون بخدمة الأحياء الأمريكية: «لا شك أن سائقي حافلاتنا المدرسية الذين ينظمون المرور أمام المدرسة يتحدرون من نسل النبي أيّوب، وذلك لأنهم يتحملون الكثير من المهانة، فقد كان الآخرون يصرخون في وجوههم، وينبذونهم بألقاب أهونها «العربي القذر» وفي بعض الأحيان يضربونهم. وعلى الرغم من أن المدرسة على علم بهذا الوضع كما أن المجتمع على علم بها أيضاً، إلا أنها ما تزال مستمرة»(١٠٠).

كما أنه كان هناك إشارات قليلة أخرى على وجود مشاكل في ذلك الصيف، فقد بدأ العمال السعوديون جولة مقاطعة جديدة لمنشآت الشركة. ذكر أحد موظفي منظمة العلاقات الحكومية الأسباب وراء هذه الانتفاضة:

(*) مالكولم إكس ولد عام ١٩٢٥م، تيتم وعمره ٦ سنوات بعد أن قُتل أبوه وادخلت أمه إلى مستشفى الأمراض العقلية. أسلم في سن العشرين عندما كان في السجن على يد أحد أعضاء جماعة «أمة الإسلام» التي يترأسها إليجاه محمد. انضم إلى الجماعة، وأصبح أبرز أعضائها المدافعين عن حقوق السود ضد العنصرية الأمريكية، والمنادي بحق السود بالدفاع عن أنفسهم. في عام ١٩٦٤م، بدأ بمساءلة علاقته مع «أمة الإسلام»، حيث قرر السفر إلى العالم العربي وقام بالحج، وبعد زيارة مكة أعلن انفصاله عن أمة الإسلام والتمسك بالمذهب السني. تم اغتياله بعد عام في مدينة نيويورك (المترجم).

(٩٩) "Malcolm Says He Is Backed Abroad," New York Times, 22/5/1964, p. 22.

(١٠٠) انظر:

Jack and Marion White, "Comments on Draft Code of Behavior," enclosed in White to Mulligan, n.d., Folder 16, P.T.A. at ARAMCO Schools, Box 16, Mulligan Papers.

كان هناك أمر ثابت خلال نقاشاتي مع هؤلاء العمال وهو أن الشركة لم تكن تهتم برفاهية عمالها. وكانت إحدى الشكاوى التي تتكرر بشكل مستمر متعلقة بالأجور. وجميعهم أشاروا إلى أن الأجور لم تكن ترتفع بالوتيرة نفسها التي كانت تتزايد فيها النفقات، وأن المزايا التي يحصلون عليها والتي كانت تذيعها الشركة في كل أرجاء العالم ليست كافية... وأن السيّد بارغر يهودي، بمعنى أنه بخيل ويده مغلولة.

كما اعترض العمال أيضاً على كونهم دوماً يُكلَّفون بـ«أعمال الكوليين»، وقارنوا ظروفهم السيئة بظروف الأمريكيين وامتيازاتهم الكثيرة، فلا وجود لأي مستقبل للعامل السعودي العادي في الشركة: «فالشركة ليست مهتمة بهم ولا بمصيرهم»[(١٠١)].

سيكون من الصعب جداً على الأمريكيين في أرامكو التحكم في المستقبل أو حتى في القصة التي سيبدأ السعوديون بحكايتها عنهم. ففي الرسّ، وهي بلدة في منطقة القصيم شمال الرياض، ألقى شاعر قصيدة تتحدث عن كراهيته لأولئك الرجال الذين «يرتدون القبعات ويدخنون السجائر التي جعلت أسنانهم سوداء». أما الآخر، والذي عمل لفترة لدى أرامكو في الظهران ورأس المشعاب، فيخبرنا كيف أنه «لم يعجبه العيش في زمن يكرهه حتى الذئب، زمن يعتبر فيه اللصوص والنساء راقين، في حين يفقد الرجال الشجعان كل احترام»[(١٠٢)].

كما أن هناك تلك القصة التي ما تزال تتكرر حتى اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية عن السعودية التي عانت من أجل أن تحقق النقلة إلى القرن العشرين (الآن يقولون الواحد والعشرين)، أما القصة التي ذكرتها هنا فهي عن شركة نفط، اسمها أرامكو، عانت كثيراً حتى تقوم بمثل هذه النقلة.

---

(١٠١) انظر:
Quint, Memo to files, July 20, 1964, Employee Reaction to Boycott of Company Facilities, Folder 18, Box 5, Mulligan Papers.

(١٠٢) ARAMCO translator's (A. H. Kamal) summary, 19 December 1966.
انظر: شعراء الرس النبطيون، تحرير وتجميع فهد الراشد (دمشق: مطبعة الهاشمية، ١٩٦٥)، ج ١.
Chronological Files, June-December 1966, Folder 26, Box 3, Mulligan Papers.

خاتمة

«أخبرني إذاً ماذا تفعل هنا؟» سألت رينيه مرة أخرى.

فأجبت: «أؤلف كتاباً، أنا مؤرخ يا رينيه، أنا متخصص في موضوعات مقصورة على فئة صغيرة من الناس نسبياً، موضوعات مثل: أنماط الخداع الدبلوماسي، ووسائل مساءلة الشركات نفسها التي ظهرت في آخر الألفية، وأمور أخر مشابهة».

وكما كنت آمل، أصبحت عيناها منبهرتين مع جهد لإخفاء اهتمامها. . .

«موضوعي الذي أكتب عنه هو كوراش في عام ١٩٥٨م».

«ولِمَ؟»

«حتى أفهم ماذا يعني أن تكون جزءاً من ثقافة محلية خارج الولايات المتحدة خلال فترة الحرب الباردة».

«هل تتوقع أن يشتري الناس هذا الكتاب؟»

هنري بروميل (Henry Bromell)

أميركا الصغيرة (Little America)

عندما أراد مساعد وزير الخارجية الأمريكي دين آتشيسون (Dean Acheson) إطلاع الرئيس الأمريكي الجديد هاري ترومان للمرة الأولى في شهر أيار/مايو من عام ١٩٤٥م، على أهمية المملكة العربيّة السعودية للأمن القومي الأمريكي، أتاه ومعه مادة بصرية. بسط آتشيسون خارطة فوق مكتب ترومان كان قد استخدمها قبل أسبوعين عندما أجاب عن أسئلة أعضاء بارزين في مجلس الشيوخ. تُظهر الخريطة الولايات المتحدة الأمريكية وقد رسمت فوقها دول الشرق الأوسط المصدّرة للنفط. وكان هدف آتشيسون من هذه الحركة هو إيضاح أن السعودية لم تكن بذلك البعد أو الاختلاف عن

أمريكا كما كان متخيَّلاً. إن للولايات المتحدة مصلحة حيوية في احتياطي السعودية الضخم، وهذا يعني أن لها مصلحة في بقاء الملك عبد العزيز، والذي كان قد راكم ديوناً عديدة وكان بحاجة إلى أن يتم إنقاذه. اقتنع ترومان بالحجّة ووافق على مشروع قاعدة الظهران الجويّة[١]. بعد سنوات قليلة، بدأت أرامكو باستخدام نوع قريب من هذه الحجج في مطبوعة جديدة اسمها **تنميات النفط في الشرق الأوسط**. فالخريطة التي تظهر التضاريس الطبيعية للشرق الأوسط، الممتدة من ليبيا إلى إيران، كانت ورقة شفافة مثبت عليها الشكل الخارجي لخارطة الولايات المتحدة بحيث يستطيع القارئ أن يضعها فوق خارطة الشرق الأوسط. وكانت سان فرانسيسكو تقع بين بنغازي وطبرق، أما دنفر فقد كانت على الحدود السعوديّة الأردنية، أما شيكاغو فقد كانت قريبة من بوشهر؛ وأخيراً، كانت مكّة في مكان ما في تكساس.

هذا الكتاب يقوم بالعمل نفسه الذي تقوم به هذه الخرائط، وذلك عن طريق الجمع بين تاريخ المكانيْن معاً وحكاية تاريخيهما باعتبارهما قصة واحدة كبيرة، قصة ستكون في نهاية الأمر أكثر صدقاً من القصص الأخرى التي تُروى عن أي من المكانين بشكل مستقل، وأعني بذلك تلك الروايات التي تتعامل مع هذه الأماكن باعتبارها أماكن متميزة ومستقلة، أو كما قلنا في البداية: أماكن ذات خصوصية؛ وهي الروايات نفسها التي اخترعت في بدايات الحرب الباردة. فعمر قصة امتياز أرامكو يقارب الخمسين عاماً، أي منذ أن بدأ كارل تويتشل مفاوضاته مع الملك عبد العزيز ووزير ماليته وصولاً إلى مرحلة التأميم التدريجي لأصول الشركات المالكة ابتداء من مطلع السبعينيات حتى نهاية الثمانينيات. لقد قمت بتغطية الثلاثين سنة الأولى في هذا الكتاب، إلا أنه قبل بداية هذه القصة بخمسين عاماً تقريباً، كانت شركات التعدين الكبرى قد بدأت بالتحوّل إلى لاعب قوي في حركة الاقتصاد العالمي، وقصّة هذا التحوّل هي التي تُروى في القسم الأول من هذا الكتاب والذي سميته «أقرب الأماكن بعداً».

---

(١) انظر مذكرتي المحادثتين: ١٧
May 1945, Saudi Arabian Finance, and 28 May 1945, Financial Assistance to Saudi Arabia, RG 59, 890F.51/5-1745 and 890F.51/5-2845.

إن طريقة عمل الشركات التنقيبية تختلف عن تلك الخاصة بالمصانع. فالنحاس، وكذلك النفط، يوجدان في أماكن نائية ومنعزلة، ولهذا كان على الشركات أن تستقدم العمال، وأن تقوم لوحدها أو بالتعاون مع آخرين بإنشاء البنية التحتية الأساسية التي عادة ما نربط وجودها بالمدن الحديثة (أي المساكن، والطرق، والكهرباء، والماء، والأمن. . . إلخ) وذلك من أجل أن تستطيع نقل المعادن الخام إلى السوق. والشركات التي تستطيع الصمود أمام تقلبات السوق - وعددها لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من بين المئات التي ضيعت رأسمالها ثم اختفت - ستقوم بشكل تلقائي بتذكر هذا الدور باعتباره دوراً تنموياً ريادياً عندما تقوم بتمويل المطبوعات التاريخية للأعداد التذكارية لمجلاتها الخاصة. وعند غروب شمس الذاكرة، سنرى كيف أن حقيقة أن حيّاً كان مزدهراً يوماً ما، أو بلدة أو نمط حياة، سيجعل من الشركة مميزة ومختلفة عن بقية الشركات[٢]. لكن لا تجعل كتاباً بثقل طاولة القهوة يخدعك.

في مطلع القرن العشرين، لم تكن شركات التعدين بل شركات التصنيع هي التي بنت عدداً من أشهر الأمثلة المعروفة لمدن جديدة تدار من قبل الشركات. فبلدة بولمان (Pullman) في ولاية إيلينويْ بناها مصنّع عربات القطارات جورج بولمان (George Pullman)، وبلدة إنديان هيل (Indian Hill) في وورشيستر (Worcester) في ولاية ماساتشوسيتس بنتها شركة نورتون التي كانت في زمن ما أكبر شركات أمريكا في إنتاج مواد التنظيف الصناعية. وفي الجنوب الأمريكي، طوّر مالكو الطواحين قرية نيوإنغلاند الكلاسيكية المعروفة في القرن السابق وذلك عبر وضع مصانعهم بالقرب من تيارات الماء سريعة الجريان ودعم مساكن منخفضة الإيجار للفلاحين الذين كان من الضروري تحويلهم إلى عمال[٣]. وقد تردد صدى الأبويّة التي ميّزت الجيل الأول من قرى نيوإنغلاند ذات الطواحين من جديد عند ظهور الحركات

---

(٢) انظر لمثل هذه العبارات المتكررة لأجيال من مؤرخي الشركة الذين أجبروا على العمل مجدداً، في:

Carlos A. Schwantes, *Vision and Enterprise: Exploring the History of Phelps Dodge Corporation* (Tucson: University of Arizona Press, 2000), preface, p. xix.

(٣) Margaret Crawford, Building the Workingman's Paradise: The Design of American Company Towns, Haymarket Series (London: Verso, 1995), pp. 37-45, 101-125 and 174-195.

العمالية المطالبة بالرفاه وذلك ضمن الجهد الذي تكبّدته الشركات الكبيرة التي تعتمد على الأصول الماديّة أكثر من اعتمادها على العمال؛ من أجل هزيمة الحركات العمالية في أمريكا في فترة ما قبل مرحلة الصفقة الجديدة. لقد كان كل من كليفلاند دودج ورفيقه والتر دوغلاس مع آخرين من رجال الأعمال يعتقدون، أو لنقل إنهم أرادوا أن يعتقد عمالهم، أنهم كلهم كانوا «أعضاء في عائلة واحدة»، وكان أحد عمالقة الصناعة والتر تيغل (Walter Teagle) عادة ما يتحدث عن قبيلته الخاصة، وهي شركة ستاندرد أويل أوف نيوجيرسي، والتي تعرف اليوم بإكسون موبيل[٤]، فما كان مجرد خيار أو استراتيجية للمصنعين أصبح أقرب للضرورة والحاجة بالنسبة إلى شركات التعدين.

وهذه الحجة لا تدع مجالاً للفكرة التي تقول بوجود تراث أمريكي فريد اعتمدت عليه شركات التعدين من أجل توفير الرفاه للعمال، تراث تمثّله شركات مثل فيليب دودج أو شركة دوهني واسمها بان أمريكان للنفط أو أرامكو، وهي نفسها الشركات التي عادة ما توضع على خط الزمن الخاص ببرامج المساعدة الإنسانية في مكان ما في المنتصف بين مجالس إدارة الإرساليات التبشيرية الأجنبية وبرنامج النقطة الرابعة الذي كان ممهداً لوكالة التنمية الدولية. أما سِمتا عملية الإنتاج اللتان ضلّلتا بعض المؤرخين على ما يبدو ـ تتمثّل الأولى بحاجة الشركة إلى مد شبكات الكهرباء وبناء الطرق، أما الأخرى فهي ما يسمى بالإشراف الخيري على سكان الأحياء ـ فقد كانتا موجودتين على تخوم سوق التعدين العالمي كافة. وعندما انتقل رأس المال عبر المحيط الأطلسي انتقلت معه الأفكار أيضاً، وكان المنتصرون هم المهندسين وغيرهم من أصحاب المهن المماثلة. وللتشديد على ما يجب أن يكون واضحاً فإنّ شركات التعدين واجهت مجموعة مشتركة من الخصائص البنيوية، بل يمكن القول: إنه يمكن تعريفها من خلال مجموعة الخصائص هذه. ومن المرجّح أن يؤدي حجم الشركة دوراً كبيراً في تفسير الاختلاف في ظروف العمل عبر الدول، وذلك بشكل أكبر بكثير من الدور الذي يمكن

(٤) Roland Marchand, *Creating the Corporate Soul: The Rise of Public Relations and Corporate Imagery in American Big Business* (Berkeley, CA: University of California Press, 1998), pp. 108-110.

أن يؤديه التفسير الذي يعتبر ظروف العمل هذه أوقافاً للمالكين الغائبين في نيويورك وبوسطن وباريس وبروكسل وإدنبره. . .إلخ. أخيراً، إن كان هناك ما يميّز شركات التعدين الأمريكية عن غيرها فلن يكون سوى «أننا» أصبحنا نسمي هذه المشاريع بالمخيمات.

وهنا تحديداً سيكون التناقض، فبناء الأندية الترفيهية، ودورات الغولف التدريبية، وإدارة محطات الطاقة، وتنظيم المسيرات، وتوظيف الأطباء في المستشفيات، كل هذا يجعل شركة مثل فيليب ـ دودج تبدو كما لو أنها كانت متميزة عن أغلب شركات التعدين في العالم، ولهذا السبب نجد أن هذه الجوانب من المشهد الاجتماعي لأريزونا «القديمة» ونيومكسيكو هي ما يتم حفظ تاريخه. فالمكتب العام لمنجم ملكة النحاس أصبح الآن يسمى متحف بيسبي التاريخي للتعدين. ومن دون الحاجة إلى أن نذكر، فلن يكون هناك أي ذكر في هذه الأماكن لسلالم الرواتب المقسّمة على أساس عنصري وغيرها من الخصائص الفاضحة لنظام جيم كرو الذي كان موجوداً في تلك المخيمات، وسيكون الأستاذ الجامعي الذي تشتريه الشركة حريصاً دوماً على تجاهل هذه الجوانب عندما يشرع في سرد قصة شركته. وهو يختار اللجوء إلى التجاهل لأن الاستراتيجية الأخرى، أي اللجوء إلى «العادات» لتبرير استثمار الشركة الضخم في العنصرية سيكون مناقضاً لفكرة أن فيليب ـ دودج كانت متميزة أو فريدة. بالفعل، فلا يوجد أي معنى من استخدامها.

وما كان صحيحاً حول عالم العمل في مناجم النحاس في أريزونا في نهاية القرن التاسع عشر كان أيضاً صحيحاً حول حقول النفط في الظهران في منتصف القرن العشرين. فأفضل الكتب التي أرّخت لـ«نموذج» مدن ومخيمات التصنيع والتعدين، وعنوانه **بناء جنّة العمّال**، كان يرى أن مستوطنات جيم كرو وأعراف العمل الخاصة بها قد بدأت بالتلاشي في عشرينيات القرن العشرين. وهذا يعني أن هذه الرؤية ستفشل في ملاحظة التمدد الشهير للاستثمار الأمريكي خارج الحدود في هذا العقد نفسه وانتشار هذه «النماذج الصغيرة من أمريكا» في تخوم العالم المعدنية. وستتم «إعادة إحياء» الحرب من أجل إنهاء نظام الأجور العنصري في عشرات الأماكن بما في ذلك المملكة العربيّة السعوديّة.

ولم تكن المتناقضة الكبرى غير القابلة للحل في التاريخ الذي يرويه مؤرخو الشركة إلا تلك الجهود التي استُغرقت والتكاليف الباهظة التي تكبّدها اولئك الرجال والنساء في أثناء تحدّيهم للظلم واللامساواة في المناجم والمخيمات من سونورا إلى الظهران. فعلى ما يبدو لم يذهب سخاء مؤسسة «الآباء البيض العظماء» بعيداً، وذلك لأنه مع كل إضراب جديد كانت تفضح تلك الحدود التي لا يمكن التمييز معها بين السخاء والقمع وبين الأبوية والاستبداد. كما أن هناك حاجزاً تحليلياً يوازي هذا الحاجز الواقعي. فلم يكن أمام المؤرخين إلا أحد أمرين: إما إنتاج رواية سببية كافية للعملية التاريخية، أو الانخراط في ذلك العرف المجيد الذي لم يتطلب سوى الترديد الرائع للمعتقدات والمخاوف والآمال والوساوس والمبررات والأعذار عن الشركة وسكان البلدة التي تديرها.

وبالنسبة إلى هؤلاء الذين يتجاوزون ما هو مسموح به، فإنّ المعضلة تصبح واضحة بقليل من التأمل. ذلك أنه لم يعترف أبداً أي مسؤول في الشركة للعمال بأن لديهم ما يبرر لهم أعمالهم الصدامية مع المؤسسات الهرمية، بل إن المدافعين عن الهرمية العنصرية لم يكونوا ينظرون إلى أنفسهم بهذا الشكل. فبالنسبة إليهم، فإن الرجال والنساء الذين كانوا على الطرف الآخر من الحدود كانوا دائماً أنانيين ومخطئين ومضللين، وهم الأشخاص الذين كانوا حقاً يقبضون على السلطة ويستغلّون الامتيازات، فقائمة المصالح الخارجية والتي تؤثر في العمال كانت طويلة، فالشركات دائماً ما فسّرت مشاكلها بأنها نتيجة تدخل الووبليين، أو المشاريع الألمانية أو البلشفية، أو أفكاراً «دخيلة»، أو سياسيين، أو بسبب القوميين الفنزويليين والتشيليين والفارسيين والعرب.

أليس من الغريب أن يتم استحضار حزم المعتقدات هذه، على وجه الخصوص، بشكل منتظم في أي تاريخ «متوازن» كتب في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عن سلطة الشركات الكبيرة؟ إن اللاعبين في هذه الأحداث أنفسهم كانوا يحملون معتقدات مذهلة حول سموّ عرقهم الأبيض، وحول اختلاط الأعراق والتزاوج فيما بينها، وحول خطر أفول

العرق الأنغلو ـ سكسوني، وحول طبيعيّة المزايا التي يحظى بها هذا العرق. وكانت الاعتقادات حول دنوّ الرجال والنساء الذين كانت حياتهم تحت سيطرة هؤلاء الأشخاص متغلغلة بشكل عميق جداً. إلا أنه كان مؤرّخاً نادراً ذلك الذي يخرج هذا الأرشيف إلى السطح أو ذلك الذي كان مستعداً لأن يخبرنا عن تقنيات الهرمية العرقية التي اعتمدت عليها شركات التعدين.

* * *

خلال عقد الخمسينيات الطويل، ضغطت الأسرة السعودية الحاكمة، وأعضاء من الطبقة السياسية، والعمال قبلهم بطرق مختلفة ومتنافسة فيما بينها من الهامش ضد الهرمية الموجودة في الأحياء العمالية وضد كارتل النفط العالمي وضد الهيمنة الأمريكية. هذه هي القصة الرئيسة التي رَوَيْتُها في القسم الثاني والمسمى «صحراء الرغبة الكبيرة».

أدار فيصل بن عبد العزيز السياسة الخارجية في حكومة حاولت اختبار سلطة كارتل النفط الدولي، وسعت بقوّة للحصول على ريوع نقل النفط، ولم يكن اليهود في نهاية الأمر هم من سعوا نحو إيقافه. وقد قام أخوه الملك سعود بطرد بعثة النقطة الرابعة، ثم أتْبعها بالقوّات الجويّة، وهي الخطوات التي كان فيصل يحضّ على القيام بها. وبشكل عام، بدأت الأسرة الحاكمة بتهديد الرؤية الأمريكية حول النظام الأمني الأفضل للمنطقة وبكل تأكيد مكانتها في نظام النفط الدولي. انضم فيصل إلى الحملة ضد حلف بغداد، وبنى تحالفَ السعودية مع مصر في الوقت نفسه الذي بدأت فيه مصر بالتحرر من موقعها في النظام الذي تسيطر عليه أمريكا. فللمرة الأولى، والتي لن تكون الأخيرة، أدّت السياسات، التي اتبعها آل سعود، إلى وصف السي آي إيه لحكومتهم بأنها عامل اضطراب في الشؤون الدولية، وبأنها تهديد لمصالح الولايات المتحدة الحيوية.

في ذلك الوقت، كما هو الوضع الآن، تأرجح الأمريكيون بين روايتين عن السعوديين. فلنتذكر أنه عندما أعلن سعود ولاءه لمبدأ آيزنهاور في عام ١٩٥٧م، حظي بصورته على غلاف مجلة التايم، وتم استقباله من قبل

دالاس وآيك في المطار القومي في العاصمة واشنطن باعتباره المحدّث الشجاع والجريء الذي ستنتشل سياساته الحكيمة السعودية من. . . حسناً، أنت تحفظ التتمة الآن عن ظهر غيب. وقد أقسم نائب رئيس أرامكو بأن كل أجزاء هذه الرواية صحيحة، كما أن صحيفة **النيويورك تايمز** ذكرتها. في الحقيقة، من الراجح جداً أن مراسلة **النيويورك تايمز**، واسمها دانا آدامز شميدت، قد كانت هي نفسها التي أخرجت التقرير السابق عن سعود وغيّرت فيه بعض الأسماء ونشرته مجدداً عندما وصل فيصل إلى واشنطن للقاء جون كينيدي في عام ١٩٦٢م.

لقد تم نسيان قصة سعود الإصلاحي بالسرعة المذهلة نفسها التي تم اختراعها فيها. فهو، بكل غباء، صدّق حديث الجمهوريين بترقيته ليكون منافسَ عبد الناصر الطبيعي في العالم العربي، وهو الدور الذي، بشكل غير مفاجئ، تخيّل البعض في الحزب الديمقراطي بأن فيصلاً مهياً له. إلا أن المشكلة الحقيقية هي أن سعوداً تصرف كما لو أنه قوّة إقليمية كبرى وحاول تفكيك الوحدة السورية المصرية، فقد فشل الانقلاب المدعوم أمريكياً في دمشق، وكان قاب قوسين أو أدنى لقيادتها نحو الحرب. أتْبع سعود ذلك بمحاولة أخرى، لكنها لم تنجح أيضاً، إلا أن المؤرخين بالكاد يتذكرون المحاولة الأولى وذلك ليس فقط بسبب أن الصحف الأمريكية في ذلك الوقت لم تكن مستعدة لأن تخصص مساحتها لما سيفشي به السوريون. كما أن محاولة سعود بالمقابل ستتحول إلى دليل رئيس بأن الرجل الذي كان سيجعل من السعودية بلداً حديثاً في عام ١٩٥٧ سيتحول في الإعلام الأمريكي بعد عام واحد إلى مضلل، سكّير، بطيء الفهم. لعل العنصرية التي سمحت بمثل هذه المقارنات الفجة أصبحت شيئاً من الماضي، إلا أن نصف حياة الحقيقة طويل، وحتى الآن ما زالت تنشر الكتب التي ترددها كما لو أنها طقس ديني.

ونستطيع أن نعيد النظر في إعادة اختراع فيصل باعتباره الصوت الحقيقي للإصلاح في المملكة. فمن الناحية الأولى، لم تكن الإصلاحات التي يحتفى بكونه متزعماً لها إلا تلك التي تُدَّعى حول سعيه للسيطرة على الإنفاق، وفصل نفقات الأسرة عن نفقات الدولة، وما شابهها. بالمقابل كانت الإصلاحات التحديثية التي احتفي بسعود أنه قام بها في عام ١٩٥٧م

وتشمل بناء الوزارات والطرق والمدارس وتأسيس أول جامعة سعودية (التي ستعتبر فيما بعد هدراً عاماً)، وتدشين خطط التصنيع وغيرها؛ كل هذه الإصلاحات ستتحوّل بعد عام إلى إثبات أمريكا الرئيس على أن تبذير الملك كان يهدد توفر السيولة المالية للدولة! لقد كانت معارضة فيصل لخطط التنمية هو ما أدّى إلى قطيعة بينه وبين أتباعه المقربين، والذي كان أوّلهم علي رضا، وكذلك إلى أن ينتقل دعاة التنمية إلى دعم سعود. ومن دون حاجة إلى الذكر، لقد كانت حكومة سعود قصيرة الأمد التي أُسست في عام ١٩٦٠م، والتي تعتبر حتى بمقاييس اليوم أكثر حكومة تقدمية شهدتها المملكة العربية السعودية، هي التي وضعت الخطط والمشاريع التي جعلت فيصلاً فيما بعد ومعه مجموعة من الأتباع المتذلّلين، بمن في ذلك بعض الصحافيين الغربيين يدّعون بأنها كانت رؤيته لتحديث المملكة العربية السعودية.

وقد كشف عبد الله الطريقي ـ والذي قام أكثر من غيره من السعوديين بتطوير قدرات الدولة الإدارية واستطاع على الرغم من كل الظروف أن يخضع شركة النفط الأمريكية لبعض من السيطرة السعودية ـ الأخطاء في المحاولة الأمريكية المتبجحة لإعادة اختراع ولي العهد باعتباره محدثاً. فقد قام ممثل أرامكو المحلي في القاهرة بدعوته إلى الغداء في شهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٦٢م بحضرة كل من جورج رنتز، وهو أحد مستعربي الشركة الذي ترك الظهران إلى القاهرة، ومسؤول من السفارة الأمريكية الذي قام بإرسال تقرير حول رؤى الطريقي إلى واشنطن:

> لقد كان سعود ضعيفاً وفاسداً لكنه لم يكن حقوداً، بينما كان فيصل أكبر مخادع على الإطلاق. فقد خدع عبد الناصر من أجل أن يسامح السعودية على محاولة الاغتيال في عام ١٩٥٨م... لقد حقّق فيصل الآن أعلى درجات الخداع متجاوزاً الجميع حيث استطاع إقناع الرئيس كينيدي بأنه، أي فيصل، لديه اهتمام صادق بالإصلاح وبأنه أفضل أمل للمملكة العربية السعودية. لقد كان فيصل فاسداً بالمقدار نفسه الذي كانه سعود، ولم يكن مهتماً بالإصلاح بقدر ما كان مهتماً بإقناع الولايات المتحدة بأن الإصلاحات كانت في الطريق بينما هو يتابع سياسه «عدم عمل أي شيء» المعتادة. إن الولايات المتحدة بحاجة إلى أن تستفيق، إنه

زمن كان يتوجب على الولايات المتحدة أن تتواصل فيه بشكل مباشر مع «شعب» المملكة العربية السعودية[٥].

أنا لست مقتنعاً، مثل الطريقي، بفكرة أن كينيدي ومستشاريه قد تم خداعهم. ومع ذلك، فإنه بالإمكان تتبع فكرته وإعادة النظر في الشهادات القاطعة عن تقشف فيصل واعتداله وإشرافه الحكيم على ثروة البلاد، وكذلك عندما ضغط على عبد الناصر حتى يعيد أملاك العائلة الحاكمة التي يفوق عددها المئة والتي تمت السيطرة عليها من قبل الدولة المصرية، بما في ذلك الفيلا الخاصة به في غاردن سيتي والتي منحها عبد الناصر لجبهة التحرير الوطني الجزائرية لتتخذ منها سفارة لها. ولعله سيكون أقل متعة ولكنه بالطبع أكثر نفعاً أن ننظر إلى الفرق الرئيس المهم جداً بين حكومات عقد الخمسينيات وحكومات بداية الستينيات من جهة، وبين الحكومة التي ترأسها فيصل عام ١٩٦٣م التي أعلنت مصالحتها للنظام المهيمن عليه أمريكياً.

في عام ١٩٥٩م، وبينما كانت جرأة كل من الطريقي وابن معمر وغيرهم ممن سيكونون دعاة تنمية في ازدياد، كان المؤرخ الكبير الأستاذ في جامعة ويسكونسن وليام آبلمان وليامز (William Appleman Williams) قد نشر دراسته المشهورة عن سياسة الولايات المتحدة الخارجية في مطلع القرن العشرين والمعنونة بـ **مأساة الدبلوماسية الأمريكية**. وكانت فكرته أنه في مختلف الأماكن التي بدأ فيها رأس المال الأمريكي والدولة الأمريكية بالتدخل والتأثير نجد أنه من الصعب تمييز الحدود الفاصلة بين الإصلاح من جهة، وبين تهديد الامتيازات والهرمية العنصرية من جهة أخرى. وفي كل مرة يجد المسؤولون الأمريكيون أنفسهم قد وصلوا إلى هذا الحد فإنهم يتراجعون، ويجدون أنفسهم مجبرين على الدفاع عن امتيازات الشركات أو العملاء المحليين. لقد كان التهديد الموجّه إلى هذه الامتيازات هو ما حشد كلاً من العائلة الحاكمة وأرامكو والحكومة الأمريكية في الخمسينيات، ولقد كان فشل سعود في إدراك هذا الخطر هو ما أودى بحكمه. أما فيصل، فقد أثبت أنه أكثر قدرة وكذلك ومن دون حاجة إلى التذكير أكثر حذراً.

---

(٥) Cairo to State, A-470, 10 December 1962, RG 59, 886A.2553/12-1062.
لقد قمت بجعل النص في البرقية قابلية للقراءة، كما أني قمت بتعديل خطأ موجود في النسخة الأصل.

لم يكن يُنظر بالطبع إلى الدفاع عن الامتيازات باعتباره كذلك، ولا حتى بأثر رجعي، وذلك من خلال تنقيب حثيث في الوثائق الخاصة وما إلى ذلك. على العكس، فعلى امتداد القرن العشرين، كما رأينا، كان دوماً ما يتم تهميش مطالبات العمال بوصفهم أسرى لأيديولوجيات أجنبية وعملاء لها، أو أنهم يسعون للاستيلاء على السلطة لمصالحهم الشخصية، كما تم اعتبار داعميهم من داخل الحكومة بأنهم متعطشون للسلطة أيضاً. وقد وصفهم الأمريكيون بأنهم راديكاليون خطرون، كما أنهم عادة ما يضيفون أنهم جهلة إلى القائمة وذلك ليس فقط بسبب أن العنصرية كانت خصبة آنئذ؛ فهم قد أصروا على أن شخصاً مثل الطريقي ظلّ غير متعلم في العمليات التقنية في الأسواق والهرميات. وعلى الدوام، كان لدى مسؤولي أرامكو معرفة أفضل بما كان يريده السعوديون ويحتاجون إليه. فقد دوّن كتّاب التقارير بسرعة ما كان عملاء الشركة أو مسؤولو وزارة الخارجية يصرون على أنه صحيح، كما أن شركة النفط كان يعجبها أن تدّعي أن وجود كارتل عالمي للنفط ليس إلا خرافة يتم ترديدها من قبل أعدائها في الداخل والخارج. أما تنفيذيوها كانوا بالطبع يؤكدون لكل نائب في الكونغرس يزورهم وفي كل جلسة استماع في واشنطن، كما لو أنهم يرددون طقساً دينياً بأن كل حاكم سعودي كان يقود شعبه بشكل حكيم من الماضي إلى المستقبل.

لقد حاولت أن أذكر تاريخاً مختلفاً هنا، وهو تاريخ قمت بالكشف عنه بعد عمل استغرق عدة سنوات في وثائق الشركة، ويوميات عمالها، وسجلات الأجهزة الأمريكية التي كانت أرامكو والشركات التي تملكها متورطة معها لفترة طويلة، بالإضافة إلى رسائل المؤرخ التي وظفته الشركة، ووثائق تمت المحافظة عليها بواسطة أسرة شخصيةٍ وطنيةٍ من السعودية، وهو واحد من كثيرين كان فيصل قد دمّر حياتهم؛ ومع ذلك، فبالنسبة إلى كثيرين فإنه كان أمراً غير متخيّل الحكم من خلال ما بدؤوا يقولونه ويكتبونه عن المكان والزمان بعد عدة سنوات فقط، وما زالوا مستمرين بذكره حتى اليوم، فما كان فقدان ذاكرة بالنسبة إلى البعض، وحملة علاقات عامة ناجحة للبعض الآخر، ونظرية متقدمة لثلّة من أساتذة الجامعات، كان جزءاً من الحرب الباردة أيضاً. وقبل كل شيء، إنه دليل على قوّة عرف عدم الملاحظة.

هناك أمر أخير يمكن قوله عن الزمان والمكان اللذين استطاعت من خلالهما شركة أمريكية واحدة ممارسة شكل من أشكال السلطة على حياة الشعب السعودي يصعب تخيّلها الآن، وهذا الأمر هو أن هذا كله قد اختفى، وذلك على الرغم من أن هناك من يزال يعتقد بأن شركات النفط العاملة في المملكة، بعد عقود من تأميم أرامكو، تعمل كما لو أنها في عام ١٩٥٠م مع التشديد على أن الشركات الأمريكية «تهيمن» على السعودية. إلا أن الحقيقة هي أن إنتاج النفط وتكريره أصبحا في يد الدولة السعودية لما يقارب الثلاثة عقود وهما مغلقان أمام الاستثمار الأجنبي.

وهذا لا يعني أن الارتباط بين الدولتين قد انتهى (أو أن عدم المساواة تم تجاوزها) أو حتى أن هذا الأمر يمكن تحقيقه في الأمد القريب. فصفقات السلاح، والقواعد العسكرية، والمساعدة العسكرية، وإعادة تدوير البترودولار، والمشاريع البتروكيميائية، ومشاريع الإنشاءات الوهمية، والاستثمارات السرية المشتركة في آسيا وأفريقيا، والمفاوضات حول أسعار النفط ما زالت تشكل جانباً ضئيلاً من العلامات المميزة للعلاقات السعودية الأمريكية من عقد الثمانينيات وحتى الآن[٦]، بل إن قطاع النفط نفسه لم يتحوّل إلا إلى قطاع مُدِرّ للمال حيث كان السعوديون أحراراً بإعادة بناء الهرمية العنصرية فيه من جديد في الظهران. فيوماً ما سيكون لدينا تاريخ عن

---

(٦) حول العمليات المشتركة السرية، انظر:

Rachel Bronson, *Thicker Than Oil: America's Uneasy Partnership with Saudi Arabia* (Oxford: Oxford University Press, 2006).

حول تحديث الجيش، انظر:

Joshua Teitelbaum, "Civil-Military Relations in Saudi Arabia," paper presented at: The Conference on Saudi Futures, International Institute for the Study of Islam in the Modern World, Leiden, 19-21 February 2004.

حول إعادة تدوير البترودولار، انظر:

David Spero, *The Hidden Hand of American Hegemony: Petrodollar Recycling and International Markets* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999).

حول صفقات الأسلحة وتسعير النفط، انظر:

Robert Vitalis, "The Closing of the Arabian Oil Frontier and the Future of Saudi-American Relations," *Middle East Report*, no. 204 (1997).

ولتصوّر ماذا يعني كل من الهيمنة والنفط للآخر في عصر ما بعد تأميم أرامكو، انظر:

Simon Bromley, "The United States and World Oil," *Government and Opposition*, vol. 40, no. 2 (Spring 2005), pp. 225-255.

الشيعة في المنطقة الشرقية، أو العمالة المهاجرة القادمة من اليمن ومصر وغيرها من الأماكن، والذين عملوا في قطاعي النفط والمقاولات في الموجة الثانية من التمدد بعد عامي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م.

وقد تكون القصة مختلفة خارج الخليج، ولكننا نحتاج إلى معرفة أكثر مما نعرفه الآن. ففي تخوم النفط الجديدة للرأسمالية العالمية وداخل مخيماتها العمالية نحن لا نستطيع فقط العثور على صدى أيديولوجيات تم اختراعها أول مرة في الظهران (وجادة ماديسون)، بل نجد تكراراً لهستيريا البناء، مع شركات وجدت نفسها محصورة بين الطلبات المتنافسة من أجل الاستمرار في الإنتاج من جهة، وبين تصدير قوة عاملة مجلوبة من أكثر من اثنتي عشرة دولة أو أكثر. نحن نعلم أن شركات التعدين تستخدم الانقسامات الإثنية من أجل إضعاف قدرة العمال على التنظيم. وسيكون هناك فروقاً فادحة في الرواتب، والمزايا، والخدمات بين طبقات العمال الذين تم تقسيمهم على أساس الجنسية والإثنية. والاختراع الذي تبنّته أرامكو بشكل تدريجي خلال عقدَي الخمسينيات والستينيات، وذلك عندما بدأ قسمها المشكّل حديثاً للعلاقات العمالية بملاحظة أن آثار «المهارات» و«الأعراق» في التنظيم كانت متطابقة، أصبح الآن هو التقليد المعمول به. فأحياء الأمريكيين سيستمر مظهرها مختلفاً بشكل كبير عن تلك التي يشغلها الأذربيجانيون في باكو عاصمة أذربيجان(٧).

إن التحوّلات العلمانية في الاقتصاد العالمي منذ مرحلة التحرّر من الاستعمار، والموجة الأولى من تأميم النفط في السبعينيات، تعني أن لدى الشركات النفطية القليل من الأوهام حول مدى أمان اتفاقيات الامتياز الجديدة هذه، كما تعني أيضاً أن لديها حافزاً أقل على أن تضيف تكاليف عمالتها، أو أن تتصرف بطريقة تختلف عن محاولة تحصيل ما يمكن تحصيله والنفاذ به. فخيار «مضاعفة الاستغلال» الذي وصفه بندلتون في مذكّرته في عام ١٩٥٨م، لم يفقد أياً من وهجه، حتى لو ذكّرنا تاريخ أرامكو في السعودية بأنه يمكن للسياسة أن تتجاوز، على الأقل جزئياً، نظاماً تمثّله

(٧) Michael Watts, "Resource Curse? Governmentality, Oil and Power in the Niger Delta, Nigeria," *Geopolitics*, vol. 9, no. 1 (March 2004), pp. 50-80.

وتحافظ عليه مجموعة أفكار حول الأسواق والجدارة والثقافة والعرق. ففي الظهران، نجد أن أولئك السعوديين أنفسهم، الذين كان خبراء الشركة في الأربعينيات يتهمونهم بأنهم لم يكونوا يريدون طريقة الحياة الغربية، لا يعيشون فقط في الفلل التي بنتها الشركة بل هم الآن مسؤولون في هذه الشركة.

* * *

لقد قضيت يوماً في عام ١٩٩٦م في الحيّ الأمريكي القديم، والذي لا يزال قاطنوه الذين عاشوا وعملوا هناك يسمونه «الحيّ». حاولت جاهداً مواءمة الماضي بالحاضر معاً بالطريقة نفسها التي حاولت تلك الخرائط تصوير الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية كما لو أنهما مكان واحد. وليس هناك حاجة إلى القول بأنه كان هناك القليل من العلامات التي تشير إلى أن الأحداث التي كنت للتوّ قد بدأت بتجميعها معاً من الأراشيف كانت قد وقعت فعلاً. فلم يكن هناك لوحات تذكارية تشير إلى موضع أول تظاهرة قادها العمال أو الموضع الذي التقوا فيه بموكب الملك سعود رافعين لوحات تحييه وتدين الإمبريالية الأمريكية أو الموضع الذي حطموا فيه أسوار الحيّ السعودي، بل إن الحكومة قد أمرت بتحطيم الحيّ السعودي في عام ١٩٧٩م من أجل السماح لجامعة البترول والمعادن في الظهران بالتوسع. كما أن أسماء أرامكو الأخرى لأماكن سكن السعوديين، كالحي العام وحي السلامة، لم يتم المحافظة عليها أيضاً[٨]، فعلى ما يبدو قد توقف الأمريكيون عن الدفاع عن رأيهم بأن الجامعات بالنسبة إلى السعوديين كانت هدراً للموارد.

وعلى أحد طرق الحيّ الأمريكي، وفي بيت من القش صغير مبنيّ في الخمسينيات وهو الآن متخفٍّ خلف الأشجار والسياج الطويلة، كان مقر مركز التراث الأمريكي، بالشكل نفسه الذي اتخذه في بيسبي ولكن بشكل أكثر تواضعاً بكثير، إنه لأمر محزن في حقيقة الأمر. كان يوجد القليل من المعروضات تشمل موادَّ تذكارية كشارات موظفي أرامكو، ودبابيس تحتفل

(٨) Gregory Llewelyn, "Developers Grab Death Warrant for Saudi Camp, Town with a Soul," *Arab News*, 23 July 1979, Box 6, Folder 19, ARAMCO, Mulligan Papers.

بمرور ٢٥ سنة، وكتب المدارس التذكارية السنوية، وصور قديمة وما شابه ذلك. وكان جزء من المنزل مصمماً على هيئة مجلس حيث فرشت سجادات على الأرض ومساند ممددة على أطرافه. جلست هناك وشاهدت فيلم أرامكو، جزيرة الله، لأول مرة. وإذا كانت ذاكرتي سليمة، فالمكان كان نتيجة عمل تطوعي، ولنقل إنه لم يكن مزدحماً في ذلك اليوم فقط. والقليل كان موجوداً للإشارة إلى الفترة والأحداث التي كتبت عنها هنا، صحيح أن النساء ما زالوا يقودون سياراتهم داخل الحيّ، فما زال السور يحيط به.

تناولنا عشاءنا أنا وزميل آخر من مالوني في معلم آخر هو قاعة ستاينيكي في أول ليلة لنا في الظهران، وتحدثت بهدوء إلى أحد المسؤولين السعوديين الكبار في أرامكو مخبراً إياه عن الأمور التي تعرفت إليها في سجلات وزارة الخارجية وأوراق موليغان، أومأ برأسه، ثم ابتسم، وقال: إنه عندما بدأ عمله في أرامكو كفرّاش، كانت هناك لوحات على الحمامات ونوافير المياه في الحيّ الأمريكي يشير بعضها إلى أنها للأمريكيين فقط والأخرى للعرب.

كان دليلنا في الرحلة هو هاري ألتر المحلل الجديد لمنظمة العلاقات الحكومية في عام ١٩٥٨م، لقد كان هذا بمثابة حظّ بالنسبة إلي. لقد كان متقاعداً ويعيش في واشنطن دي سي. وقف أمامنا في الباص بينما نحن عائدون من الحيّ الأمريكي إلى الدمام، ووعظ قائلاً: «تعلمت أرامكو مبكراً كيف تعمل كمواطن صالح في المملكة، أن تبني الطرق والمدارس والمستشفيات وأن توفر الإسكان والتدريب للسعوديين». قمت بالضغط عليه بأن يكون واضحاً حول ما قصده عندما قال «مبكراً». فالشركة بدأت التنقيب عن النفط في عام ١٩٣٣م، بينما وقعت الإضرابات والتحديّات الأخرى التي خضعت لها آرامكو في منتصف عقد الخمسينيات ونهايته، أي بعد ذلك بربع قرن. وقد كانت الإصلاحات، كما رأينا، التي تم النصح بإجرائها وتطبيقها جزئياً وبتحفظ في السنوات التالية قد جاءت في لحظة عندما لم يكن قد تبقّى للشركة، كما اتضح فيما بعد، سوى عشر سنوات أو أكثر بقليل حتى تغادر لتبدأ الحكومة السعودية بالاستحواذ على أصولها.

ومنذ تلك السنوات، استمر استحضار الأساطير التي اخترعها ألتر

ورفاقه عن أرامكو في كل مرة تكون هناك حاجة إليها. وقد ضمن تدمير برجي التجارة العالمية في أيلول/ سبتمبر من عام ٢٠٠١م بأن المؤمنين الحقيقيين سيرددونها كلها مرة أخرى كما لو كانت تعويذة يمكن استخدامها ضد بن لادن، وأولئك الذين كان أصدقاء السعودية يعتقدون أنهم يحتلون المرتبة الثانية بعد تنظيم القاعدة، في ترتيب أعداء مصالح أمريكا القومية الحقيقية وهم بكل صراحة: الإسرائيليون ومؤيدوهم الكثيرون.

لا أعلم الموقف السياسي لنيكولاس ليمان (Nicholas Lemann)، كاتب **النيويورك تايمز** ومؤلف عدد من الكتب، أهمها كتابه الحائز على إحدى الجوائز وعنوانه: **الأرض الموعودة: الهجرة السوداء الكبرى وكيف غيّرت أمريكا**، في هذه القضايا، إلا أنه بالتأكيد ليس أسيراً لعرف عدم الملاحظة. ومع ذلك، ففي شهر نيسان/ أبريل من عام ٢٠٠٢م نشر ألبوم صور على صفحتيْن عنوانه: «طريقتهم التي كانت»، في مجلّة **النيويوركر** ضمّ خمس صور التقطها الوثائقي المعروف هارولد كورسيني (Harold Corsini)، والذي كان قد بدأ بتصوير عمليات شركة ستاندارد أويل خلال الحرب العالمية الثانية. تظهر الصور، الملتقطة في عام ١٩٤٧م، حوض سباحة في الحيّ الأمريكي، وسكة حديد تابعة للحكومة السعودية في الدمام، وباب مكتب المزرعة التجريبية في الخرج التي قال عنها ليمان: أن «أرامكو بنتها على أمل إدخال الزراعة إلى المملكة العربية السعودية»، وشارع تجاري في الخبر، وعمال سعوديين يعودون إلى منازلهم من عملهم في حقل النفط. اقتصر دور ليمان، الذي كان في ذلك الوقت قد عيّن عميداً لكلية الصحافة في جامعة كولومبيا على كتابة تعليقات على الصور ونص صغير.

بعد أن قرأت المقالة، أرسلت إلى ليمان رسالة، أشرت فيها إلى أخطاء في الحقيقة أو أكثر تقريباً في كل تعليق وكل فقرة للنص. فكما ذكرنا سابقاً، لم تُدخل أرامكو الزراعة إلى المملكة العربية السعودية، بل أُجبرت الشركة على أن تدير المشروع لمصلحة الملك، ولهذا كانت ترسل فاتورة بقيمة خدمتها إلى القصر. كما أن سكة الحديد لم تكن لأرامكو، بل كانت ملكاً للحكومة السعودية التي أجبرت الشركة على أن تقوم بتمويلها مقابل أن تسترد أتعابها من ريوع النفط المستقبلية، وذلك بعد أن فشلت أرامكو بإقناع الملك عبد العزيز بأن يعدل عن هذه الفكرة، كما أن السعوديين كانوا يعملون

فرّاشين في المكاتب وما شابه ذلك، لكنّ الأمريكيين لم يكونوا يثقون بهم لتوظيفهم كخدم. وكان نظام جيم كرو يحكم الظهران بالطريقة نفسها التي كان يحكم فيها الجنوب الأمريكي الذي هاجر منه أولئك الذين كتب عنهم ليمان. كانت «المظاهرات» الأولى في عام ١٩٤٥م وليس في عام ١٩٦٧م، كما أن الشركة لم تدخل الطب الحديث، بل البعثات التبشيرية هي التي قامت بذلك، أظنّك فهمت الفكرة.

بعد شهر رد ليمان بملاحظة لطيفة:

> شكراً على رسالتك. لقد اعتمدت في ما كتبت على التعليقات التي كتبها هارولد كورسيني، المصوّر، وكذلك على خبيرين من الخارج. **الأول**؛ هو دانييل يرغين، كاتب كتاب **الجائزة**، أما الخبير **الثاني** فهي تيريزا بارغر، وهي اقتصادية في البنك الدولي نشأت في السعودية وابنة رئيس أرامكو. لكن كلا هذين الشخصين بطريقته الخاصة بالطبع سيميل إلى تبني صورة وردية عن أرامكو، كنت أتمنى لو سمعت بك قبل ذلك، لكني أقدّر لك أنك أخبرتني عن ذلك بعد النشر. شكراً لك مرة أخرى.

طبعاً الجميع يعرف من هو دانييل يرغين، أما تيريزا فقد كانت تلك الفتاة الصغيرة التي كانت تأمل بجرو صغير عندما كانت ماري إيدي تزور الظهران عام ١٩٦٤م. أما بالنسبة إلى البقية منا، أي غير الخبراء، فإنه ما زال هناك متسع من الوقت.

شكر

كلّف الكتاب من أجل كتابته مالاً كثيراً، فالشكر يذهب للممولين أولاً، وهم المجلس الأمريكي لدراسة المجتمعات (American Counsil of Learned Societies)، ومركز التراث الأمريكي (The American Heritage Center) في لارامي (Laramie) في ولاية وايومينغ (Wyoming)، ومركز أليس هيغينز (Alice Higgins) في جامعة كلارك، ومنتدى الدراسات الإنسانية في جامعة بنسيلفانيا، والمركز الدولي للدراسات العليا في جامعة نيويورك، والمركز القومي للعلاقات الأمريكية ـ العربية، ومؤسسة روكفلر.

وَجَعَلَتْ كُلٌّ من المحررة كيت وال ورفاقها ـ : ريتشارد غوند من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، وجوديث هيبارد ـ من الكتاب أحسن؟ ومن إخراجه أمراً جميلاً.

كما أنني ممتن للأشخاص الذين كانوا في أرامكو حيث وافقوا على الحديث معي على مدى السنوات الماضية، وكان من بينهم هاري ألتر، وريبيكا كوبلاند، وديفيد دودج، وبالدو مارينوفيتش، وباربرا وديفيد ماكدونالد، وماري نورتون، بروك باورز، وبيتر وألين سبيرز.

كما أنني ممتن بشكل لا أستطيع التعبير عنه لماغي براونينغ للسنوات التي قضيتها معها في حب وعطف.

خلال عملي على **مملكة أمريكا** تعلمت الكثير من عدة أشخاص، لكن ربما قد نسي بعضكم بسبب طول المدّة ما قدمه لي وسيتفاجأ من وجود اسمه هنا. أحب أن أقول لكم: إني لم أنسَكم. شكراً ستيف آرون، وجيريمي أدلمان، وكاري أكينس، وليزا أندرسون، وعبد المحسن عكّاس، وشيفا بلاغي، وجويل بينين، وكاثي بون، وسيمون بروملي، وكارل براون، وجايسون

براونلي، وتوم كالاغي، ونيت سيتينو، ودونالد كول، وسيمون ديفيس، وإليانور دوماتو، وعبد العزيز عزّ العرب، وعبد العزيز الفهد، وألكسا فيرات، وتوم فيرغوسون، وبي. جاي. فيرنيا، وكَفين غاينز، وغريغ غوز، وآيرين جندزاير، وكيم غيلمور، ومايكل غيلسينين، وليندا غوردون، وإليس غولدبرغ، وماري غوتشولك، وجانيت غرينوود، وبسام حداد، وعبد الله حمودي، ودَبي هارولد، وجيوف هارتمان، وفيكي هتام، وستيف هايدمان، ونوبار هوفسيبيان، وأنيتا إيساكس، وسانا جيفري، وتوبي جونز، وبل جوردون، وبول كيزر، وإبراهيم كروان، وبيرسيس كريم، ورسات كسابة، وأليكس كترويف، وفيليب خوري، ويوسي كوستينر، ولين ليز، ومايكل ليبرتازو، وولتر ليشت، ودوغ ليتل، وزكاري لوكمان، وميريام لوي، وآنا ماكارثي، وكارين ميريل، وجويل ميدغال، وتيم ميتشال، فريد محمدي، هيفاء معمر وعائلتها، ماري نولان، آن نورتون، وغوين أوكروهليك، وروجر أوين، ومارشا بوسسني، وإيف تراوت باول وتيم باول، ودان راف، وهاجي رام، وريجيفام رام، ومضاوي الرشيد، وأدولف ريد، وآشلي ساليسبري، ومصطفى كامل السيد، وبل سويل، وبيتر سلاغليت، وسوزان سليموفيتش، وروجرز سميث، وجو ستورك، تيد سويدنبرغ، وجوش تايتلباوم، وماري آن تيترولت، وبوب تيغنور، وبيتر تروبوفيتز، وإد ويب، وليزا ويدين، وماري ويلسون، ومارلين يونغ.

وعلى الرغم من أن كثيرين قرؤوا أجزاء من الكتاب أو كله، إلا أن قراءة كُلُوِي سلفرمان هي التي تعني لي الكثير. أنا ممتن للصفقة التي عقدناها، بأن أقايض رغبتها بالاستكشاف بناري الصغيرة جداً. «إنه عالم قاسٍ، ولا شك في أنه من الممكن أن يكون بارداً لو لم يكن لديك شخص يقبّل وجهك عندما لا يكون هناك معنى لأي شيء».

لقد كتبت هذا الكتاب في أماكن كثيرة خلال السنوات الماضية، وأودّ شكر شركة أبل على تصميمها للجي فور باوربوك وللآيبود، وللآي تيونز، على الرغم من أن قائمة الأغاني تغيّرت منذ عام ١٩٩٥م. كما أود أن أشكر كلاً من مايلز، فيرون، شارلي هادن، بي.جي. هارفي، إيمي مان، لورا نيرو، ولوسيندا وليامز، وقبل الجميع أودّ شكر برايان ويلسون ونيل يونغ اللذين كانا الملهميْن لكتابة هذا الكتاب.

أول أيام عام ٢٠٠٦م

المراجع

١ ـ العربية

كتب

خدوري، وليد (محرر). **عبد الله الطريقي: الأعمال الكاملة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩. (وقفية عبد الله الطريْقي)

السعيد، ناصر. **تاريخ آل سعود (اتحاد شعب الجزيرة العربية)**. ١٩٨٢.

شعراء الرس النبطيون. تحرير وتجميع فهد الراشد. دمشق: مطبعة الهاشمية، ١٩٦٥.

دوريات

أم القرى: ٦/ ٣/ ١٩٥٣.

البلاد: ٣/ ٣/ ١٩٥٣.

الدخيل، عبد العزيز محمد. «عبد الله الطريقي والنفط والوطن (من أجل التاريخ والأجيال).» **المستقبل العربي**: السنة ٢٠، العدد ٢٢٦، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٧.

الرياض: ١٨/ ٩/ ١٩٩٧.

السفير: ١٨/ ٩/ ١٩٩٧.

الطريقي، عبد الله. «إلى أين نحن مسوقون؟.» **مجلة اليمامة**: السنة ١، العدد ١٢، تموز/ يوليو ١٩٥٤.

٢ - الأجنبية

Books

American Perspectives of ARAMCO, the Saudi-Arabian Oil-Producing Company, 1930s to 1980s: An Oral History Conducted 1992-1993. Berkeley, CA: Regional Oral History Office, Bancroft Library, University of California, 1995.

Anderson, Irvine. *ARAMCO, the United States and Saudi Arabia: A Study of the Dynamics of Foreign Oil Policy 1933-1950.* Princeton, NJ: Princeton University Press, 1981.

Ansell, Martin R. *Oil Baron of the Southwest: Edward L. Doheny and the Development of the Petroleum Industry in California and Mexico.* Columbus: Ohio State University Press, 1998.

Banton, Michael (ed.). *Anthropological Approaches to the Study of Religion.* New York: Praeger, 1966.

Barger, Thomas C. *Out in the Blue: Letters from Arabia, 1937 to 1940.* Vista, CA: Selwa Press, 2000

Barnes, Larry. *Looking Back over My Shoulders.* Peterborough, NH: Private Edition, 1979.

Bass, Warren. *Support Any Friend: Kennedy's Middle East and the Making of the U.S.-Israel Alliance.* New York: Oxford University Press, 2003.

Beattie, Kirk. *Egypt during the Nasser Years: Ideology, Politics and Civil Society.* Boulder, CO: Westview, 1994.

Becker, David G. [et al.]. *Postimperialism: International Capitalism and Development in the Late Twentieth Century.* Boulder, CO: Lynne Reinner, 1987.

Bill, James and Roger Louis (eds.). *Mussadiq, Iranian Nationalism and Oil.* Austin, TX: University of Texas Press, 1988.

Blair, John Malcolm. *The Control of Oil.* New York: Pantheon, 1976.

Borstelmann, Thomas. *The Cold War and the Color Line: American Race Relations in the Global Arena.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003.

Bronson, Rachel. *Thicker Than Oil: America's Uneasy Partnership with Saudi Arabia.* Oxford: Oxford University Press, 2006.

Brown, Anthony Cave. *Oil, God, and Gold: The Story of Aramco and the Saudi Kings.* Boston, MA: Houghton Mifflin, 1999.

Brown, Jonathan C. *Oil and Revolution in Mexico.* Berkeley, CA: University of California Press, 1993.

Byrkit, James. *Forging the Copper Collar: Arizona's Labor-Management War of 1901-1921.*Tucson: University of Arizona Press, 1982.

CIA Research Reports, Middle East, 1946-1976. Ann Arbor, MI: University Publications of America, 1983.

Citino, Nathan. *From Arab Nationalism to OPEC: Eisenhower, King Sa'ud and the Making of U.S.-Saudi Relations.* Bloomington, IN: University of Indiana Press, 2002.

Cleland, Robert Glass. *A History of Phelps Dodge, 1834-1950*. New York: Alfred Knopf, 1954.

Conniff, Michael L. *Black Labor on a White-Canal: Panama, 1904-1981*. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1985. (Pitt Latin American Series)

Crawford, Margaret. *Building the Workingman's Paradise: The Design of American Company Towns*. London: Verso, 1995. (Haymarket Series)

Davis, Margaret Leslie. *Dark Side of Fortune: Triumph and Scandal in the Life of Oil Tycoon Edward L. Doheny*. Berkeley, CA: University of California Press, 2001.

Dilworth, Leah. *Imagining Indians in the Southwest: Persistent Visions of a Primitive Past*. Washington, DC: Smithsonian Institution Press, 1996.

Dodge, Phyllis B. *Tales of the Phelps-Dodge Family: A Chronicle of Five Generations*. With a foreward by Arthur S. Link. New York: New York Historical Society, 1987.

Dresch, Paul. *A History of Modern Yemen*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000.

Du Bois, W. E. Burghardt. *Black Reconstruction in America, 1860-1880*. Introduction by David Levering Lewis. New York: Free Press, 1998.

Dudziak, Mary Louise. *Cold War Civil Rights: Race and the Image of American Democracy*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000.

Edwards, Holly. *Noble Dreams, Wicked Pleasures: Orientalism in America, 1870-1930*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2000.

Ferrier, Ronald W. *The History of the British Petroleum Company*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1994. 2 vols.

Vol. 1: *The Developing Years, 1901-1932*.

Vol. 2: *The Anglo-Iranian Years, 1928-1954*, written by J. H. Bamberg,

________ and A. Fursenko (eds.). Oil *in the World Economy*. London: Routledge, 1989.

Field, Michael. *Merchanis: The Big Business Families of Saudi Arabia and the Gulf States*. Woodstock, NY: Overlook Press, 1985.

Fields, Karen E. and Barbara J. Fields. *Racecraft: The Soul of Inequality in American Life*. London: Verso, 2012.

Frye, Richard N. (ed.). *The Near East and the Great Powers*. With an introd. by Ralph Bunche. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1951.

Füredi, Frank. *The Silent War: Imperialism and the Changing Perception of Race*. London: Pluto Press, 1998.

Gause III, F. Gregory. *Oil Monarchies: Domestic and Security Challenges in the Arab Gulf States*. New York: Council on Foreign Relations, 1994.

Gerstle, Gary. *American Crucible: Race and Nation in the Twentieth Century*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001.

Godfried, Nathan. *Bridging the Gap between Rich and Poor: American Economic Development Policy toward the Arab East, 1942-1949*. New York: Greenwood, 1987.

Hahn, Peter L. and Mary Ann Heiss (eds.). *Empire and Revolution: The United States and the Third World since 1945*. Columbus: Ohio State University Press, 2001.

Hanrahan, Gene Z. *The Bad Yankee/El Peligro Yankee*. Chapel Hill, NC: Documentary Publications, 1985.

Hart, Parker T. *Saudi Arabia and the United States: Birth of a Security Partnership*. Bloomington, IN: Indiana University Press, 1999.

Hildebrand, George H. and Garth L. Mangum. *Capital and Labor in American Copper, 1845-1990: Linkages between Product and Labor Markets*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1992.

Holden, David. *Farewell to Arabia*. New York: Walker, 1966.

Ikenberry, G. John. *After Victory: Institutions, Strategic Restraint, and the Rebuilding of Order after Major Wars*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001.

Indonesia Project, Center for International Studies, MIT. *Stanvac in Indonesia*. Sixth Case Study in a National Planning Association Series on United States Business Performance Abroad. Washington, DC: NPA, 1957.

Ingersoll, Ralph. *In and Under Mexico*. New York: Century Co., 1924.

Jablonski, Wanda. "Interview with Tariki." *Petroleum Week:* 22 February 1957.

Jackson, Robert H. *Quasi-States: Sovereignty, International Relations and the Third World*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1990.

Jacoby, Sanford M. *Modern Manors: Welfare Capitalism since the New Deal*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1997.

Johnson, Nora. *You Can Go Home Again: An Intimate Journey*. New York: Doubleday, 1982.

Kaiser, Ernest (ed.). *A Freedomways Reader: Afro-America in the Seventies*. Foreword by James Baldwin. New York: International Publishers, 1977.

Katz, Friedrich. *The Secret War in Mexico: Europe, the United States, and the Mexican Revolution*. Chicago, IL: University of Chicago Press, 1981.

Kennedy, Ludovic. *Very Lovely People: A Personal Look at Some Americans Living Abroad*. New York: Simon Schuster, 1969.

King, Carl B. and Howard W. Risher (Jr.). *The Negro in the Petroleum Industry*. Philadelphia: University of Pennsylvania, Wharton School of Finance and Commerce, Industrial Research Unit, 1969. (Racial Policies of American Industry, Report; no. 5)

King, Kenneth James. *Pan-Africanism and Education: A Study of Race Philanthropy and Education in the Southern States of America and East Africa*. Oxford: Clarendon Press, 1971. (Oxford Studies in African Affairs)

Kluger, James R. *The Clifton-Morenci Strike: Labor Difficulty in Arizona, 1915-1916*. Tucson: University of Arizona-Press, 1970.

Kostiner, Joseph. *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State*. New York: Oxford University Press, 1993. (Studies in Middle Eastern History)

Lacey, Robert. *The Kingdom: Arabia and the House of Saud.* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1981.

Lackner, Helen. *A House Built on Sand: A Political Economy of Saudi Arabia.* London: Ithaca Press, 1978.

LaFeber, Walter. *The Panama Canal: The Crisis in Historical Perspective.* Expanded ed. New York: Oxford University Press, 1979.

Larson, Henrietta M., Evelyn H. Knowlton, and Charles S. Popple. *New Horizons, 1927-1950: History of Standard Oil Company.* New York: Harper and Row, 1971.

Layton, Azza Salama. *International Politics and Civil Rights Policies in the United States, 1941-1960.* Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000.

Lewis, David Levering. *W. E. B. Du Bois: Biography of a Race, 1868-1919.* New York: Henry Holt, 1993. (Owl Books)

________. *W. E. B. Du Bois: The Fight for Equality and the American Century, 1919-1963.* New York: Henry Holt, 2000.

LeBotz, Dan. *Edward L. Doheny: Petroleum, Power, and Politics in the United States and* Mexico. New York: Praeger, 1991.

Lieuwen, Edwin. *Petroleum in Venezuela: A History.* Berkeley, CA: University of California Press, 1954. (University of California Publications in History; vol. 47)

Lindsey, Donal F. *Indians at Hampton Institute, 1877-1923.* Urbana: University of Illinois Press, 1995. (Blacks in the New World)

Limerick, Patricia. *The Legacy of Conquest: The Unbroken Past of the American West.* New Haven, CT: Yale University Press, 1987.

Lippman, Thomas W. *Inside the Mirage: America's Fragile Partnership with Saudi Arabia.* Boulder, CO: Westview, 2004.

Lipsky, George A. *Saudi Arabia: Its People, Its Society, Its Culture.* New Haven, CT: Human Relations Area Files Press, 1959.

A Literary History of the American West. Sponsored by the Western Literature Association. Fort Worth: Texas Christian University Press, 1987.

Little, Douglas. *American Orientalism: The United States and the Middle East since 1945.* Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2002.

Long, David E. *The United States and Saudi Arabia: Ambivalent Allies.* Boulder, CO: Westview, 1985.

________ and Brian C. Schmidt (eds.). *Imperialism and Internationalism in the Discipline of International Relations.* Albany, NY: State University of New York Press, 2005.

Louis, Wm. Roger. *The British Empire in the Middle East, 1945-1951: Arab Nationalism, the United States, and Postwar Imperialism.* New York: Oxford University Press, 1984.

Luciani, Giacomo (ed.). *The Arab State.* Berkeley, CA: University of California Press, 1990.

Mader, Julius and Mohamed Abdelnabi. *Who's Who in CIA: A Biographical Reference Work on 3,000 Officers of the Civil and Military Branches of Secret Services of the USA in 120 Countries*. Berlin: Julius Mader, 1968.

Marchand, Roland. *Creating the Corporate Soul: The Rise of Public Relations and Corporate Imagery in American Big Business*. Berkeley, CA: University of California Press, 1998.

Mellinger, Philip J. *Race and Labor in Western Copper: The Fight for Equality, 1896-1918*. Tucson: University of Arizona Press, 1995.

Merrill, Karen K. (ed.). *The Modern Worlds of Business and Industry: Cultures, Technology, Labor*. Turnhout, Belgium: Brepols, 1999.

Meyer, Lorenzo. *Mexico and the United States in the Oil Controversy, 1917-1942*. Translated by Muriel Vasconcellos. 2nd ed. Austin, TX: University of Texas Press, 1977.

________. *México y los Estados Unidos en el conflicto petrolero (1917-1942)*. México: El Colegio de México, 1972.

Miller, Aaron David. *Search for Security: Saudi Arabian Oil and American Foreign Policy, 1939-1949*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1980.

Molho, Anthony and Gordon S. Wood (eds.). *Imagined Histories: American Historians Interpret the Past*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998.

Moore, Barrington. *Social Origins of Dictatorship and Democracy: Lord and Peasant in the Making of the Modern World*. Boston, MA: Beacon Press, 1993.

Morrison, Toni. *Playing in the Dark: Whiteness and the Literary Imagination*. New York: Random House, 1993.

Niblock, Tim (ed.). *State, Society and Economy in Saudi Arabia*. London: Croom Helm, 1992.

Nore, Petter and Terisa Turner (eds.). *Oil and Class Struggle*. London: Zed Press, 1981.

Nowell, Gregory P. *Mercantile States and the World Oil Cartel, 1900-1939*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1994. (Cornell Studies in Political Economy)

Olien, Roger M. and Diana Davids Olien. *Life in the Oil Fields*. Austin, TX: Texas Monthly Press, 1986.

Painter, David S. *Oil and the American Century: The Political Economy of U.S. Foreign Oil Policy, 1941-1954*. Baltimore, MA: Johns Hopkins University Press, 1986.

Paul, T. V. and John Hall (eds.). *International Order and the Future of World Politics*. Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1999.

Peloso, Vincent C. (ed.). *Work, Protest and Identity in Twentieth Century Latin America*. Wilmington, DE: Scholarly Resources, 2003.

Philby, H. St. John B. *Arabian Highlands*. Ithaca, CA: Published for the Middle East Institute; Washington, DC: [by] Cornell University Press, [1952].

_______. *Arabian Oil Ventures*. Washington, DC: Middle East Institute, 1964.

Pledge, Thomas. *Saudi ARAMCO and Its People: A History of Training*. Dhahran: Saudi Arabian Oil Company, 1998.

Plummer, Brenda G. *Rising Wind: Black Americans and U.S. Foreign Affairs, 1935-1960*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1996.

Rabe, Stephen G. *The Road to Opec: United States Relations with Venezuela, 1919-1976*. Austin, TX: University of Texas Press, 1982.

Randall, Laura. *The Political Economy of Venezuelan Oil*. New York: Praeger, 1987.

Randall, Stephen J. *United States Foreign Oil Policy Since World War I: For Profits and Security*. 2nd ed. Montreal: McGill-Queen's University Press, 2005.

Al-Rasheed, Madawi. *History of Saudi Arabia*. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002.

_______ and Robert Vitalis. *Counternarratives: History, Society and Politics in Saudi Arabia and Yemen*. New York: Palgrave; St. Martins Press, 2003.

Reed, Adolph L. (Jr.). *W. E. B. Du Bois and American Political Thought: Fabianism and the Color Line*. New York: Oxford University Press, 1996.

Robbins, William G. *Colony and Empire: The Capitalist Transformation of the American West*. Lawrence: University of Kansas Press, 1994.

Roberts, David. *Once They Moved Like the Wind: Cochise, Geronimo, and the Apache Wars*. New York: Simon and Schuster, 1993.

Ruiz, Ramon. *The People of Sonora and Yankee Capitalists*. Tucson: University of Arizona Press, 1988. (Profmex Monograph Series)

Safran, Nadav. *Saudi Arabia: The Ceaseless Quest for Security*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985.

Salas, Miguel Tinker. *In the Shadow of the Eagle: Sonora and the Transformation of the Border during the Porfiriato*. Berkeley, CA: University of California Press, 1997.

Sanger, Richard H. *Arabian Peninsula*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1954.

Schmidt, Dana Adams. *Yemen: The Unknown War*. London: Bodley Head, 1968.

Schwantes, Carlos A. *Vision and Enterprise: Exploring the History of Phelps Dodge Corporation*. Tucson: University of Arizona Press, 2000.

_______. (ed.). *Bisbee: Urban Outpost on the Frontier*. Tucson: University of Arizona Press, 1992.

Scott, William R. *The Americans in Panama*. New York: Statler Publishing Company, 1912.

Sellars, Nigel Anthony. *Oil, Wheat and Wobblies: The Industrial Workers of the World in Oklahoma, 1905-1930*. Norman, OK: University of Oklahoma Press, 1998.

Shepherd, George (Jr.) (ed.). *Racial Influences on American Foreign Policy*. New York: Basic Books, 1970.

Slide, Anthony. *Before Video: A History of the Non-Theatrical Film*. New York: Greenwood, 1992. (Bibliographies and Indexes in Religious Studies)

Spero, David. *The Hidden Hand of American Hegemony: Petrodollar Recycling and International Markets*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1999.

Stanfield, John H. *Philanthropy and Jim Crow in American Social Science*. Westport, CT: Greenwood, 1985. (Contributions in Afro-American and African Studies; Book 82)

Stegner, Wallace. *Discovery! The Search for Arabian Oil, as abridged for ARAMCO World Magazine*. Beirut: Middle East Export Press, 1971.

Taylor, Wayne and John Lindemann. *The Creole Petroleum Corporation in Venezuela*. With the collaboration of Victor Lopez, United States Business Performance Abroad. Washington, DC: National Planning Association, 1955.

Teaf, Howard M. and Peter G. Franck (eds.). *Hands Across Frontiers: Case Studies in Technical Cooperation*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1955.

Teitelbaum, Joshua. *The Rise and Fall of the Hashimite Kingdom of Arabia*. New York: New York University Press, 2001.

Truettner, William H. (ed.). *The West as America: Reinterpreting Images of the Frontier, 1820-1920*. Washington, DC: Smithsonian Institution Press, 1991.

Vassiliev, Alexei. *History of Saudi Arabia*. New York: New York University Press, 2000.

Vernon, Raymond. *Storm over the Multinationals: The Real Issues*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1977.

Viola, Joy Winkie. *Human Resources Development in Saudi Arabia: Multinationals and Saudization*. Boston, MA: International Human Resources Development Corporation, 1986.

Vitalis, Robert. *When Capitalists Collide: Business Conflict and the End of Empire in Egypt*. Berkeley, CA: University of California Press, 1995.

White, Gerald T. *Formative Years in the Far West: A History of Standard Oil Company of California and Predecessors through 1919*. New York: Appleton-Century-Crofts, 1962.

White, Richard. *Roots of Dependency: Subsistence, Environment and Social Change among the Choctaws, Pawnees and Navajos*. Lincoln: University of Nebraska Press, 1983.

Wilkins, Mira. *The Emergence of Multinational Enterprise: American Business Abroad from the Colonial Era to 1914*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1970.

Winant, Howard. *The World Is a Ghetto: Race and Democracy Since World War II*. New York: Basic Books, 2002.

Wonham, Henry B. (ed.). *Criticism and the Color Line: Desegregating American Literary Studies*. New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1996.

Yaqub, Salim. *Containing Arab Nationalism: The Eisenhower Doctrine and the Middle East*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2004. (New Cold War History)

Yergin, Daniel. *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power*. New York: Simon and Schuster, 1991.

Yizraeli, Sarah. *The Remaking of Saudi Arabia: The Struggle between King Sa'ud and Crown Prince Faysal, 1953-1962*. Tel Aviv: Moshe Dayan Center, 1997.

Periodicals

"5 Exiled Kinsmen of King Saud Ask Permission to Return Home." *New York Times:* 24/8/1963.

Adas, Michael. "From Settler Colony to Global Hegemon: Integrating the Exceptionalist Narrative of the American Experience into World History." *American Historical Review:* vol. 106, no. 5, December 2001.

Adelman, Morris A. "The Real Oil Problem." *Regulation:* vol. 27, no. 1, Spring 2004.

"American Oil Policy." *New York Times:* 10/3/1944.

"Arabia's New Men." *Economist:* 18 March 1961.

"Arabian Oil." *New York Times:* 23/2/1944.

"Arabian Oil Deal Opposed, Plan to Seek Reserves Abroad Held Move toward Imperialism." *New York Times:* 10/3/1944.

"Aramco Insultingly Behaves towards Pakistanis." *New Orient:* 27 March 1949.

Bennett, Charles. "Mayor Bars Fete for Saud." *New York Times:* 30/1/1957.

Blatt, Jessica. ""To Bring Out the Best That Is in Their Blood": Race, Reform, and Civilization in the "Journal of Race Development" (1910-1919)." *Ethnic and Racial Studies*, vol. 27, no. 5, September 2004.

Brewer, Sam Pope. "Saudi Oil Terms for U.S. to Stand." *New York Times:* 17/12/1957.

Bromley, Simon. "The United States and the Control of World Oil." *Government and Opposition:* vol. 40, no. 2, Spring 2005.

Buell, Raymond Leslie. "Panama and the United States." *Foreign Policy Reports:* no. 7, 20 January 1932.

Caruthers, Osgood. "King Saud Now Plays Key Role in Mideast." *New York Times:* 16/6/1957.

_______. "Nasser Is Pressing His Attack on Saud." *New York Times:* 9/3/1958.

Citino, Nathan. "Defending the "Postwar Petroleum Order": The U.S., Britain and the 1954 Saudi-Onassis Tanker Deal." *Diplomacy and Statecraft:* vol. 11, no. 2, July 2000.

Crider, John H. "Saudi Arabia's Oil Looms as Vital." *New York Times:* 3/10/1943.

Crinson, Mark. "Abadan: Planning and Architecture under the Anglo-Iranian Oil Company." *Planning Perspectives:* vol. 12, no. 3, 1997.

Culbertson, William S. "Raw Materials and Foodstuffs in the Commercial Policies of Nations." *Annals of the American Academy of Political and Social Science:* vol. 112, 1924.

Davis, Simon. "Keeping the Americans in Line: Britain, The United States, and Saudi Arabia, 1939-1945: Inter-Allied Rivalry in the Middle East Revisited." *Diplomacy and Statecraft:* vol. 8, no. 1, March 1997.

Department of State Bulletin: vol. 36, no. 917, 21 January 1957.

Du Bois, W. E. B. "Education in Africa." *Crisis:* June 1926.

Dudziak, Mary Louise. "Desegregation as a Cold War Imperative." *Stanford Law Review:* vol. 41, no. 1, November 1988.

Duguid, Stephen. "A Biographical Approach to the Study of Social Change in the Middle East: Abdullah Tariki as a New Man." *International Journal of Middle East Studies:* vol. 1, no. 3, July 1970.

Earle, Edward Mead. "The New Mercantilism." *Political Science Quarterly:* vol. 40, no. 4, 1935.

Eastman, Quinn. "Rich History Unearthed: Vista Publisher Releasing Book on the Arabian American Oil Company." *North Coast County Times:* 22 September 2007.

"Eisenhower-Saud Text." *New York Times:* 9/2/1957.

Feis, Herbert. "The Anglo-American Oil Agreement." *Yale Law Journal:* vol. 55, no. 5, August 1946.

Foner, Eric and Jon Wiener. "Fighting for the West." *The Nation:* 29 July 1991.

Fradkin, Philip L. ""Lost" Stegner work "Discovery" Should've Stayed Hidden." *San Francisco Chronicle:* 23 December 2007.

Francis, Lorania K. "Arab Farms Boom under Americans." *Los Angeles Times:* 20/3/1951.

"Getting into Step." *Times:* 12/1/1956.

Halloran, Richard. "US Altering Strategy of Defense of Arabian Oilfields." *New York Times:* 4/12/1988.

Hart, Parker. "Saudi Arabia and the United States." *Middle East Policy:* vol. 6, no. 4, 1999. (Herman Elits)

Hoye, Paul. "Tom Barger: Myth or Man." *ARAMCO World:* vol. 20, no. 5, September-October 1969.

Al-Huriyah: 8 May 1960.

"Industrial Relations and Social Progress." *Al-Yamamah:* no. 29, 8 April 1956.

James, Edwin L. "Arabian Oil Argument Serves Signal Purpose." *New York Times:* 19/3/1944.

Jenks, Leland. "Review of "the Oil Trusts and Anglo-American Relations by E. H. Davenport and Sidney Russell Cooke." *Social Forces:* vol. 2, no. 5, 1924.

Jones, Toby. "America, Oil, and War in the Middle East." *Journal of American History:* vol. 99, no. 1, 2012.

Kelly, Robin D. G. ""But a Local Phase of a World Problem": Black History's Global Vision, 1883-1950." *Journal of American History:* vol. 86, no. 3, December 1999.

Kenworthy, E. W. "President to See Saud at Airfield." *New York Times:* 26/1/1957.

Kimball, Solon T. "American Culture in Saudi Arabia." *Transactions of the New York Academy of Sciences:* vol. 18, no. 5 (series II), March 1956.

"Kinsman of Saud Asks for Reform." *New York Times:* 16/8/1962.

Leff, Lisa. "Stegner's Heirs Object to Republication." *Deseret Morning News* (Salt Lake City, Utah): 3/12/2007.

Lemann, Nicholas. "The Way They Were." *New Yorker:* 15 April 2002.

"Libyan Oil Politics." *Arab Oil and Gas Journal:* vol. 2, October 1965.

Little, Douglas. "Cold War and Covert Action: The U.S. and Syria, 1945-1958." *Middle East Journal:* vol. 48, no. 1, Winter 1990.

_______. "New Frontier on the Nile: JFK, Nasser, and Arab Nationalism." *Journal of American History:* vol. 75, no. 2, September 1988.

Logan, Mildred Montgomery. "The Arabs Call Me Madam Sam." *Cattleman:* January 1952.

_______. "I Like Being the Garden of Eden's First Lady." *Cattleman:* October 1957.

Long, David. "Review of *America's Kingdom* by Robert Vitalis." *Middle East Journal:* March 2007.

"Malcolm Says He Is Backed Abroad." *New York Times:* 22/5/1964.

Mawbry, Spencer. "The Clandestine Defence of Empire: British Special Operations in Yemen, 1951-64." *Intelligence and National Security:* vol. 17, no. 3, Fall 2002.

"Middle East Junior "Marshall Plan" Costs Taxpayers Nothing." *Oil and Gas Journal:* vol. 47, no. 18, November 1948.

Moon, Parker. "Raw Materials and Imperialism." *Proceedings of the Academy of Political Science in the City of New York:* vol. 12, no. 1, 1926.

Morris, James. "Saud-Master of the Rich Desert." *New York Times Magazine:* 19 February 1961.

Nordhaus, William D. "Energy: Friend or Enemy?." *New York Review of Books:* 27 October 2011.

New Republic: 6 November 1915, and 22 January 1916.

New York Times: 26/1/1947, and 1/2/1957.

Norberg, Robert. "Saudi Arabs, Americans, and Oil." *Saudi-American Forum,* Essay Series: no. 10, 20 March 2003.

"Moffett Attacks Arabian Oil Plan, Asks Ickes Ouster." *New York Times:* 2/3/1944.

"The Oil Controversy." *New York Times:* 4/3/1944.

"Oil and the Near East." *New York Times,* 15/2/1944.

Pacific Historical Review: September 2007.
"Partners in Oil and Progress," *Bulletin:* Autumn 1946.
"A Partnership in Oil and Progress." *Standard Oil of California Bulletin:* Autumn 1946.
"Point $ without the Taxpayers." editorial, *Los Angeles Times:* 20/3/1951.
Peterson, Tore Tingvold. "Anglo-American Rivalry in the Middle East: The Struggle for the Burairni Oasis, 1952-1957." *International History Review:* vol. 14, no. 2, February 1992.
Robbins, William G. "The "Plundered Province" Thesis and the Recent Historiography of the American West." *Pacific Historical Review:* vol. 55, no. 4, November 1986.
"Saudi Arabia Bars Nationalization." *New York Times:* 9/11/1963.
"Saudis Expunge a Popular Image." *New York Times:* 13/5/1962.
Schmidt, Dana Adams. "King Saud's Foes Step Up Activity." *New York Times:* 23/5/1961.
________. "President Hails Saud Visit, King Praises Mideast Plan." *New York Times:* 7/2/1957.
________. "Saud Is Eager for Serious Talks, King's Aides Say." *New York Times:* 29/1/1957.
________. "Saudi Oil Money Put to New Uses." *New York Times:* 12/5/1962.
________. "Saud's Visit Seen as a Mideast Key." *New York Times:* 31/1/1957.
________. "U.S.-Saudi Talks Reach an Accord on Base and Aid." *New York Times:* 8/2/1957.
Seccombe, Ian. ""A Disgrace to American Enterprise": Italian Labor and the Arabian American Oil Company in Saudi Arabia, 1944-56." *Immigrants and Minorities:* vol. 5, no. 3, 1986.
Standard of California Bulletin: Autumn 1946.
Stern, Roger J. "United States Cost of Military Force Projection in the Persian Gulf, 1976-2007." *Energy Policy:* vol. 38, 2010.
"Struggle for Arabia." *New York Times:* 15/6/1957.
"The Story of a Modern American Family." *ARAMCO World:* April 1955.
Sunday Times (London): 23/10/1955.
"A Super Aramco Could Lift Profits, Saudi Aide Asserts." *New York Times:* 17/9/1957.
Time: 27 April 1959.
"Topics of the Times." *New York Times:* 3/3/1944.
Vitalis, Robert. "The Closing of the Arabian Oil Frontier and the Future of Saudi-American Relations." *Middle East Report:* no. 204, 1997.
________. "Wallace Stegner's Arabian Discovery: Imperial Blind Spots in a Continental Vision." *Pacific Historical Review:* vol. 76, no. 3, August 2007.
Ver der Vat, Dan. "Obituary, Anthony Cave Brown: Journalist and Writer of Books on Espionage." *Guardian:* 17/10/2006.

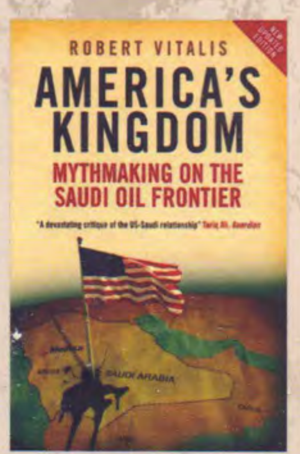
Vitalis, Robert. "The Closing of the Arabian Oil Frontier and the Future of Saudi-American Relations." *Middle East Report:* no. 204, 1997.
Watts, Michael. "Resource Curse? Governmentality, Oil and Power in the Niger Delta, Nigeria." *Geopolitics:* vol. 9, no. 1, March 2004.
Wilentz, Sean. "America Made Easy." *New Republic:* 2 July 2001.
Wilson, Joy. "Raising Children in an American Oil Camp in Saudi Arabia." *Radcliffe Quarterly:* March 1977.
"Where Yankees Misbehave." *Freedom:* 25 March 1949.
"Worried Oil Monarch." *New York Times:* 30/1/1957.

Theses

Quam-Wickham, Nancy Lynn. "Petroleocrats and Proletarians: Work, Class, and Politics in the California Oil Industry, 1917-1925." (Ph.D. Dissertation, University of California Press 1994).
Samore, Gary. "Royal Family Politics in Saudi Arabia (1953-1982)." (Ph.D. Dissertation, Harvard University, 1983).
Snyder, Harry Roscoe. "Community College Education for Saudi Arabia: A Report of a Type a Project," (Ph.D. Dissertation, Teachers College, Columbia University, 1963).
Teitelbaum, Joshua, "The Rise and Fall of the Hashimite Kingdom of the Hijaz, 1916-1925: A Failure of State Formation in the Arabian Peninsula." (Ph.D. Dissertation, Tel Aviv University, 1996).

Conferences

ARAMCO, Fourth Arab Petroleum Congress, Beirut, Lebanon, 5-12 November 1963.
The Conference on Saudi Futures, International Institute for the Study of Islam in the Modern World, Leiden, 19-21 February 2004.
First Arab Petroleum Congress, Cairo, UAR, 16-23, April 1959.
The Production Group Session during tile 31st Annual Meeting of tile American Petroleum Institute, Stevens Hotel, Chicago, 7 November 1951.



عشرة أعوام قضاها المؤلف بين الوثائق والشهادات والبحث التاريخي المضني كي يُصدر لنا هذا الكتاب التوثيقي غير المسبوق عن صفحات مهملة من تاريخ الجزيرة العربية منذ مطلع القرن العشرين، وذلك عبر تسليط الضوء على قصة الإمبراطورية النفطية التي أسستها أمريكا تحت اسم «شركة أرامكو» في ثلاثينيات القرن الماضي والتي ترتبط بشكلٍ وثيق بتاريخ تشكُّل المملكة العربية السعودية وعلاقتها مع بريطانيا أولاً ثم مع الولايات المتحدة.

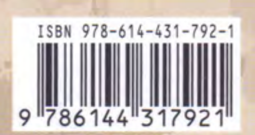
استطاع روبرت فيتالس في هذا الكتاب أن يخترق الرواية المعتمدة والوحيدة التي تروّجها الشركة لتاريخ تأسيسها - والتي كُتبت بالطبع بتمويل منها - عبر استعراض مضامين وثائق تجاوزت الثلاثة آلاف صفحة لم تُتَح للباحثين من قبل، ولم يستطع المؤلف الوصول إليها سوى بعد وفاة من كان يحتفظ بها - وهو أبرز مؤرّخي الشركة - في تسعينيات القرن العشرين، ومنها اطّلع المؤلف على كل ما لا ترغب الشركة في نشره، وفيها ما يكسر كل الأساطير التي تروجها ومن ورائها الحكومة الأمريكية عن تاريخ نشأة أرامكو والصورة التي رسمتها للأمريكي الذي أتى إلى البلد الجديد لتنميته ولتأسيس حضارة وسط الصحراء.

يكشف الكتاب الدوافع الإمبريالية والسلوك الاستعماري الذي انتهجته الشركة تجاه السعودية منذ تأسيسها، ويسمّي، موثّقاً، عدداً من جواسيس السي آي ايه الذين أتوا باعتبارهم موظّفين كبار في أرامكو. كما ويتحدّث بتفصيلٍ عن بدايات التنمية والتنقيب عن النفط، وتداعيات ما بعد الحرب العالمية الأولى ثم الثانية على السعودية.

ويستعرض المؤلف بالوثائق والأسماء ممارسات التمييز الطبقي والفصل العنصري التي مارستها إدارة الشركة تجاه الموظّفين السعوديين، وغيتو الحي الأمريكي، وسياسات الشركة في الاستحواذ على النفط، وحراك العمال واحتجاجاتهم ومظاهراتهم في مواجهتها والتي بدأت في العام ١٩٤٥م، وارتباط كل ذلك بنشأة الاتجاهات اليسارية «قومية وماركسية» في السعودية، والصراع الإقليمي مع مصر عبد الناصر، ووجود قاعدة الظهران العسكرية الأمريكية. كما ويشير المؤلف إلى أسماء مهمة قادت الحراك العمالي ضد سياسات الشركة، من أمثال: عبد العزيز السنيد وعبد الرحمن البهيجان وصالح الزيد وناصر السعيد، والذين تعرضوا - والعشرات سواهم - لمطاردات واعتقالات سياسية.

ويتوسّع الكتاب في الحديث عن التاريخ السياسي السعودي في تلك الفترة، وطبيعة العلاقة مع الحكومة الأمريكية منذ اللقاء الشهير للملك عبد العزيز مع الرئيس الأمريكي روزفلت على سطح السفينة الأمريكية «كوينسي»، مروراً بمشروعات الإصلاح السياسي التي أقدم عليها الملك سعود، ثم صراعه مع الملك فيصل الذي انتهى بعزله عن الملك، والعلاقة المضطربة مع مصر الناصرية والسجال الإعلامي معها، وحركة الأمراء الأحرار، والحرب في اليمن. كما ويتضمّن الكتاب ما يشبه السيرة الذاتية غير المنشورة لأهم شخصيتين سعوديتين - من خارج الأسرة الحاكمة - أدّتا أدواراً بمنتهى الأهمية في التاريخ السياسي السعودي، وهما عبد الله الطريقي وعبد العزيز بن معمر، وما انتهى إليه المطاف بكلٍ منهما، حيث المنفى والمعتقل.

الثمن: ٢٠ دولاراً
أو ما يعادلها


ISBN 978-614-431-792-1

